

مجلة

دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

رئيس التحرير : أ.د. رفاه جاسم حمادي

مدير التحرير : أ.م.د. عادل شابث جابر

اعضاء هيئة التحرير

أ.د. أحمد مالك الفتیان	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. حميد أحمد التميمي	كلية الآداب / جامعة البصرة
أ.د. طالب منعم الشمري	كلية التربية / جامعة واسط
أ.د. هديب حياوي	كلية الآداب / جامعة بابل
أ.د. عادل تقي البلداوي	كلية التربية / جامعة المستنصرية
أ.د. علي ياسين الجبوري	كلية الآثار / جامعة الموصل
أ.د. خليل علي مراد	كلية الآداب / جامعة صلاح الدين

مجلة دراسات في التاريخ والآثار - جامعة بغداد - كلية الآداب - بغداد

العدد (٥٨) اذار لسنة ٢٠١٧

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

التصحيح اللغوي م.م. عبد الخالق حسن

الاشراف المالي : انتصار حميد مجيد

ISSN:2075-3047

الترقيم الدولي :

البريد الالكتروني : jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

شروط النشر في المجلة

١. أن يكون متسماً بالجدة والموضوعية ويدخل ضمن الاختصاصات التي تختص بها المجلة .
٢. اعتماد الأسلوب العلمي في كتابة الموضوع سواء بما يتعلق بالهوامش أو الأمانة العلمية.
٣. سلامة البحث من الأخطاء اللغوية والمطبعية وخاضعاً للتقويم العلمي .
٤. أن تكون طباعة الهوامش في نهاية البحث .
٥. أن يكون حجم البحث معقولاً ولا يتجاوز الخمسين صفحة .
٦. أن لا يكون البحث مستقلاً من رسالة أو أطروحة جامعية لغير طلبة الدراسات العليا .
٧. يقدم الباحث نسخة مطبوعة مع قرص مدمج للمادة المقدمة للنشر مع مبلغ خمسين ألف دينار للباحثين داخل العراق ومائة دولار للباحثين من خارج العراق.
٨. يفضل أن يحتفظ الباحث بنسخة أخرى من القرص المدمج .
٩. يفضل أن ينتهي البحث بخلاصة باللغة الانكليزية .
١٠. المجلة غير مسؤولة عن إرجاع البحوث المنسوخة أو الأقراص المدمجة .

محتويات العدد (٥٨)

ت	البحث	الباحث	الصفحة
١	الحياة الاقتصادية في عصر المملكة المصرية الحديثة (١٥٨٥-١٠٨٠ ق.م)	أ.م.د. محمد علي عبد الامير حسن	٤٢-١
٢	خالد النقشبندى سيرته ودوره العسكري والاداري في العراق (١٩١٥ . ١٩٦١)	أ.م.د. مهدي محمد قادر	٧٣-٤٣
٣	فن التزجيج في تجميل الواجهات الجدارية في العراق القديم	أ.م.د. عبد الرحيم حنون عطية أ.م.د. أثير احمد حسين	١٣٦-٧٤
٤	التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية - قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة	أ.م.د. صالح محمد زكي محمود اللهيبي أ.م.د. ساجدة محمد زكي محمود	١٦٥-١٣٧
٥	دور الاغالبية في فتح صقلية	أ.م.د.علي عطية م.م. ايمان عبد الجبار محمود التميمي	٢٠٨-١٦٦
٦	البنية الاجتماعية والاقتصادية لثقافة نينوى ٥	أ.م.د. قصي صبحي عباس	٢٢٦-٢٠٩
٧	إمتياز شركة الاتصالات البريطانية وأثره في التنافس الأمريكي - البريطاني في المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٥	أ.م.د. خليل حمود عثمان الجابري	٢٥١-٢٢٧
٨	عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م)	أ.م.د. حيدر خضير رشيد	٢٨١-٢٥٢
٩	الأسرة في بلاد الرافدين من الناحية القانونية	أ.م.د. عماد طارق توفيق	٣٠٥-٢٨٢
١٠	التوظيف الاقتصادي للمتاحف المتخصصة "متحف الكفيل انموذجاً"	م.د. حيدر فرحان حسين الصبيحاي	٣٥٥-٣٠٦
١١	موقف نصارى الشام من الحروب الصليبية	م . د . ازهار غازي مطر	٣٧٣-٣٥٦
١٢	دور المرجعية الدينية في العراق في قيادة حركات الجهاد بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨	م.د. رجاء زامل كاظم الموسوي	٤٠٢-٣٧٤
١٣	القضاة ودورهم السياسي في عصر دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)	م.د.ريم هادي مرهج الذهبي	٤٤٣-٤٠٣
١٤	النهضة الثقافية وملامح التحديث المبكر في امارات الساحل المتصالح ١٩٧١-١٩٠٠	د. جمانة محمد راشد	٤٦٠-٤٤٤

١٥	المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (١٧٥٩٠هـ/١٠٥٥- ١١٩٣ م)	م . د : حاتم فهد هنو الطائي	٥٠٣-٤٦١
١٦	مؤتمر القسطنطينية (١١ كانون الاول ١٨٧٦ - ٢٢ كانون الثاني ١٨٧٧)	م . د . د . حمزة ملغوث البديري	٥٤٣-٥٠٤
١٧	موقف المملكة العربية السعودية من الحركة الوطنية التونسية حتى عام ١٩٥٣	أ.د. سنان صادق حسين الزبيدي م. فرح باسم ابراهيم	٥٥٦-٥٤٤
١٨	عقدين لبيع وشراء الحيوانات من العصر السومري الحديث(٢١١٢- ٢٠٠٤ق.م)،نصوص غير منشورة من متحف السليمانية	د. ناري خليل كامل	٥٧١-٥٥٧
١٩	قواعد فهرسة المخطوطات العربية	م.م علي رديف عبدالجليل	٦٠٢-٥٧٢

**الحياة الاقتصادية في عصر المملكة
المصرية الحديثة**

(١٥٨٥-١٠٨٠ ق.م)

أ.م.د محمد علي عبد الأمير حسن
جامعة بغداد - كلية اللغات

الحياة الاقتصادية في عصر المملكة المصرية الحديثة
(١٥٨٥-١٠٨٠ ق.م)

أ.م.د. محمد علي عبد الأمير حسن

مقدمة

تعد مرحلة المملكة الحديثة من المراحل الهامة في تاريخ مصر القديمة، فهي مرحلة انتقال من الحكم الأجنبي المتمثل بعصر الهكسوس وأرجاع السيادة المصرية الكاملة على البلاد من قبل أهلها وبقوة وعزيمة قادتها الشجعان، إذ بدأت الحياة في كافة قطاعاتها بالعودة الى مسارها الطبيعي، ومن هنا كان لا بد لنا أن نتناول موضوع الحياة الاقتصادية في هذه المرحلة المهمة في تاريخ مصر القديمة من زراعة والتي تمثل عصب الحياة بالنسبة للإنسان المصري القديم ومدى ارتباط هذا القطاع المهم بنهر النيل وأهميته في جعل أرض مصر واحة خضراء .

يعد الماء شريان الحياة وبذلك استطاع الإنسان الفلاح المصري القديم أن يزرع كل أرضه من قمح وشعير ومحاصيل أخرى فاقت حاجة مصر، ثم ربطت موضوع الري وأدوات الري كذلك الثروة الحيوانية والسمكية بقطاع الزراعة وتكلمت عن أهميتها بالنسبة لمجتمع تعداد السكاني كبيرا جدا وبينت ذلك من خلال ماشرع عليه من نقوش ورسوم اكتشفت على جدران القبور في تلك المرحلة، بعد ذلك تناولت قطاع لا يقل أهمية عن قطاع الزراعة ألا وهو قطاع الصناعة الذي يعد من القطاعات الحيوية بالنسبة للمصريين القدماء وتحدثت عن أهم الصناعات التي برع بها الإنسان المصري كالصناعات الأستخراجية والزجاج وغيرها من الصناعات التي كانت تدر أرباحا وفيرة على مصر في عصر المملكة الحديثة ، بعدها تناولت قطاع التجارة الداخلية والخارجية وبينت وسائل النقل فيهما، ثم ختمت بحثي بعدة استنتاجات .

أتسم عصر الدولة الحديثة والذي استغرق خمسة قرون من الزمان بسمات تفرد بها عن غيره من العصور التي سبقته ، فقد كان عصرا بطوليا شهد مولد المملكة المصرية واعلاء شأنها ودعم بنائها وكان الفضل في ذلك يعود للملك احمس الأول والملك توحتمس الأول والثالث، ومن ورائهم سيدات عظيمات تفردت بهن الأسرة الثامنة عشرة (١) وأشهرهن الملكة تتي شري (٢) جدة هذه الأسرة ، ويذكر أنها تمتعت بشهرة شعبية واسعة وأن محبة الناس لها ذهبت الى حد تأليها بعد وفاتها (٣) واستطاع توحتمس الثالث من أن تخضع له فلسطين وسوريا في حملات أستمرت ستة عشر عاما متتالية ومد سلطانه جنوبا الى ما وراء الجندل الثالث في النوبة ،وأصبحت النوبة وفلسطين وسوريا معروفة كمستعمرات وبدأت الجزى تفيض في كميات ضخمة الى مصر وأزدادت قيمة

مصر وسلطانها ما بين الدول المجاورة (٤) وقد خلف توحتمس الثالث أبنة أمنوفس الثاني وحفيده توحتمس الرابع ولكنهما لم يحكما طويلا، وتوقفت الحروب ونعمت البلاد بسلام وأزدادت ثروات البلاد ووصلت مصر في مختلف نواحي الحضارة الى مستوى رفيع لم تبلغه من قبل ، ثم جاء دور امنوفس الثالث وبعده أبنة أخناتون أمنوفس الرابع الذي لم يترك ورثة له من الذكور فخلفه أثنان من أزواج بناته كان ثانيهما توت عنخ آمون الذي عقد صلحا مع كهنة معبد آمون وبأنتهاء حكمه أنتهت الأسرة الثامنة عشرة وتلتها الأسرة التاسعة عشرة والعشرون فرفعتا مصر مرة أخرى الى مستوى عالي من القوة الخارجية وبدأ حكم الرعامسة (٥) ملوك الأسرة التاسعة عشرة ثم أنتهت المملكة الحديثة بزوال الأسرة العشرين ،لقد أتسم عصر المملكة الحديثة عموما وعصر الأسرة الثامنة عشرة خصوصا بقدر ملحوظ من الرخاء الاقتصادي الذي أدى الى تحسن ملحوظ في مستوى معيشة غالبية سكان مصر،ويؤكد هذا الرخاء الآثار التي خلفها هذا العصر مثل المعابد والقابر والقصور والبيوت سواء بيوت علية القوم أو عامة الشعب (٦) كذلك شملت كل أوجه النشاط الاقتصادي كالزراعة والحرف والصناعات والتجارة الداخلية والخارجية ،كل هذا

جعلت غالبية المؤرخين تصف عصر المملكة الحديثة بأنه عصر التنمية الاقتصادية والأصلاح الإداري في طول البلاد وعرضها (٧)

الزراعة

بدأت حياة الإنسان المصري القديم في مجتمع زراعي مستقر تجمعت فيه منذ البداية خصائص طبيعية معينة جعلت منه وحدة مادية وفكرية ذات طابع خاص، ومن أهم تلك الخصائص ظاهرة الدورية أو بالأحرى ذلك الانتظام المتكرر في الظواهر البيئية والكونية مما دفع الإنسان الكائن في ذلك المجتمع الى تأكيد استمرار وانتظام تلك الظواهر، وبالتالي الاعتقاد في وجود قوى آليه من ورائها وقد تأكد ذلك ايضا لأن الاقتصاد الرئيسي في المجتمع المصري القديم هو الاقتصاد الزراعي الذي يعتمد أولا وأخيرا على تلك الظواهر البيئية والكونية (٨)

وتعد الزراعة من أهم المهن التي مارسها الإنسان المصري القديم، وعمل بها قطاع كبير من الشعب (٩) وهي المورد الخصب الذي اكسب مصر حضارتها اللبنة، وكانت الأسس الأولى لهذه المهنة قد وضعت منذ عصور ما قبل التاريخ (١٠) إذ قام رواد الحضارة الأوائل لما جاءوا الى ضفاف النيل بأزالة الأحراش والغابات وتنظيم جريان النيل وشق الترع والقنوات فعملت تلك الجهود على نمو الحضارة وتوفير القوت (١١) كما إن أبرز ما يميز الحضارة المصرية وتاريخها هو نهريها العظيم النيل الذي يعد مصدر الحياة والخصب (١٢) مما حدا بالإنسان المصري القديم الى مراقبة فيضانات النيل بعين الحذر، وأن يعمل على تنظيمها (١٣) لذلك اهتمت الدولة اهتماما بالغا بالنيل وصل الى حد التقديس، وقد حظيت الزراعة برعاية وأهتمام ملوك مصر كما كانت تخضع لتوجيه وأشراف الدولة فكان بين موظفيها المشرفون على صوامع الغلال ومحاصيل الأقاليم ، وقد حرص ملوك مصر في عصر المملكة الحديثة على تنمية الزراعة وتنويع الحاصلات الزراعية من خلال جلب النباتات التي لم تكن معروفة في مصر (١٤) ويوجد ما يشير الى ذلك من خلال النقوش، فقد قام توتختمس الثالث الملك بعد عودته من حملته الثالثة في نقش على أحد جدران قاعة خلفية

بالكرنك جاء فيه "العام الخامس والعشرين تحت حكم مصر العليا والسفلى من خبر رع الذي يعيش الى الأبد نباتات وجدها جلالته في أرض رنتو العليا لتخضع البلاد جميعا تنفيذا لرغبة أبيه آمون الذي وضعهم تحت نعله الى الأبد " (١٥) حتى أنهم قاموا بتصوير كل ما يتعلق بالزراعة على جدران قبورهم ، فلم يتركوا لونا من الوانها ولا آلة من الآتها ولا حيوانا ولا نباتا ولا أثرا دون أن يبرزوه في صور متتابعة من حياتهم اليومية (١٦)

الفلاح: كان الفلاح المصري القديم يشرع في تمهيد الأرض واعدادها للزراعة وكان ذلك يتطلب شق الترع والقنوات ،بعدها يقوم بحرث الأرض وتفتيت ما على سطحها من كتل الطمي الكبيرة وقد استعمل الأبقاروالثيران لهذا الغرض،وهناك مشاهد على على أحد جدران قبر (نخت) بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة تمثل الحرث وقلع الحشائش وتقطيع الأشجار،وهناك شاهد آخر على جدران قبر (باحرى) (١٧) بالكاب من هذه الأسرة ايضا لصورة تمثل ثيران تجر المحاريث وقد نقش اعلاها " هذا يوم جميل هواؤه بارد،والثيران تجر المحراث،ولا عجب فالسمااء صحو تسر قلوبنا " (١٨) وحين تنتهي عملية حرث الأرض تبدأ عملية اخرى وهي البذر،وكان يشرف على توزيع البذور موظف خاص اذا كانت ملكية الارض تابعة للملك ويدعى كاتب الحبوب (١٩) حتى أن الأرض كلها كانت في عهد المملكة الحديثة بأستثناء المعابد

ملكا للملك من الناحية النظرية وهي تؤجر الى ملاك مختلفين أو تستبقى لأستغلالها وكان الفلاحون يدينون بالولاء لهذا الموظف الذي يوضع على رأسهم ، وكانوا مسئولين عن زراعة الأرض التي كان يسمح لهم بجانب من انتاجها ليعيشوا عليه وكان هذا هو أجرهم (٢٠) بعدها تدفن البذور في الأرض ثم يطلقون عليها الخراف وماشية اخرى تسير في الحقل ، ويتقدم القطيع مزارعا يحمل بعض الحبوب ليغري الماشية بأتباعه الا انه في عصر المملكة الحديثة استبدلت الماشية بالخنازير (٢١)

وكان الفلاح دائم المرور على حقله ينقي المحصول من الشوائب، ويعتني به ويرعاه ويحدد نموه حتى يبلغ تمام نضجه وعندئذ تبدأ عملية الحصاد، ويربط المحصول في حزم بعد تنظيفه من السنابل بالنسبة لزراعة القمح والشعير ثم ينقل الى الصوامع بعد أن يكيل من قبل موظف خاص من المدينة المحصول (٢٢) وهناك مشاهد

على أحد جدران قبر (منا) صورية بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة تمثل عملية الكيل وقد انحنى بعض الفلاحين بمكايلهم يغترفون بها الحب بينما كتبه الزراعة يحاسبون ويسجلون المحصول (٢٣) وقد عثر في أحد قبور طيبة على مخازن غلال مخروطة الشكل منها ثلاث مليئة بالقمح وأثنان فارغان في اعلاها فتحات تستخدم لملئها بالحبوب وفي اسفلها فتحات أخرى يسحب منها الحب وكانو يصنعون نماذج الصوامع الصغيرة من الخشب احيانا كما هو الحال في الصومعة الصغيرة التي عثر عليها في قبر توت عنخ آمون بطيبة، وهي مقسمة الى غرف أو عيون مختلفة تملأ كل منها بالقمح والشعير (٢٤) ورغم كل هذا فالويل للفلاح الذي يخفي جزءا من محصوله أو الذي لا يستطيع تسليم رجال السلطة الرسميين كمية المحصول التي اظهرت عملية المساحة قدرة حقله على تقديمها، حتى ولو كان الفلاح أمينا حسن النية عندئذ يلقي أرضا ويضرب ضربات متواليه بالعصا وقد تنتظره مصائب أشد وانكى (٢٥) وجملة القول فأن هذه الأعمال الشاقة والضربات بالعصي سرعان ما تنسى، وقد اعتاد الفلاح عليها ويعزي نفسه اعتقاده أن العصا لم تستثنى أحد في بلده وأنها كثيرا ما وقعت على اكتاف أقل تحملا من اكتافه (٢٦) وعلى الرغم من حدوث الفيضانات لنهر النيل الأ أن النشاط الزراعي لم يكن ينقطع على الرغم من التعطل الإجباري، ولكن يعقبه نشاط كبير يبدأ بأعداد الأرض وإعادة ترسيم حدود وعلامات الحقول وحفر الترع والقنوات على أعماق وتجديد السدود ومراجعة ارتفاعاتها، ونظرا للعمليات وقلة قوة العمل المتوفرة كانت مشكلة توفير العمال والفلاحين بطريق السخرة وقد أتمم هذا النظام في عصر المملكة الحديثة بالظلم إذ

كان الفلاح المصري القديم يأنف من السخرة ، ووجدت بردية محفوظة في بروكلين تحتوي على أسماء سبعة وسبعين شخصا غالبيتهم من الرجال فرضت عليهم العقوبات لهروبهم من العمل بالسخرة ، ولم تقتصر العقوبات الموقعة عليهم على الجزاءات المعتادة بل أمتدت لتشمل ذويهم الذين كانت تأخذ منهم رهائن في بعض الأحوال (٢٧) لقد احتكر ملوك المملكة الحديثة بعض الأنشطة الاقتصادية حتى أن

الدولة كانت تحدد المساحة التي يتعين على الفلاح زراعتها ببعض المحاصيل، كما كانت تنظم حق المزارعين من الانتفاع ببعض الأراضي الزراعية (٢٨) أما عن كيفية معرفة مساحة الأرض التي كانت تعد أساسا في تقدير الثروة الزراعية فقد استخدموا الحبل ذا العقد توطئة لجباية الضرائب عليها من جهة وللتأكد من عدم التلاعب في الحدود من جهة أخرى، ووجدت صور لفلاح في حقله وقد نقش بجواره القسم الآتي " اقسم بالآله العظيم رب السموات أن الحدود الصحيحة في مكانها " كما وجد شاهد على جدران قبر (منا) بطيبة صورة تمثل عملية المساحة يجريها المساحون بحبل ذي عقد (٢٩) وكانت الضرائب التي تفرض على الفلاحين فهي عبارة عن ضرائب تؤدي في صور محاصيل عينية وخدمات لم تختلف تماما في أيام الرومان لأن منح حق استغلال الأرض الزراعية للمملوكة للأهلين في مجتمع زراعي كمصر إنما كان يصدر عادة من كبير المجتمع مقابل تقديم مواد غذائية له أو إعالته لمدة أيام معلومة أو مقابل قدر معين من الحنطة أو عدد من الماشية، وقد استمر العمل بهذه الضرائب الى عصور متأخرة من تاريخ مصر القديم (٣٠) ويتضح من بعض الوثائق التاريخية أن ضريبة الأراضي الزراعية كانت تقدر بنسبة خمس الإنتاج الزراعي شأنها في ذلك شأن أغلب الضرائب الأخرى مثل ضريبة التجارة أو إنتاج مصايد الأسماك، وتؤكد الوثائق في عصر المملكة الحديثة أن الملوك كانوا يراعون اعتبارات العدالة والتيسير عند فرض الضريبة أو تحصيلها فغالبا كان سعر الضريبة يختلف تبعا لدرجة خصوبة الأرض وتبعا لحجم فيضان النيل، ورغبة في

التيسير على الممول كانت الدولة تقبل اداء الضريبة على دفعات ، كما كانت تتنازل احيانا عن كل أو جزء من الضريبة بصفة دائمة أو مؤقتة اذا كان هناك مبرر لذلك وحتى يتم تحديد الضرائب بطريقة عادلة كانت الدولة تكلف بعض موظفيها بأعداد تقارير دورية عن منسوب مياه النيل حتى تضع ذلك في الاعتبار في تحديد سعر الضريبة (٣١)

أما أسعار الأراضي فإن أقدم تقييم موثوق فيه عن أسعار الأراضي فيرجع لعهد توحتمس الثالث، فالأرض التي تبلغ مساحتها أرورا واحدا تساوي خمسة عشر غرام من الفضة وهو سعر بخس جدا بالمقارنة بأسعار العبيد ، ومن ناحية اخرى كانت المقارنة بين سعر الأرض وقيمة ما تدره من محصول في عصر الرعامسة أمرا يصعب التأكد منه في حدود السنة الواحدة حتى لو أحتسب قيمة المحصول قبل استقطاع الضرائب والبذور اللازمة لزراعة السنة التالية وإيجار الأرض اذا كانت مستأجرة ، ومع أن عصر الرعامسة كان غنيا بالمعلومات عن سعر الحبوب إلا أنه لم يذكر شيئا عن اسعار الأراضي الزراعية (٣٢) وهكذا تعددت انواع الملكيات في مصر القديمة عبر العصور الطويلة فظهرت الملكية الفردية والملكية الأسرية المشتركة والملكية المطلقة وملكية المنفعة ، ومنها أجرى عليه كل انواع التصرف القانونية ومنها ما هو موقوف على معابد الالهة والمعابد الملحقة بأهرام الملوك ومعابد الكهنة القائمين على خدمتها، إلا أنه كان هناك فرق واضح بين أملاك الشعب بل بين املاك الدولة والفرعون على الرغم من اصرار النصوص على رد ملكية الأرض ومن عليها الى الفرعون وريث الالهة وصاحب الحق المقدس (٣٣)

الآلات والأدوات الزراعية: كان المصريون القدماء يتخذون من الحجارة أدوات لقطع الأشجار ومناجل لحصد الغلال، وقد استخدموا الآلات الزراعية وأدواتها ما يزال يستخدم حتى يومنا هذا بعد إجراء تعديلات على هذه الآلات ومن أولى هذه الآلات **الفأس:** تعد الفأس أول أداة ابتكرها المصريون القدماء فهي من أقدم أدوات الزراعة وقد أستعان بها في عزق الأرض منذ عصر ما قبل الأسرات، وحلت محل اليد عندما

أراد حفر الأرض لزرعها ، ومنذ عصر الأسرة الخامسة صنعت الفأس من النحاس ثم من الحديد وبعد ذلك أخذت تتطور حتى أخذت أشكالاً مختلفة ، أما في عصر المملكة الحديثة فقد أستعمل نوع من الفؤوس ذو أطراف طويلة لتفتيت الأرض، وقد عثر على فؤوس متنوعة بعضها مصنوع من الخشب في كثير من القبور في الدير البحري في طيبة (٣٤)

المحراث : كان المحراث حتى عصر الرعامسة الألة البدائية التي صنعها الفلاحون المصريون الأوائل في العهود القديمة وحتى في العصر المتأخر والذي يضم الأسرة السادسة والعشرون حتى الأسرة الثلاثون (٦٦٤-٣٣٢ ق.م) ظلت كما هي ولم تستبدل بغيرها (٣٥) وهو عبارة عن عمود ينتهي عند الأرض بسكين غير محكمة يثبتها في مكانها سير يتحكم في زاوية الحرث ، وفي نفس النهاية مقبض يتحكم في عمق الحرث (٣٦) ويجر هذا المحراث ثورين كبيرين وقد زاد طول المقبضين في عهد المملكة الحديثة وزودا بأماكن للأيدي ، كما أستبدل الناف بأخر لا يربط الى القرون بل يشد الى العنق ويمنع أنزلاقه بربطه الى الصد، وهذا النوع من المحارث لا يقلب الأرض بل يشقها فقط (٣٧) وكان يقوم بالحرث رجلان أحدهما يقبض على يد المحراث رافعا سوطه ليحدث صوتا في الهواء فيتحرك الثوران ثم ينثني ويمسك بالمحراث بكلتا يديه ضاغطا عليه بكل قواه، أما زميله فهو يقود الثوران وفي بعض الأحيان لا يكون هذا الزميل سوى طفل صغير وسيلته السيطرة على المواشي هو أن يصرخ فيها (٣٨) وقد عثر على صور لمحارث تعود الى هذه المدة وكانت عبارة عن معازق شفراتها وخطاطيفها منفصلة وشفراتها مجدافية الشكل لتصبح ثنائية الغرض لتفتيت التربة وجرفها (٣٩) ومن الصور المألوفة على جدران قبور هذا العصر ما يمثل الفلاح وهو يقبض بيده اليمنى على المحراث بينما يشاهد أحيانا يلوح بيسراه في الهواء بسوط أو عصا لحث الثيران على السير إذا لم يكن معه زميل آخر وتوجد صور أخرى على أحد جدران قبر (سن نجم) بدير المدينة بطيبة ، في زمن الأسرة التاسعة عشرة، حيث يشاهد أحد السراة وهو يحرث الأرض، ولا يعرف تماما

متى بدأ تقوية خشب المحراث بألواح معدنية ، الأ أنه يوجد في متحف برلين نموذج لمحراث قد كسى بألواح من الحديد من عصر المملكة الحديثة أستعمل لحرث الأرض الصلبة (٤٠) ومنذ ذلك الوقت تطورت حياة الفلاح من ثقافة الفأس الى ثقافة المحراث، ويمكن أن نسمي هذا الاختراع بأنه أول ابتكار ميكانيكي للزراعة للزراعة ، إذ كان بداية لعصر جديد أصبح الإنسان فيه قادر على تسخير الحيوانات ويمكن القول أن الإنسان إستطاع أن يحصل على طاقة أكبر من القوة البشرية للمرة الأولى في زراعة الحقول (٤١)

الآت وإدوات الري : أدرك الإنسان المصري القديم منذ أقدم العصور أن ماء النهر هو عماد حياته فجهد في تهذيب النهر وشق القنوات والترع حتى غدت بلاده شبكة من القنوات يوجهها الى أرضه الصالحة للزراعة ، كذلك حرص على رعاية القنوات وتطهيرها وتعميقها وتخليصها من الغرين الذي يسد مسالكها وهذا أمر بالغ الأهمية لا يقل خطورة عن أمر الزراعة نفسها ، ولم تكن القنوات والترع لتصل الى بعض الجهات المرتفعة الصالحة للزراعة، ولذا نراه منذ اقدم العصور اخترع الساقية والشادوف للتغلب على هذه العقبة (٤٢) وقد عرف الشادوف منذ عهد ما قبل الأسرات أو منذ الأسرات الأولى (٤٣) وعثر على جزء من الشادوف في أحد قبور طيبة وعثر ايضا على صورة بأحد جدران قبور طيبة للمملكة الحديثة تمثل عاملا يروي الأرض بالشادوف، كذلك لصورة على أحد جدران قبر أبي بدير المدينة من عصر رمسيس الثاني (٤٤) صورة تمثل عاملين في حديقة معبد وهما يرويان بالشادوف (٤٥) ويتكون الشادوف من عمود قوي رأسي يبلغ طوله ثلاثة أمتار ونصف يثبت بالأرض على حافة المياه ، وإذا وجدت شجرة تصلح لذلك في المكان المناسب نزعنا فروعها ، ثم يثبت عمود طويل أفقيا فوق العمود الرأسي وبذلك يمكن أن يتحرك في مختلف الاتجاهات ، ويثبت حجر ثقيل في نهاية العمود الأفقي ، أما في الطرف الآخر فيثبت وعاء من الجلد أو الفخار بحبل يبلغ طوله حوالي خمسة أذرع

ثم يشد الحبل فيمتلىء الوعاء بالماء ثم ينزل الحبل فيرتفع الثقل المقابل للوعاء وعندما يصل الى حافة الحوض تصب فيه المياه ثم تكرر العملية ، وعلى الرغم أن هذه الطريقة بدائية إلا أنها تقي بالغرض (٤٦) ويحتاج الشادوف الى رجلين للعمل فيه (٤٧) وقد عرف المصريون القدماء الى جانب الشادوف أداة أخرى لسحب المياه وهي الساقية وهي طراز يشبه السواقي، وقد كشف عن ساقية في منطقة تونا الجبل من عصر أواخر الأسرات أو العصر اليوناني الروماني تستجلب الماء من عمق ستة و ثلاثون متر على مرحلتين ، ويعتمد في المرحلة الأولى على الدلاء لسحب الماء من اعماقه الأولى الجوفية الى ارتفاع عشرين متر ثم تصب الدلاء في قنوات توصل الى حوض كبير تسحب منه الساقية المعروفة التي تدار بالثيران (ماء البئر) وهو عمل هندسي يسترعي الإعجاب من غير شك (٤٨) ويظن العالم الفرنسي هنري جاسبارد دارسي الذي بنى نظام توزيع الماء في ديجون في فرنسا انه شاهد ساقية عندما كان ينظف بئرا في الدير البحري بطيبة من عصر المملكة الحديثة ، وظهرت أدوات للري أخرى إلا أنها استخدمت بعد حكم الملك الحديثة بعدة قرون كالصنبور الذي لم يعثر على رسم له على جدران القبور (٤٩) لذلك يعد الري والزراعة هما عصب الحياة الاقتصادية في مصر .

المحاصيل الزراعية: عرفت مصر في عصر المملكة الحديثة الكثير من المحاصيل

الزراعية التي ورثتها عن العصور السابقة، وفي نفس الوقت حرص بعض ملوك هذا العصر على جلب الكثير من النباتات، وكان أهمها القمح والشعير بأنواعهما المختلفة (٥٠) وظلت زراعة الحبوب الزراعة الأساسية في مصر طوال عهود التاريخ، وكانت حقول القمح والشعير تمتد دون انقطاع من مستنقعات الدلتا حتى الشلال الأول (٥١) وقد عثر على حبوب القمح في قبر أحد الكهان من عهد توحتمس الرابع من الأسرة الثامنة عشرة، كما عثر على عيدان قمح في تل العمارنة ووجدت مقادير من القمح في قبر توت عنخ آمون بطيبة ، كما وجد قمح عار واغلفة من حبوب القمح بالدير البحري بطيبة ، ووجدت أيضا أغلفة من حبوب القمح غير المكربن قد نخرها

السوس في أحد قبور دير المدينة بطيبة أيضا، كذلك عثر على أغلفة من حبوب القمح في أحد قبور الرعامسة من الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، وقد مثل المصريون زراعة القمح على جدران كثير من القبور وبخاصة (تي) و (مروركا) بسقاية وبني حسن ونخت بطيبة في صور منفصلة عثر عليها على أحد جدران قبور طيبة (٥٢) أما الحمص فقد عرفته مصر في عصر المملكة الحديثة ، أما فيما يخص النباتات الزيتية وكان أهمها الكتان والخس والخروع والقرطم والزيتون والعرعر وتدل بعض الوثائق أن رعمسيس الثالث قد اهتم بزراعة الزيتون وأقام مزرعة كبيرة لزراعته حول معبد الشمس في مدينة (أون) أو عين شمس الحالية ، كذلك من المناطق التي اشتهرت بزراعته إقليم الفيوم ، كذلك العرعر لم الأ في عصر المملكة الحديثة (٥٣) كذلك كانت زراعة الكروم في الدلتا متقدمة عن أي زراعة أخرى ، ولو أن أكثره كان يعد لصناعة النبيذ أكثر مما يؤكل فاكهة ، وكانت أسرة الرعامسة التي نشأت في أواريس (الدلتا) تهتم بهذا المحصول وبذلوا الكثير لتحسين زراعة الكروم حتى انه كان في الأماكن عمل خريطة لمواقع الكروم المصرية، ومنها قول رعمسيس الثالث "لقد زرعت لك كروما في واحات الجنوب والشمال وعينت لها عمال من بين الأسرى الأجانب وحفرت لها أحواضا ملئت بنبات النيلوفر، لقد سال الخمر لتقدم لك في طيبة المنتصرة " وقد صورت كثير من المشاهد للرسوم والنقوش القاطنين المنتشرين تحت عناقيد الكروم ويملاؤون مقاطفهم في حذر حتى لا يتبعثر العنب، ثم ينصرفون وهم يغنون حاملين مقاطفهم فوق رؤوسهم ليلقوا ما فيها في الدنان الكبيرة ثم يعودون بعد ذلك الى مكان الكروم (٥٤) كذلك عرف المصريون العدس وكان يظن أن موطنه جنوب غرب آسيا وبخاصة في سوريا ، وقد ورد ذكر العدس في أوراق البردي في هذا العصر بأسم (عرشا) وعرشانا ، ووجدت رسومه لأول مرة على جدران معابد الأسرة التاسعة عشرة وذاعت شهرة العدس في مصر وما جاورها من البلاد (٥٥) كذلك زرع المصريون القدماء القرع والبصل والنارنج وقد استخدمت كأنواع من الخضر كما استخدم بعضها في الأغراض الطبية، كذلك زرعوا البقدونس

والكرفس والكزبرة وكانوا يقدمونها ضمن القرابين ، وكانت أوراق الكرفس تستعمل في تزيين الموميات ، وقد عثر مجموعة من الناس على تابوت كامل يحتوي على مومياء سليمة تعود الى عصر الأسرة العشرين وقد وجدت المومياء مغطاة بأغصان الجميز الكثيرة ، وكانت الأوراق محتفظة بنظارتها وخضرتها وقد زينت المومياء بأكليل على شكل نصف دائرة حول الرقبة والصدر من فروع وأوراق الكرفس وكان بعضها مزهرا (٥٦) إذ عشق المصريون القدماء الزهور وخاصة في هذا العصر الذي شهد ازدهار احوال مصر الاقتصادية ، وكانوا يقدسون بعضها ويتزينون بها خاصة النساء ويعودها رمزا للترحيب بمن يحبونهم لذلك اكثر في زراعتها ، وكانت أهم الزهور التي عرفت في مصر زهرة اللوتس سواء اللوتس الأبيض أو الأزرق ، أما الأحمر فقد جلبه الفرس لمصر عام (٥٢٥ ق.م) وقد احتلت هذه الزهرة مكانا بارزا في حياة المصريين القدماء كما تغنوا بها في احتفالاتهم وأعيادهم ، حتى أن توحتمس الثالث أقام حجرة للنباتات في إحدى قاعات بهو الأعمدة بمعبد الكرنك بالأقصر ، وتدل النقوش والصور التي سجلت لهذه النباتات أتسامها بدرجة عالية من الدقة والروعة بحيث أصبحت مرجعا هاما لعلماء النباتات المعاصرين ، وعرفوا أيضا زراعة نخيل البلح والتوت وغيرها من المحاصيل الزراعية (٥٧)

الثروة الحيوانية: تعد القسم الثاني للزراعة والتي لا تكتمل بدونها صورة البيئة الريفية في وادي النيل (٥٨) إذ عثر على صور كثيرة للحيوانات بين رسوم المقابر من جميع العصور (٥٩) وعرف المصريون القدماء انواع عديدة من الحيوانات ومنها الثور ذو القرنين الكبيرين ، وأنواع عدة من الغزلان وأصطادوا الزرافة للأستئناس والفهد وفرس النهر الذي استخدموا أسنانه منذ عصور ما قبل الأسرات في صنع مقابض الخناجر (٦٠) كذلك اهتموا بالأبقار فكانت ترمز للالهة حتحور آلهة الحب

والجمال والسماء ، وكان يغلب على الأبقار والثيران اللون الأبيض أو الأبيض المرقط

ببقع كبيرة سوداء أو حمراء أما القرون فطويلة أو هلالية الشكل، وكانوا يشكلون أحيانا القرون بالطريقة التي يريدونها ، وكانوا يميلون الى تحويلها الى الأسفل عن طريق الكشط أو الكي، ولم يعرف أصل الثور المصري ولكن يعرف انه بعد خروج المصريين الى خارج الحدود في عصر المملكة الحديثة أستقدمت أنواع من الثيران ذات القرون القصيرة واللون الأرقط جيء بها من بلاد النوبة ومن سوريا (٦١) وكان الثور يذبح ويقدم قربانا للالهه ، حتى أن الملوك كانوا يفتخرون إذا سموا بالثيران القوية الساحقة لأعدائها (٦٢) أما الجمل فقد كان عدة البدو الذين كانوا يقيمون في الجهات التي تحف بمصر، وقد عم أستخدامه في حمل المحاصيل والبضائع وزاد المسافرين وبخاصة في عهد الأسرة التاسعة عشرة ، أما الخيل فلم يكن له وجود في مصر قبل الأسرة الثامنة عشرة وقد استخدمت آنذاك في جر العربات الحربية ويبدو أن موطن الخيل الأول كان في أواسط آسيا ، وقد جاء بها الآريون الذين غزوا بلاد الهند وبابل ولعلمهم كانوا السبب في هجرة الهكسوس من بلادهم وحملهم على دخول مصر (٦٣) وقد حرص ملوك المملكة الحديثة على جلب الحيوانات والطيور التي لم تكن معروفة في مصر من البلاد المجاورة ، وخير مثال ما جلبته الملكة حتشبسوت عندما قادت هذه الملكة بعثة تجارية الى بلاد البونت (الصومال حاليا) في السنة التاسعة من حكمها حوالي (١٥٠٤ ق.م) من حيوانات نادرة وكان منها الثيران والقرود والكلاب ، كما جلب الملك توحتمس الثالث بعض الحيوانات كالخيول والأغنام من آسيا ، وبعض الطيور من البلاد هذه عندما عاد منتصرا من حروبه (٦٤) ومن أشهر الطيور التي كانت تربي الأوز والبط ويمثل الأوز والبط منظرا تقليديا من مناظر الولائم والحفلات (٦٥) حتى أبدع المصريون القداماء في عملية التفريخ الصناعي للبيض، حتى أنهم كانوا يعدون للفراخ حظائر مصنوعة من الفخار ذات أبواب لوقايتها من شدة البرد ، ومن الحيوانات الأخرى التي ربما تقوم بأكل البيض ليلا (٦٦) أما الأسماك فهي من الأغذية التي اعتادها العامة لذلك تفنن المصريون في صيدها بالشص والشباك ذات العومات والأثقال لكن الوجهاء كانوا يلهون بمحاولة إصابتها

بالحرية ،وتلك بقية من الأساليب القديمة التي كانت تستخدم في الأزمنة السابقة لعهد الأسر، وقد لعبت الثروة السمكية في عصر المملكة الحديثة دورا كبيرا في نهضة مصر (٦٧) وكان السمك الذي يصيده الصيادون في النيل ومن البحرين الأبيض

والأحمر يسهم بقدر كبير في طعام المصريين القدماء والطبقات الفقيرة، ويعود أقدم منظر للسمك على الآثار المصرية الباقية الى أواخر عهد الأسرة الثالثة ويظهر فيه رجلا يشق جسم السمكة من الخلف بعد أن قطع رأسها وذيلها ورمى بهما، كذلك هناك رسوم تعود الى عهد الأسرة العشرين في أحد الحقول في يوم العيد الكبير وقد قدم فيه ستة آلاف سمكة لنحو عشرة آلاف شخص (٦٨) أما انواعه فقد ظهرت

رسومها على جدران المقابر وهي قش البياض والبنى وثعبان الماء والقنوم والبلطي والبوري والشال، ويوجد بقسم الزراعة المصرية القديمة بالمتحف الزراعي مجموعة ثمينة من الأسماك المختلفة الأنواع منها المحنطة والمكفنة في لفائف من الكتان وعيدان البردي بعضها محكم التكفين على شكل زخارف تثير الإعجاب، وكذلك بعض أنواع الشص المصنوع من البرونز والحديد (٦٩) وقد استفاد المصريون القدماء من مخلفات الصيد وأستخدموها في حياتهم، فأستفاد من عظم الحيوان وصنع منه اشياء شتى لا سيما التماث ورؤوس السهام والمخازر والأبر والدبابيس وغيرها كذلك أستفادوا المصريون القدماء من الريش ومنه ريش النعام الذي كان يستخدم بكثرة في صنع المراوح (٧٠) وقد وجدت مروحة في مقبرة توت عنخ آمون، وقد رسم على أحد وجهها صورة هذا الملك وهو يصيد النعام بقوس وسهم، وكتابة تفيد أن الصيد حدث في صحراء هليوبوليس الشرقية وظهر الملك على الوجه الآخر وتحت ذراعه حزمة من الريش النعام والخدم يحملون نعامتين متينتين ولايزال ريش النعام باقيا على احدى المراوح التي وجدت في هذه المقبرة ، ويظهر أن ريش النعام المحلي لم يكن موفرا لدرجة تفي بالمطلوب كله ، إذ أن بعضه كان يجلب من

الخارج، ويرى على الجدار الذي يصل بوابتي الملك حور محب (٧١) في الكرنك ريش النعام مجلوبا من بلاد البونت ، كما تظهر صورة لرعمسيس الثاني على أحد جدران معبد بيت الوالي في النوبة وهو يتقبل الجزية النوبية المشتمة على ريش النعام ، كذلك وجدت صور كثيرة على جدران عدة مقابر تعود الى الأسرة الثامنة عشرة في طيبة ، كذلك أستخدموه للزينة وخاصة للرأس وكثيرا ما صورت الآله ماعت وآلهة أخرى ، واستفادوا أيضا من شعر الحيوانات ومن قرونها إذ استخدم القرن كجزء من أجزاء القوس في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وكذلك من جلودها وغيرها من أعضاء الحيوانات (٧٢)

الصناعة : شهد عصر المملكة الحديثة وبالأخص عصر الأسرة الثامنة عشرة توسع وتطور ملحوظ في بعض الصناعات القديمة، كما شهد ظهور صناعات جديدة لم تكن معروفة من قبل (٧٣) ولا شك أن ما وصل من أنباء عن علوم المصريين هو النذر اليسير، كما أن الناظر لأهرامهم ومعابدهم ومسلاتهم الهائلة ليعجب كيف أستطاع أن يشيد ذلك من لم يعرفوا قوة البخار وآلاته الرافعة أو الحديد أو الفولاذ، أما عن نبوغهم في مجالات الصناعة فهي كثيرة ، فقد أستعملوا الذهب في التذهيب بلصق أوراقه على ما يراد تذهيبه وأستعملوا البرونز في المرايات والدروع ، كذلك اكتشفوا صناعة الزجاج وتلويحه وكثير من الصناعات الأخرى (٧٤) وتعد الأصالة صفة من صفات الحضارة المصرية وينطبق هذا الرأي أكثر ما ينطبق على الصناعة ، إذ استغل المصري القديم المواد التي قدمتها له بيئته فقد عرف خصائصها ومميزاتها وفوائدها ، ولم يقف الصانع المصري جامدا بل أدخل تعديلات شتى على الصناعة (٧٥) أما الصانع نفسه ومركزه الاجتماعي فقد وصلت كثير من النصوص الأدبية مما مما كان التلاميذ يستعملونها للتدريب على الكتابة في مدارسهم ، وتصور لنا هذه هذه النصوص الصانع في حالة يرثى لها وليس من شك في أن الهدف الأول من هذه النصوص كان تصوير موظفي الدولة على أنهم ممن أنقذوا الكتابة فحق لهم أن

ينتموا الى طبقة أرقى من الطبقات الأخرى التي ينتمي اليها الصناع و الزراع وأصحاب المهن المختلفة ، وكان الصانع المصري يرث غالبا صناعته عن ابيه وجده ويورثها لأبنه ، وهكذا ظلت أسرات كثيرة تتوارث نفس الصناعات لفترات طويلة وأجيال عدة مما ساعد أفرادها على أتقان هذه الصناعة والتفوق فيها (٧٦) وأهم الصناعات في عصر المملكة الحديثة هي:-

الصناعات الأستخراجية: أهتم ملوك المملكة الحديثة بالصناعات الأستخراجية وخاصة الملك سيتي الأول بمناجم الذهب في الصحراء الشرقية، فقد قام بزيارة منطقة المناجم ثم أمر بتوفير الرعاية للعاملين، كما أمر بحفر كثير من الآبار في في الصحراء لمساعدة المسافرين الى مناطق المناجم، ثم تبعه الملك رمسيس الثاني (١٢٩٠-١٢٢٣ ق.م) فواصل الأهتمام بتأمين استغلال مناجم الصحراء الشرقية ويتضح من رسائل تل العمارنة الخاصة بمدة حكم امنحوتب الثالث بالذات أن أنتاج مصر من الذهب خلال عصر المملكة الحديثة كان وفيرا لدرجة أن حكام منطقة الشام أرسل يرجو امنحوتب أن يرسل له ذهباً مدعماً هذا الطلب بقوله "أن الذهب كالتراب في مصر" (٧٧) وكان النحاس أول معدن وفق المصريون القدماء في العثور عليه واستخراجه من مناجم سيناء والذي حفظ منه العدد الوفير من الأواني والأسلحة والأدوات منذ فجر التاريخ، أما خلط النحاس للحصول على البرونز فيبدو أنه نشأ منذ الدولة الوسطى لكن لم يحل البرونز محل النحاس النقي في صناعة الأدوات الأ في عصر المملكة الحديثة ، وكان لصناع المعادن محالهم الخاصة التي يعملون بها وكانوا يبدؤون بوزن الخامات، وعلى جدران المقابر صورت مناظر لرجال ينفخون في النار بأنابيب يحمي أطرافها السفلى من الأحتراق غشاء من طمي النيل ، وفي مستهل الأسرة الثامنة عشرة تظهر أيضاً منافيخ حقيقية يقوم على كل اثنين منها رجل واحد (٧٨) وقد وجدت في مقبرة توت عنخ آمون آثار نحاسية كثيرة كان من ضمنها عدد من الآلات الصغيرة الخاصة بالتماثيل المجيبة (٧٩) (الشوابتي) (٨٠) وكان البرونز يصاغ كالنحاس بالطرق أو الصب ، ويحتفظ المتحف

البريطاني بتمثال صغير للملك رمسيس الثاني مصنوع بطريقة الصب، وتظهر عملية صب المعادن في النقوش المصورة على جدران مقبرة رخمارع بطيبة من عصر الأسرة الثامنة عشرة وهي تمثل بابين لمعبد آمون بالكرنك، ووجدت أيضا مثل هذه المناظر الخاصة بعملية الصب منقوشة على جدران مقبرتين أخريتين من الأسرة الثامنة عشرة أيضا (٨١) حتى أن بعض المعادن وخاصة النحاس والذهب والفضة تطرق لعمل الواح رقيقة منها، وكانت تحلى القصور الفخمة والمعابد وحتى المقابر في عصر المملكة الحديثة بقطع من أمثال هذه المعادن المطروقة (٨٢) وخير

مثال ما ضمته مقبرة توت عنخ آمون من محتويات صنعت من الذهب كالأقنعة والتوابيت، كذلك القرايين والمذابح والزوارق وعربات المراكب (٨٣) حتى أنهم كانوا يعتقدون أن الذهب يطيل الحياة بالنسبة للعالم الآخر ويمنع عنه الفساد لذلك كانوا يضعون كميات كبيرة من الذهب مع الميت (٨٤) لقد خلف المصريون القدماء سجلات عن مناجم الذهب والنحاس وكيفية العمل بها، حيث كانوا يرسلون البعثات الخاصة لاستخراج الذهب من الساحل الشرقي من بلاد النوبة (٨٥) وقد أرسل رمسيس الثاني بعثة في العام الأول من حكمه لتعدين الذهب في وادي الحمامات، كما تذكر بردية هاريس إرسال أربعة رسل لجلب النحاس من أكتيا الغنية بالنحاس، وقد وصلت البعثة بسلام محملة بكميات وفيرة منه وبالذهب أيضا، كذلك أرسل سيتي الثاني بعثة للتقيب عن الذهب يصعب قراءة تاريخها وقد صور على اللوحة بصخور وادي الحمامات يقدم القرايين الى ماعت وبجواره أسماؤه في خطوط رأسية، كذلك كان لرمسيس الرابع بعثة الى مناجم الذهب في قفط في العام الثالث تركت نقشا بأسمائه (٨٦) ويضم متحف تورين في قاعاته خريطة من أقدم الخرائط في العالم وهي مرسومة على ورق البردي، تظهر فيها المنطقة المحتوية على الذهب في صحراء مصر الشرقية ويرجع تاريخ هذه الخريطة الى عصر الملك سيتي الأول في الأسرة التاسعة عشرة (١٣١٣-١٢٩٢ ق.م) (٨٧) ومن المعادن الأخرى التي عرفها المصريون

في عصور ما قبل الأسرات معدن الفضة ولكنها كانت نادرة كالذهب، وظلت كذلك حتى عهد الأسرة الثامنة عشرة، ولكنها كانت على الرغم من ندرتها قليلة القيمة واصبحت أقل قيمة عندما توثقت صلة الحثيين بمصر بعد أبرام معاهدة السلام بين رمسيس الثاني والحثيين وزواجه من أبنه ملكهم فتحسنت العلاقات بين البلدين فتبادلا السلع التجارية، وكان معدن الفضة كثيرا عند الحثيين فأستوردت مصر منها فكثرت فيها وقل ثمنه (٨٨) أما عن الحديد فعلى الرغم مما يرجح من عثور المصريين على خاماته وعمل بعض الخز منه في عصور ما قبل الأسرات، إلا أنهم لم يتوصلوا لمعرفة حقيقة الحديد أو طريقة أستخلاصه أو أستخدامه لمدة طويلة، وظل الحال هكذا حتى الأسرة الثامنة عشرة حين بدأ أستعماله وأستيراده من آسيا الصغرى والمناطق المجاورة لها، وقد أستعمل الحديد في عملال أسلحة والأدوات المختلفة التي تتطلب الصلابة، وقد عثر في مقبرة توت عنخ آمون على خنجرين من الحديد وستة عشرة سكيما صغيرة ووسادة وتميمة (٨٩)

صناعة الزجاج: تعد مصر من أوائل دول الشرق الأدنى القديم أنتاجا للزجاج وذلك لأن التحليل الكيميائي لخزعة في متحف برلين من مقبرة تعود لعصر فجر التاريخ أثبت أنها من الزجاج، ومنذ عصر المملكة الحديثة بدأت هذه الصناعة بالتطور، إذ عثر على أواني كاملة من الزجاج تعود الى عصر الملك توتختمس الثالث، وأخذ المصريون يضيفون على الزجاج اي لون يريدونه (٩٠) فقاموا بتلوين الكؤوس والأنيات وجميع المصنوعات الزجاجية وكثيرا ما أفنتوا في زخرفة الأنيات وأحكام أشكالها أحكاما شبيها بالصناعات الأغريقية (٩١) وقد وجدت بقايا عدة مصانع للزجاج وكان أقدمها عهدا ما وجد بطيبة، ويرجع تاريخه الى عهد الملك امنحوتب الثالث وبلي هذا ثلاثة أو أربعة مصانع وجدت بالعمارنة من عهد الملك أخناتون، ثم مصانع أخرى من الأسرة العشرين وجدت باللشت ومنشية، كما أن هناك مصانع أخرى تاريخها غير معروف وجدت في وادي النطرون وفي جنوب بحيرة مريوط وفي جنوبها الغربي وفي مدينة غراب (٩٢) أما عن كيفية صناعة الزجاج فكانت المواد

القلوية النطرون وكربونات الصوديوم تصهر مع الرمل أو مسحوق الكوارتز أو مركبات النحاس وربما مع الحجر الجيري في بواتق (٩٣) فينصهر وتتدمج عناصره وتكون جسما متجانسا ذا لون واحد ثم يبرد الصانع هذا الجسم وتحوله الى قطع صغيرة مناسبة لما يريد أن يشكله منها، بعد ذلك يحول هذه القطع الى قضبان رفيعة بواسطة حرارة الفرن يضعها فوق جسم فخاري تغطيه تماما ،ويتكرر تسخين الأثناء عرف المصري كيف يصل الى أذابة خيوط الزجاج بحيث تمتزج معا، وعلاوة على هذا كانت توضع على السطح الخارجي الأملس خيوط أخرى من الزجاج لتحليلته (٩٤) أما عن الزجاج الشفاف العديم اللون فلا يعرف في الحقيقة متى بدأ العمل به، غير انه وجدت منه عدة قطع بمقبرة توت عنخ آمون التي يرجع تاريخها الى عصر الأسرة الثامنة عشرة، ونذكر منها على سبيل المثال تلك التي تغطي النقوش الدقيقة التي تزين بها بعض أجزاء ظهر كرسي العرش وزوجا من الأقراط وبعض أجزاء أربعة أوزات على التابوت الأوسط وتميمة قلب ذهبية على طائر، ومن الأسرة التاسعة عشرة وجدت قطع أخرى من الزجاج الشفاف العديم اللون تغطي بعض الأجزاء الملونة من سوط على ظهر تمثال الأنوبيس والصندوق أو المقصورة التي يركز عليها (٩٥) أما ألوان الزجاج فكانت الأسود والأبيض والأخضر والأحمر وغير ذلك من الألوان، وترجع هذه الألوان الى مركبات بعض المعادن التي تدخل في العجينة الزجاجية وتكسبها ألوانا متباينة ، فالأسود يرجع الى مركبات النحاس والمنغنيز أو الحديد ، والأزرق الى مركبات الكوبالت أو الحديد والنحاس، ومما يثير الشك أن وجود عنصر الكوبالت في الزجاج الأزرق الى افتراض أن صناع الزجاج كانوا على صلة بصناع الزجاج في خارج مصر وخاصة من عصر الأسرة الثامنة عشرة وذلك لعدم وجود عنصر الكوبالت في مصر، وهكذا كانت صناعة الزجاج في مصر القديمة ذات أهمية أخذت تتطور بالزمن حتى وصلت في النهاية الى درجة من الأتقان ، وأصبحت مدينة الإسكندرية واحدة من اكبر مراكز الإنتاج في العالم القديم وصدرت عددا كبيرا من مصنوعات الى العالم آنذاك (٩٦)

صناعة الأخشاب: لم تتوفر في مصر أشجار تصلح أخشابها للصناعة الراقية لأن أخشاب الأشجار إما خشنة أو جافة أو قصير القطع أو ملتوي، فكان لا بد من العمل على استيراد أنواع من الأخشاب الجديدة من الخارج كأخشاب الأرز والسرور والأبنوس، فاستطاع الإنسان المصري القديم أن يبدع في صناعة الأثاث والمركبات وصناعة السفن (٩٧) التي تعد من الصناعات المرموقة في عصر المملكة الحديثة

نتيجة لتوسع المملكة المصرية وتأكيد سيطرتها في البحرين المتوسط والأحمر وبالأخص في الساحل الفينيقي وبعض الجزر ومنها جزيرة كريت وقبرص، ولعل خير دليل ماحققته هذه الصناعة من تقدم ما أقدم عليه الملك توحتمس الثالث خلال مرحلة الأعداد لحملته العسكرية التي كانت تهدف الى توسيع نطاق المملكة المصرية حتى منطقة الفرات، إذ قام بتصنيع أجزاء السفن الضرورية إذ تم تركيبها لتحمل جيشه الكبير عبر الفرات (٩٨) وفي المتحف المصري بالقاهرة نموذج من الخشب لسفينة حربية من الأسطول المصري الذي يعود لحكم الملكة حتشبسوت منقول من السفن المرسومة على جدران معبد الدير البحري ، كذلك توجد بالمتحف سفينة أخرى من هذا النوع اكبر حجما (٩٩) أما أدوات النجارين وصانعي الأثاث فهي المنشار والفأس والأزميل والمنقب من النحاس في أول الأمر ثم من البرونز ثم الحديد فيما بعد ، وبواسطة هذه الأدوات صنع النجارون كل شيء كالأعمدة التي تحمل سقوف المنازل والأبواب والمقاعد والتوابيت والأثاث وصناعة الأسلحة و غيرها من ااثات المقابرالتي تشهد لصناعتها بالمهارة والأتقان على الرغم من بساطة الأدوات التي استخدمت في صنعها (١٠٠)

صناعة الغزل والنسيج: تعد صناعة النسيج من أقدم الصناعات التي مارسها المصريون القدماء، إذ وجدت منسوجات في مصر منذ العصر الحجري الحديث (١٠١) ولكن هذه الصناعة تطورت بشكل ملحوظ في عصر المملكة الحديثة ، ففي عصر الأسرة الثامنة عشرة عرف المصريون الرسوم الملونة على الأقمشة أثناء عملية

النسيج، وكانت الأقمشة تلون بأشكال دقيقة وبديعة كما كانت تزين بأستخدام الحروف الهيروغليفية (١٠٢) وأدخلت عليها بعض التعديلات من خلال الرسوم التي عثر عليها إذ يلاحظ مشطا منصوبة لها دعامتان عموديتان مثبتتان في الأرض بشكل يسمح بتحريك الماسكين الأسفل والأعلى ، وتؤكد النصوص أن النساء كن يقمن بدور كبير في صناعة الكتان وهذا ما يتفق مع ما تظهره مناظر المقابر من وجود نساء يعملن على الأنوال، بل أن منهن من تعمل على مغزلين في وقت واحد وتقتل كل مغزل من نوعين من الكتان (١٠٣) وقد عثر على اقراص مغازل من الخشب والفخار والحجر ومغازل من خشب ملفوف عليها خيوط رفيعة من الكتان عثر عليها في مدينة العمال بطيبة من عصر الأسرة التاسعة عشرة ، ويوجد في متحف برلين نماذج من الأنوال من عصري المملكتين الوسطى والحديثة ، وكانت الأنوال في عصر المملكة الحديثة توضع على الأرض في وضع عمودي رأسي بينما في في عصر المملكة القديمة توضع على الأرض بوضع أفقي (١٠٤) وكان النساجون يضعون أنسجة موشاة بصور ملونة، وقد عثر على أقمشة كتانية موشاة بأسلاك الذهب في قبر الملك توحتمس الرابع بطيبة ، كما عثر على بعض الأقمشة الكتانية الموشاة بالصور الملونة وبعض حالات من شغل الأبرة والتطريز في قبر توت عنخ آمون بطيبة كانت تعلق على جدران القصور وتفرش فوق أرضها أو تستعمل سقفا يظل حديقة السطح في المنازل (١٠٥)

صناعة الصباغة: عرف المصريون القدماء الصباغة والتلوين منذ أقدم العصور وكانت الأصباغ تستخلص عادة من المواد النباتية التي توجد في البيئة، ومن بين هذه النباتات كان نبات الحناء والقرطم والسنت والرمان (١٠٦) وقد اهتم ملوك المملكة الحديثة وخاصة عصر الرعامسة بجلب شجرة الحناء من الخارج لزراعتها في مصر وكان من بين هؤلاء الملك رمسيس الأول الذي أمر بغرس شجرة الحناء في حديقة معبد الكرنك، ويبدو أنها كانت من الأشجار المقدسة لدى المصريين، كما أدخل الرمان في عهد الملك توحتمس الثالث الذي جلبه من سوريا (١٠٧)

صناعة الجلود : تعد صناعة الجلود من أولى الصناعات التي أبتدعها المصريون وبرعوا فيها (١٠٨) وكانت الجلود تدبغ بالزيت وبمواد أخرى ثم ينزع الشعر منها ثم تنتشر على أطار حيث يتخذ الجلد الشكل المرغوب، وبعد ذلك يمكن صناعة الصنادل والسيور لتهيئة العربات وعجلاتها والخيول والحقائب والوسائد والقرب وبعض الدروع والسروج (١٠٩) وكانت الجلود المحزمة التي تشبه الشبايك من أجمل صناعة الجلود ، وكان بعضها ذات أشكال منتظمة وجميلة ولذلك كانت تغطي بها المقاعد والأرائك ، وكانت الفواصل بين ثقبها دقيقة الى أبعد حدود التصور حتى أنها كانت تلبس فوق الملابس لوقايتها وزيادة دفئها ، وأستعملت الطبقات العاملة الكادحة مصنوعات جلدية أشد صلابة وأكثر متانة من التي يلبسها الأثرياء المترفون ، حتى أن جزءها الأوسط يترك بدون ثقب ليطول عمرها (١١٠) وعلى الرغم من أن صناعة الجلود وتجهيزه ودبغة كانت من الصناعات القديمة، إلا أنها شهدت درجة ملحوظة من التطور و الرقي في عصر المملكة الحديثة ، وقد تفوق صناع هذا العصر في صناعة الدباغة الى حد كبير، واستخدموا الألوان الاخضر والأحمر والأصفر التي كانوا يحصلون عليها من النباتات في تلوين الجلود (١١١)

التجارة وطرق المواصلات: كانت الملاحة النهرية مهمة في مصر القديمة إذ كانت تنقل على متن القوارب المصنوعة من البردي الأمدادات الغذائية والأحجار لبناء المعابد والبضائع التجارية وذلك عبر نهر النيل الشريان الرئيسي للبلاد ، وكانت المراكب الجنازية لنقل المومياوات وخاصة الفرعون الى مكان دفنه تسير هي الأخرى عبر نهر النيل، إذ ساعد هذا النهر على رواج التجارة الداخلية، فكانت السفن والقوارب تسير فيه حاملة الفلاحين ومحاصيلهم بين القرى والمدن، يتبادلون فيها الفلاحون منتجاتهم ومحاصيلهم (١١٢) كذلك استخدم المصريون القدماء كوسيلة للنقل الى جانب نهر النيل الدواب، فأخذت التجارة الداخلية مسارا آخر عبر الطرق البرية مستخدمة الدواب إذ تكونت رابطة لسائقي الحمير، وقد أهتمت المملكة الحديثة بالطرق الداخلية أهتماما كبيرا وأقامت حاميات عسكرية عند الطرق الرئيسية وفي

نفس الوقت أقامت مناطق مكوس على التجارة وفي البعض الآخر على التجارة ومرور الأفراد (١١٣) واستخدموا أيضا الثيران لجر الاحمال الثقيلة وبخاصة الأحجار الضخمة التي كانت تحمل على جرارات (١١٤) كذلك استخدموا للمواصلات البرية القصيرة المحفات (١١٥) وقد بذل ملوك المملكة الحديثة جهودا مستمرة لتأمين الأسواق الداخلية وكفالة استقرارها وضبط الأسواق وحماية المعاملات، وكان التنظيم الإداري والقانوني سائدا وكان يستلزم توثيق وتسهيل وشهر التصرفات التي ترد على العقارات والممتلكات الأخرى ، كما كان يتعين ختم كافة الوثائق الخاصة بالعقارات وكان وراء ذلك رغبة الدولة في المحافظة على الثروة العقارية من أذعاءات المدعين (١١٦) حتى أن الحكام والنبلاء كانوا يتباهون بنشر الأمن والطمأنينة والعدل والأحسان بين الناس في كافة أنحاء الأقاليم التي يحكمونها في سنوات القحط والرخاء على السواء (١١٧) كما كانت التشريعات السائدة في هذا العصر تضع عقوبات

صارمة بل مفرط في قسوتها احيانا لكل من يخل بأمانة التعامل في الأسواق، وكان التشريع القائم يحكم بقطع اليد على من يرتكب جريمة التطفيف في الكيل أو الميزان أو يزيّف الأختام أو العقود أو يقوم بغش المتعاملين معه ،كما كانت الدولة تفرّض نفس العقوبة على من يغير من نصوص السجلات العامة ،هذا وقد أستمّر استعمال الأختام في العصور اللاحقة فكانت الصناديق والحقائب والرسائل وكذلك الجرار والأبواب تربط بالحبال ثم يوضع قدر من الصلصال على العقد ثم يختم للقضاء على الغش في التعامل (١١٨) وقد أحّتل الشعور بمحاسبة النفس حيزا كبيرا في عقل

المصري وتفكيره وخاصة في عهد أخناتون وظهور عبادة آتون التي تحث الناس على السلوك المثالي، فنرى الإنسان المصري في ذلك العصر يتوسل الى الآله الأ يعذبه على ذنوبه الكثيرة من أجل أن يصبح جديرا بنيل دارالنعيم (١١٩) وفيما يخص التجارة الخارجية فقد قدمت الطبيعة كل الأمكانيات لتسهيل الملاحة، ومع بداية

المملكة القديمة بدء المصريون القدماء الاتصال بجيرانهم من بلدان الشرق الأدنى القديم في آسيا، وخاصة مع الشواطئ الفينيقية حيث أخشاب الأرز وفي الغرب ليبيا ثم الى الجنوب بلاد النوبة، وقد توطدت هذه العلاقات خلال المملكة الوسطى وزادت أكثر خلال المملكة الحديثة (١٢٠) التي عنيبت بتوسيع شبكة مواصلاتها وتقوية صلاتها مع الدول الأخرى، كما أخذت السفن الأجنبية تتوافد على الموانئ المصرية بصفة مستمرة وتفرغ مشحوناتها من البضائع لمقايضتها بالمنتجات المصرية ، وقد استطاع الأسطول المصري في مستهل المملكة الحديثة من إخضاع ملك قبرص وبسط سلطانه على جزر كريت وبحر إيجه، وقد سجلت تلك الانتصارات على إحدى مصاطب معبد الكرنك (١٢١) أذن كان هذا الاتصال أحيانا يكون حربيا وأحيانا يكون

سلميا عن طريق التبادل التجاري أو الدبلوماسية، وقد نشأ تبادل تجاري على نطاق واسع فكانت السفن المصرية تجوب البحرين الأبيض الى آسيا أو عن طريق البر والبحر الأحمر للاتجاه جنوبا حيث سواحل أفريقيا وبلاد البونت، فكانت مصر تستورد من سواحل الشام المصنوعات الجلدية، ومن الغرب كانت مصر تستورد من ليبيا الزيت ومن الجنوب من بلاد النوبة والسودان العاج والريش والبخور (١٢٢) وخير شاهد ما قامت به الملكة حتشبسوت في العام السادس من حكمها بأبحار خمس سفن لبلاد البونت لأحضار منتجات من هذه البلاد من ذهب ووعاج وابنوس (١٢٣) ويذكر أن الملكة حتشبسوت اتبعت سياسة سلمية تهدف الى التوغل التجاري الثقافي لمنفعة مصر، بالإضافة الى أهتماماتها بتحقيق إصلاحات وأمجاد داخلية بدلا من الانتصارات العسكرية الخارجية، وهي بذلك اتبعت سياسة تختلف عن سياسة الملك توحتمس الثالث الذي كان يرى أتباع سياسة حربية خارجية من أجل إنشاء دولة مصرية كبيرة عن طريق التوسع وراء حدود مصر الجغرافية وضمان السيطرة على التجارة الخارجية عن طريق الجيش والأسطول المصري وبذلك يظل لمصر نفوذها الدائم (١٢٤) كذلك في عهد الملك امنحوتب الثالث اتسع نطاق التجارة الخارجية

ولا أدل على ذلك من وجود أواني فخارية مصقولة وجعارين خاصة به وبزوجته الملكة تي (١٢٥) في ميكينا ، وقد أتقن الأغريق تقليد المصنوعات المعدنية المطعمة التي كانت تصنع في عهد احمس الأول إتقاناً يصعب معه التفريق بين التقليد والأصل ، ووجد أيضاً ضمن مخلفات قصر أخناتون بقايا لما يقرب من ثمانمائة آنية من صنع اقليم بحر إيجه (١٢٦) ومن الأهداف التي سعت مصر الى تحقيقها من خلال علاقاتها الاقتصادية الخارجية هي توفير حاجة الأسواق المصرية من بعض السلع

التي لا تتوفر داخل البلاد، كذلك تنمية وتطوير الزراعة والحرف المصرية فقد حرص ملوك هذا العصر على جلب النباتات والأشجار والحيوانات بالإضافة الى بعض المنتجات الصناعية التي اشتهرت بها بلاد الشام، ولتحقيق هذه الأهداف عمل بعض الملوك على جلب الصناع المهرة من منطقة الهلال الخصيب ، إذ أتمس عمال هذه بدرجة عالية من المهارة والذوق في إنتاج بعض المنتجات الصناعية ، ومن المؤكد أن هؤلاء الصناع قد أضفوا على المنتجات المصرية مسحة من الجمالية لم تكن معروفة من قبل (١٢٧) وكان من بين السلع المصرية التي كانت تحرص الممالك المجاورة لمصر على أستيرادها هي المنتجات الكتانية والنبذ والغلال (١٢٨) وكانت المعاملات التجارية تتم بالمقايضة بالدرجة الأولى، وقد أستعمل المصريون القدماء الأوزان والموازين، كما أنهم أستعملوا قطعاً من النحاس معينة الوزن للتبادل منها قطع تزن نحو واحد وتسعون غراماً تسمى (دين) وأستعملوا الذهب أيضاً واسطة للتعامل ، ولكن العملة لم تكن معروفة في مصر إلا بعد القرن الرابع قبل الميلاد إذ أدخلت من اليونان (١٢٩)

١. اتسم عصر المملكة الحديثة بسمات رخاء اقتصادي وفير اختلف عن سمات العصور التي سبقتة من حيث الزراعة والصناعة والتجارة وطرق المواصلات ، ويؤكد هذا الرخاء الاقتصادي الآثار التي خلفها هذا العصر .
٢. تعد الزراعة الحرفة المميزة عن باقي الحرف الأخرى التي جمعت بين أبناء وادي النيل وهذا يؤكد على أن طبيعة المجتمع المصري كانت ريفية ، كذلك هي من أهم أسباب قيام الحضارة المصرية بل الحضارات الأخرى مثل حضارة بلاد الرافدين والحضارات الأخرى.
٣. ارتبطت الزراعة في مصر القديمة بنهر النيل ،أذ أنه أطول أنهار العالم وأعظمها حجما ،ومن دلائل عظمتة انه يجري لما يزيد على ثلاثة آلاف كيلومتر وهو (النيل المصري ونيل شمال السودان) دون أن يتزود برافد أو أمطار .
٤. ربط المصريون القدماء أسماء الحيوانات القوية بأسماء فراعنتهم وأعطوا لها ألقابا ، فأطلقوا على الفرعون لقب الثور القوي لأنه يستطيع أن يناطح الأعداء.
٥. لعبت الصناعات المصرية دورا كبيرا ومتميزا بين صناعات الشرق الأدنى القديم ،حتى أن مصر بدأت تصدر كثير من السلع الى الممالك المجاورة وخاصة الصناعات القطنية التي برعت بها مصر في هذه المرحلة، وكان العامل المصري يرث مهنته عن طريق الأب أو الجد .
٦. اهتم ملوك هذا العصر اهتماما كبيرا بالتجارة وخاصة التجارة الخارجية فعملوا على ربط مصر القديمة بشبكات مواصلات كثيرة من اجل تقوية صلاتها مع الممالك الأخرى ، ليس فقط من اجل استيراد البضائع الأجنبية وانما من أجل تصدير كثير من السلع المصرية التي لاقت قبول كبير لدى ممالك الشرق الأدنى القديم .

الهوامش

١. احمد، سيد توفيق ، معالم تاريخ حضارة مصر الفرعونية ،(القاهرة: ١٩٩٠)، ص ٢٦٢-٢٨٠
٢. نتى شري: وهي جدة ورأس الأسرة الثامنة عشرة في فرع الذكور أو الأناث للخط الملكي والتي كتب لها ان تحيا الى أيام حفيديها كامس وأحمس ،ولدت من أبوين غير ملكيين وهي إبنة شخص من عامة الشعب ،وقد حملت القاب عدة منها الزوجة الملكية والزوجة الملكية العظمى والأم الملكية للمزيد أنظر:سعد الله ،محمد علي،الدور السياسي للملكات في مصر القديمة ،تقديم:محمد جمال الدين مختار،(الأسكندرية:مؤسسة الشباب الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ،١٩٨٨)، ص ٣٩-٤٠
٣. صالح،عبد العزيز،الأسرة في المجتمع المصري القديم، (الأسكندرية: دار القلم للنشر ١٩٦١)،ص ٧٤
٤. شورتر، ألن ، الحياة اليومية في مصر القديمة ،ترجمة: نجيب ميخائيل أبراهيم ،مراجعة:محرم كمال ،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٧)،ص ١٨
٥. الخطيب ، محمد،حضارة مصر القديمة، (القاهرة: منشورات اتحاد الكتاب العرب ،١٩٩٣)،ص ٥٢
٦. موسى،أحمد رشاد ، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي الدراسة الأولى حضارات ما قبل التاريخ وحضارة مصر الفرعونية ،(القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة ،١٩٩٨)، ص ٢٠١

٧. السويفي، مختار، أم الحضارات ملامح عامة لأول حضارة صنعها الإنسان، تقديم: جاب الله علي جاب الله، ط١، (القاهرة: العربية للطباعة والنشر، ١٩٩٩)، ج١، ص١١٧.
٨. مونتيه، بيبير، الحياة اليومية في مصر، ترجمة: عزيز مرقس منصور، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧)، ص١٣٩.
٩. عطا، زبيدة محمد، الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، (القاهرة: دار الأمين للنشر والتوزيع، ١٩٩٤)، ص١٠.
١٠. الخطيب، محمد، حضارة مصر، ص١٦٢.
١١. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات (حضارة وادي النيل)، ط٢، (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٥٦)، ج٢، ص١٧٦.
١٢. نظير، وليم، الثروة النباتية عند قدماء المصريين، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠)، ص٣٣-٣٤.
١٣. ناشد، مختار رسمي، فضل الحضارة المصرية على العلوم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣)، ص٨٣.
١٤. موسى، أحمد رشاد، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، ص٢١٧.
١٥. أديب، سمير، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠)، ص٤٢.
١٦. وليم، نظير، الثروة النباتية، ص٤٢.
١٧. باحرى: وهو أمر المقاطعة الأيليثيا بوليتيه وهي المقاطعة الثالثة لمصر العليا، وكان يشغل مناصب هامة في الحكومة عاش في زمن الملكة حتشبسوت والملك توحتمس الثالث وكان كثير الخروج للتفتيش على الاعمال الزراعية، ويصاحبه عدد

من الخدم عند خروجه يحملون أشياء مختلفة قد يحتاجها من بينها نعلاه ومقعد

خفيف يستعمله عند التعب للمزيد انظر: شورتز، ألن ، الحياة اليومية، ص ١١٠

١٨. وليم، نظير ، الثروة النباتية، ص ٤٣
١٩. باقر، طه، مقدمة في تاريخ، ج ٢، ص ١٧٦
٢٠. شورتز، ألن ، الحياة اليومية، ص ١١٠
٢١. أديب ،سمير، موسوعة الحضارة، ص ٤٤٨
٢٢. وليم، نظير ، الثروة النباتية، ص ٤٢
٢٣. المصدر نفسه، ص ٥٣
٢٤. المصدر نفسه، ص ٥٩
٢٥. الخطيب، محمد، حضارة مصر، ص ١٦٥
٢٦. مونتيه ،بيير، الحياة اليومية، ص ١٦٤
٢٧. جيميز ت.ج.، الحياة أيام الفراعنة (مشاهد من الحياة في مصر القديمة)، ترجمة: احمد زهير امين، مراجعة: محمود ماهر طه، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧)، ص ٩٧-٩٨
٢٨. موسى، أحمد رشاد ، دراسات في تاريخ مصر، ص ٢٠٩
٢٩. نظير، وليم ،الثروه النباتية، ص ٤٧
٣٠. بتري، سيروم فلندرز ، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ،ترجمة:حسن محمد جوهر وعبد المنعم عبد الحليم، (القاهرة:الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٥)، ص ١١٩-١٢١
٣١. موسى، أحمد رشاد ، دراسات في تاريخ مصر، ص ٢٣٣

٣٢. فالبل، دومنيك، الناس والحياة في مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، مراجعة: زكية طبوزادة، ط٢، (القاهرة: الفكر للتوزيع والنشر، ٢٠٠١)، ص ٧١
٣٣. محمد عطا، زبيدة، الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، ط١، (القاهرة: دار الأمين للنشر والتوزيع، ١٩٩٤)، ص ١٩-٢١
٣٤. نظير، وليم، الثروة النباتية، ص ٦١-٦٢
٣٥. مونتيه، بيبير، الحياة اليومية، ص ١٤٨
٣٦. جيميز ت.ج.، الحياة أيام الفراعنة، ص ٩٠
٣٧. أديب، سمير، موسوعة الحضارة، ص ٤٨٧
٣٨. الخطيب، محمد، حضارة مصر، ص ١٦٣
٣٩. جيميز ت.ج.، الحياة أيام الفراعنة، ص ٩٠
٤٠. نظير، وليم، الثروة النباتية، ص ٦٥
٤١. الخطيب، محمد، مصر أيام الفراعنة، ط١، (دمشق: منشورات علاء الدين، ٢٠٠١)، ص ١٢٦
٤٢. علي، سعيد إسماعيل، التربية في الحضارة المصرية، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦)، ص ٢٧٦
٤٣. حزين، سليمان، حضارة مصر (أرض الكنانة)، ط١، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩١)، ص ٨٤
٤٤. رعمسيس الثاني: أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة جاء بعد ابيه الملك سيتي الأول، وكان أبوه قد أشركه معه في الحكم كولي عهد مما اكسبه دراية في شؤون السياسة والحرب، حارب الحثيين في السنة الخامسة من حكمه في معركة قادش ولكنه لم ينجح في الاستيلاء عليها. للمزيد أنظر: واليس، السيري.

- أ، بودج. ك.ت، الساكنون على النيل ،ترجمة:نوري محمد حسين ،(بغداد:مطبعة الديواني، ١٩٨٩)، ص ٢٠
٤٥. نظير،وليم ،الثروة النباتية،ص ٦٨-٦٩
٤٦. الخطيب،محمد، حضارة مصر،ص ١٦٤
٤٧. واليس بودج ك.ت.والسيراي أ.، الساكنون على النيل، ص ١٢٨
٤٨. أديب،سمير ، موسوعة مصر،ص ٤٩٠
٤٩. نظير،وليم ،الثروة النباتية،ص ٦٩-٧٠
٥٠. حزين،سليمان، حضارة مصر،ص ٨١
٥١. أرمان، أدولف وهرمان رانكه، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة،ترجمة: عبد المنعم ابو بكر ومحرم كمال،(القاهرة: مكتبة النهضة العربية، ١٩٥٣)،ص ٤٩٩
٥٢. نظير،وليم ،الثروة النباتية،ص ٧٦-٧٧
٥٣. موسى،أحمد رشاد ، دراسات في تاريخ مصر،ص ٢٢٩-٢٣٠
٥٤. الخطيب،محمد، حضارة مصر،ص ١٦٦
٥٥. نظير،وليم ، الثروة النباتية،ص ٨٧
٥٦. الخطيب،محمد، مصر أيام الفراعنة ،ص ١٢٩
٥٧. موسى،أحمد رشاد ، دراسات في تاريخ مصر،ص ٢٢٩-٢٣٢
٥٨. حزين،سليمان،حضارة مصر،ص ٨٣
٥٩. باقر،طه، مقدمة في تاريخ،ج ٢، ص ١٧٧
٦٠. الأحمد ،سامي سعيد وجمال رشيد أحمد ، تاريخ الشرق القديم ،(بغداد: ١٩٨٨)،ص ١٠٦

٦١. أديب، سمير ، موسوعة مصر، ص ٩٣
٦٢. واليس بودج ك.ت.والسيراي أ.، الساكنون على النيل، ص ١٢٩
٦٣. بتري، فلندرز ، الحياة الاجتماعية، ص ٢٥٢-٢٥٣
٦٤. موسى، أحمد رشاد ، دراسات في تاريخ مصر، ص ٢١٨
٦٥. الحلو، برهان الدين ، حضارة مصر والعراق (التاريخ الاقتصادي - الاجتماعي - الثقافي والسياسي)، ط ١، (بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٩)، ص ٩٢
٦٦. بتري، فلندرز ، الحياة الاجتماعية، ص ٢٥٤
٦٧. الخطيب، محمد، مصر أيام الفراعنة، ص ١٣٠-١٣١
٦٨. بتري، فلندرز ، الحياة الاجتماعية، ص ٢٥٥
٦٩. أديب، سمير ، موسوعة مصر، ص ١٥١
٧٠. لوكاس، الفريد، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ط ١، ترجمة: زكي اسكندر ومحمد زكريا ، (القاهرة: مكتبة مدبولي للنشر، ١٩٩١)، ص ٥٧
٧١. حور محب: اعتبر كاتب كل من قائمة أبيدوس وسقارة الملك حور محب أول ملك شرعي بعد الملك امنحوتب الثالث ، وتجاهل عن عمد كلا من اخناتون وسمنخ كارع وتوت عنخ آمون ، كان حور محب هو اليد المحركة في عهد الملك أي وكان يشغل القائد الأعلى للجيش المصرية، للمزيد أنظر: احمد، سيد توفيق ، معالم تاريخ وحضارة مصر، ص ٣١٣
٧٢. لوكاس، الفريد، المواد والصناعات عند قدماء، ص ٥٧-٦٦
٧٣. موسى، أحمد رشاد ، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، ص ٢٣٨
٧٤. ع.ن، تاريخ توت عنخ آمون (محرر مصر العظيم)، ط ١، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٦)، ص ٢٤

٧٥. الخطيب، محمد، حضارة مصر، ص ١٧٠
٧٦. أديب، سمير، موسوعة مصر، ص ٥٤٨
٧٧. موسى، أحمد رشاد، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، ص ٢٤٧
٧٨. الخطيب، محمد، حضارة مصر، ص ١٧٨
٧٩. لوكاس، الفريد، المواد والصناعات عند قدماء، ص ٣٥٧
٨٠. الشوابتي: هي تماثيل صغيرة كانت تنقش عليها تعويذة سحرية من كتاب الموتى وتوضع مع الميت في قبره، وكان المعتقد أن هذه التعويذة تؤثر في التمثال فتجعله ينوب عن صاحب المقبرة في العمل في الدار الآخرة، للمزيد أنظر لوكاس، الفريد، المواد والصناعات عند قدماء، ص ٢٦٤
٨١. لوكاس، الفريد، المواد والصناعات عند قدماء، ص ٣٥٩-٣٦٠
٨٢. الخطيب، محمد، مصر أيام الفراعنة، ص ١٤٠
٨٣. الخطيب، محمد، حضارة مصر، ص ١٧٨
٨٤. موسى، سلامة، مصر أصل الحضارة، (القاهرة: مطبعة المحلة الجديدة، د-ت)، ص ٤٣
٨٥. باقر، طه، مقدمة في تاريخ، ج ٢، ص ١٧٩-١٨٠
٨٦. السوداني، أمينة عبد الفتاح محمد، المناجم والمحاجر في مصر القديمة منذ بداية الدولة القديمة وحتى نهاية الدولة الحديثة (إطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة طنطا، كلية الآداب، ٢٠٠٠)، ص ١٢٨
٨٧. لوكاس، الفريد، المواد والصناعات عند قدماء، ص ٣٦٦
٨٨. بتري، فلنדרز، الحياة الاجتماعية، ص ٢٦٤
٨٩. أديب، سمير، موسوعة مصر، ص ٥٥٠

٩٠. الخطيب، محمد ، حضارة مصر، ص ١٧٥
٩١. لوبون، غوستاف، الحضارة المصرية ،ترجمة:صادق رستم،(القاهرة:المطبعة
العصرية للنشر والطباعة،د-ت)، ص ١٠٤
٩٢. لوكاس،الفريد، المواد والصناعات عند قدماء، ص ٣٠٤
٩٣. الخطيب،محمد، مصر أيام الفراعنة، ص ١٣٦
٩٤. أرمان، أدولف وهرمان رانكه، مصر والحياة المصرية، ص ٥٢٩
٩٥. لوكاس،الفريد، المواد والصناعات عند قدماء، ص ٣١٢-٣١٣
٩٦. أديب، سمير، موسوعة مصر، ص ٥٥٩
٩٧. أرمان، أدولف وهرمان رانكه، مصر والحياة المصرية، ص ٥٢٢
٩٨. موسى، أحمد رشاد ، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، ص ٤٢٨
٩٩. ربيع، صدقي، المراكب في مصر القديمة،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٢)، ص ١٧-١٨
١٠٠. الحلو،برهان الدين ،حضارة مصر والعراق، ص ٩٤
١٠١. لوكاس،الفريد، المواد والصناعات عند قدماء، ص ٢٣٥
١٠٢. بتري،فلنדרز، الحياة الاجتماعية، ص ٢٦٨
١٠٣. الخطيب ،محمد ، حضارة مصر، ص ١٧٧
١٠٤. نظير،وليم ، الثروة النباتية، ص ١٠٧
١٠٥. المصدر نفسه، ص ١٠٥
١٠٦. موسى، أحمد رشاد ، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، ص ٢٤٢
١٠٧. المصدر نفسه، ص ٢٤٢
١٠٨. بتري،فلنדרز، الحياة الاجتماعية، ص ٢٥٦

١٠٩. الخطيب، محمد، حضارة مصر، ص ١٧٧
١١٠. بتري، فلنדרز، الحياة الاجتماعية، ص ٢٥٧
١١١. موسى، أحمد رشاد، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، ص ٢٤٣
١١٢. في مصر البيزنطية، ط ١، (القاهرة: دار الأمين للنشر والتوزيع، ١٩٩٤)، ص ١٤٤
١١٣. محمد عطا، زبيدة، اقليم المنيا في العصر البيزنطي في أضواء أوراق البردي، (القاهرة: الدار المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢)، ص ٦٤
١١٤. محمد عطا، زبيدة، الحياة الاقتصادية، ص ١٤٤
١١٥. المحفة: عبارة عن مقعد خشبي فوقه مظلة ويحمله من قبضاته الطويلة ستة خدام أو أكثر على اكتافهم ومعهم رجال يحملون المراوح للترفيه عن الثري للمزيد أنظر: باقر، طه، مقدمة، ج ٢، ص ١٨١
١١٦. موسى، أحمد رشاد، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، ص ٢٥٤
١١٧. بتري، فلنדרز، الحياة الاجتماعية، ص ١٨٥
١١٨. موسى، أحمد رشاد، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، ص ٢٥٥
١١٩. بتري، فلنדרز، الحياة الاجتماعية، ص ١٨٦
١٢٠. Alaam, Everyday Life in Ancient Egypt, (cairo-1985), P.16
١٢١. الخطيب، محمد، حضارة مصر، ص ١٨٠
١٢٢. أديب، سمير، موسوعة مصر، ص ٥٩١
١٢٣. احمد، سيد توفيق، معالم تاريخ حضارة، ص ٢٧٢
١٢٤. سعد الله، محمد علي، الدور السياسي للملكات في مصر، ص ٨١
١٢٥. الملكة تي: نشأت الملكة تي في مدينة أخميم وهي ابنة يويا، تزوجت من الملك منحوتب الثالث منذ اعتلائه العرش وعاشت بعده ولم تمت إلا في العام الثامن من

حكم أبنها امنحوتب الرابع (أخناتون) وقد فاقت الملكة تي جميع الملكات في اتخاذ القرارات إذ أشركها زوجها في كافة شؤون الحكم ووكّل اليها دورا رئيسيا في احتفال أعياده إذ كانت مظهرا للتجسيّدات الأيدلوجية للالهه ماعت، للمزيد أنظر

:أديب، سمير موسوعة مصر، ص ٣٠٩-٣١٠

١٢٦. بتري، فلندرز، الحياة الاجتماعية، ص ٢٨٥

١٢٧. احمد، سيد توفيق ، معالم تاريخ حضارة، ص ٢٨٥

١٢٨. موسى، أحمد رشاد ، دراسات في تاريخ مصر، ص ٢٥٦-٢٥٧

١٢٩. باقر، طه، مقدمة في تاريخ، ج ٢، ص ١٨١-١٨٢

المصادر

١. أديب، سمير، موسوعة الحضارة المصرية القديمة ،(القاهرة:العربي للنشر

والتوزيع، ٢٠٠٠)

٢. الأحمد ،سامي سعيد وجمال رشيد أحمد ، تاريخ الشرق القديم ،(بغداد:

١٩٨٨)

٣. احمد، سيد توفيق ، معالم تاريخ حضارة مصر الفرعونية ،(القاهرة: ١٩٩٠)

٤. أرمان، أدولف وهرمان رانكه، مصر والحياة المصرية في العصور

القديمة، ترجمة: عبد المنعم ابو بكر ومحرم كمال،(القاهرة: مكتبة النهضة

العربية، ١٩٥٣)

٥. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات (حضارة وادي النيل)، ط ٢،(بغداد:شركة

التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٥٦)، ج ٢

٦. بتري، سيروم فلندرز ، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ،ترجمة:حسن

محمد جوهر وعبد المنعم عبد الحليم،(القاهرة:الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٥)،

٧. بودج ك.ت، واليس.والسيراي أ.، الساكنون على النيل، ط١، ترجمة:نوري محمد حسين، (بغداد: مطبعة الديواني، ١٩٨٩)
٨. جيميز ت.ج.، الحياة أيام الفراعنة(مشاهد من الحياة في مصر القديمة)، ترجمة:احمد زهير امين،مراجعة:محمود ماهرطه،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧)
٩. حزين،سليمان، حضارة مصر (أرض الكنانة) ط١،(القاهرة:دار الشروق، ١٩٩١)
١٠. الحلو،برهان الدين ،حضارة مصر والعراق (التاريخ الاقتصادي -الاجتماعي- الثقافي والسياسي)، ط١،(بيروت:دار الفارابي، ١٩٨٩)
١١. الخطيب ، محمد،حضارة مصر القديمة، (القاهرة: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٣)
١٢. الخطيب،محمد، مصر أيام الفراعنة، ط١،(دمشق: منشورات علاء الدين، ٢٠٠١)
١٣. ربيع،صدقي، المراكب في مصر القديمة،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢)
١٤. سعد الله ،محمد علي،الدور السياسي للملكات في مصر القديمة ،تقديم:محمد جمال الدين مختار،(الأسكندرية:مؤسسة الشباب الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨)
١٥. السويفي،مختار، أم الحضارات ملامح عامة لأول حضارة صنعها الإنسان، تقديم: جاب الله علي جاب الله، ط١،(القاهرة: العربية للطباعة والنشر، ١٩٩٩)، ج١

١٦. شورتر، ألن ، الحياة اليومية في مصر القديمة ،ترجمة: نجيب ميخائيل أبراهيم ،مراجعة: محرم كمال ،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧)
١٧. صالح، عبد العزيز، الأسرة في المجتمع المصري القديم، (الأسكندرية: دار القلم للنشر ١٩٦١)
١٨. عطا، زبيدة محمد ، الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، (القاهرة: دار الأمين للنشر والتوزيع ١٩٩٤)
١٩. علي، سعيد إسماعيل، التربية في الحضارة المصرية ،(القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦)
٢٠. ع.ن، تاريخ توت عنخ آمون (محرر مصر العظيم)، ط١، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٦)،
٢١. فالبل، دومنيك، الناس والحياة في مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، مراجعة: زكية طبوزادة، ط٢، (القاهرة: الفكر للتوزيع والنشر، ٢٠٠١)
٢٢. لوبون، غوستاف، الحضارة المصرية ،ترجمة: صادق رستم، (القاهرة: المطبعة العصرية للنشر والطباعة، د-ت)
٢٣. لوكاس، الفريد، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ط١، ترجمة: زكي اسكندر ومحمد زكريا ،(القاهرة: مكتبة مدبولي للنشر، ١٩٩١)
٢٤. محمد عطا، زبيدة، اقليم المنيا في العصر البيزنطي في أضواء اوراق البردي ،(القاهرة: الدار المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢)
٢٥. محمد عطا ، زبيدة، الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية ، ط١، (القاهرة: دار الأمين للنشر والتوزيع، ١٩٩٤)

الحياة الاقتصادية في عصر المملكة المصرية الحديثة (١٥٨٥-١٠٨٠ ق.م)

٢٦. مونتيه، بيبير، الحياة اليومية في مصر، ترجمة: عزيز مرقس منصور، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧)
٢٧. موسى، سلامة، مصر أصل الحضارة، (القاهرة: مطبعة المحلة الجديدة، دت)
٢٨. موسى، أحمد رشاد، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي الدراسة الأولى حضارات ما قبل التاريخ وحضارة مصر الفرعونية، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨)
٢٩. ناشد، مختار رسمي، فضل الحضارة المصرية على العلوم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣)
٣٠. نظير، وليم، الثروة النباتية عند قدماء المصريين، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠)

الأطاريح الجامعية

١. السوداني، أمينة عبد الفتاح محمد، المناجم والمحاجر في مصر القديمة منذ بداية الدولة القديمة وحتى نهاية الدولة الحديثة (إطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ٢٠٠٠)

المصادر الأجنبية

Alaam, Everyday Life in Ancient Egypt, (cairo-1985)

Abstract

Economic Life in the era of the modern_Kingdom of Egypt B.C (1580-1085)

The modern king dom era is describe as that lasts five centuries which is better than others , its a heroic period that witness the birth of egyption empire and up lifiting its state and back its structure and all of these achievements returns to the king a khmas the first also I take in my research the first stage of agriculture in eqypt , and which was plantes there and the instrument of agrichlture .

After that I talked about live stok and now importan to the egyption society and linked closely to aqri culture . then I talked about egyption industries and the extent of its impor tance for the ancient egyption people and jobs and I talked about trade and transportation of the Nile then finished my research by several conclusions.

خالد النقشبندی
سیرته ودوره العسکری والاداری فی العراق
(١٩١٥ - ١٩٦١)

أ.م.د. مهدي محمد قادر
كلية الآداب - جامعة صلاح الدين - أربیل

خالد النقشبندی سیرتہ ودورہ العسکری والاداری فی العراق
۱۹۱۵ - ۱۹۶۱

أ.م.د. مهدي محمد قادر

ملخص

أدى الكرد أدواراً مهمة في الدولة العراقية الحديثة منذ نشأتها في عام ۱۹۲۱، في المجالات السياسية والعسكرية و الادارية و الثقافية. ويتناول هذا البحث سيرة ودور الشخصية الكردية خالد النقشبندی (۱۹۱۵ - ۱۹۶۱) في المجالين العسكري و الاداري. وقد سلط البحث الضوء على اسرته و ولادته و البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها وتأثيرها على شخصيته و علاقاته الاجتماعية. كما تابع حياته المهنية كضابط في الجيش العراقي و المناصب التي تقلدها. وركز البحث على دوره الاداري، اذ تقلد النقشبندی منصب قائمقام في عدد من الاقضية، فضلاً عن منصب متصرف لواء أربيل. وكانت عضويته في مجلس السيادة، الذي تشكل بعد ثورة ۱۴ تموز ۱۹۵۸ مباشرة، آخر منصب يتولاه قبيل وفاته.

المقدمة :

تشكل دراسة الشخصيات السياسية و العسكرية الكردية جزءاً مهماً من تاريخ كردستان السياسي. ومع ان بعض المساعي بذلت لدراسة هذا الجانب المهم، الا أنها ما تزال دون المستوى المطلوب و تحتاج مزيداً من الاهتمام. وفضلاً عن ذلك فان تاريخ تلك الشخصيات يُعد جزءاً من تاريخ العراق السياسي المعاصر، وخصوصاً الأدوار التي مارسوها في الجانبين السياسي و العسكري.

يتناول هذا البحث دراسة الشخصية الكردية المعروفة خالد النقشبندی بهدف تسليط الضوء على سيرته الذاتية و دوره السياسي و الاداري و العسكري في العهدين الملكي و الجمهوري، وعلى وجه التحديد بين عامي ۱۹۳۷ و ۱۹۶۱. وكان الدافع الاساسي لاختيار موضوع هذا البحث اغفال هذه الشخصية و عدم وجود دراسة عنها، والحاجة

الى كتابة تاريخ مثل هذه الشخصيات التي كان لها دور في مرحلة حساسة من تاريخ العراق المعاصر .

يتألف هذا البحث من ثلاثة محاور، تناول الأول منها سيرة خالد النقشبندی الذاتية و مراحل حياته العسكرية لغاية عام ۱۹۵۲ . اما المحور الثاني فقد تابع مرحلة مختلفة من حياته في مجال الادارة كقائمقام و متصرف. اما المحور الأخير فقد خُصص لدراسة دوره و موقفه في مجلس السيادة الذي تأسس بعد ثورة ۱۴ تموز ۱۹۵۸ . و على الرغم من ان الحصول على المعلومات المهمة و الوثائقية بخصوص هذه الشخصيات ليس بالأمر السهل، الا أننا نستطيع القول بأننا اعتمدنا في اعداد هذا البحث على عدد من المصادر الأصلية المهمة، وفي مقدمتها الوثائق التاريخية الخاصة بخالد النقشبندی، و التي تضمنت الكثير من المعلومات عن حياته العسكرية و الادارية في العهد الملكي. فضلاً عن ذلك تم الاعتماد على بعض صحف العهد الجمهوري مثل صحيفتي "الجمهورية " و "العهد الجديد" اللتان تضمنتا معلومات يومية و مهمة عن أنشطة مجلس السيادة، و الشخصيات السياسية و الادارية. وفيما عدا المصادر السابقة اعتمد الباحث على عدد من الكتب الصادرة باللغتين العربية و الكردية، و معظمها عن تاريخ العراق السياسي المعاصر، و التي سلطت الضوء على بعض جوانب الموضوع .

Abstract

The kurds played a clear role in the political, military, administrative and cultural areas in modern Iraqi state since its foundation in 1921 . This article deals with the biography of khaled al-Naqshbandi (1915 – 1961) , a Kurdish personality. And his military and administrative role .

The article begins with a topic that sheds light on his family and the social environment which effected in his social position and personal relations later. The second topic tackled his career as an officer in the Iraqi Army and his promotions. The third topic

devoted to study his administrative career and role through the posts he held as Qaimqam (director) of many Kurdish administrative units (Qaza) between 1952 – 1957 and as a governor of Erbil governorate between 1957 – 1958, and as a member of council of state " Majles al- Siyyada", as a representative of the Kurdish component in Iraqi society .

المحور الاول : سيرة و شخصية خالد النقشبندي .

هو خالد بن عبدالغفار بن عبدالرزاق بن الشيخ محمد بن الشيخ طاهر النقشبندي^(١)، ومع ان اسم والده يرد في بعض المصادر بصيغة (عبدالباسط)^(٢) أو (عبدالغفار)^(٣)، لكن اسم والده الصحيح هو (عبدالغفار) حسبما يرد في شجرة العائلة، وفي كل الوثائق الرسمية المتعلقة بتعيين خالد النقشبندي، وقائمة الراتب و الترقيات و الاجازات الممنوحة له^(٤).

ويوجد اختلاف في الرأي أيضاً بخصوص مكان و سنة ولادته، اذ تذكر بعض المصادر ان ولادته كانت في سنة ١٩١٦^(٥)، و لكن الوثائق الرسمية الخاصة بكتاب موظفي الحكومة، والمصادر الخاصة بالشخصيات السياسية و العسكرية العراقية تذكر ان ولادة خالد النقشبندي كانت في سنة ١٩١٥ في منطقة بامرني التابعة لقضاء دهوك^(٦). و من الجدير بالذكر ان اسرة خالد النقشبندي كانت في الاصل من قرية بنستان في منطقة ريكان^(٧).

ينتمي خالد النقشبندي الى اسرة متدينة لها مكانة معروفة بين أهالي منطقة بامرني^(٨). وكان العديد من افرادها من كبار مُرشي الطريقة النقشبندية، كما كان للأسرة تكية نقشبندية في بامرني^(٩). والحقيقة ان اهل المنطقة كانوا من اتباع الطرق الصوفية التي ظهرت بسبب الاوضاع السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية، ومنها الطريقة النقشبندية التي كانت تتولى قيادتها اسرة خالد النقشبندي في المنطقة^(١٠). ومن الجدير بالذكر هنا ان النقشبنديين خرجوا ، بفعل عوامل سياسية و اقتصادية و اجتماعية معقدة منذ عهد الشيخ خالد النقشبندي الكبير (١٧٧٩ . ١٨٢٦) مجدّد

الطريقة النقشبندية في كردستان و الدولة العثمانية، عن الاطار الأسري بل و حتى الاطار العشائري وصلة القرابة، وصاروا طريقة دينية واسعة الانتشار. ومنذ ذلك الحين كانت بصماتهم واضحة في الحركة التحررية القومية الكردية تحت ضغط سلسلة من العوامل الموضوعية^(١١).

دخل خالد النقشبندي المدرسة الابتدائية عام ١٩٢١ في منطقته و اكمل المرحلة الابتدائية ثم اكمل المرحلة المتوسطة في مدينة الموصل، ثم المرحلة الاعدادية في مدينة بغداد^(١٢). وبعد اكمال دراسته الثانوية قُبِل في الكلية العسكرية في ١٥ / ٩ / ١٩٣٦ في "الصنف البحري" و حُصص له الرقم (٧٥٣). وبعد انتهاء دراسته في الكلية العسكرية في ١٩٣٧/٧/٤ مُنح رتبة ملازم ثاني استناداً الى الفقرة (أ) من المادة (٤) من قانون خدمة الاحتياط، بموجب الارادة الملكية المرقمة (٣٨٦) في ١٩٣٧/٧/٢٠ ^(١٣). وفي عام ١٩٤٣ دخل الى "كلية الازكان"^(١٤) و اكمل دراسته فيها عام ١٩٤٥، وفي اثناء خدمته العسكرية ايضاً دخل كلية الحقوق / قسم الدراسة المسائية في عام ١٩٤٦ و اكمل دراسته فيها عام ١٩٥٠^(١٥). وفيما يخص معرفته باللغات، كان خالد النقشبندي يعرف اللغات الكردية و العربية و الانكليزية، كما كان يعرف الفارسية الى حد ما^(١٦). وتصف وثيقة مرسلة من السفارة البريطانية في بغداد الى لندن خالد النقشبندي بأنه انسان بسيط لا يحب ان يفرض نفسه على الاخرين^(١٧)، كما يوصف احياناً في المصادر بأنه كردي كان في طي النسيان^(١٨).

اما بالنسبة لحياته الاجتماعية، فقد تزوج خالد النقشبندي في عام ١٩٣٨ من زمرد محمد رؤوف علاء الدين النقشبندي التي انجبت له ستة اولاد (نزار، غازي، احسان، تحسين، نوزاد، خالد) و ثلاث بنات (نسرين، خالدة، سوسن)^(١٩)، وقد وصل ابنه نزار الى رتبة عقيد في الجيش العراقي ثم أُعدم مع اللواء الركن جواد اسعد شيتته بأمر من صدام حسين في عام ، اما ابنه غازي فقد اكمل دراسته في كلية الهندسة بجامعة بغداد، وبعد الخدمة لعدة سنوات تقاعد مبكراً بعد اعدام اخيه نزار^(٢٠).

وفيما يخص علاقاته الاجتماعية، كان خالد النقشبندي شخصاً اجتماعياً حسب ماتذكر المصادر و كذلك اولئك الذين كانوا اصدقاء له. وعلى الرغم من موقعه السياسي و الاجتماعي فانه كان يختلط بمختلف الطبقات و الشرائح الاجتماعية، ولاشك ان مركز عائلته الديني كان له دور في بروزه و تمتعه بالاحترام بين اهالي مدن كردستان. وكانت له علاقات جيدة مع اولئك الذين عرفوه^(٢١). ان محسن دزقيي ، الذي كان على صلة وثيقة مع خالد النقشبندي، يتحدث عن الفترة التي كان النقشبندي متصرفاً لأربيل فيها و يذكر بان خالد النقشبندي كان يحضر المناسبات الاجتماعية، ويزور مناطق سهل اربيل زيارات غير رسمية.و يتحدث محسن دزقيي عن احدى تلك الزيارات الى قرية دوطركان التي يملكها احمد حمدامين أغا دزقيي " في نيسان ١٩٥٨ ، وعندما كان خليل كنة يزور أربيل تمت دعوة من قبل المذكور [اي محسن دزقيي] الى قرية دوطركان ، وقد حضر الدعوة عدد من المسؤولين و [رؤساء] العشائر، ومن ضمنهم خالد النقشبندي ". ويذكر محسن دزقيي ايضاً ان دعوته لخليل كنة كانت موضع انتقاد من قبل رفاقه في الحزب الديمقراطي الكردستاني، لكن لم ترد اي اشارة الى خالد النقشبندي بخصوص حضوره بالرغم من كونه متصرفاً لأربيل^(٢٢).

عاش خالد النقشبندي مثل أي موظف صاحب راتب محدد، بحيث لم يستطع احياناً شراء بعض المتطلبات الخاصة له، فوفقاً للقانون لم يكن لأي متصرف أو وزير أو كبار الموظفين ان يستخدم سيارات الدولة لاغراض شخصية غير رسمية. ولذا عندما اراد خالد النقشبندي شراء سيارة شخصية له قدم طلباً الى وزارة الداخلية لمنحه سلفة تستقطع منه شهرياً، وقد منحتة الوزارة سلفة مقدارها (١٠٠٠) دينار لشراء سيارة و هكذا استطاع ان يمتلك سيارة خاصة^(٢٣).

كان خالد النقشبندي شخصية نزيهة، لم يهتم بجمع المال، ولم يسعى الى تحقيق منافع مادية عن طريق وسائل غير شرعية. وكان يزور النوادي الموجودة في أربيل لقضاء الوقت مثل (نادي المحاربين القدماء) و(نادي الموظفين) و(نادي المحامين) و (النادي العسكري). وكان يحب ان يلعب الورق (الكونكان و البوكر) مع الآخرين وكان

يعيد الاموال التي يربحها الى اصحابها عند انتهاء اللعب، وبنفس الطريقة ايضاً كانت تعاد اليه الاموال التي يخسرها عند انتهاء اللعب اذا كان من الخاسرين، ويتضح من ذلك انه لم يكن يفكر في تحقيق ربح مادي من خلال المقامرة، بل كان يرغب في التسلية و تمضية الوقت ^(٢٤).

بدأ خالد النقشبندي حياته الوظيفية منذ ان كان طالباً في المرحلة الاعدادية عندما عُيّن في وظيفة (كاتب مدني)، ثم تم تعيينه في ٢٥/٣/١٩٣٥ في مديرية التحقيقات الجنائية براتب قدره (٦) دنانير ^(٢٥). وبعد حصوله على رتبة ملازم ثاني في ٢٠/٧/١٩٣٧ اصبح امر فصيل في الفوج الثالث من اللواء الثاني، و التحق بوظيفته هذه في يوم ٢٧ من الشهر ذاته، وبعد عدة اشهر نقل الى اللواء السادس وصار امر فصيل هنا ايضاً ^(٢٦).

وفي مجال النشاطات العسكرية، شارك خالد النقشبندي خلال المدة من ١٦/٤/١٩٣٨ الى ٧/٧/١٩٣٨ في الدورة العسكرية الثامنة و العشرين للرشاشات، وانهى الدورة بنجاح حيث حصل على المرتبة الثانية بين الضباط المشاركين في تلك الدورة. وبعد انتهاء الدورة المذكورة أصبح امر فصيل رشاش في الفوج الاول من اللواء السادس. وفي المدة من ٢٥/٢/١٩٤٠ ولغاية ٤/٤/١٩٤٠ شارك في دورة خاصة بمدافع هاون في المدرسة العسكرية. وخلال المدة ٢٥/٥/١٩٤٠ لغاية ٢٩/٦/١٩٤٠ شارك في دورة عسكرية اخرى خاصة بالمدفعية ، وبعد انتهائها اصبح نائب امر سرية الاسناد في الفوج الاول من اللواء السادس في ٢٨ تموز ١٩٤٠ ^(٢٧).

رُقي خالد النقشبندي الى رتبة ملازم أول اعتباراً من الثاني عشر من ايلول ١٩٤٠ بموجب الارادة الملكية المرقمة (٤١٥) و الصادرة في ٧/٩/١٩٤٠ . وفي التاسع و العشرين من الشهر ذاته صار امر سرية الاسناد في نفس الفوج السابق و استمر فيه حتى ١٤/٢/١٩٤٢ عندما عُيّن بوظيفة مساعد فوج التدريب ^(٢٨). وقد شهد العراق في تلك المدة واحداً من الاحداث البارزة في تاريخه المعاصر، وأعني بذلك حركة مايس ١٩٤١ بقيادة رشيد عالي الكيلاني (١٨٩٢-١٩٦٥). ومع ان عدداً من الضباط الكرد

شاركوا في تلك الحركة ، ولكن ليست هناك أية اشارة الى مشاركة خالد النقشبندي في الثورة أو تأييدها، لأن الفرقة العسكرية التي كان يخدم فيها النقشبندي كانت في الموصل، ولم يصدر أي أمر لها بالتحرك^(٢٩).

بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية بين الحلفاء و دول المحور، اعلن العراق الحرب ضد دول المحور رغم مشاركة الجيش العراقي فعلياً فيها. ومع ذلك فان كون العراق في حالة حرب، اسماً، استوجب احتساب مدة الخدمة العسكرية خدمة مضاعفة لاعراض تقاعد. وهذا ما نلاحظه في وثيقة رسمية تحمل توقيع قائد الفرقة حامد محمد قحطان موجهة الى متصرفية أربيل لغرض احتساب خدمة خالد النقشبندي في تلك المدة خدمة مضاعفة^(٣٠).

ان نشاط خالد النقشبندي و مؤهلاته جعلته يجتاز الدورات العسكرية التي شارك فيها بنجاح و ضمن المدة المحدودة لها. فبعد ان اصبح مساعد الفوج الأول / حدود في ١٣/٩/١٩٤٢ حصل على شهادة دورة عسكرية اخرى في ١٩/٧/١٩٤٣، وفي ٢/١١/١٩٤٣ تمت ترقيته الى رتبة رئيس (النقيب). كما تم قبوله للدراسة في كلية الاركان بموجب الامر الاداري في ١٦/٤/١٩٤٤^(٣١).

وبعد اجتيازه دورة الاركان رقم (١١) حصل على شهادة تلك الكلية، وفي ٣١/٧/١٩٤٧ اصبح ضابط ركن ثالث في الفرقة الثالثة و باشر بمنصبه هذا في ٣١/٨/١٩٤٧. ثم حصل على ترقية عسكرية الى رتبة رئيس اول ركن (أي رائد ركن) بموجب الارادة الملكية المرقمة (٦٦٩) و الصادرة في ١٣/١١/١٩٤٧^(٣٢).

تولى خالد النقشبندي تدريس مادتي التاريخ و الجغرافية في الكلية العسكرية بموجب الامر الاداري (٢٧٨٤) و المؤرخ في ٢٠/١/١٩٤٨، كما القى محاضرات على دورة الضباط الاحتياط في مادة (التعبئة و التنظيم) في ٢٨/٨/١٩٤٨^(٣٣). ومن الجدير بالذكر انه لم يشارك في الحرب العربية . الاسرائيلية عام ١٩٤٨ لان الفرقة العسكرية التي كان منتسباً اليها كانت مكلفة بمهمة حماية العراق^(٣٤). ثم رقي الى رتبة

مقدم ركن بموجب الارادة الملكية المرقمة (٤٥) و الصادرة في ١٩٥١/١١/٢٧ على ان تحتسب له اعتباراً من ١٩٥١/١١/٢^(٣٥).

ومن الجدير بالذكر ان خالد النقشبندي كان واحداً من الضباط الأقل ارتكاباً للمخالفات اثناء خدمته. ووفقاً للوثائق المتعلقة بالموضوع فان خالد النقشبندي عوقب مرتين اثناء خدمته العسكرية، الاولى في ١٩٣٩/٥/٣ بموجب كتاب امرية الفوج الاول في اللواء السادس يقطع راتبه لمدة ثلاثة ايام، و المرة الثانية من قبل المحكمة العسكرية في الفرقة الثالثة بقطع راتبه لمدة ثلاثة ايام ايضاً بموجب المادة (٣) من قانون العقوبات العسكرية رقم (٦٤٢) وذلك بتاريخ ١٩٤٢/٣/١٧^(٣٦).

اما بالنسبة للتقدير و التكريم فقد حصل عليها من مناسبتين ايضاً اثناء خدمته العسكرية. وكانت المرة الاولى بمنحه قدماً لمدة سنة بسبب تخرجه بالمرتبة (ب) من دورة الاركان بموجب كتاب دائرة الحركات المرقم (٥٧٩٥) في ١٩٤٧/٢/١٠، و الثانية منحه (نوط الحرب) بموجبه الارادة الملكية المرقمة (٥٧٥٩) و الصادرة في ١٩٥١/٩/٩^(٣٧). واثناء خدمته العسكرية و تحديداً منذ ١٩٤١/٧/٢٦ حتى يوم انفكاكه من وزارة الدفاع في ١٩٥٢/٩/١٧ حصل على اجازات بلغ مجموعها (١٩٦) يوماً اي حوالي ستة اشهر، ولكن لم يحصل على اي اجازة بطريقة غير القانونية^(٣٨). استمر خالد النقشبندي في الخدمة العسكرية منذ ١٩٣٦/٩/١٥ لغاية ١٩٥٢/٩/٢٣. ونقل بعدها الى الخدمة المدنية حسب الامر (١١٥٨٦) الصادر من وزارة الداخلية في ١٧/٩/١٩٥٢، وبأشر في وظيفته المدنية اعتباراً من ١٠/١/١٩٥٢^(٣٩). وتوجد تفسيرات مختلفة لتقاعدده من الخدمة العسكرية ونقله الى الخدمة المدنية، اذ يقال ان خالد النقشبندي ترك الخدمة العسكرية بسبب بعض الضباط، ومنهم عبدالله محمد علي و فوزي جميل صائب^(٤٠). الا ان هناك رأياً اخر مفاده ان ذلك حصل بسبب حالته الصحية^(٤١). والمرجح ان هذا السبب الأخير هو الذي دفعه الى ترك الخدمة العسكرية بدليل ان علاقاته كانت جيدة جداً اثناء خدمته الوظيفية المدنية مع الضباط المذكورين

اعلاه، وخاصة فوزي جميل صائب، بل حتى كان رفيقين في السفر، وخاصة بعد ان صار النقشبندی عضو مجلس السيادة^(٤٢).

المحور الثاني: دور خالد النقشبندی في المجال الاداري ١ / ١٠ / ١٩٥٢ . ١٤ / ٧ / ١٩٥٨ .

بدأ خالد النقشبندی خدمته الوظيفية المدنية في ١/١٠/١٩٥٢ عندما أصبح قائمقاماً لقضاء رانية براتب قدره (٤٠) ديناراً بموجب الامر الوزاري المرقم ٢٣٩٠ و المؤرخ في ٢ / ١٠ / ١٩٥٢ ^(٤٣). ومن الجدير بالذكر ان وضع كردستان في تلك الفترة كان وضعاً هادئاً الى حد كبير اذ لم تحصل فيها اية ثورة او حركة مسلحة^(٤٤). الا ان النشاط السياسي للحزب السياسية السرية و تنظيماتها في المنطقة، وبصورة خاصة الحزب الشيوعي العراقي و الحزب الديمقراطي الكردستاني كان متواصلاً و يتمثل في حث الجماهير على الاضرابات و المظاهرات. ومع ذلك لاتوجد اية اشارة الى النشاط السياسي و الجماهيري في القضاء المذكور اثناء تولي خالد النقشبندی منصب القائمقام فيه^(٤٥).

استمر النقشبندی قائمقاماً لقضاء رانية حتى ١٤/٤/١٩٥٣ ليتولى بعدها منصب قائمقام كويسنجق في ١٨ / ٤ / ١٩٥٣ و براتب قدره (٤٥) ديناراً بموجب الامر الصادر من وزارة الداخلية. واستمر في وظيفته هذه حتى ١٦/٣/١٩٥٤^(٤٦). لم تحصل خلالها في القضاء احداث مهمة^(٤٧).

تولى خالد النقشبندی منصب قائمقام قضاء حلبجة بموجب الامر (٥٢٦٠) الصادر من وزارة الداخلية في ٥/٤/١٩٥٤، و استمر في هذا المنصب لغاية ٢/٨/١٩٥٤^(٤٨). وبعد مضي مدة قصيرة على توليه هذا المنصب استقال رئيس الوزراء فاضل الجمالي من رئاسة الوزراء التي استمرت من ٨/٣/١٩٥٤ حتى ٣ / ٨ / ١٩٥٤. و شكل أرشد العمري وزارة جديدة استمرت من ٢٩/٤/١٩٥٤ حتى ٣ / ٨ / ١٩٥٤ كانت مهمتها الاولى حل مجلس النواب و اجراء انتخابات جديدة^(٤٩).

وبعد ان بدأ المرشحون لانتخابات مجلس النواب نشاطهم و الدعاية الانتخابية، رشح كل من (نوري احمد طه و انور جميل بك و أفراسياو الجاف) وقد نظم الحزب الديمقراطي الكردستاني اولى مظاهراته بمناسبة الانتخابات في القضاء لصالح " الجبهة الوطنية"^(٥٠)، وقد شارك في المظاهرات عدد كبير من جماهير القضاء وكان شعار المظاهرات " انتخبوا نائبي الجبهة الوطنية نوري احمد طه و افراسياو بك الجاف"^(٥١). ولكن تحت ضغط الحكومة و قوات الشرطة أُجبر المذكوران على سحب ترشيحهما لعضوية مجلس النواب^(٥٢). ولاشك ان خالد النقشبندی، بصفته المسؤول الاول في القضاء ادارياً و أمنياً كان على علم بتلك الضغوط. ولذا يمكن القول ان موقفه كان متفقاً مع موقف الحكومة لعرقلة ترشيح الشخصين المذكورين اعلاه.

ومع هذا يجب الاشارة الى ان الاحتفال بذكرى عيد نوروز الذي يصادف في ٢١ آذار من كل عام قد جرى بصورة رسمية لأول مرة في عهد قائممقامية خالد النقشبندی في سهل (كاني قولكة) في قضاء حلبجة. وان كانت الشرطة تحيط بمكان الاحتفال خشية من ان يتحول الى مظاهرات و انتفاضة ضد مسؤولي الحكومة^(٥٣). وفي السنة ذاتها نظم الحزب الشيوعي العراقي مظاهرة كبيرة في حلبجة كان شعارها الرئيسي الدفاع عن الجبهة الوطنية حيث كان المتظاهرون يهتفون " عاشت الجبهة الوطنية"^(٥٤).

يمكن القول ان السنوات التي كان النقشبندی فيها قائممقاماً على حلبجة كانت سنوات مهمة في التاريخ السياسي لتلك المنطقة اذ فيما عدا النشاطات السياسية للحزب السري، عقدت حركة انصار السلام في تلك السنة (١٩٥٤) أول مؤتمر لها، وهو المؤتمر التأسيسي الذي شارك فيه عدد من الكرد ومنهم عبدالله بن سليمان بك المعروف بالشاعر طوران (١٩٠٥ . ١٩٦٢) الذي كان من اهالي حلبجة في الاصل و يعمل في ميدان الصحافة. وقد بدأت نشاط حركة انصار السلام بالتوسع في كل انحاء العراق و كردستان، وكان عدد كبير من اهالي حلبجة من مؤدي حركة انصار السلام^(٥٥).

اتخذ خالد النقشبندی، بوصفه قائمقاماً للقضاء، موقفاً من أنشطة حركة انصار السلام، وجاء هذا بعد ان طلب وزير الداخلية خليل كنه في ۱۹۵۴/۳/۶ من رئيس الوزراء نوري السعيد (۱۸۸۸ . ۱۹۵۸) اجراء تعديل على قانون العقوبات البغدادي لاجل معاقبة انصار حركة السلام بموجبه^(۵۶). وهكذا صدر المرسوم رقم (۱۶) لسنة ۱۹۵۴ بخصوص تعديل قانون العقوبات البغدادي رقم (۵۱) لسنة ۱۹۵۴ بزيادة عبارة نصها: " ... سواء كان ذلك بشكل مباشر او غير مباشر من خلال هيئة او منظمة، يكون هدفها خدمة تلك الغايات المذكورة تحت اي مسمى كان مثل حركة انصار السلام... " ^(۵۷).

كما صدر مرسوم اخر برقم (۱۷) لسنة ۱۹۵۴ تقرر بموجبه سحب الجنسية العراقية ايضاً من اولئك الذين يقفون ضد الحكومة العراقية^(۵۸). وكان الشاعر طوران، قد اعتقل في مدينة السليمانية وحكم عليه بالسجن لمدة سنة واخضاعه لمراقبة الشرطة لمدة سنة بعدها ايضاً ^(۵۹).

وفيما عدا المجال السياسي تجدر الاشارة الى ان خالد النقشبندی قد ساعد على افتتاح بعض المشاريع المهمة في حلبجة اثناء خدمته الوظيفية هناك، ومنها مثلاً تأسيس "دائرة انحصار التبغ" فيها سنة ۱۹۵۴ من قبل أكرم حامد بك جاف ، كما تأسس في عهده معمل صودا انتج ثلاثة انواع من المرطبات وهي، (عصير) و (نأشني) و (بيرقمكرون). كما تم افتتاح مكتبة عامة فيها عام ۱۹۵۶^(۶۰). وكان هذا مبعث ارتياح و سرور اهالي حلبجة و أطرافها.

اما بالنسبة لنشاطاته خلال فترة قائمقاميته على حلبجة، فقد شارك في عدد من المؤتمرات و الدورات الخاصة خارج العراق . فقد جاء في كتاب موجه من وزارة الداخلية برقم (۹۱۵) في ۱۹۵۷/۱/۱۵ الى متصرفية السليمانية بابلاغ خالد النقشبندی بانه رُشح من قبل الحكومة لارساله مع وفد الى باكستان و ان عليه الحضور الى ديوان وزارة الداخلية لهذا الغرض قبل موعد سفره بثلاثة ايام، و وفقاً لكتاب رسمي من

متصرفية السليمانية فان خالد النقشبندي غادر الى باكستان مع وفد حكومي عراقي في ٨ شباط ١٩٥٧^(٦١)، وبعد عودته من الايفاد باشر في وظيفته يوم ٦/٣/١٩٥٨^(٦٢).

قرر مجلس الوزراء في جلسته رقم (٢٤) بتاريخ ١/٤/١٩٥٧ تعيين خالد النقشبندي متصرفاً على أربيل، وصدرت ارادة ملكية برقم (١٧٩) في ٦/٤/١٩٥٧ بهذا الخصوص^(٦٣)، ثم صدر كتاب من وزارة الداخلية برقم (٦١٨٢) في ١٧/٤/١٩٥٧ بتعيينه متصرفاً على أربيل، كما اصدرت متصرفية السليمانية امراً ادارياً بذلك في ٢١/٤/١٩٥٧. وقد باشر النقشبندي بوظيفته متصرفاً لأربيل في ٢٣/٤/١٩٥٧ و براتب قدره (٧٨) ديناراً^(٦٤). ومن الجدير بالذكر ان خالد النقشبندي كان من بين الذين حصلوا على تكريم بعد بضعة أيام من تعيينه متصرفاً، وذلك بموجب ارادة اصدرها الملك فيصل الثاني شملت عدداً من كبار موظفي الدولة من المتصرفين و القائ مقامين و مدراء النواحي و القناصل و السفراء و اساتذة الجامعات^(٦٥).

اما بالنسبة لمواقف النقشبندي بعد تعيينه متصرفاً على أربيل، التي كانت من المدن المعروفة بمشاركتها في كل الحوادث و الفعاليات السياسية في العراق، و خاصة حوادث كانون الثاني ١٩٤٨، وتشرين الثاني ١٩٥٢، وانتفاضة ١٩٥٦ ضد العدوان الثلاثي على مصر^(٦٦)، فنلاحظ ان النقشبندي يتابع امور المدينة بدقة شديدة، حتى ان احدى الحوادث التي حصلت حينئذ هي اعتقال طفل في السوق كان يبيع صور الرئيس المصري جمال عبدالناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) اثناء مرور خالد النقشبندي هناك^(٦٧). وكان في بداية توليه متصرفية أربيل، وكان هذا الموقف في اطار المساعي التي بذلها خالد النقشبندي لمنع صور "مصطفى البارزاني" التي كانت تباع بشكل سري في المدينة، حسبما ورد في تقرير من مديرية شرطة السليمانية موجه الى دائرة أمن أربيل و بغداد، بان صور مصطفى البارزاني تباع في الاسواق و ان الشائعات تنتشر بخصوص عودته^(٦٨).

لم تشهد أربیل فی أواخر ۱۹۵۷ و بدايات ۱۹۵۸ اي حوادث مهمة باستثناء اضراب عمال شركة (كتانة) لتشييد سايلو الحبوب فی أربیل يوم ۱۱/۵/۱۹۵۷. كما حصلت بعض الحركات الفلاحية فی منطقة سهل أربیل ضد سلطة الاغوات هناك مثلما حصل فی قُرى " طترشيخان " و " سيبيران " ^(٦٩). ومن الجدير بالذكر ان النقشبندی سعى الى حل المشاكل، وتم ذلك لمصلحة الفلاحين . ومن الجدير بالذكر ان نشاط الاحزاب السياسية فی أربیل فی هذه المدة كانت فی تصاعد حسبما جاء فی وثيقة خاصة بمديرية الأمن اشارت الى تزايد نشاطات تنظيمات القوى الوطنية، وخاصة تنظيمات الحزب الشيوعي العراقي و الحزب الديمقراطي الكردستاني ^(٧٠).

اما بخصوص (الاتحاد الهاشمي)*، فقد كان موقف خالد النقشبندی مع قيام الاتحاد على العكس من موقف سكان أربیل الذين كانوا ضد الاتحاد المذكور، وعبروا عن استيائهم منه، وخاصة فيما يتعلق بما ستكون عليه حقوق الكرد فی مثل هذا الاتحاد ^(٧١). وعندما زار وفد من الاتحاد الهاشمي أربیل تم استقباله من قبل خالد النقشبندی، كما جرت الاستعدادات لتنظيم استقبال جماهيري له فی أربیل، وخاصة من طلاب المدرسة الأيوبية للبنات، ولكن عندما مرّ الوفد من هناك ارتفعت هتافات ضد الوفد، وحاول بعض الطلاب مد أيديهم الى السيارات التي نقل اعضاء الوفد لسحب "عقال الرأس" منهم وهم يهتفون " كنا واحد صرنا اثنين ... يسقط فيصل و حسين " ^(٧٢).

ومن الجدير بالذكر ان الوثائق الرسمية العراقية تبين ان وزارة الخارجية البريطانية طلبت زيارة خالد النقشبندی الى بريطانيا. وعلى هذا الاساس ابلغت وزارة الخارجية العراقية بكتابها المرقم ع/۸۲۷۳/۲ و المؤرخ فی ۲۱ / ۵ / ۱۹۵۸ وزارة الداخلية بان وزارة الخارجية البريطانية وجهت دعوة لكل من متصرف أربیل خالد النقشبندی، ومدير البلديات العام عبدالرزاق شكاره الى بريطانيا للمدة من ۹/۶/۱۹۵۸ و لغاية ۲۷/۶/۱۹۵۸ على نفقتها. وهذه اشارة الى ان الغرض من هذه الزيارة هو الحصول على الخبرة و الاطلاع على الحياة العامة و تقدم المؤسسات الحكومية و الاهلية فی بريطانيا لكي يستفيدوا من ذلك فی حياتهم الوظيفية. وقد قدمت وزارة الداخلية طلب

وزارة الخارجية البريطانية الى مجلس الوزراء للموافقة على الدعوة بشرط ان لا تكون نفقات الدعوة على الحكومة العراقية وبهذا حصلت موافقة مجلس الوزراء بموجب الكتاب المرقم (۲۶۴۲) و المؤرخ في ۱۹۵۸/۶/۹ على زيارة الشخصين المذكورين اعلاه لمدة ثلاثة اسابيع الى بريطانيا^(۷۳).

اولى خالد النقشبندی الجانب الخدمي اهمية اثناء كونه متصرفاً على أربيل، و يتضح هذا من تسمية احدى محلات عینکاوہ، التي عمل النقشبندی على ایصال الخدمات اليها من ماء و كهرباء منذ بداية بناء تلك المحلة التي سُميت باسم "الخالدية" تقديراً للمتصرف^(۷۴).

المحور الثالث : دور خالد النقشبندی في مجلس السيادة العراقي ۱۴ تموز ۱۹۵۸ . ۲۸ تشرين الثاني ۱۹۶۲ .

كان مجلس السيادة احدى مؤسسات الحكم في العهد الجمهوري، وكانت فكرة تأسيسه تعود الى ما قبل ثورة ۱۴ تموز ۱۹۵۸ ، وكان الغرض منه ان يصبح سنداً لتأسيس حكومة مدنية و مراقبتها في المرحلة الانتقالية^(۷۵). ولكن هذه الفكرة لم تُحسم تماماً قبل تنفيذ الثورة بسبب اختلاف الاراء بين الضباط الاحرار حول هذا الموضوع. وبعد نجاح ثورة ۱۴ تموز و اعلان الجمهورية العراقية اصدرت قيادة الثورة البيان رقم (۲) في يوم ۱۴ تموز بتأسيس مجلس السيادة^(۷۶).

تألف مجلس السيادة من رئيس و نائين، وكانت عضوية المجلس بموجب المكونات الرئيسية في المجتمع العراقي، فقد كان الفريق الركن محمد نجيب الربيعي^(۷۷) رئيس مجلس السيادة من العرب السنة، و العضو محمد مهدي كبة^(۷۸) من العرب الشيعة، و خالد النقشبندی من الكرد^(۷۹). و يعود اختيار خالد النقشبندی لعضوية مجلس السيادة الى دور عبدالسلام عارف الذي كان من اصدقائه لكي يمثل المكون الكردي في المجلس^(۸۰).

اما عن كيفية اختيار خالد النقشبندی عضواً في مجلس السيادة، في حين انه كان متصرفاً لأربيل عندما قامت الثورة، فان العقيد الركن خليل سعيد امر اللواء الثالث

استطاع ان يضع كل لواء أربيل تحت سلطة قوات الجيش في نفس يوم الثورة، أي ١٤ تموز ١٩٥٨ بعد ان سيطر الضباط الاحرار على كل مفاصل الحكم في بغداد و قضوا على الاسرة الهاشمية. وقد اعلن العقيد الركن خليل سعيد تأييده للثورة، وطلب من امر حامية رواندرز المقدم الركن سعيد قطان ان يؤيد الثورة . وفي هذه الاثناء اتصل العقيد الركن خليل سعيد بالمتصرف خالد النقشبندی و طلب منه الذهاب الى معسكر أربيل لغرض مناقشة الوضع و الاعتراف بالثورة و تأييدها، وبعد لقاء النقشبندی مع العقيد الركن خليل سعيد ، أعلن النقشبندی تأييده للثورة و قيام الجمهورية و نهاية النظام الملكي في العراق^(٨١).

اختارت قيادة الثورة خالد النقشبندی عضواً في مجلس السيادة، فغادر النقشبندی أربيل متوجها الى بغداد مساء يوم ١٤ تموز. ولكن عندما وصل الى كركوك تردد خالد النقشبندی من الذهاب الى بغداد بسبب موقف قائد الفرقة الثانية الزعيم الركن عبدالوهاب شاکر و محاولاته تحريك اللواء الرابع ضد الثورة. وقد ازداد هذا التوتر خاصة بعد ابلاغه خبر ان نوري السعيد مايزال موجوداً وان هناك محاولة للقضاء على الثورة، وقد طلب الزعيم الركن عبدالوهاب شاکر من خالد النقشبندی العودة الى أربيل^(٨٢). ولكن كلاً من فوزي جميل صائب ، الذي كان قائمقام رواندرز، وعوني يوسف الذي كان رئيس احدى محاكم كركوك لعبا دوراً مهماً في تشجيع و طمأنة خالد النقشبندی للذهاب الى بغداد و استلام مهامه عضواً في مجلس السيادة^(٨٣). ومن الجدير بالذكر ان الضباط الاحرار في الفرقة الثانية استطاعوا الوقوف بوجه أي تحرك عسكري ضد الثورة ، كما أن الزعيم الركن عبدالوهاب شاکر نفسه اتصل بقيادة الثورة في بغداد بعد ان وصله خبر تأييد موقع أربيل و موقع الموصل و حامية رواندرز للثورة^(٨٤).

وبالنسبة للعلاقات بين مجلس السيادة و مجلس الوزراء، فقد تقرر بعد تأسيس مجلس السيادة ان تكون صلاحياته او سلطاته سلطة رئاسة الجمهورية، و تكون سلطة مجلس الوزراء تشريع القوانين و السلطة التنفيذية على ان يتم المصادقة على كل

قرارات مجلس الوزراء من قبل مجلس السيادة قبل وضعها موضع التنفيذ. كما يحضر اعضاء مجلس السيادة اجتماعات مجلس الوزراء للاطلاع على القرارات و كيفية سير الأعمال، ومع انهم كانوا يناقشون المواضيع مثل اعضاء مجلس الوزراء في بداية الأمر. لكن هذه المناقشات اخذت ثقل لاحقاً حتى وصل مستوى لم يعد لهم اي دور في المناقشات ويمكن القول ان السبب الاول لهذا يرجع الى ان تعيينهم كان من قبل كل من عبدالكريم قاسم و عبدالسلام عارف و عبداللطيف الدراجي^(٨٥). وبتعبير اخر ان ترشيحهم كان من قبل قيادة الثورة و ليس عن طريق الحصول على الثقة من الشعب. اما العامل الثاني فهو تحديد سلطاتهم بالمصادقة على قرارات مجلس الوزراء فقط، و تنفيذ بعض المهام البروتوكولية مثل استقبال السفراء، ومنح الأوسمة و الرتب. ولذا فان مشاركتهم كانت بصورة شكلية ولم يكن لهم اي نفوذ سياسي^(٨٦). ومن الجدير بالذكر ان ظهور الخلافات بين قادة الثورة، وخصوصاً بين عبدالكريم قاسم و عبدالسلام عارف، اصبح اتخاذ قرارات مجلس الوزراء و القرارات العسكرية من قبل رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم حصراً^(٨٧).

كان خالد النقشبندي، بصفته عضواً في مجلس السيادة ، على اطلاع على كل المراسيم و التوقيع و المصادقة عليها من قبل اعضاء المجلس، و اهمها الدستور العراقي المؤقت الذي أكد في مادته الثالثة " ان العرب و الكرد شركاء في هذا الوطن"^(٨٨). وكذلك حل (مجلس الاعمار)** بموجب المرسوم رقم (١٥) ، وكذلك البدء بتطهير الجيش من الضباط المشكوك في ولائهم لثورة ١٤ تموز. ومن الجدير بالذكر ان الضباط الاحرار كانوا قد شخصوا اولئك الضباط قبل الثورة، وكانوا مدافعين عن النظام الملكي حتى وقت متأخر^(٨٩) و على المستوى السياسي صدرت عدة قرارات مهمة صادق عليها مجلس السيادة ومنها خروج العراق من الاتحاد الهاشمي الذي كان الغرض من اقامته في شباط ١٩٥٨ الحفاظ على النظامين الملكي في العراق و الاردن في مواجهة الوحدة المصرية السورية، وكذلك قرار خروج العراق من ميثاق بغداد^(٩٠).

كان لخالد النقشبندي دور على المستوى الداخلي تمثل في دوره من اجل الحفاظ على السلام، وتحقيق غايات الثورة، ولفت انتباه الجماهير الى تأييد الثورة و الدفاع عنها. وفي اول زيارة له الى كردستان برفقة عبدالسلام عارف، نائب رئيس الوزراء و وزير الداخلية، وفواد الركابي و ناظم الطبقجلي في ٨ آب ١٩٥٨، زار الوفد مدينة أربيل، ويذكر و داد خالص القاضي، الذي كان احد الذين استقبلوا الوفد، في مذكراته عن هذه الزيارة لأربيل قائلاً: " جاء عبدالسلام عارف مع خالد النقشبندي الى أربيل، وذهبنا جميعاً الى الملعب لاستقبالهم. وكان خالد النقشبندي عضو مجلس السيادة متصرفاً لأربيل سابقاً. وقد القى عبدالسلام عارف خطاباً قدم فيه التهنئة بقيام ثورة ١٤ تموز و أشار الى خالد النقشبندي وقال (وهذا هو خالدم)، وقد صفقتنا جميعاً له لان خالد النقشبندي كان في الحقيقة محترماً جداً... " (٩١). ومن الجدير بالذكر ان الوفد لقي استقبلاً و ترحيباً من جماهير المدينة، وعندما القى عبدالسلام خطابه امام الجماهير أشار الى ان هذه الجمهورية جمهورية العمال و الكادحين ، و جمهورية وطنية و ان عهد الذل انتهى. وقال : " ان عبدالسلام و نجيب [يقصد محمد نجيب الربيعي] و خالد [النقشبندي] و ناظم [الطبقجلي] خدم لكم، وهم منكم ولكم" . وقد أشار في ذلك الخطاب عدة مرات الى خالد النقشبندي و يقول: " عاشت الاخوة العربية الكردية، يا أحفاد صلاح الدين ان هذه الحكومة شعبية ، وعضو مجلس السيادة خالد النقشبندي هو منكم، وان مطالب لواء أربيل أخذت في الاعتبار قبل كل شيء بشهادة متصرفكم " (٩٢). ويبدو ان عارف اراد ان يكسب الجماهير الى صف الثورة و قيادة الثورة باسم خالد النقشبندي. وان يوضح بان مطالب اهالي أربيل قد أخذت في الاعتبار بتعيين خالد النقشبندي عضواً في مجلس السيادة. لقد أيد اهالي أربيل الثورة منذ البداية، ولكن تعيين النقشبندي في مجلس السيادة لم يكن في أي وقت من الاوقات من مطالب اهل أربيل .

وفيما يخص دور و موقف خالد النقشبندي من القضايا الداخلية ، وفي مقدمتها القضية الكردية، بعد ان أصبح عضواً في مجلس السيادة نلاحظ انه كان مع عودة

مصطفى بارزاني كقائد كردي الى العراق، و العمل على حل القضية الكردية في الجمهورية العراقية. ولهذا عندما كان مصطفى البارزاني في جيكوسلوفاكيا فانه اتصل برئيس الوزراء العراقي عبدالكريم قاسم و برئيس مجلس السيادة محمد نجيب الربيعي، وكذلك بخالد النقشبندي وارسل برقية تهنئة بنجاح الثورة و اعلان الجمهورية العراقية^(٩٣).

قامت حكومة الثورة بخطورة أولية في ٢٠ تموز ١٩٥٨ باصدار مرسوم العفو عن كل من الشيخ احمد البارزاني و مصطفى البارزاني^(٩٤). ورداً على خطوة حكومة الثورة هذه أرسل مصطفى البارزاني برقية باسم جميع اللاجئين الكرد في الدول الاشتراكية الى كل من رئيس الوزراء و رئيس مجلس السيادة و خالد النقشبندي، ومما جاء فيها: " ... احبيكم بتشكيل الجمهورية العراقية الهدف المنشود و الذي من اجله ناضل الشعب العراقي ... و اننا كمواطنين عراقيين ساهمنا في هذا النضال الشعبي ضد الاستعمار و اذنا به في الوطن حتى اضطررنا بالاخير الى ترك الوطن العزيز و الالتجاء الى الدول الاشتراكية لاستمرار النضال ... اننا نرجو ونأمل ان تساعدونا في العودة الى الوطن لخدمة شعبنا وجمهوريتنا مع ابناء العراق الصالحين ... ولتحيا الاخوة العربية الكردية في الجمهورية العراقية الى الابد ..."^(٩٥).

بعد موافقة الحكومة العراقية على عودة مصطفى البارزاني و رفاقه ثم تشكيل وفد من كل من ابراهيم احمد و نوري شاويس للتوجه الى براغ ليكونوا برفقة البارزاني عند عودته الى العراق. ومن الجدير بالذكر ان كلاً من محمد نجيب الربيعي و خالد النقشبندي ارسل برقية الى مصطفى البارزاني وقد عبّر خالد النقشبندي باسمه كعضو في مجلس السيادة عن سروره بعودة مصطفى البارزاني الى الوطن من اجل خدمة و تحقيق اهداف الثورة. وقد اشار خالد النقشبندي ، في نفس البرقية التي كان قد بعثها في ٥ ايلول ١٩٥٨ الى البارزاني، بنضال و كفاح البارزاني في كردستان العراق في العهد الملكي، ومسايعه لانجاح الحركة القومية و الوطنية في كردستان و العراق ضد الامبرالية في سبيل الحرية و الاستقلال^(٩٦). في ٦ تشرين الاول ١٩٥٨ تم استقباله من

قبل حشد كبير من الناس في بغداد^(٩٧). وفي اليوم التالي زار مصطفى البارزاني رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم، كما زار مجلس السيادة و التقى خالد النقشبندي مع كل من محمد نجيب الربيعي و محمد مهدي كبة^(٩٨).

اما بالنسبة لدور خالد النقشبندي و نشاطاته على مستوى العلاقات الخارجية، فقد كان له دور مهم في المجال الدبلوماسي من اجل تعزيز علاقات العراق مع الدول العربية و بقية دول العالم. فبعد ثورة ١٤ تموز وضع العراق الاساس للعلاقات السياسية مع المغرب، وقد زار وزير الخارجية العراقي عبدالجبار الجومرد المغرب و التقى بالملك محمد الخامس (١٩٥٧ . ١٩٦١)^(٩٩).

وبعد تلك الزيارة وافق مجلس الوزراء على تشكيل وفد عراقي برئاسة خالد النقشبندي لزيارة المغرب، وكان من ضمن اعضاء الوفد وزير الارشاد محمد صديق شنشل، و وزير الدولة فؤاد الركابي، و وزير العدل مصطفى علي، و وزير النقل بابا علي الشيخ محمود و اخرون^(١٠٠). وقد وصل الوفد يوم ٢٥ تشرين الاول الى القاهرة حيث استقبله وزير التخطيط المصري حسين محمود الشافعي (١٩١٨ . ٢٠٠٥) و السفير العراقي في مصر فائق السامرائي^(١٠١).

كان الهدف المعلن للوفد فتح خطوط جوية جديدة بين العراق و بلدان المغرب العربي (المغرب و تونس)، الا ان الهدف الحقيقي لزيارة الوفد كان محاولة التقريب بين تونس و الجمهورية العربية المتحدة و اقناع رئيس تونس و حكومتها بعودة بلادهم الى الجامعة العربية^(١٠٢).

وبعد زيارة ليبيا و تونس و استقبالهم من قبل الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة (١٩٠٣ . ٢٠٠٠)، توجه الوفد العراقي لزيارة المغرب حيث استقبلهم الملك محمد الخامس. وبعد انتهاء الاجتماعات و المباحثات في المغرب عاد الوفد الى القاهرة واجتمع مع الرئيس المصري جمال عبدالناصر و من الجدير بالذكر ان هذه الزيارة نجحت في تعزيز علاقات العراق مع دول المغرب العربي^(١٠٣).

كما كان لخالد النقشبندی دور في مجيء وفود الدول العربية و الاجنبية الى العراق، و المشاركة في المراسم الرسمية و غير الرسمية، وخصوصا في مجلس السيادة. كما كان يشارك في اجتماعات قيادة مجلس الوزراء احيانا. فعلى سبيل المثال عندما زار أمير الكويت الشيخ عبدالله السالم الصباح (۱۸۹۵ . ۱۹۶۵) العراق في ۲۵ تشرين الاول ۱۹۵۸ تم استقبله من قبل مجلس السيادة ، وتنظيم مأدبة عشاء له في مجلس السيادة بحضور رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم^(۱۰۴). ويمكن القول ان خالد النقشبندی حاول في مجال العلاقات الخارجية اقامة علاقات العراق مع الدول الاخرى على اساس السلام و التوافق و في سبيل حقوق الشعب و السيادة الوطنية.وقد عبّر عن موقفه هذا في ۱۲ / ۱ / ۱۹۵۹ اثناء تقديم السفير الامريكي (جون در تفورد) اوراق اعتماده الى رئيس و اعضاء مجلس السيادة^(۱۰۵).

يبدو من المعلومات المتوفرة لدينا ان خالد النقشبندی لم يكن من مؤيدي أو اتباع اتجاه سياسي معين. وعلى الرغم من توليه الكثير من المناصب العسكرية و الادارية في العهد الملكي، و اخرها منصب متصرف أربيل، لكن لا توجد أية اشارة الى صلته باي حزب سياسي كردي او عراقي، حتى تلك الاحزاب المجازة التي كانت في السلطة^(۱۰۶). الا ان خبرته الادارية و رتبته العسكرية من جهة وكونه شخصية معروفة لدى القيادة السياسية العراقية، و خاصة لدى عبدالسلام عارف و عبدالكريم قاسم، كانت سبباً لاختياره عضواً في مجلس السيادة بوصفه كردياً^(۱۰۷). كما تجدر الاشارة هنا الى ان اهم و اقرب حزينين من السلطة وهما الحزب الشيوعي العراقي و الحزب الديمقراطي الكردستاني لم يعترضا على اختيار خالد النقشبندی كشخصية كردية لعضوية مجلس السيادة، ويمكن ان نعزو هذا الى سببين ، الاول خبرة و كفاءة خالد النقشبندی في المجال الاداري، و الثاني كونه شخصية نزيهة بحيث لم تكن لدى الحكومة ولا الاحزاب السياسية ملاحظات او تهمة ضده تستدعي احالته الى المحاكم رغم كونه من كبار الاداريين في العهد الملكي.

على الرغم من ان مجلس السيادة لم يكن يمتلك سلطة واسعة، بل كان بصفة رمزية ومع ان اعضاء المجلس كانوا يصادقون على قرارات مجلس الوزراء دون ابداء انتقادات، الا ان ذلك لم يكن دليلاً على رضا اعضاء مجلس السيادة على كل اعمال و قرارات مجلس الوزراء، لان تأثير سياسة عبدالكريم قاسم على مجلس السيادة قد تبين بعد استقالة محمد مهدي كبة، اثر حدوث الأزمة الوزارية و استقالة الوزراء القوميين^(١٠٨)، ولكن خالد النقشبندي غير مرضيا بهذا الموقف من قبل عبدالكريم قاسم حول استقالة الوزراء^(١٠٩). وقد عقد اجتماع في مجلس السيادة بخصوص الازمة الوزارية بحضور الوزراء المستقلين، وكان خالد النقشبندي حاضراً فيه، تقرر باجماع اراء الحاضرين ان يتحدث محمد نجيب الربيعي مع رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم بشأن الموضوع الا ان الربيعي لم يوافق على هذا الطلب^(١١٠).

لم يكن خالد النقشبندي راضياً عن موقف بعض المسؤولين العراقيين بعد اندلاع الحركة الكردية في ١١ أيلول ١٩٦١، فقد جاء بعدها الى كردستان و التقى برفيقه السابق محسن دزقي و لكن نتيجة لذلك الاجتماع تم اعتقال احمد حمدامين دزقي شقيق محسن دزقي و نقله الى البصرة^(١١١). وقد بدأت افكار خالد النقشبندي تتجه بعد ثورة ١١ أيلول نحو الدفاع عن قوميته و سعى الى التقارب مع الحركة القومية الكردية^(١١٢).

توفي خالد النقشبندي في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٦١ اثر جلطة قلبية، وفي يوم ٢٩ تشرين الثاني وصل موكب جنازته الى جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني للصلاة عليها وسط مراسيم تليق به ، و بحضور رئيس مجلس السيادة و رئيس الوزراء و الوزراء و افراد اسرة خالد النقشبندي و غيرهم . وقد القى محمد نجيب الربيعي كلمة جاء فيها : " لقد خسرت البلاد بفقد المغفور له الشيخ خالد النقشبندي عضو مجلس السيادة و خسر المجلس جندياً مناضلاً اميناً كرس حياته لخدمة بلده و امته بشرف واستقامة ... " . كما القى عبدالكريم قاسم كلمة جاء فيها : لقد كان الفقيد اميناً صادقاً مخلصاً في واجباته ولثورتنا المجيدة التي جاءت لخير الشعب . اننا في هذه اللحظة التي نودع فيها الفقيد نعلن لابناء الشعب تأثرنا العميق الزائد و ان ذهابه و وفاته بهذه

الصورة المفاجئة مما يشجع و يحفز كل مخلص وطني غيوى على الاستمرار في خدمة وطنه و شعبه و ان الاجيال القادمة هي التي تبقى وعلينا ان نسعى في سبيل خير الاجيال القادمة و خيرالناس ...»^(١١٣).

وفي ١ كانون الاول ١٩٦١ قام مجلس السيادة بتعيين رشاد عارف(قاضي)^(١١٤) بدلاً من خالد النقشبندي و عبدالمجيد كمونة بدلاً من محمد مهدي كبة ، بينما احتفظ محمد نجيب الربيعي برئاسة مجلس حتى انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ ^(١١٥).

الخاتمة :

في ختام هذا البحث يمكن تثبيت عدد من الاستنتاجات بخصوص شخصية خالد النقشبندي و دوره العسكري و الاداري، وهي :

- ١- نشأ خالد النقشبندي في أسرة دينية ذات مكانة اجتماعية في بامربي، وكان لهذه النشأة تأثير واضح على شخصيته وعلاقاته الاجتماعية .
- ٢- كان النقشبندي عسكرياً مهنيًا و اثبت كفاءته من خلال النتائج التي حققها في العديد من الدورات العسكرية في داخل العراق و خارجه، فضلاً عن دراسته في كلية اركان .
- ٣- لم يعرف عن النقشبندي تأثره بأي اتجاه او تيار سياسي ، بما في ذلك الاتجاه القومي الكردي ، باستثناء موقفه المتعاطف مع الحركة الكردية قبيل وفاته بفترة قصيرة .
- ٤- ونظراً لكونه انساناً مهنيًا في حياته العسكرية و الادارية فانه كان ملتزماً بكل التعليمات و التوجيهات الصادرة من الحكومة، الامر الذي يجعل من ممكن القول بانه كان يسير مع سياسات الحكومة وتبين ذلك من خلال بعض مواقفه اثناء خدمته كقائم مقام و متصرف ، مثل ما اوضحنا في البحث . وعلى اية حال لم يلاحظ عليه موقف مناويء للحركة القومية الكردية في العراق ، ولعل هذا مايفسر

عدم اعتراض القيادة الكردية على تعيينه عضواً في مجلس السيادة ممثلاً عن المكون الكردي .

٥. ومثل الكثير من العسكريين و الإداريين في تلك الفترة كان النقشبندي نزيهاً لم يعرف عنه أي تجاوز على المال العام ، أو استغلال المنصب لمنفعة شخصية .

الهوامش :

(١) شجرة عائلة خالد النقشبندي ،اعداد: ديان نجيب عبدالقادر النقشبندي (بحوزة عائلة خالد النقشبندي) .

(٢) نوري عبدالحميد العاني، علاء جاسم محمد الحربي، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨ . ١٩٦٨، ج(١)، ١٤ تموز ١٩٥٨ . ٧ شباط ١٩٥٩ ، ط(٢)، من منشورات بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٥، ص ٥٣ ؛ عبدالفتاح علي البوتاني، التطورات السياسية الداخلية في العراق ١٤ تموز ١٩٥٨ . ٨ شباط ١٩٦٣، ط(١)، مطبعة خاني، دهوك، ٢٠٠٧، ص ٥٨ ؛ شوان محمّد ثَمِين تَهَا خَوْشَنَاو، هَتُولِير لَة نِيَوَان سَالَانِي ١٩٥٨ . ١٩٦٣، ض(١)، ضائخانَة رُوذَهَلَات، هَتُولِير، ٢٠١٢، ل ١٠٨ .

(٣) الحكومة العراقية، جدول كبار موظفي الدولة لسنة ١٩٥٢، مطبعة الحكومة ،بغداد، ١٩٥٢، ص ١٥ .

(٤) وزارة الداخلية العراقية، متصرفية لواء السليمانية، قلم الخزينة، رقم الوثيقة: ٤٧ / ٣٠٣٧ ، العنوان : أمر اداري : تثبيت الرواتب، في ١٩ / ٦ / ١٩٥٦ ؛ و.د.ع، متصرفية لواء السليمانية، رقم الوثيقة: ٣٢ / ٩٢ ، موضوع : اجازة مرضية ، بتاريخ ١١ / ٩ / ١٩٥٥ .

(٥) اوريل دان ، العراق في عهد قاسم، ت: جرجيس فتح الله، ط(١)، دار أراس للطباعة و النشر، أربيل، ٢٠١٢، ص ١٨١ ؛ هَيْرَش كَمَال رِيكَانِي، ئِيكَم كورد د ئَنجومتَنِي عيراقا جاران دا، ئَظَرُو "رُوذنامَة"، ذ(١٦١٤)، ٣٠ / ٥ / ٢٠١٥ .

(٦) الحكومة العراقية، جدول كبار موظفي الدولة لسنة ١٩٥٧، مطبعة الحكومة ،بغداد، ١٩٥٢، ص ٨ ؛ مير بصري، اعلام الكرد، لندن . قبرص، ١٩٩١، ص ٢٤٩ ؛ ئَظَرُو "رُوذنامَة"، ذ(١٦١٤)، ٣٠ / ٥ / ٢٠١٥ .

(٧) ئَظَرُو "رُوذنامَة"، ذ(١٦١٤)، ٣٠ / ٥ / ٢٠١٥ .

- (۸) محسن دزقی، احداث عاصرتها، حاوره: طارق ابراهيم شريف، مطبعة التربية، اربيل، ۲۰۰۱، ج(۱)، ص ۱۲۴ .
- (۹) اوريل دان، المصدر السابق، ص ۱۸۱ .
- (۱۰) انتشرت هذه الطريقة على يد (مولانا خالد الشهرزوري) للمزيد ينظر: عبدولرحمان بيلاف بقرنيجي، تقریقة تى نقشبندي (بنما وئامانجة كان)، ضاخانه تى وقرارتى ثتروقرده، هتولير ۲۰۰۲، ب(۲)، ل ۸۰۶ . ۸۰۷ .
- (۱۱) للمزيد عن النقشبنديين و علاقاتهم مع الحركة الكردية ينظر: جة عفر عتلي رسول، سؤفيزم و كاريطري لة بزوتتوى رزطاريخوازى نقتتوي طتلى كورددا ۱۸۸۰ . ۱۹۲۵، ض(۱)، ضاخانه تى تيشك، سليمانى، ۲۰۰۸، ل ۶۳ . ۱۶۷ .
- (۱۲) العهد الجديد "جريدة"، ع(۲۷۹)، السنة الاولى، ۲۹ تشرين الثاني ۱۹۶۱؛ مير بصري، المصدر السابق، ص ۲۴۹ .
- (۱۳) وزارة الداخلية، متصرفية لواء اربيل، الاضبارة الشخصية، رقم الاضبارة: ع / ۶ / ۱۱۹، العنوان: خالد النقشبندی متصرف لواء اربيل، ورقة ترجمة الحال، ص ۱ .
- (۱۴) تأسست كلية الاركان سنة ۱۹۲۸ و كانت تسمى في بداية تشكيلها مدرسة الاركان وقد بقيت تحمل هذا الاسم حتى سنة ۱۹۳۷ حيث وضع لها نظام جديد وسميت بكلية الاركان. الجمهورية العراقية، وزارة الدفاع، الجيش العراقي الذكرى الستون ۶ كانون الثاني ۱۹۲۱ . ۱۹۸۱، ط(۱)، مطبعة الاديب، بغداد، ۱۹۸۱، ص ۱۷۷ .
- (۱۵) حميد المطبعي، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين، ط(۱)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ۱۹۹۸، ج(۳)، ص ۶۹ .
- (۱۶) الاضبارة الشخصية، ورقة ترجمة الحال، ص ۱ .
- (۱۷) كتمال متهتر، كورد و كوردستان لة بطلة تمامة نهينيه كانى حوكتى بتريتانيدا، نا: عبدوللا زقطنة . شهلا تاهير حيدر، ض(۱)، بقرط(۱)، ضاخانه تى طرين . طالورى، لوبنان، ۲۰۰۸، ل ۴۳۸ .
- (۱۸) اوريل دان، المصدر السابق، ص ۱۸۱ .
- (۱۹) مقابلة مع نوزاد خالد النقشبندی، في ۲۳/۷/۲۰۱۶؛ مقابلة مع سوسن خالد النقشبندی، في ۲۲/۷/۲۰۱۶ .
- (۲۰) كتمال متهتر، كورد و ...، ل ۴۳۸ .
- (۲۱) مقابلة مع نوزاد خالد النقشبندی، في ۲۳/۷/۲۰۱۶ .

- (۲۲) المصدر السابق، ص ۱۲۱. ۱۲۲ .
- (۲۳) لمزید ینظر : المصدر نفسه، ص ۱۲۵ .
- (۲۴) المصدر نفسه، ص ۱۲۶. ۱۲۵ .
- (۲۵) وزارة الداخلية، مديرية الشرطة العامة، الشعبة الادارة، رقم الوثيقة: ع / ۲۹۰۶ ، الموضوع: خدمات موظف ، في ۱۹۵۷/۱۰/۹ .
- (۲۶) الاضبارة الشخصية ، ورقة ترجمة الحال، ص ۱ .
- (۲۷) المصدر نفسه، ص ۱ .
- (۲۸) المصدر نفسه، ص ۱ .
- (۲۹) حول دور الكرد في هذه الثورة ینظر: کتال متزهتر ، ضفند لاثتریقک لة میذوی طقی کورد، بقرط(۲)، نا: عابدولآزقطنة، ض(۱)، ضاخنای وقرتی ثروردة، هتولیر، ۲۰۰۱، ل ۱۶۵ . ۱۸۸ .
- (۳۰) وزارة الدفاع ،قيادة الفرقة الثانية، الرقم الوثيقة: ش ۱ / ۳۳ / ۲۲۳۱۱ ، الموضوع : تثبت خدمات حرب، في ۱۹۵۷ / ۹ / ۲۳ .
- (۳۱) الاضبارة الشخصية ، ورقة ترجمة الحال، ص ۲ .
- (۳۲) الاضبارة الشخصية ، ورقة ترجمة الحال ، ص ۲ .
- (۳۳) المصدر نفسه، ص ۳ .
- (۳۴) دقباری بشاریةکانی کورد وقوریانیةکانی بروانة :مهدي محمەد قادر، نیشهاته سیاسیةکان...، ل ۳۶۳ ؛ زين النقشیندي، الشهداء العراقيون في حرب فلسطين عام ۱۹۴۸، الاتحاد"جريدة"، بغداد، ۱۹۹۸/۸/۳ .
- (۳۵) المصدر نفسه، ص ۳ .
- (۳۶) الاضبارة الشخصية ، العقوبات، ص ۶ .
- (۳۷) الاضبارة الشخصية ، المكافات، ص ۶ .
- (۳۸) الاضبارة الشخصية ، الاجازات ، ص ۶ .
- (۳۹) وزارة الداخلية العراقية، متصرفية لواء أربيل، التحريرات ، رقم الوثيقة ۱۲۱۳۱ ، الموضوع: احتساب الخدمة المضاعفة، ۱۹۵۷ / ۹ / ۱۰ .
- (۴۰) محسن دزقيی، المصدر السابق، ص ۱۲۵ .
- (۴۱) اوریل دان، المصدر السابق، ص ۱۸۱ .
- (۴۲) کتال متزهتر ، ضفند لاثتریقک ...، ل ۶۱۸ .

- (۴۳) الاضبارة الشخصية، ورقة ترجمة الحال، ص ۴ .
- (۴۴) بعد انتهاء حركة بارزان عام ۱۹۴۵ بقيادة مصطفى البارزاني، لم تتدلج اي حركة مسلحة في جنوب كردستان الى يوم ۱۱ ايلول ۱۹۶۱ :للمزيد ينظر: حمزة عبدالله، ثورة بارزان، المثقف "مجلة"، العددان (۱۱. ۱۲)، اب . ايلول ۱۹۵۹، ص ۲۴۰ . ۲۴۵ ؛ عصمت شريف وانلي، كردستان العراقية . هوية وطنية . دراسة في ثورة ۱۹۶۱، ت.د.سعاد محمد خضر، ط(۱)، مطبعة شطآن، السليمانية، ۲۰۱۲، ص ۱۰۸ . ۱۱۱ .
- (۴۵) يُعد النضال الجماهيري بعد الحرب العالمية الثانية من احدى خصائص النضال السياسي لهذه الفترة، ومن ابرز هذه النشاطات الجماهيرية اضراب عمال شركة النفط (كاورباغي) في كركوك عام ۱۹۴۶ و الوثبة كانون الثاني عام ۱۹۴۸ في بغداد و مدن اخرى و انتفاضة عام ۱۹۵۲ و انتفاضة فلاحی الدزقي في أربيل عام ۱۹۵۳ و مواقف الجماهيرية ضد العدوان الثلاثي على مصر عام ۱۹۵۶ . للمزيد حول هذه النشاطات الجماهيرية ينظر : جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية ص ۱۴۹ . ۱۵۲ ؛ محمود القاضي، كانون الثاني شهر الجهاد الوطني، ط(۱)، بغداد، ۱۹۴۸، ص ۷۵.۶۶ ، ۸۰ . ۸۴ ؛ مةهدى محمدمد قادر، تيشهاته سياسييكانى كوردستاني عيراق ۱۹۴۵ . ۱۹۵۸ ، ض(۱)، لة بلاوكراوفكانى سةنتارى ليكولينتوى ستراتيگي كوردستان، سليمانى ، ۲۰۰۵، ل ۲۲۱ . ۲۲۶ ، ۳۲۳ . ۳۹۱ .
- (۴۶) الاضبارة الشخصية، ورقة ترجمة الحال، ص ۴ .
- (۴۷) للمزيد ينظر: جمال فتحولاً تتيب، كوية ۱۹۱۸ . ۱۹۵۸ . ليكولينتويكى ميذووبي سياسيي، ض(۲)، ضااخانةى شهاب، هتولير، ل ۱۹۹ . ۲۰۰ .
- (۴۸) الاضبارة الشخصية، ورقة ترجمة الحال، ص ۴ .
- (۴۹) عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية ، ط(۷)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ۱۹۸۸، ج(۹)، ص ۱۰۹ . ۱۱۰ .
- (۵۰) تاسست الجبهة الوطنية من (حزب الاحرار و حزب الوطني الديمقراطي) في ۲ نيسان ۱۹۵۴ ، وعلى رغم من عدم مشاركة حزب الديمقراطي الكردستاني في الجبهة الوطنية و لكن دخل الى هذه الجبهة سراً من خلال مرشحيه و مشاركتهم في الانتخابات. للمزيد ينظر . عبدالجبار عبد مصطفى، تجربة العمل الجبهوي في العراق ۱۹۲۱ . ۱۹۵۸، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ۱۹۸۷، ص ۲۳۱ . ۲۳۵ ؛ جعفر عباس حميدي، المصدر السابق، ص ۹۱ ؛ مةهدى محمدمد ، سقرضاوةى تيشول ۲۹۸ . ۳۰۰ .

- (٥١) حاكم مەلا سالح ، هەڵبجە لە ئامیزى میژودا،بەتړ (١)، ض(١)، ضاڅانەى مناره، ٢٠٠٤، ل. ٢٩٢.
- (٥٢) مقابلة مسجلة مع احمد بانخيلى، ٢٧/٩/٢٠٠٣ .
- (٥٣) حاكم مەلا سالح ، سترضاوى ئيشو، ٢٩٢ .
- (٥٤) هەمان سترضاوى، ٢٩٢ .
- (٥٥) صفاء الحافظ، يەكتمين كۆنترەى ئاشتىخوازانى عىراق، بىرى نوى"طۇطار"، ذ(٣٠٠)، تەموزى ١٩٧٨، ل. ٣.
- (٥٦) عبدالرحمن البياتي، سعيد قزاز ودوره في سياسة العراق حتى عام ١٩٥٨، ط(١)، بيروت، ٢٠٠١، ص ١٢٥ ؛ جعفر عباس حميدي، التطورات و الاتجاهات السياسية الداخلية ١٩٥٣ . ١٩٥٨، ط(١)، بغداد، ١٩٨٠، ص ١٠٥ .
- (٥٧) قيس الياسري، الصحافة العراقية و الحركة الوطنية من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٥٢ .
- (٥٨) المصدر نفسه، ص ١٥٢ .
- (٥٩) مەهدى محەمەد قادر، رۆلى كورد لە بزوتنەوى ئاشتىخوازان لە عىراقدا ١٩٥٠ . ١٩٦٣ .
- ض(١)، ضاڅانەى موكرىان، هەتولير، ٢٠١٤، ل. ١٠٧ .
- (٦٠) حاكم مەلا سالح ، سترضاوى ئيشو، ٣٣ .
- (٦١) متصرفية لواء السليمانية، الخزينة، رقم الوثيقة: ع/٤٧/٣٨٦ ، الموضوع :ايفاد الموظفين الى باكستان و الهند ، في ٢٣ / ١ / ١٩٥٧ .
- (٦٢) متصرفية لواء السليمانية، الخزينة، رقم الوثيقة: ع/٤٧/٥٩٤ ، الموضوع :أمر أداري ، في ٢٧ / ٣ / ١٩٥٧ .
- (٦٣) المملكة العراقية، الارادة الملكية ، رقم : ١٧٩ ، الموضوع :تعيين خالد النقشبندی متصرفاً على اربيل، في ٦ / ٤ / ١٩٥٧ .
- (٦٤) وزارة الداخلية، مديرية الامور الذاتية، رقم الوثيقة: ع/ ٨٠٥٧ ، الموضوع : امر الوزاري ، في ٢٠/٥/١٩٥٧ ؛ متصرفية لواء السليمانية، الخزينة، رقم الوثيقة: ع/٤٧/٥٩٤ ، الموضوع :أمر أداري ، في ٢٧ / ٣ / ١٩٥٧ .
- (٦٥) المملكة العراقية ، الارادة الملكية ، الموضوع : تكريم موظفي الدولة ، ٣ / ٤ / ١٩٥٧ . ضمن اضبارة خالد النقشبندی.

- (۶۶) للمزید ینظر : اسماعیل شکر ، أربیل . دراسة تأريخية في دورها الفكري والسياسي ۱۹۳۹ . ۱۹۵۸ ط(۲)، مطبعة بينايب، السليمانية، ۲۰۰۵، ص ۲۸۹ . ۳۲۴ .
- (۶۷) مقابلة مع ممتاز الحيدري ، في ۱۷ ايار ۲۰۱۶ .
- (۶۸) مديرية شرطة لواء السليمانية، رقم الوثيقة: ۶۰۳، الموضوع : مجلتين شيوعيتين و صورة فوتغرافية، في ۱۷/۷/۱۹۵۷، مأخوذ من : اسماعيل شکر ، المصدر السابق، ص ۳۴۴ .
- (۶۹) المصدر نفسه، ص ۳۴۳ .
- (۷۰) المصدر نفسه، ص ۳۴۳ .
- * هو اتحاد غير اندماجي كونفدرالي أعلن رسمياً في ۴ شباط ۱۹۵۸ بين المملكة العراقية و المملكة الاردنية الهاشمية ، وينص دستور الاتحاد أن ملك العراق هو رئيس الاتحاد ، بعد الاطاحة بالملكية في ۱۴ تموز ۱۹۵۸ ، أعلن رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم حل الاتحاد في ۱۶ تموز . للمزید ینظر: خالدة بلال صالح ، دور العراق و الاردن في السياسة العربية ۱۹۴۱ . ۱۹۵۸ ، رسالة ماجستير (غير منشور) مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ۱۹۸۷، ص ۲۲۰ . ۲۲۱ ؛ حول موقف الكرد من هذا الاتحاد ینظر: شیرزاد زکریا محمد، الاتحاد العربي الهاشمي ۱۹۵۸ و موقف الكورد في العراق منه، مکتبتين "مجلة"، ع(۱۲۸)، ايلول ۲۰۰۶، ص ۸۵ . ۸۶ .
- (۷۱) انظر موقف أربیل في : المصدر نفسه ، ص ۳۴۶ . ۳۴۸ .
- (۷۲) مهدي محمد قادر ، ثرقة تندنة ... ل ۴۱۱ .
- (۷۳) متصرفية لواء أربیل، التحريرات، رقم الوثيقة: ع/۱۲۱۳۱ ، الموضوع : احتساب الخدمة المضاعفة، ۱۹۵۷/۹/۱۰ .
- (۷۴) مقابلة مع سليم بطرس، ۲۰۱۶/۹/۳ .
- (۷۵) مجيد الخدوري، العراق الجمهوري، ط(۱)، بيروت، ۱۹۷۴، ص ۹۶ .
- (۷۶) كان الاتفاق قد تم بين الضباط الاحرار قبل الثورة على اعطاء صلاحيات رئاسة الجمهورية لمجلس السيادة ، تحقيقاً لمبدأ القيادة الجماعية ومنعاً لانفراد شخص واحد بالسلطة . نوری عبدالحميد العاني و علاء جاسم محمد الحربي، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ۱۹۵۸ . ۱۹۶۳، ج(۱)، ۱۴ تموز ۱۹۵۸ . ۷ شباط ۱۹۵۹، ط(۲)، بغداد، ۲۰۰۵، ص ۵۲ .
- (۷۷) من مواليد بغداد سنة ۱۹۰۴ وتخرج في المدرسة العسكرية و اتم تعلمه في لندن سنة ۱۹۲۷ و درس الأركان في مدرسة كويتا في الهند و تخرج منها سنة ۱۹۳۸، ونال عدة اوسمة ، ترقى الى رتبة فريق سنة ۱۹۵۷ . عندما قامت ثورة ۱۴ تموز ۱۹۵۸ كان يعمل سفيراً للعراق في المملكة

العربية السعودية وبعد نجاح الثورة وصل في ١٦ تموز ١٩٥٨ الى بغداد كرئيس مجلس السيادة .
توفي يوم الاثنين ٦ / ١ / 1965 و دفن في مقبرة الخيزان . المصدر نفسه ، ص ٥٣ .
(٧٨) ولد في سامراء سنة ١٩٠٠ وانتمى الى الحزب الوطني العراقي سنة ١٩٢٤ . اسهم في تأسيس
نادي المثني عام ١٩٣٥ ، ثم صار نائبا لرئيس النادي ثم رئيسا له . اعتقل ابان انتفاضة سنة
١٩٤١ و اشترك في تأسيس حزب الاستقلال واصبح رئيساً له وعرف بمعارضته للعهد الملكي و
توفي عام ١٩٨٤ . المصدر نفسه، ص ٥٣ .

(٧٩) PHEBE MARR, THIRD EDITION, THE
MODERN HISTORY OF IRAQ, P83 .

(٨٠) نوري عبد الحميد و علاء جاسم ، المصدر السابق ، ج(١) ، ص ٥٤ .
(٨١) المصدر نفسه، ص ٤٨ .
(٨٢) طارق ابراهيم شريف ، شخصيات تتذكر، ج١، اربيل، ١٩٩٨، ص ٧٣ . ٧٤ ؛ عبدالفتاح علي
البوتاني، المصدر السابق، ص ٦٠ .
(٨٣) جتمشيد حيدقري ، لاثرة بيروقراطية كانم ١٩٤٩ . ١٩٦٦ ، ضاخانهى
نازادى، هتولير، ٢٠١٤، ب(١)، ل٩١ ؛ نوري عبد الحميد و علاء جاسم ، المصدر السابق ، ج(١) ،
ص ٥٤ .

(٨٤) نوري عبد الحميد و علاء جاسم ، المصدر السابق ، ج(١) ، ص ٤٨ . ٤٩ .
(٨٥) المصدر نفسه، ص ٦٥ .
(٨٦) المصدر نفسه، ص ٦٤ .
(٨٧) عبدالفتاح علي، المصدر السابق، ص ١٣٣ .
(٨٨) بروانة دققي دقستوري كاتى لة : نوري عبد الحميد و علاء جاسم ، المصدر السابق ، ج(١) ، ص
١٩٦ . ١٩٨ .

** تأسس مجلس الاعمار في العراق عام ١٩٥٠ و شرع قانون المجلس من قبل مجلس النواب في
٢٥ ايار ١٩٥٠ بمقتراح من رئيس الوزراء توفيق السويدي، قدم هذا المجلس خدمات و مشاريع
للعراق . للمزيد ينظر: ابراهيم الحيدري، مجلس الاعمار و دوره الريادي في عملية التنمية في
العراق. شبكة الاقتصاديين العراقيين على الموقع الالكتروني. www.google.com
(٨٩) كان عدد الضباط (٤٤) ضابطاً بينهم ضباط برتب فريق ركن و زعيم (عميد) و عقيد و مقدم .
للمزيد من المعلومات انظر: المصدر نفسه، ص ٧٠ . ٧٢ .
(٩٠) للمزيد عن التفصيل ينظر : نوري عبد الحميد و علاء جاسم ، المصدر السابق ، ج(١) ، (٢) .

- (۹۱) ضمتند ویستطتیکی ذیانم، ض(۱)، ضاٹخانہی شهاب، هتولیر، ۲۰۱۲، ص ۳۷ .
- (۹۲) بروانہ : هتتاو، ذ(۱۳۸)، سالی (۵)، ۱۰، ثابی ۱۹۵۸، ص ۲۳ .
- (۹۳) اوریل دان ،المصدر نفسه، ص ۱۸۳ .
- (۹۴) الوقائع العراقية ، ۳ ایلول ۱۹۵۸، ص ۶۲ .
- (۹۵) للمزید عن التفاصيل ينظر: نوری عبدالحمید و علاء جاسم، المصدر السابق ، ج(۱)، ص ۳۰۸ . ۳۰۹ .
- (۹۶) نوری عبدالحمید و علاء جاسم ، المصدر السابق ، ج(۱)، ص ۳۱۰ . ۳۱۱ .
- (۹۷) بخصوص كیچیة عودته و الترحیب بة ، انظر : میظان عارف بادی، الحركة القومية الكوردية التحررية في كوردستان العراق ۱۹۵۸ . ۱۹۶۳ ، ط(۱)، مطبعة وزارة التربية، اربیل، ۲۰۰۵، ص ۶۰ . ۶۱ .
- (۹۸) نوری عبدالحمید و علاء جاسم ، المصدر السابق ، ج(۱)، ص ۳۱۱ .
- (۹۹) نصیر محمود شکر الجبوری، السياسة الخارجية العراقية في ضوء مقررات مجلس الوزراء ۱۹۵۸ . ۱۹۶۳، رسالة ماجستير (منشور)، كلية التربية، جامعة بغداد، ۲۰۰۴، ص ۷۳ .
- (۱۰۰) تألف اعضاء الوفد من كل من مدير الخطوط الجوية العراقية جاسم الشاهري، سكرتير وزير الدفاع جاسم العزاوي، و العقيد نعمان ماهر الكنعاني، والصحفي ابراهيم علي من جريدة الزمان، وفخري طاهر من وزارة الخارجية، و المصور عبوش . د.ك.و.ع، قرارات مجلس الوزراء العراقي لعام ۱۹۵۸، رقم قرار (۷)، في ۱۸/۱۰/۱۹۵۸ .
- (۱۰۱) الجمهورية"جريدة"، ۲۲ تشرين أول ۱۹۵۸ ، اوریل دان ، المصدر نفسه، ص ۱۰۴ . ۱۰۵ .
- (۱۰۲) نوری عبدالحمید و علاء جاسم ، المصدر السابق ، ج(۱)، ص ۳۸۳ .
- (۱۰۳) الجمهورية"جريدة"، ۲۶ تشرين أول ۱۹۵۸ .
- (۱۰۴) الجمهورية ، ۲۶ تشرين الاول ۱۹۵۸ .
- (۱۰۵) نوری عبدالحمید و علاء جاسم ، المصدر السابق ، ج(۱)، ص ۳۹۷ .
- (۱۰۶) عبدالفتاح علي، المصدر السابق، ص ۶۱ .
- (۱۰۷) اوریل دان، المصدر نفسه، ص ۶۳ ، شوان ، هتولیر لة ...، ل ۱۰۸ .
- (۱۰۸) عبدالفتاح علي، المصدر السابق، ص ۲۱۳ .
- (۱۰۹) المصدر نفسه، ص ۶۳ .
- (۱۱۰) المصدر نفسه ، ص ۲۱۵ .
- (۱۱۱) محسن دزقيی، المصدر السابق، ص ۱۲۶ . ۱۲۷ .

(۱۱۲) اوریل دان ، المصدر نفسه، ص ۱۸۱ .

(۱۱۳) للمزید عن مراسیم التشیع ینظر : العهد الجدید "جريدة"، ع(۲۷۹)، السنة الاولى، ۲۹ تشرين الثاني ۱۹۶۱ .

(۱۱۴) ولد فی کربوک سنة ۱۹۱۰، تخرج فی کلیة الحقوق سنة ۱۹۳۴، و صار مفتشاً عدلیاً، عین عضوا فی محكمة التمییز فی ۲۷ ای ۱۹۵۸ ورئیساً للجنة التطهیر العلیا فضلاً عن وظيفته. انظر: الاخبار "جريدة"، ع(۵۸۷۷)، ۲۸ كانون الاول ۱۹۶۱ ، عبدالفتاح علي، المصدر السابق، ص ۶۲ .

(۱۱۵) اوریل دان ،المصدر نفسه، ص ۴۰۴ .

**فن التزجيج في تجميل الواجهات
الجدارية في العراق القديم**

أ.م. د. عبد الرحيم حنون عطية

أ.م. أثير احمد حسين

جامعة ميسان/ كلية التربية - قسم التأريخ

فن التزجيج في تجميل الواجهات الجدارية في العراق القديم

أ.م. د. عبد الرحيم حنون عطية

أ. م. أثير احمد حسين

المخلص:

يُعد فن التزجيج للرسم متعدد الالوان في العمارة ظاهرة جمالية ابداعية تميز بها العراق القديم لتجميل وزخرفة واجهات الابنية من خلال ما كُشِفَ عنه من نماذج جميلة تعود بداياتها الى الالف الاول ق.م كالسيكاتو (تعليقات جدارية) والاورثوستات الآجرية واللوحات الجدارية والطنف والافاريز التي تزين اقواس المداخل وغيرها.

Abstract :

The art of the glaze to paint multicolored in architecture, considered as aesthetic phenomenon of creative in ancient Iraq, to decoration facades of the building, through the discovering of the beautiful models date back to the first millennium B.C as sikkatu (plaques) and backed brick orthostat and wall panels, tableaux, also the friezes and cornices that adorn the arches doorways and others.

المقدمة :

عَبَّرَ الفنان والمعمار العراقي القديم عن نظرتِه الابداعية والجمالية في تزيين وتجميل الواجهات الجدارية بطرق حيوية خلّاقة بعيدا عن النمطية والرتابة، أذ استعمل المنحوتات الجدارية والرسم الجداري وتماثيل الثيران المجنحة والكثير من العناصر المعمارية والتشكيلية كانشاف الاعمدة وغيرها الكثير ومنها ايضا استعماله فن التزجيج بالوان زاهية عدة لاضفاء الابهار والاشراق لرسم المشاهد والعناصر الفنية كاللوحات الجدارية والافاريز او الطنف والاورثوستات الآجرية او نماذج عمارية كالسيكاتو (تعليقات جدارية مزينة بالرسم الملون التي تعد ابسط صور التزجيج وبداياتها في العمارة)، لاعطاءها البريق واللمعان من جهة وللحفاظ عليها وعلى اقسام الجدار من

خلالها من التأثيرات المناخية ولاسيما الرطوبة، وقد كُشِفَ عن نماذج كثيرة لهذا الفن الجميل ولاسيما في العصرين الاشوري الوسيط والحديث والعصر البابلي الحديث ولاسيما ما ازدانت به مدينة بابل العاصمة الكلدانية في عصر الملك نبوخذنصر الثاني من مساحات جدارية كبيرة مزججة بالوان زاهية براقه مزينة بلوحات جميلة ولاسيما المشاهد الحيوانية المتنوعة.

اهمية البحث :

يُعد هذا البحث المتواضع ذو خصوصية واهمية لندرة البحوث المكتوبة باللغة العربية في هذا المجال العماري، ليكون بدوره اساس بسيط لمباحث اخرى في العديد من التفاصيل التي تناولها للتوسع فيها من خلال دراسات مقارنة فنية عمارية تاريخية .

التزجيج بين التسمية والمعنى والاشارات التاريخية:

يعد التزجيج من اهم المظاهر الفنية الجمالية والعمارية في تاريخ عمارة العراق القديم ولاسيما في العصرين الاشوري الوسيط والحديث والعصر البابلي الحديث، التي ترجع في اصولها الى عصور اقدم من خلال استعمال التزجيج في الفخار أي الخزف او السيراميك^(١)، وجاءت كلمة التزجيج من استعمال عجينة او سائل الزجاج للطلاء، ولاسيما من نوع التزجيج الرصاصي ذو المظهر اللامع والصلب المستعمل في العراق القديم والذي يختلف عن النوع القلوي المستعمل في مصر القديمة^(٢)، وهي مزج مواد(خامات) ومعادن معينة، حامضية وقاعدية، ولاسيما رمال السليكا والكوارتز البلوري، ذات خاصية الشفافية والصلابة، والبوتاس، الصودا والرصاص فضلا عن رماد النباتات، بعد تسخينها بدرجات حرارة تكفي لانصهارها وصولا لحالة بيئية بين السائل والصلب غير المتبلور بعد جفافها، أي حالة عجينية تسمى بالفرن (firt) لاستعمالات التشكيل الزجاجي، ووصولا الى الحالة الرائبة في عملية الطلاء التزجيجي، لتعكس البريق واللمعان عند تسليط الضوء عليها، فضلا عن انها مانع جيد للماء، مع استعمال التلوين بشكل عام في السطوح المزججة من خلال الاكاسيد المعدنية^(٣)، وتعد المينا مفردة مرادفة للتزجيج ذات شفافية عديمة اللون، ربما جاءت تسميتها من كلمة

الالومينا، وهو اوكسيد الالمنيوم والمستعمل في تحسين الخامة التزجيجية ومن اهم عناصرها لاعطائها نوع من الصلابة بمنعها من السيلان فضلاعن فوائد اخرى^(٤)، وقد استعملت الكلمتين glaze و enamel بالانكليزية لمعنى التزجيج والمينا وهي تعني ذات المعنى للإشارة الى الطلاء الزجاجي ذو البريق واللمعان بالالوان او بدونها.

استعملت عدة مفردات باللغة السومرية والبابلية للدلالة على التزجيج الملون او الطلاء اللامع ومنها مفردة še-gin' (شي-كين)^(٥)، ويقابلها في اللغة البابلية šimtu او šindu (شيمتو، شيندو) ومن معانيها الصبغ و الطلاء اللامع^(٦)، لكن الإشارة لها للتزجيج ولاسيما على الآجر نادرة جداً، الا ان هناك مفردة كانت لها دلالات واضحة عن التزجيج الآجري ولاسيما في الواجهات البنائية او على الآجر بشكل عام وهي Na4 السومرية التي يقابلها في البابلية كلمة abnu وتعني الحجر الطبيعي الملون، حجر خاص مطلي او زجاج ولاسيما في حالته السائلة^(٧)، وقد استعملت هذه المفردة السومرية Na4 ومرادفتها البابلية abnu مع كلمة الآجر البابلية agurru، مع ملاحظة الشبه بين المفردة البابلية والعربية للآجر، للدلالة على التزجيج من خلال اشارات كتابية عدة، منها للملك الآشوري تجلات بلسر الاول(١١١٥-١٠٧٧ ق.م) الذي يشير الى اكماله لبناء القصر الذي بدأ ببنائه والده اشور-ريش-ايشي وقد رفع جدرانه وابراجته مع واجهات من الآجر المزجج باللون الاويسيدي(الاسود اللامع) ولون اللازورد ولون حجر بابارديلو(الاصفر) وبلون حجر الباروتو(الابيض)^(٨)، وكذلك يشير الملك اشور ناصر بال الثاني(٨٨٣-٨٥٩ ق.م) بنفس هذه الصيغة، من خلال نص مدون على مسلة وجدت عند مدخل قصره الشمالي الغربي في مدينة نمرود(كالح)، التي تعرف بمسلة المأدبة او الوليمة(Banquet Stela)، الى انه قد زين مداخل اجنحة قصره بالآجر المزجج الازرق الذي وضعه فوق البوابات^(٩)، وقد اشار الملك الاشوري سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م) بنص يسرد فيه((الى الاله آشور، سنحاريب ملك بلاد آشور، طنف(اسكفات او ازارات) جدار معبد أي شارا بقطع الآجر المزجج اصبح اكثر جمالا))^(١٠)، وكذلك إشارة هذا الملك عندما يتفاخر ببناء قصره كيف انه زين

طنف(اسكفات) وازارات غرف البراكو (barakku) بالآجر المزجج بلون حجر الكا(KA) ولون اللازورد (الاخضر المزرق)^(١١)، مع اشارات كثيرة بهذه الصيغ لهذا الملك الاشوري الكبير، وقد اشار الملك الاشوري اسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) الى اعادته لبناء معبد اكيثو الخاص بالالهة عشتار في نينوى وجعله مضيئاً بالاجر المزجج باللون الاحمر والازرق^(١٢)، وبنفس الصيغ تقريباً يشير الملك الاشوري اشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م) باحاطة افاريز وطنف جدران معبد الاله سين بالآجر المزجج الازرق او لون اللازورد^(١٣)، فضلاً عن اشارات نصية اخرى حول هذه المفردة^(١٤).

ارتبطت كذلك مفردة abnu مع مفردة ellu ومن معانيها اللامع او البراق التي تفيد للتزجيج^(١٥)، ومنها اشارات للملك الاشوري سرجون الثاني والملك اسرحدون ببناء معبد ومصليات الالهة عشتار بالآجر المزجج البراق^(١٦)، ومن الاشارات التاريخية المهمة لهذه المفردتين برفقة كلمة الآجر، ما سطره الملك البابلي نبوخذنصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م) عن بنائه لزقورة بابل الايتمأنكي من اسفلها الى قمته بالآجر المزجج البراق^(١٧)، مع اشارة اخرى له عن بنائه لمدخلي السورين ايمكور ونيمتي انليل بعد رفعهما عن مستوى الماء باساس من الاجر وملاط القار وجدران بالآجر المزجج البراق التي نحت فوقها اشكال الثيران والتنانين الافعوانية^(١٨)، واشارات عدة من هذا القبيل لهذا الملك.

استعملت مفردة اخرى للدلالة على التزجيج وهي بصيغة شخاطو او شخاتو (šahātu) باشارات عدة^(١٩)، ومنها اشارة لرسالة تنص ترجمتها ((نحن اكملنا سور المدينة ونحن مشغولون بجمع الرجال من اجل جمع القش الذي اعطانا اياه الملك في هالاهو (halhhu)، الرجال يعملون في الخندق بعدد ١٢٥ بأشراف مسؤول واحد، لم يستلموا حصتهم من القش ولاهم جلبوا ذلك من هالاهو في سبيل اكمال عملهم من اجل تزجيج الآجر غدا وهو العمل الذي اوصى به الملك))^(٢٠)، وهنا لا نعرف هل القش المذكور حصة من اجل الوقود او ضمن عملية تركيب العملية التزجيجية، فضلاً عن ذلك هناك مفردات اخرى استعملت للاشارة الى التزجيج مثل مفردة زاكيندورو

(zaginduru) التي تفيد معنى حجر اللازورد الازرق المخضر او الاشارة الى أي مادة تزجج باللون الاخضر^(٢١)، او كما يشير بعض الباحثين ان هذه المفردة تعني الارضية المزججة للواجهة الجدارية التي يرسم او تصور عليها مشاهد اخرى وهذا ماكشِفَ عن بعض القطع او البقايا منها في الغرفة ب من القصر الشمالي الغربي للملك اشور ناصر بال الثاني^(٢٢)، وقد عنت كذلك مفردة اخرى عن اللون او التزجيج الملون وهي كلمة صورو (šurru)^(٢٣)، اما اجمل المفردات التي قصد بها الزجاج والتزجيج في بعض الاشارات هي كلمة زكاکاتو (zakakatu)^(٢٤)، وهنا نرى الشبه الكبير بين هذه المفردة والكلمة العربية الزجاج، وسنرى لاحقا استعمال كلمة قريبة الشبه بين الاثنين وردت في نص مهم يتناول التركيب الكيميائي وتقنية صنع السائل الزجاجي.

نص تاريخي من العصر البابلي الوسيط عن تقنية التزجيج في العراق القديم.

تميزت النصوص الكيميائية او التقنية في هذا المجال بندرتها وغموضها في بعض الاحيان كونها تعد كتابة لمهنة مهمة ويجب المحافظة على اسرارها من قبل كاتبها، ومنها نص من العصر البابلي الوسيط ذو اهمية كبيرة ومميزة بالرغم من غموض بعض فقراته وتلف البعض الاخر^(٢٥)، ويعد هذا النص اكثر غموضا من النصوص الاخرى المشابهة في الموضوع ولاسيما من القرن السابع ق.م، أذ يتكون هذا النص من ثلاثة واربعون سطر كتابي، على قطعة من الآجر بابعاد ٨×٣،٥سم^(٢٦)، ولاهميته ارتأينا توضيح بعض من تفاصيله وان كانت بشكل بسيط، مع استعراض اراء بعض الباحثين الاخرين من خلال الدراسة المقارنة لمحتوى بعض النصوص الاخرى لتعريف بعض المفردات البابلية الغامضة.

يستعرض الكاتب في هذا النص الاساليب التقنية لعملية تلوين التزجيج واهم المكونات الخاصة للتركيب الكيميائية، مع نسبها او مقاديرها بمقياس المينا (٦٠ شيقل) والشيقل، وهما شكل من اشكال المعايير (مكيال) العراقية القديمة، مع عملية مزجها، تسخينها، تبريدها وطحنها لانتاج ثلاثة انواع من التزجيج العجين، السائل والمسحوق،

والتنوع باللون ودرجة البريق وذلك من خلال اختلاف المقادير لكل مكون او مادة مع اختلاف درجة التسخين او تكرارها، فضلا عن شرح انتاج الطين المزجج والملون ولاسيما باللون الزنجاري(الصدأ) الاخضر من خلال نفعه بمحلول الخل(حامض) والنحاس لمدة ثلاثة ايام^(٢٧)، وان كانت هذه التقنية تخص عملية التزجيج للفخار او الخزف لكنها توضح بعض العلامات المهمة التي نجهلها في العربية.

يرد في هذا النص ثلاث صيغ لانتاج انواع من التزجيج منها السائل، المسحوق والعجيني او الصمغي مع اختلاف درجة اللون والبريق من خلال اختلاف مسميات هذا المنتج، أذ تتشابه الصيغتين الاولى بنوع المواد او المركبات لكنها تختلف بمقدار النسب فيما بينها بعد خلطها وتسخينها لتنتج نوعاً من التزجيج يسمى بالنحاس الرصاصي(بشكل من لون اخضر) والنوع الثاني يسمى بالنحاس الاكدي(بلون اخضر ربما اكثر بريقا من السابق)^(٢٨)، اما الصيغة الثالثة هي نتاج لمزج الصيغتين السابقتين بنسب متساوية ليخرج الناتج الزجاجي بلون المرمر(ربما الرصاصي او الابيض البراق)^(٢٩). وفيما يلي ترجمة للصيغة الاولى والثانية كنموذج لهذا النص ولاسيما الاسطر الست الاولى ((الى ١ مينا من الزجاج(zuku)، (انت يجب ان تضيف)، ١٠ شيقل من الرصاص، ١٥ شيقل من النحاس، نصف شيقل من الملح الصخري، نصف شيقل من الكلس، (انت يجب ان) تضعها في الفرن وتخرجها نحاس الرصاص))((الى ١ مينا من الزجاج(zuku)،(انت يجب ان تضيف)، ١٠ شيقل من الرصاص، ١٤ شيقل من النحاس، ٢ شيقل من الكلس، ١ شيقل من الملح الصخري، (انت تضعها) في الفرن وتخرجها نحاس اكدي))^(٣٠)، ويرد في هذا النص المفردة البابلية زوكو(zuku) لتعبر عن الزجاج، مع قرب الشبه اللفظي بين المفردتين العربية والبابلية، التي تسبقها عند قراءة النص البابلي كلمة abna او aban^(٣١)، التي اشرنا لها اعلاه كمفردة مهمة تاريخية لعملية التزجيج.

يشير بعض الباحثين الى ورود مفردة آخوصو (ahussu) في بعض النصوص اللاحقة وهي بمعنى غير معروف فضلا عن كميات غير معلومة من الرمل^(٣٢)، وهذا

مايشير اليه بعض الباحثين عن مدى صعوبة تفسير معنى مفردات النصوص الكيميائية، من خلال الاشارة الى ان معنى كلمة خوصو الواردة في نصوص التزجيج ربما تكون سيلكات الصوديوم غير النقية او الالومينا وذلك من خلال الدراسة المقارنة لبعض النصوص المتأخرة، التي تساعد هذه المادة في عملية التزجيج بدرجات حرارة واطئة، مع استعمال الرمل بنسب عالية كونه يحتوي على الالومينا والقليل من البوتاس^(٣٣)، فضلا عن استعمال درجات حرارية مختلفة لانتاج درجات مختلفة من البريق واللمعان اللوني، بداية من ٨٠٠-١٠٠٠ درجة مئوية ولغاية ١٢٠٠ درجة مئوية^(٣٤). وقد اشار بعض الباحثين الى وجود مكونين رئيسين في عمل التركيبة التزجيجية وهما ايماناكو (immanakku) ويقصد به المعدن او الخامات ومنها الحصى الكوارتزيتية الذي يجمع من قاع النهر ليتم سحقها كمصدر للسليكا، والمكون الاخر هو الآخوصو (ahussu)، وارد الذكر اعلاه، مشيرا الى ان المقصود به هو رماد النبات والذي يعد من القلويات التي تدخل في عملية التزجيج^(٣٥)، وربما تكون كلمة آخوصو، اذا جاز لنا التعبير هي ذات كلمة الخوص في اللغة العربية التي تعني سعف النخيل.

زينة الواجهات بالحليات العمارية المزججة السيكاتو ((sikkatu))^(٣٦).

شهد الجانب الفني والحس الجمالي في العراق القديم ولاسيما في العمارة نزوعا متقدما ومتفردا بابرار القيم الجمالية والتوافق بين قوة الجمال وقوة البناء وفي كل مجالات التشكيلات الجمالية منها الزخرفية ومنها الهندسية (التصميمية) والعناصر العمارية، وبصرف النظر عن البعد الروحي والديني للانجاز ولابداع الفني والرمزية الالهية التي ساهمت في خلق الرؤية الفنية الا اننا نلمس وبشكل واضح من خلال التنوع والتفرد في هذا الجانب السعي الواضح من قبل العراقي القديم لاطهار القيمة الجمالية والرؤية الفنية لاغلب نتاجاته ولاسيما في العمارة، ومنها تجميل وزخرفة واجهات الابنية الدينية منها والدينيوية فضلا عن مداخل واسوار المدن وبكل الطرق والاساليب المتاحة لعكس او معالجة وحشة المنظور وبهات اللون لمادة اللبن وهي المادة الرئيسية للبناء ولاسيما في جنوب العراق القديم.

يعد استعمال التزجيج في زخرفة وتزيين الواجهات الجدارية كلوحات فنية كبيرة اسلوب فني راقي واحد الاساليب المهمة لهذا الجانب ولاسيما في العصر الاشوري والبابلي الحديث، مروراً بمراحل اولى استعمل فيها التزجيج لتجميل حليات عمارة صغيرة يتم غرزها في الجدران، ولاسيما جدران القصور والمعابد، او تثبيتها باوتاد او مسامير رسمت عليها اشكال فنية غالباً ما تكون نباتية او زهرية ومنها ماتحمل شارات او اشكال هندسية مع وجود اسطر كتابية عليها بعض الاحيان^(٣٧)، وفكرة هذه المغروزات او الحليات العمارة المثبتة في الجدران، او اذا جاز لي التعبير التعليقات الجدارية، التي تسمى بالسيكاتو (sikkatu) كانت لها جذور قديمة تعود الى عصر الوركاء القديم وذلك باستعمال المخاريط الفسيفسائية الملونة وغرزها في الطبقة الطينية التي تغطي واجهة الجدران وكذلك اللوحات النذرية المنقوبة من الوسط لتعليقها على الجدران منذ العصر السومري القديم، فضلاً عن المغروزات الجميلة التي كُشِفَتْ في بقايا المعبد البيضوي في موقع تل العبيد من فترة عصر فجر السلاطات الثالث ب، وهي مسامير طينية برؤوس على شكل الزهور او الوريدات بوريقات سباعية وثمانية من الحجر المرمرى والفخار الملون بالابيض والوردي والاسود(القيبر) مثبتة بالقيبر وهي تزين واجهة المعبد^(٣٨)، الا ان السيكاتو لم يوثق باشارات كتابية للملوك الا منذ العصر الاشوري الوسيط ولاسيما في نهاياته بالرغم من وجود دلائل اثارية لنماذج منه قبل هذه الفترة التاريخية^(٣٩)، وقد مهد استعمال السيكاتو المزجج الى استعمال اسلوب التزجيج في لوحات جدارية بمشاهد فنية مرسومة وبابعاد كبيرة على الآجر او الحجر، لتجعل من واجهات الابنية بانوراما جميلة براقعة لابهار الجميع.

اقترن السيكاتو اغلب الاحيان في الاشارات الكتابية الملكية مع الافاريز(الاطر السفلى او العليا من الواجهات الجدارية وكذلك اطر الاقواس التي تعلو المداخل) التي تسمى (nebeḥu) نيبخو^(٤٠)، والطنف (الاسكفات او الازارات) التي تسمى السيلو (sillu)^(٤١)، اذ ان هناك المزجج منها تلك التي تقتن مع كلمة الآجر (agurru) او مع كلمة التزجيج (abnu)، ومع الالوان التي يتم اقباسها او الاشارة لها عن طريق

الإشارة إلى بعض الأحجار الكريمة منها أو الطبيعية التي لها ألوان براقية أو زاهية كالحجر الأوبسيدي واللازورد أي الأسود اللامع والأخضر المزرق في أغلب الأحيان، وهناك السيكاو العادي الطيني أو الآجري ومن الأحجار الكريمة (تعليقات) وغير ذلك، الذي يتم غرزه في هذه الأماكن من واجهة الجدار لكن دون تزجيج، ومنها السيكاو المعدني كالذهب والفضة وغيرها دون اقترانه مع كلمة الحجر فلا يقصد بهذا سيكاو مزجج كما يشير إلى ذلك بعض الباحثين^(٤٢)، ومن الإشارات التاريخية عن السيكاو إشارة الملك سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق.م) إلى تثبيت أو غرز الحليات المعمارية (السيكاو) من الحجر المزجج لعمل أفاريز (أزارات أو أطارات) حول الأبراج والأركان (للمعبد)^(٤٣)، فضلا عن إشارة أخرى تفصيلية لهذا الملك عن استعمال السيكاو في معبد آشور بمدينة آشور سنذكرها لاحقا عند تناولنا اللوحات الجدارية المرسومة والمزججة.

يشير بعض الباحثين في توضيح شكل السيكاو وتطوره من خلال بعض النماذج الفنية المكتشفة لهذا العنصر العماري التجميلي في مدينة آشور ونيوى، بأنه هي حلية جدارية برأس يشبه شكل مقبض الباب الدائري، وعنق تم تشذيبه نحو الداخل ليكون مستدقا قليلا ينتهي بقدم أو قاعدة وهي حلقة مستديرة أو أكثر من حلقة متتالية التي عندها يتم غرز هذا السيكاو من خلال ساق متصل بالحلقة أو القدم بالجدار أو الطبقة الطينية التي تغلف الجدار وهذا هو النوع المغروز، إذ يتم فيه تزجيج الراس) الذي يشبه المقبض المدور (للأبواب) والعنق والقاعدة الحلقية أو القرص الدائري ويترك الساق المغروز في الجدار دون تزجيج، وعند استعمال هذه الحليات دون ساق للغرز يستعمل وتد خشبي لتثبيتها في الجدار من خلال الثقب الموجود في الراس المقبضي والعنق وحتى القاعدة الحلقية ويتم تثبيت السيكاو في الوتد بإحكام من خلال مسمار معدني يغرز من الرقبة نحو الوتد الخشبي، وفي تطور لاحق ولاسيما في القرن التاسع ق.م أزيلت ساق التثبيت أو الغرز وتصغير المسافة ما بين الراس والعنق مع تجويفهما المتقوب، لتصبح القاعدة التي كانت أما بشكل قرص دائري أو بشكل مضلع، بعد ذلك هي الجزء الرئيس من التزيين والزخرفة من خلال زيادة حجمها قياسا للرأس والعنق،

ومن ثم تثبيتها بالجدار من خلال الاوتاد، وقد أُطلقَ عليها تسمية حلية الصحن او الطبق ذو الرأس المقبضي (knob plate)^(٤٤)، التي كشف عن قطع مكسورة لبعض من نماذجها في مدينة اشور ونمرود وغيرها من المدن الاشورية ولاسيما ضمن الفترة المتأخرة من العصر الاشوري الوسيط، ومنها بعض القطع لهذه التعليقات الجدارية في معبد وقصر مدينة كار توكولتي نورتا (تلول العقر) في تنقيبات سنة ١٩٨٦م^(٤٥)، والعديد من هذه النماذج من القرن التاسع ق.م، والمحفوظة قسم منها في المتحف البريطاني، أذ استُعملت كزينة للجدران بتعليقها او غرزها^(٤٦).

اشار الاستاذ لايارد، المكتشف الاول لبعض من نماذجها من منطقة بعشيقه (قرب نينوى) والتعليق او الاشارة لها بانها قطع مزججة من غطاء لائن او صحن^(٤٧)، وذلك ربما قبل التعرف الى الغرض الرئيس منها وبدلالة الراس المقبضي لها الذي يوحي بانه العنصر الذي يتم المسك به كاغطية الآنية في الوقت الحاضر، وقد اعيد تركيب قطع احدى النماذج وهي بشكل مضلع ذو جوانب منحنية الى الداخل، من الطين المفخور المزجج، من عهد الملك اشور ناصر بال الثاني، كشفت في معبد كيدموري في مدينة نمرود (كالح - قرب مدينة نينوى)، رسم عليها رمز لنخيلات بسعفها المتدلي على الجوانب او على الاصح سعفات النخيل السباعية المميزة بشارات هندسية على شكل راس السهم بالابيض والاسود، وقد اطلق عليها الباحثين تسمية الشارات العسكرية لقرب شبهها برتبة الجنود التي تعد من العناصر الزخرفية المهمة والشائعة في الفن الاشوري، واشكال اخرى نباتية، زهرية وهندسية، باللون الاسود والاصفر الشاحب على ارضية بيضاء، وهي الالوان والعناصر الزخرفية ذاتها تقريبا المستعملة في اغلب النماذج من هذا النوع، ويرى بعض الباحثين الى وجود ربما غرض ثان منها، هو حماية الجدار من الامطار ولاسيما في الشتاء عند تثبيتها كستار او واقى اعلى الجدران^(٤٨). (شكل-١)

كُثِّفَتْ كذلك عن بعض القطع والنماذج لهذا السيكاو او الصحن المقبضية في مدينة اشور، من قصر الملك الاشوري اشور ناصر بال الثاني الذي تقع خرائبه مقابل

الجانب الجنوبي الغربي من الزقورة^(٤٩)، وقد اشار بعض الباحثين عن تفاصيل جميلة لهذا العنصر الزخرفي ونشر صورة عن اثار بقاياها على جدار احدى قاعات القصر، أذ اطلق عليه تسمية بلاط الجدران ذو القبضة للمسك اليدوي، او الخزف البنائي الملون والمزجج، بزخارف نباتية مع اشربة كتابية، المستعمل لتزيين افاريز او اطارات زخرفية للجدران ولاسيما بارتفاعات قليلة عن الارضية، من خلال تثبيتها باوتاد خشبية بمسافات قياسية ما بين ٧٦-٨٧سم تفصل الواحدة عن الاخرى، فضلا عن الاوتاد الخشبية يتم تثبيتها ايضا بمادة ملاطية ولاسيما الجص وذلك لحمايتها من السقوط في حال تعفن او احتراق الاوتاد الخشبية^(٥٠)، (شكل-٢)، فضلا عن ذلك فقد اصبح شكل السيكانو ولاسيما الطبقي منه احد النماذج الزخرفية المهمة التي زينت مشاهد الرسوم الجدارية الملونة للقصور، كما نلاحظها، ولاسيما القصر الشمالي الغربي للملك اشور ناصر بال الثاني في نمرود وقصر تل بارسيب وغيرها^(٥١). ومن الجدير بالذكر ان الملك اشور ناصر بال الثاني قد اولى اهتمامه الكبير بالمنحوتات الحجرية الجدارية لتزيين واجهات الجدران الخارجية والداخلية لعماثه لكن ذلك لم يمنعه من استعمال التزجيج في تجميل الواجهات وان كان بشكل اقل وابسط.

اللوحات الآجرية المزججة (orthostat).

تداول الباحثين في الآثار مصطلح الاورثوستات اشارة الى القطع الفنية (الالواح) المنحوتة منها على الحجر او المرسومة على الآجر ومنها المزجج، لتوضع بشكل مستقل لصقا ببعض الاقسام من الواجهات الجدارية ولاسيما القسم الاسفل منها، ومنها ما يعرف بالمنحوتات الجدارية الاشورية، ومنها استعمال قطع الآجر المرسوم والمزجج، وان كان بمستوى اقل الا انها تصور ايضا المشاهد الملكية التي لا تختلف كثيرا عن مشاهد المنحوتات الجدارية البارزة، فضلا عن ذلك استعمال العناصر الزخرفية الاخرى النباتية منها والهندسية زيادة في التجميل والتزييق كاطارات سفلية وعلوية بشكل الضفائر او الخطوط المجدولة، وربما كانت مثل هذه النماذج الآجرية تغطي اقسام خاصة من واجهات جدران غرف العرش او قاعات الاستقبال والساحات او مصليات

الالهة في المعابد الرئيسية، وكذلك المداخل الخارجية التي يتم من خلالها تزيين جوانب هذه المداخل من خلال اقامة مثل هذه الالواح الآجرية على دكاك مستقلة، ومن هذه الالواح ماكانت تزين معبد عشتار في نينوى التي تعود الى القرن التاسع ق.م^(٥٢).

تعود احدى هذه النماذج الجميلة وهي لوحة من الآجر للملك الاشوري توكولتي ننورتا الثاني (٨٩٠-٨٨٤ ق.م)^(٥٣)، محفوظة في المتحف البريطاني، التي تعد من اقدم اللوحات الآجرية المزججة بمشهد فني مرسوم التي تعود الى العصر الاشوري الحديث ضمن القرن التاسع ق.م^(٥٤)، أذ وجدت في معبد انو- ادد بالقرب من الركن الشرقي لزقورة الاله ادد في مدينة اشور، فوق تبليط يعود للملك شلمنصر الثالث، أي انها منقولة من محلها الاصلي، والذي يعتقد بعض الباحثين بانها اقيمت عند احد جدران قصر الملك توكولتي ننورتا الثاني، وقد تضررت بفقدان قسم منها ولاسيما الزاوية اليمنى العلوية والزاوية اليسرى السفلية، وهي بأبعاد ٦٦,٥ × ٤٦,٥ × ٦,٥ سم^(٥٥).

تصور هذه اللوحة (شكل-١٣) الملك مرتديا ثوبا مزينا بازهار الربيع (البيبون)، وهو يقود عربته الحربية ماسكا بيديه الاثنتين لجام الفرس ومسك السوط بيده اليمنى ايضا تاركا الصولجان الملكي خلفه في المكان المخصص له في العربة، مع اطار علوي وسفلي مزين بشارات تشبه الشارات العسكرية، المارة ذكرها اعلاه، هندسية الشكل، وقد استعمل اللون الغامق في تحديد الخطوط الخارجية للمشهد الملون باللون الابيض والاسود والاصفر الفاتح على ارضية باللون الازرق الفاتح^(٥٦)، مع وجود شريط كتابي بالخط المسماري من ثلاثة اسطر ترجمتها ((قصر الملك توكولتي ننورتا الثاني)، الملك القوي ملك العالم ملك بلاد اشور، ابن الملك القوي ادد نيراري (الثاني) ملك العالم، ابن الملك اشور دان (الثاني) الملك القوي ملك بلاد اشور))^(٥٧). وهناك قطعة من لوحة آجرية مزججة تعود لهذا الملك ايضا من مدينة اشور^(٥٨)، وهي تصور مشهدا مشابه جدا للوحة السابقة باغلب تفاصيلها ماعدا وجود بعض الزخارف الثانوية ومشهد للاله اشور المجنح بجناحين كبيرين وهو داخل قرص الشمس الناري المشع، التي تخرج هذه الاشعة النارية من محيط القرص، يحمل قوسا بيديه مستعدا لرمي السهام في حالة من

حالات الهجوم في المعارك وهو يرفرف فوق العربة الملكية التي يقودها الملك راعيا له^(٥٩)، مساندا ومباركا له شرعية الحرب (شكل - ٣).

كُشِفَ عن قطعة او لوحة آجرية من مدينة نمرود بقياس ٣٠×٢٢ سم^(٦٠)، (شكل - ٣ ج) وهي محفوظة في المتحف البريطاني، تصور مشهدا بالرسم الملون والمزجج لشخصية ملكية يحتمل انها تمثل الملك اشور ناصر بال الثاني، لفقدان الجزء الاكبر من النص الكتابي في اعلاها، وربما كانت قطعة من عدة قطع اخرى او متضررة بفقدان جوانبها بدلالة سياق المشهد المبتور من الاطراف بوجود بقايا لتصوير غير مكتمل ولاسيما عند الجانب الايسر، أذ يمثل المشهد الرئيس الموجود الملك المحارب المنتصر وهو يحمل بيده اليمنى القوس المستند على اخمص قدمه ويحمل باليد اليسرى كوبا او اناء فيه الخمر لسكبه كطقس ديني، او باحتمال كبير لشربه فخرا بالنصر والاحتفال به^(٦١)، وهذه الوضعية او الوقفة الملكية المنتصرة نراها في كل النماذج الفنية الاشورية المصورة، ويتبع هذا الملك حارسه الخاص المسلح بالقوس وجندي اخر الى الراء، ويقف امام الملك تابع اخر يحمل له المنشف وهم يرتدون الثياب الرسمية المطرزة بازهار الربيع (البيون) واقفين جميعا تحت مضلة كبيرة بحافة مشرشفة، مع اطار سفلي لهذا المشهد وهو يمثل الارضية هي اطار هي ظفيرة مع دوائر او نقاط كبيرة وسطية سوداء، وقد أطر نفس هذا الشريط الجانب الرأسي او الحافة العليا من هذه القطعة الآجرية، وهذا دليل على ارتفاعها الاصلي، علما ان هذه الضفيرة، وهي شريطين مبرومة مكونة حلقات دائرية بنقاط مركزية كبيرة غالبا ماتكون سوداء، هي من العناصر الزخرفية الاشورية المميزة في القرن التاسع ق.م^(٦٢)، وقد استعملت الالوان فضلا عن الاسود، اللون الاصفر كارضية او خلفية للمشهد وكذلك اللون الاخضر الذي يحتمل ان يكون في الاصل هو اللون الاحمر^(٦٣)، وقد تغير عبر الزمن للظروف المناخية. وفضلا عن هذه القطعة فقد كُشِفَ عن عدة اقسام من قطع آجرية مزججة يغطي اسطحها بالكامل جزء من عنصر الضفيرة الزخرفي وبشكل كبير

دلالة على حجم القطعة الآجرية الاصلية ومنها جزء من قطعة بابعاد ١٨×١٨×٢٠سم وغيرها الكثير^(٦٤).

عُثِرَ كذلك في مدينة نمرود ضمن التنقيبات الاثرية لموسم ١٩٩٠م، بين الانقراض المتساقطة في داخل ممر ضيق، يربط القسم الجنوبي من القصر الشمالي الغربي للملك اشور ناصر بال الثاني بتشكيل بنائي آخر، على بعض القطع الآجرية المزججة^(٦٥)، التي تعود كما نظن الى قطعة آجرية واحدة (اورثوستات)، لتمثل لوحة بمشهد يصور عربة حربية بدواليب ثمانية البرامق (شعايعات) بقيادة شخصية مهمة ربما تمثل الملك الآشوري او قائد عسكري يتبعه بعض الجند لحمايته^(٦٦)، مزودين بجعب السهام والسيوف ويرتدون لباسا عسكريا متكون من رداء طويل مزين بزهرات الربيع ثمانية البتلات ودوائر بنقاط مركزية سوداء كبيرة، ومما يؤسف عليه لم نحصل على بعض التفاصيل المهمة التاريخية منها والفنية ولاسيما تحديد فترتها الزمنية، ومن خلال الدراسة الفنية المقارنة ولاسيما ملاحظة دوائر العربة ببرامقه الثمانية والذي كما يُظن قد شاع منذ عهد الملك الآشوري تجلات بلسر الثالث (٧٤٤-٧٢٧ ق.م) وخلفائه^(٦٧)، أي في القرن الثامن ق.م، فضلا عن الدوائر بنقاطها السوداء التي تزين لباس الجند التي ازدهرت في زينة المشاهد منذ عهد الملك سرجون الثاني، فباقل احتمال يمكن تحديد فترة هذه اللوحة الى ما بعد عهد الملك اشور ناصر بال الثاني (شكل-د٣).

ويشير بعض الباحثين الى الكشف في احد البيوت السكنية في مدينة اشور والمرقم ٦٩^(٦٨)، عن لوحة آجرية (اورثوستات) بابعاد (٢٧،٥×٥٦سم) مثبتة في اسفل احد الجدران الداخلية لواحدة من الغرف الكبيرة، وهي تتضمن مشهدا بتقنية الرسم الملون المطلي بالمينا (المزجج)، تصور لنا شخصية الاله شمش او ربما تمثال له مقام على منصة (دكة) وامامه متعبد يناشده المساعدة لتخليصه من اسراب الجراد المدمر لمزروعاته ولاسيما في فصل الربيع والذي يعد احدى الآفات الطبيعية هناك، أذ صُوِّرَت هذه الاسراب وهي تحوم امام وجه الاله، مع اشكال اخرى في القسم الاعلى من المشهد كقرص الشمس والقرص المجنح والهلال وزهرة البيبون، وهذا المشهد كما يشير الباحث

يشبه الى حد كبير ولاسيما بشكل الاله شمش احدى المشاهد المنفذة بالنحت البارز على قطعة من الجبس^(٦٩)، ومما يؤسف له عدم ظهور معالم هذه اللوحة في الشكل المستحصل من المصدر الرئيس (شكل-٣هـ).

اللوحات الجدارية المزججة:

تعد اللوحات الجدارية المرسومة والمزججة مرحلة ابداعية لاحقة لزينة الواجهات باللوحات الجدارية بالرسم الملون فقط، واللوحة تمثل مشهد سردي لحدث ما من خلال تصوير مشاهد فنية مكملة لبعضها ضمن اطار الحدث لغرض التجميل والاعلام، واللوحة كذلك تشمل مجموعة من العناصر الفنية والاشكال الزخرفية لغرض التجميل. وربما ان معالم ظاهرة التزجيج الملون بلوحات جدارية مرسومة قد ظهرت بوادرها منذ عهد الملك الاشوري اشور ناصر بال الثاني، ولاسيما في القصر الشمالي الغربي في نمرود، إذ كُشِفَ في الجانب الجنوبي من الساحة الامامية عند مدخل الساحة الثلاثي، وان لم تكن بقايا واضحة كلوحات جدارية في مكانها الاصلي (in situ) على الجدار، عن بقايا لقطع من الآجر المتناثرة في مكان واحد وهي باللون المزجج تحمل نماذج من رسوم زخرفية متعددة^(٧٠)، منها البشرية (كقبضات الايدي والاقدام)، الحيوانية، النباتية والهندسية وبعض العلامات المسمارية التي تشير الى اسم والقباب الملك المنفذ للقصر، وهذا ما اشار به الاستاذ لايارد مكتشف هذه الاثار وان كانت اشارته لها بانها قطع من الآجر المصبوغ دون ذكر كلمة التزجيج التي نستشفها من صياغة الكلام^(٧١)، إذ اشار الاستاذ نفسه في نفس الاطار الى انه قد كُشِفَ عن مجاميع كثيرة من قطع الآجر المصبوغ (المزجج) بمشاهد فنية انسانية، حيوانية، نباتية ومقاطع مسمارية، بشكل متقن وجميل، كانت تمثل لوحات جدارية عند المداخل مابين الثيران والاسود التي تحرسها او تحيطها، في مستوى يعلو هذه المنحوتات، وهذا في اقسام متعددة من القصر الشمالي الغربي، فضلا عن وجود علامات غير دقيقة في احد جوانب القطع الآجرية صُبِغَت باللون الاسود او الحبري^(٧٢)، ويقصد هنا بهذه العلامات ربما هي اشارات الدلالة المثبتة من قبل صانع الآجر لتعيين الموقع الصحيح، لكل قطعة آجر من اللوحة

المزججة بمشاهدها المتنوعة (شكل-٤). وقد ذكرنا سابقا اشارة هذا الملك عن تزيينه لمداخل القصور او اجنحة قصره في نمرود بالآجر المزجج ، واستعمال كلمة زاكيندورو ضمن معنى التزجيج، مع وجود اشارات الى الكشف عن تزيين اقواس المداخل للقصور بالآجر المزجج ايضا^(٧٣).

اشار كذلك الاستاذ لايارد الى الكشف عن مدخل لمعبد صغير في مدينة نمرود، وهو معبد الاله ننورتا، من نفس طبقة القصر الشمالي الغربي مزين بالآجر المزجج والذي لازال الكثير منه باقيا في حينه^(٧٤)، فضلا عن الاشارة الى زينة وتجميل مدخل الالهة عشتار شرات نبخي (تقرأ سابقاً بيلات ماتي)^(٧٥)، والذي يقع مع معبد الاله ننورتا ضمن منطقة المعابد في حصن مدينة نمرود بالقرب من القصر الشمالي الغربي وهي من المعابد التي اعاد اعمارها او اقامها الملك اشور ناصر بال الثاني وذكرها في كتاباته، وهذه الزينة او تجميل المداخل كانت بأسلوب متشابه تقريبا باقامة تماثيل الثيران المجنحة او الاسود المزمجرة على جانبي المدخل فضلا عن طلعات جدارية مزينة بمشاهد الملائكة الحارسة او الالهة الحامية المجنحة بالنحت البارز، وامام كل منها مساند حجرية مربعة طويلة او قواعد حجرية ارضية لحمل المباخر وبالقرب منها قواطع جدارية بارتفاع نحو ١م وهي مزججة او مطلية بالميلا وبعض من قطعها الآجرية مزينة بعناصر هندسية ونباتية (شكل - ٥)^(٧٦).

اما الملك الاشوري شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) ابن الملك اشور ناصر بال الثاني فقد ترك لنا اثارا وبقايا عديدة ومهمة كمجاميع من قطع الآجر المزجج متعدد الالوان، وهي ربما باحتمال كبير تعود لبعض اللوحات الجدارية المرسومة بالالوان المزججة، منها واحدة من اجمل اللوحات الجدارية لهذه الفترة بعد اعادة تركيبها من قبل مكتشفين بقاياها، وذلك في قصره المسمى بحصن شلمنصر في مدينة نمرود، او مايسمى بـ أيكال ماسارتي (ekal mašarti) أي قصر الغنائم او القصر المستودع (تكنة عسكرية)^(٧٧)، أذ كُشِفَ في احدى غرف هذا القصر، التي اشير اليها بالرمز T20 (جنوب غرب قاعة العرش) في الموسم التنقيبي ١٩٨٩-١٩٩٠ عن اربعين من

قطع الآجر المزججة والمرسومة بأشكال ونماذج نباتية وهندسية وشارات زخرفية فضلا عن الكتابات والمقاطع المسمارية متعددة الالوان، وهي ربما بقايا من لوحة جدارية فنية كاملة، وقد تم التعرف عن بعض الاحرف الارامية فيها ولاسيما في السطوح العليا من هذه الآجرات جنبا الى جنب الاشارات الاخرى، التي تركها صانع هذه القطع وذلك كدلالة للمعمار (متخصص البناء) حول مكان كل قطعة من الآجر المحدد من اللوحة الفنية، وربما تكون هذه الاحرف الارامية اقدم ماتم استعماله في بلاد اشور ضمن القرن التاسع ق.م، وهذه الاشارات تختفي مع مونة البناء الذي يغطي السطوح العلوية ضمن سوف البناء ليظهر فقط الوجه او الجانب الامامي لقطع الآجر المرسوم والمصبوغ باللون المزجج^(٧٨).

أشير كذلك في مصدر اخر عن اكتشاف كمية كبيرة من قطع الآجر المزجج المرسوم متعدد الالوان بما يقارب من ثمانين قطعة منها الكاملة ومنها الكسر في نفس الغرفة السابقة من هذا القصر، وربما ذلك عمل تنقيبي متواصل او كشف لاحق، اذ يشير الباحث بان هناك عدد اكبر قليلا كُشِفَ عنه سابقا، وان هذه القطع هي في الاساس، كما يتوقع، ومن خلال بعض الاستدلالات، بقايا لمشهد فني جداري يشمل الجانبين (الجدارين) الطويلين الشمالي والجنوبي لهذه الغرفة، أي لوحتين او مشهدين منفصلين، سقطت واصبحت اكوام تعلو الارضية بعد سقوط السقف والجدران ولاسيما الاقسام العلوية منها، واشير ايضا الى ان هذه القطع تحمل النماذج الزخرفية النباتية والهندسية والشارات والمقاطع المسمارية وبالوان عدة منها الاصفر، الازرق، الاسود والابيض، مع تلوين الكتابات المسمارية بالابيض على ارضية زرقاء مخضرة (لون اللانورد) وهي تزين الواجهة الامامية لقطع الآجر^(٧٩)، مع استعمال اللون الابيض للحروف الارامية او الفينيقية الموجودة على سطح الآجر للدلالة واللون الاسود غير المزجج في تعيين الاشارات والعلامات الاخرى، الخاصة بموقع هذه القطع الآجرية من المشهد الفني المرسوم المثبتة من قبل الصانع لمساعدة المعمار في ترتيب هذه القطع^(٨٠)، ويشير بعض الباحثين الى ان الحروف الارامية صبغت باللون الاسود وقد

حُدِّت سبعة مفردات منها على الأقل ومثل هذه الحروف وجدت ايضا على قطع من العاج في نمرود ايضا ومن نفس الفترة^(٨١).

كُشِفَ في هذا القصر فضلا عما سبق عن بقايا او مجاميع كثيرة اخرى من قطع الآجر المزجج في عدة اماكن اخرى من القصر، منها قريبة من قاعة العرش (T1) عند النهاية الغربية لها في اعلى سلم الغرفة (T8) المؤدي الى طابق علوي او شرفة علوية تطل على الخارج (ربما حديقة)، أذ يشير بعض الباحثين الى ان هذه المجموعة في الاصل هي للوحة او لوحات جدارية مرسومة باللون المزجج تزين المخل لهذا الطابق، فضلا عن ان اغلب هذه المجاميع هي في الاصل للوحات جدارية تزين مداخل الساحات، الا ان مما يؤسف له لم يُكشَفَ عن الكثير منها بشكل واضح، فضلا عن ذلك فقد كُشِفَ عن مجموعة من قطع الآجر المزجج بمشاهد الزهور في احد حمامات القصر (T22) وربما استعملت من ضمن بناء الجدار او تغليفه لحماية الحمام من الرطوبة^(٨٢). وقد كشف كذلك عن مجاميع اخر من اكوام قطع الآجر المزجج متعدد الالوان في عدة اقسام من حصن شلمنصر الثالث ولاسيما الغرف القريبة من الجناح الملكي الاداري (قاعة العرش)، وهي بذات الاسلوب الفني من النماذج الزخرفية الزهرية، الهندسية، قرص الاله المجنح، الشارات التي تشبه الشارات العسكرية المثلثة او مانتشبه راس السهم، الدوائر المتداخلة والمقاطع الكتابية التي غالبا ماتكون بطاقة او هوية تعريفية لقصر الملك شلمنصر الثالث بعبارات نموذجية واحدة في كل النماذج تقريبا بالوان متعددة مزججة، فضلا عن الاسلوب المهني الفني بوضع الاشارات والحروف والعلامات الاستدلالية المصبوغة باللونين الاسود والابيض^(٨٣)، وبذات الاسلوب تقريبا كُشِفَ في معبد عشتار، الى الجنوب الشرقي من الزقورة في مدينة نمرود، ضمن التنقيبات الحديثة وبالقرب من المداخل، عن كميات كبيرة من الآجر متعدد الالوان المزجج التي كما يشير بعض الباحثين الى انها ربما كانت تمثل احد اللوحات الجدارية^(٨٤).

اما اجمل ما امكن تجميعه وتركيبه من مجموعة كبيرة من القطع الآجرية المزججة التي تراوحت ما بين ٣٠٠-٤٠٠ قطعة من قبل الاستاذ جوليان ريد^(٨٥)، وهي تمثل لوحة جدارية، (شكل-٦)، بمشهد مرسوم ومزجج متعدد الالوان، وبدلالة موقعها كانت وباحتمال كبير، تزين الجدار الخارجي (الواجهة) للمدخل المؤدي لقاعة العرش من الساحة الرئيسية (T) في حصن الملك شلمنصر الثالث في مدينة نمرو، ويُعتَقَد انه من المداخل بقمة او بنهاية مقوسة معقودة^(٨٦)، وهي ميزة عمارية شاعت في عمارة العراق القديم ولاسيما في العصر الاشوري والبابلي الحديث، أي المداخل المقوسة.

اتخذت هذه اللوحة بعد اعادة تركيبها، شكلا شبه بيضوي (اهليجي) بتحدب واضح لقمتها بارتفاع ٤،٠٧م وعرض عند القاعدة حوالي ٢،٩١م تقريبا، تشكلت من خلال ٣٨ ساف (صف) من الآجر المزجج الذي تميزت كل قطعة منه بجزء من المشهد الكلي وتفاصيله المرسومة باللون المزجج، أذ حملت كل قطعة علامة دالة من قبل الصانع، كما اشرنا سابقا في المجاميع الآجرية الاخرى، فوق اسطحها المخفية ضمن الملاط، لتحديد موقعها من اللوحة مما سهل عملية تركيبها من جديد، أذ يشير فضلاء ذلك الباحث الى ان هذه الاشارات الدلالية كانت على نوعين منها ما يحدد عائدة القطعة الآجرية لاي صف (ساف) من الصفوف ومنها ما يحدد موقعها ما بين القطع الاخرى ضمن الصف الواحد، وقد تم تثبيت هذه القطع في الاصل بملاط طيني كما هو الحال مع الجدران المحيطة، ويشار الى ان هذه القطع الآجرية كان يتم فخرها جزئيا قبل وصولها الى الرسام او الورشة الفنية واتخاذها الشكل الكامل للوحة مع تشذيب وصقل جوانبها ورسمها وتحديد العلامات الاستدلالية تبعا للرسم والتركيز على الخطوط الخارجية الغامقة ولاسيما اللون الاسود التي غالبا ماتبقى اثارها محفوظة عندما تتأثر الالوان الاخرى المزججة على مر الزمن^(٨٧). وبوجود العلامات الاستدلالية لا يمكن التخمين ان الرسم يكون بعد بناء القطعة الجدارية المخصصة للوحة، بل يكون الرسم ضمن الورشة الفنية بعد تشكيل اللوحة الجدارية بشكل مستقل برصف القطع الآجرية كصفوف فوق بعضها البعض وتعيين العلامات الاستدلالية، لكن دون ملاط

ليتسنى الرسم بشكل سلس وانسيابي وبعد ذلك بنائها وتركيبها ضمن الجدار العام للمبنى، لكن هذا لا يمنع ربما من التخمين باستعمال التزجيج لهذه اللوحة بعد رسمها وبنائها، أي بطلائها بالسائل المزجج الشفاف للوحة ككل بعد البناء، وليس في الورشة الفنية التي يكون فيها على اغلب الاحتمال تنفيذ الرسم والتزجيج معا وبالتالي الفخر النهائي، لذلك فان عملية الطلاء الخارجي بعد البناء هو مجرد تخمين لنا.

تمثل هذه اللوحة بشكلها العام نموذجا فنيا من النماذج الفنية العراقية القديمة، فهي تشبه الى حد ما من حيث الشكل الخارجي والاسلوب ما يذكرنا بالمسلات الحجرية بقمتها المحدبة او نصف قوسية مع امتداد جوانبها بشكل مستقيم، وربما هنا يعود شكل قمتها المحدبة او المقوسة تماشيا وتناظرا مع قوس المدخل او البوابة التي تعلوها هذه اللوحة ليخرج الشكل العام للواجهة الجدارية بمشهد جميل متناسق ما بين العنصر الفني والعماري، فضلا عن ذلك ففي مضمونها الفني تمثل الاسلوب السردى القصصى التي اشتهرت بها النماذج الفنية الاخرى في العراق القديم من مسلات، منحوتات جدارية، اختام اسطوانية والواح نذرية، وهو هي مشاهد متعددة منسجمة مع بعضها البعض بنوع من التواصل لايضاح معنى ما للمشاهد، ومن خلال التركيز على شخصية او مشهد رئيس مركزي بشكل ملفت للنظر^(٨٨)، مميز عن باقي المشاهد الاخرى التي تكون متعلقة به، وربما المجاميع المكتشفة الاخرى هي للوحات عند المداخل المقوسة قد نفذت في نفس الاسلوب.

تجمع هذه اللوحة ما بين المشهد الفني والعنصر الزخرفي وهو ذات الاسلوب الشائع في النماذج الفنية الاشورية الاخرى تقريبا، فالمشهد الفني هو هي توحيد او المزج ما بين مظاهر الارض والطبيعة المقدسة (الكونية)، كالمظهر الالهي، البشري، النباتي والحيواني، أي الملك وقرص الاله المجنح او الشخصية الالهية، الشجرة المقدسة والثور او الوعل، لتكون في بعض الاحيان، وباحتمال كبير، هذه اللوحات نوع من الايقونات المقدسة فضلا عن صفتها الاخرى الاعلامية والجمالية، اما العناصر الزخرفية الثانوية تتراوح ما بين النباتية ولاسيما وريادات الربيع، سعفات النخيل السباعية، ثمرات

الرمان، البراعم، وهناك ايضا الحيوانية والهندسية كالدوائر المتداخلة متحدة المركز والخطوط المجدولة او الظفائر. وقد تراوحت الالوان المستعملة في هذه اللوحة بين اللون الاخضر، الاسود، الابيض والاصفر على ارضية زرقاء، الا ان كل من اللون الاخضر والازرق التي هي في الاصل ممتزجة تمثل لون اللالزورد تلاشت او انفصلت من مؤثرات خارجية مناخية باحتمال كبير، عكس اللون الابيض والاسود اللذين حافظا على شكلهما وقسم من اللون الاصفر، مع استعمال اسلوب وهو متبع عموما بتحديد الخطوط الخارجية للعناصر والمشاهد بلون غامق كالاسود او لون فاتح كالاصفر مع لون مغاير للمحتوى الداخلي^(٨٩).

تضمنت هذه اللوحة، وبشكل مختصر، مشهد رئيس مركزي مميز، هي منظرين علوي وسفلي، يفصل بينهما حقل افقي هي اربع اسطر كتابية بالخط المسماري وهي نص تعريفى عن قصر الملك شلمنصر الثالث، سنستعرضها لاحقا، مع شريط من وردات الربيع. يصور المنظر السفلي، وهو بارتفاع ١٠،٢٠م وبعرض ٨٣،٥سم، شخصية الملك شلمنصر الثالث بدون شك وبشكل مزدوج، بهيئتين متشابهتين متقابلتين باستعمال مبدأ التناظر الجميل، بانتصابه وثياب ملكية وصولجان في احدى يديه، وبصرف النظر عن التفاصيل الدقيقة للوصف، فان هذا الملك صُوِّرَ بلحية طويلة وشعر كثيف يتدلى على كتفيه باللون الاسود وبخط خارجي ابيض، مرتديا ثوبا او رداء طويل بلون اخضر وبخط خارجي اصفر، مزركشا بنقاط او بقع من التزجيج الاصفر تمثل زهرات سداسية الاوراق، مع شال بلون اخضر وخط خارجي اصفر كذلك، وقد تم تثبيت الرداء بحزام عند الخصر بلون ابيض وخط خارجي اسود، وانسجاما مع هذه الزخارف تم تلوين الصندل الملكي باللون الاخضر مزينا بزوج من الوريدات البيضاء^(٩٠)، لنرى هنا استعمال الخطوط الخارجية المغايرة في اللون عن لون التفاصيل هي بمثابة نوع من الفصل والتوضيح اللازم لهذه التفاصيل بعضها عن البعض الاخر وكذلك عن ارضية اللوحة ككل ربما لقلّة الالوان المستعملة.

شغل الجزء الاعلى مابين شخصيتي الملك تصوير قرص الاله اشور المجنح بجناحيه الذين يمتدان على كامل عرض مساحة المنظر، وعلينا ان نشير هنا ان الاله اشور هو المقصود بالمجنح وليس القرص الذي يعني الشمس، والذي يشار غالبا الى تسمية القرص بالمجنح من قبل بعض الباحثين في كتاباتهم، أذ صور الاله بجناحيه وبشكل واضح ودقيق في اللوحة الآجرية (اورثوستات) للملك توكولتي ننورتا كما مر بنا سابقا، وذلك ربما لرؤية رمزية تمنح الاله القدرة والسلطة السماوية كما نلمسها في الثيران المجنحة، أذ ان القرص الشمسي هنا مميز بالشارات البيضاء والسوداء ضمن محيطه الداخلي وتخرج منه خطوط صغيرة صفراء اللون، وهذا باحتمال كبير هي الاشارة الى لهيب الشمس او اشعتها^(٩١). ويرتدي هذا الاله ثوبا اخضر اللون بخطوط خارجية صفراء متمنطقا بحزام عريض عند خصره باللون الاصفر، وقد ظهر منه مقبض لخنجر بالابيض والاسود المبقع (بقع من التزجيج)، وقد اعتمر خوذة او غطاء للرأس باللون الاصفر مميز بشكله الدائري مع شارة راسية في اعلاها^(٩٢)، تشبه عرف الديك الى حد ما اذا جاز لنا التعبير، كاحدى الشارات الاخرى المستعملة في الخوذ الحربية، ليظهر هنا الاله اشور بهيأة الاله المحارب^(٩٣)، فضلاعن لبسه لقرط صليبي الشكل في اذنه واساور واطواق في ذراعيه.

يفصل كما اشرنا بين المنظر السفلي والعلوي اسطر كتابية بالخط المسماري واللغة الاشورية تنص ((قصر شلمنصر (الثالث)، الملك العظيم، القوي، ملك العالم، ملك بلاد اشور، ابن اشور ناصر بال (الثاني)، الملك العظيم، القوي، ملك العالم، ملك بلاد اشور، ابن توكولتي ننورتا (الثاني)، الملك العظيم، القوي، ملك العالم، ملك بلاد اشور))، اما المنظر العلوي فهو بارتفاع ١٠،٣٦م ويعرض ٨٣،٥سم وهو يمثل الشجرة المقدسة بهيأة شجرة نخيل كاملة بسعفها السباعي باللون الابيض والاسود وجذعها المميز بشارات بيضاء وسوداء مفصولة بخطوط صفراء رقيقة، وجذورها الممثلة بدوائر متداخلة متحدة المركز باللون الابيض والاسود، ويتصل بهذه الشجرة وعلى امتدادها الطولي خطوط مستقيمة تقريبا تنتهي بسعفات سباعية لتتصل بدورها بخطوط قوسية

تنتهي بالتعاقب ما بين البراعم النباتية وثمررة الرمان وكلا منها باللون الاخضر وبخطوط خارجية صفراء^(٩٤)، ويحيط بهذه الشجرة وعلى جانبيها ثورين او وعلين متقابلين بهيأة الوقوف على قوائمها الخلفية، بأسلوب التناظر بشكل يحاكي شخصيتي الملك في المنظر السفلي، مع التفاتة الرأس الى الخلف او بشكل اصح النظر الى الاسفل اجلالا للاله اشور المجنح والملك، وقد لونت هذه الثيران باللون الاصفر وبخطوط خارجية سوداء مع قرون وحوافر بيضاء وشعر اسود ممثل بخطوط لولبية او مجمدة^(٩٥).

يحيط هذا المشهد المركزي بمنظره خمسة حقول او انطقة تاخذ شكل اللوحة الشبه بيضوي العام تزداد عرضا تدريجيا من الداخل الى الخارج وتفصل بينهم خطوط صفراء اللون بسمك ١,٥ سم، أذ يزين الحقل الاول مباشرة بعد المشهد المركزي اطار من الوريدات الربيعية ذات اثنتا عشر بتلة(ورقة) صغيرة الحجم بيضاء اللون بميسم وسطي باللون الاصفر، يليه الحقل الثاني وهو هي شكل الضفيرة خضراء اللون تفصل تلافيفها مراكز هي دوائر متداخلة متحدة المركز باللون الاصفر، ليمثل الحقل الثالث اطار كذلك من الوريدات او ازهار البييون باثنتا عشر بتلة تشبه وريدات الاطار الاول لكنها اكبرا حجما واقل عددا بيضاء اللون بخطوط خارجية سوداء ذات مياسم هي دوائر متداخلة متحدة المركز باللون الابيض والاسود وبخطوط خارجية صفراء، اما الحقل الرابع فيمثل زخرفة نباتية لثمار الفاكهة ما بين البرعم الزهري(ربما لنوع من الفاكهة) وثمررة الرمان الممثلة بدوائر متداخلة باللون الابيض والاسود يعلوها كأسها الزهري، بشكل متعاقب ما بينهما ويتواصل ليغطي كامل الحقل، وقد لونت البراعم باللون الاخضر وبخطوط خارجية صفراء، لتنتهي هذه الحقول المزينة بالحقل الخامس التي تزينه زخرفة حيوانية نباتية بالتنسيق ما بين الماعز الجبلي وهو بشكل رакع على احدى قائمته الامامية بجسم ابيض اللون وبخطوط خارجية سوداء مع الخطوط التشريحية للجسم كالعضلات، وما بين سعف نموذج لسعف النخيل السباعي باللون الابيض والاسود مع زينة الشارات التي تميز بعض السعفات التي تنتهي هذه السعفات السبع وعلى جانبيها بدوائر متداخلة متحدة المركز ربما لتمثل اما عثوق التمر او جذور النخلة

كما مر بنا بالمشهد المركزي. وقد استندت هذه الحقول الخمس مع المشهد المركزي بالكامل على اطارين او شريطين شغلا كامل عرض اللوحة وهي شريط علوي يمثل نموذج الوريدات والشريط السفلي وهو هي زخرف لاشكال صغيرة شبه بيضوية (اهليجية) متداخلة مع بعضها بتناسق بيني بشكل خطين تشبه الى حد ما حراشف السمك باللون الابيض والاسود وبخطوط خارجية صفراء، التي تمثل السلاسل الجبلية^(٩٦)، وهي صيغة او عنصر فني متعارف عليه في كل النماذج الفنية في العراق القديم ومنذ فترات قديمة .

يمثل النصف الثاني من القرن الثامن ق.م ولاسيما خلال عهد الملك الاشوري سرجون الثاني، مرحلة مهمة شهدت تطوراً في استعمال اسلوب فن التزجيج في تجميل الواجهات الجدارية للابنية المهمة كالقصور والمعابد ولاسيما بتنفيذ اللوحات المزججة على المنصات البنائية التي ترتفع عن مستوى الارض المحيطة والمستعملة كاسس لهذه الابنية او منصات جدارية امامية متصلة بواجهاتها للاسناد والحماية (شبيه مايعرف بجدار الكيسو) وكذلك لغرض التجميل، مع استعمال اسلوب التجميل بالأطر والافاريز لعناصر فنية نباتية وهندسية لتزيين اقواس المداخل والاقسام العلوية او السفلية من الجدران الخارجية والداخلية للابنية بشكل مميز اكثر من الفترات السابقة.

تعد المنصات البنائية والاسس عنصرا عماريا مهما في عمارة العراق القديم ومن عهود قديمة، اشارت اليها الكتابات الملكية بشكل كبير منذ عهد الملك سرجون الثاني، واتخذ الفنان الآشوري من واجهات هذه المنصات ارضية مناسبة جدا لاستوائها وامتدادها من اجل تنفيذ اللوحات الفنية، أذ كُشِفَ في مدينة اشور ضمن تنقيبات سنة ١٩١٠م في منطقة معبد الاله اشور المسمى أي-خورساك-كورا^(٩٧)، ومعناه بيت الجبل العظيم، عن بقايا لقطع آجرية مزججة وهي تزين الواجهة الجنوبية الشرقية اسفل المنصة لهذا المعبد، كانت بحالة متضررة ولم يبق الا القليل من هذه القطع بمكانها الاصلي لذلك لم توفر معلومات كافية^(٩٨)، فضلا عن ذلك اشار احد الباحثين الى

احتمال استعمال بعض القطع الآجرية من ابنية اخرى اقدم لترميم ماتضرر من قطع هذه اللوحة آنذاك^(٩٩).

تشكل هذه القطع الآجرية لوحة جدارية، (شكل-٧)، بنمط السرد القصصي لاجداث حربية قد اثارَت جدل بعض الباحثين حول تحديد فترتها الزمنية الدقيقة وهوية الملك المنفذ لها تخليداً له، إذ تتضمن مشهد واضح يصور معركة حربية يقودها الملك في منطقة جبلية التي تعد ساحة الحرب او رمز لاقوام جبلية تم احتلالها او تطهيرها من قبل الجيش الاشوري، إذ ان ماتبقى من هذه المشاهد لا تتضمن صورة واضحة لوجود الجند المعادي او قتلاهم، وانما تم تصوير عربة ملكية بعجلات ثمانية البرامق وبفرسها الملكي المزين وهي تقاد، ربما باحتمال كبير لغياب المعالم الرئيسية، من قبل الملك مرتقياً بها سفح الجبل، وقد صور من جهة اخرى ربما الملك ذاته وهو يمتطي الفرس بمشهد اخر، بدلالة ارتدائه الخوذة الحربية المرصعة ربما بالجواهر، ممسكا بيد مايشبه الصولجان، موجهاً به جنوده للتقدم، وباليد الاخرى ماسكا القوس والسهم، ساحبا لجام فرسه احد الجنود لمساعدته ارتقاء السفح الجبلي، تابعا اياه بعض من الجنود الاشوريين وهو يتسلقون السفح الجبلي، فضلاعن فرس اخر يمتطيه ربما احد الجنود او قائد من قادة الجيش بدلالة الخوذة الحربية المخروطية خالية من الزخرفة، وكذلك يظهر الملك فيما يبدو، وكما سنرى لاحقا، انه قد صُوِّرَ وهو جالس على العرش، مع الاشارة الى غنى هذه المنطقة بانواع مختلفة من الاشجار وذلك برسم صورة لشجرة اعلى القمة الجبلية عند مشهد العربة الملكية، فضلاعن ذلك وجود قطعة آجرية في الصف(الساف)الاول تمثل زخرف هندسي جميل وهو هي دوائر حلقيّة(حلقتان متداخلة) متراصة مع بعضها تتمركزها نقاط سوداء كبيرة، ربما لتشكل اطار سفلي على امتداد عرض اللوحة لكن فيما يبدو ان الكثير من القطع لهذه اللوحة قد فُقدَ او تضرر عبر الزمن، ومما يؤسف له لم نستطع من الوصول الى مصدر موثق لوصف مشاهد هذه اللوحة من ناحية اللون والابعاد بشكل دقيق، الا ان المشاهد لها سيلحظ غلبة اللون الاصفر والابيض مع خطوط خارجية سوداء كالوان رئيسة للمشاهد على ارضية اللوحة

باللون الازرق المخضر (لون اللازورد)، وهذا ما يشبه الى حد كبير الالوان الغالبة في لوحة الملك شلمنصر الثالث اعلاه.

تضمنت هذه اللوحة اشارات كتابية غير مترابطة الا انها تذكر اسم الملك تجلات بلسر واسماء لبعض الجبال، أذ اشار الاستاذ فالتر اندريه، ربما بسبب ذلك ومعطيات اخرى كما اشيرنا اعلاه، الى عائدتها الى الملك الاشوري تجلات بلسر الاول (١١١٢-١٠٧٤ ق.م)^(١٠٠)، الا ان بعض الباحثين كالاستاذ ارنست فيندر يشير الى ان هذه اللوحة تعود الى الملك الاشوري سرجون الثاني وهو يصور فيها احداث حملته الثامنة في المناطق الجبلية الخاصة ببلاد اللولومي، ولاسيما مع ذكر اسماء اهم جبالها كجبل نيكيبى (nikipi) وجبل أوبا (upa) في حويلاته بخصوص الحملة الثامنة، وهو ماتم ذكره ايضا في هذه اللوحة ضمن الخطوط الكتابية المتناثرة بها^(١٠١)، فضلا عن ذلك استند الاستاذ فيندر ايضا على نص كتابي للملك سرجون الثاني وهو يذكر فيه كيف انه اعاد اعمار معبد الاله اشور أي خورساك كورا في مدينة اشور وغطى جدرانه، طنفه وافاريزه بالآجر المزجج^(١٠٢)، واذا ما راجعنا النص الكتابي المسماري للملك سرجون الثاني والذي يستشهد به الاستاذ فيندر^(١٠٣)، سنرى انه يذكر الطنف والافاريز الجدارية المزينة او المزوقة بالسيكاتو المزجج وليس الآجر، وقد راينا اعلاه ان السيكاتو هو شكل ونموذج فني يختلف عن نموذج اللوحة الجدارية الفنية المرسومة، وربما لا يكون في ذلك اعتراض على ما تقدم به هذا الاستاذ بالرغم من فترة بحثه التي تعود الى عام ١٩٢٦م التي فيها لم يتضح معنى او فكرة السيكاتو بشكل متكامل، الا اننا هنا نحاول ان نوضح بعض الخطوط الفنية كدراسة مقارنة علمية.

اما الباحثة آدا فريدمان فقد رجحت ان تعود هذه اللوحة الى الملك الاشوري تجلات بلسر الثالث (٧٤٤-٧٢٧ ق.م) بدلالة دراسة فنية مقارنة، فضلا عن الاشارة الكتابية لاسم تجلات بلسر الواردة في اللوحة، أذ اشارت الى وجود قطعة من الآجر في وسط الصف الثالث من الاسفل ليست في وضعها الصحيح كونها بوضع مقلوب وعند قلبها بشكل صحيح سيتضح شكلاً يمثل عرش ملكي وماتبقى من شكل لملك جالس

على العرش وبيده عصى خشبية طويلة او ربما قضيب نحاسي طويل، ومايميز هذا العرش وجود مساند لكل من الذراع والظهر، وحسب تحليل الباحثة ان صورة مثل هذه المساند والملك الجالس على العرش وبيده العصى الطويلة لم تظهر الا في زمن الملك تجلات بلسر الثالث عكس العرش الملكي للملك سرجون الثاني والذي يصور بشكل مقعد خالي من المساند^(١٠٤)، فضلا عن ذلك اشارت الباحثة الى ان المعدات او التجهيزات التجميلية او الزخرفية (اكسسوارات) لملبس الخيل في هذه اللوحة تعود الى عهد الملك تجلات بلسر الثالث، التي اصبحت بشكل مختلف مثل هذه التجهيزات في عهد الملك سرجون الثاني^(١٠٥)، مع اشارتها الى عدد برامق العجلات الحربية الثمانية التي شاعت في القرن الثامن ق.م بعد ان كانت ستة برامق في القرن التاسع ق.م^(١٠٦)، وقد اشار بعض الباحثين بشكل موجز جدا لهذه التحليلات مرجحا رجوعها الى الفترة المتأخرة من القرن الثامن ق.م أي الى الملك سرجون الثاني وليس الى تجلات بلسر^(١٠٧)، علاوة على ذلك فقد شد انتباهنا وجود القطعة الاخيرة من الأجر في الساف الاسفل، وقد صورت عليها دوائر حلقيّة متراصة ذات نقاط مركزية سوداء، وهي عنصر زخرفي اشوري شاع في نهايات القرن الثامن الى السابع ق.م، ولاسيما ماتظهر بشكل واضح في العديد من الغرف في اجنحة قصر الملك الاشوري سرجون الثاني في مدينة خرسباد^(١٠٨)، التي ربما تكون شكلا متطوراً او نوعاً مقتبساً من شكل الضفيرة التي شاعت زخرفتها في القرن التاسع ق.م كما مر اعلاه، ولكن ربما لاتكون دليلا قويا لعائدية هذه اللوحة للملك سرجون الثاني لاحتمال استعمالها من قبل الملك ذاته من مكان اخر عند تجديده او ترميمه لهذه اللوحة كإضافة لها، بصرف النظر عن شهرة هذا الملك في اقامة المنصات البنائية الملحقة بالواجهات الامامية وتجميلها بلوحات جدارية آجرية مزججة ولاسيما في العاصمة خرسباد^(١٠٩)، كما سيتضح ذلك لاحقا، ومع ذلك تحتاج هذه اللوحة لدراسة مقارنة اكثر في مجالات اخرى، واهم مانراه بالتالي في هذه اللوحة عدم الترابط والانسجام الدقيق بين بعض من قطعها الآجرية التي تمثل

أجزاءها المصورة، ربما لعدم دقة التركيب، لعدم وجود العلامات الاستدلالية على سطوح هذه القطع، أو لفقدان الكثير من قطعها الآجرية المهمة.

خرسباد مدينة فن التزجيج الاشوري اللامعة:

تعد مدينة خرسباد نحو ١٦ كم شمال شرق نينوى^(١١٠)، عاصمة الملك سرجون الثاني ومؤسسها، من اهم العواصم الاشورية التي شهدت معالم عمارية مميزة ولاسيما قصر الملك سرجون الثاني، والتشكيلات البنائية الملحقة به والمخصصة لمجموعة من المعابد بما كشفته المؤشرات الاثرية، وقد اطلقت عليها تسمية منطقة المعابد^(١١١)، عكس ما كان يُعتَقَد به بانه جناح للحريم الملكي من قبل مكتشف الموقع الاستاذ الفرنسي فيكتور بليس خلال التنقيبات التي اجراها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كونه تشكيل مستقل لايرتبط مع القصر الا من خلال مدخل واحد^(١١٢)، والتشكيل مكون من ساحات كبيرة رئيسة لعدد من المصليات المخصصة لمجموعة من الالهة منها الاله سين وشمس وننكال ونورتا وأيا وأدد، وهي تشبه بذلك منطقة المعابد في مدينة نمرود بالقرب من القصر الشمالي الغربي للملك اشور ناصر بال الثاني، ومن اهم ساحات هذا التشكيل او منطقة المعابد هي الساحة برقم ٢٧ ومن خلالها يوصل الى مدخل معبد الاله سين عند القسم الشمالي الغربي منها ومدخل معبد الاله شمش عند القسم الجنوبي الغربي من الساحة وكلا المعبدتين بمخططان متقاربان جدا، أذ يشير الاستاذ فيكتور بان هذه المنطقة تميزت بغزارة البقايا لقطع الآجر المزجج وفي كل مكان واهمها ما كُشِفَ من قسم لبقايا لوحات جدارية مزججة في مكانها (in situ)، تَمَكَّنَ من اعادة تشكيلها ورسمها هذا الاستاذ، كانت تزين واجهة مدخل معبد الاله سين، وهو مدخل مهيب يعلوه قوس نصف دائري معقود، بواجهة جدارية على كلا جانبيه، مزينة كل منها بطلعات عريضة على جانبيه في منتصفها اخاديد او دخلات طولية تحصر بينها سبع من انصاف الاعمدة ملصقة بالجدار، مع وجود تماثيل بالحجم الطبيعي على جانبي المدخل وبالقرب من كل منهما شجرة نخيل ذهبية^(١١٣)، (شكل شجرة النخيل من خشب الارز مغطاة بصفائح من البرونز وموشحة

بشرائط ذهبية)، ترتفع الى مستوى اعلى من قمة قوس المدخل، وجدت بعض من بقاياها الخشبية ويقدر طولها نحو تسعة امتار^(١١٤).

أُسْتُعْمِلَ اسلوب التزجيج بابداع جميل في تجميل مدخل معبد الاله سين بتنفيذ لوحة فنية متكاملة بشكل عرضي على واجهة منصة جدارية امامية بارتفاع ١٥م من مستوى سطح الارض المحيطة (شكل-٨)، تمتد على جانبي المدخل ملحقة بجدار المعبد الاصلي لصقا به، أذ تبرز عنه مسافة ١م وعلى امتداد ٧م لكل من الجانبين^(١١٥)، علما ان مثل هذه المنصات الامامية الساندة للجدران في مدينة خرسباد اقيمت في اغلب مداخل المعابد وبنفس الابعاد لتصبح خلفية مناسبة لتجميلها بالآجر المزجج، ويتكون مشهد اللوحة المزجج من صور او اشكال عدة تمثل الاسد وهو في حالة سير مزججا غاضبا، يليه بالتعاقب صورة لطائر العقاب او النسر ومن ثم الثور ليليه صورة لشجرة التين ومن بعدها صورة لمحراث الارض مع مبادرة الحبوب في موكب جميل يقوده شخصيتان في الامام تمثل لشخصية الملك وفي الخلف تمثيل لشخصية الوزير او رئيس الوزراء الملكي وقد صورت هاتين الشخصيتين على جانبي المنصة الايمن (أ) وفيه شخصية الوزير والجانب الايسر (ب) وفيه شخصية الملك علما ان هاتين الشخصيتين يصعب رؤيتهما من الامام، وأُحِيطَ المشهد كله باطار من خطين متوازيين بينهما زهرات الربيع الآشورية، ويجمع هذا المشهد ما بين رمز السلطة والجبروت التي تمثلها قوة الاسد وسلطته دون منازع في الارض وهو رمز القوة للآشوريين والعقاب رمز سلطة السماء وما بين رمز الرخاء الاقتصادي بالزراعة والارض بخصبها ووفرت عطائها التي تكفل ديمومة الحياة وقوتها ويمثلها شكل المحراث ومبادرة الحبوب فضلا عن شجرة التين التي تحمل الثمار^(١١٦)، ولاننسى صورة الثور الذي يمثل رمزا للتناسل والتكاثر لزيادة القطعان الحيوانية ومنتجاتها. ومن الجدير بالذكر هناك دراسات مهمة تشير الى ان هذه الاشكال تمثل اسم الملك والقابه بعد ترتيبها مع بعضها كجملة حرفية بدلالات تسميات هذه الاشكال وسماتها، كبدعة مبتكرة من قبل الملوك الاشوريين لنوع من الغاز او الطلاسم الصورية تأثراً بالكتابة الصورية

الهيروغليفية المصرية والحيثية^(١١٧)، ربما لزيادة الابهار والفخامة الملكية، وهذه من المواضيع المهمة التي بحاجة الى دراسة وبحث تحليلي موسع في اللغة العربية.

تميزت شخصية الملك، القائد الذي يتقدم موكب السلطة والعطاء، بانتصابه وايماءة مهيبه أذ يغطي وجهه لحية وشعر طويلين مرتديا الخوذة الملكية الدائرية، بنهايتها المستدقة وزخرفتها الجميلة مع شريط من الخلف يتدلى الى الكتف، وثوبا طويلا بحافة مزينة بالشراشيب مثبتا بحزام او شريط من القماش عند الخصر، رافعا يديه اليمنى مؤشرا بها باتجاه الامام وماسكا بصولجان في يده اليسرى ومنتعلا صندلا متناسقا بشكل جميل، واختلفت شخصية الوزير عن الملك بحسر الراس^(١١٨)، لكن بلحية اطول قليلا من لحية الملك وهو يرتدي ثوبا وصندلا بزيينة ونوعية اقل مستوى من ملابس الملك، ماسكا بيديه عصى طويلة او مايشابه الرمح يستند به على الارض، علما ان هيئته الجسمانية صُوِّرَت بشكل غير وسيم عكس جسم الملك المتناسق. اما الالوان المستعملة في تزجيج وتلوين هذه اللوحة، وربما هي ذات الالوان المستعملة في اغلب المشاهد الجدارية المزججة التي نفذها فنانونا الملك سرجون الثاني في قصره وملحقاته في مدينة خرسباد العاصمة، فتتراوح بين ستة من الالوان الرئيسية ومنها اللون الازرق (لون البحر) المستعمل بشكل واضح كارضية لاغلب اللوحات الجدارية، ولون الاصفر لتلوين ملابس الشخصيات واجساد الحيوانات وجذع واغصان وثمار شجرة التين وخشب المحراث والمبذارة فضلاعن مياسم الزهور او مراكزها الدائرية التي تحيط بالمشهد، ولون الاصفر او البني الداكن (لون المغرة) لتلوين الطبقة اللحمية لكل من شخصية الملك ووزيره، وهناك اللون الاسود استعمل لتلوين شعر ولحي الشخصيتين وكذلك الخطوط الخارجية لاغلب الصور والاشكال الاخرى، واللون الاخضر الذي يغطي اوراق شجرة التين واللون الابيض لتلوين الخطوط المتوازية التي تحصر بينها الزهور ذات البتلات البيضاء ايضا^(١١٩)، ومما يؤسف له ان الظروف المناخية كالرطوبة واشعة الشمس الحارقة تركت تاثيراتها السلبية على طبيعة الالوان الاصلية فتحوّلت الوان منها الى اخرى كاللون الازرق الى الاخضر وبالعكس وبهتت اكثرها

وزال بريقها، علما ان قسم من الآجر المزجج المواجه لاشعة الشمس كان اكثر بهاتا وتأثرا من القسم الآخر البعيد عن مسقط الاشعة الشمسية بشكل مباشر^(١٢٠). وبدون شك ان قطع الآجر وضعت في ورشة العمل لاتمام صبغها وفخرها بعد ذلك مع سائل التزجيج بعد تأشيرها بعلامات دلالية على سطوحها العلوية العريضة غير المزججة من دوائر ومربعات منفردة ومتقاطعة لتعيين موقعها من كامل مشهد اللوحة^(١٢١). علما ان عملية التزجيج لاغلب المشاهد الفنية في عمارة مدينة خرسباد تميزت باستعمال الجوانب الضيقة من قطع الآجر دون السطوح العريضة لقطع الآجر ولاسيما المربعة، علما ان مواقع آشورية اخرى استعملت السطوح العريضة لتنفيذ المشاهد المزججة بشكل كبير^(١٢٢).

زينت ايضا مدخل معبد الاله شمش عند الجدار او القسم الجنوبي الغربي من الساحة ٢٧ لوحة جدارية من الآجر المزجج تغطي منصة بنائية امامية تبرز عن واجهة المدخل ولاسيما في الجانب الايسر من المدخل وباسلوب مماثل لاسلوب التزجيج والمواضيع المنفذة في معبد الاله سين، ومما يؤسف له حالت، حالة انهيار جدار المنصة وتناثر اجزائه ولاسيما القطع الآجرية المزججة، من رسم صورة متكاملة عنها، ويشير احد الباحثين الى ملاحظة مهمة وهي ان اللون التزجيج فيها كانت اكثر بريقا مما هي في معبد الاله سين وربما يعود هذا الى مواجهة اللوحة انذاك الاتجاه الشمالي الشرقي وابتعادها عن مسقط اشعة الشمس بشكل مباشر او يعود ربما الى حالة الفخر الجيد بعد التزجيج^(١٢٣).

كُشِفَ ايضا عن زينة مماثلة عند مدخل معبد الالهة ننكال ضمن هذا التشكيل للمعابد، ويوصل له من خلال ساحة رقم ٣١ وهي اصغر من ساحة معبدي الالهين سن وشمش، وقد تماثلت بشكل كبير زينة واجهة المدخل بعناصرها العمرية والفنية مع زينة واجهة مدخل معبد الاله سين لكن بشكل اضيق او اقل اتساع وهذا ما فرضته مساحة وطول جوانب المدخل لهذا المعبد، وما يهنا هنا وجود المنصة البنائية التي تبرز عن واجهة الجدار للمدخل وهي بعرض نحو ٢٠،٥م على كل من جانبيه^(١٢٤)، او

نحو ٦ امتار كما يشير الاستاذ فيكتور بليس مضيافا الى ان قُصُر المسافة دفع الفنان الآشوري الى تمثيل خمسة اشكال بدل سبعة وهي الملك ووزيره وكل من الاسد والنسر والثور وقد غفلت اللوحة كل من المحراث وشجرة التين^(١٢٥)، ويتفاجئ لذلك بعض الباحثين بتنقيبات لاحقة لوجود كل من المحراث والمبذارة وشجرة التين في الجانب الايمن من المدخل، على الرغم من اندثار اغلب معالم هذه المنصة ولاسيما نهاياتها ماعدا بعض السوف من الاسس في الجانب الايسر، وربما كانت كل الاشكال الاخرى موجودة في هذه المنصة كما هي في الساحة ٢٧^(١٢٦)، الا ان المؤكد وجود شكل الاسد وكل من المحراث والمبذارة وشجرة التين^(١٢٧)، (شكل-٩) .

أُسْتُعْمِلَت ايضا مثل هذه المنصات الامامية وتجميلها بذات المشاهد والالوان والاسلوب في اثنتين من المداخل المهمة في معبد الاله نابو(اله الحكمة) ويقع خارج سور القصر الملكي بالقرب منه، ضمن حصن المدينة المسور، واتصاله به عن طريق جسر حجري رابط بينهما ولاسيما وان كلاهما أي القصر والمعبد مقامان على منصات بنائية مرتفعة ويكون الارتفاع اليهما من خلال منحدرات بنائية، وتبلغ طول المنصة الامامية الاولى عند مدخل الغرفة ١٣ التي تربط بين الساحة الامامية رقم ١ والساحة الوسطية رقم ٢، خمسة امتار ومن خلال البقايا للقطع الآجرية المزججة تبين بعد ترتيبها انها تعود لمشاهد ثلاث اشكال وهي الاسد وشجرة التين والمحراث مع مبذارة الحبوب، ويعود عدم اكتمال المشاهد كما في المواقع السابقة ربما الى قصر المسافة للمنصة الامامية تشبه بذلك منصة معبد الالهة نكال، أذ اكتملت المشاهد والاشكال جميعها فضلا عن تمثيل شخصيتي الملك ووزيره في المنصة الامامية الاخرى في هذا المعبد عند مدخل الغرفة الامامية او ماقبل الخلوة(الغرفة المقدسة) رقم ١٩ مرورا بالساحة الوسطية رقم ٢، وهي بطول نحو ٧،٥٠م، وفي نفس هذه الساحة الوسطية وامام المدخل المذكور مباشرة لمسافة نحو ٨م اقيمت دكة من الآجر، ربما خصصت كمذبح، مربعة الشكل طول ضلعها ١،٥م، ولم يُحدد ارتفاعها لانهايار قسمها العلوي، وربما يكون ارتفاعها بنفس طول ضلعها شبيها بارتفاع منصة المدخل المزججة، وربما

كانت هذه الدكة مزججة بقطع الآجر بشكل كامل لوجود بعض السوف في مكانها (in situ) عليها مع بروز الساف الاسفل ليشكل قاعدة لها، وبقايا اخرى متناثرة حولها، ومما يؤسف له تحلل وتفسخ التزجيج في اغلب هذه القطع لذا لم يمكن تحديد صورة متكامله عنها^(١٢٨)، وقد أُستعملَ ايضا الآجر المزجج كذلك في تجميل واجهة الجسر الحجري الرابط بين هذا المعبد والقصر الملكي وذلك برصف ساف من قطع الآجر المزجج كإطار وسطي ضيق وبشكل افقي بين ساف او سافين من قطع الحجر الكبيرة والمقامة بشكل عمودي وذلك لتجميل واجهة هذا الجسر^(١٢٩)، (شكل- ١٠).

تميزت كذلك عمارة مدينة خرسباد بشيوع اسلوب زخرفي جميل بالرسم الملون والمزجج لعناصر فنية بهيئة لوحات شريطية على امتداد القسم العلوي او السفلي من الجدران الداخلية فضلاعن وبشكل مميز تزيين واجهات اقواس المداخل نصف الدائرية المعقودة التي تعلو فتحة المدخل او البوابة وكذلك الاقسام العلوية من الواجهات البنائية اسفل الشرفات المسننة وذلك بصيغة التأطير، فضلا عن لوحات جدارية تعلو اقواس المداخل في الواجهات الجدارية، ويعد هذا الاسلوب سمة خاصة في الفن الآشوري، اما تأطير اقواس المداخل بالرسم المزجج فهو اسلوب ابداعي متطور لتجميل الواجهات الجدارية فضلاعن الثيران المجنحة والملائكة الحارسة والتماثيل الشاخصة وشجرات النخيل وانصاف الاعمدة عدا الطلعات الجدارية والاختلاط (الداخلات الوسطية)، ويشير بعض الباحثين الى ان افضل ما عُرِفَ من اطرار او افاريز الآجر المزجج تلك التي اقيمت من قبل الملك سرجون الثاني في مدينة خرسباد ولاسيما على اقواس المداخل والبوابات المعقودة في المدينة والقصر الملكي^(١٣٠)، ويذكر الاستاذ فيكتور بليس الى ان التتقيبات في القصور الآشورية كشفت عن الكثير من البقايا لمثل هذا النوع من الآجر المزجج والذي يعتقد انه زين الاقسام العلوية من واجهات المداخل واقواسها بدلالة اختلاطها مع هذه الاقسام المنهارة عند الكشف عنها، ومشيرا ايضا الى الفائدة العلمية التي وفرتها هذه القطع المزججة حول اسلوب التلوين والتزجيج فضلاعن اعطاء فكرة عن الازياء والحلي وملامح الشخصيات وهيئاتها وغيرها من عناصر نباتية وهندسية

للزخرف والتزيين، الا انه يتأسف لعدم تكامل المعرفة عن طريقة العمل والتطبيق لهذا النوع من الفنون^(١٣١).

يبدو من الواضح ان الملك سرجون الثاني حاول ان يستغل بريق التزجيج في تجميل مداخل مدينته ليجعلها واجهة مشرقة ولامعة من بعيد، أذ كُشِفَ عن العديد من قطع الآجر المزجج بالقرب من مدخل بوابة مدينة خرسباد رقم ٧، القريبة من قصر الملك سرجون الثاني، مزينة بعناصر نباتية وهي ازهار الربيع على الاغلب، ويشير الاستاذ فيكتور بليس الى ان هذه القطع ربما كانت تزين اعلى واجهة المدخل وابعادها، علما ان للمدخل قوس كبير وهو مغطى بطبقة من الملاط الجبسي الابيض لتثبيت القطع الآجرية عليه^(١٣٢)، وربما تزين هذه القطع المزججة اطار القوس المعقود وكذلك اعلى واجهة المدخل. ويذكر الاستاذ فيكتور بليس عن كشف مدخل مهيب للمدينة وجد نفسه امامه، بعد ازالة الركाम، مغطى بقوس نصف دائري مزين بالآجر العادي والمزجج مستندا على عضادات او دعامات منحوتة بالحجر الطبيعي، وترتفع بقاياها نحو تسعة امتار، وهو المدخل رقم ٣ فضلا عن المدخل رقم ٤ اللذين يقعان على الضلع الجنوبي الشرقي من سور المدينة، وأشار ايضا الى القيمة الكبيرة لاستساخه معالم هذا المدخل بشكل موثوق^(١٣٣)، ويشير الاستاذ فيكتور بليس الى ان تشكيل استدارة القوس النصفية يأتي من خلال التعامل بابعاد جوانب القطع الآجرية المخصصة لاقامة القوس البنائي بزيادة سمك الجانب العلوي من القطعة الآجرية بمقدار ١ سم عن مقدار سمك الجانب السفلي^(١٣٤)، ليتكون انفتاح القوس من الاعلى بعد رصف سطوح القطع الآجرية العريضة وجها بوجه، ولاسيما الساف او السافين الوسطى من بداية الاستناد على الدعامة الجانبية (قدم القوس الايمن) وحتى انتهاء القوس عند الدعامة الجانبية الاخرى (قدم القوس الايسر)، مع ربط هذين السافين بساف من الآجر علوي وسفلي بمد قطعه على سطوحها العريضة الواحدة جنب الاخرى ليمثل غلافا للجزء الوسطي.

تعد جهود الاستاذ فيكتور بليس في تصوير ونسخ وترتيب المشاهد من القطع الآجرية المزججة التي زينت قوس مدخل المدينة رقم ٣ من افضل ما عُرفَ عن زينة

وتجميل واجهات اقواس المداخل بأسلوب التأطير (شكل-١١)، وبعيدا عن التفصيل فان تصميم المشهد العام لهذا الأطار اقتصر على تجسيد شخصية الملاك الحارس المجنح (هو نوع من اللاماسو-مخلوقات مركبة حامية) بهيئات مختلفة وتصوير زهرة البيبون الربيعية وبشكل متعاقب معه، فيبدأ المشهد بتصوير الملاك الحارس بجناح مزدوج عند قَدَمَا القوس اليمنى واليسرى بوضع البروك بشعر ولحية طويلين وشارب كث معتمرا غطاء للرأس مخروطي الشكل ومقرن (صفة الالهوية) وهو يحمل في يده اليسرى دلو (ربما من المعدن او الخوص) لحمل سائل ما وفي يده اليمنى يحمل كوز الصنوبر او ربما حبوب لقاح نخيل التمر، وهو ما يظهر به هذا النوع من الملائكة الحارسة في اغلب النماذج الفنية الاشورية لدلالات عقائدية او رمزية تخص الخير والعطاء، والى الخلف منه باتجاه الداخل زهرة البيبون كبيرة الحجم بثمان عشرة بتلة تحيطها ثلاث دوائر متحدة المركز تتناقص في قطرها نحو الداخل لتحديد تفاصيل الزهرة، ليأتي ايضا بعدها شكل الملاك الحارس بهيئة الوقوف وبحجم كبير عند قاعدة القوس على الجانبين وهو بجناح رباعي مع التفاصيل الاخرى المذكورة اعلاه وملاحظة التفصيل الواضح للقرون (الالهوية) على غطاء الرأس المخروطي، ليبدأ من بعد ذلك تصوير عشرة من الملائكة الحارسة باجنحة مزدوجة وحجم اصغر بالتعاقب مع احدى عشر زهرة بيبون كبيرة كما مر تفصيلها اعلاه لتشكيل استدارة او انحناء القوس، ليحيط بهذا المشهد اطار من زهور البيبون صغيرة الحجم بببتلات ثمانية وميسم وسطي كبير يفصلها عن المشهد خط (حزام) عريض، وقد استعمل في تلوين هذا الاطار بشكل متكامل ست ألوان منها اللون الازرق لتلوين ارضية المشهد واللون الاصفر البارز في اغلب التفاصيل كاجنحة وملابس وغطاء رأس الملاك الحارس ومراكز الزهور وخطوط الدوائر والحزام العريض الفاصل، وهناك اللون الاسود المستعمل لشعر ولحية وشارب الملاك الحارس واللون الابيض لتلوين بتلات الزهور ولون المغرة او اللحمي لتمييز لون الطبقة الجلدية او اللحمية لشخصية الملاك الحارس واخيرا اللون الاخضر لتلوين القرون على غطاء رأس هذا الملاك^(١٣٥).

مداخل القصر:

أُقيمت في قصر الملك سرجون الثاني تشكيلات بنائية واجنحة عدة كان لابرزها مداخل ثلاثية (أي مدخل وسطي كبير مبرج والى الجانبين منه مدخلين اصغر) ولاسيما في الساحات الرئيسة (الكبيرة) من هذه الاجنحة، أذ كُشِفَ الكثير من بقايا القطع الآجرية المزججة عند هذه المداخل لتزيين اطارات الاقواس واعلى الواجهات الجدارية ولاسيما اللوحات الوسطية فوق اقواس المداخل وتحت الشرفات المسننة^(١٣٦)، ومنها قرب المدخل الثلاثي M عند الواجهة الجنوبية الشرقية من القصر والذي يؤدي الى الساحة الامامية الرئيسة رقم ١٥، ويعد المدخل الرئيس لقصر الملك سرجون الثاني، أذ يشير الاستاذ فيكتور بليس الى ان مكتشف هذا المدخل هو السيد اميل بوتنا مضيفا الى انه من المداخل المهيبة والمزينة بالمنحوتات البارزة والجدارية ومنها ازواج من منحوتات الثيران المجنحة فضلا عن اقواس المداخل الثلاث المؤطرة بالآجر المزجج وكذلك الأطر المزججة تحت الشرفات المسننة^(١٣٧)، (شكل-١٢)، وهو يشبه الى حد كبير المدخل C الوسطي، وهو من المداخل الثلاثية ايضا الذي يؤدي الى الساحة رقم ٧ من خلال الساحة الكبيرة رقم ٨ وهو ايضا من مكتشفات السيد اميل بوتنا والتنقيبات اللاحقة من قبل الاستاذ فيكتور بليس^(١٣٨)، وكذلك ايضا وربما على نفس الغرار زُخِرَفَ المدخل الثلاثي E عند الساحة رقم ٦ والذي يؤدي الى غرفة رقم ٢٦^(١٣٩).

وقد اشار بعض الباحثين عن كشف مجاميع من القطع الآجرية المزججة متعددة الالوان في قصر الملك سرجون الثاني، تضمنت عناصر فنية وزخرفية عدة، منها شخصية تقف امام رمز لشكل الجناح، ربما المقصود به الاله اشور المجنح، وهناك رأس لشخصية مهيبة ربما تمثل شخصية الملك وهي مرسومة بالحجم الطبيعي، ليدل هذا على حجم هذه اللوحة الكبير، مع وجود شكل لقدم انسان وعجلة لعربة ورأس لحيوان ربما لغزال او أيل وغير ذلك من عناصر هندسية ونباتية وكتابية، فضلا عن شكل لقبضة اليد باصابعها (عنصر زخرفي شاع في الفن الآشوري)، وأُسْتُعْمِلَتِ الالوان مثل الابيض، الاسود، الاصفر، الاحمر، الاخضر والازرق في تلوينها (شكل-

١٣)(^{١٤٠}، وربما هذه القطع تعود الى لوحة جدارية متكاملة تزين ما فوق قوس واجهة احدى المداخل المهمة في القصر الملكي.

نتوضح لنا رؤية من خلال الاشارات الكثيرة لمجاميع الآجر المكتشفة قرب بعض مداخل القصر ومنطقة المعابد والمدينة بان اغلب هذه المداخل كانت تزينها لوحات وأطر آجرية بالرسم الملون المزجج ولاسيما اقواس هذه المداخل المعقودة والاقسام العلوية من واجهات هذه المداخل ولاسيما الاطر المزججة تحت الشراقات المسننة فضلاعن اللوحات الوسطية فوق قوس المدخل، منها ما أُعيد ترتيبها ومنها ما تفسخت وتحللت مادتها المزججة، وبسبب هذا نتصور ان هذه المدينة مع اشراقات الصباح ستبدو مدينة لامعة ببريق الزجاج، وربما كانت هذه رؤية الملك المسبقة قبل اقامة هذه العاصمة الجميلة.

فن التزجيج والآجر بالنحت البارز او المقولب في عهد الملك اسرحدون:

اهتم الملك الآشوري اسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) باعادة اعمار عمائر الملوك السابقين المتضررة، ولم يشيد او ربما يكمل، كما هو واضح من خلال المكتشفات الاثرية لحد الوقت الحاضر، بناء خاص له كمقر سكني او اداري (قصر) او معبد^(١٤١)، وهذا ملفت للنظر وبحاجة الى دراسة وبحث، ومن انجازاته اعمار وتجديد حصن الملك شلمنصر الثالث في مدينة نمرود، ويشير بعض الباحثين، من خلال استنتاج معقول بدلالة اسلوب التصوير وموضوع الحدث، الى وجود عدد من قطع الآجر المرسوم باللون المزجج تعود الى الملك اسرحدون في اطار اعماره لهذا الحصن وهي تحمل اجزاء من مشاهد تعود بشكل واضح الى لوحة سردية لاحداث متكاملة ومتسلسلة، لكن دون تحديد مكان اقامتها بشكل دقيق، تمثل مجريات لاحداث حربية بين الجيش الآشوري المنتصر والجيش المصري المهزوم^(١٤٢)، بتفاصيل جميلة ودقيقة معبرة بالرسم واللون، أذ كُشِفَت هذه القطع، وعددها احدى عشر قطعة، من قبل الاستاذ لايارد ما بين ١٨٤٨-١٨٥٠م وقد وثقها وصورها حينها وشارته الى حفظها في

المتحف البريطاني، وهو يعد المصدر الوحيد لدراسة هذه القطع لكن دون ذكر مكان كشفها الدقيق او تحديد شخصية الملك المنفذ لها بشكل دقيق^(١٤٣)، (شكل-١٤).

يظهر الجيش الآشوري في تفاصيل هذه القطع بصنوفه المهمة كالمشاة والفرسان والعربات الحربية ومنها باحتمال كبير العربة الملكية بقيادة الملك مع حاميته، وتغلب على الجند الآشوريين علائم القوة والانتصار والسيطرة وهم بكامل عدتهم وخوذهم ودرعهم وازيائهم الجميلة، وصُوِرَ الجيش المصري بحالة من التخاذل والهزيمة بمشاهد لجنده البسطاء وهم قتلوا واسرى بازياء بسيطة منها المآزر (المئزر قطعة من القماش تربط على الخصر لاختفاء العورة)، ومنها ثياب طويلة بيضاء مفتوحة من الامام، وربما هذا الاختلاف يعود الى اختلاف الصنوف او الجنود، وهم برؤوس صلعاء مثبتة عليها ريشة برياط من القماش يحملها على الاغلب الجنود الليبيين والنوبيين او المصريين كما اشار الى ذلك بعض الباحثين^(١٤٤)، ولا يحملون من العدة الحربية الا اسلحة بسيطة كالخنجر ونوع من السيوف او العصي، ومن قتلهم ما صُوِرَ وهو يطفو فوق النهر مع السمك مرميا بسهمين، ومنهم المقتول بسهم في حنجرته وهو ممد على الارض، عاريا ماعدا ريشة الرأس، بين قوائم الخيل وعجلات العربة الآشورية ذات البرامق الثمان، ومنهم من يحمل خنجرا ويتهاوى الى الارض قتيلًا، وقد صُوِرَ الاسرى بشكل مهين من خلال مشهد يظهر فيه اربعة من الاسرى مقيدون لبعضهم من خلال حبل يربط رقابهم وطرف الحبل الاول بيد الاسير الامامي مع ربط ايدي البقية خلف ظهورهم وهم بقيادة احد الجنود الاشوريين ليقدهم الى الملك في عربته الملكية، واستُعمِلَتِ الوان رئيسة في هذه اللوحة منها الابيض والاصفر والاخضر الزيتوني والازرق وتناوبت هذه الالوان بينها ما بين ارضية المشهد والتفاصيل^(١٤٥). ومن المشاهد المهمة تصوير مخطط ارضي ربما للمخيم الاشوري، وكذلك تصوير لاحد الابراج المصرية التي تميزت بشكل جدرانها الجانبية المائلة الى الداخل مع وجود مدخل او باب وسطي ومزاغل قتالية اعلى البرج مثلثة الشكل، وربما يشير ذلك الى حصار مفروض من قبل المخيم الاشوري على مدينة مصرية وغالبا

ماتكون مدينة ممفيس العاصمة اثناء حملة الملك اسرحدون على مصر، في عهد الملك ترهاقا(تراقو)(٦٨٨-٦٦٣ق.م) ملك مصر واثيوبيا^(١٤٦)، وهو من الملوك النوبيين ضمن الاسرة الخامسة والعشرين المصرية وربما هذا يفسر وجود الريشة على رأس الجنود التي قد تكون ريشة لطائر النعام المميز في مصر والسودان، وقد اتفق بعض الباحثين على نسبة هذه القطع الى الملك اسرحدون من خلال دراسات مقارنة فنية وتقنية، اكثر من نسبتها الى الملك الاشوري اشوربانيبال(٦٦٨-٦٢٧ق.م) الذي قام باكثر من حملة حربية كذلك على مصر بحصار واحتلال اهم مدنها ومنها مدينة ممفيس والعاصمة الجنوبية طيبة، أذ وثق انتصاراته بمشاهد مهمة على المنحوتات الجدارية التي زينت غرفة العرش(غرفة M) في قصره في نينوى^(١٤٧).

الآجر بالنحت البارز او المقولب الآشوري المزجج:

كُشِفَ عن عدد من القطع الآجرية المزججة من قبل الاستاذ ريجنالد كامبل ثومبسون في مدينة نينوى(تل قوينجق) ما بين المواسم ١٩٢٧-١٩٣٢م في المنطقة ما بين معبدي الاله نابو والالهة عشتار، محفوظة في المتحف البريطاني وقطعتين محفوظة في المتحف العراقي في بغداد، واهم ما يميز هذه القطع بروز الاشكال المصورة عليها بالنحت البارز العالي كما اشار الى ذلك بعض الباحثين^(١٤٨)، لتعد نوع من انواع الآجر المقولب الذي ظهر بشكل بارز في مدينة بابل جنوب العراق كبدايات اولية منذ عصرها القديم وتطورها في العصر الوسيط(العصر الكاشي) ولاحقا في عصرها الحديث(العصر الكلداني)، وهي تقنية آشورية جديدة ظهرت في القرن السابع ق.م، تأثرت ربما بشكل كبير بالتقنية البابلية من خلال العمل المقولب^(١٤٩)، او ربما تعد باحتمال كبير تقنية آشورية معمولة بالنحت اليدوي كخبرة آشورية من المنحوتات الجدارية ولاسيما ان هذه القطع تميزت بقلّة عددها وبرز اشكالها عاليا كانت ربما وباحتمال كبير لاتستدعي لوجود قالب ماء، وانما تُنَحَت هذه الاشكال على قطع اللبن قبل فخرها بعد جمع العدد اللازم منها لتشكيل المشهد المتكامل بهيئة قاطع جداري مقطع ومن ثم تُفَخَّر هذه القطع ليعاد تركيبها عند البناء بعد ذلك.

تضمنت هذه القطع بقايا بسيطة من تفاصيل لاشكال كاملة مستقلة غير مرتبطة بمشاهد أخرى كنوع من احداث متسلسلة قصصية، أي لاتمثل لوحة جدارية وربما هي نوع من الاورثوستات كنصب فنية قائمة بذاتها ملصقة مع الجدران، وأشار بعض الباحثين الى انها تمثل ايضا رموز صورية (طلاس) لتعيين اسم والقاب الملك المنفذ^(١٥٠)، كنوع من الاستعاضة عن الكتابة وقد اشرنا الى ذلك انفا كما ورد مع الملك سرجون الثاني، ومن التفاصيل المتبقية التي تضمنتها هذه القطع الآجرية، منها شكل ماتبقى من قدم لمخلوق مركب كبير (سفنكس او غرغن) وهي احدى القطع المحفوظة في المتحف العراقي ووصل اليها رسم ماتضمنته القطعة الاخرى وهو لشكل شخصية رجل عاري الراس يرفع يده اليمنى بمستوى انفه وهي بشكل مقبوض مع اطباق اصبعيه الابهام والسبابة مع بعضها كاسلوب متبع عند بعض الملوك الاشوريين عند تصويرهم في المنحوتات ويُعتقد ان هذه الشخصية تمثل الملك اسرحدون من خلال دراسات فنية مقارنة. وقد ضمت القطع المحفوظة في المتحف البريطاني، القسم الاسفل من قدم لثور ربما يمثل ثورا مجنحا، سعة نخيل، اوراق واغصان شجرة التين، غلبت على اشكال هذه القطع بشكل رئيس الالوان الاصفر والابيض والبني والبرتقالي والقليل من الازرق، وتعود هذه القطع للملك الاشوري اسرحدون كما اشار بعض الباحثين وذلك من خلال دراسات فنية مقارنة^(١٥١). (شكل - ١٥)

وبالاختصار يعد التزجيج اللوحي والشرطي او الأفريزي في العصر الآشوري على نوعين اما تزجيج الوجه العريض لقطع الآجر كمشهد متكامل على قطعة واحدة او جزء من مشهد يتكون من عدة قطع آجرية، او تزجيج الجوانب (الحافات) الضيقة لقطع الآجر ولاسيما في مدينة خرسباد والتي تشكل كل قطعة جزء من مشهد او شكل ما لترتب هذه القطع مع بعضها بالتالي بحسب العلامات الدالة المرسومة على سطوحها بالوان او حزوز خالية من التزجيج التي تخفي مع مونة البناء، وقد تميز كذلك تشكيل المشهد المصور اما بطريقة الرسم والتزجيج الملون على السطوح الآجرية او بطريقة تصوير المشهد بالنحت البارز العالي او القولية لقطع الآجر وتزجيجها ،

قريباً نوعاً ما من طريقة الآجر المقولب المستعمل كاسلوب عماري مميز في مدينة بابل. ومن الملاحظ وبدون شك ان اسلوب تقنية وصنع التزجيج في العصر الاشوري كان بمستوى ادنى مما كان بوقت معاصر له تقريباً ولاحقاً عنه في مدينة بابل في عصرها الحديث، أذ تميزت صناعة طبقة التزجيج الآشورية بالهشاشة وضعف اللون بالرغم من معالجة الكثير من القطع الآجرية المزججة فنياً في المتاحف للحفاظ على بعض الآثار القليلة الباقية من التزجيج، ولهذا السبب اشارت الكثير من المؤلفات لباحثين ومنقبين قديماً لهذه القطع المزججة بقطع الآجر المصبوغة، وربما يعود ضعف اللون وطبقة التزجيج من طريقة الحفظ او المعالجة غير الملائمة في الماضي او التعرض الى الهواء بعد الكشف عنها في عمليات التنقيب وعدم توفير الاجواء المناسبة للحفظ في المتاحف التي قد تساهم في تلف الطبقة الزجاجية، علماً ان هناك اشارات الى طلاء الكثير من المنحوتات الجدارية الآشورية المعرضة للاجواء الخارجية بطبقات من الطلاء الزجاجي او المينا الشفافة^(١٥٢)

فن تزجيج الواجهات الجدارية في العصر البابلي الحديث (الكلداني) (شكل - ١٦).

يعد العصر البابلي الحديث مرحلة متقدمة في عمارة العراق القديم بكل مقوماتها الهندسية والعمارية والفنية (الزخرفية)، ومنها صناعة وفن التزجيج لتجميل وزخرفة الواجهات الجدارية، أذ تعد مدينة بابل الموطن الحقيقي لفن التزجيج بغزارته وتقنيته ولاسيما في عهد الملك نبوخذنصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م)، نسبة الى قلة وشحة النماذج الفنية في بلاد اشور كما يشير بعض الباحثين^(١٥٣)، وقد شملت النماذج الفنية في مدينة بابل مشاهد لاشكال حيوانية ونباتية وهندسية بالآجر المزجج المقولب وقد غطت اغلب الواجهات الجدارية المهمة ولاسيما لشارع الموكب وبوابة عشتار وقاعة العرش الملكية في القصر الجنوبي للملك نبوخذنصر الثاني، وتتميزت هذه المشاهد الفنية بغلبة تصوير الاشكال الحيوانية فضلاعن الاشكال النباتية والعناصر الهندسية باستعمال الآجر المقولب (لاخراج اشكال بارزة عن ارضية الواجهة كاسلوب من اساليب

النحت البارز) في تنفيذ هذه الاشكال من جهة وبطريقة فنية تظهر فيها التفاصيل التشريحية للحيوان بدقة شكلها الطبيعي بانحناءاتها وتموجاتها ولاسيما العضلات وملامح الوجه ومعانيها فضلا عن التعابير الحسية، واستعمال المساحات الكبيرة من الواجهات الجدارية وغالبا ما تكون كامل الواجهة في التزجيج وليس المشاهد وارضياتها فقط، ومن الاشكال الحيوانية المميزة الاسد رمز الالهة عشتار (الهة الحب والجمال والحرب) والنور رمز الاله ادد او رامان (اله الرعد والعواصف) والتنين الافعواني رمز الاله مردوخ (الاله الرئيس لمدينة بابل) ويسمى المشخوشو او المشروشو (mušḫuššu)، وهو تنين يعد ك مخلوق او ثعبان وحشي كما تشير القواميس الاشورية وجاءت الاشارة اليه في الكتابات الملكية ولاسيما كتابات الملك نبوخذنصر الثاني عند الاشارة الى تزيينه جدران بوابة عشتار بمشاهد من الشخوشو والنور (بالآجر المزجج) على ارضية مشعة باللون الازرق^(١٥٤)، ويتصف هذا التنين الافعواني كمخلوق خرافي مركب من جسد وقوائم امامية وذيل تعود للاسد مع قوائم خلفية تعود لطائر النسر او احدى الطيور الجارحة الكبيرة ورأس افعى بلسان ممدود للخارج وبقرن مستقيم للاعلى مع حراشف الافعى تغطي الجسم مع نهاية الذيل التي تمثل لدغة العقرب^(١٥٥)، وقد اشار بعض المؤرخين اليونان الذين عاشوا او زاروا مدينة بابل ولاسيما كتسياس او سستياس الكندوسي (القرن الرابع ق.م) ونقل عنه ديودورس الصقلي (القرن الاول ق.م) بعض من كتاباته، وعلى الرغم من انتقاد بعض الباحثين لبعض التفاصيل، بان هناك الكثير من الحيوانات وهي تزين جدران المدينة الملكية بابل وقصورها وقد صورت بشكل مؤثر وطبيعي برز ذلك من خلال الالوان المستعملة في طلائها وقد طبعت هذه الاشكال على اللبن قبل فخره^(١٥٦).

أُحيطَ شارع الموكب بجانبيه ولاسيما القسم الشمالي منه اي بدايته من خارج المدينة جدارين سميكين مبرجة زُيّنت واجهتيهما بلوحات جدارية تمثل اسود سائرة بوجوه صارمة غاضبة مُزَيَّنة وعددها نحو ١٢٠ اسد في كلا الواجهتين (٦٠ اسد في كل واجهة وبتناظر) متعاقبة بخط افقي مستعرض يشكل افريزا جداريا على امتداد طول الجدار

حتى بوابة عشتار، لُوْنَت باللون زاهية متعددة، أذ استعمل اللون الابيض في قسم منها لتلوين الجسم مع تلوين اللبدة (شعر راس الاسد وصدرة) والمناطق باللون الاصفر وقسم اخر لُوْنَت اجسامها باللون الاصفر والمناطق المُشعرة باللون الاحمر مع استعمال اللون الاسود لتحديد الخطوط الخارجية على ارضية زرقاء داكنة او فيروزية اللون (تركوازية) وقد احيطت لوحات هذه الاسود وحافات الابراج او الدعامات الجدارية التي ضمت لوحات هذه الاسود باطار من الازهار (وريدات) صفراء اللون وأطار من الاشكال الهندسية المستطيلة والمربعة بيضاء وسوداء اللون شكلت ارضية سفلى تسير عليها الاسود^(١٥٧).

اخذت بوابة عشتار النصيب الاكبر والابرز في تجميل واجهاتها بالآجر المزجج وبألوان زاهية متعددة لمشاهد حيوانية رئيسة وهي كل من الثور والتنين الافعواني التي تعاقبت الواحدة بعد الاخرى بشكل صفوف مستعرضة على امتداد طول هذه الواجهات ليمثل كل صف حيوان منهما بهيئة لوحات جدارية على امتداد ارتفاع الواجهة، أذ تراوحت اعداد هذه الاشكال نحو ٥٧٥ شكلا، منها ما نزال تحت مستوى المياه الجوفية التي تغطي قسما كبيرا من اثار مدينة بابل، فضلا عن هذه الاشكال الحيوانية زينت الواجهة بأطر من وريدات الازهار الربيعية بين اطارين من الاشكال الهندسية المستطيلة والمربعة ضمن ارضية صفراء اللون ولاسيما اطار قوس المدخل الرئيس وحافات الجدران بشكل عام، واستعملت الالوان المزججة لهذه الحيوانات كاللون الابيض لاسيما لمخلوق التنين واللون البني للثور فضلا عن الالوان الاخرى كالاصفر والاخضر المصفر في تلوين مياسم او مراكز الازهار وهي ذات وريقات بيضاء اللون وكل هذه الاشكال صورت على ارضية الواجهة الجدارية بكاملها باللون الازرق الغامق والفاتح^(١٥٨).

ازدانت ايضا واجهة جدارية مهمة بمشهد مبهر بالتزجيج الملون وهي واجهة قاعة العرش الملكية في القصر الجنوبي للملك نبوخذنصر الثاني والمطلّة على الساحة المركزية (الرئيسية) للقصر، وقد غطى المشهد كامل الواجهة تقريبا^(١٥٩)، ويتكون من

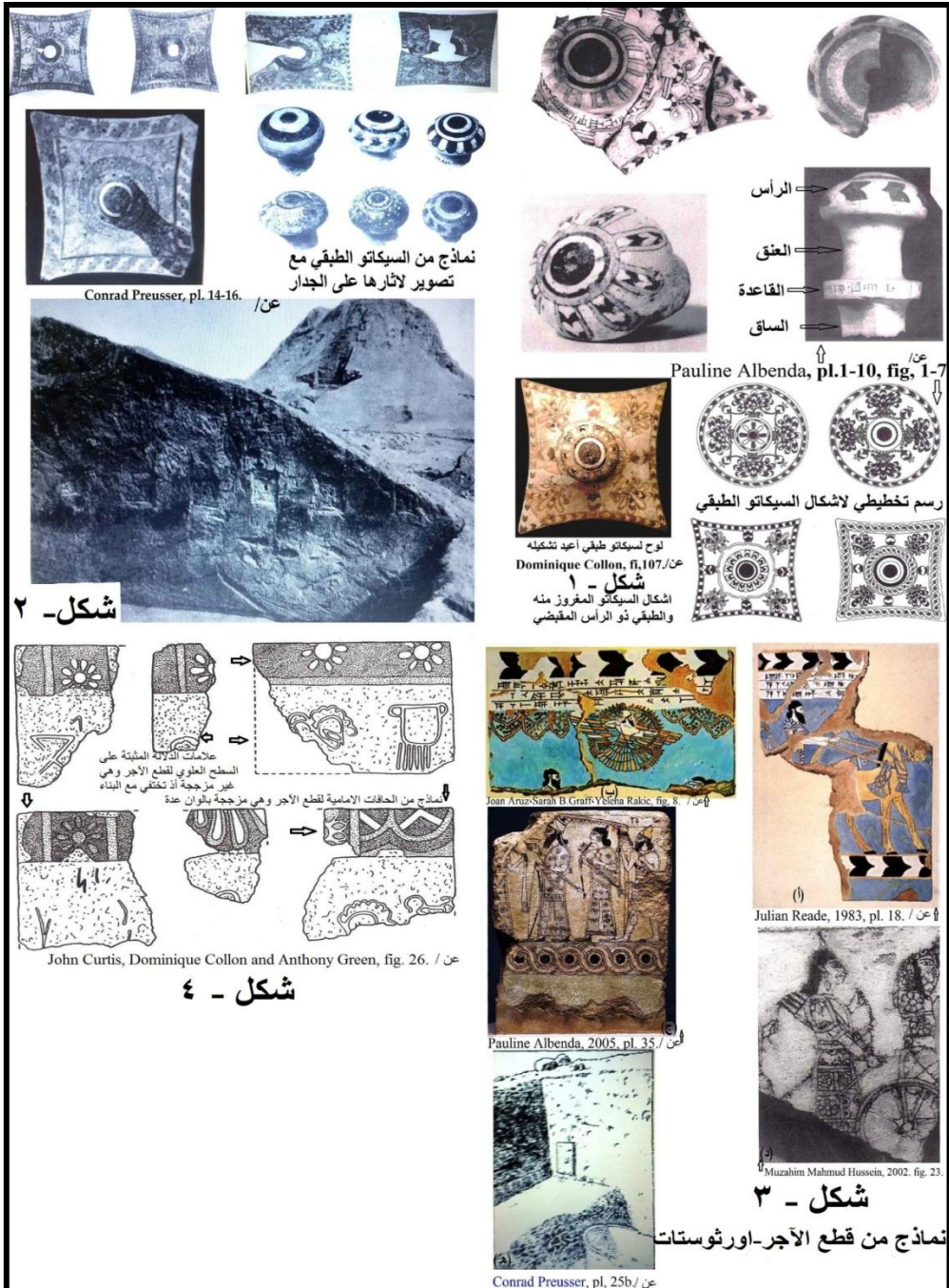
حقلين الرئيس منهم وهو الكبير تزينه جذوع لشجرات النخيل غالبا او جذوع(اسطوانة) الاعمدة باللون الاصفر وحلقة علوية باللون الاخضر تعلوها بتيجان او سعفات حلزونية شبيهة بالاعمدة الايونية او الاشورية باللون الازرق الفاتح لتنتهي هذه الاسعف بزهرة الربيع بورقات بيضاء وميسم اصفر اللون، أذ ترتبط هذه الاشجار او الاعمدة مع بعضها بما يشبه كيزان الصنوبر باللون الازرق الفاتح ببراعم وسطية صفراء اللون علما ان اللون الابيض استعمل كخط خارجي لكل هذه العناصر الزخرفية، وقد احيط كامل هذا الحقل بأطر من العناصر النباتية مصممة بشكل جميل جدا الرئيسة منها تشبه الى حد ما كيزان الصنوبر بنهايات او اطراف تلتقي بشكل دائري مع بعضها لتنتهي اطرافها في مركز الدائرة معقودة برياط مزدوج كمعصد او اسوار اليد مع زهرات البيون بورقات بيضاء ومياسم صفراء وهي تنتهي عند اطراف الكيزان المعقودة وتحيط بالتشكيل من الاعلى والاسفل ايضا، ويفصل ما بين هذه الأطر المحيطة والحقل الاعلى الكبير اطر صغيرة من الاشكال الهندسية مارة الذكر اعلاه، وهي تفصل كذلك هذا الحقل عن الحقل الاسفل الاصغر والذي يتضمن مشهد من عدد من الاسود السائرة المزمجرة يشكل متكرر مستعرض تشبه الاسود في شارع الموكب باللون البني الفاتح للجسم واللبدة الصفراء وهي تسير ايضا وبذيل مرفوع الى الاعلى على اطار من الاشكال الهندسية التي تحيط بدورها الى الاسفل اطارا اكبر من ازهار الربيع بشكلها الكامل وعلى امتداد الحقل بشكله المستعرض على امتداد طول واجهة جدار قاعة العرش، التي كانت بكاملها ارضية باللون الازرق الغامق لهذه المشاهد.

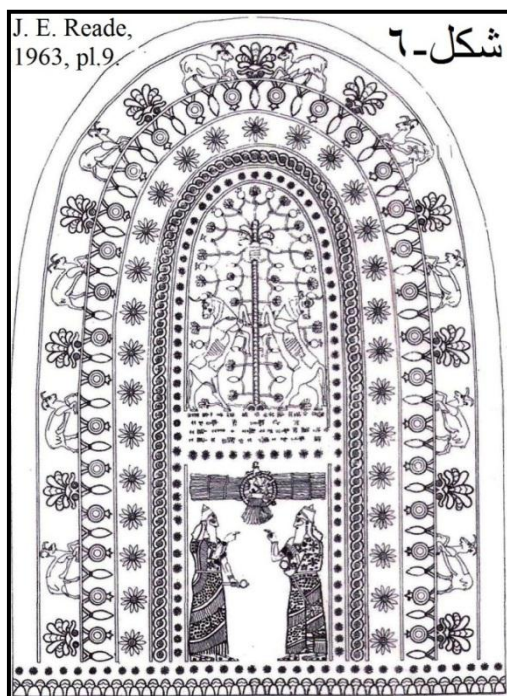
يعود التزجيج في بابل في روعته وقوة تقنيته ربما الى جفاف الارض ونوعية التربة للاحتفاظ بنقاوة الالوان المزججة ولاسيما الفيروزي(الازرق المخضر)، وربما للمواد المستعملة في التنفيذ، علما ان الطريقة الدقيقة لمزج الالوان وتحضيرها وبالتالي تزجيجها غير معروفة التفاصيل لكن يمكن الافتراض والتخمين القيام بتخطيط القطع الآجرية بعد فخرها بخطوط خارجية سوداء لتعطى بعد ذلك بالالوان الاخرى لِتُفَخَّرَ كلها من جديد مع تعليم او تأشير كل قطعة آجرية بعلامات او رموز كدلالة لموقعها ضمن المشهد او

الشكل المصور، وفي اغلب الاحيان نرى استعمال ثلاث الوان رئيسية في عملية التزجيج ولخبرة حرفي بابل لاتمتزج او تختلط هذه الالوان مع بعضها ونراها ثابتة بقوة^(١٦٠).

الخلاصة :

ارتقى فن العمارة في العراق القديم خطى كبيرة في التطور والابداع لاجلب مجالاته ومنها فن التجميل والزخرفة لواجهاته الجدارية مستعملا في ذلك عناصر عمارية وفنية ومنها اسلوب التزجيج الملون موظفا اياه في صور عدة كتزجيج عناصر عمارية وتشكيلية كالسيكاتو (تعليقات جدارية) او تزجيج لمشاهد ونماذج فنية مرسومة بصيغة اورثوستات آجرية او لوحات جدارية او افاريز وأطر لتغطية اقسام معينة من الواجهة ولاسيما اقواس المداخل والاقسام العليا او السفلى من الجدران، وقد كُشِفَ عن نماذج مهمة من هذا الفن العماري تعود الى الالف الاول ق.م ولاسيما في العصر الاشوري الحديث وصولا الى قمة التطور في العصر البابلي الحديث ولاسيما في عصر الملك نبوخذنصر الثاني، ويظهر ذلك بالتقدم في تقنية العمل والمزج اللوني ونقاوته مع قوة البريق ولمعانه، وقد اثر هذا الفن العراقي القديم في فنون الحضارات الاخرى ولاسيما الحضارة الفارسية وغيرها.



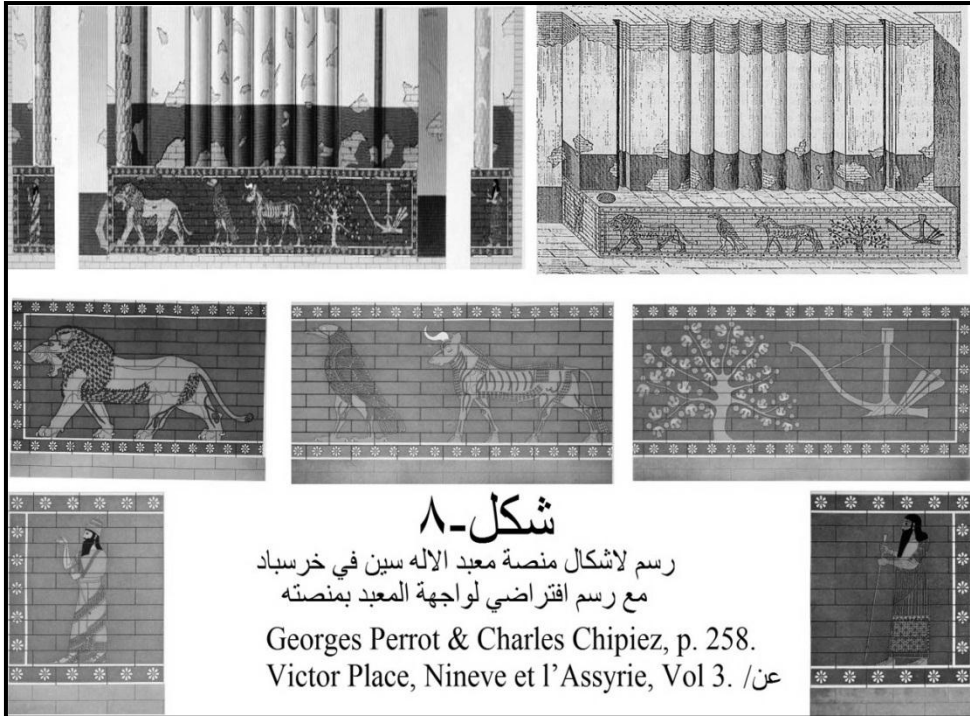




شكل-٧

لوحة آجرية لمنصة
معبد الاله آشور في
مدينة آشور

Ada Fridman, fig. 1.

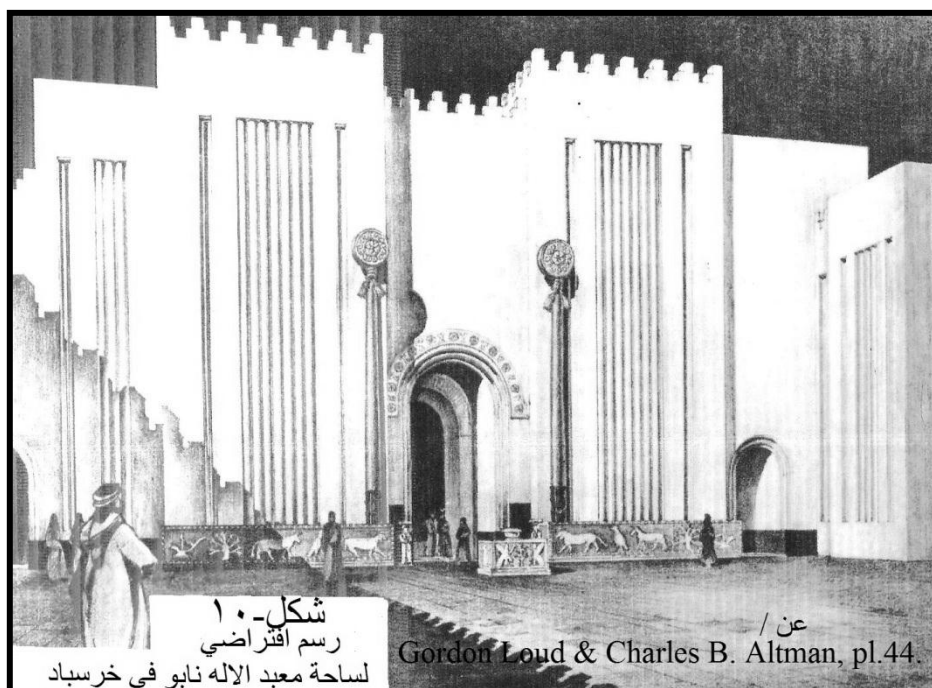
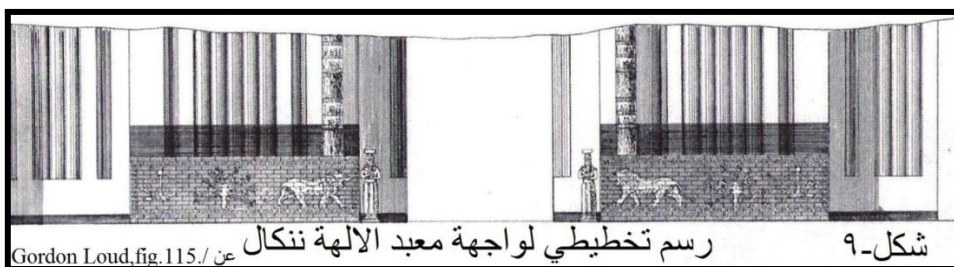


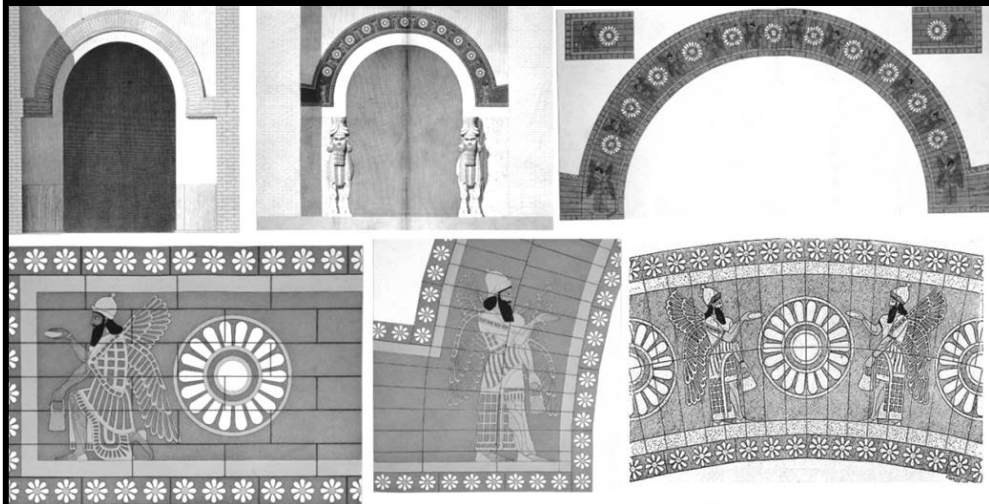
شكل-٨

رسم لأشكال منصة معبد الاله سين في خرسباد
مع رسم افتراضي لواجهة المعبد بمنصته

Georges Perrot & Charles Chipiez, p. 258.

عن: Victor Place, Nineve et l'Assyrie, Vol 3.

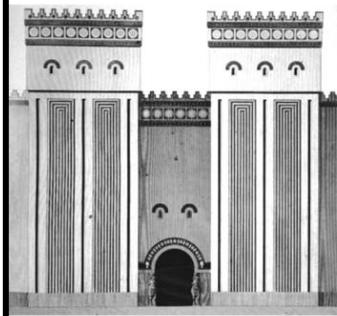




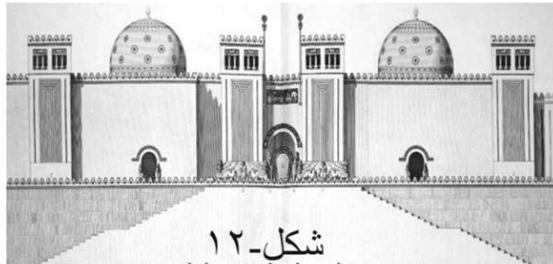
شكل- ١١

رسوم تخطيطية لاشكال قوس مدخل
مدينة خرسباد رقم ٣ المزجج

عن / Victor Place, Vol 3. pl.10-18.

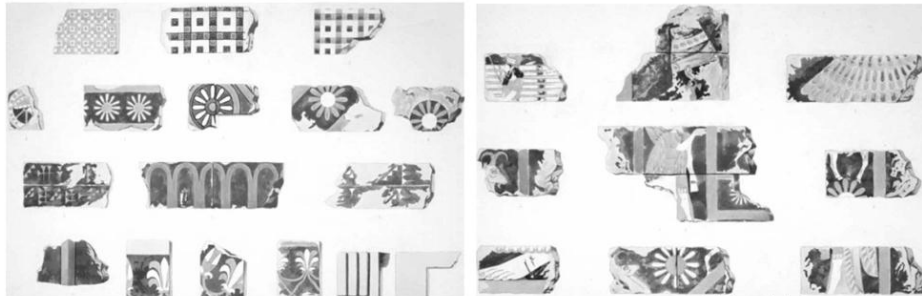


رسم افتراضي لمدخل المدينة

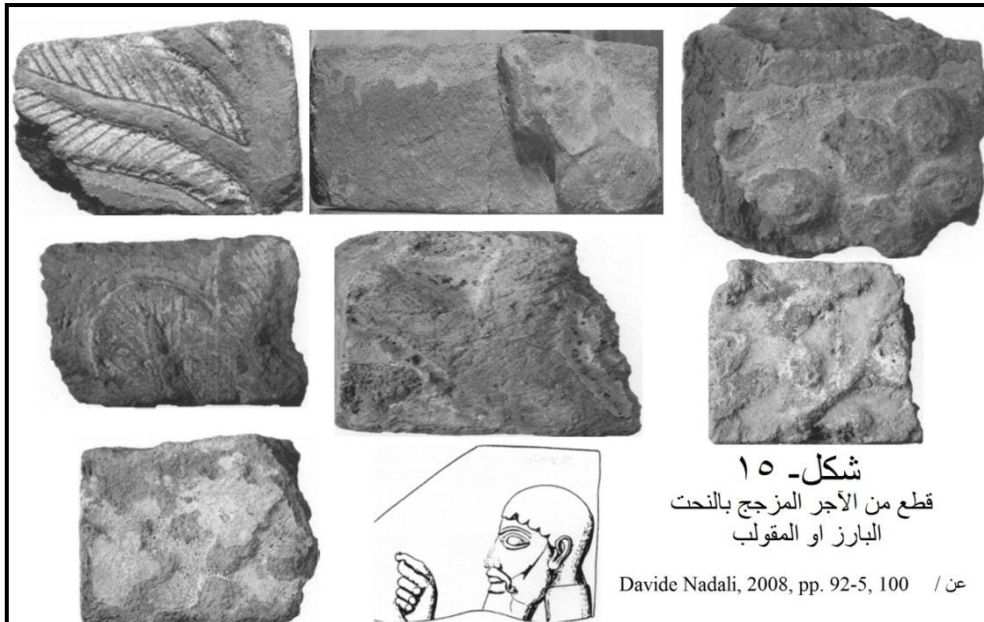


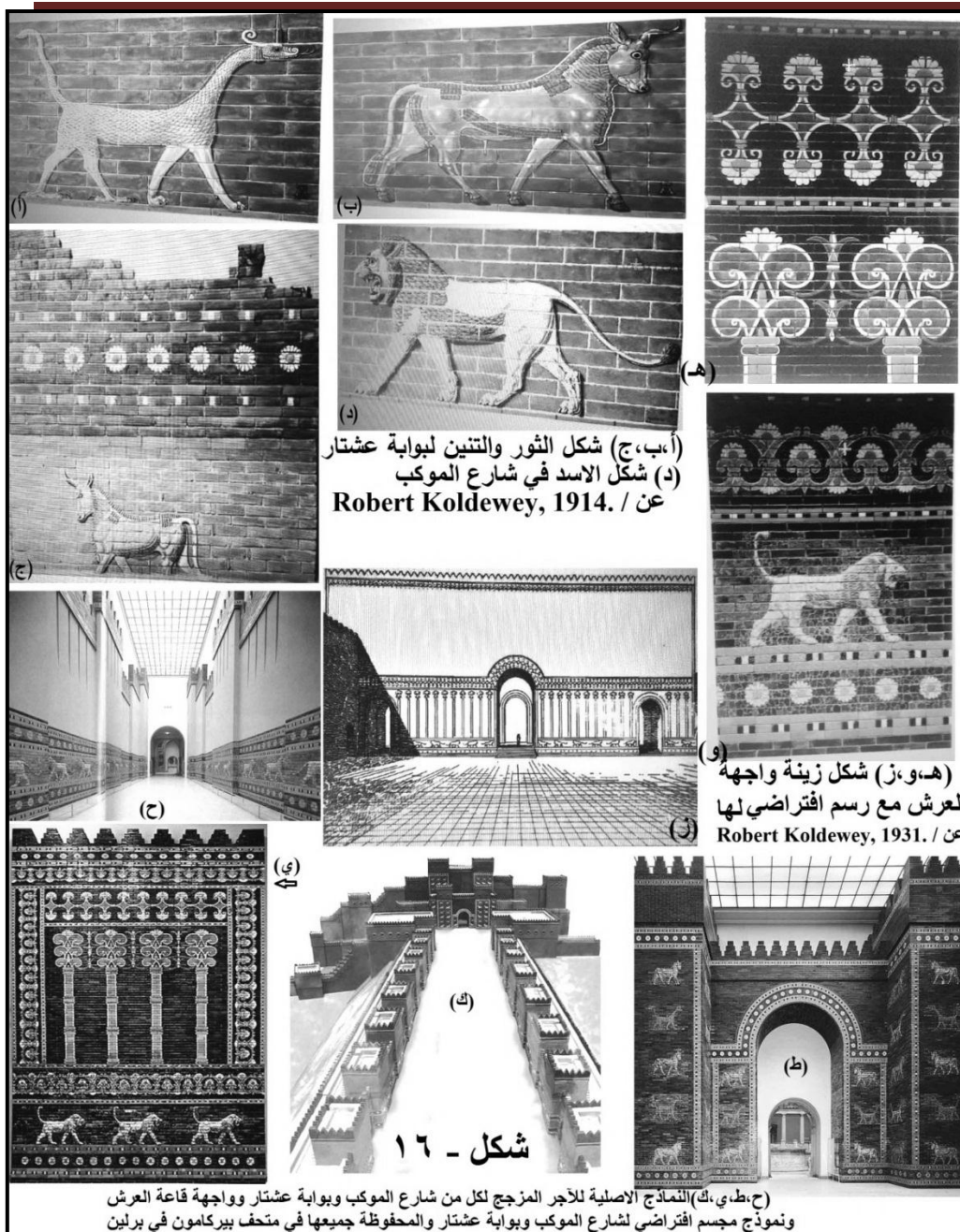
شكل- ١٢

رسم افتراضي لمدخل القصر الملكي في خرسباد عن / Victor Place, Vol 3, pl. 20-21.



شكل- ١٣ قطع من الأجر المزجج المكتشف في القصر الملكي في خرسباد عن Paul Emile Botta & Eugène Flandin, pl.155-6.





- (١) للمزيد حول التزجيج في الخزف العراقي القديم مع دراسة متكاملة عن المعادلات والتراكيب الكيميائية للخامات والمعادن المستعملة لانتاج سائل او رائب التزجيج، ينظر: فاروق نواف سرحان العيساوي، التزجيج في الخزف العراقي القديم، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى جامعة بغداد/ كلية الفنون الجميلة،، ٢٠٠٤.
- (٢) حول صناعة الزجاج ينظر: هناء عبد الخالق، "مميزات الزجاج العراقي القديم"، سومر، مج ٣٠، ١٩٧٤، ص ١٣٧.
- (٣) للمزيد من التفاصيل حول الاكاسيد المعدنية وتراكيب الالوان، ينظر: مارتن ليفي، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في بلاد ما بين النهرين، ترجمة وتقديم محمود فياض المياحي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠، ص ١٤٥-١٦٣.
- (٤) رباب سلمان كاظم، "معالجة ظاهرة تكتل طبقة الزجاج على السطح الخزفي واطى الحرارة"، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، مج ٤، عدد ١، ص ٢٣٧.
- (5) B. Hubner, A. Reizammer, Sumerisch Deutsches Glossar, Germany, 1980, p. 82.
- (6) The Assyrian Dictionary, Chicago, (CAD), SH, part 3: p.9.
- (7) CAD, A, part 1: p. 54.
- (8) A. Kirk Grayson, The Royal Inscriptions of Mesopotamia-Assyrian periods (RIMA) ,Vol 2 ,Canada, 1991, p.54. ; P.R.S Moorey, Ancient Mesopotamian Materials and Industries, Indiana, 1999, p. 315.
- (9) D.J. Wiseman, "A New stela of Assur-Nsir-Pal", Iraq, Vol 14, 1952, P. 30.
- (10) D.D Luckenbill, "Annals of Sennacherib", Oriental Institute Publications (OIP), Vol, 2, 1924, p. 148.
- (11) Ibid, pp. 105, 107. ; A. Kirk Grayson and Jamie Novotny, "The Royal Inscriptions of Sennacherib, King of Assyria (704-681 B.C), Part 1", The Royal Inscriptions of the Neo-Assyrian Period, Vol 3/1, USA, 2012, p. 17.

- (12) [Reginald Campbell Thompson](#), The prisms of Esarhaddon and Ashurbanipal found at Nineveh: 1917–8, London, 1900, p. 35.
- (13) D.D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia (ARAB), Vol2, Chicago, 1926, p. 353–4.
- (14) CAD, A, part 1, pp. 162, 267.
- (15) CAD, E, p. 104. ; Armas Salonen, Die Ziegeleien im Alten Mesopotamian, AASF–171, 1972, p. 157.
- (16) Albert T. Clay, Miscellaneous Inscriptions in the Yale Babylonian Collection, London, 1915, pp. 54–57.
- (17) S. Langdon, Building Inscriptions of the Neo–Babylon Empire, Part 1, Paris, 1905, pp. 124–5.
- (18) Ibid, pp. 130–31.
- (19) CAD, Sh, part 1, p. 85.
- (20) Simo Parpola, "Letters from Assyria and the West", in State Archives of Assyria (SAA), Vol 1, Helsinki, 1987, p. 85.
- (21) CAD, Z, p. 11.
- (22) D.J. Wiseman, Op.Cit, p. 36.
- (23) CAD, S, p. 257–9.
- (24) CAD, Z, p. 15.
- (25) C. J. Gadd and R. Campbell Thompson, "A Middle–Babylonian Chemical Text", Iraq, Vol. 3, No.1, 1936, pp. 87–96.
- (26) Ibid, p. 87.
- (27) Ibid, p. 94.
- (28) Ibid, pp. 91, 94.
- (29) Ibid, p. 95. ; H. Moore, "Reproductions of an Ancient Babylonian Glaze", Iraq, Vol. 10, No. 1, 1948, p. 92.
- (30) C. J. Gadd and R. Campbell Thompson, Op.Cit, p. 91.
- (31) Ibid, p. 88.

(32) Ibid, p. 94.

(33) H. Moore, Op.Cit, p. 27.

(34) Ibid, pp. 29–30.

(35) Robert H. Brill, "The Chemical Interpretation of the Texts." Glass and Glassmaking in Ancient Mesopotamia. The Corning Museum of Glass, 1970. pp. 109–110

(36) السيكتاتو له عدة معاني منها الحلية العمارية، وتد، مخروط جداري، مخروط اساس، مسمار معدني او خشبي والهرم، وقد اشار الملوك ولاسيما الاشوريون ومنذ العصر الاشوري الوسيط الى استخدام هذا النوع في التزيين ومنها ماكان من المعادن والاحجار ومنها ماكان المزجج عندما تقترن الاشارة لها مع الآجر وكلمة البريق واللمعان وبعض الالوان، للمزيد عن معنى هذه الكلمة، ينظر: CAD, S, p. 247.

(37) P.R.S Moorey, Op.Cit, pp. 313–14.

(38) اثير احمد حسين، "الاعمدة والدعائم بين الريادة والندرة في عمارة العراق القديم حتى نهاية العصر البابلي القديم"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، عدد ٥٠، ٢٠١٥، ص ٣١٩–٣٢٠، هامش ١٣٩.

Andre Parrot, "Nineveh and Babylon", in Andre Malraux and Georges Salles(ed), The Art of Mankind, France, 1961, p. 224.

(39) Ibid, p. 313.

(40) CAD, N, part2: p. 144

(41) CAD, S, P. 265.

(42) Geoffrey Turner, "Tell Nebi Yūnus: The akal māšarti of Nineveh", Iraq, Vol. 32, No. 1, 1970, p. 82.

(43) CAD, N, part2: p. 144.

(44) Pauline Albenda, "Decorated Assyrian Knob–Plates in the British Museum", Iraq, Vol. 53, 1991, pp. 43–53 ; P.R.S Moorey, Op.Cit, p. 313

(45) Khaled Nashef, "Archaeology in Iraq", American Journal of Archaeology, Vol. 96, No. 2, 1992, pp. 311–12.

(46) Pauline Albenda, Op.Cit, p. 43.

- (47) A.H. Layard, Monuments of Nineveh /2, London, 1853, Pl. 55, p. 7.
- (48) Dominique Collon, Ancient Near Eastern Art, London, 1995, pp. 131–2.
- (49) [Conrad Preusser](#), [Die Paläste](#) in [Assur](#), (WVDO–G/66), Berlin, [1955](#), p. 19.
- (50) Ibid, p. 21.
- (51) A.H. Layard, Monuments of Nineveh /1, London, 1853a, pl. 87, p. 8. ;
Pauline Albenda, Ornamental wall painting in the art of the Assyrian Empire,
Brill • Styx,
Leiden • Boston, 2005, pp. 35–46.
- (52) Julian Reade, “The Ishtar Temple at Nineveh”, Iraq, Vol. 67, No. 1,
2005, p.378.
- (53) Julian Reade, Assyrian Sculpture, British Museum, London, 1983, p. 19,
pl. 18.
- (54) P.R.S Moorey, Op.Cit,p. 315.
- (55) Ömür Harmanşah, Cities and the Shaping of Memory in the Ancient Near
East, Cambridge University Press, 2013, p. 217.
- (56) P.R.S Moorey, Op.Cit,p. 315.
- (57) RIMA/2, pp. 184–5.
- (58) Andre Parrot, Op.Cit,pp. 226–7.
- (59) Joan Aruz, Sarah B. Graff, Yelena Rakic, Cultures in Contact: From
Mesopotamia to the Mediterranean in the Second Millennium
B.C, Metropolitan Museum of Art, 2013, P.306.
- (60) A.H. Layard, 1853, Op.Cit,p. 7.
- (61) Julian Reade, 1983, Op.Cit,p. 31.
- (62) Pauline Albenda, 2005, Op.Cit,p. 101.
- (63) Dominique Collon, Op.Cit,p. 135.
- (64) Pauline Albenda, 2005, Op.Cit,pp. 102–4, pl, 34–36.

- (65) Muzahim Mahmud Hussein, "Excavations of the Department of Antiquities and Heritage of Nimrud, 1988-1993", in Lamia Al-Gailani Werr & Others, Of Pots and Plans, Nabu Publications, 2002, p. 155.
- (66) Muzahim .M Hussein & David Kertai & Peter A. Miglus "Nimrud and its Remains in Light of Iraqi Ecavations from 1989-2002", in David Kertai & Peter A. Miglus, New Research on Late Assyrian Palaces, Warszawa, 2013, p. 95.
- (٦٧) يوسف خلف عبد الله، الجيش والصلاح في العهد الآشوري الحديث، ط١، دار العربية، بغداد، ١٩٧٧، ص٢٤٠.
- (68) [Conrad Preusser](#), [Die Wohnhäuser](#) in [Assur](#) , (WVDO-G/64), Berlin, 1954, p.45.
- (69) Ibid, p. 55. ; P.R.S Moorey, Op.Cit,p. 316.
- (70) P.R.S Moorey, Op.Cit,pp. 315-16.
- (71) A.H. Layard, 1985a, Op.Cit, pl, 84, p. 8.
- (72) A.H. Layard, Nineveh and its Remains, Vol/2, London, 1849, pp. 13-14.
- (73) Julian Reade, Op.Cit, 1983, p. 20.
- (74) A.H. Layard, Discoveries in the Ruins of Nineveh and Babylon, London, 1853b,p.359.
- (75) J. E. Reade, " The Ziggurra and Temples of Nimrud, Iraq, Vol. 64, 2002, p. 135.
- (76) Ibid, pp. 142-3, 168, 193, no 3, ; Muzahim .M Hussein & David Kertai & Peter A. Miglus, Op.Cit, p. 104. ; A.H. Layard, 1853b, Op.Cit, p. 348.
- (77) David Oates, "The Excavations at Nimrud (Kalhu), 1961", Iraq, Vol. 24, No.1, 1962,p.3, p.6,no.6. ; CAD, M, pp. 558-9.
- (78) Excavations in Iraq 1989-1990, Iraq, Vol. 53,1991, p. 178.

(79) John Curtis, Dominique Collon and Anthony Green, "British Museum Excavations at Nimrud and Balawat in 1989", Iraq, Vol. 55, 1993, pp. 21-6. fig, 23-6.

(80) Ibid, p. 27.

(81) John Curtis, "Recent British Museum Excavations in Assyria", Journal of the Royal Asiatic Society, Third Series, Vol. 2, No. 2, 1992, p. 161.

(82) John Curtis, Dominique Collon and Anthony Green, Op.Cit, p. 27.

(83) للمزيد حول هذه المجاميع والاساليب الفنية وانواع الحروف الارامية الاستدلالية واشكالها ينظر: John Curtis, "The British Museum Excavations at Nimrud in 1989", in J.E. Curtis, H. McCall, D. Collon and L. al-Gailani (ed), New Light on Nimrud, London, 2008, pp. 61-2.

(84) Muzahim Mahmud Hussein, "Recent Excavations in Nimrud", in J.E. Curtis, H. McCall, D. Collon and L. al-Gailani Werr(ed), New Light on Nimrud, London, 2008, pp. 91-4.

(85) Mattias Karlsson, Early Neo-Assyrian State Ideology-Relations of Power in the Inscriptions and Iconography of Ashurnasirpal II (883-859) and Shalmaneser III (858-824), 2013, p. 42, No. 262.

و للمزيد عن هذه اللوحة وتفاصيلها ينظر:

J. E. Reade, "A Glazed Brick Panel from Nimrud", Iraq, Vol. 25, No. 1, 1963, pp. 38-47.

(86) Ibid, p. 38.

(87) Ibid, pp. 38-9.

(88) Ann Perkins, "Narration in Babylonian Art", American Journal of Archaeology, Vol. 61, No. 1, 1957, pp. 55-6.

(89) J. E. Reade, Op.Cit, pp. 39-40.

(90) Ibid, p. 43.

(91) Ibid, pp. 43-44.

(92) Ibid, p. 44.

- (93) Mattias Karlsson, Op.Cit, p. 42.
- (94) J. E. Reade, Op.Cit, pp. 44-45.
- (95) Ibid, p. 45.
- (96) Ibid, pp. 41-2.
- (97) Ernst F. Weidner, "Assyrische Emailgemälde vom achten Feldzuge Sargons II", Archiv für Orientforschung(AfO), 3. Bd. (1926), p. 3.
- (98) [Arndt](#) [Haller](#) and [Walter Andrae](#), [Die Heiligtümer des Gottes Assur und der Sin-Samas- Tempel in Assur](#), Berlin, 1955, pp. 55-6.
- (99) Ibid, p. 57.
- (100) Ada Fridman, "Sargon II or Tiglath-Pileser III?", Revue d'Assyriologie et d'archéologie orientale(RA), Vol. 63, No. 2, 1969, p.172, no.4.
- (101) Ernst F. Weidner, Op.Cit, p. 3. ; D.D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia (ARAB), Vol/2, Chicago, 1926, p. 72.
- (102) Ernst F. Weidner, Op.Cit, p. 2.
- (103) Ibid, pp. 1-2.
- (104) Ada Fridman, Op.Cit, p. 173.
- (105) Ibid, p. 174.
- (106) Ibid, pp. 174- 175.
- (107) P.R.S Moorey, Op.Cit, p. 317.
- (108) Pauline Albenda, 2005, , Op.Cit, pp. 21-22, fig.2.
- (109) Julian Reade, "The Khorsabad Glazed Bricks and their Symbolism", in A. Caubet [ed.], Khorsabad, le palais de Sargon II, roi d'Assyrie, Paris, 1995, pp. 232-3.

(١١٠) مدينة خرسباد من العواصم الاشورية المهمة، اسمها القديم دور شرو كين، أي مدينة الملك سرجون، وتسمية خرسباد جاءت من تسمية حديثة للقرية التي تقع تحتها بقايا المدينة، ومن اهم معالمها العمارية هو سور المدينة التي تقوم عليه سبعة مداخل، ثلاث منها كانت قائمة عندما كُشِفَتْ، وبالقرب من مدخل المدينة رقم ٧ في الجانب الشمالي الغربي يقع حصن كبير مسور

يضم ثلاث انواع من المباني وهي قصر الملك سرجون الثاني ومنطقة المعابد الملحقة به مع الزقورة وكلها ضمن سور خارجي، والى الخارج منه المقرات السكنية للحاشية الملكية وموظفي المؤسسات الادارية وهي المقرات، K,M,L,J,H، وكذلك معبد الاله نابو الذي يقع بينها بالقرب من القصر الملكي وهو يتصل معه بجسر حجري كبير، وخارج هذا الحصن بالقرب من مدخل المدينة رقم ٥ في الجانب الجنوبي الغربي يوجد قصر ملكي آخر اطلق عليه تسمية قصر F، علما ان هذا القصر والقصر الملكي ضمن الحصن ومعبد الاله نابو أُقيم كل منهم على منصة بنائية مرتفعة ويرتقى لهم من خلال منحدر ترابي. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Gordon Loud & Charles B. Altman, Khorsabad, Part 2, The Citadel and the Town Oriental Institute Publications (OIP /40), Chicago, 1938. p. 227-251.

(111) Gordon Loud, Khorsabad, Part I: Excavations in the palace and at the city gate. (OIP/38), Chicago, 1936, P. 80.

(112) Victor Place, Nineve et l'Assyrie, Vol I. Paris, 1870, P. 114. ;

(113) Ibid, pp. 115- 16. ; Georges Perrot & Charles Chipiez, History de l'Art, Tome II, Chalde' et Assyrie, paris, 1884, pp. 258-9.

(114) Gordon Loud, Op.Cit, p. 97.

(115) Ibid, p. 92.

(116) Ibid, pp. 94-6.

(117) حول رمزية صور هذه اللوحة من ملك واسد وطيور وثور وعلاقتها باسم ولقب الملك ينظر: Julian Reade, 1995, Op.Cit, p. 235. ; Irving L. Finkel and Julian E. Reade, "Assyrian Hieroglyphs", Zeitschrift für Assyriologie und Vorderasiatische Archäologie(ZA) 86, 1996, pp. 247-250.

(118) Gordon Loud, Op.Cit, p. 96.

(119) Victor Place, Op.Cit, p. 117. ; Gordon Loud, Op.Cit, p. 96.

(120) Gordon Loud, Op.Cit, pp. 96-7, 103-4.

(121) Ibid, p. 93.

(122) Gordon Loud & Charles B. Altman, Op.Cit, p. 14.

(123) Gordon Loud, Op.Cit, pp. 102-3.

- (124) Ibid, pp. 109–112.
- (125) Victor Place, Op.Cit, p. 135.
- (126) Gordon Loud, Op.Cit, p. 112.
- (127) Gordon Loud & Charles B. Altman, Op.Cit,p. 41.
- (128) Ibid, pp. 41–2.
- (129) Ibid, pp. 42, 56.
- (130) Ibid, pp. 14–15 ; P.R.S Moorey, Op.Cit,p. 316.
- (131) Victor Place, Op.Cit, p. 233.
- (132) Gordon Loud, Op.Cit, p. 3.
- (133) Victor Place, Nineve et l'Assyrie, Vol 2. Paris, 1870, P. 14.
- (134) Victor Place, Vol 1,Op.Cit, p. 234.
- (135) Ibid, pp. 174–5. ;Gordon Loud & Charles B. Altman, Op.Cit,p. 42.
- (136) Ibid, pp. 82–89.
- (137) Ibid, p. 90.
- (138) Ibid, p. 50.
- (139) Ibid, p. 57.
- (140) Pauline Albenda, The Palace of Sargon, King of Assyria. Paris,: Editions Recherche sur les Civilisations,1986, pp. 97–8. pl,150–1 ; Paul Emile Botta & Eugène Flandin, Monument de Ninive (Band 2): Architecture et sculpture, paris, 1849–50, pl,155–6.
- (141) Davide Nadali, “ Esarhaddon's Glazed Bricks from Nimrud: The Egyptian Campaign Depicted”, Iraq, Vol. 68, 2006, p. 110.
- (142) Davide Nadali, Op.Cit, p. 109.
- (143) A.H. Layard, 1853b, Op.Cit, pp. 165–167. ; A.H. Layard, 1853, Op.Cit, Pl. 53–4.
- (144) Davide Nadali, Op.Cit, pp. 111–12.

(١٤٥) للمزيد حول تفاصيل هذه القطع الجميلة ينظر :

Davide Nadali, Op.Cit, pp. 109–116. ; A.H. Layard, 1853b, Op.Cit, pp. 165–167

(^{١٤٦}) للمزيد عن حملة هذا الملك على مصر وتفاصيل أحداثها التي تضمنتها حولياته ينظر:

J.B.Pritchard (ed);The Ancient Near Eastern Text Relating to the Old Testament (ANET), 3rd (ed) , Princeton,1969, pp. 293–4. ; Davide Nadali, Op.Cit, p. 110, no. 10.

(¹⁴⁷)Pauline Albenda,” Observations on Egyptians in Assyrian Art, Bulletin of the Egyptological Seminar, vol 4, 1982a, pp. 12–4 ; Davide Nadali, Op.Cit, p. 110.

(¹⁴⁸) Davide Nadali, “ Assyrian High–Relief Bricks from Nineveh and the Fragments of a Royal Name”, Iraq, Vol. 70, 2008, pp. 89–90. ; Julian Reade, “ The Ishtar Temple at Nineveh”, Iraq, Vol. 67, No. 1, 2005, p. 381.

(¹⁴⁹) Davide Nadali, 2008 , Op.Cit, pp. 97–8.

(¹⁵⁰) Ibid, pp. 95–7.

(¹⁵¹) Ibid, pp. 91–99.

(¹⁵²)Davide Nadali, Bricks in Nineveh, Encyclopaedia of the History of Science, Technology, and Medicine in Non–Western Cultures, 2014, PP.1–3.

(¹⁵³) Karl J. Grimm,”The Polychrome Lion Recently Found in Babylon”, Journal of the American Oriental Society, Vol. 22, 1901, p.29.

(¹⁵⁴) CAD, M/2, p. 270.

(¹⁵⁵) Robert Koldewey,The Excavations at Babylon,Tr.Agnes S.Johns, London,1914, p. 48.

(¹⁵⁶) Karl J. Grimm, Op.Cit, pp. 29–30. ; Georges Perrot and Charles Chipiez, A History of Art Chaldea and Assyria, London, 1884, p. 296. ; Robert Koldewey, Op.Cit, p.28.

(157) M.S.Dimand, "Two Babylonian Reliefs of Enameled Brick", The Metropolitan Museum of Art Bulletin, Vol. 26, No. 5, 1931, pp. 116-118.

(158) Robert Koldewey, Op.Cit, pp. 45-8.

(١٥٩) انطون مورتكارت، الفن في العراق القديم، ترجمة عيسى سلمان وسليم التكريتي، بغداد، ١٩٧٥، ص ٤٣٨-٤٤٢.

Robert Koldewey, Die Königsburgen von Babylon/1 (WVDOG/54), Leipzig, 1931.p. 82. ; Robert Koldewey, 1914, Op.Cit, p.103.

(160) M. S. Dimand, Op.Cit, p. 118.

**التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات
النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي
في عصر النبوة**

أ.م.د. صالح محمد زكي محمود الهبي

قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية / جامعة الشارقة

أ.م.د. ساجدة محمد زكي محمود

قسم التاريخ/ كلية التربية للبنات / الجامعة العراقية/ بغداد

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية
قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

أ.م.د. صالح محمد زكي محمود اللهيبي

أ.م.د. ساجدة محمد زكي محمود

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث موضوعاً دقيقاً أرى أنه حري بالبحث؛ ذلك أنه يركز على السبل التي جعل بها النبي صلى الله عليه وسلم قطاع المال والأعمال يرتقي ويتميز عبر تهذيبه وتشذيبه وإضفاء معالم الرقي عليه من خلال جملة من التطبيقات النبوية التي عالجت الموروث بتقويمه أو اجتثاثه، مع طرح بدائل ملائمة ومتوائمة ذات أبعاد ومقاييس ريانية، إذ كان هذا أمراً ملحاً في العهد النبوي وذلك لأسباب عدة: كون الوحي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مكة وهي المركز التجاري والمقصد الذي كان يؤمه الناس لغايات متنوعة مرتبطة ببعضها بقوة ومتداخلة فهي بين التجارة والدين ومنابر الشعر وغيرها، فكان عنصر المال والأعمال طاغيان؛ سيما وأن مكة وإد غير ذي زرع فأخذ قطاع المال والأعمال مداه قبل الإسلام. وكذلك المدينة التي اشتهرت بزراعتها وأسواقها ومالها وأعمالها سيما بعد انتقال المهاجرين إليها فكل هذا استوجب وجود تطبيقات نبوية تهذب مجال المال والأعمال وتجعل فيه أسباب التميز وأدواته وفق مقاييس ومعايير جديدة، فضلاً عن أن التطبيقات التي سيقوم بها النبي صلى الله عليه وسلم لها صفة القدوة والريادة، فستبقى هذه السنن النبوية مورداً لكل وارد وباحث عن التأسيس القويم المبني على التوجيه النبوي السليم.

فيهدف هذا البحث إلى إبراز الأدوات والأشكال التي أعطت صفة التميز في المال والأعمال في العصر النبوي، والمعالجات النبوية الناجعة والناجحة لصقل مهارات العاملين في قطاع المال والأعمال وكل المتعاطين مع الشأن الاقتصادي عبر تهميتهم

روحياً وفكرياً وإنسانياً على التعاطي مع كافة تفاصيل قطاع المال والأعمال ليس بصفتها غاية المطلب وإنما لأنها أدوات وسبل لا بد لها من نيل المقصد وسمو الغاية، لتصنع مجتمعاً فاضلاً.

مقدمة

يتناول هذا البحث موضوعاً دقيقاً أرى أنه حري بالبحث؛ ذلك أنه يركز على السبل التي جعل بها النبي ﷺ قطاع المال والأعمال يرتقي ويتميز عبر تهذيبه وتشذيبه وإضفاء معالم الرقي عليه من خلال جملة من التطبيقات النبوية التي عالجت الموروث بتقويمه أو اجتثاثه، مع طرح بدائل ملائمة ومتوائمة ذات أبعاد ومقاييس ربانية، إذ كان هذا أمراً ملحاً في العهد النبوي وذلك لأسباب عدة: كون الوحي نزل على النبي ﷺ وهو في مكة وهي المركز التجاري والمقصد الذي كان يؤمه الناس لغايات متنوعة مرتبطة ببعضها بقوة ومتداخلة فهي بين التجارة والدين ومنابر الشعر وغيرها، فكان عنصراً المال والأعمال طاغيان؛ سيما وأن مكة وإد غير ذي زرع فأخذ قطاع المال والأعمال مداه قبل الإسلام . وكذلك المدينة التي اشتهرت بزراعتها وأسواقها ومالها وأعمالها سيما بعد انتقال المهاجرين إليها فكل هذا استوجب وجود تطبيقات نبوية تهذب مجال المال والأعمال وتجعل فيه أسباب التميز وأدواته وفق مقاييس ومعايير جديدة، فضلاً عن أن التطبيقات التي سيقوم بها النبي ﷺ لها صفة القدوة والريادة إلى يوم القيامة ، فستبقى هذه السنن النبوية مورداً لكل وارد ويبحث عن التأسيس القويم المبني على التوجيه النبوي السليم.

فيهدف هذا البحث إلى إبراز الأدوات والأشكال التي أعطت صفة التميز في المال والأعمال في العصر النبوي، والمعالجات النبوية الناجعة والناجحة لصقل مهارات العاملين في قطاع المال والأعمال وكل المتعاطين مع الشأن الاقتصادي عبر تنميتهم روحياً وفكرياً وإنسانياً على التعاطي مع كافة تفاصيل قطاع المال والأعمال ليس

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

بصفتها غاية المطلب وإنما لأنها أدوات وسبل لا بد لها من نبل المقصد وسمو الغاية ،
لتصنع مجتمعاً فاضلاً .

وجاءت هيكليّة البحث على النحو الآتي:

مقدمة

أولاً : الأسواق والتجارة في ظل التطبيقات النبوية.

ثانياً : الشركة وتنظيمها وفق الرؤية النبوية.

ثالثاً : مكافحة الربا وبداية التعامل المالي السليم.

رابعاً : النقد والصيرفة أداة للتميز الاقتصادي.

خامساً: الأوزان والمكاييل والمقاييس في الاقتصاد النبوي .

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية

للمال والأعمال وكل ما يتعلق بهما من جزئيات ومآلات مكانة وحيز بارز في ظل التطبيقات النبوية التي يمكن من خلالها أن نصنع تميزاً ملحوظاً ، فالمنتبع للروايات والآثار الدالة على هذا الركن الأساس في المعادلة الاقتصادية يقف على موروث غني، معالم النضج الاقتصادي فيه أقوى من أن يدل عليها، وأوضح من أن يُفصّل في مضامينها، لكن لإيفاء موضوع البحث حقه، وإبرازاً لمحاسنه سنرى هذه الإضاءات من المنظور النبوي.

أولاً: الأسواق والتجارة في ظل التطبيقات النبوية :

إن من أول ما يمكن الوقوف عليه في هذه الجزئية هو الأسواق وهي المعين والمحرك للنشاط الاقتصادي ، حيث كانت على أشدها في عصر النبوة ولذلك عوامل عدة، أبرزها: أن المنطقة التي قامت فيها الدولة الإسلامية امتازت بحرفة التجارة من قبل الإسلام ، وليس أدل على ذلك من وجود الأسواق التجارية في مدن شبه الجزيرة

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

العربية لا سيما مكة ، وقد غصت المصادر التاريخية بالشواهد على ذلك، كأسواق عكاظ ومجنة وذئ المجاز^(١).

ويرد ذكر هذه الأسواق في كتب الحديث النبوي الشريف فنجد ذكر سوق عكاظ^(٢) وهو الأشهر بين أسواق العرب قبل الإسلام ، وبعد الإسلام كان يؤمه رسول الله ﷺ وأصحابه، وكان ساحة للدعوة الإسلامية ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ.. الحديث"^(٣).

وبما أن الرسول ﷺ والمهاجرين من الصحابة هم من أهل مكة لذا كانت التجارة مهنة أغلبهم، حيث تمرسوا بها، وخبروا فنونها، وهذا ما مكنهم من مواصلة نشاطهم في المدينة المنورة بعد الهجرة إليها، ومعروفة هي قصة عبد الرحمن بن عوف عندما عرض عليه أحد الأنصار وهو سعد بن الربيع ؓ أن يقاسمه ماله عند المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لكن عبد الرحمن فضل أن يدلوه على السوق ليمارس التجارة ويعيل نفسه^(٤)، وفي هذا الصدد، أي العمل بالأسواق ، يروي الإمام مسلم عن أبي هريرة ؓ قوله: "كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم.. الحديث"^(٥).

أما عن ذكر كراهة الأسواق وبغضها الواردة في الحديث الذي يرويه أبو هريرة ؓ أنه ﷺ قال: "أحبُّ البلاد إلى الله، مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها"^(٦) فلأنها: محل الغش والخداع والريا والأيمان الكاذبة^(٧)؛ لذا نجد أن النبي ﷺ عمل على تهذيب الأسواق بالشكل الذي ينسجم وأخلاقيات المرحلة النبوية وكما سنرى لاحقاً.

وفي ظل هذا التنامي المطرد في الحركة التجارية والأسواق كان لابد من وضع ضوابط وأحكام توجه هذا النمو وتبقيه ضمن المسار القيمي المنسجم مع أخلاقيات الدولة الإسلامية الفتية، وتعطيه صفة التميز، وهنا تأتي إرشادات النبي القائد ﷺ الذي لم يترك الأمور على غاربها، خصوصاً أن الناس حديثو عهد بالإسلام، وفي طور

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

التأسيس المؤسسي والفكري وهذا يحتاج لدعائم راسخة؛ لضمان ديمومة العمل، وترسيخ سمات النموذج المثالي في كل شيء، وهذا بلا شك ينطبق على النشاط الاقتصادي، فجاءت التوجيهات النبوية التي ضببت التعاملات في الأسواق والتجارة، ووضعت الأخلاقيات التي يجب أن تحكم النشاط الاقتصادي، فمثلاً يأتي النهي عن الغش في البيع واضحاً في التعاليم النبوية، فنلاحظ مدى خطورة الغش الاقتصادي من خلال إقران النبي ﷺ له بحمل السلاح ضد المسلمين، فيروي الإمام مسلم عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غش فليس منا"^(٨)، ومن خلال الجولات التفقدية للسوق للحد من الظواهر السلبية، يؤشر النبي ﷺ بعضها، فعن أبي هريرة ؓ: "أن رسول الله ﷺ مر على صبرة^(٩) طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: "يا صاحب الطعام ما هذا؟" قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: "أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟" ثم قال "من غش فليس منا"^(١٠).

وبعد الحلف كذباً لإنفاق السلع وتصريفها أحد السلوكيات السلبية الشائعة قبل عصر النبوة والتي سعى النبي ﷺ للقضاء عليها، فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "الحلف منقفة للسلعة، ممحقة للريح"^(١١). ونصح النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم بتجنب كثرة الحلف بالبيع فقال: "إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه يُنفقُ ثم يمحق"^(١٢) وهذه الأحاديث ترسم لنا ملامح اقتصاد السوق في تلك الحقبة التاريخية.

وقد كانت حالة الاحتكار موجودة لأن بعض السلع كانت تشح ولا اعتبارات عدة منها: طبيعية كحالات عدم نزول المطر ونحوها، أو سياسية منها مثلاً تحالف اليهود والمشركين ضد المسلمين^(١٣)، فيلجأ بعض التجار لاحتكار السلع مما يضر بالمسلمين، لذا عمل النبي ﷺ على التحذير من الاحتكار، فعن معمر بن عبد الله ؓ، أن النبي ﷺ قال: "لا يحتكر إلا خاطئ"^(١٤).

ومن المعلوم أن الناس كانوا يحملون أسلحتهم معهم في عصر الرسالة إما كعادة ألفوها، أو لأن المسلمين في حالة حرب فهم على أهبة الاستعداد دوماً، وكان الناس يتجولون في الأسواق ومعهم هذه الأسلحة التي قد تصيب غيرهم عن غير قصد

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

فتؤذيهم ، لذا وضع النبي ﷺ ضوابط لتجنب حدوث ضرر في الأسواق بسبب ذلك، عن أبي موسى الأشعري، أن النبي ﷺ قال: "إذا مر أحدكم في مسجدنا، أو في سوقنا، ومعه نبلٌ، فليمسك على نصالها بكفه ، أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء" (١٥). ومن السلوكيات الموروثة قبل الإسلام التي عمد النبي ﷺ لاستئصالها هي أن يبيع المسلم على بيع أخيه، فيروي الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ، قال: " لا يبيع بعضكم على بيع بعض، ولا يخطبُ بعضكم على خطبة بعض" (١٦).

وكان أصحاب السلع الآتية من أماكن خارج المدينة يجلبون سلعهم فيتلقاها البعض من أهل المدينة قبل دخولهم سوق المدينة فيشترون منهم السلع بثمان أقل من ثمنها الحقيقي فهى النبي ﷺ عن ذلك، حتى يصل صاحب السلعة السوق ويعرف الأسعار، ، عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " لا تلقوا الجَلَبَ، فمن تلقاه، فاشترى منه، فإذا أتى سيدهُ السوق، فهو بالخيار" (١٧) وفي حديث آخر عن ابن عمر رضي الله عنهما: " أن رسول الله ﷺ نهى أن تتلقى السلعُ حتى تبلغُ الأسواق" (١٨).

وكان النبي ﷺ أفضل الناس وقدوة ربانية في التعامل الاقتصادي ونموذجاً فذاً عبر مسار التاريخ، فنلمس هذا مثلاً من الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله ؓ، وفي ذات السياق يروي مسلم عن كعب بن مالك ؓ في جزء من حديث طويل قوله: "...فبينما أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطي من نبط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة.. الحديث" (١٩).

إن جملة ما تقدم يقف كشاهد قوي على طبيعة الأسواق والتجارة التي كانت سائدة في عصر النبوة، وحجم القفزات الهائلة التي طرأت على العملية الاقتصادية بفضل التوجيهات النبوية الشريفة، التي كانت بالفعل مفاتيح التغيير لتلك الحقبة التاريخية المضنية .

ثانياً: الشركة وتنظيمها وفق الرؤية النبوية.

الشركة في اللغة من شركته وأشركته أي اختلاط النصيبين أو الأكثر حتى لا يميز أحدهما عن غيره^(٢٠)، أما اصطلاحاً فهي عقد بين المتشاركين في رأس المال والربح^(٢١).

إن مفهوم الشركة والشراكة كان شائعاً منذ قبل الإسلام، وهذا ما نلمسه من الإشارات القرآنية لهذا المعنى واشتقاقاته في أكثر من موضع في القرآن الكريم^(٢٢).

وتشير الأحاديث والآثار الواردة عن النبي ﷺ لكيفية تعاطيه بهذا الاتجاه الذي نجد فيه الشروط والضوابط التي يضعها النبي ﷺ لضبط الشركات، وضمان عدم حصول تجاوزات، وبالتالي سير العملية الاقتصادية بالوتيرة المتصاعدة، ضمن مفاهيم الإسلام، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: "قضى رسول الله ﷺ بالشفعة^(٢٣)، في كل شركة لم تُقسم، رُبعة^(٢٤) أو حائط، لا يحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه، فإن شاء أخذ، وإن شاء ترك، وإن باع ولم يؤذنه، فهو أحق به"^(٢٥).

إن هذه الرواية فيها دلالات تاريخية واضحة على مدى التطور الاقتصادي في المدينة المنورة خصوصاً، وكذلك يمكن أن نفهم أن النبي ﷺ بدأ يستشعر جملة أمور لا سيما بعد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والشراكات التي حصلت بينهم في جوانب عدة، وبما أن مجتمع المدينة كان أساسه يعتمد على الزراعة فبالأكيد ستكون الشراكات في المزارع والعقارات هي الأبرز.

ونقف على معنى آخر للشراكة مع غير المسلمين ونعني بهم اليهود حين شاركهم النبي ﷺ في المزارع والأراضي بعد أن أقر إجلاءهم عنها؛ لنكتهم العهد لكنه قدر المصلحة العامة فشاركهم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود، والنصارى من أرض الحجاز، وأن رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر، أراد إخراج اليهود منها، وكانت الأرض، حين ظهر عليها، لله ولرسوله وللمسلمين، فأراد إخراج اليهود منها، فسألت اليهود رسول الله ﷺ، أن يُقرهم بها، على

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

أن يكفوا عملها، ولهم نصف الثمر، فقال لهم رسول الله ﷺ: "نفركم بها على ذلك، ما شئنا" ففروا بها، حتى أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحاء^(٢٦).

ونجد أن بعض مصادرنا تشير إلى هذه الحالة باسم الشركة بشكل جلي حيث عثون البخاري لها ب: (باب مشاركة الذمي والمشركين في المزارعة)^(٢٧).

وقد وردت تفاصيل كثيرة في المصادر المعنية بهذا الموضوع حيث نجد أنواع الشركات وأقسامها والأحكام الخاصة بها حيث تورّد بعض المصادر ستة عشر نوعاً من الشركات^(٢٨).

ومن هذا كله نخلص إلى مدى التقدم الذي حصل في الحياة الاقتصادية في عصر الرسالة، وكذلك أنواع التعاملات، والأسس التي قامت عليها العملية الاقتصادية في ذلك العصر.

ثالثاً: مكافحة الربا وبداية التعامل المالي السليم:

لا يخفى استئراء الربا في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، حيث كان شائعاً في التعاملات التجارية والأسواق^(٢٩)، وفيه ما فيه من غبن وحيف، وجفاء للمعاني الإنسانية والاجتماعية التي حرص الإسلام على تعزيزها، لذا لا بد من استئصاله من الحياة كافة، لكن هذا ليس سهلاً؛ بسبب تجذر آفة الربا في المجتمع حينها، ويمكن أن نرى أن المعالجة لمشكلة اجتماعية كانت تستلزم التدرج، ولنلمس هذا في المعالجة الإلهية التي سعت إلى إبراز هذا النوع من التعامل في المسائل التي لها عمق في المجتمع كما حصل مع تحريم الخمر^(٣٠).

تشير المصادر الموثقة للتطبيقات النبوية إلى الربا وأنواعه وكيفية التعامل به في تلك الحقبة والتي سيحجمها النبي ﷺ ويستأصلها من المجتمع النبوي، فعن مالك بن أوس بن الحَدَثَانِ^(٣١) أنه قال: "أقبلت أقول: من يصطرف الدراهم؟ فقال طلحة بن عبيد الله - وهو عند عمر بن الخطاب - :أرنا ذهبك، ثم ائتنا إذا جاء خادمنا، يُعطك ورقك،

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

فقال عمر بن الخطاب: كلا، والله! لتعطينه ورقه، أو لتزددن إليه ذهبه، فإن رسول الله ﷺ قال: "الورق بالذهب ربا، إلا هاء وهاء"^(٣٢)، والبر بالبر ربا، إلا هاء وهاء، والشعير بالشعير ربا، إلا هاء وهاء، والتمر بالتمر ربا، إلا هاء وهاء"^(٣٣).

ومعنى الحديث واضح في الإشارة إلى نوع التعامل الربوي الذي كان يحدث في حينها في الصيرفة، ويؤكد ضرورة البيع واستلام ثمن السلعة مباشرة دون حدوث تبديل ومقايضة فيها تعامل ربوي.

هذا وكان ربا النسيئة أكثر الأنواع شيوعاً في حينها^(٣٤)، ونرى هذه الحالة في الحديث المروي عن أبي المنهال^(٣٥) أنه قال: "باع شريك لي ورقاً بنسيئة إلى الموسم، أو إلى الحج، فجاء إلي فأخبرني، فقلت: هذا أمر لا يصلح، قال: قد بعته في السوق، فلم ينكر ذلك عليّ أحد، فأتيت البراء بن عازب، فسألته، فقال: قدم النبي ﷺ المدينة، ونحن نبيع هذا البيع، فقال: "ما كان يداً بيد، فلا بأس به، وما كان نسيئة، فهو ربا" وأنت زيد بن أرقم^(٣٦)، فإنه أعظم تجارة مني، فأتيته فسألته، فقال مثل ذلك"^(٣٧).

وكان النبي ﷺ غاية في الحرص على مكافحة الربا، فعن فضالة بن عبيد الأنصاري^(٣٨) قوله: "أُتي رسول الله ﷺ، يوم خيبر، بقلادة فيها خرز وذهب، وهي من المغامم تباع، فأمر رسول الله ﷺ، بالذهب الذي في القلادة، فنزع وحده، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: "الذهب بالذهب، وزناً بوزن"^(٣٩).

والمقتضي للربا والمواد التي كان يسود فيها الربا يجد أن الطعام كان في مقدمتها فعن معمر بن عبد الله^(٤٠) قوله: "أنه أرسل غلامه بصاع قمح، فقال: بعْهُ، ثم اشتر به شعيراً، فذهب الغلام، فأخذ صاعاً وزيادة بعض صاع، فلما جاء معمرأ أخبره بذلك، فقال له معمر: لِمَ فعلت ذلك؟ انطلق فردّه، ولا تأخذن إلا مثلاً بمثل، فإنني كنت أسمع رسول الله ﷺ، يقول: "الطعام بالطعام، مثلاً بمثل"، قال: وكان طعامنا، يومئذ، الشعير، قيل له: فإنه ليس بمثله، قال: إني أخاف أن يُضارع"^(٤١)^(٤٢).

وهنا تتجلى تأثيرات التوجيهات والتطبيقات النبوية ومدى ترسخها في نفوس الناس، وكيف أخذوا يحتاطون للربا.

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

ونقف على هذا المعنى أيضاً من خلال ما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بأنه "جاءه صاحب نخله^(٤٣) بصاع من تمر طيب، وكان تمر النبي ﷺ، هذا اللون، فقال له النبي ﷺ: "أنى لك هذا؟" قال: انطلقت بصاعين، فاشتريت به هذا الصاع، فإن سعر هذا في السوق كذا، وسعر هذا كذا، فقال رسول الله ﷺ: "ويلك! أربيت، إذا أردت ذلك، فَبِعْ تمرَكَ بسلعة، ثم اشترِ بسلعتك أي تمرٍ شئت"^(٤٤) وهنا يتضح تثقيف النبي ﷺ لعماله ضد الربا وأخطاره كي يكونوا على وعي ودراية لا سيما أنهم مسؤولون عن إدارة مناطق، وسينفذون التوجيهات النبوية فلا بد أن يدركوا كل أبعادها.

إن الروايات التي توردها كتب الحديث والسيرة النبوية بخصوص الربا تبين أن الربا كان قد استقر كمعاملة راسخة في الاقتصاد حتى إن لها شهوداً وكتاباً يعملون على إبرام الصفقات الربوية، لذا لا بد من تطويق كل الآليات الفاعلة التي ترفد آفة الربا بسبل الديمومة والحيوية، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: "لعن رسول الله ﷺ، آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهده، وقال: "هم سواء"^(٤٥).

وقد كان لليهود دورهم الفاعل في تنمية العمل الربوي وانتشاره في المجتمع، فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أنه قال: "كُنَّا مع رسول الله ﷺ، يوم خيبر، نبايع اليهود، الوُقِيَّة الذهب بالدينارين والثلاثة، فقال رسول الله ﷺ: "لا تبيعوا الذهب بالذهب، إلا وزناً بوزن"^(٤٦).

رابعاً: النقد والصيرفة أداة للتميز الاقتصادي:

يمثل هذا المبحث أحد أركان العملية الاقتصادية في عصر النبوة؛ إذ إن عماد التبادل التجاري ومعرفة مدى نشاط الأسواق يتجلى في كم الصفقات المعقودة والسلع المصروفة، وهذا كله غير متحقق بعدم وجود النقود التي بها تكتمل العملية، وكذلك يتحتم وجود الصيرفة التي تقوم بعملية التقييم للعملة، وسعر صرفها، وصحيحة أم مزيفة، ونحو ذلك.

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

فيما يخص نوع العملة التي كانت رائجة في عصر النبوة فهي الدينار والدرهم، والدينار يأتي من بلاد الروم، أما الدرهم فمن فارس، وأحياناً يستخدم الدرهم الحميري المضروب باليمن^(٤٧). إلا أن الدينار الذهبي البيزنطي والدرهم الفضي الساساني هما الأساسيان، وأحياناً لم يكن الناس يتعاملون بهذه النقود عدلاً بل وزناً وكأنما هي تبر غير مضروبة^(٤٨).

وتزودنا مصادرنا بشواهد عدة على أن النقود التي كانت سائدة في عصر النبوة هي الدراهم والفضة، فعن استخدام الدنانير مثلاً، يروي مسلم عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قوله: "اشتريت يوم خيبر، قِلادة باثني عشر ديناراً فيها ذهب وخرز، ففصلتها، فوجدت فيها أكثر من اثني عشر ديناراً، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: "لا تباع، حتى تفصل"^(٤٩). ويروي عنه كذلك قوله: "كنا مع رسول الله ﷺ، يوم خيبر، نبايع اليهود، الوقيّة"^(٥٠) الذهب بالدينارين والثلاثة، فقال رسول الله ﷺ: "لا تبيعوا الذهب بالذهب، إلا وزناً بوزن"^(٥١).

ويروي الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: "قد أخذت جَمَلَكَ بأربعة دنانير، ولك ظهرك إلى المدينة"^(٥٢).

أما عن استخدام الدراهم، فيروي مسلم عن جابر رضي الله عنه أيضاً قوله: "اشتري مني رسول الله ﷺ بغيراً بوقيتين ودرهم، أو درهمين، قال: فلما قدم صَرَّاراً^(٥٣)، أمر ببقرة فُدِّبَتْ، فأكلوا منها، فلما قدم المدينة، أمرني أن آتي المسجد فأصلي ركعتين، ووزن لي بثمان البعير، فأرجح لي"^(٥٤)، وهنا نلاحظ أن الأموال كانت تعد وأحياناً توزن وزناً كما أسلفنا.

وعن جابر رضي الله عنه قوله: "أعتق رجل من بني غُذرة عبداً له عن دبر، فبلغ رسول الله ﷺ، فقال: "ألك مال غيره؟" فقال: لا، فقال: "من يشتريه مني؟" فاشتراه نُعيم بن عبد الله العدوي^(٥٥) بثمانمائة درهم.. الحديث"^(٥٦).

وكانت النقود تسمى أحياناً بالذهب أو الفضة أو السكّة، والفضة ترد أحياناً باسم الورق، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: "جاءنا ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ، عليهم

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

الصوف، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة، فأبطأوا عنه، حتى روي ذلك في وجهه.

قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصُرة من ورق، ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عُرف السرور في وجهه.. الحديث^(٥٧).

وقد كانت عمليات اقتصادية أخرى تقوم على الذهب والورق أو الدينار والدرهم مثل استئجار الأراضي الزراعية، فيروي أبو داود عن حنظلة بن قيس^(٥٨): أنه سأل رافع بن خديج عن كراء الأرض؟ فقال: نهى رسول الله ﷺ عن كراء الأرض، قال: فقلت: أبالذهب والورق؟ فقال: أما بالذهب والورق، فلا بأس به^(٥٩).

وتشير الروايات والأحاديث النبوية إلى أصول النقود المتوافرة في عصر النبوة وأنها كما قلنا من البيزنطيين الدنانير ومن الفرس الدراهم، وهذا ما نأخذه من الحديث المروي عن أبي نضرة^(٦٠) ﷺ أنه قال: "كنا عند جابر بن عبد الله فقال: "يوشك أهل العراق أن لا يجبي إليهم قفيز^(٦١) ولا درهم، قلنا من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم، يمنعون ذاك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجبي إليهم دينار ولا مدي^(٦٢)، قلنا من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم.. الحديث^(٦٣). والحديث يبنى على حديث آخر يرويه مسلم عن أبي هريرة ﷺ يشير إلى أن الدينار كان مستخدماً في مصر^(٦٤).

أما الصيرفة فهي في اللغة من الصرف وهو الفضل أي فضل الدرهم على الدرهم لجودة فضة أحدهما على الآخر^(٦٥)، وهذا المعنى ينسحب على باقي النقود، وفي الاصطلاح هي تبديل العملات أو بيعها الذهبية بالفضية أو العكس، وفحص العملة لتمييز المغشوش من الصحيح^(٦٦).

وتشير الروايات والأحاديث إلى العمل بالصيرفة وبعض حيثياتها، فيشير إلى وجود من يعمل بالصرافة، وقد مر بنا حديث مالك بن أوس بن الحدثان أن طلحة بن عبيد الله ﷺ كان يعمل بالصرافة^(٦٧).

وهذا الحديث ونحوه يورده الإمام مسلم ضمن باب خاص بالصيرفة أسماه (الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً)^(٦٨)، كما نلمس وجود بعض الصحابة رضي الله عنهم

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

متخصصين بأحكام الصيرفة، فعن أبي المنهال رضي الله عنه أنه قال: "سألت البراء بن عازب عن الصرف؟ فقال: سل زيد بن أرقم، فهو أعلم، فسألت زيدا، فقال: سل البراء فإنه أعلم، ثم قالوا: نهى رسول الله ﷺ، عن بيع الورق ديناً" (٦٩).

وقد وضع النبي ﷺ ضوابط لعمل الصيارفة كما نستنبط من الأحاديث النبوية، ليكون العمل بالمال فيه اللمسات الربانية المبنية على التوجيهات النبوية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: "الدينار بالدينار لا فضل بينهما، والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما" (٧٠) .. وفي حديث آخر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه ﷺ قال: "لا تبيعوا الدينار بالدينارين، ولا الدرهم بالدرهمين" (٧١)، وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: "الذهب بالذهب وزناً بوزن، مثلاً بمثل، والفضة بالفضة وزناً بوزن، مثلاً بمثل، فمن زاد أو استزاد فقد أربأ" (٧٢).

وهذه الروايات تجلي لنا نوع التعامل المالي في عصر النبوة.

خامساً: الأوزان والمكاييل والمقاييس في الاقتصاد النبوي :

إن نشاط الحركة التجارية في الأسواق، وتفاعل الأسواق في عصر الرسالة يستلزم وجود آليات مساعدة على ضبط العمل التجاري، وأساساً مشتركة ينزل الناس عليها في معاملاتهم، وتعد في ذات الوقت فيصلاً في إحقاق الحقوق، وإيفاء الناس مطالبهم. وهنا نقف عند الأوزان والمكاييل والمقاييس التي كانت مستخدمة في عصر النبوة.

ففي الأوزان نجد روايات عدة توضح أن الأوزان التي كانت مستخدمة هي الأوقية والنش والنواة والقيراط والمتقال، فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن (٧٣) أنه قال: "سألت عائشة زوج النبي ﷺ: كم كان صدق رسول الله ﷺ؟ قالت: كان صدقهُ لأزواجه ثنتي عشرة أوقيةً ونشاً، قالت: أتدري ما النش؟ قال: لا، قالت: نصفُ أوقية، فتلك خمسمائة درهم، فهذا صدق رسول الله ﷺ لأزواجه" (٧٤).

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

ويروي الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صُفْرَةٍ، فقال: "ما هذا؟" قال: يا رسول الله، إني تزوجت امرأة على وزن نواة^(٧٥) من ذهب، قال: "فبارك الله لك، أولم ولو بشاة"^(٧٦).

وترد إشارات عدة في كتب الحديث تشير لكل من القيراط^(٧٧) والمثقال^(٧٨) ^(٧٩).

أما المكايل التي كانت موجودة في عصر النبوة فتشير الأحاديث النبوية إلى الصاع^(٨٠)، والمد^(٨١)، والوسق^(٨٢)، والمكايك^(٨٣)، والفرق^(٨٤).

إن المتتبع لمجمل الروايات الخاصة بالكيل والوزن في الأحاديث النبوية يخلص إلى القول أن الأوزان كانت تستخدم للأمور الصغيرة والدقيقة، أما المكايل فهي للأمور الكبيرة، فنجد أن المكايل ترد عادة عند التبائع في المزروعات والمأكولات ونحوها، حيث تكثر هذه الأمور في مجتمع زراعي مثل المدينة المنورة^(٨٥) وعلى سبيل المثال يروي الطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ رخص في العرايا^(٨٦) أن تباع بخرصها كيلاً"^(٨٧).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قوله: "نهى رسول الله ﷺ، عن المزبنة^(٨٨)؛ أن يبيع ثمر حائطه، إن كانت نخلاً بتمر كيلاً، وإن كان كرماً، أن يبيع بزبيب كيلاً، وإن كان زرعاً، أن يبيعه بكيل طعام، نهى عن ذلك كله"^(٨٩).

وفيما يخص الوسق يروي مسلم عن رافع بن خديج رضي الله عنه أنه قال: "أتاني ظهير^(٩٠)، فقال: لقد نهى رسول الله ﷺ عن أمرٍ كان بنا رافقاً، فقلت: وما ذاك؟ وما قال رسول الله ﷺ فهو حق، قال: سألتني كيف تصنعون بمحاقلكم^(٩١)؟ فقلت: نؤاجرُها يا رسول الله على الربيع^(٩٢)، أو الأوسق من التمر، أو الشعير، قال: فلا تفعلوا، ازرعوها، أو ازرعوها، أو أمسكوها"^(٩٣)، ويروي عن أبي حميد^(٩٤) رضي الله عنه أنه قال: "خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك^(٩٥)، فأتينا وادي القرى على حديقة لامرأة، فقال رسول الله ﷺ: "اخرصوها"^(٩٦) فخرصناها وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق.. الحديث"^(٩٧).

أما عن المكيال وآلة الوزن والميزان فقد كانت معروفة في عصر النبوة والدليل ورودها في القرآن الكريم^(٩٨)، كما أشار الإمام مسلم إليها، فيروي عن حنشل^(٩٩) أنه قال: "كنا

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

مع فضالة بن عبيد^(١٠٠) في غزوة، فطارت لي ولأصحابي قلادة فيها ذهبٌ، وورقٌ، وجوهر، فأردت أن أشتريها، فسألت فضالة بن عبيد، فقال: انزع ذهبها فاجعله في كفة، واجعل ذهبك في كفة، ثم لا تأخذن إلا مثلاً بمثل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يأخذن إلا مثلاً بمثل"^(١٠١).

أما المقاييس التي كانت مستخدمة في عصر النبوة فتشير الأحاديث والروايات إلى أنواع منها وهي: الشبر، والذراع، والميل، والباع، فعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: "حرم رسول الله ﷺ ما بين لابتي^(١٠٢) المدينة، قال أبو هريرة: فلو وجدت الظباء ما بين لابتيها ما ذعرتها، وجعل اثني عشر ميلاً، حول المدينة، حمى"^(١٠٣).

ونلاحظ أن الميل كان يعرف كما يشير مسلم إلى أنه مقياس لمسافة الأرض^(١٠٤). وكذلك استخدم الذراع كمقياس للمسافات، فيروى عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: "إذا اختلفتم في الطريق فاجعلوه سبعة أذرع، ومن بنى بناءً فلْيَدْعَمْهُ بحائط جاريه"^(١٠٥). إن هذا الموضوع دليل واضح على نوع الرقي، والسعي الجاد لوضع أساس لكل شيء حتى ينضبط ويقنن؛ وبالتالي تكون عملية النهوض الحضاري التي أَرادها النبي ﷺ ممكنة وبوتيرة غير مسبوقة، وهذا ما كان.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الي تناولنا فيه صناعة التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية توصلنا لنتائج مهمة من أبرزها :

- ١- إن القطاع الاقتصادي عموماً والمال والأعمال خصوصاً شهدا نقلات كبرى بفضل التطبيقات النبوية جعلته يرتقي وينتقل من حال التردّي إلى حال التميز والرقي وفي المناحي كافة .

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

- ٢- شهدت الأسواق والتجارة تغييراً في شكلها ومضمونها عبر حزمة من التوجيهات النبوية التي حددت الحدود وبيّنت الضوابط بالشكل الذي يتلائم مع الرسالة السامية للإسلام، والتي تجعل من العمل الاقتصادي قطاعاً متميزاً فيه كل معالم النمو الإنساني والانطلاق نحو الرقي الحضاري .
- ٣- وضع النبي ﷺ الأسس الراسخة والمتينة لقطاع المال والأعمال من خلال تنظيمه لمفاهيم الشركة والعقود وكل ما يتعلق بها .
- ٤- شهد قطاع النقد والصيرفة والتعامل المالي نقلة كبرى من خلال التوجيهات النبوية التي جعلت المال وسيلة وليس غاية، يمكن من خلالها صناعة التميز المالي والمصرفي دون الدخول في التعاملات المجافية والمنافية للقيم الإنسانية السامية .

التوصيات:

- ١- إصدار دورية متخصصة تعنى بكافة التطبيقات النبوية التي من شأنها صناعة التميز في كافة مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية وغيرها.
- ٢- تشكيل لجنة من الباحثين يعكفون على دراسة كتب الحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية وإبراز كل الجوانب الحضارية التي فيها.
- ٣- إنشاء موقع إلكتروني معني بنشر كل ما له صلة بالهدي النبوي في مناحي الحياة كافة ،مما يساعد في تقديم الصورة الحضارية والرسالة العالمية للإسلام.

المصادر والمراجع

٤- القرآن الكريم

أولاً - المصادر :

- ٥- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن مكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ):
- ٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت، دارالكتب الحديثية، د.ت).
- ٧- الأسيوطي، محمد بن أحمد (ت ٨٨٠هـ):
- ٨- جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود تحقيق: محيي الدين العتبي (بيروت، دار اليوسف للطباعة، د.ت).
- ٩- أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ):
- ١٠- المسند (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٣م).
- ١١- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ):
- ١٢- الصحيح، إشراف مكتب البحوث والدراسات، ط١ (بيروت، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)
- ١٣- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ):
- ١٤- السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- ١٥- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ):
- ١٦- الجامع الصحيح (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤م)
- ١٧- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ):
- ١٨- الإصابة في تمييز الصحابة (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م).
- ١٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري (ت ٨٥٢هـ) ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م).
- ٢٠- بلوغ المرام من أدلة الأحكام (ت ٨٥٢هـ) تصحيح: إبراهيم إسماعيل (بيروت، دار الجيل، د.ت).

- ٢١- تقريب التهذيب (حلب ، دار الرشيد ، د.ت)
- ٢٢- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق (٣١١هـ):
- ٢٣- الصحيح (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٩٢م).
- ٢٤- أبو داود، سليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ) :
- ٢٥- السنن ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت ، المكتبة العصرية ، د.ت).
- ٢٦- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨هـ):
- ٢٧- أساس البلاغة، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت) .
- ٢٨- الفائق في غريب الحديث (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م).
- ٢٩- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ):
- ٣٠- الديباج على صحيح مسلم، ط١ (دار ابن عفان، ١٩٩٦م).
- ٣١- الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ):
- ٣٢- المعجم الكبير ، تحقيق: حمدي عبد المجيد (العراق ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م) .
- ٣٣- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (٤٦٣هـ):
- ٣٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق: علي محمد البجاوي (مصر ، مكتبة نهضة مصر ، د.ت).
- ٣٥- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ط١ (الورشة العربية للتجليد الفني، ١٩٩٢م).
- ٣٦- العيني ، محمود بن أحمد بن موسى الحنفي (٨٥٥ هـ)
- ٣٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، د.ت)
- ٣٨- ابن فارس ، أحمد بن زكريا القزويني (٣٩٥هـ):
- ٣٩- معجم مقاييس اللغة، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
- ٤٠- ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ):

- ٤١-- البداية والنهاية (بيروت ، مكتبة المعارف ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) .
- ٤٢- ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ):
- ٤٣-- السنن: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).
- ٤٤- المزني ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ):
- ٤٥-- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق الشيخ . أحمد علي عبيد وحسن أحمد آغا ، راجعه وقدم له: سهيل زكار (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) .
- ٤٦- مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ):
- ٤٧-- الصحيح ، تحقيق وتخريج. أحمد زهوه وأحمد عناية (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م).
- ٤٨- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ):
- ٤٩- لسان العرب، ط ١ (بيروت ، دار صادر ، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)
- ٥٠- الميرغاني ، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل (ت ٥٩٣هـ):
- ٥١-- الهداية شرح بداية المبتدئ ، الطبعة الاخيرة (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، د.ت) .
- ٥٢- النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣هـ):
- ٥٣-- السنن الكبرى (بيروت ، دار الكتاب العلمية ، ١٩٩١م) .
- ٥٤- النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) :
- ٥٥-- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المعروف بشرح النووي على صحيح مسلم، ط ٢ (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٥م)
- ٥٦- الواقدي، محمد بن عمر السهمي (ت ٢٠٧ هـ)
- ٥٧-- المغازي ، تحقيق : مارسدن جونز ، ط ٣ (بيروت ، دار الاعلمي ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م)

٥٨- أبو يعلى، أحمد بن علي بن الموصلي (ت ٣٠٧هـ) :

٥٩- المسند (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

ثانيا - المراجع :

٦٠- الجزائري، أبو بكر جابر:

٦١- تفصيل الفقه على المذاهب الأربعة، ط ١ (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦م).

٦٢- الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (دار الفكر العربي ، د.ت).

٦٣- عبد الباقي، محمد فؤاد:

٦٤- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٥م).

٦٥- عبد العظيم آبادي ، أبو الطيب محمد شمس الحق (١٣٢٩هـ)

٦٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط ١ (بيروت، دار الفكر، د.ت)

٦٧- فالتر هنتس :

٦٨- المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة. كامل العسلي (عمان ، مطبعة القوات المسلحة ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) .

٦٩- الكبيسي، حمدان عبد المجيد(الدكتور):

٧٠- النشاط المصرفي في الدولة العربية الإسلامية (بغداد ، بيت الحكمة ، د.ت) .

٧١- أسواق العرب التجارية ، ط ١ (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

٧٢- أصول النظام النقدي (بغداد)

٧٣- ياسين، نجمان تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين، ط ١ (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) .

ثالثاً - الأطاريح:

٧٤- السعدي ، أمل عبد الحسين:

٧٥-- الصيرفة والجهيزة في العراق من القرن الثاني إلى الرابع الهجري ، أطروحة
دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة ، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ،
جامعة بغداد ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م .

الهوامش:

(١) ينظر: ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية (بيروت ،
مكتبة المعارف ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) ج ٣، ص ٤١-٤٥؛ نجمان □□ ياسين ، تطور الأوضاع
الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين، ط١ (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ،
١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) ص ٥٨.

(٢) ينظر: الكبيسي، حمدان عبد المجيد، أسواق العرب التجارية، ط١ (بغداد ، دارالشؤون الثقافية العامة
، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ص ٢٢.

(٣) مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) الصحيح، تحقيق وتخريج. أحمد زهوه وأحمد
عناية (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م) ج ٤، ص ٢٢١٦، حديث رقم ١٠٠٦.

(٤) ينظر: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) الصحيح، إشراف مكتب البحوث
والدراسات ، ط ١ (بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)
ج ٩، ص ١٠٨، حديث رقم ٤٩٦٩.

(٥) ابو يعلى، أحمد بن علي بن أبي يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ)المسند (بيروت، دار الكتب
العلمية، ١٩٩٨م) حديث رقم ٦٢٥٣.

(٦) مسلم ،الصحيح ،حديث رقم ١٥٢٨؛ ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق (٣١١هـ) الصحيح (
بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٩٢م) حديث رقم ١٢٣٩.

(٧) النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج
المعروف بشرح النووي على صحيح مسلم، ط ٢ (بيروت ، دار الفكر، ١٩٩٥م) ج ٥، ص ١٤٠.

- (٨) صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٩، حديث رقم ٢٨٣. (ينظر: أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠) ج ٤، ص ٣٨٨).
- (٩) صبرة: أي كومة. (ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥ هـ) معجم مقاييس اللغة، ط ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م) ج ١، ص ٨٨٠).
- (١٠) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ) الجامع الصحيح (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤م) حديث رقم ١٣١٢ (حديث صحيح).
- (١١) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ) السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) حديث رقم ١٠٤٤٩ (حديث صحيح).
- (١٢) أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ) المسند (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٣م) حديث رقم ٢٢١٦٦ (حديث صحيح).
- (١٣) ينظر: ياسين، تطور الأوضاع الاقتصادية، ص ١٤٠.
- (١٤) مسلم، الصحيح، ج ٣، ص ١٢٦٣، حديث رقم ٤١٢٣، وينظر: حديث رقم ٤١٢٢ و ٤١٢٤.
- (١٥) ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) حديث رقم ٣٨٦١ (حديث صحيح).
- (١٦) الترمذي، السنن، حديث رقم ١٢٨٩ (حديث صحيح).
- (١٧) مسلم، الصحيح، ج ٣، ص ١٥٧، حديث رقم ٣٨٢٣.
- (١٨) مسلم، الصحيح، ج ٣، ص ١١٥٦، حديث رقم ٣٨١٩ وما بعده.
- (١٩) مسلم، الصحيح، ج ٤، ص ٢١٢٠، حديث رقم ٧٠١٦.
- (٢٠) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٥٣٥.
- (٢١) ينظر: عبد العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق (١٣٢٩ هـ) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط ١ (بيروت، دار الفكر، د.ت) ج ٩، ص ٢٣٦.
- (٢٢) ينظر: النساء: آية ٢، الأنعام: آية ٣٩، ص: آية ٢٤، الزمر: آية ٢٩.
- (٢٣) الشفعة في اللغة: الزيادة، واصطلاحاً الشفعة في الدار والأرض: القضاء بها لصاحبها، والشفعة أيضاً إن تكون الدار بين جماعة مختلفي السهام فيبيع واحد منهم نصيبه فيكون ما باع لشركائه

- بينهم على رؤوسهم لا على سهامهم. (ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) لسان العرب، ط ١ (بيروت، دار صادر، ١٣٧٥ هـ/١٩٥٥ م) ج ٧، ص ١٣٦).
- (٢٤) الربعة هي الدار والمسكن ومطلق الأرض وأصله المنزل الذي كانوا يرتبكون فيه. (ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج ١١، ص ٣٨).
- (٢٥) النسائي، أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣ هـ) السنن الكبرى (بيروت، دار الكتاب العلمية، ١٩٩١ م) حديث رقم ٤٦٨٤؛ (ينظر: الميرغاني، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل (ت ٥٩٣ هـ) الهداية شرح بداية المبتدئ (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ت) ج ٣، ص ٣).
- (٢٦) مسلم، الصحيح، ج ٣، ص ١١٣٧، حديث رقم ٣٩٦٧. (ينظر: الواقدي، مغازي رسول الله، ص ٣٠٥).
- (٢٧) ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، ج ٢، ص ١٦٩. (ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تصحيح: إبراهيم إسماعيل (بيروت، دار الجيل، د.ت) ص ٢١٦).
- (٢٨) ينظر: الأسيوطي، محمد بن أحمد (ت ٨٨٠ هـ) جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود، تحقيق: محيي الدين العتبي (بيروت، دار اليوسف للطباعة، د.ت) ص ١١٨).
- (٢٩) ياسين، تطور الأوضاع الاقتصادية، ص ٥٣-٥٤.
- (٣٠) ينظر: سورة البقرة: آية ٢٧٥-٢٧٦، سورة الروم: آية ٣٩.
- (٣١) هو الصحابي الجليل مالك بن أوس بن الحدثان النصري، الذي بعثه النبي ﷺ منادياً في أيام التشريق. (ينظر: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي (مصر، مكتبة نهضة مصر، د.ت) ج ١، ص ٢٠٨).
- (٣٢) هاء: هنا بمعنى خذ (ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود، ج ٩، ص ١٩٧).
- (٣٣) مسلم، الصحيح، حديث رقم ٤٠٥٩.
- (٣٤) هو من أشهر أنواع ربا الجاهلية، وهو أنهم كانوا يسلفون بالزيادة وينظرون، فهو بيع الجنس الواحد ببعضه، أو بجنس آخر مع زيادة في نظير تأخير القبض. (ينظر: الجزائري، أبو بكر جابر، تفصيل الفقه على المذاهب الأربعة، ط ١ (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦ م) ج ٢، ص ٢٣٣؛ رضا، رشيد، ذو النورين عثمان بن عفان الخليفة الثالث رضي الله عنه، ج ١، ص ١٢٢).

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

- (٣٥) هو عبد الرحمن بن مطعم البُناني، المكي، الثقة، المحدث، توفي سنة ١٠٦هـ. (ينظر: المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ) : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق الشيخ . أحمد علي عبيد وحسن أحمد آغا ، راجعه وقدم له : سهيل زكار (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ج ١١، ص ٣٧١).
- (٣٦) هو زيد بن أرقم الأنصاري الخزرجي الصحابي الجليل شهد تسع عشرة غزوة مع النبي ﷺ توفي سنة ٦٨هـ. (ينظر: ابن عبد البر ، الاستيعاب، ج ٢، ص ١٠٩).
- (٣٧) مسلم، الصحيح ، ج ٣، ص ١٢١٢ ، حديث رقم ٤٠٧١ وما بعده.
- (٣٨) هو فضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي الصحابي الجليل، شهد بدرًا وولاه معاوية قضاء دمشق، وتوفي في عهد معاوية، (ينظر: ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) الإصابة في تمييز الصحابة (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥م) ج ٥، ص ٢٨٣).
- (٣٩) الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ) المعجم الكبير ، تحقيق: حمدي عبد المجيد (العراق ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) حديث رقم ٨١٣ .
- (٤٠) هو معمر بن عبد الله بن نضلة القرشي العدوي، هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة، عاش عمراً طويلاً، (ينظر: ابن عبد البر ، الاستيعاب، ج ٣، ص ٤٨٦).
- (٤١) يُضارع: أي يشابه ويشارك، ومعناه أخاف أن يكون في معنى المماثل فيكون له حكمه في تحريم الربا. (ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم ج ١١، ص ١٧).
- (٤٢) الصحيح، مسلم، ج ٣، ص ١٢١٤ ، حديث رقم ٤٠٨٠.
- (٤٣) يقصد به أبا بني عدي الأنصاري الذي استعمله النبي ﷺ على خيبر. (ينظر: حديث رقم ٤٠٨١ و ٤٠٨٢).
- (٤٤) مسلم ، الصحيح ، ج ٣ ، ص ١٢١٧ ، حديث رقم ٤٠٨٧.
- (٤٥) البيهقي ، السنن الكبرى ، حديث رقم ١٠٥١١.
- (٤٦) البيهقي ، السنن الكبرى ، حديث رقم ١٠٥٩٩.
- (٤٧) ينظر: الشريف ، أحمد إبراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (دار الفكر العربي ، د.ت)
- ص ٢١٥؛ الكبيسي، أصول النظام النقدي، ص ٧.
- (٤٨) الكبيسي، أصول النظام النقدي، ص ٧-٨.
- (٤٩) حديث رقم ٤٠٦١ (حديث صحيح).

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

- (٥٠) الوقية أو الأوقية: هي أربعون درهماً وهي أوقية الحجاز. (ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج٧، ص٤٣).
- (٥١) ح٣، ص١٢١٤، حديث رقم ٤٠٧٨.
- (٥٢) ح٢، ص١٢٢٤، حديث رقم ٤١٠٧.
- (٥٣) صرار: موضع قريب من المدينة على طريق العراق. (ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) الديباج على صحيح مسلم، ط١ (دار ابن عفان، ١٩٩٦م) ج٤، ص١٩١).
- (٥٤) حديث رقم ٤١٠٥.
- (٥٥) هو نعيم بن عبد الله النحام من أوائل الذين أسلموا، شهد العديد من المشاهد، وقد اختلف في سنة وفاته. (ينظر: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن مكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت، دارالكتب الحديثة، د.ت) ج٤، ص٢٤٦).
- (٥٦) السنن الكبرى، البيهقي، حديث رقم ٧٧٧٦ (حديث صحيح).
- (٥٧) الصحيح، مسلم، ج٤، ص٢٠٥٩، حديث رقم ٦٨٠٠ وما بعده، وينظر: حديث رقم ٣٩٩٥ و٢٤٤٩.
- (٥٨) هو حنظلة بن قيس الأنصاري الزرقى، ولد في عهد رسول الله ﷺ، وعرف بحسن رأيه، وقد اختلف في سنة وفاته. (ينظر: ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص١٣٢).
- (٥٩) أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ) السنن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت، المكتبة العصرية، د.ت) حديث رقم ٣٣٩٥.
- (٦٠) هو المنذر بن مالك بن قُطعة العبدي، الإمام الثقة، توفي سنة ٨ أو ١٠هـ. (ينظر: تقريب: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب (حلب، دار الرشيد، د.ت) ج٢، ص٢١٣).
- (٦١) القفيص: مكيال معروف لأهل العراق، وهو ثمانية مكاكيك، والمكوك صاع ونصف. (ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج١٨، ص١٦).
- (٦٢) المدي مكيال معروف لأهل مصر يسع أربعة وعشرين صاعاً. (ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج١٨، ص١٦).
- (٦٣) أحمد، المسند، حديث رقم ١٤١١٨.
- (٦٤) حديث رقم ٧٢٧٧.
- (٦٥) الزمخشري، أساس البلاغة، ج٢، ص١٤.

(٦٦) السعدي ،أمل عبد الحسين الصيرفة والجهيزة في العراق من القرن الثاني إلى الرابع الهجري ،
أطروحة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة ،مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة
بغداد ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

ص١٠٣.

(٦٧) صحيح مسلم ،ج ٣ ، ١٢٠٩حديث رقم ٤٠٥٩.

(٦٨) ص ٦٥٨.

(٦٩) أحمد ، المسند ، حديث رقم ١٨٩٧٦(حديث صحيح).

(٧٠) البيهقي ، السنن الكبرى ، حديث رقم ١٠٥٢٩(حديث صحيح)؛ (ينظر: الكبسي، النشاط
المصرفي، ص ٧٣ وما بعدها).

(٧١) مسلم ، الصحيح ، ج ٣ ، ص ١٢٠٩،حديث رقم ٤٠٥٨.

(٧٢) مسلم ، الصحيح ، ج ٣، ص ١٢١٢ ،حديث رقم ٤٠٦٨.

(٧٣) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، إمام ثقة، مختلف في سنة وفاته،(ينظر:
ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج ٢، ص ٤٠٩).

(٧٤) حديث رقم ٣٤٨٩و٢٢٨٣و٣٧٧٨و٣٤٨٦و٣٤٨٩.

(٧٥) النواة: تعدل خمسة دراهم من الذهب على الأرجح.(ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج ٩،
ص ١٧٨).

(٧٦) الترمذي ، السنن ، حديث رقم ١٠٨٨ (حديث صحيح).

(٧٧) ينظر مثلاً: مسلم، الصحيح، ج ٤، ١٩٧٠،حديث رقم ٦٤٩٣.

(٧٨) المثقال عشرة دراهم. (ينظر: العيني ، محمود بن أحمد بن موسى الحنفي (٨٥٥ هـ) عمدة
القاري شرح صحيح البخاري (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، د.ت) ج ١٢، ص ٧٣).

(٧٩) ينظر مثلاً: مسلم، الصحيح، حديث رقم ٧٣٨١.

(٨٠) الصاع خمسة أرتال وثلاث بالبغدادي، وفي رطل بغداد أقوال أظهرها أنه مائة درهم وثمانية
وعشرون درهماً وأربعة أسباع درهم.(ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج ٧، ص ٤٣).

(٨١) المد: رطل وثلاث بالبغدادي. (ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٨٥).

(٨٢) الوسق: ستون صاعاً كل صاع خمسة أرتال وثلاث بالبغدادي. (ينظر: النووي، شرح صحيح
مسلم، ج ٧، ص ٤٣).

التميز في المال والأعمال في ضوء التطبيقات النبوية – قراءة في التاريخ الاقتصادي في عصر النبوة

- (٨٣) المكاويك، جمع مكوك: والمكوك صاع ونصف، (ينظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ج ١٨، ص ١٦).
- (٨٤) الفرق: ثلاثة أصع. (ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج ٤، ص ٣).
- (٨٥) ينظر: الشريف، مكة والمدينة، ص ٣٧٤.
- (٨٦) العرايا: جمع عرية ومعناها عطية ثمر النخل دون الرقاب. (ينظر: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ط ١ (د.م، الورشة العربية للتجليد الفني، ١٩٩٢م) ج ٢، ص ٣٢٣).
- (٨٧) الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم ٤٧٧٤ (حديث صحيح).
- (٨٨) المزينة: لغة من الزين وهي الدفع، (ينظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) الفائق في غريب الحديث (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م) ج ٢، ص ٧٥).
- (٨٩) عبد الباقي، محمد فؤاد، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٥م) ج ١، ص ٣١١.
- (٩٠) هو الصحابي الجليل ظهير بن رافع بن عدي الأنصاري الأوسي، شهد المشاهد وشهد العقبة، (ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٥٠٣).
- (٩١) محافلكم: أي مزارعكم (ينظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) أساس البلاغة، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت) ج ١، ص ٢٠٤).
- (٩٢) الربيع: هو الساقية والنهر الصغير. (ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج ١٠، ص ١٦٧).
- (٩٣) صحيح، ج ٣، ص ١٠٧، حديث رقم ٣٩٤٩.
- (٩٤) هو أبو حميد الساعدي الصحابي الجليل، شهد أحداً، وقيل إنه توفي آخر خلافة معاوية. (ينظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٧، ص ٨٠-٨١).
- (٩٥) سنة ٩هـ.
- (٩٦) أي احرزوها كم يجيء من ثمرها. (ينظر: السيوطي، الديباج، ج ٥، ص ٢٩٨).
- (٩٧) حديث رقم ٥٩٤٨ وما بعده، وينظر الأحاديث رقم ٣٩٤٩، ٢٢٦٣، ٣٨٩٢.
- (٩٨) ينظر: سورة الأعراف: آية ٨٥، وسورة المطففين، الآيات ١-٣.
- (٩٩) هو حنش بن عقيل، أحد بني نعيمة بن مليل، لقي رسول الله ﷺ وأسلم. (ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٥٩).

- (١٠٠) هو فضالة بن عبيد بن نافذ الأنصاري الأوسي كان من بايع تحت الشجرة، استخلفه معاوية على دمشق، وقد توفي سنة ٥٣هـ. (ينظر: ابن حجر ، الإصابة، ج ٥، ص ٢٨٣-٢٨٤).
- (١٠١) ج ٣، ص ١٢١٤، حديث رقم ٤٠٧٩.
- (١٠٢) أي ناحيتي المدينة. (ينظر: السيوطي، الديباج، ج ٥، ص ٣٠٩).
- (١٠٣) البيهقي، السنن الكبرى، حديث رقم ٩٩٨٨.
- (١٠٤) ينظر: حديث رقم ٧٢٠٦ و ٧٢٩٠.
- (١٠٥) البيهقي ، السنن الكبرى ، حديث رقم ١١٤٦٢.

ABSTRACT

This study is about distinguishing between money and trade according to prophetic application: a study in economical History in the prophet era. It contains a study to the ways that the prophet used to treat the heritage and submitting suitable substitutes that have godly limitations and criteria. This was urgent in the prophetic era for several reasons because the revelation was given to the prophet (pbuh) inside Makka, the trade center to people for different overlapped purposes within religion, trade and poetry, etc...

So the money and trade were important elements in Makka because it was not fertile trade were the major deed before Islam. In addition, madeena was famous by agriculture and markets and money especially after the movement of muhajireen to it. All these require prophetic application in trade making it prominent

according to new curricula as well as these applications have the priority . This sunn would be the supplier for each searcher about right establishment which is built on prophetic sound orientation.

This study aims to shed light on methods and figures that gave the superiority to trade in prophetic era and all the successful prophetic treatments to refine the skills of the workers in trade and all those who deal with economics by developing them psychologically and intellectually in dealing with all trade sector not because it is a purpose required but it is a noble way to form virtuous community.

دور الاغالبه في فتح صقلية

أ.م.د. علي عطية

م. م. ايمان عبد الجبار محمود التميمي

دور الاغالبية في فتح صقلية

أ.م.د. علي عطية

م. م. ايمان عبد الجبار محمود التميمي

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ،نحمده ونشكره على نعمه الكثيرة التي انعمها علينا ،ونستغفره فهو الهادي الى سواء السبيل ،والصلاة والسلام على محمد النبي الاميؑ، خير المرسلين وخاتم النبيين. وبعد

اهتمت الدولة العربية الاسلامية منذ بدء فتوحاتها وتوسعاتها بأنشاء القواعد البحرية وتتميتها وخاصة في العهد الاموي ،وكان اهتمام الدولة الاموية بنمو البحرية والاسطول الاسلامي، بحكم قرب دمشق العاصمة من البحر الابيض المتوسط ،فقد سعى بنو امية الى التوسعات عبر البحر واستثمارة واهتموا به اهتماماً كبيراً مثلما اهتموا بالفتوحات البرية ،ونشر الاسلام الى ما يجاورهم من البلاد، وكسب اراضي جديدة ،وكان موضوع جزيرة صقلية^(١) من المواضيع الهامة التي اهتمت بها ،لعلاقة صقلية بدول البحر المتوسط وسيطرتها على طرق التجارة التي تمر بها ،لذا حاول العرب المسلمون كسب سكانها الى الاسلام لتحقيق المردود الديني الذي يعود عليهم من الجهاد، فضلا عن المردود الاقتصادي الذي كانوا يطمحون اليه للاستفادة من خيرات الجزيرة وموقعها الاستراتيجي وسط البحر المتوسط ،بعد ان فتحوا جزيرة قبرص سنة (٦٥٤هـ/٦٥٤م)، اهتموا بالسيطرة على هذه الجزيرة لتحقيق تلك الاهداف، وقد قامت العديد من الغارات العربية عليها منذ عهد الامويين ،بيد انها كانت تكتفي بالسبي والغنائم والعودة الى اماكنها، الى ان ولي أمرها الاغالبية زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م)،والذين ارتبط قيام دولتهم سنة (١٨٤هـ /٨٠٠م) ارتباطاً وثيقاً، بما ساد تلك البلاد من فوضى واضطراب اثناء حكم الخلفاء العباسيين

،وكانت من حنكة الرشيد ان ولاها لهم .تلك التولية التي اتاحت لهم الاحتكاك السياسي والعسكري بالبلاد المجاورة ،واخذوا عنها الكثير، فأصبحت دولتهم قبلة للمشاركة والاندلسيين ،وتأثروا بمختلف العلوم والفنون، وشرعوا بالبناء والاعمار ،وكان التوسع لكسب اراضي جديدة من اهم اهتماماتهم ، فقد شرعوا بالاهتمام بموضوع صقلية لضمها الى ممتلكاتهم للسيطرة على البحر المتوسط وتجارته ،وخاضوا الحملات الكثيرة ضدها الى ان تم فتحها على يد قاضي القيروان القائد اسد بن الفرات سنة(٢١٢هـ /٨٢٧م) ،الذي اثار الحماس الديني لدى المسلمين لفتحها والاستفادة من خيراتها اقتصادياً، وكسب ارض جديدة للمسلمين وبذلك تتحقق اهدافهم المنشودة بخصوص هذه الجزيرة وضلت تحت سيطرة المسلمين رغم المشاكل والفتن التي تقوم فيها بين فترة واخرى ،والتي سيطر عليها حكام الاغالبية الى ان انتهت دولتهم .

المبحث الاول /موقع صقلية واهميته

تمتعت صقلية بموقع جغرافي واستراتيجي هام،^(٢) لكونها تقع في وسط البحر الشامي ،وهي امتداد لشبه الجزيرة الايطالية ،لا يفصلها عنها سوى مضيق ضيق ،ومن الناحية الاخرى الساحل التونسي ،لمساحة يسهل عبورها بحراً من الشمال الافريقي ، وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية والاخرى مسيرة سبعة ايام ،وفي وسطها جبل يسمى قصر يانة.^(٣)

ويذكر ابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ /٩٧٧م) :انها تقع شرق الاندلس، وتحاذيها من الغرب بلاد افريقية ،وباجة^(٤) ،وطبرقة^(٥) ،الى مرسى بحر الخزر،^(٦) وقاعدتها بلرم^(٧) ،والتي تقع شمال الجزيرة،^(٨) وهي مدينة مشهورة تقع على نحر البحر، وفيها الكثير من المساجد والرباطات^(٩) والحارات والمساكن والاسواق ويسكنها الكثير من التجار،^(١٠) اما معنى اسمها فهو تين وزيتون .^(١١)

تقسم صقلية جغرافيا الى ثلاثة اقاليم، اولها اقليم مازر ،واقليم نوطس ،واقليم دمنش ، وقد كان لهذا التقسيم اهمية بالغة اثناء احتلال المسلمين للجزيرة ، حيث كان الاسلام الديانة الرئيسية في الاقليم الاول ، الا ان عدد المسلمون كان دون ذلك في

الاقليم الثاني من الجزيرة ،على عكس الاقليم الثالث الذي ظل معظم سكانه نصارى ولم يعتنقوا الاسلام .^(١٢)

تحدث المؤرخون والجغرافيون عن خيارات صقلية بعد الفتح فياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ /١٢٢٨م) يذكر: انها " جزيرة خصيبة كثيرة البلدان والقرى والامصار ... وبها عيون وانهار جارية ونزه عجيبة " ، وان فيها من الكأ الذي لا ينقطع صيفا وشتاء، وفي ارضها الزعفران ، وان بها من المواشي الكثيرة ،من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والحيوان الوحشي ، وليس فيها سباع ولا حيات ولا عقارب ،وفيه معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والكبريت والزبيق ،^(١٣) ويتفق البكري مع ياقوت في انها جزيرة كثيرة الزرع وفيها انواع كثيرة من الفواكه ،^(١٤) ويضيف البكري فيقول ان بها : " مياه حامضة ،وبها معدن الكبريت الاصفر ... وآبار عند قلعة مينا من سرقوسة^(١٥) يخرج منها في وقت معلوم من السنة زيت النفط ... " ^(١٦)، ويتفق القزويني مع الحميري بأن بها الكثير من المعادن الموصوفة بالجودة واهمها " اللادن الجيد ،الذي لا يوجد في غيرها ،والذي يجمع من الشجر يُحمل الى ملك القسطنطينية " لأنه يعادل العود الطيب ،وسائر ما يجمع مما يسقط على الارض هو الذي يستعمله الناس .^(١٧)

وصف الشريف الادريسي(ت٥٦٠ هـ /١١٦٥م) جزيرة صقلية وقد احسن وصفها كونه شاهد عيان ومن المقربين من ملكها- روجار الثاني - الذي عاش في كنفه عيشة رغيدة مقرباً من بلاطه وفي كنف وريث عرشه،^(١٨) فقال عنها : انها جزيرة كبيرة " وبلادها كثيرة ومحاسنها جمة ومناقبها ضخمة و...ولسلطانها الملك المعظم رجار مائة وثلاثون بلدا بين مدينة وقلعة وغيرها من الضياع والمنازل والبقاع و...فيها قصور منيعة ومنازل شامخة شريفة وكثير من المساجد والفنادق والحمامات وحوانيت التجار الكبار و...بها الجامع الاعظم الذي ...وصفته تغرب عن الازدهان لبديع ما فيه من الصنعة والغرائب المفتعلة من اصناف التصوير واجناس التزييق والكتابات " ^(١٩)، وليس يبالغ في وصفه لمياها بقوله: " والمياه بجميع جهات مدينة صقلية مخترقة وعيونها

جارية متدفقة... ومبانيها ومنتزهاتها تعجز الواصفين وتبهر عقول العارفين ... " ،
ويذكر ان بها مدينة قديمة اسمها الخالصة به سكنى السلطان والخاصة في ايام
المسلمين وهي باب البحر ودار الصناعة التي هي للأنشاء^(٢٠). ومن الواضح من
حديث الادريسي وغيره من المؤرخين والجغرافيين عنها انها تتمتع بخيرات كثيرة مما
جعلها محط انظار المسلمين واتجاههم لفتحها ،فضلا عن موقعها المتميز وسهولة
اتصالها بالمغرب وايطاليا .

ومن الجدير بالذكر على الجانب السياسي ،ان الغارات العربية على صقلية
كانت مرتبطة بنمو البحرية الاسلامية ،وبالصراع بين العرب والروم شرق البحر
المتوسط^(٢١)،وان الدولة العربية الاسلامية لما اتسعت في خلافة عمر كانت صقلية
وجزاء من جنوب ايطاليا ولايتين بيزنطيتين، وعلى الرغم من الحاح معاوية على الخليفة
عمر بركوب البحر لقربة من الروم ،الا انه كان يعارض القيام بمخاطرات عسكرية
بحرية خوفاً على ارواح المسلمين من مغامرات الفاتحين ،^(٢٢) بل لم يكن يسمح لهم
بالخروج من المدينة على حد قول ابن الاثير(ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م) : فقد كان الخليفة
عمر يقول للمسلمين : اخوف ما اخاف على هذه الامة انتشاركم في البلاد " فان
جاء الرجل ليستأذنه في الغزو فيقول : كان لك في غزوك مع رسول الله(ص) ما
يُبْلُغُكَ، وخير لك من غزوك اليوم... ،وكان يفعل هذا بالمهاجرين من قریش، ولم يكن
يفعله بغيرهم من اهل مكة ،فلما ولي عثمان خلى عنهم فانتشروا في البلاد ... "^(٢٣)
،وبذلك يعد الخليفة عثمان هو من غير هذه السياسة ،وسمح في عهده لمعاوية بن
ابي سفيان بركوب البحر عندما كان الاخير والياً على الشام ،^(٢٤) اذ قام معاوية
بجهود استثنائية لأنشاء الاسطول البحري ،مما ترتب عليه غزو البحر ،بعد ان كانت
جميع فتوحات المسلمين برية ،اصبحت برية وبحرية ،^(٢٥) وقاموا بفتح عدة جزر في
البحر اهمها رواد^(٢٦) ،ورودس^(٢٧) ،ومن ثم جزيرة قبرص^(٢٨) ،التي تم فتحها من قبل
معاوية زمن الخليفة عثمان ،^(٢٩) فقد ذكر الذهبي في العبر ان والي الشام : " معاوية
ركب بالجيش في البحر وغزا قُبرس "^(٣٠) ،لعل ذلك مادعى الدكتور العدوي ان يقول :

ان معاوية قد خطا خطوات ثابتة ومتتابعة في سياسته البحرية تلك ،مشجعا الناس على النزوح الى المناطق الساحلية ،فضلا عن قيامه بتقوية الاسطول الذي قام بإنشائه .^(٣١) ويبدو انه اراد بذلك تقوية نزعتهم الى البحر وعدم التخوف من ركوبه ، بعد ان قدم لهم الاغراءات التي جعلتهم يتقبلون ذلك بأن قام بأقطاع الناس الاراضي وتوطينهم في تلك المناطق الساحلية لاستغلالها والتمتع بخيراتها ، كما قام بنقل الناس من بعلبك وحمص وانطاكية بصورة خاصة الى عكا ، والتي خرج منها بأول حملة عسكرية بحرية الى قبرص ،وبذلك ازال هاجس الخوف من ركوب البحر الذي كان يعترى الخلافة زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وان استقرار الناس بتلك الاقطاعات من الاراضي وتمسكهم بها، ادى بمعاوية الى انشاء جيشاً كي يدافعوا عن اراضيهم تلك ،فضلا عن حماية الاسطول ، ومنع غارات البيزنطيين او هجماتهم المتوقعة على المدن الساحلية وبذلك تحقق هدفه من استيطان الناس هناك ،^(٣٢) ان كل هذه التمهيدات والاعدادات وتقوية الاسطول وتوطين الناس كانت سابقة لموافقة الخليفة عثمان السماح لمعاوية بركوب البحر.^(٣٣)

ان تولي عثمان بن عفان(رض) الخلافة ،فسح المجال امام قاربه من بني امية ،الذين عمدوا الى استغلال صلة القرابة بينهم وبين الخليفة لتحقيق امانهم في السيطرة على المراكز الكبيرة في الدولة وخاصة السياسية والادارية منها،اذ كان معاوية مؤسس الدولة الاموية قد تطلع لخلافة عثمان على انها البداية لوصول بنو امية لتولي شؤون المسلمين ،كما ادرك اهمية اقليم الشام ،في الاحتفاظ بالخلافة للبيت الاموي بصفة دائمة ،خاصة بعد ان اطلق لهم الخليفة عثمان العنان في ادارة شؤون الولايات الاسلامية وتعيينه واليا على الشام من قبله .^(٣٤)

ويبدو ان معاوية اقنع الخليفة بعد ان عرض عليه تلك التمهيدات والاعدادات ،اذ سرعان ما تغيرت تلك السياسة من قبل الخليفة عثمان ملبياً طلب واليه على دمشق بالقبول ،بيد انه اشترط عليه ان يصحب القادة والجند نساءهم معهم ،وذلك ما يفهم من كلام الطبري(٣١٠هـ / ٩٢٢م) ان : "...اول من غزا في البحر معاوية بن ابي سفيان

زمن عثمان بن عفان ، وكان قد استأذن عمر فلم يأذن له ؛فلما وليَ عثمان لم يزل به معاوية ؛حتى عزم على ذلك بأخيه ،وقال :لا تنتخب الناس ،ولا تُقَرع بينهم ؛خيرهم ؛فمن اختار الغزو طائعا فأحمله واعنه، ففعل ... »(٣٥) .

من الظاهر ان الخليفة عثمان بشرطه ان يصحب القادة والجند نساءهم معهم في تلك الحملة انه اراد ان يتأكد من ثباتهم وصدق عزميتهم وهمتهم على ركوب البحر ،فالعربي يموت في سبيل الذود عن اهله وعرضه وخاصة امراته ،لا نها لو سبيت عار عليه والعربي لا يقبل الذل والهوان على نفسه .

ما يهمننا هنا امر صقلية ،فقد اعاد الخليفة عثمان النظر في موضوع الجزيرة ،وبالطبع تحت تأثير معاوية والحاحه ،وما صورهُ له من قربها من شاطئ الروم وخبراتها الوفيرة ،وشدة التحصينات التي قام بها وحماية المدن الساحلية التي أنشأها المسلمون على ساحل مصر والشام وحمايتها من اي خطر بيزنطي قد يلحق بها ،على الرغم من كونهم يمتلكون اسطولا بحريا قويا.(٣٦)

استطاع معاوية بن ابي سفيان وحده دون سائر عمال بني امية زمن الخليفة عثمان فترة الفتنة ان يدافع عن الخليفة معتمدا على جاهه في اقليم الشام ،حتى انه فكر في نقل مقر الخلافة اليها ، وظلت تلك الفكرة تراوده الى ان حان وقتها في وقت الفتنة ،فعرضها على الخليفة نفسه وبين له " ... ان اهل الشام على الطاعة ... " ، على حد قول الذهبي(ت٧٤٨هـ /١٣٤٧م)، بيد انها لم تتل استحسانه ،وتم رفضها من قبله ،(٣٧) ولما قتل عثمان دخل الامويون مسرح الاحداث السياسية ،وعملوا على نقل الخلافة الى البيت الاموي بكل جهودهم من خلال المطالبة بدم عثمان ،وبما عرف عنهم من دهائهم السياسي الذي استخدموه ،والذي كان على فطرتهم ،وعلى الرغم من ان المسلمين من المهاجرين والانصار بايعوا للأمام علي بن ابي طالب (ع) ،الا ان معاوية استطاع اخذ البيعة له في الشام ،رغم ان علي تولى الخلافة في المدينة .(٣٨)

حملات المسلمين في البحر المتوسط

قام المسلمون بحملات عدة للسيطرة على جزر البحر المتوسط وجعله بحيرة اسلامية والاستفادة من طرق التجارة البحرية وربطها بالعالم الاسلامي، وكان اهمها :

• فتح قبرص

استغل معاوية باكورة نشاطه الحربي بمحاولة الاستيلاء على جزيرة قبرص، والتي كانت محور مكاتباته مع الخليفة عمر بن الخطاب ومن بعده عثمان، وكان يطلب من الاخير الاذن بتقليم اظافر البيزنطيين في هذا المعقل القريب من ارض المسلمين، وكانت استعداداته لغزو هذه الجزيرة تتناسب مع اهمية وضخامة الاهداف التي دعت اليها، كونها من اهم معاقل البحر المتوسط، والصراع مستمر على سيادة هذه الجزيرة، التي استمدت اهميتها من موقعها الذي يوحي للناظر انها اشبه بمدفع يدوي موجه نحو اقليم الشام واحتلالها لركن الزاوية الشمالية الشرقية من البحر المتوسط، جعلها محط انظار منها ترى آسيا الصغرى والشام، والابحار منها الى بيروت او الاسكندرية، فضلاً عن ارتباطها مع اقليم الشام بالمشاريع التجارية او الحربية، فلا ضير من قولنا انها اهم المسالك التي تعبرها القوافل التجارية المحملة بالمنتجات الى اسواق مدن البحر المتوسط، وادراك معاوية لهذه الاهمية عند دراسته لموقعها، ولما كان البيزنطيون يتخذونها ملجأً يعتصمون به حين تدفعهم الاحداث الى الانسحاب عند الغارات على سواحل الشام، فضلاً عن كونهم يتخذونها محطةً لتموين مراكبهم في الطريق الى الشام وغيره، "وربما تجمعت فيه الجيوش من الفريقين المسلمين والروم في السفن لكل فريق مائة سفينة حربية وأكثر من ذلك، فيكون حربيهم في الماء، وهذه صفة هذا البحر وما يكون فيه " (٣٩)

ونتيجة لإلحاح معاوية واصراره على غزو البحر، ان شئت الاقدار ان تكون اول غزوة نحو هذه الجزيرة لفتحها مكلفة باستشهاد زوجة الصحابي عبادة بن الصامت (٤٠)، الذي سحب زوجته معه، ام حرام بنت ملحان الانصارية، التي

دفنت فيها واصبح قبرها مزاراً في الجزيرة ،وعرف بقبر المرأة الصالحة ،وكان معاوية بن ابي سفيان قد سحب زوجته معه ايضاً، بسبب شرط الخليفة عثمان عليه في ان يصحب القادة والجند نساءهم معهم في هذه الحملة، وقد تم لهم الفتح ذلك سنة (٢٨هـ / ٦٤٨م) ^(٤١).

تتحدث الروايات التاريخية عن اهم احداث هذه الحملة عند وصول الجند ونزولهم في الجزيرة ،والذين ارادوا ان يتفاوضوا مع اهلها ، بيد انهم رفضوا التفاوض ،واعتصموا بأسوار مدينتهم ،فتقدم المسلمون نحو عاصمة الجزيرة ،وبها ثروات كثيرة ،وبعد حصار قصير اقتحموها ،واستولوا على كنوزها ،واخذو الكثير من الاسرى،^(٤٢) مما اضطر حاكم المدينة الى عقد الصلح مع المسلمين ،وتدل شروط الصلح على العوامل الحقيقية الكامنة وراء هذه الحملة والهجوم على هذه الجزيرة ،فقد اشترط عليهم المسلمون دفع مبلغ كبير من الجزية ^(٤٣)، على نحو ما يؤدونه للدولة البيزنطية .

يذكر الطبري : "... ان صلح قبرس وقع على جزية سبعة الالف يؤدونها الى المسلمين في كل سنة ، ويؤدون الى الروم مثلاً ،ليس للمسلمين ان يحولوا بينهم وبين ذلك، على ان لا يغزوهم ولايقا تلوا من وراءهم من ارادهم من خلفهم ،وعليهم ان يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم اليهم؛ وعلى ان يبطر امام المسلمين عليهم منهم". ^(٤٤)

لعل ذلك يعني خضوع الروم للمسلمين وان لا يساعدوا اعداءهم من البيزنطيين ،وان لا يطلعوهم على اسرار المسلمين ،وبالمقابل تزويد المسلمين بأخبار البيزنطيين وما جعلهم ينقضون الصلح لأكثر من مرة ويعاود المسلمون غزوهم للجزيرة فقد ذكر الذهبي في حوادث سنة (٣٣هـ / ٦٥٣م): "غز المسلمون قبرس ثانياً" ^(٤٥) ،بينما يرى ان الاثير ان الغزوة الثانية لها كانت سنة (٣٥هـ / ٦٥٥م). ^(٤٦)

اتسمت الاغارة على جزيرة قبرص من قبل المسلمين ، بطابع الغارات الصيفية والشتوية وعلى الجزر البيزنطية المماثلة ، والتي كان المسلمون يخشون خطرهما ،والتي ينبعث منها ضرراً يحيط بارض الاسلام ،ولما تتمتع به هذه الجزيرة من موقع

استراتيجى هام ،ولشل حركة البيزنطيين فيها ،ومن ثم اتجاه المسلمين بأنظارهم نحو جزيرة رواد القريبه منها التي تكثر فيها القرصنة ،والتي ترتبط مع قبرص بممر ضيق ،فضلاً عن موقعها الجغرافى فى ميدان التجارة ،وهو ما جعلهم ذو مقدرة اقتصاديه عن طريق تلك القرصنة ،كما وصمتهم بالعار والغدر وأبعدتهم عن الثقة .^(٤٧)

ومما تقدم يبدوان فتح جزيرة قبرص هي تمهيدات من قبل المسلمين وبالأخص معاوية لركوب البحر والسيطرة على جزر البحر المتوسط وجعلها تابعة للمسلمين وبالتالي الوصول الى جزيرة صقلية والحصول على خيراتها وضمها الى الاسلام .

•محاولات فتح صقلية

تأثرت صقلية بصورة غير مباشرة بالفتوحات الاسلاميه منذ عهد الخليفة عمر ومن بعده الخليفة عثمان ،فقد لجأ اليها بعض النازحين من طرابلس الغرب فراراً من قوات عمرو بن العاص التي احتلت المدينة، وفتحتها سنة (٢٣هـ / ٦٤٣م)،^(٤٨) فكانت الحملة الاولى على صقلية حينما ارسل لفتحها معاوية بن ابي سفيان والى الشام معاوية بن حديج^(٤٩)، فى الحين الذي كانت فيه مصر تحت امرة عبد الله بن سعد بن ابي سرح^(٥٠)، اخو الخليفة عثمان بالرضاعة، فقد شكلت تلك القوتين مصدر قوة للبحرية الاسلاميه ولعبت دوراً بارزاً ومميزاً من مصر والشام هجوماً ودفاعياً ضد البيزنطيين فى شرق البحر المتوسط ،^(٥١) ويُرْجَع فازيليف؛ سبب تلك الغزوة من قبل معاوية الوالى، الى منافسته لوالى مصر سابق الذكر، والذي احرز نصراً كبيراً فى فتح افريقية ،ونال حظوة عند الخليفة عثمان،^(٥٢) وكان الخليفة عثمان قد عزل والى مصر السابق وفتحها عمرو بن العاص زمن الخليفة عمر وعيّن عبدالله بن ابي سرح، بعد ان كان له الاشراف على خراج مصر كلها ،كما كان مدفوعاً بالعاطفة نحوه كونه اخيه بالرضاعة.^(٥٣)

كانت تلك الغزوة نائية وجريئة بالنسبة للبحرية الاسلاميه التي كانت فى بداية نشوئها،الا ان مراكب تلك الحملة وصلت الى صقلية ،بيد انها لم تتمكن من السيطرة عليها بسبب تغلب وسائل الدفاع البيزنطيه التي كانت تفوق مراكب الاسطول

العربي عدةً وتطوراً^(٥٤)، ورغم انها لم تكن الحملة العسكرية الاولى للمسلمين في البحر بقيادة معاوية عندما كان والياً على الشام، فقد سبقتها معركة ذات الصواري البحرية سنة (٣٤هـ / ٦٥٤م)^(٥٥)، الا ان تلك الحملة قد فشلت ولم تحقق نجاحاً مشهوداً وعاد ابن حديج الى الشام ببعض الغنائم والاسرى^(٥٦)، وبعد مقتل الخليفة عثمان توقفت الفتوحات الاسلامية على الجزيرة ولم يقيم المسلمون بمحاولات اخرى على الجزيرة الى ان استتب امر الخلافة لمعاوية^(٥٧).

المبحث الثاني / صقلية في عهد الامويين :

بعد استتباب الامر لمعاوية واصبح مؤسس الدولة الاموية بلا منازع، ارسل اول حملة بحرية عربية لغزو الجزيرة بقيادة معاوية بن حديج سنة (٤٣هـ / ٦٦٣م)^(٥٨)، الذي كان نائبه على الشام وقائد اسطوله^(٥٩)، لكنها لم تحرز نجاحاً كما كان مخططاً له - فقد كانت صقلية تتبع اولمبيوس الوالي البيزنطي المقيم في رافينا، وتقشى وباء الكوليرا وهلك اكثر جيش اولمبيوس وهلك هو نفسه فيه . وعاد ابن حديج الى الشام ببعض الغنائم والاسرى^(٦٠) وفي سنة (٤٧هـ / ٦٦٧م) عزل معاوية والي مصر عبدالله بن عمرو بن العاص وعين عليها معاوية بن حديج، واضحى المسلمون يغزون ارض الروم صيفاً وشتاءً^(٦١)، كما ان المسلمين استولوا في هذه السنة على قرطاجنة مما اضطر البيزنطيين الى الانسحاب الى صقلية، وحاولت بيزنطة استردادها من المسلمين متخذةً من صقلية قاعدة لها، الا ان المسلمين فوتوا عليهم هذه الفرصة، الا انهم استردوها في العام المقبل^(٦٢) .

اما الحملة الثانية فكانت سنة (٥١هـ / ٦٧١م) والتي شارك فيها المعاويين ابن ابي سفيان وابن حديج، بعد ان توطدت للأول الخلافة ومركزه في الشام واصبح مؤسس الدولة الاموية بلا منازع، واصبح الثاني واليه على مصر والشام^(٦٣)، فأرسلت هذه الحملة على صقلية بقيادة عبد الله بن قيس الانصاري^(٦٤)، من قبل الخليفة معاوية وواليه بن حديج، الذي ظفر بغنائم وفيرة من الذهب والتي حملت الى الخليفة^(٦٥)،

ويذكر المؤرخون :ان عبدالله بن قيس قد استغل الفوضى التي كانت سائدة في الجانب البيزنطي التي تلت اغتيال قسطنطين الثاني امبراطور الروم في سرقوسة^(٦٦) ،والذي ركز اهتمامه على الولايات القريبة من جنوب ايطاليا وصقلية ،وكان يقصد من وراء هذه الخطوة الحيلولة دون تطويق العرب للبر اليوناني^(٦٧) ،كما ان الامبراطور الذي تلاه من الجانب البيزنطي قسطنطين الرابع كان حديث السن وقليل التجربة وليس له خبره بأمور الحرب والبحر ، وكان الامر في الشام مستتباً لمعاوية كما انه اتخذ من دمشق مركزاً للخلافة بحكم طاعة اهلها له ولتحقيق امنيته التي كان يتطلع اليها في نقل مركز الخلافة والحكم لبني امية ،ولعلمه بأخبار الجانب البيزنطي ،لذا باتت الظروف مواتية له ،لتجديد المسلمين حروبهم ضد بيزنطة ،واستمرروا مدة طويلة ،كانوا لا ينسحبون خلالها الا في الشتاء ،ومن ثم يعودون في الربيع ، وظل الامر على ما هو عليه الى ان احس معاوية بذنو اجله ،فسحب الفرق العسكرية البحرية لضمان السيطرة عليها ،اذا ما حدثت فوضى داخل البيت الاموي ،وشاعت الاقدار ان يصادف انسحاب الاسطول الاسلامي عاصفة شديدة دمرته، ولم تعد غير عدد قليل من السفن الى الشام.^(٦٨)

وفي سنة(٦٠هـ /٦٧٩م) فتح المسلمون جزيرة رودس بقيادة جنادة^(٦٩) بن ابي امية ،وبعد وفاة معاوية ومبايعة المسلمون لابنه يزيد الذي اخذ ابوه له العهد بالخلافة^(٧٠) ،توقفت غارات المسلمين على الجزيرة لانشغال يزيد بن معاوية بأحداث المشرق الاسلامي لتثبيته امر الخلافة له وانشغاله بأمر ابن الزبير، بيد ان مدة خلافته لم تستمر طويلاً ووافته المنية بعد ثلاثة سنوات من خلافته ليخلفه ابنه معاوية من بعده، الا ان الاخير لم تدم خلافته الامدة اربعين يوماً والمكثّر من المؤرخين يقول شهرين قضاها في المرض، غير انه لم يعهد لاحداً بالخلافة من بعده^(٧١)،ويذكر الذهبي قوله: " فلما احتضر قيل له :الا تستخلف ؟فأبى وقال :ما أصبت من حلاوتها فلم أتحمّل مرارتها "^(٧٢) .

من الظاهر ان السنوات التي تلت وفاة معاوية بن ابي سفيان شهدت تذبذباً في الحكم والولاءات ،كما شهدت الكثير من الصراعات داخل البيت الاموي ،وبذلك ضعف الاهتمام بأمر صقلية وغيرها من الجزر المحيطة ببلاد المسلمين ،ولكن يبدو انهم رغم ذلك كانوا يحكمون سيطرتهم عليها ،فما ان دخلت سنة (٦٤هـ / ٦٨٣م) ،حتى جاء امر انتقال الخلافة داخل الامويون انفسهم من الاسرة السفيانية التي تنتمي الى ابو سفيان بن حرب الى الاسرة المروانية ،المتتملة ببينة مروان بن الحكم الذي وجه اهتمامه الى مصر ليرسي قواعد الدولة الاموية فيها ويستخلف عليها ابنه عبد العزيز ويعود الى الشام ويتوفى فيها .^(٧٣)

تولى عبد الملك بن مروان الخلافة سنة (٦٥هـ / ٦٨٤م) فهادن الروم ليأمن شرهم من جانب وليلتفت لتوطيد اركان حكمه من جهة اخرى ،^(٧٤) في حين ان صقلية التي اصبحت قاعدة عسكرية لشن هجوم على العرب في برقة^(٧٥) ،فولى حسان^(٧٦) بن النعمان على شمال افريقية وقرطاجنة واستولى عليها ، ففر من الروم والبربر لاجئون الى صقلية ،مثلما فرو من طرابلس الغرب مسبقاً ، فأصبحت صقلية ملاذاً للهاربين الروم يعتصمون بها من هجمات العرب ،واصبحت صقلية تهدد الوجود العربي بأفريقية كونها قاعدة للهجوم العسكري على العرب وملاذ لأعدائهم،^(٧٧) سيما وانهم استطاعوا قتل زهير^(٧٨) بن قيس البلوي والي افريقية المرسل من قبل حسان لقتال الروم والبربر^(٧٩) .

غزا العرب الجزيرة بعد ذلك اكثر من مرة ،الا ان النجاح لم يكن حليفهم ،خاصة بعد ان ولي موسى بن نصير افريقية ،وتم في ولايته فتح الاندلس سنة (٩٢هـ / ٧١٠م) وانشغالهم بها ،^(٨٠) ولكن مع بداية القرن الثاني الهجري عاود العرب غزوهم لصقلية ،وكانت اولى غزواتهم لها سنة (١٠٢هـ / ٧٢٠م) ،بقيادة محمد بن اوس الانصاري^(٨١) ،الذي ارسله يزيد بن ابي مسلم^(٨٢) ،في حملته لقتال البربر ،الا انه قُتل على ايديهم ، فلم يلبث الاول الا ان عاد من غزوته التي لم تحقق نتائج تذكر سوى بعض الغنائم والسبي .^(٨٣)

في نفس السنة تولى افريقية بشر بن صفوان^(٨٤) والي مصر، بيد انه استخلف اخاه على مصر وخرج الى افريقية للقيام بعدة اعمال من بينها تتبع المتهمين بمقتل ابن ابي يزيد وغيرها، الا ان اهم عمل قام به هو غزوه لصقلية سنة (١٠٧هـ/٧٢٥م) بعد ان بلغه استشهاد واليه على الاندلس، سار هو بنفسه في البحر، وعلى الرغم من ان الحملة انتهت نهاية تعسة، نتيجة للظروف الجوية السيئة التي هلك فيها من جيشه الكثير، الا انه عاد الى القيروان بالسبي الكثير، ليموت بها بعد سنتين متأثراً بالمرض.^(٨٥)

قام الامويون بعدة حملات لغزو صقلية تلت وفاة بشر، كان اشهرها حملة المستنير بن الحبحاب، والذي يسميه ابن الاثير: المستنير بن الحارث^(٨٦)، ومهما يكن من اسمه فالذي يهمننا هو ان هذه الحملة كانت زمن والي افريقية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي^(٧٨)، وان هذه الحملة قد فشلت، ولا يُعرف سبب فشلها فقد اختلف المؤرخون في ذكر اسبابه. لعله يرجع الى الظروف الجوية الصعبة، كحملة محمد بن اوس الانصاري السابقة، او لعلها لسوء تقدير زمن الغارة، والمرجح ان الاثنين معاً اجتماعاً ليهيئنا اسباب فشل تلك الحملة، او لعلها المغانم والسبي التي استهوتته الى درجة الايغال، والاستمرار بالغزو لدرجة ان اقتررب الشتاء واشتدت الامواج وساءت الظروف الجوية، الامر الذي عجل بفشل الحملة، مما جعل الوالي عبيدة يغضب عليه، ويرسل في اثره والي طرابلس ليكبلة ويحملة مشدود الوثاق اليه، وقام بدوره بحبسه وتعذيبه في سجنه وحملة اسباب فشل الحملة، مما دعى الخليفة هشام بن عبد الملك ان يعزله عن ولاية افريقية^(٨٨) ويعين بدلاً عنه عبيد الله بن الحبحاب^(٨٩)، الذي ارسل بدوره القائد حبيب^(٩٠) بن عبد ابي عبيد الفهري احد احفاد عقبة بن نافع، وكان معه ابنه، لغزو صقلية، والذي انتصر على البيزنطيين انتصارات لم يشهدها المسلمين هناك، وحاصر عاصمة الجزيرة سيراكوز، واجبر اهلها على دفع الجزية^(٩١)، لعله يعني خضوعهم التام للمسلمين.

فيذكر ابن الاثير: ان ابن الحبحاب سيرجيشاً الى صقلية " فلقبهم مراكب الروم فأقتتلوا قتالاً شديداً فأنهزمت الروم...، وسير ابن الحبحاب ايضاً جيشاً الى السوس وارض السودان فغنموا وظفروا وعادوا،... وكان له كل سنة غزاة ... " (٩٢) .

ويفهم من سياق الحديث ان هدف القائد حبيب البقاء كي يستكمل فتح الجزيرة كلها ، الا ان ثورة للبربر يتزعمها ميسرة^(٩٣) السقاء قد قامت ، فاستدعاه الوالي عبيد الله لقمع تلك الثورة. (٩٤)

وبذلك تكون تلك آخر الحملات التي قامت على الجزيرة في عهد الدولة الاموية ، والمتتبع لتلك الحملات على صقلية ، يلاحظ انها كانت مرتبطة من جهة ؛ بنمو البحرية الاسلامية منذ زمن معاوية بن ابي سفيان ، واحوال المسلمين في دمشق والبر الافريقي ، واحوال البيزنطيين التي كانت الجزيرة تابعة لهم من جهة اخرى ، ومن الظاهر انه كلما ضَعُفت احوال بيزنطة في الداخل ، ازدادت هجمات المسلمين عليهم ، وقويت على الجزيرة ، كما ان هذه الهجمات قد تتوقف تأثراً بأحوال المسلمين ، مثلما تأثرت بفتنة المشرق ومقتل الخليفة عثمان ، ومن ثم فتنة ابن الزبير ، ومن ثم انتقال الحكم من العلويين الى بني امية ، او فترة فتح الاندلس ، او حتى حين يتعرض الولاة للعزل او القتل ، فلاغرو ان نقول: ان ولاية افريقية دخلت في دوامة من الصراعات مع البربر ، وتوقفت الحملات الاسلامية على الجزيرة . حتى فُسحت الفرصة للبيزنطيين ان يحصنوا الجزيرة ، بل انهم لم يتركوا حصناً ، او مكاناً الا قاموا بتحصينه ، كما نشط الامبراطور قسطنطين الخامس بارسال اسطول بيزنطي الى الجزيرة لحمايتها. (٩٥) الى ان اصبحت بيد الاغالبية .

المبحث الثالث / صقلية في عهد الاغالبية

الاغالبية او بنو الاغلب سلالة عربية من بني العنبر من قبيلة تميم ، حكمت في المغرب الاسلامي وغرب ليبيا وجنوب ايطاليا وصقلية وغيرها من الجزر ، وكان مقرهم القيروان للفترة من (١٨٤/٨٠٠) هـ - (٢٩٦/٩٠٩) م ، وينتسبون الى جدهم الاعلى

المسمى الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، ويكنى ابا جعفر،^(٩٦) وتختلف روايات المؤرخين حول كيفية وصول هذه الاسرة الى السلطة وتأسيس امارة وراثية نالت شرعية حكمها من الخلافة العباسية، فيذكر ابن الابار: ان جدهم الاغلب ممن سعى للقيام بدعوة بني العباس مع ابو مسلم الخراساني^(٩٧)، وحارب في عهد الخليفة المنصور معه عمه عبدالله بن علي^(٩٨)، كما كان مع الخليفة في حصار بن هبيرة^(٩٩)، وقام بتوجيهه في عدة حروب لقتال البربر.^(١٠٠)

ويتفق البلاذري وابن عذارى: انه كان من الجنود البارزين بين جند مصر الذي لم ترق له الفتن التي امت بها آنذاك، فغادر الى افريقية وكسب ود اهلها ورضى القائد هرثمة بن اعين^(١٠١)، الذي اقره على ولاية الزاب بافريقية^(١٠٢)، بينما يرى ابن الاثير: انه كان قائداً طموحاً، استطاع كسب ود الناس الذين كرهوا سياسة الوالي الاسبق، الذي اذهلته المشاكل والاضطرابات السياسية واستاء الناس منه لتعذيبه احد فقهاء المدينة وضربه بالسياط امام الناس، كما ان والي افريقية هرثمة حسن صورته في نظر الخليفة،^(١٠٣) وبذلك اكتسب سمعة طيبة، فمن الظاهر ان كل تلك العوامل مجتمعة جعلته يعتلي السلطة، ومهما يكن من امر فان الخليفة المنصور اعطاه العهد بولاية افريقية، فلما اتاه العهد ذهب الى القيروان، وتخلص ممن خرجوا على الخلافة، فاستقامت له الامور هناك، ثم اضطربت عقب خروج آخر من البرابرة، وانشغاله بحربه وانتهاء الامر بمقتله وعرف بالشهيد،^(١٠٤) ومنها قامت مملكة الاغالبية الامارة العربية المسلمة التي هدفت الى دمج العرب والبربر، كما كانت تهدف الى جمع عرب المغرب والاندلس، والسعي للفتح والتوسع في قارة اوربا، وركزت سياستها على الدول المجاورة على اساس القوة والسطوة^(١٠٥)، وصفوة القول ان كل الاحداث التي مرت بها المغرب جعلت الخلافة العباسية تفكر في اسناد هذه الولاية لرجل يتميز بصفات القدرة على الحكم والولاء للبيت العباسي، وهو ما شجعهم لاسنادها لابراهيم بن الاغلب.

ان كل ما يهمننا من ولاية ابراهيم بن الاغلب، الذي خلف والده الشهيد بعد موته ولاية افريقية، انه أستقل بملكها، واورث سلطانها لبنيه من بعده ما يزيد على المائة

عام^(١٠٦)، ويتفق ابن الاثير وابن عذارى بانه واجه الكثير من الثورات والفتن حتى خضعت له القبائل البربرية، ودانت له بالطاعة واستقامت به احوالهم وابنتى مدينته المعروفة بالعباسية او مدينة القصر القديم^(١٠٧) كما ،انه عقد هدنة مع بطريق صقلية لمدة عشر سنوات ،ولعل سبب تلك الهدنة تخوفه من المخاطر التي قد يتعرضون لها من دولة الادارسة^(١٠٨)،التي نشأت بالتزامن مع دولة الاغالبية،ومن الجدير بالذكر ان العلاقات الصقلية والاغلبية استمرت طول فترة حكمه هادئة، ولم تحدث غارات من الجانبين الى وفاة ابراهيم الاغلب^(١٠٩)،وكان قد عهد في حياته بولاية افريقية الى ابنه زيادة الله الاول^(١١٠)، الذي خرق الهدنة ،وهاجم اسطوله الاسطول البيزنطي ،وحدثت بينهما معركة انتهت بعقد هدنة جديدة،ولمدة عشر سنوات اخرى،واتفاق على تبادل الاسرى،وحماية المسلمين في صقلية ،والبيزنطيين في المغرب،وبذلك استمرت العلاقات التجارية بينهما.^(١١١)

كان زيادة الله بعيد النظر في الامور السياسية، فقد سلك سياسة حازمة جمع فيها التأديب والرأفة ،كما استعمل سياسة التنكيل بالثوار والتساهل مع المستسلمين منهم حتى يوهن الخارجين عليه،^(١١٢) ونتيجة لتربيته الدينية، وسياسته التي اتبعها،حيث ترك متابعة الخارجين وصرف اهتمامه الى اسناد المناصب الى العلماء ،وانشاء المصانع وصناعة السفن لاستئناف الفتح لجنوب ايطاليا ،والتي لم يكن يغفل الاوضاع الجارية فيها^(١١٣)،فيذكر ابن الاثير:انه علم ان امبراطور الروم استعمل على صقلية بطريق اسمه قسطنطين، فلما وصل الاخير اليها عين على الاسطول رجلاً رومياً اسمه فيمي، وهذا بدوره غزا افريقية، وأخذ سواحلها سبياً ونهباً ورجع ظافراً،ولما علم امبراطور الروم بأمره ارسل الى البطريق قسطنطين بالقبض على فيمي فوصله خبر ذلك ،فسار في المراكب الى صقلية واستولى على مدينة سركوسة- سرقوسة- فخرج اليه البطريق قسطنطين واقتتلوا قتالاً شديداً، فأنهزم البطريق، فسير اليه فيمي جيشاً فهرب منه ثم قتل ،فأصبح فيمي ملك على الجزيرة ،وعين بدوره عاملاً على الجزيرة يدعى بلاته الذي خالف فيمي وعصاه، وجمع جيشاً وخرج لمقاتلته فذهب فيمي يستجد بزيادة الله^(١١٤)،

فيذكر البكري :انه " فَزَعَ فيمي البطريق النصراني قائد صاحب صقلية الى زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب ،فَقَرَّبَ عليه أمر صقلية والظفر بها ... " (١١٥).

ومن الظاهران تلبية زيادة الله لنداء فيمي جاءت من احساسه بأن الفرصة المناسبة التي كان يتحينها حكام الاغالبية لامتلاك صقلية قد حانت ،لاسيما بعد ان حَسَّنَ له فيمي امر الفوز بها.

اما سبب العداء بين الامبراطور البيزنطي وفيمي ،فقد اختلفت المصادر التاريخية فيه ،فمنها من تذكر انه احب راهبة حسناء واختطفها من ديرها، فشكا اهلها الى الامبراطور الذي أمر بجع انفه عقاباً له على جرمه، (١١٦) ومن المصادر من اخفت سبب العداء .

اما فازيليف: فيذكر ان سبب ذلك العداء ان الامبراطور اراد الانتقام من فيمي لانه اراد الانفصال عن بيزنطة وتأسيس امارة بيزنطية في صقلية، وبذلك مواجهه هذا الرفض والعداء من الامبراطور نفسه. (١١٧)

ويبدو انه سبباً وجيهاً ومقنعا لهذا العداء ،فليس من المعقول ان يقوم الامبراطور بنفسه بتتبع امر فيمي لاجل راهبة شكا اهلها له في ظل تلك الاوضاع السائدة آنذاك، فالمعروف ان الابطرة لايهمهم سوى انفسهم والمحافظة على الحكم وتثبيت اركانه.

ومهما يكن من سبب فإن فيمي اتصل بالامير زيادة الله وطلب مساعدته ونتج عن اتصاليهما ؛ اتفاق، وتحالف تضمن : أن يبقى الاول اميراً على الجزيرة مقابل دفع الجزية للاغالبية، ويتعهد الامير من جانبه بتقديم مساعدة عسكرية له ضد بيزنطة . (١١٨)

الفتح الاسلامي لصقلية

لم يكن الفتح العربي نتيجة لشعور اهل صقلية بان حالتهم سيئة، وان تغيير الحاكم قد يؤدي الى تحسن احوالهم ،ولا كان الفتح استمراراً للموجة الاسلامية في اندفاعها الاول،الذي كان نتيجته فتح الاقاليم والامصار وصولاً الى شمال افريقية

والاندلس، فالاندفاع نحو صقلية لم يمثل الا بضع غزوات قام بها المسلمون، بيد انها لم تثبت لهم في الجزيرة قدماً، ولم تكن تلك الغزوات من اجل الغنائم دائماً ففي سنة (١٢٢هـ/٧٣٩م) عندما نزل حبيب بن ابي عبيدة، حفيد عقبة بن نافع فاتح افريقية وابنه عبد الرحمن ارض صقلية، كان في نيته ان يمضي في فتحها حتى يستولي على الجزيرة كلها، غير ان قيام ميسرة السقاء بثورته تلك في افريقية اضطره الى العودة واحبط سعيه، وكانت الحوادث في افريقية تشغل المسلمين، فحولت جهودهم عن صقلية، والحق ان تلك الغزوات اضافت شيئاً من المال الى خزائن الدولة، وفي نفس الوقت احدى العقبات في سبيل الفتح، فتحولت جهودهم عن صقلية مما جعلهم يتخذون احتياطاتهم لحماية امبراطوريتهم، فأنشأوا قاعدة عسكرية في صقلية، ولم يتركوا جبلاً الا وبنوا عليه حصناً، وصاروا يخرجون بالمرائب كل فترة تطوف بالجزيرة وتدافع عنها^(١١٩)، وكانت بين افريقية وصقلية هدنة لم تنقضي مدتها، ولذلك جمع زيادة الله وجوه اهل القيروان وفقهائها، وفيهم قاضي القيروان أسد بن الفرات^(١٢٠) ونخبة من العلماء، واستشارهم في امر الجزيرة، وكانوا بين مؤيد ورافض الى ان قرر الامير فتحها.^(١٢١)

يتفق اغلب المؤرخون ان فتح صقلية تم سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م)^(١٢٢)، حين جهز الامير زيادة الله الاغلبى جيشاً قوامه ما بين العشرة الالاف مقاتل والخمسة عشر على اختلاف اراء المؤرخين، سيره في البحر بقيادة اسد، الذي تتلمذ على يد كبار الفقهاء من الصحابة، ويبدو ان اختيار الامير له لتلك الخلفية الدينية، وليس للمهارة الحربية، ومهما يكن سبب اختياره، فقد احسن الامير ذلك، فعندما كلفه الامير بقيادة الحملة، يذكر الذهبي: ان اسد سأل الامير: هل عزلتني عن القضاء؟ فأجاب: "لا، ولكن زدتك الامرة، وهي اشرف، فانت امير، وانت قاضي"^(١٢٣)، بينما يذكر ابن عذارى: انه بعد ذلك الاجتماع بوجوه الجزيرة وفقهائها عرض القاضي اسد نفسه على الامير لقيادة الحملة " ... فولاه الجيش واقره على القضاء مع القيادة، فخرج معه اشرف افريقية من العرب، والجند، والبربر، والاندلسيين، ..."^(١٢٤)

وعلى الرغم من اننا لانرجح عرض اسد نفسه على الامير لقيادة الحملة كونه فقيه وليس قائد، الا انه يبدو انه قد فرح لذلك التكليف، فقد دعى بحماس الى المبادرة باعلان الجهاد في الجزيرة^(١٢٥).

وما نستشفه مما سبق ان الامير احسن التخطيط للحملة، وتحقيق سياسته التي اراد بها ضم العناصر المختلفة من العرب ولبربر والاندلسيين لتلك الحملة، واختياره لاسد الذي جمع كل هؤلاء فضلا عن بعض العناصر من الفرس المقيمين بالجزيرة، وبعض العلماء المقتدين بالقاضي.

ويتفق البكري وابن عذارى في انهم "سارو في حفلٍ عظيم"، وانه اجتمع له من المراكب سبعون مركباً^(١٢٦)، وعدة كاملة وانهم مرو بالكثير من المدن والقرى ووصلوا الى حصون الروم وقلاعهم، فأصابوا سبياً كثيراً وكراعاً^(١٢٧). كما انضمت اليهم قوات فيمي الرومي، وانطلقت الحملة نحو العاصمة سرقوسة، وهي اولى المناطق التي سيطر عليها العرب في طريقهم الى العاصمة، ثم الى قلعة الكراث،^(١٢٨) التي بجانب الكنيسة الاقيمية، والتي يقال: انها سميت نسبة الى فيمي^(١٢٩)، فلما وصلوا وجدوا فيها خلقاً كثير، استطاعوا ان يخذعوا القاضي باذعانهم له، فلما رآهم فيمي مال اليهم، وراسلهم ان يثبتوا ويحفظوا بلدهم، فبذلوا له الجزية، وسألوه ان لا يقرب منهم فأجابهم، وبقي اسد ساكناً لأيام، لكنهم استعدوا للحصار وقاموا بمحاربته، غيرانه بث السرايا في كل ناحية، غنمت الشيء الكثير، وافتتح المسلمون بلاداً كثيرة حول سرقوسة وحاصروها براً وبحراً، وجاءتهم الامدادات من افريقية، وسار اليهم والي بلرم لمحاربتهم، فحفروا الخنادق واسقطوا فيها هؤلاء وضيق المسلمين الحصار على سرقوسة،^(١٣٠) ويتفق البكري وابن عذارى: "ظهر للمسلمين" جمع من الروم فنازلهم، فانهزم المشركون، وأصيب لهم كراع وسلاح... وكثرت المغنم عند المسلمين، وصاروا في رغد من العيش...، وقتلهم براً وبحراً واحرق مراكبها، وقتل جماعة من اهلها...^(١٣١)، ويتفق ابن خلكان والصفدي في ان المسلمين اصابهم وباء شديد هلك فيه اميرهم اسد بن الفرات،^(١٣٢) فلما رأى المسلمون شدة الوباء وما اصاب قائدهم، ووصول الروم اليهم، اجتمعوا في

مراكبهم ليسيروا بها، لكن الروم اجتمعوا ووقفوا بمراكبهم على باب المرسى، ومنعواهم من الخروج، فقام المسلمون بحرق مراكبهم ورحلوا الى مدينة ميناو وحاصروها ثلاثة ايام واخذوا حصنها، وسارت طائفة منهم الى حصن جرجنت، وقتلوا اهله وتملكوه وتحصنوا به، واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا به، ثم ساروا الى قصر يانة، ومعهم فيمي، فخرج اهله وقبلوا الارض بين يديه، لخداعه ودلالة على الطاعة، واجابتهم له ان يملكوه ارضهم، ببدا انهم غدروا به وقتلوه. (١٣٣)

ان مانلمسه مما ذكره المؤرخين: ان القتال كان حازماً ومريراً، على الرغم من كثرة المسلمين، الا ان الروم تكاثروا عليهم، وقوة الوباء الذي داهمهم وانتشر بينهم واخذ قائدهم من بينهم مما دعاهم الى ان يلقوا بأنفسهم امام العدو حتى لا يعودون او يتخاذلون، او لربما من أمر بحرق السفن لم يكن مطمئناً لولاء من معه، خاصة ان اجناسهم من شتى البلاد، فاراد بذلك شد عزيمتهم ووضعهم امام الامر الواقع وقد تم له ذلك النجاة، او لعله اراد الاقتداء بحادثة حرق السفن التي افتعلها طارق بن زياد عند فتحه الاندلس قبل ما يقارب القرن من زمانه، هذا لوسلمنا بحادثة حرق السفن وانها حقيقية فانها لافتعال هالة حول انتصارهم، اما اذا لم نسلم بحادثة حرق السفن ورفضناها، فباعتقادنا ان المسلمين كانوا مدفوعين بالحماس الجهادي الذي اثاره الفقيه اسد بن الفرات، فما الذي يدعوهم لحرق السفن .

بعد وفاة اسد بن الفرات سنة (٢١٣هـ/ ٨٢٨م) اختار المسلمون قائداً عليهم هو محمد بن ابي الجواري^(١٣٤)، دون انتظار أمر من الامير زيادة الله،^(١٣٥) وفي ظل هذه الظروف الصعبة التي تحيط بالعسكر من وفاة القائد والوباء ومحاصرة الروم لهم ومنع الامدادات عنهم، خرجت سرية من المسلمين للغنيمة، فخرج عيهم الروم واقتتلوا قتالاً شديداً انهزم فيه المسلمون، وعادوا الى مكان تجمعهم خائبين، ثم اعدوا الكره في الغد، واقتتلوا قتالاً اشد من امسهم وقتل منهم كثيرون، ببدا انهم عادوا الى معسكرهم وحاصروا الروم حصاراً ضيقوا فيه عليهم الاقوات، وعمل الروم بالمسلمين حيلة اوقعوها بهم وجعلوهم ينهزمون،^(١٣٦) وبقي الحال كما هو الى ان حصل شيء ليس في الحسبان فقد جاء مدد

من البحر مكنون من اسطول كبير، فنزلوا الجزيرة،^(١٣٧) وفكوا الحصار عن المسلمين بأذن الله، وساروا الى مدينة بلرم وحاصروها فطلب صاحب الجزيرة الامان لنفسه واهله وماله، فأجيب الى ذلك،^(١٣٨) وسار في البحر الى بلاد الروم، وسار المسلمون الى قصر يانة فخرج لهم الروم فاقتتلوا قتالاً شديداً وأسرت امرأة البطريق وابنه، وقيل: ان البطريق هرب بجراحات كثيرة وسقط عن فرسه وجاء اصحابه واستنقذوه، وحمل المسلمون مامعه من سلاح ومتاع ودواب وكانت وقعة عظيمة،^(١٣٩) انتهت بانتصار المسلمين، واقامتهم في العاصمة سيراكوز واتخذوها مقراً لهم، والتي كانت سبباً لفتح الجزيرة كلها.^(١٤٠)

بقيت صقلية بعد هذا الفتح بيد الاغالبية، الا انها تعرضت لبعض الغارات من قبل الروم، فيذكر ابن عذارى: في حوادث سنة (٢١٧هـ / ٨٣٢ م) ان الجزيرة تعرضت لغزو من قبل احد امراء افريقية من تميم فتغلب عليها، فلم علم زيادة الله عين عليها ابن عمه ابا فهر، محمد بن عبدالله الاغلبى،^(١٤١) ويبدو انها لاعتبارين، اولهما: خوفاً من الاندلسيين ومحاولتهم الانفصال بالجزيرة، كما فعلوا بجزيرة كريت^(١٤٢)، او لعلها رغبة منه في ضمها لافريقية.^(١٤٣) المهم ان ابن عمه ناجز التميمي، فتتحنى الاخير وأمر الاغلبى أن تتم مناجزة الاسطول الرومي في البحر، فظفروا به العرب واخذوه غنيمة، ومضو في سعيهم لفتح باقي الجزيرة الى أن أتاها امر زيادة الله بأن يتخذوا من مدينة بلرم عاصمة للمسلمين بعد ان كانت مقر الادارة البيزنطية، ولم تمضي مدة يسيرة حتى أصبحت من أبهج العواصم الاسلامية، الحافلة بأحسن العلوم، وأزهر الفنون.^(١٤٤)

بعد وفاة زيادة الله سنة (٢٢٣هـ / ٨٣٨ م)^(١٤٥)، تولى أبي عقاب ابراهيم بن ابراهيم الاغلب ولما استوثق من ازدهار البلاد واقبال الناس على الطاعة، سير جيوشه سنة (٢٢٤هـ / ٨٣٨ م) لا كمال فتح صقلية وإيطاليا، بيد انه وافته المنية سنة ٢٢٦هـ / ٨٤١ م)^(١٤٦).

وفي المدة الواقعة بين سنة (٢٣١هـ / ٨٤٦ م) - (٢٣٩هـ / ٨٥٣ م) دبت الصراعات بين آل الاغلب أنفسهم، على السلطة في أفريقية، وفي آخر المدة أستتب الامر الى محمد الاول، وكان عامل جزيرة صقلية أبي الاغلب ابراهيم بن عبد الله بن

الاغلب ، الذي وافاه الاجل، فتولى مكانه العباس بن الفضل، والذي جاهد كثيراً وغزا طويلاً وكان في كل مرة يعود بنصر مؤزر،^(١٤٧) فيذكر ابن عذارى: " في سنة ٢٤٢، كان الجهاد بصقلية؛ غزا العباس بن الفضل صاحبها بالصائفة، فسبى وغنم، وصالحه... بعد ان حاصره شهرين... "، ويذكر ايضاً: " وفي سنة ٢٤٤، غزا العباس، صاحب صقلية ارض الروم، فغنم غنائم كثيرة... " ^(١٤٨)، ويبدو انه استمر بغزواته الناجحة الى سنة (٢٤٧هـ/ ٨٥٦م) ^(١٤٩)، وهي السنة التي توفي فيها ، "وفي سنة ٢٥١، كانت غزوة السرية المعروفة بسرية الف فارس، وذلك ان خفاجة، صاحب صقلية غزا قصر يانة؛...، وسار الى سرقوسة؛ وقاتل اهلها. ثم رحل عنهم واخرج ابنه اليهم في سرية؛ فكمّن لهم، وقتل منهم الف فارس؛ فسميت تلك السرية الف فارس" ^(١٥٠)، واستمرت الانتصارات في الجزيرة ، الى سنة (٢٦١ هـ / ٨٧٥م) حين توفي ابو الغرائيق الاغلبى، ^(١٥١) وتولى افريقية ابراهيم الثاني، الذي عرف بهذا الاسم تمييزاً له عن جده مؤسس دولة الاغالبية، والذي شهد عهده بداية الارتباكات السياسية في الدولة، وتفيد الروايات التاريخية ان الدولة الاغالبية بعد وفاة ابو الغرائيق قد تردت احوالها وارهقتها المتاعب سواء في الداخل وال خارج، ^(١٥٢) ويذكر ابن خلدون: " لما توفي ابو الغرائيق ولي اخوه ابراهيم، وقد كان عهد لابنه ابي عقال، واستحلف اخاه ابراهيم ان لا ينازعه ولا يعرض له، فلما مات عدا عليه اهل القيروان وحملوه على الولاية عليهم، لحسن سيرته وعدله فامتنع ثم اجاب وترك وصية ابي الغرائيق... وقام بالامر احسن قيام، وكان عادلاً حازماً ففقطع البغي والفساد و... فأمنت البلاد وبنى الحصون والمحارس بسواحل البحر، و... بنى سور سوسة... " ^(١٥٣)، وفي سنة (٢٦٤هـ/ ٨٧٧م) بعد ان تمت البيعة لابراهيم امر باعتقال ابي عقال بن ابي الغرائيق ، ثم شرع في البناء فبنى قصر الفتح، وارسل عامله لغزو صقلية، وامره بحصار سرقوسة، وبعد ستة اشهر دخلها فاتحاً ^(١٥٤).

وفي سنة (٢٧٠ هـ / ٨٨٤ م) توفي عامل صقلية، وعين سودة بن محمد بن خفاجة التميمي فافتتح ولايته ببث سراياه في البلاد الايطالية ، والتي عادت ظافرة ،

لكن الروم البيزنطيين لم تغفل عيونهم عن صقلية ، فارسلوا اليها جيشاً جراراً، قاد معركة طاحنة ، أعتقل فيها سودة التميمي ، الامر الذي أغم المسلمين،^(١٥٥) فاستجمعوا قواهم وساروا الى مدنها واستولوا عليها واضعفوا قوة الروم ، وبثوا الرعب في نفوسهم، فيذكر ابن عذارى : "في سنة ٢٧٦، كان الجهاد بصقلية في غزوة سودة بن محمد..."^(١٥٦) .

ما ان جاءت سنة (٢٨٢هـ / ٨٩٥م) يذكر ابن عذارى: " انعقد الصلح بين اهل صقلية والروم الاربعين شهراً، على اخراج الف اسير من المسلمين ،"^(١٥٧)، وفي اعقاب ذلك احتدمت المشاكل والفتن في صقلية اكثر بقيت الاوضاع في الجزيرة غير مستقرة، ونشبت فتنة في صقلية بين عربها وبربرها فارسل لهم الامير كتابا يدعوهم الى الطاعة فامتنثوا لامره، الا ان اوضاعها لم تهدأ الى ان غزاها سنة (٢٨٩هـ / ٩٠١م).^(١٥٨)

وفي سنة (٢٩٠هـ / ٩٠٢م) - (٢٩٦هـ / ٩٠٨م) وضع الفاطميون -العبيديون- فيها نهاية لحكم الاغالبية في صقلية وافريقية^(١٥٩) ، حيث لم يقوى آخر امرائها زيادة الله الاغلبى الثاني على الصمود في وجه الحشود التي تقدمت لاسقاط المدن التي احتلها ، واقترن هذا التقدم بهروبه الى مصر تاركاً امارته امام الزحف العبيدي الذي اسدل الستار على حكم الاغالبية سنة (٢٩٦هـ / ٩٠٩م) ^(١٦٠).

ان من الجدير بالذكر ان جهود الاغالبية في البحر المتوسط عموماً ، وفي فتح جزيرة صقلية ، كانت ملحمة رائعة سواء في فتح الجزيرة او الجزر القريبة منها او الوصول اليها ، الذي استمر ما يقارب قرن من الزمان.

الخلاصة

دولة الاغالبية دولة عربية اسلامية حكيمة الامر ، رشيدة السياسة ، كان منهجها في الحكم دمج العرب والبربر والاندلسيين ، وتحويل نشاطهم لصالح دولتهم ، وقد ارتبط قيام دولة الاغالبية في أفريقية عام (١٨٤هـ / ٨٠٠م)، بما ساد البلاد من

فوضى واضطراب أثناء حكم الخلفاء العباسيين الاوائل، والذين كان منشغلين بمشاكل المشرق التي أصبحت تهدد نفوذهم فلم يجدوا حلاً أفضل من تولية ابراهيم بن الاغلب حاكماً على افريقية، فخضعت له قبائل البربر ودانت له بالطاعة، واستقامت احوالهم به، فقد كرس جهده للتخلص من ثورات الخوارج، واستطاع ان يطرد الثائرين من القيروان، وينصرف الى الفتح والتوسعات في اوربا وتركيزه على الدول المجاورة، وان يستقل بحكمه عن الخلافة العباسية في بغداد، و يدين لهم بالتبعية بالولاء ويأخذ الشرعية منهم، كي يثبت اركان الحكم له ولأولاده من بعده ليسهموا في تثبيت كيان دولتهم وتوطيد دعائمها، فلما تم لهم ذلك، أرادوا التوسع والسيطرة على جزيرة صقلية، التي تزخر بالخيرات الوفيرة والقريبة من مقر دولتهم والتي تسيطر على طرق تجارة البحر المتوسط والتي كانت تابعة للبيزنطيين، وطالما كان العرب يغزونهم منذ نمو تجربتهم البحرية في العهد الاموي فلما أصبح للأسطول الاسلامي قوة كبيرة وزادت أعداد السفن واصل العرب غزواتهم للجزيرة لفتحها لخيراتها الوفيرة وموقعها الاستراتيجي، ولنشر الدين الاسلامي فيها، وكان لحماس قاضي القيروان أسد ابن الفرات في ذلك الفتح اثر كبير، في عهد الامير الاغلبى زيادة الله الاول ابن الاغلب، الذي لم يستطع التقدم شرقاً أو غرباً واتبع سياسة بحرية، الا وهي الاتجاه نحو صقلية ومن ثم إيطاليا، بيد ان هذه السياسة لم تتجح بسبب الثورات والفتن المتلاحقة والتي سادت بين العرب آنذاك ضده، وقد قام بالتخطيط للفتح وقيادة الجيش والاسطول وكاد أن ينجح الفتح ويمن الله عليه بالنصر، لولا نقشي الوباء بين جنده وكان هو من هلك من ضمن الهالكين، الى ان حدث ما لم يكن بالحسبان، وهو ان جاءهم مدد، من افريقية والاندلس، واحتلوا عاصمة الجزيرة وتمركزوا فيها، وكانت سبب في فتح الجزيرة كلها.

لقد كانت جزيرة صقلية محط أنظار العرب الذين طالما غزوها، وكانت غزواتها بين مد وجزر وتأثرت بالاضعاع الداخلية لكل من الدولتين البيزنطية والاغلبية التابعة بالولاء لبني العباس، الى أن أتم الله فتحها سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م)، واستمرت في أيدي

المسلمين الى أن سقطت بيد الفاطميين، بنشوء دولتهم ومن ثم شهدت صراعات عديدة بين الفاطميين والبيزنطيين الى أن سقطت نهائياً بيد النورمان سنة (٤٨٤هـ/١٠٩٤م).

الهوامش :

- (١) سميت صقلية بهذا الاسم نسبة الى شقيقو اخي ايطال الذي سميت به اطلالية .للمزيد انظر: البكري ،ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، المسالك والممالك ،تحقيق:جما ل طلبية،(دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٩٤٥م)، ج٢، ص٥٢.
- (٢) العبادي ،احمد مختار ،في التاريخ العباسي والفاطمي ،(دار النهضة العربية ، بيروت ،لبنان، د.ت.)، ص٣٣٥.
- (٣) ابن حوقل ،ابو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) ،صورة الارض،(مطبعة بريل ،لیدن، ١٤٠٩م) ،ص١١٨؛ياقوت الحموي، ابي عبدالله شهاب الدين بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)،معجم البلدان،(دار صادر، بيروت ،د.ت.)، ج٣، ص٤١٦-٤١٧.
- (٤) اسم لمدينة في خمس مواضع ، و باجة هذه تقع في تونس وهي مدينة قديمة كثيرة الغلات والقمح والشعير ليس مثلها بالمغرب كله صحيحة الهواء كثيرة الرخاء يقابلها من جهة الشمال مرسى الخزر للمزيد انظر: الشريف الادريسي، ابي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحسني (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٥م)،نزهة المشتاق في اختراق الافاق ،(عالم الكتب ،بيروت ،١٩٨٩م) ، ج١، ص٢٩٠؛ ياقوت، معجم البلدان ، ج ١، ص٣١٤.
- (٥) حصن على البحر قليل العمارة وبينها وبين مدينة بنزرت التونسية سبعون ميلا .للمزيد انظر: الادريسي، نزهة المشتاق ، ج١، ص٢٨٩.
- (٦) ابن حوقل ، صورة الارض، ص١١٨؛ المقدسي البشاري، ابي عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن ابي بكر (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم،،(دار الكتب العلمية ،بيروت ،٢٠٠٣م) ، ص١٨١.
- (٧) مدينة بجزيرة صقلية في بحر المغرب ،بها هيكل عظيم فيه قبر ارسطو طاليس تعظمه النصارى وتستسقي به لاعتقادهم به .للمزيد انظر: ابن حوقل ،صورة الارض، ص١١٨؛ القزويني ،زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، آثار البلاد واخبار العباد ،ط٣،(دار صادر ،بيروت، ٢٠١١م)، ص١٥٨.
- (٨) البكري ، المسالك والممالك ، ج٢، ص٥٤.

(٩) لغة: هي جمع كلمة رباط، وهي من المراقبة :اي ملازمة ثغر العدو واصلها ان يربط كل فريق خيله لقتال عدوه حتى صار لزوم الثغر رباطاً ،الا ان معنى الكلمة تطور في العصور الاسلامية المتأخرة الذي كان مرتبطا بالمفهوم العسكري المرتبط بالجهاد ليتحول الى ما تعنيه كلمة الزوايا والخانقاه المرتبطة بالتصوف .للمزيد انظر: ابن منظور ،جمال الدين محمد بن مكرم الافغاني (ت ٧١١هـ/١٣١١م)،لسان العرب ،تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم الشاذلي ،(دار المعارف، القاهرة، د.ت)،ج٩،ص١٧٣؛حسن،حسن ابراهيم ،تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،ط٧،(مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة، ١٩٦٧ م) ،ج٤،ص٤٦٣.

(١٠) ابن حوقل ، صورة الارض،ص١١٨؛المقدسي،احسن التقاسيم،ص١٨٧.

(١١) الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ /١٤٩٩م)،الروض المعطار في خبر الاقطار ،تحقيق احسان عباس، ط٢(دار صادر ،بيروت ،لبنان، ١٩٨٥م)،ص٣٦٧.

(١٢) احمد ،عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية ،تعريب: امين توفيق الطيبي ،(دار الكتب العربية ،بيروت، ١٩٨٠م)،ص٨.

(١٣) ياقوت ،معجم البلدان ، ج٣،ص٤١٧.

(١٤) المسالك والممالك ،ج٢،ص٥٣؛معجم البلدان،ج٣،ص٤١٧.

(١٥) تقع هذه المدينة على ساحل البحر وهي من مشاهير المدن يقصدها التجار من جميع الاقطار بها الكثير من الاسواق والحمامات والمباني الفنية والافنية الواسعة .للمزيد انظر: المقدسي،احسن التقاسيم،ص١٨٧؛الادريسي، نزهة المشتاق ،ج٢،ص٥٩٧.

(١٦) البكري ، المسالك والممالك ، ج٢،ص٥٣.

(١٧) آثار البلاد ،ص٢٤٠؛الروض المعطار ،ص٤٥٤.

(١٨) نزهة المشتاق ،ج١،ص١.

(١٩) نزهة المشتاق ،ج٢،ص٥٩٠.

(٢٠) نزهة المشتاق ،ج٢،ص٥٩١-٥٩٢.

(٢١) الدوري ،نقي الدين عارف، صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط الاسلامية(من الفتح الى الغزوالنورمندي) ،(دار الرشيد للطباعة والنشر ،الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م)،ص٢١؛اسماعيل محمود،الاغالبية وسياستهم الخارجية، ط٣،(مؤسسة عين للدراسات الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠٠م)،ص١١.

- (٢٢) الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ،تحقيق عمر عبد السلام تدمري ،(دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٠م)، ج٣، ص٣٢٣؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص٨.
- (٢٣) ابن الاثير ،ابو الحسن علي بن ابي الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل ، تحقيق :محمد يوسف الدقاق ، (دار الكتب العلمية ،بيروت ، ١٩٨٧م)، ج٣، ص٧٠.
- (٢٤) اليعقوبي ،احمد بن اسحق بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م) تاريخ اليعقوبي،(دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م)، ج٢، ص١١٧؛ فازلييف ،الكسندر، العرب والروم ،تعريب: محمد عبدالهادي شعيره ،(دار الفكر العربي ،بيروت، د.ت) ، ص٦٢.
- (٢٥) سعد زغلول، تاريخ المغرب ، ص ٩٨؛ عاشور ،سعيد عبد الفتاح، أوربا في العصور الوسطى ،(مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة، ٢٠٠٩ م) ، ج١، ص١٢٦.
- (٢٦) هي جزيرة في البحر المتوسط بالقرب من القسطنطينية .للمزيد انظر : البلاذري،احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، فتوح البلدان ،تحقيق: عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع ، (مؤسسة المعاف الفنية للطباعة ،بيروت، ١٩٨٧م)، ص٣٣٠؛ ياقوت ،معجم البلدان ، ج٣، ص٧٨.
- (٢٧) يضم اوله، هي جزيرة في البحر من الثغور الشامية افتتحها عنوة جنادة بن ابي امية زمن معاوية ،وهي حصن افريقية تبعد عن قبرص عشرون ميلا .للمزيد انظر : ياقوت ،معجم البلدان ، ج٣، ص٧٨؛ الحميري،الروض المعطار ، ص٢٨٧.
- (٢٨) سميت بهذا الاسم نسبة لمدينة هناك تدعى قبرو ،وهي في القدم للوثن المسمى فانوس . للمزيد انظر : البكري ، المسالك والممالك ، ج٢، ص٥١؛ الحميري، الروض المعطار ، ص٤٥٤.
- (٢٩) ابن العماد الحنبلي ،ابي الفلاح عبد الحي بن احمد الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،تحقيق :عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط،(دار ابن كثير ،بيروت، ١٩٩١م) ، ج١ ، ص١٨٦ ؛ عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي ،تقديم: احمد فكري،(دار المعارف، القاهرة، د.ت)، ص٨٥.
- (٣٠) شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)،العبر في خبر من غبر ،تحقيق :ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول،(دار الكتب العلمية ،بيروت ، ١٩٨٥م)، ج١، ص٢١.
- (٣١) العدوي، ابراهيم احمد، الامويون والبيزنطيون،(دار الجيل للطباعة، القاهرة ، ١٩٦٣م)، ص٨٤.

(٣٢) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع، (مؤسسة المعاف الفنية للطباعة، بيروت، ١٩٨٧م)، ص ٢٠٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٥٨؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ٨.

(٣٣) العدوي، الامويون والبيزنطيون، ص ٨٥.

(٣٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٠؛ المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح وضبط: عفيف نايف حاطوم، ط ٢، (دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م)، ج ٢، ص ١٨٦؛ العدوي، الامويون والبيزنطيون، ص ٨٥.

(٣٥) ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، (دار المعارف، القاهرة، د.ت)، ج ٤، ص ٢٦٠-٢٥٩.

(٣٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٥٩؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٣٢٣.

(٣٧) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٤٣٥؛ العدوي، الامويون والبيزنطيون، ص ٤٥-٤٨.

(٣٨) ابن الاثير، الكامل، ج ٣، ص ٧٠-٨١؛ اليافعي، ابي محمد عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٨م)، امرأة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م)، ج ١، ص ٧٨-٨٨.

(٣٩) الاصطخري، ابو القاسم ابراهيم بن محمد (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، المسالك والممالك، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م) ص ٣٤-٣٥؛ العدوي، الامويون والبيزنطيون، ص ٩٠.

(٤٠) يكنى ابا الوليد الانصاري الخزرجي شهد بيعة العقبة الاولى والثانية وكان نقيباً على قوافل بني عوف من الخزرج وشهد بدر والخندق والمشاهد كلها مع الرسول الكريم (ص) واستعمله النبي على بعض الصدقات. للمزيد انظر: ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٤٥م)، ج ٣، ص ١٥٩.

(٤١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٥٨؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٢، ص ٤٨٨؛ ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٢٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، (دار هجر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٨م)، ج ١٠، ص ٢٢٨.

(٤٢) ابن الاثير، الكامل، ج ٣، ص ١٣؛ العدوي، الامويون والبيزنطيون، ص ٩٠-٩١.

(٤٣) لغة: من جرى يجزى، والجزاء المكافأة على الشيء وهي ايضاً القضاء كقولنا جزي الامر اي قضى، وفي الاصطلاح: هي العهد والامان وهي تفرض على اهل الذمة من اليهود والنصارى

- وغيرهم وتؤخذ في موعد معلوم من السنة وتسقط عنهم بإسلامهم. . للمزيد انظر :ابن آدم ،يحيى بن سليمان(ت٢٠٢ هـ /٨١٧ م)،الخراج ،(دار المعرفة للطباعة،بيروت ،د.ت) ،ص٢١؛ الفيروزآبادي ،مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧ هـ /١٤١٤م)،القاموس المحيط،(دار العلم للجميع ،بيروت ،د.ت)،ج٤،ص١٣.
- (٤٤) الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ج٤،ص٢٦٢؛ العدوي ،الامويون والبيزنطيون ، ص٩٠-٩١.
- (٤٥) العبر ،ج١،ص٢٥ .
- (٤٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج٣،ص٣٠.
- (٤٧) ابن قتيبة الدينوري ،ابي محمد عبدالله بن مسلم(ت٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)،الامامة والسياسة،ط٣،(دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،٢٠٠٩ م) ،ج٢، ص٣٦٥؛ العدوي ،الامويون والبيزنطيون ،ص٩٤-٩٦.
- (٤٨) ابن خلدون ؛ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨ هـ/١٤٠٦م)؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر زمن عاصرهم من ذوي السلطان الاعظم ، ضبط ومراجعة :خليل شحادة وسهيل زكار،(دار الفكر ، بيروت ،٢٠٠١م)،ج٦،ص١٣٢؛عزيز ، تاريخ صقلية الاسلامية ،ص٨.
- (٤٩) ولأه الخليفة عثمان مصر وفتح افريقية، وكان قد اسلم قبل فتح مكة وهاجر مع من هاجر الى المدينة وكان من كتاب الوحي .للمزيد انظر :ابن الاثير ، أسد الغابة ،ج٣،ص٢٦٠ .
- (٥٠) ويكنى ابا عبد الرحمن وابا نعيم غزا افريقية ثلاث غزوات متفرقة ،واصيب عينه في احداها وغزا الحيشة مع ابن ابي سرح وعدّ من اهل مصر .للمزيد انظر :ابن عبد البر القرطبي ،ابي عمر يوسف بن عبد الله النمري (ت٤٦٣ هـ /١٠٧٠م)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ،تحقيق: عادل مرشد ،(مطبعة دار الاسلام ،الاردن ،عمان،٢٠٠٢م) ،ص٦٧٣.
- (٥١) ابن قتيبة الدينوري ،الامامة والسياسة، ج١،ص٣٥.
- (٥٢) فازيليف ، العرب والروم ،ص٦٢.
- (٥٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٣،ص٣١١؛الذهبي ، تاريخ الاسلام ،ج٣،ص٣١٨.
- (٥٤) فازيليف ، العرب والروم ،ص٦٢؛ عزيز ، تاريخ صقلية الاسلامية ،ص٩.
- (٥٥) خليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٠ هـ /٨٥٤م) ،تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: اكرم ضياء العمري ،ط٢،(دار طيبة، الرياض،١٩٨٥م) ،ص١٦٠؛ ابن عبد الحكم ،عبد الرحمن بن عبدالله بن اعين (ت٢٥٧ هـ /٨٧٠م)، فتوح مصر والمغرب ،تحقيق: عبد المنعم محمد ،(د مط ، القاهرة،١٩٥٤م) ،ج١،ص٣٥٥.

- (٥٦) فازيلييف ، العرب والروم، ص ٦٢.
- (٥٧) الدوري ، ، صقلية، ص ٢٤.
- (٥٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١٩؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ٩.
- (٦٠) عباس، احسان، العرب في صقلية ، (دار الثقافة ،بيروت، لبنان، ١٩٧٥م)، ص ٢٨؛ فازيلييف ، العرب والروم، ص ٦٣.
- (٦١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٢٩؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣، ص ٣١١، ٣١٤؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤، ص ١٩.
- (٦٢) فازيلييف ، العرب والروم، ص ٦٢؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ٩.
- (٦٣) عمران ،محمود سعيد، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، (دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٠م)، ص ٨٤؛ عاشور، اوربا، ص ١٤٣.
- (٦٤) هو عبد الله بن قيس بن خالد بن مخلد الانتصاري ،من بني فزارة كان عقياً بديراً ولاء معاوية غزو البحر سنة ٣٥ هـ . للمزيد انظر: ابن عساكر ،ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ /١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين ابي سعيد بن عمر العمروسي، (دار الفكر للطباعة، دمشق، ١٩٩٥م)، ج ٣٢، ص ١١٩-١٢١.
- (٦٥) البلاذري، فتوح البلدان ،ص ٣٢٩؛ ابن عذارى، ابو عبد الملك محمد المراكشي (ت ٧١١هـ /١٣١١م)، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،تحقيق: بروفنسال وج.س كولان، ط ٢، (دار الثقافة العربية، بيروت، ١٩٨٣م)، ج ١، ص ١٧.
- (٦٦) بفتح اوله وثانيه ثم قاف ،مدينة من اكبر واقدم مدن جزيرة صقلية بها سرير الملك .للمزيد انظر :ياقوت ،معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٤.
- (٦٧) البلاذري، فتوح البلدان ،ص ٣٢٩؛ فازيلييف ، العرب والروم، ص ٦٣؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ٩.
- (٦٨) الشيخ ،محمد محمد مرسى ،تاريخ الامبراطورية البيزنطية ،(دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٤م)، ص ٩٨-٩٩؛ فازيلييف ، العرب والروم، ص ٦٣.
- (٦٩) من كبار التابعين ، ادرك الجاهلية والاسلام وولي غزو البحر لمعاوية ،شهد فتح مصر وحدث عن معاذ بن جبل وغيره . للمزيد انظر : ابن عساكر ،تاريخ دمشق، ج ١١، ص ٢٨٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٦٣.
- (٧٠) ابن قتبية ،الامامة والسياسة، ج ٢، ص ٣٦٥؛ الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥، ص ٣٢٢؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣، ص ٣٦٨؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤، ص ١٦٧.

(٧١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٤٩؛ ابن الجوزي، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م)، ج ٦، ص ٢٣-٢٥؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣١٨-٣٢٢.

(٧٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٥، ص ٣٦.

(٧٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٣، ص ٤٧٧؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ٥٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٧١٢.

(٧٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٦١٠-٦١١؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣١٨-٣٢٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ١٣؛ فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية حتى نهاية العصر الاموي، تعريب: محمد عبد الهادي ابو ريده (لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م)، ص ١٨٢.

(٧٥) مدينة كبيرة قديمة بين الاسكندرية وافريقية، اسمها بالرومية الاغريقية بنطابلس وتفسيره خمس مدن وهي تقع في الصحراء فتحها عمرو بن العاص وصالح اهلها على الجزية. للمزيد انظر: البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ١٧٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٩١.

(٧٦) من نسل ملوك العرب من الغساسنة، عرف بالشيوخ الامين ولي افريقية، وكان بطلاً شجاعاً مجاهداً، وجهه معاوية بن ابي سفيان على المغرب، فصالح البربر ووضع عليهم الخراج، وله غزوات مشهودة بعد قتل الكاهنة. للمزيد انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، ط ١١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م)، مج ٤، ص ١٤٠؛ الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، الاعلام، ط ١٥، (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م)، ج ٢، ص ١١٧.

(٧٧) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٩٤-١٩٧؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ١٣٥؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٥، ص ٦٧-٦٨؛ الثعالبي، عبد العزيز، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الى نهاية الدولة الاغلبية، جمع وتحقيق: احمد بن ميلاد ومحمد ادريس، ط ٢، (دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٠م)، ص ٥٨.

(٧٨) احد الامراء الفاتحين شهد فتح مصر ولاه اميرها عبد العزيز بن مروان على برقة وكانت له حروب مع الروم البربر وقتله الروم. للمزيد انظر: الصفي، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط ومصطفى تركي، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م)، ج ١٤، ص ١٥٢؛ الزركلي، الاعلام، ج ٣، ص ٥٢.

- (٧٩) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٣؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٥، ص ٣٢٧؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص ١٧٥-١٧٩.
- (٨٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٤٦٨؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٦٤؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٣؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٣٩.
- (٨١) قائد عربي ارسله والي افريقية لغزو صقلية، لكنه لم يلبث فيها الا قليل وعاد بالغنائم والسبي الوفير. للمزيد انظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٩؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص ٢٤١.
- (٨٢) يزيد بن ابي مسلم تم توليته والي على افريقية من قبل الحجاج الثقفي، وكان غشوماً ظلوماً، اراد ان يرسم البربر في ايديهم كما تصنع ملوك الفرس والروم بعبدها فلم يرضوا وثاروا عليه وقتلوه. للمزيد انظر ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٣٥٤؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ١، ص ١٦٨؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٨.
- (٨٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٠، ص ٢٣٤؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٨؛ فازيليف، العرب والروم، ص ٦٣.
- (٨٤) وليّ بشر افريقية من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان ومن ثم من قبل اخيه هشام بن عبد الملك غزا الغزوات الكثيرة ومات في القيروان. للمزيد انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٠، ص ٢٣٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٩٣.
- (٨٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٣؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٩؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص ٢٤٤؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص ١٢٢.
- (٨٦) الكامل، ج ٤، ص ٤٠٣.
- (٨٧) هو ابن اخو الاعور السلمي صاحب خيل معاوية في حرب صفين، دخل القيروان فجأة، وحبس خليفة بشرين صفوان عليها، واخذ عماله وحبسهم واغرمهم وعذب بعضهم. ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٥٠؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٤٠.
- (٨٨) ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٠٣؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص ٢٤٧؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص ١٢٣.
- (٨٩) عبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول من رجالها البارعين في الفصاحة والخطابة، ولاه الخليفة هشام افريقية فبنى فيها المساجد ودار الصناعة وكان اول عمره كاتباً. للمزيد انظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٥١؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٥٦.

(٩٠) هو احد احفاد عقبة بن نافع الفهري القرشي، سكن الاندلس وارسل غازياً حتى وصل السوس الاقصى وبلاد السودان ولم يبق قبيلة من قبائل البربر الا دخلها. للمزيد انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٢، ص ٤٢

(٩١) ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٥٧؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٤١؛ عزيز، تاريخ صقلية، ص ١١.

(٩٢) ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٤١٢.

(٩٣) هو من قبيلة مدغرة البربرية من قبائل البتروعرف بالفقير والحقير، عمل سقاءً يبيع الماء في سوق القيروان. انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٥٣؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٥٢؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص ٢٥٥.

(٩٤) ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ١٨٩؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٥٢؛ فازيلييف، العرب والروم، ص ٦٤.

(٩٥) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٤١؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص ١٣٥؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص ٢٥٥.

(٩٦) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، جمل من انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، (دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٦م)، ج ١٣، ص ١١؛ كحالة، عمر رضا، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ط ٨، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م)، ج ١، ص ٣٦.

(٩٧) واسمه عبد الرحمن بن مسلم، وقيل عبد الرحمن بن عثمان بن يسار، صاحب الدعوة العباسية في خراسان ومن اكبر ملوك الاسلام، تأتية الفتوحات العظام، فلا يظهر عليه اثر السرور، وتترزل به الفادحة الشديدة، فلا يرى مكتئباً. للمزيد انظر: ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (دار صادر، بيروت، د.ت)، ج ٣، ص ١٤٥-١٤٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٦، ص ٤٨.

(٩٨) عبدالله بن علي عم الخليفة المنصور وقائد جيوشه شارك في تثبيت امر الخلافة لبني العباس بعد مقتل ابراهيم الامام وزمن ابو العباس السفاح وانتدبه الخليفة المنصور لقتال بن هبيرة الا ان المنصور خاف من سطوته ومكانته عند الجند من ان يأخذ البيعة لنفسه فتخلص منه فقتله على يد ابو مسلم الخراساني. للمزيد انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٥٣-٢٥٧؛ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م)، ج ١، ص ١٨٥.

- (٩٩) هو عمر بن هبيرة بن سكين بن بغيض بن مالك بن عدي بن قزارة بن غطفان من دهاة العرب عاش زمن الخلافة العباسية تولى امر العراق والجزيرة زمن يزيد بن عبد الملك .للمزيد انظر: البلاذري، جمل من انساب الاشراف، ج ٨، ص ٢٦٥؛ الزركلي، الاعلام، ج ٥، ص ٦٨.
- (١٠٠) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ١٦٨؛ ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م)، الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، ط ٢، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣ م)، ج ١، ص ٦٨-٦٩.
- (١٠١) امير من القادة الشجعان ولاء الرشيد على مصر ثم على افريقية فكانت له هبة عظيمة، اطاعته قبائل البربر ودانت له بنى القصر الكبير المعروف بالمنستير، وبنى سور طرابلس، ولما رأى كثرة الاهواء في المغرب طلب الى الرشيد ان يعزله فاجابه الى ذلك. للمزيد انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ١٢، ص ٢٤؛ الزركلي، الاعلام، ج ٨، ص ٨١.
- (١٠٢) فتوح البلدان، ص ٣٢٦-٣٢٨؛ البيان المغرب، ج ١، ص ٧٤ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٤٧.
- (١٠٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ١٦٨-١٦٩؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ١٢، ص ٨٨؛ ابن وردان، تاريخ مملكة الاغالبية، تحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨ م)، ص ١٩.
- (١٠٤) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ١٦٨-١٦٩؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٧٤-٧٥؛ ابن وردان، تاريخ مملكة الاغالبية، ص ١٣.
- (١٠٥) الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص ٢٠٣.
- (١٠٦) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢، ص ٢؛ ابن الابار، الحلة السيرة، ج ١، ص ٩٣-٩٤؛ حسين، ممدوح، افريقية في عصر الامير الاغلي الثاني (قراءة جديدة تكشف افتراءات دعاة الفاطميين) (دار عمار للطباعة، الاردن، ١٩٩٧ م)، ص ١٠.
- (١٠٧) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٧١٣، ٤٣٦، ٣١٣؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٩٢-٩٧.
- (١٠٨) هي دولة شيعية علوية يرجع نسبها الى ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي (رض) العلوي الذي هرب من معركة فخ واتجه الى المغرب واسس اماره فيها عرفت باسمه. للمزيد انظر: ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٥؛ حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ١٦٧.
- (١٠٩) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٣١٤؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٩٥.
- (١١٠) من اعظم ملوك الدولة الاغلبية، واعلاهم صيتاً، اعتنى به والده، وكان لا يقدم عليه احدا من الاعراب والعلماء بالعربية، فقد كان شاعرا فصيح اللسان ثار عليه اهل افريقية بسبب سياسته، حتى خرج الامر من يده وخرج الى منها واحصر في مدينة القصر القديم التي بناها

- الاغالبية. للمزيد انظر: ابن خلكان ،وفيات الاعيان ، ج ٣، ص ١٩٣؛ الصفدي ،الوافي بالوفيات ، ج ١٥، ص ١١.
- (١١١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ١٣١؛ ابن خلدون ،العبر، ج ٤، ص ٢٥٢؛ حسين ، افرقية في عصر الامير الاغلبى الثاني، ص ١٠٢
- (١١٢) الثعالبي ،تاريخ شمال افرقية، ص ٢٠٥-٢١٧؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص ٣٦٦.
- (١١٣) ابن خلدون ،العبر، ج ٤، ص ٢٥٣؛ ابن وردان، تاريخ مملكة الاغالبية، ص ٣٤؛ حسين ، افرقية في عصر الامير الاغلبى الثاني، ص ٣٦-٣٨، ص ٦٦.
- (١١٤) الكامل، ج ٥، ص ٤٣٦؛ ابن خلدون ،العبر، ج ٤، ص ٢٥٤؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ١٣.
- (١١٥) المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥٤.
- (١١٦) ابن الاثير ،الكامل، ج ٥، ص ٤٣٦؛ احسان عباس، العرب في صقلية، ص ٣٢؛ العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ٣٣٥.
- (١١٧) العرب والروم، ص ٦٤.
- (١١٨) احسان عباس، العرب في صقلية، ص ٣٢؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص ١٣.
- (١١٩) الكامل، ج ٥، ص ٤٣٦؛ ابن عذارى ،البيان المغرب، ج ١، ص ٥٢؛ احسان عباس، العرب في صقلية، ص ٣٢.
- (١٢٠) هو الفقيه المالكي ابو عبدالله القيرواني المغربي، احد كبار اصحاب الامام مالك ومؤلف كتاب المسائل الاسدية. للمزيد
- انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢٥٢؛ النباهي، ابوالحسن علي بن عبدالله الجذامي (ت ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م)، تاريخ قضاة الاندلس (المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تحقيق: مريم قاسم الطويل، (دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٥م) ، ص ٧٥؛ ابن قنفذ القسنطيني، ابي العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م) ا لوفيات، تحقيق: عادل نويهض، ط ٤، (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م) ، ص ١٦٣-١٦٤.
- (١٢١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ١٣١؛ احسان عباس، العرب في صقلية، ص ٣٢.
- (١٢٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥، ص ٤٣٦؛ الذهبي ، العبر، ج ١، ص ٢٨٦؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٩٠.
- (١٢٣) الذهبي ،تاريخ الاسلام ، ج ١٥، ص ٦٦-٦٧.
- (١٢٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ٩٧-٩٩.
- (١٢٥) ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٣٦.

- (١٢٦) المسالك والممالك، ج٢، ص٥٤؛ البيان المغرب، ج١، ص١٠٢.
- (١٢٧) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص١٠٢؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص١٤.
- (١٢٨) ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص٤٣٦؛ فازيليف، العرب والروم، ص٧٥.
- (١٢٩) اسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم وثقافتهم ودينهم وصلاتهم بالعرب، (دار المكشوف، بيروت، لبنان، ١٩٥٥م)، ج١، ص٣٢٣؛ الدوري، صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط، ص٥١.
- (١٣٠) ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص٤٣٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٥٤؛ فازيليف، العرب والروم، ص٧٢.
- (١٣١) المسالك والممالك، ج٢، ص٥٤؛ البيان المغرب، ج١، ص١٠٢.
- (١٣٢) وفيات الاعيان، ج٣، ص١٨٢؛ الوافي بالوفيات، ج٩، ص٦؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص٢٢١.
- (١٣٣) ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص٤٣٧؛ فازيليف، العرب والروم، ص٧٩.
- (١٣٤) ولاء المسلمين قيادة جيش صقلية بعد وفاة قائدهم اسد بن الفرات بدون امر الامير زيادة الله لمزيد انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص٤٣٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٥٤.
- (١٣٥) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٥٤؛ ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص٤٣٧؛ ابن وردان، تاريخ مملكة الاغالبية، ص٥٦؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص١٥.
- (١٣٦) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٥٤؛ ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص٤٣٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٥٤.
- (١٣٧) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٥٤؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص١٦.
- (١٣٨) الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص٢٢٤؛ الدوري، صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط، ص٥٨.
- (١٣٩) ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص٤٣٧.
- (١٤٠) فازيليف، العرب والروم، ص١١٨.
- (١٤١) احدى جزائر البحر الرومي، سميت باسم رجل يقال له قراطي، وهي جزيرة كثيرة الاشجار والكروم والثمار والخيرات. للمزيد انظر: البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٥٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥١.
- (١٤٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص١٠٤؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص٢٢٥.
- (١٤٣) ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص٢٣٩؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص١٧.
- (١٤٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص١٠٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٥٤.

- (١٤٥) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٥٥-٢٥٦؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص٢٢٦.
- (١٤٦) ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص١١٢؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص٢٣٢.
- (١٤٧) البيان المغرب، ج١، ص١١١، ص١١٦؛ فازيليف، العرب والروم، ص١٩٣.
- (١٤٨) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص١١٢؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص٢٠.
- (١٤٩) ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص١٤٣؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص١١٥.
- (١٥٠) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٥٧؛ اسماعيل، الاغالبية، ص١٥٧؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص٢٤٠.
- (١٥١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص١١٦؛ حسين، افريقية، ص١٣.
- (١٥٢) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٥٩؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص٢٤٠.
- (١٥٣) الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص٢٤١؛ حسين، افريقية، ص١٩.
- (١٥٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص١١٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٥٩.
- (١٥٥) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص١٢٠؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص٢٤٥.
- (١٥٦) البيان المغرب، ج١، ص١٢١؛ حسين، افريقية، ص٢٦.
- (١٥٧) ابن وردان، تاريخ مملكة الاغالبية، ص٦١؛ الثعالبي، تاريخ شمال افريقية، ص٢٥١.
- (١٥٨) ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص١٠٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٦٢.
- (١٥٩) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص١٤٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٦٤؛ اسماعيل، الاغالبية، ص١٥٨؛ عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، ص٣٢.

المصادر والمراجع

١- المصادر

- ابن الابار، ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي (ت٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)، ١- الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، ط٢، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م).
- ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)،
- ٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ، ١٩٤٥م).

- ٣- الكامل في التاريخ ، تحقيق :محمد يوسف الدقاق ، (دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان، ١٤٠٧هـ ،١٩٨٧م).
- الادريسي، ابي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحسني (ت ٥٦٠هـ/١١٦٥م)٤- نزهة المشتاق في اختراق الافاق ،(عالم الكتب ،بيروت ،١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م).
 - ابن آدم ،يحيى بن سليمان(ت٢٠٢هـ /١١٧م)،٥-الخراج ،(دار المعرفة للطباعة، بيروت ،لبنان ،د.ت).
 - البكري ،ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ /١٠٩٤م)٦-المسالك والممالك ،تحقيق: جمال طلبة،(دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان، ١٤٢٤هـ، ١٩٤٥م).
 - البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ /٨٩٢م)،٧-جمل من انساب الاشراف ،تحقيق:سهيل زكار ورياض زركلي، (دار الفكر للطباعة ،بيروت ،لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
 - ابن الجوزي، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)،٨-المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق:محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان، ١٩٩٢م).
 - ابن حوقل ،ابو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ /٩٧٧م)،٩- صورة الارض،(مطبعة بريل ،لينن، ١٤٠٩م). ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م).
 - ابن عبد الحكم ،عبد الرحمن بن عبدالله بن اعين (ت٢٥٧هـ /٨٧٠م)،١٠- فتوح مصر والمغرب ،تحقيق: عبد المنعم محمد ،(د.مط ، القاهرة).
 - الحموي، ابي عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ /١٢٢٨م)،١١-معجم البلدان،(دار صادر، بيروت ،د.ت).
 - الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ /١٤٩٩م)،١٢-الروض المعطار في خبر الاقطار ،تحقيق :احسان عباس، ط٢(دار صادر ،بيروت ،لبنان، ١٩٨٥م).
 - ابن خلدون ؛ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)؛ ١٣- العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر زمن عاصرهم من ذوي السلطان الاعظم ،المعروف بتاريخ ابن خلدون ، ضبط ومراجعة :خليل شحادة وسهيل زكار،(دار الفكر ، بيروت ،لبنان، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م).
 - ابن خلكان،ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر(ت٦٨١هـ /١٢) ١٤- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان،تحقيق:احسان عباس،(دار صادر، بيروت ،د.ت)

- خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) ، ١٥ - تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: اكرم ضياء العمري ، ط٢ ، (دار طيبة، الرياض، د.ت).
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ، ١٦ - العبر في خبر من غير ، تحقيق : ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م).
- ١٧ - تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٠م).
- ١٨ - سير اعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، ط١١ ، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م).
- الاضطخري ، ابو القاسم ابراهيم بن محمد (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) ١٩ - المسالك والممالك ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٩م) .
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) ، ٢٠ - تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، (دار المعارف، القاهرة، د.ت).
- ابن العماد الحنبلي ، ابي الفلاح عبد الحي بن احمد الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) ، ٢١ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط ، (دار ابن كثير ، بيروت، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م).
- ابن عبد البر القرطبي ، ابي عمر يوسف بن عبد الله النمري (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) ، ٢٢ - الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، تحقيق: عادل مرشد ، (مطبعة دار الاسلام ، الاردن ، عمان، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م).
- ابن عذاري، ابو عبد الملك محمد المراكشي (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ، ٢٣ - البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق: بروفنسال وج.س كولان، ط٢ ، (دار الثقافة العربية، بيروت، لبنان ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٣م)
- ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) ، ٢٤ - تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين ابي سعيد بن عمر العمروسي ، (دار الفكر للطباعة، دمشق، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م).

- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م)، ٢٥- القاموس المحيط، (دار العلم للجميع، بيروت، د.ت.).
- ابن قتيبة الدينوري، ابي محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، ٢٦- الامامة والسياسة، ط ٣، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م).
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، ٢٧- آثار البلاد واخبار العباد، ط ٣، (دار صادر، بيروت، ٢٠١١م).
- ابن قنفذ القسنطيني، ابي العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م)، ٢٨- الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، ط ٤، (دار الثقافة، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م).
- ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ / ١٢٧٢م)، ٢٩- البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، (دار هجر للطباعة، القاهرة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م).
- المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، ٣٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح وضبط: عفيف نايف حاطوم، ط ٢، (دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م).
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الافغاني (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، ٣١- لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم الشاذلي، (دار المعارف، القاهرة، د.ت.).
- النباهي، ابوالحسن علي بن عبدالله الجذامي (ت ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م)، ٣٢- تاريخ قضاة الاندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تحقيق: مريم قاسم الطويل، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م).
- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م)، ٣٣- تاريخ ابن الوردي، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م).
- اليافعي، ابي محمد عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٨م)، ٣٤- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م).
- ياقوت الحموي، ابي عبدالله شهاب الدين بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، ٣٥- معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، د.ت.).

- اليعقوبي، احمد بن اسحق بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) ٣٦- تاريخ اليعقوبي، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م).

٢-المراجع

- ٣٧- احمد، عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، تعريب: امين توفيق الطيبي، (دار الكتب العربية، بيروت، ١٩٨٠م).
- ٣٨- اسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم وثقافتهم ودينهم وصلاتهم بالعرب، (دار المكشوف، بيروت، لبنان، ١٩٥٥م)
- ٣٩- اسماعيل، محمود، الاغالبية وسياستهم الخارجية، ط٣، (مؤسسة عين للدراسات الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠٠م).
- ٤٠- حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م).
- ٤١- الثعالبي، عبد العزيز، تاريخ شمال افريقية من الفتح الى نهاية الدولة الاغلبية، جمع وتحقيق: احمد بن ميلاد ومحمد ادريس، ط٢، (دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٠م).
- ٤٢- حسين، ممدوح، افريقية في عصر الامير الاغلبى الثاني (قراءة جديدة تكشف افتراءات دعاة الفاطميين) (دار عمار للطباعة، الاردن، ١٩٩٧م)
- ٤٣- الدوري، نقي الدين عارف، صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط الاسلامية (من الفتح الى الغزو النورمندي)، (دار الرشيد للطباعة والنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م).
- ٤٤- الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، الاعلام، ط١٥، (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م).
- ٤٥- الشيخ، محمد محمد مرسي، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، (دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٤م).
- ٤٦- عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوروبا في العصور الوسطى، (مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٩م).
- ٤٧- عباس، احسان، العرب في صقلية، (دار الثقافة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م).
- ٤٨- عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، تقديم: احمد فكري، (دار المعارف، القاهرة، د.ت).
- ٤٩- العدوي، ابراهيم احمد، الامويون والبيزنطيون، (دار الجبل للطباعة، القاهرة، ١٩٦٣م).

٥٠- فازيليف، الكسندر، العرب والروم، تعريب: محمد عبدالهادي شعيره، (دار الفكر العربي، بيروت، د.ت).

٥١- فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية حتى نهاية العصر الاموي، تعريب: محمد عبد الهادي ابو ريده (لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م).

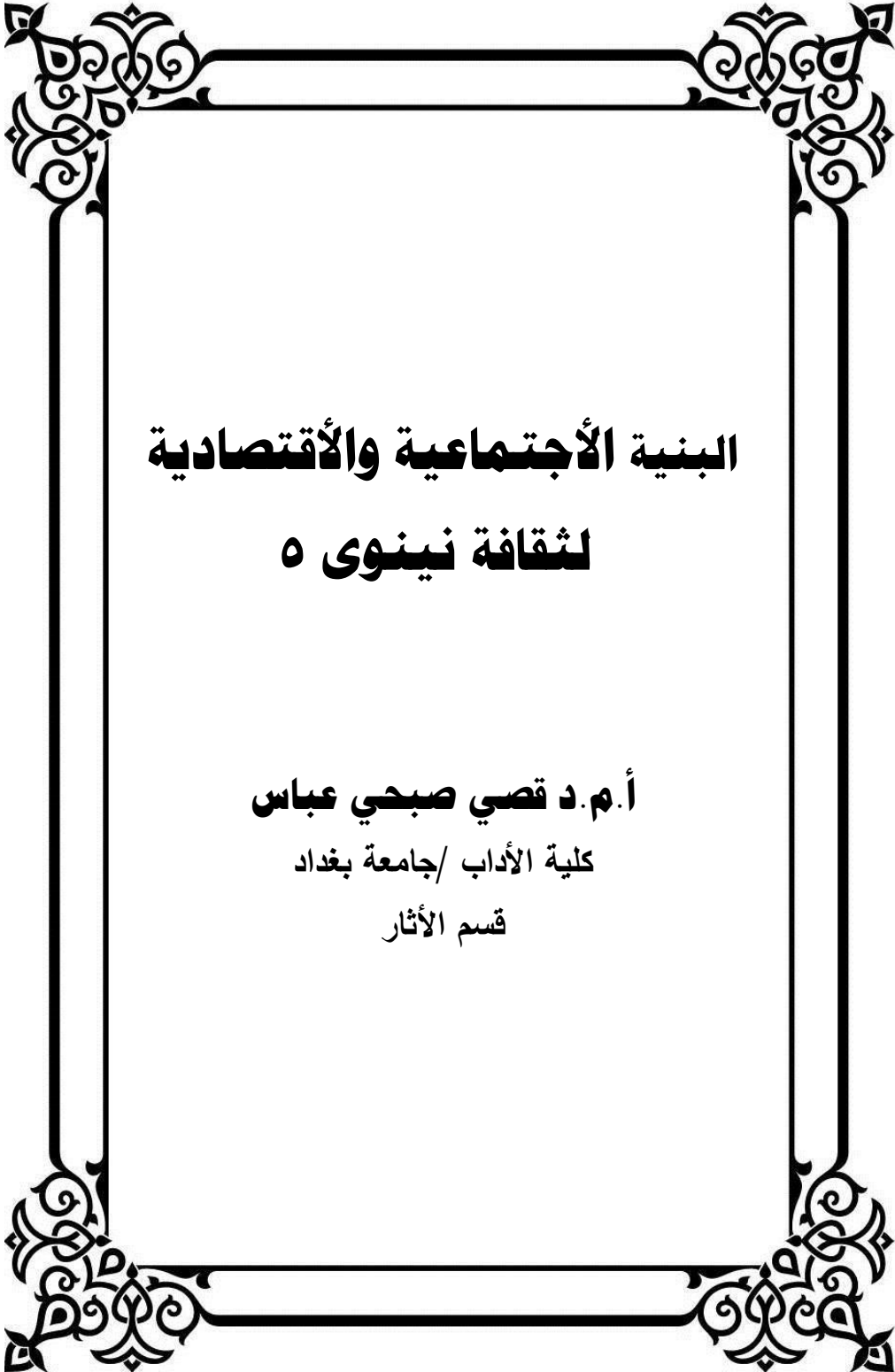
٥٢- كحالة، عمر رضا، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ط٨، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م).

٥٣- ابن وردان، تاريخ مملكة الاغالبة، تحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م).

Conclusion

Aghlabids state: It's an Arabic-Muslim country, wise in its judgments and powerful in its politics. Its method in ruling the country was to merge the Arab, Berber and the Andalusian together in order to transform the whole activities to their country, the establishment of Aghlabids state in Africa (184 AH/ 800 AD) was associated with the chaos and confusion that dominated the country during the rule of the first Abbasid, and because their preoccupation in the troubles of the Orient that started to threaten their influence, they found that the best solution is to inaugurate Ibrahim I ibn al-Aghlab ruler of Africa. The Berber tribes undergo and obeyed him, during his rule all their conditions gets better, he tried hard to expels the revolutions of the Kharijites and he succeed to expels the insurgents out of the Kairouan then he turned to the neighboring countries and to the conquest and expansions in Europe. He wanted to resign from the Abbasid Caliphate in Baghdad, and he would owe them subordination and takes from them the legitimacy in order to set the verdict to his children after his death. In turn they will contribute in ruling and setting their state's structure. When all of that come true they wanted to invade and controls Sicily for many reasons, its replete with blessings, its location close to their state that controlling the Mediterranean's sea trade that belongs to the Byzantines. The Arab used to invade it during the Umayyad but when the Islamic

fleet became more powerful and its ships increased in number they continued their invade of Sicily in order to open it and to spread Islam. Asad ibn al-Furat the ruler of the Kairouan has a great role in that opening of the Sicily, The prince Ziyadat Allah I Bin al-Aghlabi he couldn't make forward move to the East nor the west because he followed free political which is trending towards Sicily and then to toward Italy, but this techniques didn't succeed because of the revolutions that spreaded between Arabs at that time, he decided to achieve the opening of the Sicily and leading the army and the fleet and he almost succeeded in this but the epidemic spreaded between his soldiers any they were on the edge of death except that both Africa and Andalusian helps them and they achieved their goal in opening Sicily. Ever since Arabs wanted to take Sicily, it was affected by the internal conditions of both Byzantine and the majority states that followed Bin Abbasid. They opened it in (212AH/827AD) till it fell at the hands of Fatimids with the establishment of their country, then it witnessed many conflicts between Fatimids and the Byzantine until its finally fell at the hands of Normans (484AH/ 1094AD).



البنية الاجتماعية والاقتصادية لثقافة نينوى ٥

أ.م.د. قصي صبحي عباس

كلية الآداب / جامعة بغداد

قسم الآثار

البنية الاجتماعية والاقتصادية لثقافة نينوى ٥

أ.م.د. قصي صبحي عباس

مقدمة :

تعتبر ثقافة نينوى ٥ إحدى الثقافات المهمة التي عرفت في بلاد الرافدين والتي كانت حتى الى وقت قريب يسودها نوع من الغموض على خلاف الثقافات الأخرى التي عرفت في عصور قبل التاريخ وقد تناول عدد من الباحثين والأثاريين هذه الثقافة في عدد من المقالات والبحوث ومنها ما طرح في مؤتمرات علمية لاسيما مؤتمر جامعة (yale) عام ١٩٨٨م وكذلك الأصدار الذي جاء في المجلد التاسع من سلسلة (subartu) باللغة الأنكليزية وذلك برعاية الاتحاد الأوربي أذ ضم مجموعة من المقالات التي تناولت ثقافة نينوى ٥ (١).

وكان للباحثين والأثاريين العراقيين لمسة واضحة في هذا المجال حيث كان لتتقيقات دائرة الآثار برئاسة السيد برهان شاكر في مواقع سد مكحول في تل النمل وتل الفرس عام (١٩٩٧-٢٠٠٠م) أثر كبير في معرفة موقع هذه الثقافة ضمن التسلسل الزمني لبلاد الرافدين وحتى الانتشار الجغرافي الحضاري (٢).

ومن هنا جاء اختيار بحثي بعنوان "البنية الاجتماعية والاقتصادية لثقافة نينوى ٥" من أجل تسليط الضوء على البناء الاجتماعي والاقتصادي لثقافة نينوى ٥ أذ طرحت عدة من قبل الباحثين جديرة بالمناقشة في ضوء الأدلة الأثرية.

وعليه سوف نقدم أيجاز بعدد من جوانب هذه الثقافة قبل الولوج الى البنية الاجتماعية والاقتصادية لثقافة نينوى ٥.

أهم مقومات ثقافة نينوى ٥ :

أولاً: الفخار

ان فخار نينوى ٥ ارتبط أسمه برقم الطبقة التي أكتشف فيها من قبل المنقب البريطاني (ماكس مالوان) في المجس العميق فينينوى ثل قوينجق عام (١٩٢٩- ١٩٣٢م) والذي تميز بطرزه الأربعة الجميلة (المصبوغ، المحرز، المحفور، البسيط). أثبت بحق وبعد مرور أكثر من ٨٠ عاما منذ أكتشافه لأول مرة أنه يمثل حقبة من الزمن تستحق أن يطلق عليها (ثقافة نينوى ٥) أو (عصر نينوى ٥) وذلك في ضوء الانتشار الجغرافي لهذا الفخار والتسلسل الطبقي وأخيرا الأصل (ينظر : شكل ١٠، ٢) (٣).

ثانيا: الأختام

تميزت ثقافة نينوى ٥ في مجال النحت البارز بصناعة الأختام المنبسطة (stamp) وهذه كانت قليلة ولكن الأهم والأكثر في هذا المجال هي الأختام الأسطوانية (cylinder seals) لقد أتسمت هذه الأختام التي تسمى بطراز السيتايت المزجج (clazed staeite) أذ أنتشر هذا الطراز خلال منطقة واسعة تمتد من سوسة في إيران وحتى مواقع ديالى في سهل بلاد الرافدين الجنوبية وشمالا عند مواقع دجلة غربا عند مواقع الخابور الأعلى والأوسط حيث كشفت مواقع نينوى ٥ الانتشار لهذا الطراز في هذه الحقبة وهو يعطي مدى واسع من عصر الوركاء المتأخر وجمدة نصر الى عصر فجر السلالات الأول وعليه فأن هذا الطراز بالنسبة لمواقع نينوى ٥ أشار الى أمتداد زمني أوسع لهذه الحقبة التي يمكن أن نضعها ضمن العصر الشبيه بالكتابي أو التاريخي ومن جانب آخر فأن الأختام الأسطوانية وطبعاتها تعكس لنا جانبا من التنظيم الإداري والاقتصادي كذلك تعزز العلاقة لبلاد الرافدين الشمالية مع بلاد الرافدين الجنوبية في صناعة الأختام (٤).

ثالثا: البقايا العمارية

ان أغلب التتقيبات التي شهدتها مواقع نينوى ٥ كانت على نمط تتقيبات أنقاضية سريعة من أجل إقامة مشاريع صناعية أو أروائية الأمر الذي جعل هذه التتقيبات على شكل مجسات أو مقاطع تنقيب لا يمكن معها رسم صورة واضحة للمخطط العماري أو الطبقة الأثرية ومع ذلك قدمت لنا تصور حول نوع المباني التي تعود الى ثقافة نينوى

٥ حيث جاءت مادة البناء من اللبن أو الأجر المستطيل وتنوعت المباني حيث شملت مباني سكنية ذات مخطط مستطيل مع مداخل وساحات ومواقد ومصاطب. وكذلك قدمت البقايا العمارية مباني دينية شخّصت على أساس المميزات المعروفة للمعابد والتي جاءت بمخططات بسيطة تتألف من مدخل ثم ساحة تتضمن دكة للقرابين ثم الخلة المقدسة التي تتضمن دكة تمثال الاله (ينظر: شكل ٣). ولكن من الجدير بالذكر هو عدم العثور على تماثيل أو مجسمات طينية للالهة. وهذا ما يميز ثقافة نينوى ٥ على خلاف ثقافة ديارى المعاصرة لها فى الأقسام الجنوبية لبلاد الرافدين .

ومن المباني التي قدمتها لنا ثقافة نينوى ٥ مباني خدمية (مخازن) فى عدد من مواقع نينوى ٥ كما فى مخزن تلل الثلاثات التل رقم ٥ (ينظر: شكل ٤، ٥) (٥).

رابعاً: الأنتشار الجغرافى لثقافة نينوى ٥ .

أشارت لنا ساحة الأنتشار الجغرافى لثقافة نينوى ٥ فى ضوء المسوحات والتنقيبات الأثرية أنها أمتدت خلال الالاف الكيلومترات قاطعة بذلك مناطق المرتفعات والتلل لأعلى بلاد الرافدين الشمالية (ينظر: شكل ٦) حيث شكلت محافظات القطر الشمالية السليمانية ودهوك ومنطقة الجزيرة ومحافضة نينوى وشمال غرب سوريا الحدود الشمالية لهذه الثقافة أذ شكلت السليمانية وأربيل الحد الشمالى الشرقى أما قلب هذه الثقافة فيتحدد بمنطقة دجلة أى الموصل وماحولها بما فى ذلك مواقع أسكى موصل وكذلك منطقة تلعفر-سنجار. أما جنوباً فتصل الى منطقة مكحول ولاسيما منطقة الفتحة التي تمثل نقطة ألتقاء الزاب الأسفل بنهر دجلة حيث نجد مواقع تل النمل وتل الفرس كما أظهرت التنقيبات الحديثة ولم تشمل مواقع حميرين حيث تنتشر ثقافة ديارى (الفخار القرمزى) لعصر فجر السلاطات لبلاد الرافدين الجنوبية وعند أقصى الجنوب الشرقى تصل حدود ثقافة نينوى ٥ الى منطقة خانقين حيث تل حديد وعند الشمال الغربى نجد مواقع الخابور الأعلى والى الغرب مواقع الخابور الأوسط حيث يشكل تل خويرة النهاية الغربى لثقافة نينوى ٥. أما الجنوب الغربى فأن موقع مارى يشكل النهاية الجنوبية الغربى لهذه الثقافة (ينظر شكل ١).

ولو أخذنا أربعة نقاط معلومة من حدود هذه الثقافة ولتكن السليمانية عند النهاية الشمالية الشرقية وخانقين عند النهاية الجنوبية الشرقية ومواقع الخابور الأعلى حيث يشكل تل عيلون النهاية الشمالية الغربية وماري عند النهاية الجنوبية الغربية لحوض الخابور الأوسط نستطيع أن نقيس ساحة أنتشار ثقافة نينوى ٥ بصورة تقريبية في ضوء المسوحات والتفقيبات الأثرية(٦).

خامسا: التسلسل الزمني والأصل لثقافة نينوى ٥ .

ان التقديرات الزمنية التقريبية التي قدمتها لنا قراءات كاربون ١٤ الأشعاعي للبقايا العضوية في مواقع نينوى ٥ وكذلك التسلسل الطبقي والأنتشار الجغرافي ان ثقافة نينوى ٥ تعقب عصر الوركاء المتأخر وعصر جمدة نصر وذلك بحدود(٣٠٠٠-٢٥٠٠ق.م)وبشكل عام تعاصر هذه الحقبة لبلاد الرافدين الشمالية عصر فجر السلالات الأول لبلاد الرافدين في الأقسام الوسطى والجنوبية وهي ما تسمى بثقافة دىالى (ثقافة الفخار القرمزي) وعليه فأن ما قدمته ثقافة نينوى ٥ من نتاجات مثل الفخار والأختام واللقى الأثرية الأخرى والبقايا العمارية التي تركزت بصورة رئيسة في قلب محافظة نينوى والتي تعرف بمواقع نهر دجلة مثل حوض أسكي موصل يجعل منها قلب هذه الثقافة (٧).

البنية الاجتماعية والاقتصادية لثقافة نينوى ٥ .

ترتبط البنية الاجتماعية لكل مجتمع بالبنية الاقتصادية بشكل كبير فالفرد أبن مجتمعه والمجتمع أبن بيئته وعلى هذا الأساس تتحدد طبيعة هذا المجتمع في كونه زراعيا أو تجاريا أو صناعيا أو ما يوصف في كونه مجتمعا متمدنا يبرز خصائص المدينة والتمدن المتمثلة في سعة حجم المدينة ،ظهور المباني العامة(القصور،المعابد، التحصينات الدفاعية)وما الى ذلك في ظهور الطبقات الاجتماعية المتعددة مثل(الكهنة، الحكام، الملوك، الأمراء، الكتبة، الحرفيين على أختلافهم)، مظاهر السلطة مثل(الجيش والسلاح، العلاقات الخارجية، التطور الصناعي والتجاري).

ومن هنا طرحت ثلاثة نظريات لفهم البنية الاجتماعية لثقافة نينوى ٥ تعتمد على أسس اقتصادية قدمتها مواقع نينوى ٥ (٨).

النظرية الأولى: "تصدير فائض الإنتاج الزراعي"

قدم هذه النظرية الباحثون فورتن (fortin) وسجوارتز (Schwartz) وكيورفرس (curvers) وهم أول من طرحوا فكرة النظام الاجتماعي والسياسي لثقافة نينوى ٥ والتي بنيت على أساس اقتصادي في ضوء الأدلة الأثرية التي قدمتها عدمن مواقع نينوى ٥ في حوض الخابور الأوسط والتي أظهرت بقايا لمباني خدمية شخست على الأرجح بأنها (مخازن) حفظت فيها الغلال الزراعية كما هو الحال في المبنى الدائري في تل رقية الطبقة الثالثة ومخازن تل عتيج (ينظر: شكل ٧) وغيرها وقد رافق البعض من هذه المباني الخدمية دلالات طينية (tokens) وأختام أسطوانية وألواح رقمية وفي بعض الأحيان بقايا حبوب متفحمة كما هو الحال في موقع كيرما .

ويرى هؤلاء الباحثون أن الغاية الأساسية من هذه المخازن كانت من أجل حفظ فوائض الغلال الزراعية كالشعير والحنطة حبث ترسل بعد ذلك الى مراكز بعيدة أخرى على الفرات مثل ماري ويعتقدون أن مواقع الخابور الأوسط قد لعبت دور وسيطا بين مواقع الخابور الأعلى التي كانت تتمتع بإنتاج زراعي أكبر كما هو الحال في ليلان وبراك وذلك لما تتمتع به من معدلات أمطار سنوية تتراوح ما بين (٤٠٠-٤٥٠ ملم) في حين أن معدلات الأمطار السنوية لمواقع الخابور الأوسط تتراوح ما بين (٢٠٠-٢٥٠ ملم). علاوة على ذلك فأن اكتشاف مصطبة في تل عتيج ذات قناة ترجح أن هذا الموقع كان محطة مهمة للنقل النهري نحو الجنوب باتجاه مدينة ماري.

كذلك أن مجتمع نينوى ٥ لم يصف ضمن مجتمعات العصر الحجري الحديث أو ضمن المجتمعات المدنية لذلك فقد افترضوا مصطلح "النخب" أو "القمم الرئيسة" التي اعتبروها تمثل قمة الهرم في الترتيب الاجتماعي والسياسي وهو أشبه ما يكون برئيس العشيرة أو القرية التي أخذت على عاتقها مهمة التنظيم الاقتصادي المتعلق بجمع فوائض الإنتاج الزراعي وتوزيعها فهي ضرورية للمجتمعات المدنية وطبقاتها (٩).

وبهذا النطاق أضاف الباحث هارفي ويس (Harvey weiss) أن المخازن التي وجدت في مواقع نينوى ٥ كانت من أجل خزن الغلال الزراعية وتصديرها الى المدن الرئيسية فيفترض "أن السهول الديمية لبلاد الرافدين الشمالية لا يمكن أن تنتج فوائض زراعية أكثر من الأراضي الأروائية لبلاد الرافدين الجنوبية حيث توجد أراضي زراعية واسعة فالتحدي هو كيف تم أستخراج فوائض الغلال وكيف ألزم (أصحاب السلطة) المزارعون يتسلم فوائض الغلال وكيف نظموا بشكل فعال الى مراكز توزيع الغلال وهنا يفترض شخصيات ذات منزلة عالية قامت بدور كبير في هذه العملية" (١٠) .

النظرية الثانية: "نظرية الاستعمال المحلي" .

وفي اتجاه معاكس لنظرية تصدير فائض الإنتاج الذي أعترض عليها الباحث فرانك هول (frank hole) حيث ناقش سعة مخازن تل عتيج وتل رقية ويجدها غير كافية لتوصف بأن مخازن لفوائض الإنتاج الزراعي وبهذا الخصوص قدر (hole) أن الغرف الأربعة في الوحدات التي تقع في أقصى الشمال لتل عتيج (ينظر :شكل ٧) التي بحجم ٣٤,٥م يمكن تضم ٨طن من الغلة وهذه بالأمكان أن تكون كافية لثمانية عوائل تتكون من خمسة أفراد. لذلك يجد أن هذه المخازن كانت لحفظ الغلال للأستهلاك المحلي وهي تعود لشعب قروي قي وادي الخابور .

النظرية الثالثة: "نظرية استعمال القرية".

وهي لا تختلف كثيرا عن الثانية وأفترضها الباحث بفلزنر (pfalzner) والتي تنص "أن الغلال التي حفظت في مخازن الخابور الأوسط كانت من أجل أستهلاك سكان القرية وذلك على أساس وجود بيوت مستقرة في مواقع تل رقية وتل عتيج قي الارتباط مع هذه المباني الخدمية لذلك ليس بعيدا أن تكون هذه المخازن قد استعملت من أجل سكان القرية الذين مارسوا الزراعة وحتى تربية الحيوانات .

أننا نجد هذه النظرية أكثر قبولا حيث أن المباني الخدمية (المخازن) في هذه الحقبة لم تكن مفتصرة في وجودها على وادي الخابور الأوسط والأعلى وإنما شملت العديد من مواقع نينوى ٥ في منطقة دجلة في تلؤل الثلاثات وتل كرانة .

فضلا عن ذلك فهناك مباني تألفت من جدران شيدت من اللبن وهي قصيرة ومتوازية تتراوح ما بين (٣٠-٦٠سم) ويصل ارتفاعها الى ما يقارب ٢م وفي العادة تغطي طبقة من الحصير أو القصب كما أظهرت البقايا العمارية والغاية منها على الأرجح هو لتجفيف الحبوب أو خزنها أو درسها كما في تل كرانة الطبقة الثالثة والثانية وتل زيادة وتل محمد وتل فسنة وغيرها (ينظر: شكل ٨).

وعليه فإن هذه المباني الخدمية هي من ضروريات المجتمع الزراعي القروي الذي يعتمد في أقتصاده على منتوجات الغلال الزراعية وفي مقدمتها الشعير والقمح كغذاء رئيس للإنسان أولا وللحيوان ثانيا وهو مشهد لا يزال يتكرر عرضه في أقسام كثيرة من منطقة دجلة والخابور حتى الوقت الحاضر بما تهيأه الطبيعة من ظروف بيئية مناسبة (١١).

بعد أن طرحنا المفهوم الأقتصادي الذي أعتمده الباحثون في مناقشة البنية الاجتماعية والسياسية لثقافة نينوى ٥ نتحول الى البناء الاجتماعي حيث أفترض وجود تدرج اجتماعي من خلال بعض الأستنتاجات التي جاءت عن بعض قبور نينوى ٥ التي أشارت بقاياها الجنائزية الى اللقى والعناية في ترتيبها كما هو الحال في تل كشكشوك (١٢)٣.

لكن قلة الأدلة في هذا الاتجاه جعلت بعض الباحثين يصف مجتمع نينوى ٥ بـ "مجتمع معقد" لهذه الحقبة وذلك لتوسط هذه الحقبة ما بين قرى العصر الحجري المعدني من جهة ومدن عصر فجر السلاات (١٣) من جهة أخرى فإن الأدلة للمباني العامة لثقافة نينوى ٥ كالقصور مثلا هي نادرة كذلك تفتقر هذه الحقبة الى النصوص المدونة لفهم الحالة بأستثناء عدد من الدلاات الطينية والأختام الأسطوانية والألواح الرقمية (١٤).

أننا نتفق مع الباحثين في قلة الأدلة المادية لهذه الحقبة ولكن هل من المعقول أن نطلق صفة "مجتمع معقد" في كونه لم يقدم أدلة البناء الاجتماعي ؟ . وكيف يستطيع مجتمع أن يبرز خصوصيته الاجتماعية إذا لم يكن يملك أدواتها ؟!

ولذلك نوجه هنا الانتباه الى جانب آخر من فهم الحالة الاجتماعية والسياسية إذا صح التعبير فبلا شك هناك عناوين تقع في هذا الإطار (الجيش، السلطة، النظام الداخلي، العلاقات الخارجية) وما الى ذلك من عناوين يمكن أن يجد المرء فيها مؤشر لهذه الحالات (١٥) يا ترى هل كانت مثل هذه العناوين موجودة في مجتمع نينوى ؟ . والجواب بالطبع لا وهذا ما أشارت اليه المسوحات والتنقيبات الأثرية كونه مجتمعا زراعيا بالدرجة الأولى أعتمد في أقتصاده على زراعة محاصيل الغلال كالشعير والحنطة كغذاء رئيس وكذلك تربية الحيوانات الأليفة كالأبقار والأغنام والماعز كما أشارت البقايا العمرية لعدد كبير من مواقع نينوى ٥ صفة هذا المجتمع الزراعي كالمخازن والأهراءات والبيوت السكنية مع غياب واضح لعناصر المدينة والتمدن والتي نجدها واضحة في عصر فجر السلالات الأول لبلاد الرافدين الجنوبية مايقارب (٣٠٠٠-٢٨٠٠ ق.م) والتي تمثل ثقافة ديبالى (الفخار القرمزي) وهي تعاصر بدورها ثقافة نينوى ٥ لبلاد الرافدين الشمالية وشمال شرق سوريا وذلك في ضوء التسلسل الطبقي والانتشار الجغرافي لكلا الثقافتين كما عكس لنا فخار نينوى ٥ جانبا من حياة ذلك المجتمع في صورة لطيفة وشفافة أختلطت فيها ألوان الطبيعة مع ألوان التربة حيث تتناغم فيها الأشكال الحيوانية من طيور وماعز وأبقار وأسماك مع الأشكال النباتية التي رسم البعض منها بصورة تجريدية فضلا عن الزخارف الهندسية التي أضفت بهجة الى النفس (١٦) .

الهوامش :

1- See for more information many essays about ninev 5 culuture ,subartu ix,the orgins of north mesopotamian civilization ninevite 5 ,chnology,economy,society,the european center for upper mesopotamian studies,brepols,turnhout,2003.

كذلك ينظر الجميلي،قصي صبحي عباس،عصر نينوى الطبقة الخامسة دراسة أثرية،أطروحة دكتوراه غير منشورة أجازت من قسم الآثار،كلية الآداب،جامعة بغداد،٢٠٠٦.ص ١-٦.

٢-ينظر حول ذلك :

صباح عبود،"فخار نينوى ٥"،مجلة سومر،المجلد ٣٣،بغداد،١٩٧٧،و أكرم محمد عبد كسار،فخار عصر فجر السلاطات في ضوء آخر المكتشفات الأثرية،أطروحة دكتوراه غير منشورة أجازت من قسم الآثار،كلية الآداب،جامعة بغداد،١٩٩٠.وكذلك برهان شاكر،"النتقييات في تل النمل"،سومر،المجلد ٥١،بغداد،٢٠٠١.

3-mallowan.m.e.l."nievite 5",vorderasatische archaeologie studien und mufsatze anton mortgat,berlin,1964.p142.

والجميلي،قصي صبحي عباس،المصدر السابق،ص ١٧-٢٤.

4-marchetti,n,"ninevite 5 clyptic of the khabur region and the chnology 17,mainz,1996.p81.p84_85,p88-89.

Perkins.a.l.the compartive archaeology of early mesopotamia ,chicago,london,1949,p183.

٥-الجميلي،قصي صبحي عباس،المصدر السابق،ص ٨٣،ص ٢٢٠-٢٢٢.

تقع تلوث الثلاثات (التل رقم ٥) على مسافة ٥١ كم غرب مدينة الموصل جنوبي الطريق الممتد من الموصل الى سنجار المؤدي الى الحدود السورية ويتألف من أربعة

تلول كبيرة وعدد من المرتفعات الصغيرة وهو يتبع قضاء تلعفر في محافظة نينوى
ينظر:

Fukai.et.al,eth-thalthat th excavation of tell v the third
season(1964),vo ii,tokyo,1970,p21.

6-abu alsoof,b,"late pre historic pottery at nineveh gawra and the
neighbouring sites'. Sumer.vol30.part1and2,baghdad,1974,pp8-
9.

وينظر:ولكسون.ت،ج،تكر،د،ج،تطور المستوطن في الجزيرة الشمالية والعراق.دراسة
المشهد الأثري ،لندن، ١٩٩٥. كذلك الجميلي،قصي صبحي عباس،ص٢٥-١٤١.

7-mall0wan,m,e,l,op.cit,pp152-154.,p147.

Forest,j,d,"the ninvevite5 culture;its nature and its orgins ",subartu
ix,op.cit,p563.

Speiser,e,"chalic ware of northern mesopotamia and its historical
significance,basor,no48,1932,p10.

صباح عبود، المصدر السابق،ص٢٣-٢٤.

الجميلي،قصي صبحي عباس،المصدر السابق،ص٢٠٤-٢١٠.

٨-الدباغ،نقي،"من القرية الى المدينة"،المدينة والحياة المدنية،الجزء
الأول،بغداد،١٩٨٨،ص١٥-١٦.

9- fortin,m,schwartz,g,m,"the middle habur in the thrid millennium
b.c",subartu ix.op.cit.pp221-225.

Schwartz,g,m,'porspective on rural ideologies the tell al ragai
'temple",subartu ix,op.cit,p164,p178.

تل رقية وتل عتيج من المواقع المهمة التي تقع على الضفة الشرقية للخابور الأوسط
حيث يقع تل رقية على مسافة ١٢ كم الى الجنوب من الحسكة حيث نقت فيه يعة

من جامعة أمستردام برئاسة هانز كيورفرس وجلين سجوارتز أما موقع تل عتيق فيقع على مايقارب ٢ كم جنوب تل رقية ينظر:

Fortin,m,schwartz.g.m,p221.

10-akkermans,p,m, schwartz,g,m, the archaeology of syria from coplex hunter to early urban socities (ca 16000-300),cambridge university press ,2003,p231-232,p221.

11- pfalzner,p,'modes of storage and development of economic systems in the early jeizreh period", of pots and plans,papers on the archaeology and history of mesopotamian and syria prsented to david oates in honor of his 75 th birthday ,nabu publication ,2002,p267,p280.

تل زيادة موقع صغير يقع على الضفة الغربية للخابور الأوسط حيث أظهر بقايا جدران متوازية التي تشير الى نوع من المخازن ينظر:

Akkermans.p.m,schwartz,g.m,op.cit,p221.

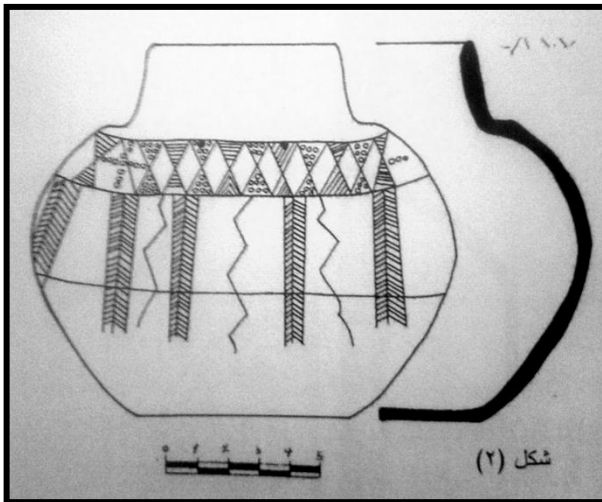
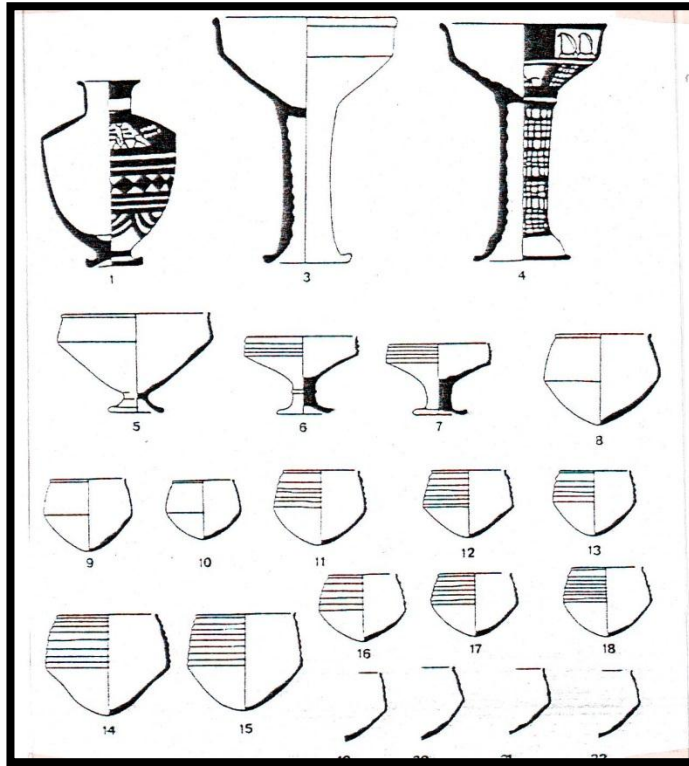
12-akkermans,p,m, schwartz,g,m, op.cit,p223, forest,j,d,op.cit,p569.

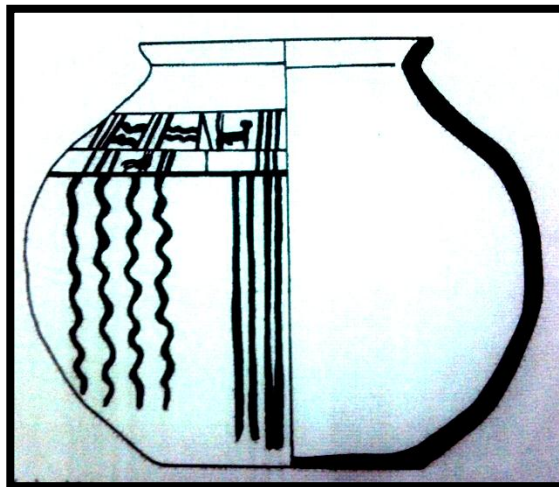
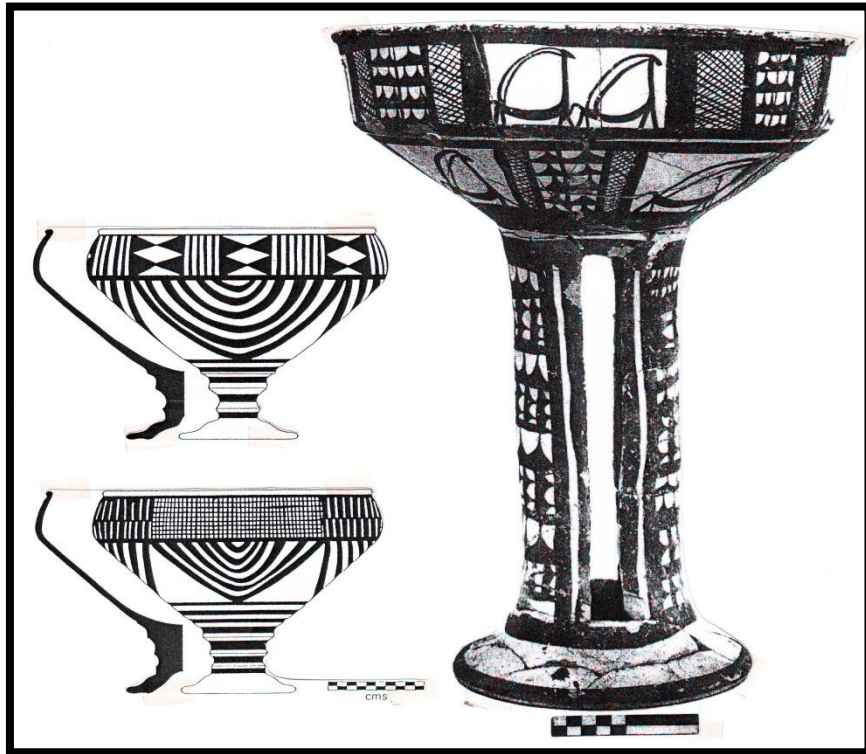
13- forest,j,d,op.cit,p575.

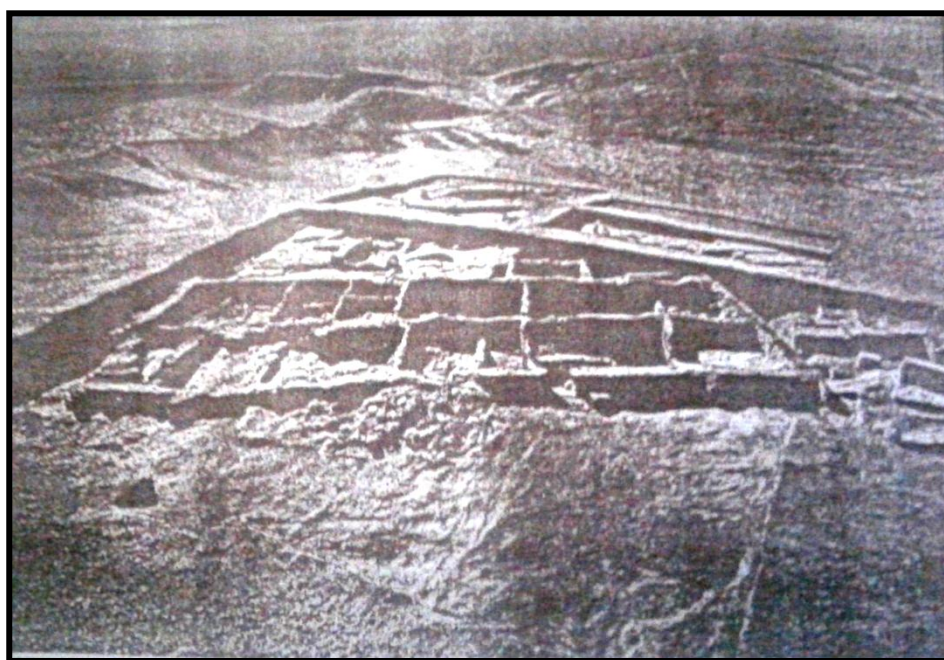
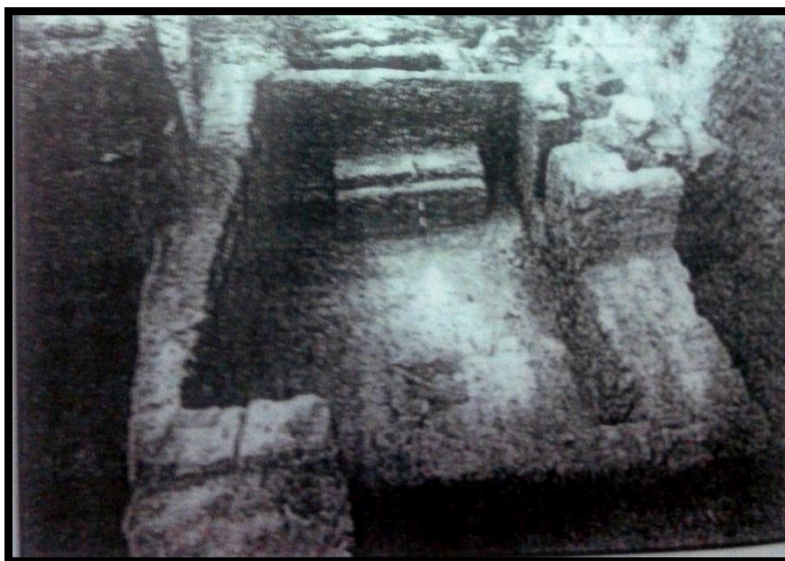
14- akkermans,p,m, schwartz,g,m, op.cit,p216.

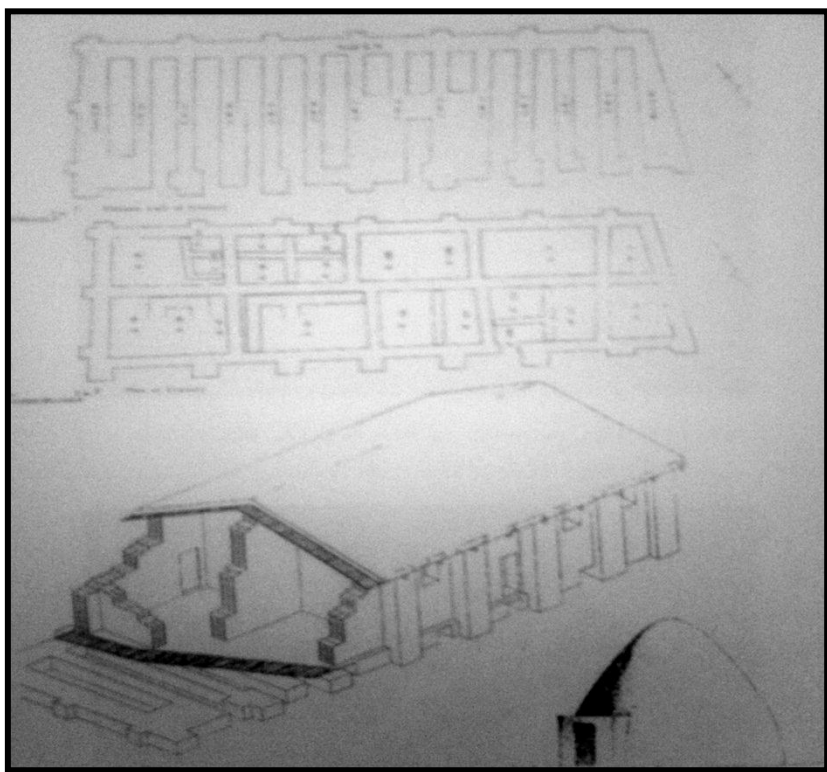
١٥- الدباغ.تقي،المصدر السابق،ص١٥-١٦.

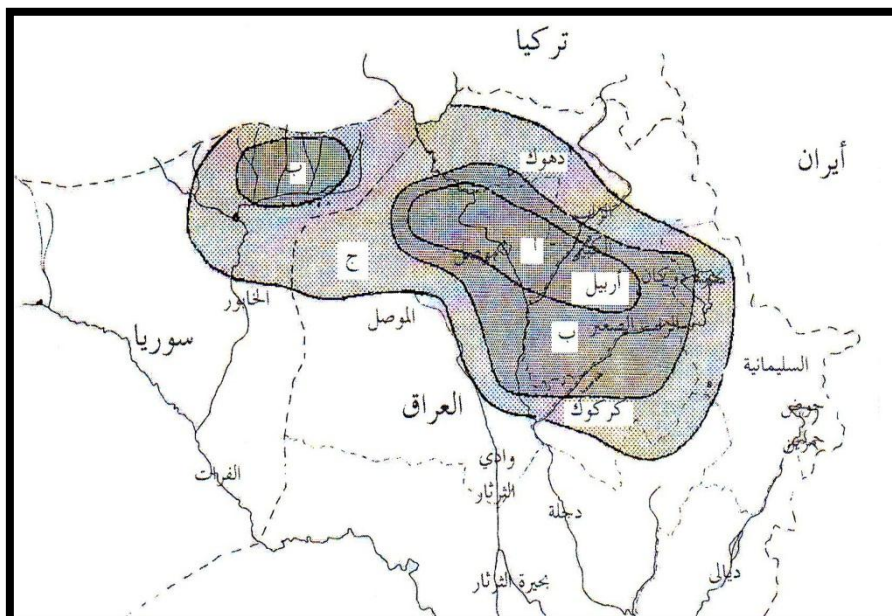
١٦- الجميلي ،قصي صبحي عباس ،المصدر السابق،ص٢٠١-٢٠٢.

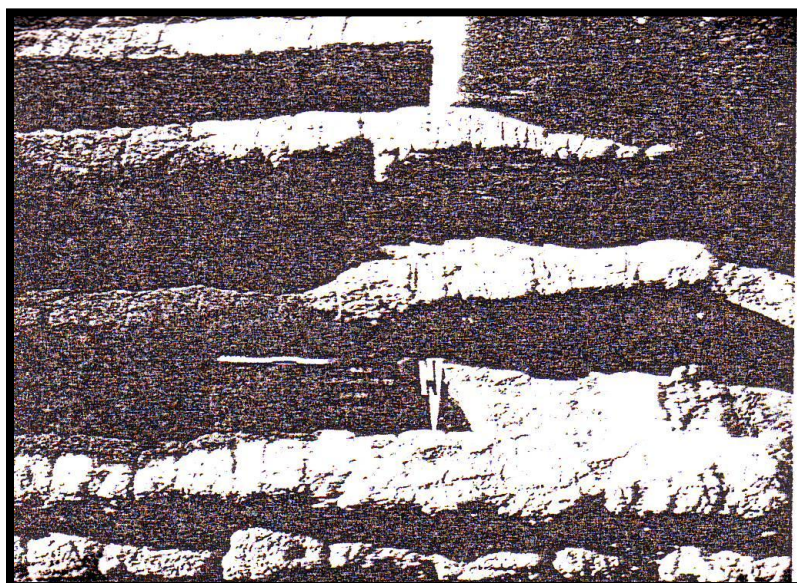


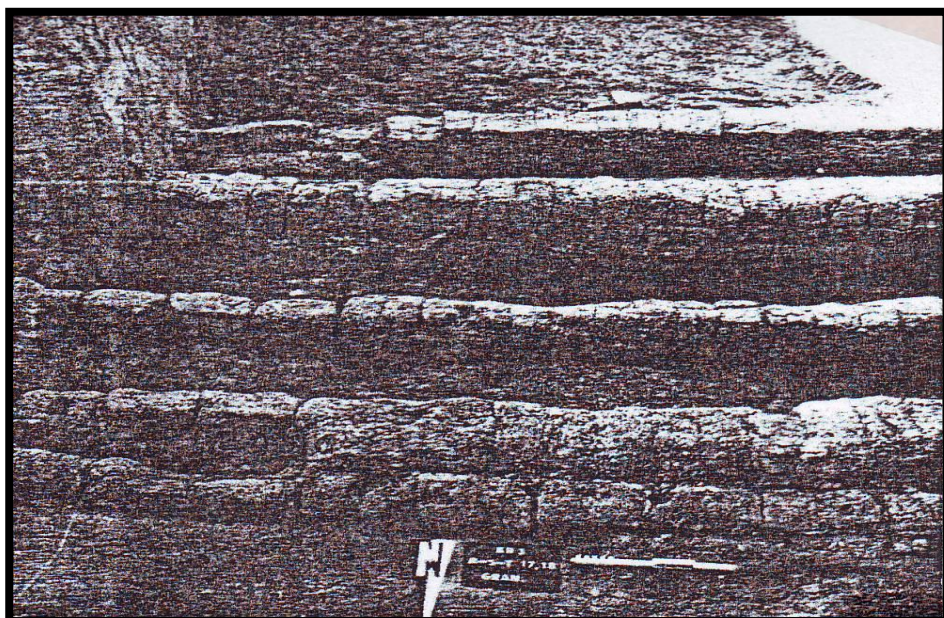












**إمّياز شركة الإتصالات البريطانية
وأثره في التنافس
الامريكي - البريطاني في المملكة العربية السعودية
عام ١٩٤٥**

ا.م.د. خليل حمود عثمان الجابري
جامعة بغداد - كلية التربية - ابن رشد - للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

إمّتياز شركة الإتصّالات البريطانيّة وأثره في التّنافس الأمريكي - البريطاني في
المملكة العربيّة السّعوديّة عام ١٩٤٥

ا.م.د. خليل حمود عثمان الجابري

ملخص البحث:

تعود العلاقات البريطانيّة مع آل سعود الى منتصف القرن التاسع عشر، حيث سارت بهدوء صاحبها نشاط في العلاقات بين الطرفين، لاسيما بعد إستيلاء (عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (١٨٧٦-١٩٥٣) الذي عرف فيما بعد بآبن سعود، على الرياض في الثاني من كانون الثاني ١٩٠٢، يبدأ بعدها بسلسلة من اللقاءات بين مسؤولين بريطانيين افضت الى توقيع معاهدة " القطيف" في السادس والعشرين من كانون الاول ١٩١٥ ، تعهد فيها ابن سعود بعدم مهاجمة بريطانيا ، وأن تتوافق سياسته الخارجية مع التوجهات البريطانيّة. ونتيجة للتطورات التي حصلت في شبه الجزيرة العربيّة وقعت معاهدة جديدة عام ١٩٢٧ حددت علاقات جديدة بين الطرفين. ثم اخذت العلاقات البريطانيّة - السّعوديّة بالتطور التدريجي، في الوقت الذي حصلت فيه الولايات المتّحدة الأمريكيّة على امتياز نفطي في المملكة العربيّة السّعوديّة عام ١٩٣٣، وجاءت الحرب العالميّة الثانيّة التي القت بظلالها على الاقتصاد السّعودي وتناقص عدد الحجاج ، لتؤثر بوضوح في واردات الخزينة، مما اضطر ابن سعود الى مناشدة الشركات بتقديم المساعدات، الا أن الشركات نفسها كانت في وضع مالي صعب، ما دفعه الى الاقتراض من بريطانيا. وأنداك شهدت العلاقات الأمريكيّة - السّعوديّة تحسناً منذ عام ١٩٤٣، عندما شملت المملكة بقانون (الاعارة والتأجير Land - Lease Act)، الذي سمح للرئيس الأمريكي (فرانكلين ديلانو روزفلت Franklin Delano Roosevelt ١٩٣٣-١٩٤٥) بمساعدة كل بلد تُعَدُّ مسألة الدفاع عنه امراً حيويّاً لأمن الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

وبحلول عام ١٩٤٤ اشتدت المنافسة البريطانية- الأمريكية بشأن المصالح النفطية، إذ شهدت سعيًا أمريكيًا للاستحواذ عليها ، ما أدى الى توتر العلاقات البريطانية- الأمريكية، وبهدف تعزيز وجودها في المملكة ، سعت بريطانيا الى الحصول على امتياز لاحدى شركاتها في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية ، وبمتابعة دبلوماسية منها ، في الوقت الذي سعى فيه الأمريكيين كذلك للحصول على الامتياز نفسه، فمارسوا ضغوطاً على السعوديين في هذا الجانب، وقدموا عروضاً مغرية لأجل ذلك. وعليه عمدت شركة الاتصالات البريطانية في البحرين ، بتوجيه من وزارة الخارجية البريطانية، الى خفض في قيمة اسعار البرقيات المرسلّة من المملكة واليها ، على الرغم من الخسائر التي ستكبدها، إذ رأت الشركة في ذلك ضرورة ملحة لتنشيط حركة التجارة مع المملكة العربية السعودية. وكشفت الوثائق البريطانية الخاصة بالشركة أن التعديلات التي عرّضت على اجراءها هدفت بالدرجة الأساس الى منع الولايات المتحدة الأمريكية من الضغط على الحكومة السعودية، مشيرة الى أن ابن سعود قلق وحائر بين العرضين البريطاني والأمريكي، ولا سيما ان الجانب الأمريكي أبدى رغبته بنصب محطة لاسلكية داخل الأراضي السعودية وباسعار أقلّ تتيح للسعودية حق إمتلاكها لاحقاً ، ما أخرج بريطانيا التي عدّته اثرة للمشاكل مع الجانب الأمريكي، ولذلك عمدت في رد فعل سريع يضمن قبول الجانب السعودي بالعرض البريطاني ، وعدم فقدان الإمتياز، الى إجراء تخفيضات على اسعار البرقيات المتبادلة مع السعودية .

Abstract

Privileges of the British Telecommunication Company and Its Reflection Impact in the British – American Competition in the Kingdom of Saudi Arabian 1945

Dr. Khalil Hmood Othman

Khalilaljabiri@gmail.Com

The American – British relationships had witnessed acute competition over the Kingdom of Saudi Arabia , British had relationships with the family of Al Suad since the second half of the 19th century . British had realized from an early time the importance of the emerging force and the possibility of benefiting from it in the future . Indeed , these relationships evolved and resulted in two treaties is 1915 and 1927 with Al Suad . While getting the concession for oil exploration in the Saudi land by American Companies in 1933 to a British apprehension from transforming the Saudi attitude towards the States. This competition increased in 1943 when the United States included Saudi Arabia Kingdom in the lend and lease act , which provided large assistance to the Saudi Arabia Kingdom and that , enforced the relationship between them . This also pushed British to watch the situation closely through its diplomatic mission . The year 1944 recorded the highest levels of British – American Competition in regard of oil interests . The British side felt an obvious preference in the Saudi side toward the States , so it tried to enforce its relationships with the kingdom through getting one of its companies that specializes in wire and wireless communication the advantage in Saudi Arabia Kingdom , and succeeded . The American side also tried to gain a similar advantage but with offers alluring the Saudi side . All of that pushed the British side to lower the costs of the cables sent from the kingdom to the outside , in order to keep its advantage .

المقدمة

شهدت الساحة السياسية السعودية تنافساً قوياً بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، على أن الأولى ارتبطت بعلاقات مع آل سعود منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أفضت الى توقيع معاهدات بينهما عامي ١٩١٥ و ١٩٢٧، ما أدى الى تمتين العلاقات بينهما وتقويتها. في حين حصلت الشركات الأمريكية النفطية على امتياز في المملكة عام ١٩٣٣، والذي أدى الى توجس بريطانيا خيفة من تحول الموقف السعودي نحو الولايات المتحدة الأمريكية. وفي عام ١٩٤٣ ازدادت حدة التنافس بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية عندما شملت المملكة العربية السعودية "بقانون الاعارة والتأجير"، وهو من أهم القوانين الأمريكية التي اقرت في الحادي عشر من آذار ١٩٤١ وقدمت بموجبه الولايات المتحدة الأمريكية مساعداتها المختلفة للمملكة ، ما ساهم في تحول الموقف السعودي نحو الجانب الأمريكي، وعزز العلاقات بينهما. ومن جهتها راقبت بريطانيا عن كثب تلك التطورات بوساطة بعثتها الدبلوماسية التي تولت توثيق النشاط الأمريكي على الاراضي السعودية، وجاء عام ١٩٤٤ ليسجل اعلى درجات التنافس البريطاني - الأمريكي بشأن المصالح النفطية ، إذ شعرت بريطانيا ان الميول السعودية نحو الأمريكيين أقوى من قبل ، ما قد يؤدي الى احتمال سحب البساط من تحت اقدام البريطانيين، اذا ما اخذ بالحسان حجم الوجود البريطاني ونفوذه في منطقة الخليج العربي منذ مدة طويلة . وعليه حاولت بريطانيا توطيد علاقاتها مع المملكة وتعزيزها، عن طريق الحصول على امتياز لاحدى شركاتها المعروفة باسم شركة (الاتصالات السلكية واللاسلكية المحدودة Cable and Wireless Ltd) على الاراضي السعودية، بيد أن الجانب الأمريكي، اراد ايضاً الحصول على امتياز مماثل مع تقديم عرض أفضل للسعوديين، مما دفع الجانب البريطاني الى خفض اسعار البرقيات المرسلة من المملكة الى الخارج، حتى تتمكن من المحافظة على ذلك الامتياز.

وفي ضوء ما تقدّم سمّ البحث إلى تمهيد وثلاثّة مباحث، درس المبحث الأول منها، المحاولات البريطانيّة للحصول على امتياز اتصّالات سلكيّة ولاسلكيّة في المملكة العربيّة السّعوديّة، في حين أوضح المبحث الثّاني الدبلوماسية البريطانيّة ودورها في دعم شركتها للاتصّالات، وسلط المبحث الثّالث الضوء على الموقف البريطاني من النشاط الأمريكي في المملكة العربيّة السّعوديّة، على أن الدراسة استمدت معظم معلوماتها من الوثائق البريطانيّة، وعدد من المصادر المهمّة على النحو المشار إليه في قائمة المصادر.

تمهيد

تعود العلاقات البريطانيّة مع آل سعود إلى عام ١٨٦٥، عندما وقع الأمير عبد الله بن فيصل اتّفاقاً مكتوباً في نيسان ١٨٦٦ اتّعهد فيه بعدم الاغارة على الرعايا البريطانيّين، وعدم مهاجمة القبائل العربيّة التي تحالفت مع بريطانيا حفاظاً على مصالح الطرفين^(١). وفي إثر ذلك أخذت بريطانيا، الاهتمام بهذا الجزء من منطقة الخليج العربي، ولاسيما بعد أن تمكن الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل من الاستيلاء على الرياض عام ١٩٠٢ بعملية جريئة، لتبدأ سلسلة من اللقاءات بين عبد العزيز الذي عُرف بـ"ابن سعود" مع مسؤولين بريطانيّين، منهم الكابتن والمستكشف (وليم هنري شكسبير William Henry Shakespear ١٨٧٨-١٩١٥) الضابط البريطاني في الكويت، وبعد مقتله في معركة جراب في كانون الثّاني ١٩١٥ التي نشبت بين آل سعود وآل الرشيد، اتّصل ابن سعود بالسياسي البريطاني (برسي كوكس Percy Cox ١٨٦٤-١٩٣٧) وعقد سلسلة من المباحثات أسفرت عن توقيع معاهدة مع البريطانيّين عام ١٩١٥ سميت "بمعاهدة القطيف"، تعهد فيها ابن سعود بعدم مهاجمة بريطانيا، وتوافق سياسته الخارجيّة معها، بكونه تحت حمايتها^(٢).

وبعد أن نودي ابن سعود ملكاً على الحجاز في العاشر من كانون الثّاني ١٩٢٦، وجدت بريطانيا أن عليها تقوية علاقاتها معه، بعقد معاهدة جديدة

تتناسب والتطور الكبير الذي حصل في شبه الجزيرة العربية، هي "معاهدة جدة" التي عقدت في العشرين من آيار ١٩٢٧، التي ألغت معاهدة عام ١٩١٥، وحددت علاقات جديدة بين الطرفين^(٣).

أخذت العلاقات البريطانية-السعودية بالتطور التدريجي، إذ زادت بريطانيا من اهتمامها بمصالحها في المملكة العربية السعودية، ولاسيما بعد حصول الولايات المتحدة الأمريكية على امتياز نفطي في داخل الأراضي السعودية عام ١٩٣٣. وكان لاندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، وتوقف الانتاج النفطي في المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٠ بعد الهجوم الجوي الايطالي على مدينة الظهران السعودية، تأثير سلبي في الاقتصاد السعودي^(٤)، ولاسيما ان الحرب أدت الى تناقص عدد الحجاج الوافدين اليها، ومن ثم الى خفض واردات خزيرتها. ونتيجة لذلك ازداد الوضع المالي سوءاً، ولاسيما اذا ما اخذنا بالحسبان ان ابن سعود كان عليه التزامات مالية بدفع معونات وهبات لزعماء القبائل القوية في البلاد لكسب ولائهم ودفعهم الى حفظ الأمن والنظام في مناطقهم^(٥)، حتى انه اضطر الى مناشدة الشركات الأمريكية العاملة في بلاده لتقديم المساعدات، بيد ان الشركات نفسها كانت في وضع لا تحسد عليه، اذ ان الحرب احدثت نقصاً في الانتاج النفطي، وهو ما أجبر الحكومة السعودية على الاقتراض من بريطانيا. ففي عام ١٩٤٠ قدمت الاخيرة قرضاً مقداره مائة الف جنيه استرليني، كما قدمت الشركة الأمريكية قرضاً مقداره ٢.٩٨٠.٩٨٨ دولاراً، في حين كانت الميزانية السعودية بحاجة الى مبلغ مقداره عشرة ملايين دولار^(٦).

تعززت علاقات الولايات المتحدة الأمريكية بالمملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٤٣ بعد شمول الاخيرة "بقانون الاعارة والتأجير" الذي يعد من القوانين الأمريكية المهمة التي صدرت خلال الحرب العالمية الثانية^(٧)، وسُمح للرئيس الأمريكي بمساعدة كل بلد تُعدُّ مسألة الدفاع عنه أمراً حيوياً بالنسبة

لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية . وفي عام ١٩٤٤ أشد التنافس
البريطاني - الأمريكي . اذ شكل النفط من اهم المصالح الأمريكية في المملكة
العربية السعودية^(٨). وفي هذا ادركت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ادركت
، ومنذ وقت مبكر أن السيطرة على النفط عموماً والنفط السعودي خصوصاً
ستعزز مركزها ومكانتها على الصعيد الدولي^(٩).

وعلى الرغم من المكانة التي كانت حظت بها بريطانيا في المملكة
العربية السعودية، إلا ان الولايات المتحدة الأمريكية سعت الى الانفراد
بالمملكة والاستحواذ على احتياطاتها النفطية الكبيرة ، ما ادى الى توتر
علاقاتها وظهور تنافس حقيقي بينهما على الأراضي السعودية^(١٠).

أولاً – المحاولات البريطانية للحصول على امتياز الاتصالات السلكية واللاسلكية في المملكة العربية السعودية:

في الوقت الذي تزايدت فيه المصالح الأمريكية في المملكة العربية السعودية ،
سعت بريطانيا الى تعزيز علاقاتها مع المملكة وذلك من خلال نصب وبناء محطات
لاسلكية وسلكية داخل اراضيها، تمكنها من فتح نافذة جديدة على علاقاتها معها، وقد
تولت ذلك شركة (كيل اند وايرليس للاتصالات المحدودة
Cable and Wireless communications Ltd) البريطانية. ووفقاً لذلك تابعت
الوثائق البريطانية على نحو دقيق نشاط الشركة وسعيها لنصب محطات للخدمات
اللاسلكية داخل المملكة، وقد بينت برقية مرسلة من الشركة الى أم. د. (M. D) وهو
احد موظفي الخارجية البريطانية بتاريخ التاسع عشر من آيار ١٩٤٥، أن الأمريكيين
يضغطون على الحكومة السعودية للحصول على امتياز نصب محطات لاسلكية
لارتفاع اجور البرقيات ، ووجود تمثيل دبلوماسي بين الطرفين، وان المملكة نفسها تميل
الى منح الاولوية الى الأمريكيين بشرط ان تكون المحطة اللاسلكية بحوزتهم^(١١).

إمّياز شركة الإتصالات البريطانية وأثره في التنافس الأمريكي – البريطاني في المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٥

وجاءت برقية رئيس مجلس إدارة الشركة الى ممثله في المملكة بتاريخ الرابع عشر من حزيران ١٩٤٥ لتوضح وجود مفاوضات بين الشركة والحكومة السعودية بشأن نصب محطة لاسلكية، منتقدة الموقف المتصلب من الشركة بقولها "انه ليس في صالحها، بسبب ارتفاع الاسعار بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة، فضلاً عن ذلك، ان العرض الأمريكي بنصب محطة كان اكثر اغراءً للحكومة السعودية من العرض البريطاني بنصب محطة اكبر من تلك الموجودة في البحرين" ^(١٢). وفي هذا الصدد نقلت البرقية نفسها في جداول خاصة مقترحات رئيس مجلس إدارة الشركة بشأن الأسعار :

جدول (١) اسعار البرقيات من المملكة العربية السعودية

الى/الولايات المتحدة الامريكية		سنت	فرنك	المعادل بالجنيه الاسترليني	
				بنس. d	شلنك. S
من/المملكة العربية السعودية		٦٧٥	٤	٥	٧
البحرين		٥٥	٣	٩	٣
مسقط		٩٥	٢	٢	٣
الى/بريطانيا العظمى					
من/المملكة العربية السعودية		٧٢٥	٣	—	٦
البحرين		٦٠	٢	١٠	٢
مسقط		٠٠	٢	٢	٢

وأشارت البرقية الى رغبة الشركة بخفض الاسعار لكل كلمة من البرقيات وكما يلي:

جدول (٢) اسعار البرقيات بعد اجراء التخفيضات عليها

الى/الولايات المتحدة الامريكية	سنت	فرنك	بنس	شلتك
من/المملكة العربية السعودية	٥٠	٢	٠	٤
البحرين	٥٠	٢	٨	٢
مسقط	٥٠	٢	٨	٢
الى/بريطانيا العظمى				
من/ المملكة العربية السعودية	٠٠	٢	٢	٣
البحرين	٠٠	٢	٢	٢
مسقط	٠٠	٢	٢	٢

وبحسب البرقية نفسها، سيكلف هذا الخفض الشركة مبلغاً مقداره عشرون الف باون استرليني سنوياً^(١٣). علماً أن تأثير اعتماد الاسعار المقترحة سيكون مطابقاً لاسعار البرقية المرسلة من نيويورك الى المملكة العربية السعودية او البحرين او مسقط، كما ان التكلفة من لندن الى المكان نفسه، ستكون متطابقة ايضاً، من جانب آخر، ستكون تكلفتها في البحرين ومسقط ما يعادل جنيهه استرليني زائداً ثلث.

كشفت البرقية نفسها، أن العرض الأمريكي ببناء محطة لاسلكية في المملكة العربية السعودية يعد مشكلة للشركة، ولذا، وجب عليها التفاهم مع السعوديين لتقديم عرض افضل، ولاسيما أن الاخيرين كانوا يتوقعون ان يحصلوا على فوائد من العرض الأمريكي، علما انهم قدموا مقترحاً بتفعيل الخط اللاسلكي بين الدمام والبحرين يكون أكثر تأثيراً من الخط الواصل بين الاحساء والبحرين، كما ان هذا المقترح - كما يبدو - سيسهل الاتصالات الداخلية بين البحرين والمملكة العربية السعودية^(١٤).

في هذا الصدد واصل ادوارد ولشو (Edward Wilshaw ١٨٧٩-١٩٦٨) ، مدير الشركة اتصالاته مع مندوبه في المملكة العربية السعودية، ورأى ان خفض الاسعار كان ضرورياً للمملكة ، لانه جزء من خطة مقترحة لتنشيط حركة التجارة بين المملكة العربية السعودية ورئيس الشركة في البحرين، مشيراً الى ان الشركة قدمت عرض نصب محطة برقيات لاسلكية اكبر تكون قادرة على تقديم خدمات مباشرة مع الولايات المتحدة الامريكية، وانها تروم مستقبلاً بناء محطة اكبر وذات طاقة عالية في البحرين مع دوائر كهربائية محلية في الظهران وامكنة اخرى في المملكة وبحسب الرغبة، وان تكون تلك الترتيبات مناسبة للسعوديين لتأمين الاتصال مع الولايات المتحدة الامريكية^(١٥).

بينت الوثائق البريطانية الخاصة بشركة الاتصالات، ان التعديلات المزمع اجراءها من الشركة هدفت بالدرجة الاساس الى منع الولايات المتحدة الأمريكية من الضغط على حكومة المملكة بشأن نصب محطة امريكية للاتصالات تعمل بطاقم امريكي وتكون ملكاً للسعوديين، وقد تم الغاء اي مصدر مباشر للتحكم عن بعد من منطقة الظهران، وحدد الربط الفوري للقضاء على اي تأخير. كما وأظهرت تلك الوثائق قلق ابن سعود من العروض البريطانية والامريكية المتنافسة، وكيفية التخلص من هذا الاحراج امام الجانب البريطاني، اذا ما توصل الى اتفاق مع الأمريكيين^(١٦).

اسهمت العروض الامريكية التي قدمت لابن سعود لنصب محطات لاسلكية في المملكة في اثارة البريطانيين، كون الأمريكيين اكثر سخاءاً من الاخيرين في نوعية العروض وخدمات ما بعد العمل، وذلك ما زاد من قلق البريطانيين بشأن مستقبلهم في المملكة. وبحسب وثيقة بريطانية ، فان البريطانيين رأوا ان السعوديين " سيكونون غير قادرين على مقاومة العرض الأمريكي لاجل غير مسمى، او اذا لم نتمكن من حث الجانب الامريكي على سحبه، فان ابن سعود سوف يقبل العرض الامريكي الذي يمنحه حق ملكية المحطة الامريكية المنصوبة"^(١٧). وحذرت الوثيقة من اخفاق

موضوع العرض البريطاني، الذي سيزرتب عليه خسارة كل شيء، فقد جاء في الوثيقة ايضاً: "اذا فشل هذا العرض فلن يكون هناك شيء، ولكن اذا وضع العرض البريطاني بعدالة وانصاف امام ابن سعود، فإننا لن نتمكن من الوصول الى اتفاق مع الأمريكيين، وان ابن سعود قد يفضل العرض الأمريكي ويمارس حقه بتعديل الامتياز وفقاً لذلك"^(١٨). فضلاً عن ذلك سلّطت الوثائق البريطانية الضوء على مسألة العرض الأمريكي بشأن نصب محطة لاسلكية في المملكة العربية السعودية والفوائد المتحققة من ذلك بما قد يلا محل ترحيب ابن سعود. ويبدو ان اسلوب التعامل الأمريكي مع حكومة المملكة، قد حقق بعض التقدم، ولاسيما ان العروض الأمريكية لا تخلو من مغريات قد تكفي لقبولها من السعوديين، اذ جاء في احدى الوثائق البريطانية ما نصه: "لاحظنا ان ابن سعود قلق ومتحير بين العروض البريطانية والأمريكية، لذا، فانه وافق على مفاتحة الأمريكيين للحصول على عرض مناسب، مع العلم ان الأمريكيين ابدوا موافقتهم على تحمل قيمة كل رأس المال الخاص بتزويد السعودية بمحطة مناسبة مع احتفاظهم بنصف الرسوم"^(١٩).

وتابعت الدوائر البريطانية مسألة نصب محطة لاسلكية أمريكية في الاراضي السعودية على نحو دقيق من المعنيين فيها، فقد اوضحت تلك الدوائر ان وزارة الخارجية الأمريكية لديها الرغبة بشأن مقترح انشاء محطة لاسلكية في الاراضي السعودية ليتم تشغيلها من السعوديين انفسهم. كما كشفت تلك الدوائر أن البريطانيين يواجهون مشكلة في عملية نصب المحطة، بسبب الوجود الأمريكي من خلال شركاتهم النفطية في ثلاث اماكن، هي الظهران، الدمام، رأس تنورة. وان معدات الطاقة القليلة ستعمل من تلك الاماكن الى البحرين، واي مرسلّة في تلك المنطقة يمكن الاعتماد عليها للعمل مع نيويورك بمعدل ١٢ أو ١٤ ساعة يومياً خلال السنة، وان مدد التشغيل لا تزيد عن ٨-١٠ ساعات في اليوم"^(٢٠).

وفي إثر ورود معلومات عن وجود رغبة لدى الجانب الأمريكي بنصب محطة لاسلكية وبأسعار اقل، وتكون مملوكة فيما بعد للحكومة السعودية، واصلت الدوائر البريطانية متابعة النشاطات الاميركية داخل الاراضي السعودية مشيرة الى رغبة الاميركيين بالعمل في المملكة ، وقالت " نحن نعتقد ان من المعقول ان نوضح لهم، ان خططنا بنصب محطة لاسلكية تتضمن تسهيلات لمناطق الدمام ورأس تنورة فضلاً عن الظهران، مع ذلك، فان هناك صفقة جيدة وانها تتوقف على اجابة سؤال محدد، هل يكون تشغيل المحطة من السعوديين أو الاميركيين، فاذا كان العرض الأمريكي يتضمن نصب محطة في الدمام وتعمل بأيدي امريكية، نود ان نتاح لنا الفرصة أن نقدم عرض مماثل من رجال الشركة المتخصصة"^(٢١).

كشفت الوثائق البريطانية، ان الولايات المتحدة الاميركية قد اوضحت موقفها بشأن محطة الظهران اللاسلكية المقترحة، بتأكيد أنها تراجعها تماماً عن اي تعهد بحصر استخدام المحطة بارسال الرسائل من خلال نظام الاتصالات بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية، مقترحة استخدامه كمحطة نقل الاشارات المرسله بينها وبين الاتحاد السوفيتي والشرق الاقصى عموماً. فاستخدامها هذه المحطات لنقل الاشارات سيعمل بكل تأكيد على اضعاف نظام الاتصال اللاسلكي لبريطانيا العظمى، ويبعده عن الامبراطورية تماماً^(٢٢). وبهذا اشتدت بريطانيا الخطر لما قد تتعرض له محطاتها المزمع نصبها في اماكن متعددة في المملكة، ولذا فهي بصدد التهيأ للاستحواذ على عقود نصب المحطات في المملكة مع تقديم كافة المغريات في الاسعار وأمور أخرى من أجل الانفراد بهذه العقود. ووفقاً لذلك، وضعت تخفيضات لرسوم الاتصالات البرقية، في الوقت الذي اجرت فيه دراسات متعددة، من اجل معرفة مدى الافادة من تلك التخفيضات، مع الاخذ بالحسبان، التأني في اصدار قرارات نهائية بذلك.

واستناداً لما تقدّم، افصحت الوثائق البريطانيّة عن نيّة الحكومة البريطانيّة إجراء خفض الرسوم من مسقط والبحرين والمملكة العربيّة السّعوديّة الى بريطانيا والى الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وهذا الخفض وضع قيد الدراسة لبعض الوقت للافادة من رأى الخبراء والمعنيين، ما أضطر الحكومة البريطانيّة الى تأجيله في ضوء اعتبارات أخرى^(٢٣).

جاءت تلك التخفيضات بعد تعديل أجري على وجهات نظر وزارة الخارجية البريطانيّة، ووفقاً لما يلي:

جدول (٣) يبين اسعار البرقيات الجديدة بعد التعديل

الى اوربا(مثلاً بريطانيا العظمى)	الى الولايات المتّحدة(مثلاً مدينة نيويورك)	
عادي لكل كلمة/ جنيه	عادي لكل كلمة/ جنيه	
٢.٠٠	٢.٥٠	من المملكة العربيّة السّعوديّة
٢.٠٠	٢.٥٠	البحرين
٢.٠٠	٢.٥٠	مسقط

مع الاخذ بالحسبان ان الرسوم اعلاه تمثّل تخفيضات جوهريّة مقارنة مع الرسوم الساريّة المفعول في الوقت نفسه^(٢٤).

أوضح (اتش. آر. بالانتاين H. R. Ballantyne)، مدير شركة نفط البحرين، في رسالته الى (اتش. دبيلو. كروف H.W. Grove)، مدير نقل المعلومات في شركة الاتصالات ، من أن "شركتي مهياًة في طلب خفض ملموس على تكلفة التعرفة بالنسبة للنقل السلكي واللاسلكي من البحرين، والرصيد يظهر أن دخل مؤسستكم يبلغ ٢٤.٠٠٠ جنيه سنوياً ، واعتقد بانكم سوف توافقون عليه، فضلاً عن المرور الداخلي الذي تم انشاؤه، الذي اشتركت به مؤسستكم حتما فيه، وبناءً على

ذلك، فإن شركتي تحت مؤسستكم ان تسمح لها باجراء تخفيضات لا تقل عن التي تم السماح بها في حالات مماثلة^(٢٥)، وهو ما يظهر حرص الجانب البريطاني، ممثلاً بشركاته العاملة في المملكة العربية السعودية على اجراء تخفيضات في الاسعار بعد اخذ الموافقات لاجل التخلص من منافس قوي سيدفع الاموال بسخاء ويمنح عروضاً اكثر سخاءً للحكومة السعودية، ولذلك فقد شرعت الشركة البريطانية للعمل بجدٍ للفوز برضا ابن سعود.

ثانياً – دور الدبلوماسية البريطانية في دعم شركتها للاتصالات:

سعت بريطانيا على نحو حثيث لحصول شركتها بعقد الامتياز لنصب محطات لاسلكية داخل الاراضي السعودية، واولت ذلك عناية خاصة، فقد تابعت وزارة الخارجية البريطانية تلك المسألة، إذ جاء في برقيتها المرسلة الى مفوضيتها بتاريخ الخامس والعشرين من حزيران ١٩٤٥: "الاسعار في المملكة العربية السعودية والبحرين ومسقط يجب تخفيضها الى ٢.٥ فرنك ذهب والمرسلة الى الولايات المتحدة، و ٢٠٠ فرنك ذهب الى بريطانيا العظمى، ... وان شركة كيبل واير ليس عدت تشغيل المحطة اللاسلكية تحت ملكية المملكة العربية السعودية أمراً غير مقنع، وعزّت ذلك لاسباب فنية ومالية"^(٢٦).

لم تترك الوثائق البريطانية اي نقطة دون ان تسلط الضوء عليها، فقد جاء في برقية وزارة الخارجية البريطانية الموجهة الى مفوضيتها في جدة، ان الرسوم المالية من السعودية الى نيويورك البالغة ٤.٦٧٥ فرنك ذهب، ومن البحرين ٣.٥٥، ومن مسقط ٢.٩٥. والمقترح المقدم هو خفضها الى نحو ٢.٥٠ فرنك ذهب - الاسعار الى بريطانيا العظمى هي ٣.٧٢٥ فرنك ذهب من السعودية ٢.٦٠ من البحرين، و ٢.٠٠ من مسقط - هذه يجب خفضها الى ٢.٠٠ فرنك ذهب. في حين ان اسعار الارسال " العادي" مثلاً، برقيات بسعر كامل وفق تخفيضات الانظمة الدولية سوف تطبق، مثلاً، ٦٠% من

السعر الكلي لبرقيات مكتب المدعي العام (P.O.)، في حين تكون برقيات الحكومتان البريطانية والسعودية بنصف قيمة السعر، وسوف تكون هناك اسعار جديدة تطبق على الاتصالات السلكية^(٢٧). وفي ضوء ما تقدم يمكن القول ان بريطانيا سعت الى تثبيت وجودها بشكل اكبر من خلال كسب الجانب السعودي فيما يتعلق بالاتصالات السلكية واللاسلكية مع منح خصم خاص للبرقيات حتى لا يحصل الامريكيون على امتيازات في المملكة.

تابعت البعثة الدبلوماسية البريطانية في جدة كل ما يجري على الساحة السعودية بشأن عقد نصب المحطة اللاسلكية، فقد ورد في برقية المفوض البريطاني في جدة (كرافتي سميث Smith Graffiety) المرسلة الى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ السابع من تموز ١٩٤٥: " ان موقف ابن سعود اصبح حرجاً بعد ان فاتحه الامريكيون، وعبر عن امله في اجراء مفاوضات بريطانية- امريكية للاتفاق بشأن الاتصالات، فضلاً عن ذلك ان ابن سعود لم يقدم اي تعديل حول امتياز الشركة البريطانية للاتصالات". وبشأن الموقف الأمريكي بخصوص اتفاقية بريطانية- امريكية، فقد ورد في البرقية نفسها ما نصه: " اقول لقد تجاهلوا كل الحجج التي قدمناها، اما الورقة التي قدمناها لابن سعود بشأن التعديل الأمريكي فلا ترقى الى مستوى مقترحهم الذي شكل اعتراضاً رسمياً على ذلك: " فضلاً عن ذلك بانه اشار في ضوء موقف ابن سعود المعلن، "فأنتي لا اعتقد أن بإمكاننا الحصول على جلسة استماع لعرض بريطاني منافس ما لم يكن الموقف بيننا وبين الامريكيين واضح تماماً لديه" ولذلك " يبدو ان على الشركة البريطانية دفع مبلغ من المال الى الحكومة السعودية يعادل مجموع الرسوم النهائية للمحطة اللاسلكية، كما ان على ابن سعود ان يزن المسألة الخاصة بالملكية، فهو حساس جداً، اذ ان الادارة الامريكية يمكنها الاعتماد عليه، تنعكس الفائدة عليه وعلى الشعب

الأمريكي، ... أخشى أن تكون كل الاحتمالات الواردة بهذا الصدد تجعل
العرض الأمريكي أفضل من عرضنا"^(٢٨).

وفي السياق نفسه، أوضح المفوض البريطاني وجهة نظرة بالموضوع:
"لم نغفل حقيقة وجود صلة مباشرة بين الظهران والبحرين التي كانت جزءاً
أساسياً من التحسن المطلوب بجعل الإدارة الأمريكية تقبل وجهة نظرنا، نحن
لم نلج على شركة كيبل آند واير ليس للمضي معها في آن واحد، اننا لا
نرغب باشتراكهم في النفقات التي لا يرغبون بها، اذا كنا غير قادرين على
مقاومة الضغط لبناء محطة جديدة تكون مملوكة للحكومة السعودية ويتم
نصبها وتشغيلها من قبل الأمريكيين، ... السعوديون مترددون في اشارة
عداوة، اما الولايات المتحدة او بريطانيا، لكنهم اذا اجبروا على الاختيار،
فانهم قد يقبلون العرض الأمريكي، انهم يفضلون كثيراً أن نتوصل نحن
والأمريكيون الى اتفاق"^(٢٩).

وفي ضوء تلك التطورات رأت وزارة الخارجية البريطانية، انه من
المستحسن والافضل لمصلحة الشركة الوصول الى اتفاق مباشر مع
الأمريكيين بشأن نصب محطات للاتصالات في المملكة العربية السعودية، اذ
شعرت انه من الافضل التعامل مع المملكة كجزء من التسوية العامة
لمشاكلات الاتصالات السعودية التي كانت تأمل التوصل الى اتفاق مع
الولايات المتحدة الأمريكية"^(٣٠).

وفي خضم ذلك عبرت شركة الاتصالات البريطانية عن رغبتها بضرورة
تأجيل الخفض على الرسوم مع المملكة العربية السعودية خاصة والخليج
العربي عامة، جاء ذلك في برقية مديرها ادوارد ولشو الى وزير الخارجية
البريطانية (انتوني إيدن Anthony Eden ١٩٤٠-١٩٤٥) بتاريخ التاسع
عشر من تشرين الثاني ١٩٤٥، التي جاء فيها : "احتراماً لوجهات نظركم،
فانه قد تم اصدار التوجيهات البرقية بشأن التخفيضات المقترحة". ووضحت

البرقية نفسها، ان الرسوم التي تمت مراجعتها الى بريطانيا والولايات المتحدة-
نيويورك - على سبيل المثال - ستكون على النحو الاتي ^(٣١).

جدول (٤) التخفيضات المقترحة على اسعار البرقيات

ما يعادل بالجنيه الاسترليني						
من البحرين ومسقط		من السعودية				
شطن	بنس	شطن	بنس	فرنك	سنت	الى بريطانيا العظمى
٢	١.٥	٣	٢.٥	٢	٠٠	
٢	٨	٤	٠	٢	٥٠	مدينة نيويورك

مارست المفوضية البريطانية في جدة نشاطاً واضحاً بهذا الخصوص،
فقد نقلت الى وزارة الخارجية السعودية التعليمات الصادرة عن لندن، التي
كشفت ان شركة كيبل اند وايرليس، قررت خفض رسوم نقل الرسائل من
المملكة الى بريطانيا والى الولايات المتحدة الامريكية وفقاً لما يلي:

الى بريطانيا العظمى ٢.٠٠ فرنك ذهب لكل كلمة.

الى الولايات المتحدة الامريكية ٢.٥٠ فرنك لكل كلمة.

وستكون هذه الرسوم نافذة على الفور وفق ما جاء في برقية المفوضية
البريطانية^(٣٢).

يتضح ان المحاولات البريطانية خفض رسوم البرقيات، هدفت بالاساس
الى تثبيت وجودها اكثر في المملكة العربية السعودية، بعد ان ادركت ان
المحاولات الامريكية بهذا المجال اصبحت قوية ونافذة، وان الميول السعودية
حيال الامريكيين اصبحت واضحة، ولذلك جاءت تلك المحاولات من اجل
تخفيف تلك الضغوط على الشركات البريطانية.

ثالثاً - الموقف البريطاني من النشاط الأمريكي في المملكة العربيّة السعوديّة:

تابعت الوثائق البريطانيّة النشاطات الأمريكيّة في المملكة العربيّة السعوديّة، لاسيّما في مجال الاتّصالات ، فأشارت الى ان الولايات المتّحدة ابدتاهتماماً بموقف الحكومة البريطانيّة بشأن موضوع دائرة البرقيّات اللاسلكيّة المباشرة بين الولايات المتّحدة الأمريكيّة والعراق والمملكة العربيّة السعوديّة. تقاّلت الجانب الأمريكي من موقف الحكومة البريطانيّة التي ابدت مساعيها للتّوصل الى تفاهم بشأن الموضوع، كما ان وزارة الخارجيّة البريطانيّة ، بحسب تلك الوثائق، ابدت ارتياحها لنصب المحطّة من الأمريكيين في المملكة ضمن نطاق دائرة الاتّصال السعوديّة - الأمريكيّة، مشيرة الى ان الاهتمام الرئيس للولايات المتّحدة هو خط التّواصل السعودي- الأمريكي^(٣٣).

وكشفت الوثائق نفسها تفادي الحكومة السعوديّة في هذا الوقت اعطاء بيانات محدّدة كون المحطّة المقترّحة لن تستخدم مع اي بلد باستثناء الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وأن الاخيرة لا يمكنها ان تدّعن بشكل دائم للقيود التي تفرضها الحكومة السعوديّة ، وان الولايات المتّحدة الأمريكيّة عّزمت على ان تحصل في مؤتمر (برمودا Bermuda)^(٣٤) المزمع عقده، على تعهد من الحكومات التي تحضر المؤتمر بعدم دعم شركاتها اللاسلكيّة في طلبات الحصول على عقود حصريّة خارج الولايات المتّحدة الأمريكيّة ودول الكومنولث البريطانيّة. وكانت الاخيرة قد اعلمت وزيرها المفوض في جدة كرافتي سمث إبلاغ حكومة المملكة العربيّة السعوديّة من ان الحكومة البريطانيّة لن يكون لديها اعتراض على نصب وتشغيل محطّة البرقيّات اللاسلكيّة، على أمل ان توسّع حكومة المملكة قاعدة الدول التي تغطيها المحطّة، فالحكومة السعوديّة بصدد التّشاور مع الحكومة البريطانيّة وحكومات اخرى لها مصلحة مشتركة ومباشرة^(٣٥).

ويظهر ان البريطانيين كانوا في انتظار ما تسفر عنه مفاوضاتهم مع الجانب الأمريكي، ادركوا ميل السعوديين نحو الأمريكيين بسبب ما قدمه المفاوض الأمريكي من شروط مغرية بشأن الاتصالات السلكية واللاسلكية. فجاء في احدى رسالة الخارجية البريطانية الى مكتب الهند: "لقد تحدثت الى شركة كيبيل اند وايرليس الذين كانوا جاهزين للاستمرار في تسوية قضية الاتصالات الأمريكية في المملكة العربية السعودية، وابلغوني ان وزارة الخارجية هي بصدد اجراء مفاوضات مع الجانب الأمريكي" ^(٣٦) ، ليلاحظ ان سمث تابع نشاطاته في المملكة العربية السعودية بشأن الاتصالات اللاسلكية، التي تنوي الولايات المتحدة الأمريكية تنفيذها في المملكة.

ففي برقيته المرقمة (٤٥٣) في الثالث من تشرين الاول ١٩٤٥ المرسله الى وزارة الخارجية البريطانية ، كتب : " ابلغي وكيل وزارة الخارجية ان زميلي الأمريكي قد بدأ استعمال لغة القوة فيما يخص محطة (دفينوران Dhvenoran) المقترحة للبث اللاسلكي، ملحاً الى ان المراوغة السعودية تتضمن روحاً جديدة غير ودية تجاه الولايات المتحدة ومسببة ردوداً منفعة في واشنطن" ^(٣٧). ومن المفيد الاشار الى أن المملكة العربية السعودية عرضت ملكية المحطة اللاسلكية للحصول على ما نسبته ٥٠% من المبالغ المستلمة لرباط النقل التركي مع الولايات المتحدة التي تقوم بتشغيله اياها أمريكية. ويبدو ان الأمريكيين بدأوا بالتوجه نحو مناطق تحسب ضمن مناطق نفوذ بريطانيا، ما اثار حفيظة الاخيرة وازعجها ، ولاسيما انها عجزت عن منع ابن سعود من قبول العرض الأمريكي، بعد ان قدم الأمريكيين بعض الامتيازات التي لا يمكن ان يرفضها ابن سعود ^(٣٨).

ومن جهتها عبّرت وزارة الخارجية الأمريكية عن املها بحسم اي خلاف مع الجانب البريطاني ، ولاسيما اذا كان هناك لقاء مباشر بين الجانبين، وجاء ذلك في برقية وزارة الخارجية الأمريكية الى وزارة الخارجية البريطانية، جاء فيها " عند نهاية اجتماعنا في مؤتمر بوتسدام [Potsdam] ^(٣٩) كان لي حديث قصير مع (الكسندر

كادوجان Alexander Cadogan ١٨٨٤-١٩٦٨] وكيل وزارة الدولة للشؤون
الخارجيّة ، بشأن الصّعوبات التي تواجهها في تأسيس دائرة برقيات لاسلكي مباشرة
بين الولايات المتّحدة من جهة وبين العراق والسعوديين من جهة أخرى...نحن
حريصون على إقامة منشآت اتصالات مباشرة بين العراق والمملكة العربيّة السعوديّة
لتقليل مدة الاستلام وكلفة الرسائل^(٤٠).

تابعت وزارة الخارجيّة البريطانيّة موضوع بناء محطة ارسال في المملكة
وعدتها من الاولويات المهمّة في تطوير علاقاتها مع السعوديّة، وحاولت بشتّى
السبل الحصول على تلك الامتيازات دون التأثير الأمريكي الذي قد يسحب
البساط من تحت اقدام الشركة البريطانيّة. وجاء في برقية الخارجيّة البريطانيّة
المرسلة الى مدير شركة كييل اند وايرليس المحدودة في المملكة العربيّة
السعوديّة " اننا نشعر أن اسعار شركتكم مرتفعة وتسبب لنا صعوبة واحراج،
لذا، فمن الافضل ان يكون هناك تخفيض في الاسعار يقدم للحكومة
السعوديّة وان يأخذ حيز التنفيذ"^(٤١).

وفي السياق نفسه ، ابلغت وزارة الخارجيّة البريطانيّة مفوضيتها في جدة
برقية جاء فيها " الاهتمام الرئيس للولايات المتّحدة كان محطات نقل الاشارة
بين السعوديّة والولايات المتّحدة". مشيرة الى أن حكومة المملكة قد تجد من
غير المجدي اقتصادياً الابقاء على محطة لغرض واحد فقط هو الاتصال مع
الولايات المتّحدة الأمريكيّة ، وانها قد تقرر توسيع استعمالها، ولذا فان الولايات
المتّحدة قد عبّرت عن اسفها كون حكومة المملكة ترغب بعدم استخدام المحطة
مستقبلاً في اجراء اتصالات مع اي بلد باستثناء الولايات المتّحدة الأمريكيّة.
وان الجانب الأمريكي يأمل بتوجيه المفوضيّة البريطانيّة لابلاغ الجانب
السعودي بعدم اعتراضهم على نصب وتشغيل محطة لاسلكية حكومية، مع ان
الجانب البريطاني يرغب ان توسع حكومة المملكة اتصالاتها مع بلدان متعدّدة
. كما ان وزارة الخارجيّة البريطانيّة لن تعترض على استخدام المحطة لتقوية

الرسائل اللاسلكية مع الولايات المتحدة الى منطقة الشرق الاقصى بكون دوائر نقل المعلومات غير دقيقة من الناحية التقنية^(٤٢).

وفي تطور لاحق ، افصحت وزارة الخارجية البريطانية، في برقيتها المرسلة الى الوفد البريطاني الى مؤتمر برمودا ، أن الولايات المتحدة الأمريكية استغلت المحطة كتنقية للرسائل بين واشنطن وموسكو او الشرق الاقصى، وهو ما اخفي عن ابن سعود بعناية ولم يطلع عليه. وبشأن المحطة، ابدى ابن سعود اعجابه ببعثة الولايات المتحدة الأمريكية ، على ان يكون تشغيل المحطة بايدٍ سعودية. اما بشأن البريطانيين، فأنتهم قدموا تخفيضات بشكل فوري وصلت الى ٢.٥٠ فرنك ذهب الى الولايات المتحدة الأمريكية ، و ٢ فرنك ذهب الى بريطانيا وما يعادله من المملكة العربية السعودية ٤ شلن و ٣ و ٢.٥ على التوالي ومن البحرين ومسقط ٢.٨ و ٢.٥ على التوالي^(٤٣). وبهذا تكون بريطانيا قد قدمت تخفيضات واضحة بهدف الحصول على امتياز لشركاتهم وعدم فقدان ذلك الامتياز، إثر تقديم الشركات الأمريكية عروضاً مغرية بهذا الشأن، وخوفاً من ان يفلت الزمام من ايدي الشركات البريطانية فأقدمت على ذلك التخفيض.

الخاتمة

يظهر ان الوجود البريطاني في منطقة الخليج العربي ولاسيما في المملكة العربية السعودية اصبح ضعيفاً بعد ان أقل نجم بريطانيا ووطدت الولايات المتحدة الأمريكية نفوذها فيه وبرزت كقوة جديدة في المنطقة ، وعملت بكل جهد على تقوية مصالحها ولاسيما الاقتصادية في المملكة العربية السعودية. جاءت تلك الجهود نتيجة لادراك الولايات المتحدة الأمريكية اهمية المملكة من نواحٍ متعددة، ولذلك نشطت وعلى مستويات مختلفة لتثبيت مصالحها، في

الوقت الذي ارتبطت بريطانيا بعلاقات مع آل سعود منذ منتصف القرن التاسع عشر، وتوثقت تلك العلاقات بعد أن تمكن ابن سعود من السيطرة على الرياض عام ١٩٠٢ وتوسيع قاعدة ملكه، فادركت بريطانيا، أنه شخصية قوية يمكن الاعتماد عليه. ووفقاً لذلك عقدت معه معاهدات عدة لتثبيت وجودها في شبه الجزيرة العربية وبما يمكنها فيما بعد من تقوية مركزها في الخليج العربي والمحافظة على مصالحها فيه. مع كل ذلك لم تتمكن بريطانيا حتى النهاية من المحافظة على تلك المصالح، إذ أن الأمريكيين عالجوا هذا الموقف باتخاذ تدابير متعددة مكنتهم من سحب البساط تدريجياً - وكما يبدو - من تحت أقدام البريطانيين، بعد أن أغدقوا المساعدات السخية على السعوديين، التي ساعدت كثيراً على تثبيت المصالح الأمريكية، من ناحية، ومن ناحية أخرى تولدت رغبة عند السعوديين بالتوجه نحو الأمريكيين. كل ذلك جعل بريطانيا تدرك بأن مصالحها عرضة للخطر في المملكة، ولذلك، حاولت بشتى السبل المحافظة عليها من خلال الحصول على امتياز لأحدى شركاتها المتخصصة بالاتصالات، ومحاولاتها المتعددة لخفض أسعار البرقيات المرسلة من المملكة واليهما، ما أدى إلى ظهور تنافس واضح ظهر جلياً بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، إذ سعى كل منهما، على نحو حثيث إلى المحافظة على مصالحه في المملكة العربية السعودية.

الهوامش :

(١) "مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند البريطانية والخليج العربي والجزيرة العربية " ، جمع وتصنيف سي. يو. أّجسون. بي س ، ترجمة عبد الوهاب عبد الستار القصاب ، ط١، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١، ص ٣. وسيرمز لها لاحقاً بـ " مجموعة المعاهدات والتعهدات" .

(٢) J. B. Kelly, Arabia, The Gulf and the West, New York, 1980, P. 236.

(٣) "مجموعة المعاهدات والتعهدات " ، ص ٢١٩.

(٤) محمد لبيب شقير وصاحب ذهب، امتيازات وعقود البترول في البلاد العربية، الجزء الاول، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٩.

(٥) عبد الرسول شهيد عجمي، العلاقات السعودية- الأمريكية ١٩٣٩-١٩٤٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٩٥، ص ٣٨.

(٦) فهد مسعود الحمود، ثروات السعودية وسبيل الاستقلال الاقتصادي ، ط١، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٠، ص ٣٩-٤١.

(٧) علي عظم محمد عباس الكردي، العلاقات السعودية - الأمريكية ١٩٤٥-١٩٥٣، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٧، ص ٢٩.

(٨) محمد علي تميم، العلاقات السعودية الأمريكية ١٩٦٤-١٩٧٥، دار ميزو بوتاميا للنشر والطباعة، بغداد، ٢٠٠٩، ص ١٣.

(٩) المصدر نفسه، ص ١٤.

(١٠) علي عظم محمد عباس الكردي، المصدر السابق، ص ٤٢.

(١١) The GCC States National Development Records : Communications and Transport, 1860-1960 , Vol.7 , (Eid) A.L. p. Burdett, Benneet (Cairo)to M.D.,Tel.19th May,1945,P.645(GCCSNDR) وسيرمز لها لاحقاً

(١٢) Ibid :Tel. from Sir Edward Wilshaw K. C. M. G. (London) to Ronald (Saudi Arabia) , 14th June , 1945, P.646.

(١٣) Ibid .

(١٤) Ibid .

(١٥) Ibid., Tel. from Sir Edward Wilshaw K, C, M. G. (London) to Ronald (Saudi Arabia) , 19th July , 1945, p.654.

(١٦) Ibid., Letter from Sir Denison – Pender to Sir Edward Wilshaw (London) ,3 August , 1945,P.655.

- (17) Ibid .
(18) Ibid .
(19) Ibid.,Letter From Sir Edward Wilshaw (London) to Foreign Office (London) , 23rd August , 1945,P.662.
(20) Ibid .
(21) Ibid .
(22) Ibid.,P.676.
(23) Records of Saudi Arabia , 1916-1956 , Anite L.p.Burdett (ed) , (London) , 1996,P.681. (RSA) وسيرمز لها
(24) Ibid .
(25) Ibid., Letter from H.R. Ballantyne to H. W. Grove , 8 October , 1945.
(26) F.o.,371, Tel . , No.8195/70/801W, from Foreign Office (London) to Jedda, 25th June, 1945.
(27) Ibid., Tel .No.W8970/70/801, From Foreign office (London) to Jedda, July 5th , 1945, P.649.
(28) Ibid., Tel .No.W8195/70/801, from L.B. Graffiety Smith (Jedda) to Foreign Office (London) , 5th July, 1945.
(29) Ibid .
(30) Ibid., Letter .No.w9895/70/801, from Foreign Office (London) to Denison - Pender, 13th August , 1945.
(31) GCCSNDR, Letter , From Edward Wilshaw (London) to Foreign Office , 13th November, 1945.
(32) R.S.A., Tel. from British Legation (Jedda) to the Saudi Arabian Ministry of Foreign Affairs, November 19th , 1945.
(33) GCCSNDR,P.674.

(٣٤) مؤتمر برمودا : هو مؤتمر عقد بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية للمدة (١٩ نيسان - ٣٠ نيسان ١٩٤٣) في هاملتون في برمودا ، نوقش فيه مسألة اللاجئين اليهود الذين حرروا من قبل قوات الحلفاء ، ولايزالون آنذاك تحت الاحتلال الألماني في اوربا ، فضلا عن مناقشة العلاقات البريطانية - الأمريكية.

[The New Encyclopaedia Britannica](#) , Vol.9 , 15th .ed ., (Chicago ,
Encyclopaedia Britannica , Inc., 1988), PP.644

(35)GCCSNDR, P.641.

(36) F.o.,371, Latter from W.W.Shaw – Zambra (Foreign Office) to Harrison (India office) 31th August, 1945.

(37) Ibid., Tel .No.453, from Grafftey Smith (Jedda)to Foreign Office (London) 3rd October , 1945.

(38) Ibid .

(٣٩) هو اخر اجتماع عقده زعماء كل من بريطانيا والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية خلال الحرب العالمية الثانية ، قرب العاصمة الالمانية برلين للمدة (١٧ تموز- ٢ اب ١٩٤٥) ، وقد حضر المؤتمر كل من الرئيس الامريكي هاري ترومان ورئيس الوزراء البريطاني وينستون تشرشل ورئيس الوزراء السوفيتي جوزيف ستالين.

[The New Encyclopaedia](#) Britannica , Vol.9 , 15th .ed ., (Chicago , Encyclopaedia Britannica , Inc., 1988), PP.644.

(40) R.S.A., Tel. from Department of State (Washington) to Foreign Office (London) August 22, 1945,P.667.

(41) F.o.,371, Immediate , Tel .No.W14618/70/801, from Foreign Office (London) to Edward Wilshaw , 8th November , 1945,P.668.

(42) Ibid., Cypher Tel .No.586/70/801, from Foreign Office (London) to British Legation (Jedda), 8th ,November, 1945,677.

(43) Ibid., Tel .No. no, from Foreign Office (London) to Birchall, British Delegation to Bermuda Conference ,November,16th , 1945,P.683.

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته

وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م)

**Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His
Biography, his Scholarly and Jihadic life
(D 50H/ 66gc)**

أ.م.د حيدر خضير رشيد

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الإنسانية

fAsst. Prof Haider khuder Rashid

**The College Of Education Of human science
University of Diyala**

Email: Hadar- yahoo.com

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية
والجهادية (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

١٠٠ م. د. حيدر خضير رشيد

الملخص:

تعد دراسة الشخصيات من الدراسات المهمة لدى المؤرخين المسلمين من أجل معرفة العصر الذي عاش فيه فضلاً عن دراسة الاحوال او الظروف المحيطة به وموضوع دراستنا هو عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م) ودوره الجهادي والعلمي في الإسلام أذ تم تناول اسمه ، ولقبه، وكنيته ، ونسبه، وولادته ، واسرته ، وحياته الاولى، وشيوخه ، وتلاميذه ، وصفاته الاخلاقية ، واقوال الآخرين فيه ، وفتوحاته، فضلاً عن مروياته التاريخيه، ومساهماته في تدوين الحديث النبوي الشريف ، واخيرا وفاته .

Abstract:

The study of important Figures is regarded as one of the important studies to the moslem historians. This important is due to the fact that it sheds light on the age during which these figures lived. Besides ,such astudy touches upon the circumstances involved. The subject of this study is Adul _Rahman bin samrah bin Habeeb (D. 50H / 66gc) and his role in the scholarly and Jihadic aspects in Islam .In this study ,his name , surname , genealogy , birth , family , sheikhs In addition, his works including historical accounts , contributions to the writing of the noble prophetic hadiths and such deeds have been investigated . At last , his death has been shed light on.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صل الله عليه وسلم) سيد الأولين والأخيرين وعلى اله وصحبه أجمعين. أما بعد
من يتصدى لدراسة احداث التاريخ سيرى في تاريخ كل امه من الأمم قادة أفاض وزعماء , لذلك نجد أن هناك دراسات تاريخية كثيرة برزت عن هذه الشخصيات في مختلف الجوانب وموضوع بحثنا هو (عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب) الذي اشتهر بشجاعته , لانه كان اميراً على الجيش وبعد ذلك اصبح قائداً للجيش فضلاً عن رواياته للحديث النبوي الشريف حيث روى عن النبي (صل الله عليه وسلم), وكان من أشهر شيوخه هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل (رضي الله عنه) لذلك سنتناول الدراسة هذا القائد والعالم حياته و دوره الجهادي والعلمي في الاسلام.

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب ودوره الجهادي والعلمي في الإسلام

١ - اسمه:-

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ^(١) , وقيل كان اسمه قبل الإسلام عبد كلال^(٢) , وقيل عبد يكر^(٣) , وقيل عبد كلوب^(٤) , وقيل عبد الكعبة^(٥) وقد اختلفوا في اسمه , فسماه الرسول (صل الله عليه وسلم) حين اسلم عبد الرحمن^(٦) وقال له: ((يا عبد الرحمن لا تسأل الأماره....))^(٧) .

٢ - لقبه :-

لقب عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بالقرشي ^(٨) , لانه ينتمي الى قبيلة قريش , والعبشمي ^(٩) , بفتح العين المهملة وسكون الباء المنقوطة بواحد وفتح الشين المعجمه وهذه النسبة الى بني عبد شمس بن عبد مناف , والاموي ^(١٠) , لانه يرجع الى بني اميه , والبصري^(١١) , لانه سكن البصره , وقال الحافظ ابو القاسم , هو قرشي

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His
Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

عشمتي ثم البصري^(١٢)، والمحدث^(١٣)، لأنه كان يحدث عن رسول الله (صل الله عليه وسلم) وبالفقه الإسلامي.

٣- نسبه:-

ينسب عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب إلى عبد مناف بن قصي^(١٤)، هكذا نسبه هشام بن الكلبي، وابن معين، والبخاري، وأبو عبيد وجماعه وزاد في نسبه الزبير بن بكار، وعمه مصعب فقالا: ((حبيب بن زمعة بن عبد شمس)) فزاد ربيعة^(١٥)، وقال خليفه بن خياط، أمه أروى بنت أبي الفارعة، واسم أبي الفارعة، حارث بن كعب بن مطرب بن خريس^(١٦) بن بني فراس بن غنم، بن أحمد من بني كنانة بن حزيمة^(١٧)، وقال الزبير بن بكار: أمه بنت أبي الفارعة، واسمها جارية بن قيس بن أعيان بن مالك بن علقمة جد الطعان بن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة^(١٨).

٤- كنيته:-

تكنى عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بأبي سعيد^(١٩) (ليس نسبة إلى أحد أبنائه لأنه أبنائه لم يكن فيهم سعيد بل أبنائه هم عبد الله، وعثمان، ومحمد، وعبد الملك وشعيب^(٢٠)، وقيل أبو سعيد العشمتي^(٢١)، وقيل أبو سعيد القرشي^(٢٢)، وقيل أبا سعيد العشمتي الأمير^(٢٣)، لكن كنيته الشائعة عند أغلب المصادر وكتب التراجم هي أبا سعيد^(٢٤)).

٥- ولادته واسرته وحياته الأولى:-

من خلال البحث والتقصي في كتب التراجم والطبقات لم نجد ما يعيننا على تحديد الملامح الأولى لولادته ونشأت عبد الرحمن بن سمرة، وإن هذا الغموض حول الولادة والنشأة أمر اعتيادي، لأن أغلب اعلام وعظماء ومشاهير وقادة الاسلام حيث يولدون فهم اناس اعتياديون لا شأن لهم، ولكن ربما الظروف التي تحيط به يظهر نجمه وبطولاته، فيبدأ الرواة والمؤرخون بالعناية بهم وباخبارهم، ربما ان عبد الرحمن بن سمرة ولد بالبصرة^(٢٥)، وقيل بمرو^(٢٦)، والراي الاول الأرجح اي بالبصرة

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

(٢٧) كما تشير له اغلب المصادر التاريخية وترعرع في مدينة العلم^(٢٨) ، وتعد البصرة من أهم المدن الاسلاميه ومن مراكز الفكر العلمي الاسلامي خاصة من خلال ظهور العديد من العلماء والمحدثين في شتى العلوم فتلقى عبد الرحمن بن سمرة علومه خاصه وانه كان والٍ ثم بعد ذلك أصبح قائداً وقاد فتوحات واسعه في الاسلام فنزل عبد الرحمن بن سمرة البصرة وسكن بها^(٢٨) ، واليه تنسب سكة (محلّه) بن سمرة بالبصرة^(٢٩) ، واما زوجته فهي هند بنت ابي العاص بن نوفل بن عبد مناف^(٣٠) ، اما أبنائه فهم ستة افراد وهم عبد الله، وعبيد الله، وعثمان، ومحمد ، وعبد الملك، وشعيب^(٣١) ، وأما أبنه عبيد الله فقد غلب على البصرة أيام ابن الاشعث^(٣٢) ، وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب صحابي جليل^(٣٣) سمع النبي (صل الله عليه وسلم) وصحبه^(٣٤) ، وحدث عنه واسلم يوم فتح مكة سنة (٦٢٩ هـ / ٦٢٩ م)^(٣٥) ، وذكر محمد بن سعد أن عبد الرحمن بن سمرة من الطبقة السادسة من الصحابة^(٣٦) ، وذكر ابو الحسن محمد بن عبد الله الرازي عن شيوخه الدمشقيين ، ان الدار المعروفه بأن امية شام (دار شبل) هي دار عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب^(٣٧) ، وتشير بعض المصادر التاريخية أن سكنه بالمدائن^(٣٨) ، لكن الرأي الراجح عند أغلب المصادر أنه نزل البصرة وسكن بها وتوفي فيها^(٣٩) .

٦ - شيوخه:-

لم أجد من خلال بحثي في أغلب كتب الحديث والمصادر التاريخية عن شيوخ عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب سوى أنه روى عن النبي (صل الله عليه وسلم) الأحاديث وسوف أذكرها فيما بعد ، وروى عن الصحابي الجليل معاذ بن جبل (٢٠ ق هـ - ١٨ هـ) وسوف أعطي نبذه عن حياته .

- معاذ بن جبل (٢٠ ق هـ - ١٨ هـ) .

هو معاذ بن جبل بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن ادي بن سعد بن علي بن أسد بن سارة بن تزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري^(٤٠) ، أمه

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

هند بنت سهل^(٤١) ، ويكنى ابا عبد الرحمن^(٤٢) ، روى عنه عبد الرحمن بن سمرة واخرون^(٤٣) ، وكان لمعاذ بن جبل أبنان أحدهما عبد الرحمن وكان يكنى به ، ولم يسم الاخر^(٤٤) ، وهوصحابي جليل^(٤٥) ، كان أعلم الامة وكان من اعلم الامة بالحلال والحرام^(٤٦) ، وهو أحد الخمسة الذين جمعوا القرآن الكريم على عهد النبي (صل الله عليه وسلم) وهو فتي^(٤٧) ، وشهد بيعة العقبة مع الأنصار السبعين^(٤٨) ، وشهد معركة بدر (٢ هـ) والخندق (٦ هـ) والمشاهد كلها مع النبي (صل الله عليه وسلم)^(٤٩) ، وبعثه النبي (صل الله عليه وسلم) عاملًا الى اليمن^(٥٠) ، وهو ابن ثماني عشر ، وكان يكسر اصنام بني سلمه^(٥١) ، وسكن الشام^(٥٢) ، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في ناحية الأردن في طاعون عمواس سنة (١٨ هـ) وهو ابن ثمان وعشرين سنة^(٥٣) .

٧- تلاميذه :-

بعد أن أخذ عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب علومه من النبي (صل الله عليه وسلم) والصحابي الجليل معاذ بن جبل أخذ يحدث عنهم ويتصدرالمجالس ويلقي خطبه بالحديث والعلوم الشرعية ، واصبح من المشايخ الذين يحظر لهم التلاميذ الحلقات والدروس واصبحت له سمعة طيبة بين علماء عصره، وسوف أذكر اشهر تلاميذه مرتبه بحسب الحروف الهجائية ، ثم نذكر بقية تلاميذه مرتبه ضمن جدول بحسب الحروف الهجائية لعدم الاطاله في ذكر التفاصيل عن تلاميذه .

١- الجريري (ت ١٤٤ هـ)

هو سعيد بن اياس^(٥٤) ، يكنى أبو مسعود^(٥٥) ، حدث عن عبد الرحمن بن سمرة^(٥٦) ، وهو ثقة^(٥٧) ، وهو من الطبقة الخامسة^(٥٨) ، وقيل من الطبقة السادسة^(٥٩) ، واختلفت المصادر التاريخية في سنة وفاته قيل توفي سنة أربعين ومائه^(٦٠) ، وقيل سنة ثلاث وأربعين ومائه^(٦١) ، وقيل سنة أربع واربعين ومائه^(٦٢) ، لكن الرأي الراجح عند أغلب المصادر أنه توفي سنة اربع واربعين ومائه^(٦٣) .

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

٢- الحسن البصري (ت ١١٠ هـ)

هو الحسن بن ابي الحسن بن يسار البصري^(٦٤)، يكنى ابو سعيد، وكان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل علم وفن وزهد وورع وعبادة^(٦٥)، اما امه اسمها خيرة مولاة لام سلمه ام المؤمنين (رضي الله عنها)^(٦٦)، وكانت ولادته لسنتين من خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)^(٦٧)، قالوا: (فرما خرجت امه في شغل فيبكي فتعطيه ام سلمه (رضي الله عنها) ثديها فبدر عليه فيرون ان تلك الفصاحة والحكم من ذلك)^(٦٨)، ونشأ الحسن بوادي القرى، وكان فصيحاً، رأى طلحة بن عبد الله، وعائشة (رضي الله عنها)، وسمع عبد الرحمن بن سمرة وابا بكر، وقيس بن عاصم، وجندب بن عبد الله، ومعقل بن يسار، وعمرو بن تغلب وغيرهم^(٦٩)، ويقال أنه ولد على الرق^(٧٠)، وهو مولى زيد بن ثابت، وقيل مولى جميل بن قطبة وغير ذلك، وابوه يسار من سبي ميسان اعتقته الربيع بنت النضر^(٧١)، وروى عن ابي حصين والمغيرة بن شعبة، وعبد الرحمن بن سمرة، وابي بكره، وسمرة بن جندب، وابن عباس، وابي موسى، وابن عباس، وجندب، وروى عنه بن عون، ويونس، ومعقل بن يسار، وابي هريرة، والاسود بن سريع، وانس بن مالك، وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين كالأحنف بن قيس، وحطان الرقائسي^(٧٢)، كان يرسل كثيراً ويدلس^(٧٣)، وهو راس اهل الطبقة الثالثة^(٧٤)، ومات الحسن ليلة الجمعة بالبصرة سنة (١١٠ هـ) وعمره آنذاك تسع وثمانون سنة^(٧٥)، وقيل ست وتسعون سنة^(٧٦).

٣- حميد بن العدوي البصري (وفاته بين ١١١ - ١٢٠ هـ)^(٧٧).

٤- زياد المصفر الكوفي (مجهول الوفاة)^(٧٨).

٥- سعيد بن ابي الحسن البصري (ت ١٠٠ هـ)^(٧٩).

٦- التيمي ابو بكر الكوفي (مجهول الوفاة)^(٨٠).

٧- عبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ)^(٨١)، وقيل ٧٠ هـ^(٨٢).

٨- عبد الرحمن بن ابي ليلى (ت ٨٣ هـ)^(٨٣).

٩- عمار بن ابي عمار المكي (ت ١٢١ - ١٣٠ هـ) في ولاية خالد بن عبد الله القسري على العراق^(٨٤).

١٠- ابو ليبيد, اسمه لمازه بن زيار الازدي الجهمي البصري مجهول الوفاة^(٨٥).

١١- محمد بن سيرين الانصاري البصري (ت ١١٠ هـ) ^(٨٦).

١٢- مروان بن الحكم بن ابي العاص بن أمية (ت ٦٥ هـ) ^(٨٧).

١٣- حصان بن كاهن العدوي البصري (مجهول الوفاة)^(٨٨).

٨- صفاته واخلاقه:-

كان الصحابي الجليل عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب متواضعاً , فأذا نزل المطر لبس برنصاً فأخذ المسحاة وكنس الطريق ^(٨٩).

٩- اقوال الاخرين فيه :-

قال عنه العجلي في كتابه الثقات ان عبد الرحمن بن سمرة (تابعي ثق)^(٩٠).

١٠- فتوحاته:-

شهد الصحابي الجليل عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب غزوة تبوك سنة (٩ هـ) مع النبي (صلى الله عليه وسلم) , ثم شهد بعد ذلك فتوح العراق ^(٩١), ففي سنة (٣٢ هـ) في عهد خلافة امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣ - ٣٥ هـ) , ولي البصرة ابن خاله عبد الله بن عامر بن كريز , فوجه ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب الى سجستان (*) فافتتحها ^(٩٢) صلحا على ان لا يقتل بها ابن عرس (حيوان) ولا قنفذ وذلك لمكان الافاعي بها انها تأكله ^(٩٣), ثم مضى الى ارض الدوار فافتتحها وافتتح بستانه وما يليها ^(٩٤), وصالحه صاحب الزجج ^(٩٥), واقام بها في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ففتح بها فتوحا عظيمة ^(٩٦), وفي سنة (٤٢ هـ) وجه عبد الله بن عامر بن كريز والصحابي الجليل عبد الرحمن

**عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His (٦٦٩/ هـ م)
Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)**

بن سمرة بن حبيب الى سجستان ومعه في تلك الحسن بن ابي الحسن والمهلب بن ابي صفرة وفطري بن الفجاءه فافتتح زرنج وكورا من كورسجستان ^(٩٧) , وفي سنة (٤٣ هـ) فتح عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب الرفج وكابل وزابلستان من بلاد سجستان عندما كان اميرا على الجيش ^(٩٨) , وقيل ان سنه (٤٦ هـ) عزل الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان الصحابي الجليل عبد الرحمن بن سمرة عن سجستان وولي الربيع بن زياد مكانه ^(٩٩) , ثم رجع بعد ذلك الى البصرة ^(١٠٠) .

١١ - مرويات عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب التاريخيه

أ - مرويته يوم مؤته (٨ هـ)

حدثنا عبد الرحمن بن سمرة قال: ((وجهتي خالد بن الوليد يوم مؤته الى النبي (صل الله عليه وسلم) فلما اتيته قال لي : اسكت يا عبد الرحمن , اخذ اللواء فقاتل زيد , فرحم الله زيدا , ثم اخذ اللواء جعفر فقاتل جعفر فرحم الله جعفرآ , ثم اخذ اللواء عبد الله بن رواحه , فقاتل عبد الله فرحم الله عبد الله , ثم اخذ اللواء خالد بن الوليد , فقاتل خالد , ففتح الله لخالد)) ^(١٠١) .

ب - مرويته عن غزوة تبوك سنه (٩ هـ)

حدثنا جعفر حدثنا محمد عن عبد الله بن شوذي عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن الرحمن بن سمرة قال : (جاء عثمان بن عفان الى النبي (صل الله عليه وسلم) في غزوه تبوك وهو يتجهز الى غزوه تبوك , وفي كنه الف دينار , قصبها في حجر النبي (صل الله على وسلم) , ثم ولي , قال عبد الرحمن : فرايت النبي (صل الله عليه وسلم) يقلبها بيده في حجره ويقول : ((ماضر عثمان ماعمل بعد هذا ابدا)) ^(١٠٢) .

ج - مرويته عن مبايعة أهل العراق بعد علي (رضي الله عنه) الحسن بن علي (رضي الله عنه)

حدثنا عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب عن محمد بن سعد عن مجالد عن الشعبي قال : ((بايع أهل العراق بعد علي الحسن بن علي, فارسل الحسن بن علي بن عبد الله بن الحارث إلى معاوية , فارسل معاوية عبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب فقدموا المداخن إلى الحسن بن علي (رضي الله عنه) فأعطياه ما أراد ووثقا له)) (١٠٣) .

١٢ - مساهماته في رواية وتدوين الحديث النبوي الشريف

بعد أن استكمل عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب تعليمه على يد النبي (صل الله عليه وسلم) والصحابي الجليل معاذ بن جبل (رضي الله عنه) وأصبحت له مكانة بينهم وصار له مكان يجلس فيه ويحدث فيه ويروي الحديث لتلاميذه , فضلا عن تعليم تلاميذه الفقه والاسناد والافتاء وسلسلة الرواة وبيان الصحيح من الضعيف والحسن والمتصل عن المنقطع والموقوف وسوف أذكر حديثين فقط من الأحاديث التي رواها عبد الرحمن بن سمرة وبعد ذلك أذكر اسم الحديث فقط لعدم الأطاله بالبحث .

١ - حديث الأماره :

حدثنا جرير بن حازم عن الحسن بن عبد الرحمن بن سمرة , قال : ((قال لي رسول الله (صل الله عليه وسلم) يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة , فانك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها , وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها , فكفر عن يمينك وانت الذي هو خير (١٠٤))) .

٢- حديث الوضوء والغسل يوم الجمعة :

حدثنا ابو مره عن الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة قال : ولا اعلمه الا عن النبي (صل الله عليه وسلم) قال : ((من توجها يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالفعل افضل^(١٠٥)،

٣- حديث اليمين .^(١٠٦)

٤- حديث الشهادة .^(١٠٧)

٥- حديث كسوف الشمس .^(١٠٨)

٦- حديث الحلف بالطواغي والاباء .^(١٠٩)

٧- حديث النهب .^(١١٠)

٨- حديث الدعاء .^(١١١)

٩- حديث الدعاء بالكسوف .^(١١٢)

١٠- حديث المطر .^(١١٣)

١١- حديث النذر بالمعصية .^(١١٤)

١٢- حديث الأمراء .^(١١٥)

١٣- حديث مشي الرجل الى الرجل وقتله .^(١١٦)

١٤- حديث البر .^(١١٧)

١٥- حديث الرعية .^(١١٨)

١٦- حديث العطش .^(١١٩)

١٧- حديث نصره الاسلام .^(١٢٠)

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)
١٣ - وفاته

اختلف المؤرخين في سنة وفاة الصحابي الجليل عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب ، اذ ذكر ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ) ، وخليفه بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) ، والبستي (ت ٣٥٤ هـ) ، والرعي (ت ٣٧٩ هـ) ، والكلاباذي (ت ٣٩٨ هـ) ، والاصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) ، والقرطبي (ت ٤٦٣ هـ) ، وابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ) ، والنويري (ت ٦٧٦ هـ) ، والمزي (ت ٧٤٢ هـ) ، والذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، وابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، وصفي الدين (ت ٩٢٣ هـ) ، أن سنة وفاته (٥٠ هـ / ٦٦٩ م) (١٢١) ، اما القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) ، ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ) ، والنووي (ت ٦٧٦ هـ) ، وابن منظور الانصاري (ت ٧١١ هـ) ، والذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، وابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، فجعلوا سنة وفاته (٥١ هـ / ٦٧٠ م) (١٢٢) ، في حين ذكر ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ) ، والنووي (ت ٦٧٦ هـ) ، ابن منظور الانصاري (ت ٧١١ هـ) ، والمزي (ت ٧٤٢ هـ) ، وابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) انه توفي بمرور (١٢٣) ، لكن اغلب المصادر تؤكد صحة الرأي الأول بأنه توفي بالبصرة سنة (٥٠ هـ) ، وذكر عينية بن عبد الرحمن قائلاً : ((شهدت جنازة عبد الرحمن بن سمرة ، وخرج زياد يمشي بين يدي سريره ورجال ، يستقبلون السرير رويداً ، يمشون على اعقابهم ، ويقولون : رويداً ، بارك الله فيكم يدبون ديبياً ، حتى اذا كنا في بعض طريق المرید لحقنا ابو بكره على بغله ، فلما رأى اولئك وما يصنعون حمل عليهم بغلته ، واهوى اليهم بسوطه ، وقال : خلوا ، فو الذي نفسي بيده لقد رأيتنا مع رسول الله (صل الله عليه وسلم) وانا نكاد نرسل بها رملاً ، فأسرعوا المشي وأسرع زياد المشي)) (١٢٤) .

الخاتمة

من خلال دراستنا لشخصية الصحابي الجليل عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب تبين لي جملة من النتائج هي:

- ١- أنه كان من قبيلة قريش ويرجع نسبه الى بني عبد مناف بن قصي .
- ٢- تعد ولادته بالبصرة وهي من أهم المراكز العلمية للفكر الاسلامي آنذاك .
- ٣- يعده العلماء من الطبقة السادسة من الصحابة .
- ٤- اشهر شيخه الذي تتلمذ على يده هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل (ر ض) .
- ٥- يعده العلماء بأنه ثقة ومن التابعين .
- ٦- تبين لنا ان الصحابي الجليل عبد الرحمن بن سمرة كان في البدايه اميرا على الجيش ثم اصبح بعد ذلك قائدا للجيش .
- ٧- روى الاحاديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) .

الهوامش :-

- ١- ابن سعد ، طبقات الكبرى ، ١ / ٣٢٢ ؛ تاريخ خليفة بن خياط ، ١ / ١١ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ٢٥ / ٢٤٢ ؛ البستي ، الثقات ، ٢ / ٢٥٥ ؛ الكلاباذي ، الهداية والأرشاد ، ١ / ٢٣٩ ؛ الأصبهاني ، معرفة الصحابة ، ٤ / ١٨١٦ ؛ القرطبي ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٢ / ٨٣٥ ؛ البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٢٣ / ٥٤١ ؛ الأندلسي ، التعديل والجرح لمن خرج له البخاري ، ٢ / ٨٥٩ ؛ ابن عساكر ، مختصر تاريخ دمشق ، ١٤ / ٢٦٠ ؛ ابن الأثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣٤ / ٤١٠ ؛ النووي ، تهذيب الأسماء واللغات ، ١ / ٢٩٦ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ١ / ٥٧ ؛ الذهبي ، الكاشف لمن له رواية ، ١ / ٦٣٠ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢ / ٥٧٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٢ / ٤٩١ ؛ ابن ناصر الدين ، توضيح المجتمع ، ٢ / ٢٨٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الأصابة في تمييز الصحابة ، ٤ / ١٦١ ؛ صفي

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

الدين , خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في اسماء الرجال , ١ / ٢٢٨ ؛ الزركلي الاعلام , ٣ / ٣٠٧ .

- ٢- ابن سعد , الطبقات الكبرى , ١ / ٣٢٢ ؛ البستي , الثقات , ٣ / ٢٤٩ ؛ الكلاباذي , الهداية والأرشاد , ١ / ٤٣٩ ؛ الأندلسي , التعديل والجرح لمن خرج له البخاري , ٢ / ٨٥٩ ؛ أبن عساكر , مختصر تاريخ دمشق , ١٤ / ٢٦٢ ؛ اسد الغابة في معرفة الصحابة , ٣٤ / ٣١٤ ؛ النووي , تهذيب الأسماء واللغات , ١ / ٢٩٧ ؛ المزي , تهذيب الكمال , ١٧ / ١٥٨ ؛ الذهبي , سير اعلام النبلاء , ٢ / ٥٧٢ ؛ الذهبي , تاريخ الأسلام , ٢ / ٤١٩ ؛ أبن حجر العسقلاني , الأصابة في تمييز الصحابة , ٤ / ١٦١ .
- ٣- أبن عساكر , مختصر تاريخ دمشق , ١٤ / ٢٦٢ ؛ النووي , تهذيب الاسماء واللغات , ١ / ٢٩٧ .
- ٤- البستي , والثقات , ٣ / ٢٤٩ ؛ الكلاباذي , الهداية والأرشاد , ١ / ٤٣٩ ؛ المزي , تهذيب الكمال , ١٧ / ١٥٨ ؛ أبن حجر العسقلاني , الأصابة في تمييز الصحابة , ٤ / ١٦١ .
- ٥- أبن سعد , الطبقات الكبرى , ٧ / ٢٦٠ ؛ البستي , والثقات , ٣ / ٢٤٩ ؛ الكلاباذي , الهداية والأرشاد , ١ / ٤٤٢ ؛ أبن عساكر , مختصر تاريخ دمشق , ١٤ / ٢٦٢ ؛ النووي , تهذيب الأسماء , ١ / ٢٩٧ ؛ المزي , تهذيب الكمال , ١٧ / ١٥٨ ؛ الذهبي , تاريخ الأسلام , ٢ / ٤١٩ ؛ ابن حجر , الأصابة في تمييز الصحابة , ٤ / ١٦١ .
- ٦- أبن سعد , الطبقات الكبرى , ٧ / ٢٦٠ ؛ البستي , والثقات , ٣ / ٢٤٩ ؛ الكلاباذي , الهداية والأرشاد , ١ / ٤٣٩ ؛ الأندلسي , التعديل والجرح , ٢ / ٨٥٩ ؛ أبن عساكر , مختصر تاريخ دمشق , ١٤ / ٢٦٢ ؛ النووي , تهذيب الأسماء , ١ / ٢٩٧ ؛ المزي , تهذيب الكمال , ١٧ / ١٥٨ ؛ الذهبي , تاريخ الأسلام , ٤ / ٤١٩ ؛ سير اعلام النبلاء , ٢ / ٥٧٢ ؛ أبن حجر العسقلاني , الأصابة في تمييز الصحابة , ٤ / ١٦١ ؛ الزركلي , الاعلام , ٣ / ٣٠٧ .
- ٧- أبن سعد , الطبقات الكبرى , ٧ / ٢٦٠ ؛ ابن الاثير , اسد الغابة في معرفة

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

الصحابة ، ٣٤ / ٤١١ .

- ٨- أبن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ٥٩ ؛ البخاري ، التاريخ الأوسط ، ١ / ٣٠٦ ؛ البخاري ، التاريخ الصغير ، ١ / ٣٤١ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ٥ / ٢٤٢ ؛ البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، ١ / ٧٧ ؛ ابن منجويه ، رجال صحيح مسلم ، ١ / ٤٠٢ ؛ البغدادي ، المتفق والمفترق ، ٣ / ١٧٨٦ .
- ٩- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ٣٦٦ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ٩ / ٢٠٤ ؛ ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢ / ٥٧١ ؛ صفى الدين ، خلاصة تهذيب تهذيب الكمال ، ١ / ٢٢٨ .
- ١٠- ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفه الصحابة ، ٥ / ٥٥٥ .
- ١١- الكلاباذي ، الهداية والأرشاد ، ١ / ٤٣٩ .
- ١٢- ابن عساكر ، مختصر تاريخ دمشق ، ١٤ / ٢٦٥ ؛ النووي ، تهذيب الأسماء ، ١ / ٢٩٦ .
- ١٣- الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢ / ٤٧ .
- ١٤- أبن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١ / ١٧٦ ؛ البستي ، الثقات ، ٢ / ٢٤٩ ؛ النووي ، تهذيب الأسماء واللغات ، ١ / ٢٩٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الأسلام ، ٢ / ٤١٩ .
- ١٥- النووي ، تهذيب الأسماء ، ١ / ٢٩٦ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢ / ٥٧١ ؛ الذهبي ، تاريخ الأسلام ، ٢ / ٤١٩ .
- ١٦- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ٣٦٦ ؛ الأصبهاني معرفه الصحابة ، ٤ / ١٨٦١ . ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣٤ / ٤١١ .
- ١٧- تاريخ خليفة بن خياط ، ١ / ١١ ؛ الاصبهاني معرفة الصحابة ، ٣٤ / ٤١٣ .
- ١٨- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ٣٦٦ ؛ ٧ / ٣٦٦ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ١٧ / ١٥٩ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الأصابة في تمييز الصحابة ، ٤ / ٢٦٢ .
- ١٩- البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، ١ / ٧٧ ؛ الأصفهاني ، معرفه الصحابة ، ٣٤ / ٤١٣ .

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

- ٤ / ١٨١٦ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢ / ٨٣٥ ؛ البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٢٣ / ٥٤١ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الأصابة في تمييز الصحابة ، ٤ / ٢٦٢ .
- ٢٠ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٢ / ١٧٦ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣٤ / ٤١١ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ١٧ / ١٥٩ .
- ٢١ - البستي ، الثقات ، ٣ / ٢٩٤ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ١٧ / ١٥٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٢ / ٤١٩ .
- ٢٢ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢ / ٥٧٢ ؛ تاريخ الاسلام ، ٢ / ٤١٩ .
- ٢٣ - الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٢ / ٥٧٢ .
- ٢٤ - البخاري ، التاريخ الكبير ، ٥ / ٢٤٢ .
- ٢٥ - طبقات خليفة بن خياط ، ١ / ١١ ؛ النووي ، تهذيب الاسماء ، ١ / ٢٩٧ .
- ٢٦ - النووي ، تهذيب الاسماء ، ١ / ٢٩٧ .
- ٢٧ - القرطبي ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، ٢ / ٨٣٥ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الأصابة في تمييز الصحابة ، ٤ / ٢٦٢ .
- ٢٨ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٢٢ ، طبقات خليفة بن خياط ، ١ / ١١ ؛ الاصبهاني ، معرفة الصحابة ، ٤ / ١٨١٦ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ١٧ / ١٥٩ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الأصابة في تمييز الصحابة ، ٤ / ٢٦٢ ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢ / ٥٧٢ .
- ٢٩ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٢٢ ؛ الاصبهاني ، معرفة الصحابة ، ٤ / ١٨١٦ ؛ القرطبي ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، ٢ / ٨٣٥ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الأصابة في تمييز الصحابة ، ٤ / ٢٦٢ .
- ٣٠ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١ / ١٧٧ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣٤ / ٤١١ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ١٧ / ١٥٩ .
- ٣١ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١ / ١٧٦ ؛ الاصبهاني ، معرفة الصحابة ، ٤ / ١٨١٦ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣٤ / ٤١١ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ١٧ / ١٥٩ .
- ٣٢ - الاصبهاني ، معرفة الصحابة ، ٤ / ١٨١٦ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة في

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

- معرفة الصحابة ، ١٨١٦/٤ .
- ٣٣ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣٢٢/١ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ٢٤٢/٥ ،
الكلاباذي ، الهداية والأرشاد ، ١ / ٤٣٩ ؛ القرطبي ، الاستيعاب في
معرفة الاصحاب ، ٨٣٥/٢ .
- ٣٤ - النووي ، تهذيب الاسماء ، ٢٩٦/١ .
- ٣٥ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٧٧/١ ؛ القرطبي ، الاستيعاب في معرفة
الاصحاب ، ٨٣٥/٢ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤١٩/٤ .
- ٣٦ - المزي ، تهذيب الكمال ، ١٥٩/١٧ .
- ٣٧ - المزي ، تهذيب الكمال ، ١٦٠/١٧ .
- ٣٨ - العجلي ، تاريخ الثقات ، ٣٩٧/١ .
- ٣٩ - طبقات خليفه بن خياط ، ١١/١ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة
الصحابة ، ٣٤ / ٤١١ .
- ٤٠ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٤٣٧ / ٣ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ،
٣٥٩ / ٧ ؛ التاريخ الصغير ، ١ / ٤١ ؛ البغدادي ، معجم الصحابة ،
٣ / ٢٤ ؛ الاصبهاني ، معرفة اسامي ارداف النبي (صل الله عليه وسلم) ،
١ / ٣٨ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٥٨ / ٣٨٦ ؛ ابن كثير ، التكميل في
الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ، ١ / ٤٥ ؛
الزركلي ، الأعلام ، ٧ / ٢٥٨ .
- ٤١ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٤٣٧ / ٣ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ،
٥٨ / ٣٨٣ .
- ٤٢ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٤٣٧ / ٣ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ،
٣٥٩ / ٧ .
- ٤٣ - المزي ، تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، ١٠ / ١٥٧ ؛ ابن منده ،
فتح الباب في الكنى والالقباب ، ١ / ٤٧٥ ؛ الأزدي ، المؤلف والمختلف
في اسماء نقله الحديث واسماء ابائهم واجدادهم ، ١ / ٢٠٥ ؛ أبن العماد
الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ١ / ٥٣ .
- ٤٤ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣ / ٤٣٧ ؛

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

٤٥- ابن كثير ، التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل
 ١ / ٤٥ .

٤٦- ابن حجر العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ٦ / ١٠٩ .

٤٧- البخاري ، التاريخ الكبير ، ١ / ٤١ .

٤٨- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣ / ٤٣٧ ؛ الاصبهاني ، سير السلف

الصالحين ، ١ / ٦٤٦ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٥٨ / ٣٨٣ ؛

الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٣ / ٢٩٦ .

٤٩- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣ / ٤٣٧ ؛ الاصبهاني ، سير السلف

الصالحين ، ١ / ٦٤٦ .

٥٠- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢ / ٢٦٤ ؛ الاصبهاني ، سير الصالحين

١ / ٦٤٦ .

٥١- ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٥٨ / ٣٨٣ .

٥٢- المرزبان ، معجم الصحابة ، ٥ / ٢٦٥ .

٥٣- البخاري ، التاريخ الاوسط ، ١ / ٧٤ ؛ التاريخ الصغير ، ٧ / ٣٥٩ ؛

الربيعي ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، ١ / ١٠٣ ؛ ابن الاثير ، اسد

الغابة في معرفة الصحابة ، ٥ / ١٨٧ .

٥٤- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ٢٦١ ؛ خليفة بن خياط ، ١ / ٣٧٦ ؛

البخاري ، التاريخ الكبير ، ٣ / ٤٥٦ ؛ ابن ماكولا ، الأكمال في رفع

الأرتياب عن المؤلف والمؤلف في الاسماء والكنى والأنساب ،

٢ / ٢٠٥ ؛ الربيعي ، تاريخ مولد العلماء ، ١ / ٣٦٣ ؛ الجياني

تقييد المهمل وتمييز المشكل ، ١ / ١٨٢ .

٥٥- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ٢٦١ ؛ خليفة بن خياط ، ١ / ٣٧٦ ؛

الربيعي ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، ١ / ٣٧٦ ؛ الجياني

تقييد المهمل وتمييز المشكل ، ١ / ١٨٢ .

٥٦- ابن ناصر الدين ، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الراوة ،

٢ / ٢٨٧ .

٥٧- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢ / ٢١٨ .

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His
Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

- ٥٨- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ٢٦١ .
- ٥٩- خليفة بن خياط ، ١ / ٣٧٦ .
- ٦٠- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ٢٦١ .
- ٦١- خليفة بن خياط ، ١ / ٣٧٦ .
- ٦٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ٢٦١ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ٣ / ٤٥٦ ؛ الربيعي ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، ١ / ٣٣٦ .
- ٦٣- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ٢٦١ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ٣ / ٤٥٦ ؛ ابن ماكولا ، الأكمال في رفع الأرتياب عن المؤلف والمختلف في الاسماء والكنى والأنساب ، ٢ / ٢٠٨ .
- ٦٤- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ١٥٦ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ٢ / ٢٥٠ ؛ ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٣ / ١٠٢٣ ؛ النووي ، تهذيب الاسماء واللغات ، ١ / ١٦١ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ٢ / ٧٢ ؛ الذهبي ، الكاشف لمن خرج له البخاري روايه ، ١ / ٣٢٤ ؛ ابو زرعه ، المدلسين ، ٢ / ٤٢ .
- ٦٥- ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ٢ / ٧٢ .
- ٦٦- النووي ، تهذيب الاسماء واللغات ، ١ / ١٦١ .
- ٦٧- النووي ، تهذيب الاسماء واللغات ، ١ / ١٦١ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٢ / ١٩١ .
- ٦٨- النووي ، تهذيب الاسماء واللغات ، ١ / ١٦١ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٢ / ١٩١ .
- ٦٩- النووي ، تهذيب الاسماء واللغات ، ٨ / ١٦ .
- ٧٠- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٧٢ .
- ٧١- الذهبي ، الكاشف لمن خرج له البخاري ، ١ / ٣٢٤ .
- ٧٢- الذهبي ، الكاشف لمن خرج له البخاري ، ١ / ٣٢٤ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٢ / ١٩٠ .
- ٧٣- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٧٢ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٢ / ١٩٠ ؛ ابو زرعه ، المدلسين ، ٢ / ٤٢ .

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

- ٧٤ - ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، ٢ / ٧٢ .
- ٧٥ - ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، ٢ / ٧٢ ؛ الذهبي ، الكاشف لمن خرج له البخاري ، ١ / ٣٢٤ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٢ / ١٩١ ؛ ابو زرعه ، المدلسين ، ٢ / ٤٢ .
- ٧٦ - الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٢ / ١٩١ .
- ٧٧ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ١٧٣ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ٢ / ٣٤٦ ؛ العجلي ، معرفة النقاة ، ١ / ٣٢٥ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٤ / ١٧٤ ؛ البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، ١ / ١٥٠ ؛ ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ٣ / ٢٦٠ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٣ / ٢٨٨ ؛ الذهبي ، من تكلم فيه وهو موثوق أو صالح الحديث ، ١ / ١٨٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ٧ / ٢٠٥ ؛ صفي الدين ، خلاصه تهذيب الكمال ، ١ / ٩٥ .
- ٧٨ - البخاري ، التاريخ الكبير ، ٣ / ٣٦٩ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٦ / ٣٢٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ٣ / ٥٤٤ .
- ٧٩ - البخاري ، التاريخ الأوسط ، ١ / ٢٧٠ ؛ صفي الدين ، خلاصة التهذيب الكمال في اسماء الرجال ، ١ / ١٣٧ .
- ٨٠ - ابن كثير ، التكميل في الجرح والتعديل ، ٢ / ٦٨ .
- ٨١ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١ / ٢٠٤ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ٥ / ٤٠٣ ، خليفه بن خياط ، ١ / ٨٤ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٣ / ٢٠٧ - ٢٠٨ .
- ٨٢ - الأصفهاني ، معرفة الصحابة ، ٣ / ١٧٠٠ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٣ / ٢٠٧ - ٢٠٨ ؛ ابن الأثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣ / ٢٩٢ .
- ٨٣ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٦ / ١٦٨ ؛ البخاري ، التاريخ الأوسط ، ١ / ١٨٠ ؛ البستي ، مشاهير علماء الامصار ، ١ / ١٦٤ ؛ الكلاباذي ، الهداية والارشاد ، ١ / ٤٦٠ ؛ البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١١ / ٤٥٥ ؛ الذهبي ، الكاشف ، ١ / ٦٤١ .

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

- ٨٤- الطبقات الكبرى ، ١ / ١٢٦ ؛ البخاري ، التاريخ الأوسط ، ٧ / ٢٦ ؛
 البستاني ، مشاهير علماء الأمصار ، ٢ / ١٤٠ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ،
 ٣ / ٤٦٧ .
- ٨٥- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ٢١٣ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ،
 ٧ / ٢٥١ ، الأزدي ، ذكر اسم كل صحابي روى عن الرسول (ص) ،
 ١ / ٢٥٣ ؛ الأزدي ، المؤلف والمختلف ، ١ / ٣٧٧ ؛ ابن ماكولا ،
 الأكمال في رفع الأرتياب ، ٧ / ١٤٩ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ،
 ٥ / ٢٩٩ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ٢٤ / ٢٥٠ ؛ ابن حجر ، العسقلاني ،
 لسان الميزان ، ٩ / ٤٨١ .
- ٨٦- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ١٥٤ ؛ الربيعي ، تاريخ مولد العلماء
 ووفياتهم ، ١ / ٢٦٤ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٥ / ٣٤٩ ؛ ابن خلكان ،
 وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ، ٤ / ١٨٢ ؛ الذهبي الكاشف ،
 ٢ / ١٧٨ ؛ ابن العماد الحمبلي ، شذرات الذهب في أخبار من الذهب ،
 ١ / ١٣٢ .
- ٨٧- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٤٨ ؛ تاريخ خليفة بن خياط ،
 ١ / ٤٠٥ ؛ ابن يونس ، تاريخ ابن يونس المصري ، ٢ / ٢٣٠ .
- ٨٨- المزي ، تهذيب الكمال ، في أسماء الرجال ، ٣٠ / ٢٩٠ ، مغلطي ،
 أكمل تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ١٢ / ١٦١ ؛ ابن حجر العسقلاني
 ، لسان الميزان ، ١ / ٤٤٧ .
- ٨٩- ابن الأثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣ / ٤٥٠ ؛ النووي ، تهذيب
 الأسماء ، ١ / ٢٩٧ .
- ٩٠- ابن سعد الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٢٢ ؛ ابن حجر ، الأصابة في تمييز
 الصحابة ، ٤ / ٢٦٢ .
- ٩١- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٢٢ ؛ ابن حجر ، الأصابة في تمييز
 الصحابة ، ٤ / ٢٦٢ .
- ٩٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٢٢ ؛ تاريخ خليفة بن خياط ،

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

- ١ / ٤١ : القرطبي ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، ٢ / ٨٣٥ .
- ٩٣- ابن عساكر ، مختصر تاريخ دمشق ، ١٤ / ٢٦٢ ؛ ابن الأثير ،
 اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٢٥ / ٢٥٩ .
- ٩٤- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٥ / ٣٤ ؛ ابن الأثير ، اسد الغابة في
 معرفة الصحابة ، ٢٥ / ٢٥٩ .
- ٩٥- البستي ، النقات ، ٢ / ٢٥٥ ؛ ابن الأثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ،
 ٣٤ / ٤١٦ .
- ٩٦- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ٢٦٠ ؛ القرطبي ، الاستيعاب في
 معرفة الاصحاب ، ٢ / ٨٣٥ ؛ ابن الأثير ، اسد الغابة في معرفة
 الصحابة ، ٣ / ٤١١ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ١٧ / ١٥٩ ؛
 ابن حجر العسقلاني ، الاصابة في تمييز الاصابه ، ٤ / ٢٦٣ .
- ٩٧- ابن الأثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣٤ / ٤٦١ .
- ٩٨- النووي ، تهذيب الاسماء ، ١ / ٢٩٧ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ،
 ١٧ / ١٥٩ ؛ الذهبي ، الكاشف ، ١ / ٩٣٠ ؛ الذهبي ،
 سير اعلام النبلاء ، ٢ / ٢٧٢ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الاصابة في تمييز
 الصحابه ، ٤ / ٣٦٣ ؛ صفى الدين ، خلاصه تذهيب ، ١ / ٢٢٨ .
- ٩٩- ابن الأثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣٤ / ٤٦١ .
- ١٠٠- مختصر تاريخ دمشق ، ١٤ / ٢٦٢ .
- ١٠١- ابن عساكر ، مختصر تاريخ دمشق ، ١٤ / ٢٦١ ؛ ابن الأثير ، اسد الغابة
 في معرفة الصحابة ، ٣٤ / ٤٠٨ .
- ١٠٢- احمد بن حنبل ، مسند احمد بن حنبل ، ١ / ٥١٥ .
- ١٠٣- ابن عساكر ، مختصر تاريخ دمشق ، ١٤ / ٢٦٢ ؛ ابن الأثير ، اسد
 الغابة في معرفة الصحابة ، ٣٤ / ٤١٤ .
- ١٠٤- مسند احمد بن حنبل ، ٥ / ٥١٥ .
- ١٠٥- ابي داود ، سنن ابي داود ، ٣ / ١٣٠ ، رقم الحديث (٢٩٢٩) ؛
 الترمذي ، سنن الترمذي ، ٣ / ١٥٨ ، رقم الحديث (١٥٢٩) ؛
 النسائي ، سنن النسائي ، ٨ / ٦١٦ ؛ رقم الحديث (٩٩ ٥٣) .

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

- ١٠٦- ابي داود , مسند ابي داود , الطيالسي , ٢ / ٦٨٨ ؛ رقم الحديث , (١٤٤٧) .
- ١٠٧- ابي داود , مسند ابي داود , الطيالسي , ٢ / ٦٨٩ ؛ رقم الحديث , (١٤٧٤) ؛ ابن ابي شيبه, مسند ابن ابي شيبه , ٣ / ٤١٩ , رقم الحديث , (١٢٤٣٥) ؛ ابن حنبل , مسند احمد بن حنبل , ٥ / ٦٢ ؛ رقم الحديث , (٢٠٨٩٤) .
- ١٠٨- ابن ماجه , سنن ابن ماجه , ٢ / ١٢٤٧ , رقم الحديث , (١٢٨) ؛ البيهقي , شعب الايمان , ١ / ١٤٧ ؛ رقم الحديث , (١٢٨) .
- ١٠٩- احمد بن حنبل , مسند احمد بن حنبل , ٥ / ٦١ ؛ رقم الحديث , (٢٠٨٩) ؛ مسلم , صحيح مسلم , ٢ / ٦٢٩ ؛ رقم الحديث , (٩١٣) .
- ١١٠- احمد بن حنبل , مسند احمد بن حنبل , ٥ / ٦٢ ؛ رقم الحديث , (٢٠٩٠٠) ؛ مسلم , صحيح مسلم , ٣ / ١٢٦٨ ؛ رقم الحديث , (١٦٤٨) .
- ١١١- احمد بن حنبل , مسند احمد بن حنبل , ٥ / ٦٢ ؛ رقم الحديث , (٢٠٩٠٢) ؛ ابي داود , سنن ابي داود , ٣ / ٦٦ ؛ رقم الحديث , (٢٧٠٣) .
- ١١٢- ابن ابي شيبه, مصنف ابن ابي شيبه, ٢ / ٤٨٦ ؛ رقم الحديث , (٨٥٣١) .
- ١١٣- ابن ابي شيبه, مصنف ابن ابي شيبه, ١٠ / ٣٧٩ ؛ رقم الحديث , (٣٠٢٩٢) .
- ١١٤- مسند احمد بن حنبل , ٥ / ٦٢ , رقم الحديث , (٢٠٨٩٦) .
- ١١٥- النسائي , سنن النسائي , ٧ / ٣٧ ؛ رقم الحديث , (٣٨٥٩) .
- ١١٦- الطبراني , المعجم الاوسط , ٤ / ٢٢٢ , رقم الحديث , (٤٠٣٥) .
- ١١٧- الطبراني , المعجم الاوسط , ٢ / ٢٨٣ ؛ رقم الحديث , (١٩٩٤) .
- ١١٨- الطبراني , المعجم الاوسط , ٥ / ١٣٩ , رقم الحديث , (٤٨٩١) .
- ١١٩- ابن سلامه , مسند الشهاب , ٢ / ٢١ , رقم الحديث , (٨٠٤) .
- ١٢٠- الجرجاني , ترتيب الامالي الخميسية , ١ / ٣٨٣ , رقم الحديث ,

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ / ٦٦٩ م)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His
Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

- (١٣٦٧) ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال في سنن الاقوال ، ١ / ٣٩٣ .
- ١٢١- الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٢٢ ؛ طبقات خليفة بن خياط ، ١ / ١١ ؛
الثقات ، ٣ / ٢٤٩ ؛ تاريخ مولد العلماء ، ١ / ١٤٩ ؛ الهداية والارشاد ،
١ / ٤٣٩ ؛ معرفة الصحابة ، ٤ / ١٨١٦ ؛ الاستيعاب في معرفة
الاصحاب ، ٢ / ٨٣٥ ؛ اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣ / ٤٥٠ ؛
تهذيب الاسماء ، ١ / ٢٩٧ ؛ تهذيب الكمال ، ١٧ / ١٥٩ ؛ سير اعلام
النبلاء ، ٢ / ٥٧٢ ؛ الاصابة في تمييز الصحابة ، ٤ / ٢٦٣ ؛ خلاصة
تهذيب ، ١ / ٢٢٨ .
- ١٢٢- الاستيعاب ، ٢ / ٨٣٥ ؛ اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣ / ٤٥٠ ؛
تهذيب الاسماء ، ١ / ٢٩٧ ؛ مختصر تاريخ دمشق ، ١٤ / ٢٦٢ ؛
تهذيب الكمال ، ١٧ / ١٥٨ ؛ تاريخ الاسماء ، ٢ / ٤١٩ ؛ الاصابة في
تمييز الصحابة ، ٤ / ٢٦٣ .
- ١٢٣- اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣ / ٤٥٠ ؛ تهذيب الاسماء ، ١ / ٢٩٧ ؛
مختصر تاريخ دمشق ، ١٤ / ٢٦٢ ؛ تهذيب الكمال ، ١٧ / ١٥٩ ؛
الاصابة في تمييز الصحابة ، ٤ / ٢٦٣ .
- ١٢٤- ابن منظور الانصاري ، مختصر تاريخ دمشق ، ١٤ / ٢٦٣ .

قائمة المصادر

- القرآن الكريم

- ١- ابن الاثير ، ابو، الحسن علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠ هـ) اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : علي محمد وعادل عبد الموجود ، ط/١ ، دار الكتب العلمية ، (د ٠ م - ١٩٩٤) .
- ٢- احمد بن حنبل ، ابو عبدالله احمد (ت ٢٤١ هـ) ، مسند الامام احمد بن حنبل، تحقيق : شعيب الارنؤوط وعادل مرشد وآخرون ، ط / ١ ، مؤسسة الرساله ، (د ٠ م - ٢٠٠٢) .
- ٣- الاصبهاني ، ابو نعيم احمد بن عبدالله بن اسحاق (ت ٤٣٠ هـ) ، معرفة الصحابه ، تحقيق : عادل بن يوسف ، دار الوطن للنشر ، (الرياض - ١٩٩٨) .
- ٤- الازدي ، ابو الفتح محمد بن الحسين الموصلي (ت ٣٧٤ هـ) ، ذكر اسم كل صحابي روى عن الرسول (ص) امرا او نهيا ومن بعده من التابعين وغيرهم ممن لا اخ له يوافق اسمه من نقلة الحديث من جميع الامصار ، تحقيق : ابو شاهد ضياء الحسن ، ط/١ ، دار ابن حزم ، (د ٠ م - د ت) .
- ٥- بالمتقي الهندي ، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ) ، كنز العمال في سنن الاقوال ، تحقيق : بكري حياني وصفوة السقا ، ط/٥ ، مؤسسة الرساله ، (بيروت - ١٩٨١) .
- ٦- البخاري ، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) ، التاريخ الكبير ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ، (الدكن - د ت) .
- ٧- التاريخ الاوسط ، تحقيق : محمود ابراهيم زايد ، ط/١ ، دار الوعي ، (القاهرة ١٩٩٧) .
- ٨- التاريخ الصغير ، تحقيق : محمود ابراهيم زايد ، دار المعرفة ، (بيروت - دت)

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

- ٩- البستي ، محمد بن حيان بن احمد ، (ت ٣٥٤ هـ) ، الثقات ، مراقبة محمد المعيد خان ، ط ١ ، دائرة المعارف العثمانية ، حيد اياذ ، (الهند - ١٩٧٣) .
- ١٠- مشاهير علماء الامصار واعلام فقهاء ، تحقيق حرزوت علي ابراهيم ، ط / ١ ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، (المنصوره - ٢٠٠٢) .
- ١١- البغدادي ، ابو بكر ابو بكر احمد بن علي ثابت ، (ت ٤٦٣ هـ) ، تاريخ بغداد، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط/١ ، دار المغرب الاندلسي ، (بيروت- ٢٠٠٢) .
- ١٢- المتفق والمفترق ، تحقيق : محمد صادق ايدن الحامدي ، ط/١ ، دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع ، (دمشق - ١٩٩٧) .
- ١٣- تاريخ بغداد وذيلوله ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط/١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - د.ت) .
- ١٤- البيهقي ، ابو بكر احمد بن الحسن ، شعب الايمان ، تحقيق : محمد السهيد بيوني ، ط/١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٤١٠ هـ) .
- ١٥- الترمذي ، ابي عيسى محمد بن عيسى ، (ت ٢٧٩ هـ) ، سنن الترمذي ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (د.م - د.ت) .
- ١٦- الجرجاني ، يحيى بن الحسين بن اسماعيل ، (ت ٤٩٩ هـ) ، ترتيب الاماني الخميسية للشجري ، تحقيق : محمد حسن محمد ، ط/١ ، دار الفكر العلمية ، (بيروت - ٢٠٠١) .
- ١٧- ابن الجوزي ، يوسف بن عبدالله ، (ت ٦٥٤ هـ) ، صفوة الصفوه ، تحقيق : ناصر لعل ، ط/١ ، (القاهرة - ١٤٠٨ هـ) .
- ١٨- الجياني ، ابو علي الحسين ، بن محمد الغساني ، (ت ٤٩٨ هـ) ، تقييد المهمل وتمييز المشكل ، تحقيق : علي بن محمد ، ومحمد عزيز شمس ، ط/١ ، دار عالم الفوائد ، (د.م - ٢٠٠٠) .

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

- ١٩- ابن حجر ، ابو الفضل احمد بن علي ، (ت ٨٥٢ هـ) ، الاصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عادل احمد وعلي محمد معوض ، ط/١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٤١٥ هـ) .
- ٢٠- لسان الميزان ، المحقق : دائرة المعارف النظامية الهند ، ط/٢ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، (بيروت - ١٩٧١) .
- ٢١- الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت ، (ت ٦٢٦ هـ) ، معجم الادباء ، تحقيق : احسان عباس، ط/١ ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت - ١٩٩٣) .
- ٢٢- ابن خلكان ، ابوالعباس شمس الدين احمد ، (ت ٦٨١ هـ) ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت - ١٩٠٠) .
- ٢٣- خليفه بن خياط ، ابو عمرو خليفه ، (ت ٢٤٠ هـ) ، تاريخ خليفه بن خياط ، تحقيق : اكرم ضياء العمري ، ط/٢ ، دار القلم ، مؤسسة الرساله ، (بيروت - ١٣٩٧ هـ) .
- ٢٤- ابو داود ، سليمان بن الاشعث بن اسحاق ، (ت ٢٧٥ هـ) ، سنن ابي داود ، تحقيق : محمد محي الدين ، المكتبة العصر ، (بيروت - د . ت) .
- ٢٥- ابو داود ، سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي ، (ت ٣٠٤ هـ) ، مسند ابي داود الطيالسي ، تحقيق : محمد عبد المحسن التركي ، ط/١ ، دار حجر للطباعة والنشر ، (القاهرة - ١٩٩٩) .
- ٢٦- الذهبي ، شمس الدين ابو عبدالله محمد ، (ت ٧٤٨ هـ) ، الكاشف في معرفة من له روايه في الكتب الستة ، تحقيق : محمد عوامه احمد ، ط/١ ، دار القبله للثقافه الاسلاميه ، (جده - ١٩٩٢) .
- ٢٧- المقتنى في سرد الكنى ، تحقيق : محمد صالح عبد العزيز ، ط/١ ، المجلس

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His
Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

- العلمي بالجامعة الاسلاميه ، (السعوديه - ١٤٠٨ هـ) .
- ٢٨- سير اعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعه من المحققين بأشراف الشيخ شعيب الارناؤوط ، ط/٣ ، مؤسسة الرساله ، (مصر - ١٩٨٥) .
- ٢٩- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط/١ ، دار الغرب الاسلامي ، (مصر - ٢٠٠٣) .
- ٣٠- من تكلم فيه وهو موثوق او صالح للحديث ، تحقيق : محمد شكور بن محمود ، ط/١ ، مكتبة المنار ، (الزرقاء - ١٩٨٦) .
- ٣١- الربيعي ، ابو سليمان محمد بن عبدالله (ت ٣٧٩ هـ) ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، تحقيق : عبدالله احمد سليمان ، ط/١ ، دار العاصمة ، (الرياض - ١٤١٠ هـ) .
- ٣٢- ابو زرع ، احمد بن عبد الرحيم بن الحسين ، (ت ٨٢٦ هـ) ، المدلسين ، تحقيق : رفعت فوزي عبد المطلب ، ونافذ حسين ، ط/١ ، دار الوفاء ، (د. م - ١٩٩٥) .
- ٣٣- الزركلي ، خير الدين بن محمود بن علي ، الاعلام ، ط/١٥ ، دار العلم للملايين ، (بيروت - ٢٠٠٢) .
- ٣٤- ابن سعد ، ابو عبدالله محمد ، (ت ٢٣٠ هـ) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد بن حامد السلمي ، ط / ١ ، مكتبة الصديق ، (الطائف - ١٩٩٣) .
- ٣٥- ابن سلامه ، ابو عبدالله محمد ، (ت ٤٥٤ هـ) ، مسند الشهاب ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط/٢ ، مؤسسة الرساله ، (بيروت - ١٩٨٦) .
- ٣٦- السمعاني ، عبد الكريم محمد بن منصور ، (ت ٥٦٢ هـ) ، الانساب ، تحقيق : عبد الرحمن يحيى المعلمي ، ط/١ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

، (حيدر اباد - ١٩٦٢) .

٣٧- السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي الكرم ، (ت ٩١١ هـ) ، لب الباب في تحرير

الانساب ، دار صادر ، (بيروت - د ت) .

٣٨- ابن ابي شيبه ، ابو بكر عبدالله بن محمد ، (ت ٢٣٥ هـ) ، مصنف ابن

ابي شيبه ، تحقيق : محمد عوامة ، طبعة دار القبلة ، (الهند - د ت) .

٣٩- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ابيك ، (ت ٧٦٤ هـ) ، الوافي با لوفيات ،

تحقيق : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث ،

(بيروت - ٢٠٠٠) .

٤٠- صفي الدين ، احمد بن عبدالله بن ابي الخير ، (ت ٩٢٣ هـ) ، خلاصة

تذهيب

تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، تحقيق : عبد الفتاح ابو غده ، ط/ ٥ ، دار

البشائر ، (بيروت - ١٤١٦ هـ) .

٤١- الطبراني ، سليمان بن احمد بن ايوب ، (ت ٣٦٠ هـ) ، المعجم الاوسط ،

تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، دار الحرمين ، (القاهرة - د ت) .

٤٢- العجلي ابو الحسن احمد بن عبدالله ، (ت ٢٦١ هـ) ، تاريخ الثقات ،

ط/١ ، دار الباز ، (د م - ١٩٨٤) .

٤٣- ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسين ، (ت ٥٧١ هـ) ، تاريخ مدينة

دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامه العمري ، دار الفكر للطباعة والنشر ،

(د م - ١٩٩٥) .

٤٤- ابن العماد ، عبد الحي بن احمد بن محمد ، (ت ١٠٨٩ هـ) ، شذرات

الذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق : محمد الارناؤوط ، ط/١ ، دار ابن كثير ،

(بيروت - ١٩٨٦) .

٤٥- مغلطاي ، ابن فليج بن عبدالله البكجري ، (ت ٧٦٢ هـ) ، اكمال تهذيب

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

- الكمال في اسماء الرجال ، تحقيق : ابو عبد الرحمن عادل ، ط/١ ،
دار الفاروق الحديثه للطباعة والنشر ، (د م - ٢٠٠١) .
- ٤٦- القرطبي، ابو عمر يوسف بن عبدالله ، (ت ٤٦٣ هـ) ، الاستيعاب
في معرفة الاصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط/١ ، دار الجيل ،
(بيروت - ١٩٩٢) .
- ٤٧- القرطبي ، ابو الوليد سليمان بن خلف بن سعد ، (ت ٤٧٤ هـ) ، التعديل
والجرح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ، تحقيق : ابو لبابه حسين ،
ط/١ ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، (الرياض - ١٩٨٦) .
- ٤٨- ابن كثير ، ابو الفدا اسماعيل بن عمر ، (ت ٧٧٤ هـ) ، التكميل
في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ،
تحقيق : شادي بن محمد بن سالم ط/١ ، مركز النعمان للبحوث والدراسات
الاسلامية ، (اليمن - ٢٠١١) .
- ٤٩- الكلاباذي ، احمد بن محمد بن الحسين ، (ت ٣٩٨ هـ) ، الهداياه والارشاد ،
تحقيق : عبدالله الليثي ، ط/١ ، دار المعرفة ، (بيروت - ١٤٠٧ هـ) .
- ٥٠- ابن ماجه ، ابو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، (ت ٢٧٣ هـ) ،
سنن ابن ماجه : تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء الكتب العربية ،
(د م - د ت) .
- ٥١- ابن ماكولا ، سعد الملك ابو نصر علي ، (ت ٤٧٥ هـ) ، الاكمال في رفع
الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الاسماء والكنى والانساب ، ط/١ ، دار
الكتب العلمية ، (بيروت - ١٩٩٠) .
- ٥٢- المزني ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، (ت ٧٤٢ هـ) ،
تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط/١ ،
مؤسسة الرسالة ، (بيروت)

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب دراسة في سيرته وحياته العلمية والجهادية (ت ٥٠ هـ)
Abdul_Rahman bin Samrah bin Habeeb/ His Biography, his Scholarly and Jihadic life (D 50H/ 66gc)

٥٣- مسلم ، ابن الحجاج ابو الحسن ، (ت ٢٦١ هـ) ، المسند الصحيح المختصر

بنقل العدل عن العدل الى رسول الله (ص) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت - ٥٠ ت)

٥٤- ابن منجويه ، احمد بن علي بن محمد بن ابراهيم ، (ت ٤٢٨ هـ) ، رجال صحيح مسلم ، تحقيق : عبدالله اللبني ، ط/ ١ ، دار المعرفة ، (بيروت) .

٥٥- ابن منصور ، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل ، (ت ٧١١ هـ) ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، تحقيق : روحه النحاس ،

رياض عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (دمشق - ١٩٨٤) .

٥٦- ابن ناصر الدين ، محمد بن عبدالله بن محمد الدمشقي ، (ت ٨٤٢ هـ) ، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة وانسابهم والقابهم وكناهم ، تحقيق : محمد نعيم ، مؤسسة الرساله ، (بيروت - ١٩٩٣) .

٥٧- النووي ، ابو زكريا محي الدين يحيى ، (ت ٦٧٦ هـ) ، تهذيب الاسماء واللغات ، تعليق شركة العلماء ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ٥٠ ت) .

٥٨- النسائي ، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب ، (ت ٣٠٣ هـ) ، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث ، ط/ ٥ ، دار المعرفة ، (بيروت - ١٤٢٠ هـ) .

٥٩- ابن يونس ، عبد الرحمن بن احمد الصدي ، (ت ٣٤٧ هـ) ،

تاريخ ابن يونس المصري ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٤٢١ هـ) .

**الأسرة في بلاد الرافدين من
الناحية القانونية**

أ.م.د. عماد طارق توفيق

قسم التاريخ/ كلية التربية للبنات

جامعة بغداد

الأسرة في بلاد الرافدين من الناحية القانونية

أ.م.د. عماد طارق توفيق

المقدمة :

تعد العائلة والأسرة اللبنة الأساسية لتكوين المجتمع، ومن مجموعها ينشأ المجتمع، لذا فصلاحيها يعني صلاحه، وفسادها يعني العكس ويقود إلى تفككه^(١).

وعليه، فقد عمل الملوك والمصلحون منذ وقت مبكر من تاريخ العراق القديم على تنظيم العائلة ووضع ضوابط العلاقة بين أفرادها بعضهم مع بعض، وسنوا القوانين والتشريعات بهذا الخصوص، وأولوا لها غالبية المواد القانونية، فعلى سبيل المثال لا الحصر خصص الملك البابلي حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) ما يقرب من مئة مادة قانونية لتنظيم ومعالجة شؤون الأسرة أو العائلة. أما القوانين الآشورية فقد خصصت ما يقرب من نصف موادها له^(٢).

إن القوانين ضرورية في تنظيم المجتمع وتثبيت حقوق وواجبات أفرادها، ولذلك اهتم الملوك بها بوصفها من صنع الآلهة وبأمرها، ولذلك نسبوا قوانينهم لها بوصفها تضي الشرعية والتقديس عليها^(٣).

وكفلت القوانين الخطوات الأولى لقيام الأسرة، أي الخطوبة ومتعلقاتها مروراً بالشؤون الخاصة بالمرأة وعلاقتها بالرجل، ثم مرحلة الزواج والإنجاب وصولاً إلى الإرث والتبني والطلاق.

الخطوبة:

هي مرحلة تمهيدية عالجتها القوانين أحكامها وشروطها التي لخصتها بتحقيق أمرين: أولهما رضا والد الفتاة، والآخر تقديم هدايا الخطوبة والأموال وهو ما أطلق عليه اسم التبرهاتوم، وهو مبلغ تتراوح قيمته بين الشاقل و ٢٠ شاقل، فضلاً عن المواد العينية كالمأكولات والملابس والحلي، أي أنه (المهر)^(٤).

شملت الالتزامات كلا الطرفين، وحتى في حالة وفاة والد الفتاة يلتزم ورثته بإتمام الخطوبة، وفي حالة وفاة الخاطب دون إتمام الزواج يكون الحق لأخيه أو أحد أقاربه حق إتمام الخطوبة والزواج إن كان لذوي الفتاة الرغبة في إتمامه، ولكن في حالة عدم رغبتهم فسيتم استرداد الهدايا إن كانت غير قابلة للاستهلاك، وإذا كانت عكس ذلك فلا يمكن استردادها (المادة ١٧ من قانون أشنونا)^(٥).

أحياناً يقدم الخاطب الهدايا إلى بيت حميه أملاً في الزواج من ابنته، ولكنه يفاجأ أن والد الفتاة قام بتزويجها لشخص آخر، وفي هذه الحالة يعرض الخاطب الأول ضعف ما كان قد دفعه (المادة ١٢ أور نمو، المادة ٢٩ لبت عشتار، المادة ٣٥ أشنونا، المادتين ١٦٠-١٦١ من قانون حمورابي)^(٦).

الزواج:

شكلت المرأة محور العلاقة الزوجية، وبذلك نلاحظ تركيز المشرع في بلاد الرافدين على تنظيم علاقتها بزوجها وحفظ حقوقها وأولادها حتى بعد وفاتها بما يكفل إقامة العدل المنشود في التشريع القانوني، وهي عموماً تمتعت بمكانة اجتماعية مساوية للزوج، فكان لها الحق في احترام أولادها البالغين لها، وكانت لها حقوقها وعليها واجبات والتزامات تجاه زوجها وأطفالها، والإخلال بها يعني تعرضها للمساءلة القانونية.

بدءاً كما أسلفنا، يشترط الرضا والقبول من الطرفين لإتمام مرحلة الزواج، وليصبح الزواج شرعياً وجب كتابة عقد وتقديم الهدايا قبل الزواج، وعند زواج المرأة يقدم والدها الهدية لها وهي الشيرقاتوم، وبعد إقامة الحفلات يتم دخول الرجل بالمرأة حيث يتم الزواج^(٧).

لم تعترف القوانين بالزواج إن لم يحرر في عقد حتى وإن عاشر الرجل المرأة، فهو زواج غير شرعي كما ورد في المادة ٢٧ من قانون أشنونا^(٨). واستمر مبدأ كتابة عقد الزواج تحريراً في الأزمنة المختلفة للحضارة العراقية، وقد ثبتها المشرع البابلي حمورابي (م/١٢٨) وقبلهم في قانون أور نمو الملك السومري (م/١٨)^(٩).

وعادة ما يرتبط الرجل بزوجة واحدة، ولكنه يحق له الزواج مرة ثانية فضلاً عن التسري في حالات أوجبتها القوانين القديمة لاسيما البابلية منها.

وعموماً، كانت المرأة في بلاد سومر تتمتع بحقوق قانونية معينة، ولها حق التملك والتجارة والاشتغال، وتطورت في بلاد الرافدين خلال الحقبة البابلية التي أعطت حق ممارسة مهن مختلفة فضلاً عن حقها في الطلاق من زوجها في حالة إخلاله بالتزاماته الزوجية^(١٠)، وكانت تتمتع باستقلال ذاتي لاسيما الحرة على كافة المستويات الاجتماعية^(١١).

أكدت القوانين القديمة على ضرورة أن يعيل الرجل زوجته، وفي حالة زواجه من اثنتين عليه أن يعيلهما، كما وردت في المادة ٢٨ من قانون لبت عشتار والمادة ١٤٨ من قانون حمورابي^(١٢).

ولغرض إنجاب الأطفال يتم الزواج للمرة الثانية، إذ قد تكون الزوجة الأولى مريضة أو عاقر، فضلاً عن إمكانية الزواج من كاهنة لاسيما الناديتوم أو الشوكيتوم (م/١٤٥ حمورابي) أو أمه (م/١٤٦ حمورابي)، وفي كلتا الحالتين لا يحق للزوجة الثانية مساواة نفسها مع الأولى. وهذه الحالة تنطبق على الأمة، كذلك في حالة إنجابها أطفالاً، وفي حالة مخالفتها ولم تنجب فيؤول مصيرها للبيع^(١٣).

لا يحق للرجل الزواج ثانية في حالة إهداء الناديتوم له أمة أنجبت أطفالاً، هنا لا يحق له الزواج من الشوكيتوم (المادة ١٤٤ قانون حمورابي)^(١٤).

لقد كان لا يجوز الجمع بين أكثر من زوجتين أختين معاً في عصر حمورابي في آن واحد، لكنه وجد في عهد الملك البابلي أمي ديتانا (١٦٨٣-١٦٤٧ ق.م) شريطة أن تكون إحداها كاهنة الناديتوم أو عاقر، وفي هذه الحالة تكون الأخت الثانية تخدم وتعيّل أختها الزوجة الأولى، وإن أنكرت الزوجة الأولى للثانية مع أطفالها فعقوبتها العبودية، حيث تحلق وتباع بوصفها أمة، لكن إذا أنكرت الزوجات الزوج فعقوبتهن إلقاءهن بالماء بعد تقييدهن^(١٥).

إن القوانين السومرية والبابلية هدفت إلى حماية المرأة ومعاقبة المسيئات، فعلى سبيل المثال أن أوروامكينا آخر حكام لكش في عصر فجر السلالات الثالث أشار إلى حالات زواج المرأة من رجلين، وهنا ترجم فضلاً عن إنكار الزوجة لزوجها فتكون عقوبتها سحق فمها بأجره مفخورة^(١٦).

وقد أشرنا إلى الحالة ذاتها في أيام الملك حمورابي وقبله في عهد ابل-سين (١٨٣٠-١٨١٣ ق.م) وهو جد الملك حمورابي كانت عقوبة من تنكر زوجها رميها من أعلى الأسوار، أي إعدامها^(١٧).

من الحقوق التي اكتسبتها نساء العصر البابلي لاسيما الإماء منهن، فقد كانت الأمة المتزوجة من سيد وأم لأطفاله تمنح الحرية مع أولادها بعد وفاة زوجها بدون تقاسم الميراث للأب الذي لم يعترف بحريتهم في حياته (م/١٧١ قانون حمورابي)^(١٨).

كثير من المفردات القانونية تؤكد في منهجها حماية المرأة المتزوجة، وعقوبة المخالفة لها غالباً ما تكون الإعدام لاسيما في مواد قانون حمورابي الذي يعد الأكمل في سلسلة الإصلاحات والشرائع العراقية القديمة حتى وإن أغفل بعضها فهو قطعاً يمثل سلسلة كاملة من الإصلاحات الاجتماعية والقضائية فضلاً عن تحديد الأسعار وهي الإصلاحات الاقتصادية وعبر إيجاد العلاقات بينها.

كان الزواج من الإماء وارداً في المجتمع قديماً أكدتها قوانين لبت عشتار الملك الخامس لسلالة أيسن الأولى وقوانين حمورابي الملك السادس لسلالة بابل الأولى. ففي عهد حمورابي على سبيل المثال الأمة المتزوجة من شخص حر تعد الزوجة الثانية بعد الناديتوم والتي أنجبت له أولاد، ولكنها ساوت نفسها مع سيدتها، فليس من حق السيدة بيعها أو تقييدها أو إعادتها مع الإماء (م/١٤٦ قانون حمورابي)^(١٩).

بالعودة إلى حماية المرأة وتجنبيها الوقوع في الأخطاء نلاحظ أن القوانين تشددت حول موضوع الخيانة الزوجية، فهي تمس بالمقام الأول المتزوجة، ولكنها أحياناً لا تتعاطى بشكل إيجابي مع خيانة الزوج للزوجة إلا في حالات قليلة نادرة.

من الأمور التي كانت سائدة في المجتمع البابلي القديم أن يهجر الزوج لزوجته، وهنا تدخلت القوانين القديمة لصالح الزوجة وفق معطيات محدودة، فإن كانت الزوجة قد تركها زوجها بسبب الأسر ودخلت إلى بيت رجل آخر تعد حالة زوجية قائمة شريطة انقطاع الزوج عنها مدة طويلة كما جاءت في نصوص قوانين أشنونا، لكن في حالة قانون حمورابي (م/١٣٦) أجاز للمرأة المتزوجة الزواج ثانية في حالة هجر الزوج لبلدته طواعية، وفي هذه الحالة يسقط حق الزوج بالمطالبة بزوجته، وهذا ما أبدته (م/٣٠) من قانون أشنونا، أو يحق للزوجة الزواج ثانية إذا تركها زوجها بدون إعانة أو لم يوفر لها أسباب العيش، كما أوضحت تلك الحالة المادة ١٣٤ من قانون حمورابي^(٢٠).

وربما يغيب الزوج لسبب أو لآخر لكنه ترك ما يعين زوجته على المعيشة، فلا يحق لها الزواج ثانية، فربما تكون غيبته ليست بإرادته^(٢١)، كما أشارت القوانين. وفي مجمل القوانين القديمة حق للرجل الزواج من الإماء، فهو حر في القوانين الآشورية (م/٤١)^(٢٢).

إن مبدأ نظام التسري الذي يقصد منه قانونية العلاقة بين الرجل وأمه أو أمة زوجته كي تتجب له الأطفال كان موجوداً في حالة كون الزوجة عاقر أو من طبقة كهنة الناديتوم التي لا يحق لها الإنجاب، فضلاً عن زواج الأخ من أرملة أخيه، أو كون الزوجة الأولى مريضة أو حتى سمعتها سيئة^(٢٣).

إن القوانين القديمة التي أجازت للزوجة الزواج مرة ثانية لأسباب تتعلق بغياب الزوج أجازت لبعضها استعادة الزوج لزوجته بعد غيابه مدة طويلة نتيجة الأسر وولدت له أطفالاً (م/٢٩ اشنونا)، وفي هذه الحالة لم تبين مصير الأطفال من الزوج الثاني، فيما أوضحت (م/١٣٥ من قانون حمورابي) أن الأطفال يعودون إلى أبيهم^(٢٤).

إن الزوج الذي يهرب من وطنه ثم يعود إليه بعد مدة لا يحق له استعادة زوجته إذا ما تزوجت من آخر (م/٣٠ اشنونا، م/١٣٦ حمورابي)^(٢٥).

ولغرض حماية المرأة المتزوجة شرعت القوانين القديمة لبلاد الرافدين ما يحفظ للمرأة حقوقها وكرامتها، فقد تطرقت إلى الخيانة الزوجية واختلقت في عقوبتها، ففي (م/ ٤ أور نمو) خولت الزوج قتل الزوجة وإطلاق سراح الرجل في حالة ثبوت إغوائها له، وتقتل في حالة التلبس (م/ ٢٨ أشنونا)، ولكن في عهد حمورابي يقيدان ويلقيان كلاهما في الماء (م/ ١٢٨ حمورابي)^(٢٦).

ومما يشار إليه أن المادة الرابعة في قانون أور نمو السومري تنص على أنه في حالة إلقاء القبض على زوجة رجل في أحضان عبد تقتل ويطلق سراح العبد^(٢٧).

أحياناً لا يقصد من الخيانة الزوجية معاشره رجل آخر بل تعني التسبب في موت الزوج من أجل رجل آخر، فعقوبتها في هذه الحالة أن توتد على الخازوق (أي إعدامها) (م/ ١٣٥ قانون حمورابي)^(٢٨).

ومن النصوص التي تشير إلى وجوب إعدام الرجل هي حالة اغتصابه لزوجة رجل آخر حتى وإن لم يتم الزواج وكانت موجودة في بيت والدها فحكمها إطلاق سراحها (انظر م/ ٢٦ أشنونا، م/ ١٣٠ حمورابي)^(٢٩).

إن جرائم الاغتصاب كانت موجودة ومتنوعة في المجتمع، وقد شددت القوانين العقوبات الرادعة لحماية المرأة والمجتمع.

فعلى سبيل المثال، اغتصاب الأب لابنته فعقوبته النفي من المدينة (م/ ١٥٤ من قانون حمورابي)، أما في حالة اغتصاب الابن لأمه فيحرقان (م/ ١٥٥ حمورابي)^(٣٠).

وكانت من الممارسات البذيئة اغتصاب الأب لزوجة الابن، حيث يقيد ويرمى بالنهر (م/ ١٥٥ حمورابي)، وكانت المرأة المغتصبة تعوز إن لم يتم الزواج (م/ ١٥٦ حمورابي)، أما المغتصب للمربية فيطرد من بيت والده (م/ ١٥٨ حمورابي)^(٣١).

إن خيانة الزوجة تحتم على قوانين حمورابي ربطها وإلقاءها بالنهر، وإذا عفا عنها زوجها تصار إلى أمة في بيت زوجها (م/ ١٢٩)^(٣٢).

لكن القوانين الآشورية في المادة ١٣ تبين أنه في حالة إغراء المرأة للرجل وكانت في بيته فلا تقع أية مسؤولية كونها تمت عن رضا الطرفين^(٣٣).

الاعتداء والاثام:

كثيراً ما تتعرض النساء إلى حالات اعتداء شأنها شأن ما كان موجوداً في ذلك العصر، هنا تدخلت القوانين لصالح المعتدى عليها وفق كل حالة كانت موجودة ومألوفة وقتذاك.

من الاعتداءات التي تتسبب في إحداث الأذى بالمرأة هو الضرب، فالذي يتسبب في إجهاض ابنة الاويلم عقوبته تعويضها، ولكن في حالة وفاتها فتكون العقوبة مشددة، إذ يتم قتل ابنة الجاني، أما إن كانت المجني عليها من طبقة الموشكينوم فهنا التعويض سواء كانت في حالة إجهاضها أو حتى وفاتها، وهذا ما كان سائداً أيام حمورابي (انظر م/٢١١-٢١٢ حمورابي).

هذه الأحوال يقصد القانون منها الضرب كان السبب فيها والتعويض ينطبق كذلك على الأمة، رغم أنه في قانون أور نمو السومري ليزم الجاني بتقديم أمة وإن لم يكن لديه فيعوض بمقدار عشرة شبقلات وإن لم يكن يملك المال فأى شيء يملكه (م/٢١ب أورنمو) بوصفه تعويضاً عما سببه للأمة المتضررة^(٣٤).

لصيانة كرامة الزوجة الحرة التفتت القوانين إلى مسألة الاتهام الكاذب، حيث يكون أمام الزوجة المتهمة بالخيانة الاختبار النهري وهو ما أشارت إليه المادة ١١ من قانون أورنمو لغرض إثبات براءتها أو عديمها. وفي حالة إثبات براءتها يعاقب المتهم بالتعويض، أي تعويض الزوجة (م/٣٣ من قانون لبت عشتار)، بينما رأى المشرع في قانون حمورابي عقوبة القتل لمن أدلى بآتهام كاذب دون دليل^(٣٥)، وفي حالة عدم وجود دليل فتؤدي القسم بالإله وتعود إلى بيتها (م/١٣١ حمورابي)^(٣٦).

الأولاد والتبني:

إن مسألة الأولاد التي تعد أساسية وثمره الزواج قد أعطتها القوانين القديمة أولوية ضمن مفهوم الأحوال الشخصية وبينت مسألة حق الإرث، فضلاً عن تركيزها عن مسألة التبني.

كان من ضمن العلاقة الزوجية مسألة التبني الذي كان معروفاً في العصور القديمة وغاية اجتماعية تتمثل بالذرية والسعي للحصول على ابن يكون تحت رعاية العائلة وحماية مصالحها^(٣٧)، فضلاً عن تخليد اسم العائلة والاستمرار في تقديم الطقوس الدينية بعد وفاة المتبني بوصفه يحمل اسمه ويحل محله في تقديم الطقوس الدينية حتى بعد وفاته، وهذا هو الدافع أو الغاية الدينية وراء التبني. ولذا فعلى الابن أو الابنة المتبناة إقامة الطقوس الخاصة بدفن متبنّيها^(٣٨)، فضلاً عن هدف آخر هو تعليمه المهنة أو الحرفة الخاصة بمن تبناه.

أحياناً يكون للتبني هدف غير ما ذكرناه، فعلى سبيل المثال يشير نص مقروء يعود لعهد الملك البابلي سين-موبلط إلى تحرير عبد يعود لامرأة تبنت عبداً في ذات الوقت ونقلت إليه أموالها وزوجته من أمة حررتها هي أيضاً. وكما هو يظهر فإن الهدف هو نقل الأموال، أي أن العبد أصبح ابناً للمرأة، وفي ذات الوقت قامت بتزويجه^(٣٩).

إن التبني كان يراد به فضلاً عما أوجزناه إسباغ الشرعية على الأولاد، فالرجل الذي تكون ذريته في النساء ولم تنجب الأولاد يستطيع تزويج ابنته مشروطاً على زوجها تبنيه ولداً أو تسهيل حصول أحد أولاد المتبني على زوجه ويكون ذلك بتبني شخص لبنت وإدخالها في العائلة كي تكون زوجة لأحد أولاده^(٤٠).

تعد صفة الشرعية مهمة للأولاد المتولدين من صلب رجل حر وأم أمة، وهم لا يختلفون في إضفاء صفة الشرعية عن الأولاد المتبنين فضلاً عن إضفائها على الأبناء المتبنين الذين تقطع صلتهم بأبائهم الحقيقيين^(٤١).

ومن الجدير ذكره أن الطفل المتبنى في حالة إنكاره لوالديه في قوله أنت لست أبي وأنت لست أمي فعقوبته قطع لسانه (م/١٩٢ قانون حمورابي)، وإن زاد في إنكاره باحثاً عن والديه الحقيقيين فعقوبته قلع عينه (م/١٩٣ قانون حمورابي) أو يباع كعبد بعد حلقه^(٤٢).

إن حقوق الأطفال حفظتها القوانين القديمة، فالمادة ١٨٥ من قانون حمورابي أكدت على عدم استرجاع الطفل الذي تبنته عائلة لم ترزق بالأطفال وميزته عن الطفل المتبنى لغرض العمل، فهنا من الممكن عودته إلى أبويه الحقيقيين، كما أوضحت ذلك المادتين ١٨٨-١٨٩ من قانون حمورابي.

حددت قوانين مملكة اشنونا (المواد ٣٢-٣٥) مسؤوليات والد الطفل في تقديم المأكل والملبس (المادة ٣٢) وفي حق الوالد استرجاع ابنه من الأمة التي سلمته لامرأة حرة حتى وإن أصبح كبيراً (المادة ٣٣)، فضلاً عن الحق ذاته بالنسبة للقصر (المادة ٣٤). وقد منعت تبني طفل لأمة القصر، والمخالف يعاقب بالتعويض ضعف قيمة الطفل (المادة ٣٥)^(٤٣).

لقد منعت قوانين حمورابي (المادة ١٨٥) إعادة المطالبة بالطفل المتبنى، وإذا استمر بالبحث عن ذويه يعاد الطفل (المادة ١٨٦)، فضلاً عن عدم اعتراف المتبني للطفل المتبنى يعاد الطفل لوالديه الحقيقيين (المادة ١٩٠)، أو إذا تخلى عنه يقدم رزق أطفالاً، وهنا يعوض المتبني ثلث حصة من الميراث وليس الأموال الثابتة كالحقل والبستان والدار (المادة ١٩١). أما في إنكار والديه المتبنيان فيصادر دارهم ومحتوياتها^(٤٤).

أما تبني البيع (marutu) أو التبني الكاذب فهو حيلة قانونية هدفه نقل ملكية الأرض الزراعية الممنوعة من البيع^(٤٥).

وليس من الضرورة أن يكون التبني محصوراً بالأطفال، بل ربما يكون شاملاً الكبار، ففي نص يعود إلى عهد الملك البابلي سين-موبلط يذكر امرأة عتقت عبدها وتبنته في نفس الوقت حيث نقلت إليه أموالها وزوجته من أمة حررتها أيضاً^(٤٦).

ومهما تعددت الأسباب وراء التبني، فالواضح لدينا أن القوانين القديمة كفلت العلاقة بين المتبني والمتبني، فضلاً عن العقوبات الجزائية في حالة إنكار المتبني لمتبنيه وفق عقد يحرر بين الأطراف المعنية به.

الإرث:

مما لا شك فيه، أقرت القوانين القديمة في بلاد الرافدين حيزاً من بنودها لتنظيم الإرث بين مستحقيه من الأولاد أو البنات ونظمت أسسه على وفق الطبقة الاجتماعية، أي طبقة الأحرار وطبقة الرقيق.

لقد عالج المشرع العراقي القديم بشكل دقيق وعادل نظم الإرث، حيث تنتقل أموال الموروث المنقولة وغيرها المادية والمعنوية منها إلى المستحقين من الورثة عند وفاة الأب، فإن شكل الميراث الذي تستحقه الزوجة بعد وفاة زوجها أن تأخذ هدية زواجها من الزوج ودون ذلك في وثيقة مختومة لا يشاركها في ذلك أولادها. أما الزوجة التي لم تعطى هدية الزواج فتستطيع أخذ حصة ولد واحد من أموال زوجها المتوفى^(٤٧)، فضلاً عن حقها في البقاء بمسكن زوجها، وتستمر العطاءات التي أخذتها، غير أنه لا يجوز لها التصرف بها كالبيع مثلاً كونها تعود لأولادها بعد وفاتها بحسب ما ورد في المادة ١٥٠ من قانون حمورابي^(٤٨).

وفي حالة وفاة الزوجة وقد تركت أولاداً، فالبائنة من نصيبهم لا يحق لوالدها المطالبة بها، ويستدل من بعض المواد أن التقسيم كان يتم بعد وفاة الأب حتى بالنسبة لبائنة الأم المتوفية قبل الأب^(٤٩).

أما في حالة وفاة الزوجة دون أن تتجب فتؤول بانئنتها إلى بيت أبيها عدا قيمة التبرها توم أو الهدية التي دفعها الزوج في الخطوبة والتي يعيدها إليه حموه أو يخصمها الزوج لنفسه من البائنة^(٥٠).

أما إذا تزوج الرجل من امرأة ولدت له أولاداً ثم توفيت وتزوج مرة أخرى وولدت له كذلك أولاداً، فبعد وفاته يتقاسم أولاد الزوجتين تركة والدهم بالتساوي بعد أن يأخذ أولاد كل زوجة بائنة والدتهم (المادة ١٦٧ حمورابي)^(٥١).

وإذا كانت المرأة قد تزوجت مرتين، فإن الزوج الثاني يستبعد وتقسم التركة بين أولاد الزوجين بحصص متساوية^(٥٢).

يفهم مما سبق، أن حصة الزوجة من التركة تمنح لمن أنجبت، وتحرم العاقر، أما في القوانين الآشورية فالمرأة التي لم تتجب تطرد بعد وفاة زوجها^(٥٣).

لقد خصص المشرع تركة تقدم للفتاة غير المتزوجة هي بمثابة مهرها، فعلى أخواتها تخصيص جزء من التركة لتغطية المهر قبل اقتسام التركة. لذلك فالمرجح أن حصة الفتاة من الإرث هي بمثابة مهرها الذي كان حقاً مالياً مكتسباً لها ينتقل معها إلى بيت الزوجية ثم إلى أبنائها من بعدها^(٥٤).

أما إذا كان الأب قد نذر ابنته إلى الإله ككهانة ليقدم لها بائنة، فبعد وفاته تأخذ حصتها في التركة بما يعادل ثلث إرثها، ولها حق الانتفاع منها طيلة حياتها لتعود حصتها لإخوتها بعد وفاتها (المادة ١٨١ قانون حمورابي). أما إذا لم يكن أبوها قد أعطاها بانئنتها ثم توفي فلها اقتسام التركة مع إخوتها وأخذ ثلث حصة الوريث الواحد، ولا تطالب بأداء الخدمة فضلاً عن حقها في إعطاء أملاكها لمن تشاء (المادة ١٨٢ قانون حمورابي)^(٥٥).

كان الإخوة يرثون أختهم في حالة وفاتها إن لم تكن قد أنجبت، فضلاً عن ميراث أختهم إذا كانت من صنف الكاهنات ولم يكن أبوها قد أوصى لها بحق التصرف بعد وفاته بصداقها^(٥٦).

إن تقسيم الميراث بين أولاد الزوجتين ورد كذلك في المادة ٢٤ من قانون لبت عشتار المدون باللغة السومرية، والمادة ١٦٧ من قانون حمورابي المدون باللغة البابلية^(٥٧).

ميزت القوانين في حالة أبناء الأمة أو الرقيق، حيث أشارت إلى أنه في حالة اعتراف والدهم بحريتهم، أي أعتقهم فلا يرثوه بعد موته (المادة ٥ من قانون لبت عشتار)، ولكنهم في عهد حمورابي يحق لهم اقتسام التركة بالتساوي شرط أن تكون لابن البكر الحصة الأكبر من الزوجة الأولى (م/١٧٠ قانون حمورابي).

وفي حالة عدم الاعتراف بهم فيحرمون من التركة وينالون حريتهم فقط (م/١٧١ حمورابي)^(٥٨).

من المسائل المتعلقة بالتركة جهاز الزوجة الذي يؤول لأولادها من بعدها، إذ لا يحق لوالدها المطالبة به (م/١٦٢ حمورابي) إلا في حالة عدم وجود أولاد لها، وللزوج اقتطاع حصة من جهاز زوجته المتوفية وإعادة الباقي لوالدها (م/١٦٤ قانون حمورابي)^(٥٩).

وللأيتام القاصرين حفظت حقوقهم القانونية، ففي حالة زواج الأرملة التي لها صغار لا يحق لها إتمام الزواج دون علم وموافقة القضاة، غز تؤول مسؤولية الدار إلى الزوجة وزوجها بموجب رقيم يتعهد فيه الزوجان بالمحافظة على الدار وتربية الصغار وعدم المساس بحاجيات الدار (المادة ١٧٧ من قانون حمورابي)^(٦٠).

ولما كانت الكاهنات جزء من المنظومة الاجتماعية الدينية، لذا نلاحظ أن حقوقهن باتت محفوظة بموجب القوانين السائدة وقتذاك، إذ كان لهن الحق في السكن بمنزل الوالد بوصفهن وريثات وهو على قيد الحياة (المادة ٢٢ من قانون لبت عشتار) فضلاً عن الاستحقاقات لهدية الوالد واقتطاع ثلث ميراثه بعد وفاته والانتفاع به طوال حياتها، ثم يؤول إلى إختها بعد وفاتها (المادة ١٨١ من قانون حمورابي)^(٦١).

وقد اختلف بعض الباحثين في مسألة الإرث وتقاسمه بين الأولاد والبنات، فقسم أشار إلى المساواة، وآخرين اعتقدوا بعدم شمول الإناث به^(٦٢).

أما بخصوص الفتاة العزباء فقد كان لها حق اقتطاع جزء من تركة والدها مقابل هدية زواجها. وكما أسلفنا كان للزوجة أخذ هدية زواجها إن ثبت الزوج بذلك في عقد مكتوب. فيما تجاهلت قوانين أشنونا مسألة الميراث والتركة^(٦٣).

في حالة وفاة الزوج ولم يترك وصية لزوجته فلها الحق بالاستمرار بالعيش في بيته وتساند من قبل أولاده من الزوج السابق. أما أولادها، فعليهم إعالتها لأنها تعد من مسؤولياتهم^(٦٤).

إن مسألة التمايز الطبقي في بلاد الرافدين واقعاً أقرته القوانين القديمة ولم تتجاوزه، بل حاولت المساواة بين الطبقات دون التعرض لمكانة كل طبقة اجتماعياً. فقد لاحظنا أن الأمة لا يمكن أن تساوي نفسها مع سيدتها ولا الزوجة الثانية مع الزوجة الأولى. فقد كانت عقوبة الأمة المتطاوله دكك فمها بالملح كما ورد في المادة ٢٢ من قانون أور نمو^(٦٥)، فضلاً عن وجود أحكام تمس الزوجة وعقوبات لا ذنب لها بها. فمثلاً تعاقب بالموت إن حدثت سرقة المعبد أو كفرت بالآلهة إذا كان زوجها متوفياً، أو يؤول عقابها إلى ما يراه زوجها مناسباً في حالات تمس الشرف، وهذا ما أوضحته القوانين الآشورية^(٦٦).

القوانين الآشورية أوجبت على النساء الأحرار ارتداء الحجاب على رؤوسهن عند خروجهن لاسيما المتزوجات والأرامل ولا يشمل العازبات، كما لا يشمل المتهمات بالزنا اللواتي لا يحق لهن وضع الحجاب والمخالفات منهن تؤخذ ملابسهن ويجلدن ٥٠ جلدة مع سكب القار على رؤوسهن عقوبة لهن^(٦٧).

إن حقوق أبناء الأمة مكفولة شرط إعتاقهم وأمهم من العبودية، فهؤلاء يتقاسمون الإرث من والدهم المعترف بهم قبل وفاته وبشكل متساوٍ مع الأبناء المتولدين من أم حرة (م/١٧٠ قانون حمورابي) وبعبكسه يحرمون من التركة^(٦٨).

الطلاق:

من الأمور الشائعة في المجتمع القديم كما هو الحال في عصرنا مسألة الطلاق لأسباب عديدة، فلما كانت العلاقة الزوجية لإنشاء الأسرة لا تتم بدون عقد. ولما كانت الأسرة شراكة في بدايتها بين الرجل والمرأة، ففي تلك الشراكة يتطلب تحرير عقد ينهي بموجبه مبدأ الشراكة والعلاقة الزوجية، لكن قوانين بلاد الرافدين أوجبت للمرأة حق الطلاق من الرجل لأسباب عديدة. ولقد استعمل المشرع ألفاظاً عديدة للتعبير عن حالة الطلاق كأن يقول الزوج (أنت لست زوجتي) أو (ترك زوجته) أو (يقطع حواشي زوجته)^(٦٩)، فضلاً عن ذكر المرأة عبارات تعبر عن رغبتها في إنهاء العلاقة الزوجية، وهو ما يعني الطلاق مثل (أنت لست زوجي) أو (تركت زوجها) أو امتنعت عنه، وفي هذه الحالة يعتبر تصرفها تمرداً على حقوق الزوج أو إخلالاً بشرط العقد، وبموجبه تقع تحت طائلة القانون والعقوبات الصارمة التي تصل إلى حد الموت^(٧٠).

ففي حالة امتناع الزوجة عن الممارسة الشرعية للزواج (المادتين ١٤٢ و ١٤٣ قانون حمورابي) عند قولها (لا تأخذني) فيحق للزوج مقاضاتها. وبعد دراسة القضية إذا ثبت إخلال الزوج بالتزاماته كأن كان يقضي معظم وقته خارج المنزل أو يحط من مكانة الزوجة وشرفها يصبح من حق الزوجة طلب الطلاق دون تعويض مالي، ولكن العكس، أي هي السبب في عدم التزامها بالزواج وعدم حرصها على شرفها وسمعة زوجها فتعاقب بالإعدام، وذلك بحد ذاته يشكل طلاقاً شرعياً ذاتياً^(٧١).

في قانون حمورابي المادة ١٣٧ إذا عزم رجل أن يطلق زوجته من صنف الكاهنات، وكانت له أمة جهزته بالأولاد، فتسلم المطلقة مهرها، كما تنال حصة من ممتلكات زوجها مثلاً نصف الحقل والماشية التي يملكها الزوج ونصف الأموال المنقولة^(٧٢).

وفي حالة طلاق الزوجة التي لها أولاد بدون سبب مقنع ضمن لها المشرع حقوقها بمصادرة جميع أموال الزوج لصالحها (المادة ٥٩ من قانون أشنونا)^(٧٣).

أما إذا أراد الزوج طلاق زوجته الأولى العاقر، فعليه دفع تعويض الطلاق فضلاً عن المهر، وقدرت المادة ١٣٨ من قانون حمورابي مبلغ التعويض بقدر هدية الزواج^(٧٤).

وإذا لم يتضمن عقد الزواج هدية الزواج، فتكون مناً واحداً من الفضة إن كانت الزوجة من الأحرار، وثلاث مناً من الفضة إن كانت من الطبقة الوسطى (المادتين ١٣٩ و ١٤٠ قانون حمورابي). هذا الطلاق قانونياً شرعي وليس تعسفي بسبب عدم الإنجاب، ومع هذا حفظ القانون حقوق المطلقة في هدية زواجها وبائناتها^(٧٥).

كان من حق الزوجة أن ترفض البقاء مع زوجها، أي لها الحق في الطلاق منه، وفي هذه الحالة عليه أن يعطيها مهرها والسماح لها بالذهاب (المادة ١٤٨ قانون حمورابي)^(٧٦).

وكان يتفق على مبلغ المهر الواجب دفعه في حالة الطلاق في العصور السابقة لعهد حمورابي^(٧٧).

في حالة طلاق الزوج لزوجتيه يخسر الدار وممتلكاته، إذ كان له الحق في طلاق كلتا زوجتيه في آن واحد وكانت تعوضان بمقدار من المال بحسب الأعراف السائدة في عهد الملك البابلي ابل-سن جد حمورابي^(٧٨)، واستمر إلى عهد الملك البابلي أمي-صدوقا^(٧٩).

من الأعراف السائدة في العصر الأموري (البابلي القديم) أن الزوج في حالة طلاق زوجته يلجأ إلى قطع حاشية ثوبها من خلال نص من مدينة سبار قرب اليوسفية تضمن وقائع طلاق رجل من امرأة^(٨٠).

وقد كان من حق الزوجة طلب الطلاق إذا ثبت ممارسته اللواط، إذ يعاقب بحلق رأسه وثقب أنفه وتشهيره بالمدينة وطلاقها، أي يصبح عبداً^(٨١).

لقد أكدت القوانين على حق الزوجة كما اشرنا آنفاً طلب التفريق وإنهاء الشراكة الزوجية مع بقاء حقوقها المالية إن ثبت عدم عفة الزوج، ولكن لا يحق لها الطلاق في

حالة التسري، إذ يحق له الارتباط بالإماء والإنجاب منهن. ولم يحدد القانون عدد المرات الواجب على الزوج أن يرتبط بالإماء بوصفها أملاكه المنقولة.

وكانت المرأة التي تقرر الانفصال عن زوجها تعرض نفسها لعقوبات صارمة في المجتمع القديم.

متفرقات:

عالج القانون مسألة الديون، وفيما يتعلق الأمر بالمرأة موضوع بحثنا، وعلاقة الأسرة بالديون، فقد كان الاحتجاز غير الشرعي نتيجة عدم سداد الدين التعويض إن كانت أمة أو أيلم، وفي حالة وفاتها يعوض بأمتين. لكن إذا كانت الرهينة المتوفاة زوجة موشكينوم أو ابنته فالعقوبة الموت للمحتجز (المواد ٢٢-٢٤ من قانون أشنونا)^(٨٢).

أوضحت المادة ١١٧ من قانون حمورابي انه إذا أخرج رجل بسبب استحقاق دين وباع زوجته أو ابنته أو ابنه مقابل نقود ووضعهم تحت عبودية دائنه فعليهم أن يعملوا لدى الدائن ثلاث سنوات وتعاد لهم حريتهم في السنة الرابعة^(٨٣).

وقد كانت عادة بيع الأطفال وأهمهم واردة في المجتمع لم تلغها القوانين، فعلى سبيل المثال أن الفتاة تصبح أمة لمن يشتريها، وكانت بعض الأسر تشترط في البيع أن تصبح زوجته أو زوجة ابنه عند بلوغها^(٨٤).

الخلاصة والاستنتاج:

يتضح مما سبق ذكره أن النساء في مجتمع بلاد الرافدين لم تكن مهمشات، وهن أساس نشأة الأسرة، بل أن اهتمام القوانين بهن خير دليل على أهميتهن في المجتمع بوصفهن يمثلن أساس الأسرة، ولذا شدد المشرعون في بنود قوانينهم على المرأة، ونظموا علاقاتها مع الرجل ومع الأبناء بدءاً من الخطوبة، حيث وضعوا الأسس الواجب إتباعها في مرحلة قبل الزواج والارتباط وتكوين العلاقة الزوجية، فثبتت واجبات والتزامات كل طرف بعقد محرر، إذ لا يعد الزواج شرعياً دون العقد المكتوب، فضلاً

عن التزامات الرجل تجاه أسرته لاسيما الزوجة، وشؤون الإرث والتركه والتبني، وعدم المساس بكرامة الزوجة، إذ يعد ذلك خرقاً لبنود عقد الزواج يستلزم طلاق الزوجة، أو قد تطلب الزوجة الطلاق لسوء سلوك زوجها وعدم الالتزام بمتطلبات بيته.

والأسرة في بلاد الرافدين شكلت الأساس في مسيرة المجتمع، وتعد النساء مركزه أو محوره، ولذا لاحظنا الاهتمام بها بشكل أساس، وإفراد المواد القانونية لها بالتفصيل دليل أهميتها وصلاحتها بالنسبة للمجتمع.

الدوريات الأجنبية:

- 1- As = Assyriological Studies (Chicago).
- 2- JNES = Journal of Near Eastern Studies (Chicago).
- 3- AASOR = Annals of the American Schools of Oriental Research, New Haven.
- 4- ANET = Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testaments (ed. By J. Pritchard).
- 5- RA = Revue d'Assyriologie (Paris).

- ١- عامر سليمان، "جوانب من تاريخ العراق القديم" العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣، ص ١٨٩.
- ٢- طه باقر، فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، "تاريخ العراق القديم"، بغداد، ١٩٨٠، ص ٨٠.
- ٣- رضا جواد الهاشمي، "القانون والأحوال الشخصية" حضارة العراق، ج ٢، بغداد، ١٩٨٥، ص ٧٤.
- ٤- صبيح بشير مسكوني، "تاريخ القانون العراقي القديم"، بغداد، ١٩٧٣، ص ١٧٧.
- ٥- شعيب أحمد الحمداني، "قانون حمورابي"، بغداد، ٢٠١٠، ص ٩٥.
- ٦- عامر سليمان، "القانون في العراق القديم"، ط ٢، بغداد، ١٩٨٧، ص ١٩٥.
- ٧- رضا جواد الهاشمي، "الأحوال الشخصية وبناء العائلة" حضارة العراق، ج ٢، بغداد، ١٩٨٥، ص ٩٠.
- ٨- هاشم حافظ وهيب النداوي، "تاريخ القانون"، بغداد، (د.ت)، ص ٨١.
- ٩- فوزي رشيد، "الملك حمورابي مجدد وحدة البلاد"، ط ٢، بغداد، ١٩٩١، ص ٦٥.
- ١٠- عبد القادر عبد الجبار الشихلي، "الوجيز في تاريخ العراق"، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢١٢.
- ١١- يوسف حبي، "الإنسان في أدب وادي الرافدين"، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٠.
- 12- M. Civil, "New Sumerian law fragments", AS, 16, 1965, PP. 1-2.
- ١٣- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ٢٥٥.
- ١٤- فوزي رشيد، "الشرائع العراقية القديمة"، ط ٢، بغداد، ١٩٧٩، ص ١٤٤.
- 15- R. Harris, "The case of three Babylonian marriage contracts", JNES, 33/4, 1974, P. 366.

- ١٦- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ١٤٦.
- 17- R. Harris, Op Cit., P. 365.
- ١٨- فوزي رشيد، مصدر سابق، ١٩٧٩، ص ١٤٩.
- ١٩- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ٣٥٤.
- ٢٠- إبراهيم عبد الكريم الغازي، "تاريخ القانون في وادي الرافدين والدولة الرومانية"، بغداد، ١٩٧٣، ص ١١٧.
- ٢١- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ٢٥٣.
- ٢٢- شعيب أحمد الحمداني، مصدر سابق، ص ٩٤.
- ٢٣- المصدر نفسه، ص ٩٥.
- 24- A. Goetze, "The laws of Eshnunna" AASOR, 31, 1956, P. 87.
- 25- A. Goetze, Ibid.
- ٢٦- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ٢٥١.
- 27- S. Kramer and D. Gurney, "Two fragments of Sumerian laws", AS. 16. 1965, P. 13.
- ٢٨- فوزي رشيد، مصدر سابق، ١٩٧٩، ص ١٤٥.
- 29- A. Goetze, Op Cit., 1965, PP. 76-82.
- ٣٠- فوزي رشيد، مصدر سابق، ١٩٧٩، ص ١٤٦.
- ٣١- محمود الأمين، "قوانين حمورابي والقوانين البابلية الأخيرة"، مجلة كلية الآداب، بغداد، العدد ٣، ١٩٦١، ص ٢٢٥.
- ٣٢- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ٢٥١.
- ٣٣- جورج شمار، "المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية"، ترجمة سليم الصويص، بغداد، ١٩٨١، ص ٣٠٨.
- ٣٤- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ١٩٦.
- ٣٥- نفس المصدر، ص ٢٠٤.
- ٣٦- فوزي رشيد، مصدر سابق، ١٩٧٩، ص ١٤١.

- ٣٧- عبد الوهاب حميد رشيد، "حضارة وادي الرافدين"، بغداد، ٢٠٠٤، ص ١٣٩.
- ٣٨- شعيب أحمد الحمداني، مصدر سابق، ص ١١٧.
- ٣٩- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ٥٧٠.
- ٤٠- رضا جواد الهاشمي، "نظام العائلة في العهد البابلي"، بغداد، ١٩٧٠، ص ١٧٧.
- ٤١- نفس المصدر، ص ١٨٠.
- ٤٢- صبيح بشير مسكوني، مصدر سابق، ص ٢٣١.
- ٤٣- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ٢١٤.
- 44- J. Finkelstein, "Documents from the practice of documents from the practice of law", ANET, 1969, P. 545.
- ٤٥- فاروق ناصر الراوي، "جوانب من الحياة اليومية" حضارة العراق، ج ٢، بغداد ١٩٨٥، ص ٣٧١-٣٧٢.
- ٤٦- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ٥٧.
- ٤٧- شعيب أحمد الحمداني، مصدر سابق، ص ١١٨-١٢١.
- ٤٨- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ٢٦٠.
- ٤٩- إبراهيم عبد الكريم الغازي، مصدر سابق، ص ١٢٠.
- ٥٠- ل. دولابورت، "بلاد ما بين النهرين"، ترجمة مازن الخوري، بيروت، ١٩٧١، ص ٩٩.
- ٥١- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ٢٥٩.
- ٥٢- ل. دولابورت، مصدر سابق، ص ١٠٠.
- ٥٣- عبد الوهاب حميد رشيد، مصدر سابق، ص ١٢٩.
- ٥٤- نفس المصدر، ص ١٣٩.
- ٥٥- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ٢٦٢.
- ٥٦- صبيح بشير مسكوني، مصدر سابق، ص ٢٤٩.

- ٥٧- فوزي رشيد، مصدر سابق، ١٩٧٩، ص ٧٤؛ عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ٢٠٣.
- ٥٨- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ٢٦٠.
- ٥٩- محمود الأمين، "قوانين حمورابي والقوانين البابلية الأخيرة"، مجلة كلية الآداب، بغداد، العدد ٣، ١٩٦١، ص ٢٢٦.
- ٦٠- فوزي رشيد، مصدر سابق، ١٩٧٩، ص ١٥٠؛
لوبورداتو جييري بروسكي، "الأساطير في حضارة وادي الرافدين"، ترجمة عصام عبد اللطيف، بغداد، ٢٠٠٦، ص ٤٨.
- ٦١- نفس المصدر، ص ١٦٢، ١٥٢.
- ٦٢- محمد طه الأعظمي، "جوانب من الأسس القانونية والفكرية في قانون حمورابي"، مجلة المورد، مجلد ١٦، عدد ٣، ١٩٨٧، ص ١٦.
- ٦٣- عامر سليمان، "الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية في الأزمنة التاريخية" موسوعة المدينة والحياة المدنية، ج ١، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢٠٣.
- ٦٤- جورج كونتنينو، "الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور"، ترجمة طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٠٠.
- ٦٥- فوزي رشيد، مصدر سابق، ١٩٧٩، ص ٣٠.
- ٦٦- نفس المصدر، ص ١٨٢؛ المادة ٣ من القانون الآشوري، العهد الوسيط.
- ٦٧- المصدر نفسه، ص ١٩٤؛ المادة ٤٠ من القانون الآشوري.
- ٦٨- جمال مولود، "فكرة العدل في القوانين العراقية القديمة"، بغداد، ٢٠٠١، ص ١٢٢.
- ٦٩- رضا جواد الهاشمي، مصدر سابق، ١٩٧٠، ص ٩٤-٩٥.
- ٧٠- عبد الوهاب حميد رشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨.
- ٧١- رضا جواد الهاشمي، مصدر سابق، ١٩٧٠، ص ١٠٠.
- ٧٢- عبد الوهاب حميد رشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨.

٧٣- ثلما ستيان عقراوي، "المرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين"،

بغداد، ١٩٧٨، ص ١٠٤.

٧٤- رضا جواد الهاشمي، مصدر سابق، ١٩٧٠، ص ١٢٦.

٧٥- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ٢٦٠.

٧٦- جمال مولود، مصدر سابق، ص ١٤١.

77- R. Harris, Op Cit., P. 364.

78- Ibid, P. 366.

79- J. Finkelsstein, Op Cit., P. 544.

80- K. Veenhof, "The dissolution of an old Babylonian marriage", RA, 70/2, 1976, P. 159.

٨١- عامر سليمان، مصدر سابق، ١٩٨٧، ص ٤٥.

٨٢- المصدر نفسه، ص ٢١٢.

٨٣- فوزي رشيد، مصدر سابق، ١٩٧٩، ص ١٣٩.

٨٤- ثلما ستيان عقراوي، مصدر سابق، ص ٨٠.

خلاصة البحث:

تعد الأسرة اللبنة الأساسية لتكوين المجتمع، وهي نواته ونواة الأسرة المرأة وعموده، وانهارها انهيار للمجتمع. ولما كانت هي الأساس والنواة، ركز المشرعون في تشريعاتهم القانونية على مبدأ صيانة حقوق المرأة خاصة والأسرة عامة.

ونظراً للعلاقة بين أفراد الأسرة بعضهم ببعض، اعتبروا القوانين مقدسة كونها من صنع الآلهة التي أضفت شرعيتها وقديسيتها عليها.

وبدأت القوانين بالمراحل الأولى لتأسيس الأسرة، أي الخطوبة، فالزواج، وحقوق الإرث، وانتهت بالطلاق وفسخ عقد الزواج.

وصلة قمة التشريعات في العصر البابلي القديم، لذا ركزنا عليها باعتبارها أنموذجاً للتطور في حقوق الأسرة مقارنة بالمراحل السابقة أو اللاحقة لهذا العصر.

توصل البحث إلى الاستنتاج بأن المرأة أساس المجتمع الذي كانت حقوقها ثابتة، وفي ذات الوقت شددت القوانين العقوبات عليها بوصفها مرتكز الأسرة، رغم أن بعض القوانين الجزائية قاسية، ولكنها كانت لحمايتها حتى من الكلام أو الاتهام الباطل بحقها.

وفي المجمل، القوانين لاسيما البابلية منها نبعت من التأثير القبلي، فلا ننسى حقيقة أن الأموريين هم قبائل ذات تنظيم قبلي عشائري، لذا يمكننا القول أن هذه القوانين هي الأعراف السائدة وقتذاك وهي تأكيد عليها.

Family in Mesopotamia legally

Asst. Prof. Dr. Imad Tariq Tawfiq

Department of History / College of Education for Girls

Baghdad University

Summary Search:

The family the basic unit of composition of the society and the nucleus and the nucleus of the family of women and his column, and its collapse is the collapse of society. As is the foundation and core, lawmakers focused on the legal principle of legislation on women's rights maintenance of private and public family.

Because of the relationship between the family members of each other, considered sacred laws being made by the gods that added legitimacy and sanctity them.

The laws began in the early stages of the founding family, any courtship, marriage is, and inheritance rights, and ended in divorce and the dissolution of a marriage.

Link summit of legislation in the ancient Babylonian era, so we focused them as a model for the evolution of the family's rights compared to the previous or subsequent phases of this era.

The research to the conclusion that women are the basis of the society in which they fixed their rights, and at the same time tightened sanctions laws Based as family, although some harsh penal laws, but it was to protect them even from speaking or false accusation right.

In total, the laws, especially the Babylonian which stemmed from tribal influence, do not forget the fact that the tribes of the Amorites are organizing a tribal clan, so we can say that these laws are the norms prevailing at the time a confirmation of it.

**التوظيف الاقتصادي للمتاحف المتخصصة ”
متحف الكفيل انموذجاً“**

م.د. حيدر فرحان حسين الصبيحاي
جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الآثار

التوظيف الاقتصادي للمتاحف المتخصصة "متحف الكفيل انموذجاً"

م.د. حيدر فرحان حسين الصبيحاي

في السنوات الأخيرة ظهرت الحاجة الملحة للقيام ببناء المتاحف ، وقد ازدادت أهمية المتاحف في العملية التربوية والتوعية الثقافية المتنوعة وأصبح لها علماً خاصاً بها، فما تعرضه المتاحف العالمية الحديثة من مقتنيات متحفية لها أبعاد حضارية ودينية وسياسية واجتماعية تساهم وبشكل واضح في تثقيف السواح صغاراً وكباراً. ويتطور المتاحف تطورت الغاية من تأسيسه فبعد أن كانت المتاحف أماكن للترفيه السياحي، حيث كان يعرف عند الإغريق على انه مكان يوحي بأنه محل للاسترخاء والتأمل والاستلهم أصبحت تمثل المرأة العاكسة لثقافات الأمم والشعوب وعامل مساعد في معرفة حضارات البلدان وعمقها التاريخي، فضلاً عن مردوداته المالية الكبيرة والذي أخذ دوره كأحد وسائل الاستثمار الاقتصادي .

وبما أننا نتحدث عن متحف متخصص لتراث أبي الفضل العباس عليه السلام صاحب الشخصية القيادية الجهادية وشهيد القيم وصاحب الحضور اليومي في حياة الناس، ليس في العراق فحسب، بل في العالم كله لا بد لنا ان نخرج بدراسة وافية توفق بين الضرورة القصوى لإبراز الهدف الديني والتاريخي وبين وضع السبل الاستثمارية لهذا صرح لغرض ديمومته وتطويره واستغلال عامل الجذب السياحي الديني المتوفرة في العتبة العباسية المطهرة.

Economic employment of specialized museums ". "Museum sponsor a model

Dr. Haider Farhan AL-Subaihawi
Baghdad university /College of Arts

In recent years, appeared the urgent need to do to build museums, it has increased the importance of museums in the

educational process diverse cultural awareness and become her own note, what being international museums modern museum holdings have cultural, religious and political and social dimensions contribute clearly to educate tourists, young and old. And the development of museums and the purpose of its founding evolved Having enjoyed museums and places of entertainment tourism, where he was known to the Greeks as a place suggests that the place for relaxation and meditation and inspiration has become a reflective mirror of the cultures of nations and peoples and a catalyst to know the civilizations of countries and deep historical, as well as large financial its returns, which taking the role as one of the means of economic investment.

Since we are talking about a dedicated museum to the heritage of Abu al Fadl al Abbas peace His personal leadership and jihadist martyr values and his daily presence in the lives of people, not only in Iraq but in the whole world we must come to fully consider reconcile absolutely necessary to highlight the religious and historical purpose and status between Thus, the investment means to said for the purpose of continuity, development and exploitation of workers available religious tourist attractions in the Shrine cleared.

التوظيف الاقتصادي للمتاحف المتخصصة "متحف الكفيل انموذجاً"

في السنوات الأخيرة ظهرت الحاجة الملحة للقيام ببناء المتاحف ، وقد ازدادت أهمية المتاحف في العملية التربوية والتوعية الثقافية المتنوعة وأصبح لها علماً خاصاً بها، فما تعرضه المتاحف العالمية الحديثة من مقتنيات متحفية لها أبعاد حضارية ودينية وسياسية واجتماعية تساهم وبشكل واضح في تثقيف السواح صغاراً وكباراً (١) وبتطور المتاحف تطورت الغاية من تأسيسه فبعد أن كانت المتاحف أماكن للترفيه السياحي، حيث كان يعرف عند الإغريق على انه مكان يوحى بأنه محل للاسترخاء والتأمل والاستلها (٢) أصبحت تمثل المرأة العاكسة لثقافات الأمم والشعوب وعامل

مساعدة في معرفة حضارات البلدان وعمقها التاريخي(٣)، فضلاً عن مردوداته المالية الكبيرة والذي أخذ دوره كأحد وسائل الاستثمار الاقتصادي .

وبما أننا نتحدث عن متحف متخصص لتراث أبي الفضل العباس صاحب الشخصية القيادية الجهادية وشهيد القيم وصاحب الحضور اليومي في حياة الناس، ليس في العراق فحسب، بل في العالم كله(٤) لابد لنا ان نخرج بدراسة وافية توفق بين الضرورة القصوى لإبراز الهدف الديني والتاريخي وبين وضع السبل الاستثمارية لهذا صرح لغرض ديمومته وتطويره واستغلال عامل الجذب السياحي الديني المتوفرة في العتبة العباسية المطهرة والتي ستساهم بشكل فاعل بتوفير واردات مالية كبيرة تصب في تحقيق الهدف الديني والاستثماري في آن واحد وتحقيق الاكتفاء كنفقات رواتب الموظفين وأعمال الصيانة وغيرها ، ولا بأس أن توفر فائض مالي يفوق النفقات كي تكرر لمشاريع نفعية أخرى نحقق منها أهداف إضافية لما نصبوا اليه .

لذا سنناقش في هذا البحث كيفية الوصول الى تحقيق هاتين الهدفين من خلال الربط بين الأهمية التاريخية والدينية للعتبة العباسية المقدسة ومجريات الأحداث على الصعيد الإنساني والديني والسياسي وبين توظيف هذه الصعد توظيفاً اقتصادياً يطور السياحة الدينية .

أولاً :- أهداف المشروع :-

من الطبيعي أن يكون لكل مشروع مهما كان جملة من الأهداف الواجب تحقيقها ، ولعل الهدف من إنشاء وتأسيس متحف متخصص كمتحف الكفيل يحمل في طياته

ثلاثة أهداف رئيسة هم :-

١. أهداف توعوية - ثقافية .

٢. أهداف توثيقية .

٣. أهداف استثمارية اقتصادية .

١. أهداف توعوية – ثقافية :-

لعل الكثير من المجتمع الدولي وخاصة المجتمع الغربي لم يطلعوا على ما كتب عن أبي الفضل العباس أو وصلتهم معلومات خاطئة ومشوهة عن واقعة ألطف الأليمة وعن مجريات الأحداث فيها من خلال التشويهات التي قام ويقوم بها أصحاب الأقلام المأجورة الذين عملوا ومنذ قرون طويلة على تشويه حقيقة الثورة الحسينية ، بالتالي علينا أن نضع نصب أعيننا ونحن نؤسس هكذا متحف مبارك مهم تحقيق ما يلي :-

أ. تعريف الجمهور بشخصية العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ب. توعية المجتمع الدولي بأهمية دوره في نشر المفاهيم الإنسانية للثورة الحقيقية ضد الظلم والطغيان .

تحقيق هذين الهدفين يتم من خلال إقامة رأى " بانوراما " كجزء من المتحف يجسد سيرة أبي الفضل العباس وولادته وصولاً الى لحظات استشهاده وفق منظومة فنية – علمية اعتماداً على المصادر التاريخية المعتبرة وتحويل تلك النصوص التاريخية إلى لوحات فنية ، خاصة ان المشاهد الواضحة والمباشرة هي في الغالب تستقطب جمهور العامة ، والذي عادة ما يكون مهتماً بالجانب الروحي الذي يتواصل بسهولة مع مشاعره ومتطلباته ومدرجاته المباشرة (٥) وقد عبر عنه الفنان الأوربي " ميرلو بونتي " في فلسفته للفن بقوله : (الفن لغة وأسلوب) (٦).

ولغرض الجمع بين الهدف الأساس الذي نتحدث عنه وبين الجانب الفني وصولاً الى مرحلة الكمال ، لا بأس أن نقتبس اللوحات الفنية العالمية التي رسمت بأيدي فنانين عبر التاريخ ومنها على سبيل المثال لا الحصر اللوحات الجدارية التي رسمت في ضريح الإمام زيد الشهيد بن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في أصفهان والتي صورت جانباً من مأساة كربلاء ومنها مشهد عن عزم أبي الفضل العباس للذهاب الى الفرات لجلب الماء للنسوة والأطفال (٧) أو اللوحات الفنية التي وردت في مصادر الفن الإسلامي لكبار الفنانين ، كما يمكن اعتماد لوحات معبرة لفنانين معاصرين ، من خلال هذه المجاميع الفنية التاريخية سوف يحقق لنا الأهداف الثقافية والاقتصادية في

أن واحد كون مثل هذه الأعمال لها تأثير مباشر في نفوس السواح ، وكذلك يحقق جذباً سياحياً اضافياً فضلاً عن الجذب السياحي المتحقق أصلاً للعتبات الدينية المقدسة في العراق .

٢. أهداف توثيقية :-

تعنى المتاحف الدينية ومنها موضوع البحث بعرض المقتنيات التي تهدى الى المراقدين والأماكن الدينية المقدسة أو لاستعراض الشعائر المقامة كمواسم الحج والزيارة وتقام في الأغلب في نفس المواقع تلك كما هو الحال في متاحف مكة المكرمة (٨) وكذلك المتاحف الدينية في العراق كمتحف الروضة الحيدرية في النجف الأشرف ومتحف الروضة الحسينية ومتحف الكفيل في الروضة العباسية بكربلاء المقدسة الذي يضم آلاف التحف النفيسة والتي تعود لمدد زمنية مختلفة ومنها المصاحف والمخطوطات والسيوف والدروع والمسكوكات والرايات والسجاد وغيره (٩) ولهذه المقتنيات أهمية خاصة لأن معظمها مدون عليها تاريخ صنعها واسم الشخص الذي قام بالإهداء وهذه الناحية بالذات موضع عناية واهتمام الباحثين للتعرف على تاريخ هذه التحف وتطور طرزها التي كانت معروفة ، وامتازت تلك الهدايا بالتنوع مما تفيدنا في التعرف على الصناعات والفنون في العصور التي صنعت بها (١٠).

أن التوثيق له ميزة الحفاظ على ذاكرة تاريخ الأمم ، وهي بذلك شاهد إثبات على الحوادث كما أنها الذاكرة الخارجية للإنسان المعاصر أو ما يسمى بنظام الذاكرة طويلة الأمد (١١) هذه الذاكرة ستفتح شهية الباحثين العراقيين والأجانب للدراسة والتأليف والنشر مما يمكن اعتباره إعلام فكري وتاريخي وسياحي في آن واحد وتعد من المقومات الأساسية المهمة التي تستند عليها نشوء السياحة وتطورها كونه يمثل عامل جذب آخر لما لعملية البحث والتأليف والنشر من انتشار واسع خاصة في العالم الغربي والذي سيزيد من رغبة القارئ للمشاهدة العينية لما يحتويه المتحف من نفائس .

٣. أهداف اقتصادية :-

السياحة مجال اقتصادي دائم غير قابل لأيّة عوامل مهددة بفشله إن توفرت المعطيات والظروف السياحية ، أهمها الأمن والاستقرار في المنطقة (١٢)، وتعد المتاحف بشكل عام من مواقع السياحة الثابتة التي يقصدها السياح إذا ما توفرت فيها وسائل الاستقطاب حسب المواصفات العالمية الحديثة ، وبما أن متحف متخصص لأبي الفضل العباس عليه السلام تتوفر فيه وسائل الاستقطاب والجذب السياحي فضلاً عن دور كربلاء المقدسة في التاريخ فيمكننا أن نحقق أهدافاً استثمارية مهمة لعل أبرزها :-

أ. تطوير السياحة الدينية في البلد بشكل عام ومدينة كربلاء المقدسة بشكل خاص .

ب. توفير فرص عمل للسكان المحليين من خلال مفردات المشروع .

ت. توفير رؤوس أموال مهمة لغرض استغلالها في تطوير المشروع أو الاستعداد لإقامة مشروع آخر .

ثانياً : مزايا المتحف المزمع إقامته :-

هناك مبادئ ومزايا تستوجب المراعاة عند تأسيس متحف ما ، ويمكن حصرها بميزتين عامتين هما المزايا العمرانية والمزايا الإدارية .

١. المزايا العمرانية :

أن تصميم مباني المتحف تحتاج الى دراسة مستفيضة لنوع ذلك المتحف واهدافه والغرض المقام من اجله وأسلوب العرض المقترح في قاعاته ، فيجب التوفيق بين الهندسة المعمارية لبناية المتحف وعرض الاشياء الموجودة بين الفائدة والبهجة وإتاحة تصنيف التحف المعروضة بصورة تتماشى فيها شتى جوانب العهد المعني(١٣) وأبرز محددات المزايا العمرانية :-

أ- موقع المتحف ومساحته :-

أثار تحديد الموقع لإقامة المتاحف جدلاً كبيراً بين الأوساط المتخصصة في العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، فاتجهت بعض الآراء الى اختيار موقع المتحف خارج المدينة كما هو الحال في متحف لوزيانا في الدنمارك ، وعلى العكس أقيمت متاحف أخرى ملاصقة لسوق المدينة مثل متحف لند في السويد(١٤).

لعلنا نميل الى إقامة متحف الكفيل بالقرب من العتبة العباسية المطهرة كي نحقق سهولة الوصول اليه من قبل الزائر بشكل سهل ويوفر له الوقت في التنقلات فيما لو اختير مكان المتحف في مكان بعيد نوعاً ما عن موضع المرقد الشريف، كما أنه يتيح له الفرصة في تأدية الزيارة للمرقد الشريف أن يرغب بذلك وزيارة المتحف من جهة أخرى، على أن يعزل المتحف تماماً عن حدود الحضرة العباسية لاعتبارات دينية ولتوفير أجواء من الهدوء داخل المتحف .

أما المساحة فمن الضروري أن تكون مساحة كافية تتناسب وأعداد التحف التي تحتفظ بها العتبة المطهرة والأخذ بالحسبان زيادة تلك التحف من خلال الهدايا التي تقدم من الأشخاص والمؤسسات المحلية والدولية للعتبة العباسية والتي ربما تعرض أيضاً في المتحف المزمع إقامته في مرحلة لاحقة .

كما لابد من توفير مساحات جيدة تكون كحوائق لتوفير الأجواء الصحية والبيئية والتي تساعد في التخلص من الأدخنة والعوالق والغازات المحروقة التي تلوث الجو وتترك أثر سلبي على صحة الإنسان وعلى التحف في آن واحد(١٥) وبالإمكان استخدامها كأماكن مثالية لإقامة معارض نوعية فيها .

ب- التصميم العماري للمتحف :-

التصميم العماري للمتحف بحد ذاته هو أحد ادوات الجذب السياحي لذلك يفضل في تصميم المتاحف المحافظة على النسيج العمراني للبيئة الحضارية والتاريخية المحيطة بالمتحف وتجسيدها في تصميم البناية المعدة لهذا الغرض(١٦) ومتحف الكفيل الذي

رأينا من المناسب إقامته مجاوراً للحضرتين الحسينية والعباسية المطهرتين يفترض أن يكون تصميم هيكلها وواجهاتها الخارجية بذات النسيج العمراني للعتبتين المقدستين لصناعة ذات الأجواء التاريخية . ونقترح أن يصمم شكله الخارجي على شكل (القرية) التي تحمل في مضمونها صفة الايثار بالنفس مقابل نجاة الحسين وآل بيت الرسول من العطش .

ت - قاعات العرض :-

تعد هندسة قاعات العرض للتحف الفنية الآثرية إحدى أبرز سمات المتحف المتخصص المثالي ، ولذلك يجب مراعاة إعداد تصاميم مثالية لقاعات العرض بحيث تكون قادرة على أن يعيش السائح لحظات العبق التاريخي وتكون مؤثرة على حواسه الإنسانية ، ويفضل بأن تكون جدران قاعات العرض صماء خالية من أي طابع زخرفي كي لا يؤثر ذلك على معروضات المتحف (١٧) وبالتالي يخلق حالة من شرود ذهن الزائر بحيث ينشغل بمشاهدة التصاميم الفنية للقاعة أكثر من انشغاله في الاطلاع على المعروضات .

ويجب مراعاة نوع المعروض في القاعة الواحدة والذي يجب أن يكون من صنف واحد من المعروضات كأن تكون قاعة الأسلحة التي تخصص لعرض نماذج من الأسلحة كالسيف والدرع والبندقية والمسدس مع الأخذ بنظر الاعتبار عدم عشوائية المعروض أي بتفسير آخر أن يخصص جزء من القاعة لعرض نماذج السيوف ثم يليها عرض لنماذج الدروع ثم اللباس العسكري ثم المسدسات وهكذا ومنع أي تداخل بين الانواع ، كما يراعي التسلسل التاريخي في العرض حيث يبدأ من الأقدم الى الأكثر حداثة .

في متحف الكفيل نقترح بأن تكون قاعات العرض على نوعين ، ثابتة وأخرى متغيرة ، والمقصود بالثابتة هو ابقاء المعروض فيها دون تغيير كونها تمثل العصب الرئيس لتاريخ الموقع وتشتمل على :-

أ. قاعة المرآى " البانوراما " والتي ذكرنا في بداية البحث .
ب. قاعة مجسمة مقتبسة من المصادر التاريخية والمخططات القديمة التي تصور معسكر الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه ^{سجده} ، ومعسكر جيش يزيد ^{سجده} لإعطاء فكرة واضحة عن هول الهجمة التكفيرية على آل الرسول وأصحابه كونها إبادة جماعية .

ت. قاعة لعرض الأجزاء التي تم تغييرها خلال مراحل التطوير للضريح الشريف والعتبة العباسية بشكل عام ويراعى فيها التسلسل الزمني كالشبابيك والأبواب والقاشاني وغيرها

أما القاعات المتغيرة أو غير الثابتة فهي القاعات التي يتم تغيير معروضاتها بين الحين والآخر وتكون قاعات تخصصية لصنف واحد من المعروضات مثل قاعة السجاد وقاعة المخطوطات وقاعة الأسلحة وقاعة المسكوكات وقاعة الرايات وغيرها

ث- الوحدات العمرانية الساندة :-

المقصود بالوحدات العمرانية الساندة هي مجموعة الخدمات المكملة لبناية المتحف كمخازن حفظ التحف غير المعروضة ، والمختبرات اللازمة لصيانة وتأهيل التحف ، وغرف الإدارة والخدمات ، ومنظومة السيطرة الأمنية وكاميرات المراقبة والاتصالات والطوارئ وغيرها مما يعد مكملاً لبناية المتحف ، على أن تكون بعيدة عن عيون الزوار كي تحتفظ قاعات العرض بخصوصيتها المتحفية .

٢. المزايا الإدارية :

أن المتحف ليس مجرد مبنى يحتوي على مقتنيات وتحف ، فكل متحف ظروفه واحتياجاته من العاملين بمختلف الاختصاصات ، وليس بالضرورة ان تتوحد الوظائف في كل المتاحف (١٨) ولكن دائماً تتوحد المتاحف بمهمة مشتركة واحدة وهي تحقيق الغاية المثلى والبحث عن اسباب النجاح والتطور .

لذا فالإدارة المتكاملة أبرز مرتكزات نجاح أي مشروع وكما هو معروف أن الإدارة صعبة بطبيعتها لا سيما إدارة مشروع تأسيس متحف متخصص يكون مرآة عاكسة لثقافات البلد وإظهار لتراث عريق .

أن ما يعتمد عليه المتحف للحفاظ على نجاحه إدارة جيدة تحدد واجبات جميع العاملين بالمتحف ابتداءً من المدير الى بقية الموظفين ، فالإدارة في الوقت الحاضر لها مهام لتعزيز الجانب الفني والعلمي والثقافي للعرض (١٩) فبدون إدارة سليمة لا يمكن للمتاحف أن توفر الرعاية والصيانة لمقتنياتها كما لا يمكن ان تحقق أهدافها الأخرى (٢٠) ويمكن تحقيق الإدارة السليمة من خلال :-

أ. مركزية القرارات والابتعاد عن التشعبية وتشتيت المهام :-

غالباً ما يكون تعدد مراكز القرار سبب رئيس في فقدان المشروع وضياعه كون السياسات الإدارية تحتاج إلى القرار المركزي العلمي الدقيق ، ولدينا جملة من الأمثلة لمشاريع كبرى فشلت بسبب تعدد مراكز القرار ، ولكي نتجاوز هذه المشكلة لابد لنا أن نبدأ أولاً بوضع إدارة مركزية تتحمل على عاتقها اتخاذ القرارات المركزية التي تصب في مصلحة المشروع ولا بأس من وجود بعض المستشارين من ذوي الخبرة كمساعدين لمدير المشروع .

ب. اعتماد الكفاءات الإدارية والعلمية المتخصصة لإدارة المشروع :-

في العالم الحديث المتطور أصبح كل شيء علم له أدواته وخصائصه ولذلك لابد من الابتعاد عن التوظيف العشوائي للاختصاصات الإدارية والمهنية المتخصصة وفسح المجال للكفاءات كي تأخذ على عاتقها إدارة المتحف بما يكفل نجاحه وجني ثمار تأسيسه فيجب أن تتوفر الشروط العملية والعلمية في الشخص الذي تسند له مهمة ما في المشروع على أن تؤخذ بنظر الاعتبار النزاهة وحب العمل المسنود له والتخصص والخبرة .

من الملاحظات الهامة ونحن نتحدث عن تلك المعايير القول بأن ليس كل متخصص يكون صالحاً لإدارة المشروع ، بل هناك ميزة أخرى يجب العمل بها هي الفكر الإنتاجي الذي يحمله هذا المتخصص وكيفية تسخير إمكانياته العلمية التخصصية في تطوير العمل وزيادة وارداته المالية وهذا الموضوع يسحبنا الى الاستشهاد بإدارة متحف اللوفر ، فمن المعروف أن المتاحف الفرنسية ظلت فترة طويلة تناهز الثلاثين عاماً تعتمد في تسيير برامجها على المال العام ، الا أن إدارة متحف اللوفر نجحت في سنة ٢٠٠٩ في تخطي هذه الحالة من خلال تحقيق واردات مالية للمتحف شكلت نسبة ٦٠% من ميزانية المتحف التشغيلية والاستثمارية مقابل ٤٠% توفرها المساعدات الحكومية . تحقيق هذه الواردات المالية جاءت بفضل مجموعة الاجراءات الإدارية التي سار عليها المتحف منذ عام ٢٠٠١ ومنها إقامة المعارض الجواله وبيع الخبرات العلمية والفنية والاستشارات مقابل مكافآت مالية وتقييم الإداء الوظيفي وتأجير قاعات المتحف للمؤتمرات المختلفة وغيرها (٢١)

ت . الإعلام والعلاقات السياحية :-

للإعلام دور فاعل في كل الأنشطة المختلفة لا سيما السياحية والاستثمارية منها ، فلا بد للسياحة إعلامها الخاص الذي يؤدي الى تنشيطها وممارستها بشكل صحيح وينادي بالفوائد الجمة التي تعطيها الحركة السياحية ، ويمكن ان يكون مدرسة مفيدة للمجتمع ، تنوره بالتجارب والأساليب الصحيحة في اتباع الوسائل المجدية ، وترشده الى أفضل السبل لتنشيط الحركة السياحية واستغلال الفترات الملائمة لقيام سياحة ناجحة ، كما يعطي المبررات المقنعة لقيام نشاط سياحي وما فيه من الفوائد المرجوة للوطن والمجتمع (٢٢).

ث : إعداد المتحف الافتراضي :

أدى توافر المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات كأجهزة الحاسوب وشبكة الأنترنت الى توفير فرص جديدة للمتاحف ، وأخذت تعبر عن نفسها بوسائل متعددة ، وأصبح تجميع الصور الرقمية من مصادر متعددة في مجال شرح وتفسير تراثها الثقافي والطبيعي لقاعدة عريضة من جمهور المتاحف من أهم أدوار المتحف(٢٣).

من هذه الوسائل المتاحف الافتراضية فهي وسيلة يستطيع الفرد من خلالها أن يرى ويحس ويلمس من خلال المعلومات في الحاسب الآلي ، إذ تجعله متفاعلاً مع العالم المماثل للعالم الحقيقي بواسطة تكوين المحاكاة لبيئات تخيلية بإجراء التجارب أو المرور عبر المباني لمتحف ما(٢٤).

أن أهمية المتاحف الافتراضية تكمن في توفير الخدمات الى الأشخاص الذين ليس بمقدورهم الوصول الى المتحف كذوي الاحتياجات الخاصة والمرضى والقدرة على وضع الأشياء رقمياً في سياقها وإعادة تصميم العرض المتحفي بسهولة كبيرة وتكلفة أقل وتحسين جودة التعليم والتعلم ، أما مميزاتها فتكمن في انخفاض تكاليف إنشاء مواقع المتاحف الافتراضية على الشبكة وانخفاض تكاليف نشر المطبوعات المتحفية وإتاحة الفرصة لتنمية المشاركة بين المتاحف ذاتها(٢٥).

ثالثاً : أوجه الاستثمار الاقتصادي لمتحف الكفيل :-

المتحف مؤسسة علمية وخدمية عالمية ضخمة تقدم خدمات ثقافية على مدار السنة ، وهذه الخدمات تحتاج الى الكثير من الخبرة والجهد الفني والإداري فضلاً عن استهلاك المباني والأجهزة والتحف المحفوظة به نتيجة الاستخدام والعرض المتحفي المستمر ، لذا لابد من ايجاد الوسائل الكفيلة لتوفير واردات مالية لتغطية النفقات العالية التي يحتاجها المتحف لذلك أصبح من الضروري ان يأخذ الهدف الاقتصادي مكانه في التخطيط العام لإقامة هذا الصرح مع مراعاة توفير نسبة خصم تصل الى حدود ٥٠% للمواطن العراقي باعتباره صاحب هذا الإرث الديني والحضاري والتاريخي .

يعتمد تحقيق الهدف الاقتصادي على جملة اجراءات :-

١. إقامة الأنشطة والخدمات المتحفية لعموم الجمهور:-

أن إقامة الأنشطة المتحفية المختلفة وتوسيعها يعد عامل جذب لعموم المواطنين للاطلاع ومشاهدة تراث أبي الفضل العباس والهدايا والنذور المقدمة له عبر التاريخ وفق آلية عملية وعلمية ناجحة تحقق لنا الأهداف التوعوية والثقافية مضافاً لها الهدف الاقتصادي الذي نحن بصدد الحديث عنه الآن ، ولعل تحقيق تلك الأهداف للمتحف يتم بواسطة جملة من الاجراءات

أ- فتح أبواب المتحف في وجبتين صباحية ومساءية :-

يعد فتح أبواب المتحف للجمهور بشكل مستمر يحقق ثقة الناس به وهي أولى خطوات النجاح والتطور للمتاحف ، خاصة في أيام العطل الرسمية ليتسنى لأكبر شريحة من المواطنين زيارته والتمتع بمعارضاته ، ونقترح أن يكون وفق الآلية التالية:-

(١) تحديد سعر تذكرة الدخول :-

أولى سمات الاستثمار الاقتصادي للمتاحف هو تحديد سعر تذكرة الدخول ، ونفترض بأن تكون هناك نوعين من التذاكر احدهما خاصة بالمواطن العراقي

❖ تذكرة العراقيين بسعر (٢٠٠٠ دينار عراقي) .

❖ تذكرة لغير العراقيين بسعر (٥٠٠٠ دينار عراقي) .

(٢) خدمات التقاط صورة تذكارية شخصية للزائر :-

يرغب الزائر أو السائح الى تخليد زيارته للمتحف أو الأماكن الدينية والحضارية والتاريخية العالمية من خلال التقاط بعض الصور في الموقع المعين ، لذا يفترض

استثمار هذه الرغبة لدى الزائر من خلال توفير عدد من المصورين الذين يتمتعون بالكفاءة الفنية لالتقاط الصور التذكارية مقابل أجور معينة ، وهذا الموضوع من الأمور الطبيعية التي تتبعها إدارات المتاحف والمواقع الدينية والحضارية في كافة بلدان العالم ، مع الأخذ بنظر الاعتبار منع دخول الكاميرات والهواتف الخلوية الشخصية التي يمكن استخدامها لأغراض التصوير ونفترض أن يكون اسعار الصور على النحو التالي :-

- ❖ صورة بوست كارد للعراقيين بسعر (١٠٠٠ دينار عراقي) .
- ❖ صورة مكبرة للعراقيين حجم ٢٥×٣٠ سم بسعر (٦٠٠٠ دينار عراقي) .
- ❖ صورة بوست كارد لغير العراقيين بسعر (٣٠٠٠ دينار عراقي) .
- ❖ صورة مكبرة لغير العراقيين حجم ٢٥×٣٠ سم بسعر (١٥٠٠٠ دينار عراقي) .

(٣) طبع وبيع بعض الصور التاريخية - الدينية النادرة :-

تعتبر الصور النادرة للعتبات المقدسة كالصور القديمة للأضرحة المقدسة ومراحل تطورها والاضافات العمارية التي حصلت عليها عبر التاريخ وكذلك اللوحات الفنية التي رسمها وخططها الرحالة القدماء الذين زاروا العتبات المقدسة في فترات تاريخية قديمة وكذلك اللوحات الفنية التي رسمها الفنانون المسلمون لتجسيد واقعة الطف الأليمة وصور الأغلفة لبعض المخطوطات والمسكوكات ونفائس الكنوز المحفوظة في العتبة العباسية المطهرة وغيرها من المسائل التي تسترعي اهتمام الزائرين والسواح ، وهناك الغالبية منهم ممن يرغب في شرائها واقتنائها ، ولا بأس في إعدادها وإخراجها بشكل فني واستثمارها اقتصادياً لزيادة الواردات المالية للمتحف شريطة أن تكون بسيطة وذات أسعار معقولة لضمان بيعها لأكبر عدد ممكن من الزائرين ونفترض أن تكون المصورات بثلاثة أحجام :

- ❖ الحجم الصغير بسعر (٥٠٠٠ دينار عراقي) .

❖ الحجم المتوسط بسعر (١٠٠٠٠ دينار عراقي) .

❖ الحجم الكبير بسعر (١٥٠٠٠ دينار عراقي) .

٤) تصنيع وبيع بعض المقلدات من التحف المعروضة :-

أن وجود بعض النماذج المقلدة لأصل التحفة أصبح من الأمور المتعارف عليها بين المتاحف (٢٦)، بل وأصبحت من صميم العمل المتحفي حيث تعتمد الى هذا الأسلوب غالبية المتاحف العالمية والتي تساهم في زيادة الواردات المالية لمتاحفها ، وغالباً ما يرغب الزائر من شراء واقتناء تلك الآثار المقلدة سواء لتقديمها كهدايا أو اتخاذها كتحف يزين بها داره وتكون مصنوعة من نفس المادة التي صنع منها الأثر الأصل لكن بحجم أصغر من الحجم الأصلي وتختتم بختم المتحف تلافياً لحالات الغش والسرقة وبالإمكان أن تتعاقد إدارة المتحف مع أصحاب الحرف والمهن لتصنيع بعض المقلدات لغرض بيعها ويحبذ أن تكون أسعارها مثالية كي تتمكن أكبر شريحة من الزائرين من شرائها . ويقترح الباحث أن تكون على خمس درجات من حيث السعر تبعاً لحجمها ونوع المادة المصنوع منها :

❖ مقلدات بسعر (٥٠٠٠ دينار) .

❖ مقلدات بسعر (١٠٠٠٠ دينار) .

❖ مقلدات بسعر (١٥٠٠٠ دينار) .

❖ مقلدات بسعر (٢٠٠٠٠ دينار) .

❖ مقلدات بسعر (٢٥٠٠٠٠ دينار) .

ب- استبدال المعروض من التحف بين الحين والآخر:-

استبدال المعروضات بين الحين والآخر يصنع جواً من المتابعة والتشوق والرغبة لتكرار زيارة المتحف من قبل زائريه ويزيد من فرص الجذب لزيارة المتحف ، حيث يتأمل الزائر الاطلاع على معروضات وكنوز متحفية اخرى في زيارته القادمة ، لذا

لابد من اعتماد مبدأ تغيير المعروضات والتي بالإمكان تغييرها بين الحين والآخر وعرض تحف أخرى غير معروضة سابقاً لضمان استمرارية زيارته من قبل المواطنين ويعد هذا الاجراء من الاجراءات الإدارية الناجحة والتي تحقق نسب عالية من الزائرين والتي تصب في زيادة الواردات المالية للمتحف .

لقد عمد متحف اللوفر في فرنسا وهو من المتاحف العريقة بمثل هذه الاجراءات والتي حققت له نسبة عالية من الزائرين اليه حيث وصل عدد من زار المتحف سنة ٢٠٠٩ أكثر من ثمانية ملايين زائر فرنسي وكان سر نجاحه هو تنوع معروضاته الفنية حيث يمتلك بحدود خمسة وثلاثون الف قطعة أثرية (٢٧).

٢. العمل بنظام المعارض المتحفية الجواله خارج العراق :-

قبل الحديث عن كيفية العمل وفق نظام المتاحف أو المعارض الجواله خارج العراق - التي تعيننا في هذه الفقرة - لابد من إعطاء فكرة مبسطة عن ماهيتها وقانونيتها وكيفية التعامل معها لتجنب الوقوع في مخاطر تعرضها للسرقة أو التلف وما شابه ، وخلاصة القول بأن إقامة هكذا معارض يكاد يكون تعامل روتيني للعديد من المتاحف العالمية .

ويكفي القول بأن متحف اللوفر يقيم متاحف جواله حول العالم يعرض فيها نفائس التحف الأثرية التي يحتفظ بها المتحف وأغلبها من الحضارات غير الفرنسية منها آثار فرعونية مصرية وآثار بلاد الرافدين وآثار إسلامية واستطاع في سنة ٢٠٠٩ مثلاً من جذب أكثر من سبعة وعشرين ألف زائر يومياً معظمهم من الأجانب غير الفرنسيين ، وبلغ عدد الزائرين خلال سنة واحدة ثلاثة ملايين ونصف (٢٨) كما يعمل وفق هذا النظام دول عربية أيضاً كمصر والأردن ولبنان ، مع العلم أن العراق في سنوات السبعينات من القرن الماضي أقام هكذا معارض في بعض عواصم العالم ولكنها توقفت بسبب الحروب التي خاضها النظام السابق ، والهدف منها عرض مجموعة مختارة من كنوز ومقتنيات المتحف في عواصم العالم التي تشهد اقبالاً واسعاً من قبل السائحين ،

ولفترة محددة كأن تكون شهر أو فصل أو نصف سنة ويعتمد تحديد التاريخ حسب العقد المبرم بين الطرفين أي المتحف المعني والدولة الأخرى . مع ضمانات إعادة الآثار سالمة بدءاً من حفظها في الصناديق حيث يجب أن تكون صناديق الحفظ مصنوعة من الفولاذ والذي لا يتأثر بالصدمات حتى لو وقعت الطائرة من ارتفاعات شاهقة بالجو وحمايتها من السرقة والتزيف وغيرها من الشروط الضامنة للحفاظ على آثارنا . ويتم الاتفاق وتوقيع العقد بحضور ممثل من اليونسكو يكون طرفاً ثالثاً (شاهد) ويصادق على مشروعية العقد ضماناً لآثار البلدان من السرقة ، أو قيام أحد الطرفين بالإخلال بشروط العقد المبرم .

أما من حيث قانونية هكذا معارض فأن قانون الآثار العراقي بالرقم ٥٥ لسنة ٢٠٠٢ - ساري المفعول - قد أجاز إقامة هكذا معارض جولة حيث ورد في المادة (٢/ سابقاً) : (العمل على عرض الآثار والمواد التراثية أو نماذجها في المتاحف الأجنبية بصورة مؤقتة لاطلاع الأجانب على مظاهر حضارة العراق العريقة) (٢٩).
أما أسلوب أو طريقة التنفيذ فتتم من عدة طرق :-

❖ عن طريق تقديم مؤسسة ثقافية دولية معتمدة لدى اليونسكو أو إحدى المؤسسات الحكومية ذات الصلة بالآثار والعمل المتحفي لدولة معينة طلب إلى الجهات المعنية في العراق .

❖ عن طريق إعلان المتحف المعني في العراق استعداداً للتعاقد بتأجير كنز معين أو مجموعة تحف مميزة كهذا بعض الملوك والرؤساء الى مرقد أبي الفضل العباس مقابل مبلغ يتفق عليه بين الطرفين بموجب عقد يبرم بين الطرفين يتم فيه تحديد المدة الزمنية للتأجير ومكان العرض والمبلغ المتفق .

❖ عن طريق قيام المتحف ذاته بمفاتحة إحدى الدول بإقامة معرض متجول في أراضيها لعرض مقتنياته لعموم السواح في بلدها مقابل أن يتحمل المتحف المعني " الكفيل مثلاً " كافة المصاريف ودفع بدل إيجار المكان الذي يقام فيه المعرض وغيرها وتكون واردات المعرض لصالح المتحف .

الباحث يرى العمل بالفقرة الأولى أو الثانية في إقامة المعرض المتجول كونها أسهل الطرق وضمنها من حيث تحقيق الهدف الاقتصادي في الوقت الحالي ، لا سيما وأن عامل الجذب للمؤسسات الدولية متوفر في متحف الكفيل كون مقتنياته ستعرض لأول مرة فضلاً عن أهمية المعرض الذي يتوق له العالم لمشاهدته والاطلاع عليه .

أما الجدوى الاقتصادية والفائدة من هكذا فعاليات فهي تصب في مصلحة البلد من الجوانب التالية :-

- توفير واردات مالية ثابتة للمتحف ولا يتحمل المتحف أي مصاريف بما فيها مصاريف الموظفين الموفدين مع الكنوز أو أجور النقل جواً وبراً أو تأجير قاعات العرض والديكورات وغيرها .
- يكون الطرف الآخر ملزم بتسديد كافة المبالغ المتعاقد عليها بغض النظر عن أي طارئ يحصل مثل عزوف المواطنين عن زيارة المعرض أو أزمة اقتصادية أو غيرها .
- بالإمكان فرض شرط آخر على الجهة المستفيدة مثل إدخال بعض موظفي المتحف في دورات تطويرية مثل دورات صيانة الآثار أو العرض المتحفي على حساب الجهة المستفيدة .
- إضافة نسبة مئوية من أرباح المعرض لصالح المتحف بغض النظر عن المبالغ الثابتة التي تم الاتفاق عليها بالعقد المبرم .

٣. إقامة معارض متحفية داخلية بالتعاون مع الشركات المستثمرة في العراق

اعتماد مبدأ التبرعات المالية من الشركات الاستثمارية العراقية أو الأجنبية والتي لها صلات ومصالح تجارية - استثمارية في العراق مثل الشركات النفطية وشركات الهواتف النقالة وشركات الأغذية ... الخ ، والتي يمكن التنسيق معها لتقديم دعم مالي معين لإقامة معارض متحفية في المحافظات تتحمل من خلاله الشركة المعنية تكاليف نقل المقتنيات المتحفية والموظفين وإقامتهم خلال مدة العرض وتوفير قاعات العرض وغيرها من المستلزمات الفنية التي يحتاجها العمل المتحفي في المحافظة المعنية

ويكون ريع المعرض لصالح متحف الكفيل ، مقابل أن يعلن عن التعاون أو رعاية الشركة للمعرض كحقوق دعاية لمنتجاته وبإمكان إدارة الشركة من طبع بعض الكتب والمطويات لمقتنيات المتحف مع وضع أسم الشركة على ذلك المطوي أو الكتاب المطبوع على نفقة الشركة ، على أن هذا الأمر لا يتحمل الحساسية المفرطة حيث أن أغلب المتاحف العالمية تعتمد على هذا النظام كإحدى فقرات التمويل ومنها المتاحف الأمريكية مثلاً التي توفر نسبة ٣٨% من إيراداتها المالية من خلال هذا المبدأ (٣٠).

يمكن العمل بنظام المعرض المتحفي في كافة محافظات العراق مستقبلاً ، أما في الوقت الحالي فبالإمكان العمل في عشر محافظات عراقية وهم محافظات الوسط والجنوب لاستتباب الوضع الأمني فيها والذي يعتبر العمود الفقري للعمل المتحفي والاستثمار الاقتصادي ، ويطبق ذات مبدأ العمل الإداري المعتمد في إدارة المتحف كتسعيرة الدخول والفعاليات والأنشطة الأخرى ، كما يمكن أن يكون العمل موسمياً أي تخصيص ثلاث أسابيع خلال السنة على سبيل المثال كمدة لإقامة المعرض في إحدى المحافظات .

رابعاً : التقديرات المالية التخمينية المتحققة من نشاطات المتحف خلال عام :-

نحاول في هذه الفقرة احتساب التقديرات التخمينية لبعض الأنشطة التي تقيمها المتاحف عادة حيث راعينا بداية التأسيس لمتحف الكفيل لذلك توخينا الاختصار في الكثير من الأنشطة التي تحتاج الى دراسات مستفيضة وموارد مالية كبيرة لتوسيع نشاطاتها ونأمل أن تتم على مراحل بعد تحقيق واردات مالية تمكنها من تحقيق برنامجها بشكل كامل ومثالي والتوسع في نشاطاتها الخدمية الثقافية .

في ودي أن الفت الانتباه الى أن التقديرات التخمينية التي اعتمدت عليها تمثل الحد الأدنى من الزائرين العراقيين وغير العراقيين ، فقد اعتمدنا على أن عدد الزائرين العراقيين للمتحف سنوياً بـ (٣,٦٠٠,٠٠٠) ثلاثة ملايين وستمائة ألف زائر بمعدل

(١٠,٠٠٠) عشرة الاف زائر يومياً، وهي نسبة ضئيلة جداً قياساً الى التقديرات السنوية لعدد الزائرين للروستين الحسينية والعباسية المطهرتين .

فيما اعتمدنا عدد الزائرين من غير العراقيين بمليون زائر سنوياً استناداً الى احصائية وزارة السياحة والآثار المنحلة لعام ٢٠٠٩ بمعدل (٢٧٧٧) الفان وسبعمئة وسبع وسبعون زائر يومياً

هذه الأعداد سنعتمدها في تذاكر الدخول لمتحف الكفيل بعد إنجازه ، وسنعتد نسبة ٥% فقط من تلك الأعداد الذين يرغبون بخدمات أخرى يقدمها لهم المتحف كجزء من نشاطاته اليومية إضافة الى تذكرة الدخول مثل التبضع من أجنحة المتحف الملحقة وتوثيق زيارتهم بصور شخصية وغيرها .

كما اعتمدنا الحد الأدنى في تحديد الأسعار والتي تكاد تكون شبه مدعومة حيث أن أسعار الأنشطة المتحفية العالمية والعربية تفوق بكثير مما حددناه في دراستنا ، وعليه فأن الواردات قابلة للزيادة وليست للنقصان .

في الجدول أدناه يبين الواردات التخمينية المتحققة لكل نشاط من أنشطة المتحف مع أجمالي المبالغ المتحققة الواردة الى المتحف ، كما سنحتسب كلفة النشاطات المتنوعة بنسبة ٧٠% من مجمل الواردات الحقيقية الداخلة للمتحف ونقصد بالكلفة رواتب الموظفين والعاملين الإداريين والفنيين والنقل وتكلفة الكهرباء والخدمات الأخرى كطبع الصور التذكارية للأشخاص وطبع الصور النادرة واللوحات وأعمال مقلدات التحف ، فيما نفترض أن الواردات الصافية المستثمرة من المتحف هي ٣٠% .

أولاً : الواردات التخمينية من أجور تذكرة الدخول للمتحف :-

سنعتمد في دراسة الجدوى الاقتصادية لجباية تذكرة الدخول للمتحف بـ(١٠,٠٠٠) عشرة آلاف زائر عراقي يومياً ، أي بحدود (٣,٦٠٠,٠٠٠) ثلاثة ملايين وستمئة ألف زائر عراقي سنوياً . واعتمدنا على ان عدد الزائرين للمتحف من غير العراقيين

التوظيف الاقتصادي للمتاحف المتخصصة "متحف الكفيل انموذجاً"

يوميّاً بحدود (٢,٧٠٠) الفان وسبعمئة زائر يومياً بمعدل (٩٧٢,٠٠٠) تسعمائة وأثنان وسبعون زائر سنوياً .

ت	نوع النشاط المتحفي	السعر	عدد الزائرين سنوياً	المبلغ الاجمالي السنوي
١.	تذكرة الدخول للعراقيين	د ٢٠٠٠	٣,٦٠٠,٠٠٠ زائر	٧,٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سبعة مليار ومئتي مليون دينار
٢.	تذكرة الدخول لغير العراقيين	د ٥٠٠٠	٩٧٢,٠٠٠ زائر	٤,٨٦٠,٠٠٠,٠٠٠ أربعة مليار وثمانمئة وستون مليون دينار

المبلغ الإجمالي السنوي من واردات أجور تذكرة الدخول يكون (١٢,٠٦٠,٠٠٠,٠٠٠) أثني عشر مليار وستون مليون دينار عراقي .

ثانياً : الواردات التخمينية من أجور الصور الشخصية التذكارية :-

سنعتمد في دراسة الجدوى الاقتصادية لنشاط الصور التذكارية لزوار المتحف بنسبة ٥% فيكون (٥٠٠) خمسمائة شخص عراقي يومياً يرغبون توثيق زيارتهم للمتحف بصورة البوست الصغيرة ، أي بحدود (١٨٠,٠٠٠) مئة وثمانون الف شخص سنوياً ، وسنعتمد نصف هذا العدد أي (٢٥٠) مئتين وخمسون شخص عراقي يومياً يرغبون بالصورة ذو الحجم الكبير ويكون بحدود(٩٠,٠٠٠) تسعون الف شخص عراقي سنوياً . وبذات النسبة أي ٥% للأشخاص غير العراقيين فيكون العدد (١٣٥) مئة وخمس وثلاثون شخص من الذين يرغبون بالتقاط صور تذكارية للصورتين الصغيرة والكبيرة أي بحدود (٤٨,٦٠٠) ثمان وأربعون الف شخص سنوياً لكل نوع من الصورتين الصغيرة والكبيرة

ت	نوع النشاط المتحفي	السعر	عدد الزائرين سنوياً	المبلغ الاجمالي السنوي
١.	صورة بوست صغيرة للعراقيين	١٠٠٠ د	١٨٠,٠٠٠ زائر عراقي	١٨٠,٠٠٠,٠٠٠ مئة وثمانون مليون دينار
٢.	صورة كبيرة للعراقيين	٦٠٠٠ د	٩٠,٠٠٠ زائر عراقي	٥٤٠,٠٠٠,٠٠٠ خمسمائة وأربعون مليون دينار
٣.	صورة بوست صغيرة لغير العراقيين	٣٠٠٠ د	٤٨,٠٠٠ زائر غير عراقي	١٤٤,٠٠٠,٠٠٠ مئة وأربع وأربعون مليون دينار
٤.	صورة كبيرة لغير العراقيين	١٥٠٠٠ د	٤٨,٠٠٠ زائر غير عراقي	٧٢٠,٠٠٠,٠٠٠ سبعمائة وعشرون مليون دينار

المبلغ الإجمالي السنوي من واردات الصور الشخصية التذكارية يكون (١,٥٨٤,٠٠٠,٠٠٠) مليار وخمسمائة وأربع وثمانون مليون دينار

ثالثاً : الواردات التخمينية من بيع منسوخات الصور التاريخية النادرة :-

سنعتمد ذات النسبة أي ٥% لرواد المتحف من العراقيين وغير العراقيين في دراسة الجدوى الاقتصادية لبيع الصور التاريخية النادرة كصور للمراقد الشريفة القديمة أو رسومات تجسد واقعة دينية - تاريخية ترتبط بآل بيت الرسول "عليهم الصلاة والسلام" فيكون لدينا (٥٠٠) خمسمائة زائر عراقي و (١٣٥) مئة وخمسة وثلاثون زائر غير عراقي يومياً ويكون مجموع الراغبين بشراء تلك الصور من العراقيين وغيرهم (٢٢٨,٠٠٠) مئتان وثمان وعشرون ألف زائر وعلى ثلاث احجام هم الصغيرة والمتوسطة والكبيرة .

ت	نوع النشاط المتحفي	السعر	عدد الزائرين سنوياً	المبلغ الاجمالي السنوي
١.	صورة تاريخية صغيرة الحجم	٥٠٠٠ د	٢٢٨,٠٠٠ زائر	١,١٤٠,٠٠٠,٠٠٠ مليار ومائة وأربعون مليون دينار
٢.	صورة تاريخية متوسطة الحجم	١٠,٠٠٠ د	٢٢٨,٠٠٠ زائر	٢,٢٨٠,٠٠٠,٠٠٠ مليار ومئتان وثمانون مليون دينار
٣.	صورة تاريخية كبيرة الحجم	١٥,٠٠٠ د	٢٢٨,٠٠٠ زائر	٣,٤٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ثلاث مليارات وأربعمائة وعشرون مليون دينار

المبلغ الإجمالي السنوي من واردات بيع الصور التاريخية النادرة
(٦,٨٤٠,٠٠٠,٠٠٠) ست مليارات وثمانمائة وأربعون مليون دينار

رابعاً : الواردات التخمينية من بيع التحف المقلدة :-

سنعتمد في دراسة الجدوى الاقتصادية من بيع التحف المقلدة على ذات النسبة السابقة فيكون مجموع المتبضعين سنوياً (٢٢٨,٠٠٠) مئتان وثمانية وعشرون ألف من العراقيين وغير العراقيين لجميع أنواع الصور ضمن الفئات الخمسة التي تبدأ بسعر (٥,٠٠٠) خمسة آلاف دينار كحد أدنى للتحف المقلدة وتنتهي بالسعر (٢٥,٠٠٠) خمسة وعشرين ألف دينار كحد أعلى للأسعار

ت	نوع النشاط المتحفي	السعر	عدد الزائرين سنوياً	المبلغ الاجمالي السنوي
١.	تحف مقلدة فئة ١	٥٠٠٠ د	٢٢٨,٠٠٠ متبضع	١,١٤٠,٠٠٠,٠٠٠ مليار ومئة وأربعون مليون دينار
٢.	تحف مقلدة فئة ٢	١٠,٠٠٠ د	٢٢٨,٠٠٠ متبضع	٢,٢٨٠,٠٠٠,٠٠٠ مليارات ومائتان وثمانون مليون دينار
٣.	تحف مقلدة فئة ٣	١٥,٠٠٠ د	٢٢٨,٠٠٠ متبضع	٣,٤٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ثلاث مليارات وأربعمائة وعشرون مليون دينار
٤.	تحف مقلدة فئة ٤	٢٠,٠٠٠ د	٢٢٨,٠٠٠ متبضع	٤,٥٦٠,٠٠٠,٠٠٠ أربع مليارات ومائتان وستون مليون دينار

التوظيف الاقتصادي للمتاحف المتخصصة "متحف الكفيل انموذجاً"

مليارات وخمسمائة وستون مليون دينار				
مليارات وسبعمائة مليون دينار	٢٢٨,٠٠٠ متبضع	٢٥,٠٠٠ د	تحف مقلدة فئة ٥	٥.

المبلغ الإجمالي من واردات بيع التحف المقلدة سنوياً (١٧,١٠٠,٠٠٠,٠٠٠)

سبعة عشر مليار ومئة مليون دينار

خامساً : الواردات التخمينية من إقامة المعارض الجواله خارج العراق :-

ذكرنا فيما سبق اهمية المعارض المتحفية التي تقام خارج الوطن فهي تحقق هدف ثقافي وتعريف العالم الخارجي بالقيمة الإنسانية والدينية التي يمتلكها أبى الفضل العباس "عليه السلام" وشهداء كربلاء بشكل عام ، ويوفر إعلام مجاني للمتحف الأصل خارج البلاد وكذلك يحقق هدف اقتصادي استثماري يعزز من الواردات العامة للمتحف خاصة فيما لو تم اختيار إقامة المعرض في أوقات الذروة السياحية من كل عام في البلدان التي سيقام فيها .

في هذه الفقرة سوف نعتمد على الواردات الفعلية الصافية التي يجنيها المتحف دون التوسع في النشاطات الأخرى التي كان المتحف يقيمها داخل العراق كبيع بعض التحف أو الصور التاريخية لأن نقل تلك المواد ذات تكاليف مالية عالية كأجور النقل جواً وبراً وعمليات الشحن والتفريغ والضرائب التي ستقرضها الدولة المضيفة ونفقات موظفي الموفدين مع البضائع كأجور السفر وسمة الدخول والإقامة والسكن والتي ستكون على حساب متحف الكفيل وغيرها من التزامات مالية كبيرة ، كون المتعاقدين بعرض المتحف الجوال في الخارج لا يتحملوا تلك التكاليف وإنما يتحملوا فقط نفقات موظفي المتحف المرافقين للتحف التي ستعرض ، لذا فالجدوى الاقتصادية تقتضي في البدء العمل بموجب عقود تأجير التحف فقط .

الجدول التالي يبين الجدوى الاقتصادية للمتحف المتجول

ت	نوع النشاط المتحفي	السعر	عدد الزائرين سنوياً	المبلغ الاجمالي السنوي
١.	الأجور الصافية من عقود المتحف المتجول خارج العراق	١,٥٠٠,٠٠٠ دولار	بلا	١,٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مليار وثمانمائة مليون دينار عراقي حسب سعر تصريف العملة الرسمي

المبلغ الإجمالي من واردات المتحف المتجول خارج العراق (١,٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠)

مليار وثمانمائة مليون دينار

سادساً : الواردات التخمينية للمعارض الفصيلة في محافظات البلاد :-

أن الهدف الحقيقي والأسمى هو هدف توعوي تنقيفي بالدرجة الأولى ، ثم يأتي الهدف الاقتصادي الذي نبغي من خلاله توفير واردات مالية لتغطية النفقات العامة للمتحف وتطوير امكانياته مستقبلاً مما يفيض من تلك الواردات .

يعتقد الباحث أن الضرورة القصوى تدفعنا لإقامة معارض فصلية في المحافظات لكي تتاح الفرصة لأكبر عدد من المواطنين الاطلاع ومشاهدة مقتنيات متحف الكفيل ، لأنه ببساطة علينا أن نضع في حساباتنا ليس جميع المواطنين قادرين على زيارة المتحف في كربلاء المقدسة لأسباب مالية أو لأسباب انشغالاته في عمله ، فضلاً عن امكانية استهداف الشريحة الطلابية التي تكاد تكون مشغولة بواجباتها المدرسية لذا على إدارة المتحف ان تضع نصب أعينها تلك الحالات ولعل الحلول الناجحة هو إقامة مواسم معرضية سنوياً في المحافظات الآمنة .

سنفترض في دراسة الجدوى الاقتصادية لهذا النوع من النشاط ستكون بحدود (١,٠٠٠,٠٠٠) مليون مواطن سنوياً الغالبية العظمى منهم طلاب المدارس وبعض طلاب جامعات المحافظات وبعض العوائل ، كما سنعتمد نسبة ٥% ممن يرغبون في استثمار النشاطات الأخرى للمتحف كالصور التذكارية والتبضع فيكون بحدود (٥٠٠٠) خمسة آلاف مواطن سنوياً .

التوظيف الاقتصادي للمتاحف المتخصصة "متحف الكفيل انموذجاً"

الجدول التالي يوضح الجدوى الاقتصادية لأنشطة المعارض الموسمية في المحافظات :-

ت	نوع النشاط المتحفي	السعر	عدد الزائرين سنوياً	المبلغ الاجمالي السنوي
١.	تذكرة دخول المعرض	٢,٠٠٠ د	١,٠٠٠,٠٠٠ زائر	٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ملياري دينار
٢.	صورة شخصية بوست صغيرة	١,٠٠٠ د	٥٠٠٠ زائر	٥,٠٠٠,٠٠٠ خمسة مليون دينار
٣.	صورة شخصية كبيرة	٦,٠٠٠ د	٥٠٠٠ زائر	٣٠,٠٠٠,٠٠٠ ثلاثون مليون دينار
٤.	صورة تاريخية صغيرة	٥,٠٠٠ د	٥,٠٠٠ متبضع	٢٥,٠٠٠,٠٠٠ خمس وعشرون مليون دينار
٥.	صورة تاريخية متوسطة	١٠,٠٠٠ د	٥,٠٠٠ متبضع	٥٠,٠٠٠,٠٠٠ خمسون مليون دينار
٦.	صورة تاريخية كبيرة	١٥,٠٠٠ د	٥,٠٠٠ متبضع	٧٥,٠٠٠,٠٠٠ وسبعون مليون دينار
٧.	تحفة مقلدة فئة ١	٥,٠٠٠ د	٥,٠٠٠ متبضع	٢٥,٠٠٠,٠٠٠ خمس وعشرون مليون دينار
٨.	تحفة مقلدة فئة ٢	١٠,٠٠٠ د	٥,٠٠٠ متبضع	٥٠,٠٠٠,٠٠٠ خمسون مليون دينار
٩.	تحفة مقلدة فئة ٣	١٥,٠٠٠ د	٥,٠٠٠ متبضع	٧٥,٠٠٠,٠٠٠ وسبعون مليون دينار
١٠.	تحفة مقلدة فئة ٤	٢٠,٠٠٠ د	٥,٠٠٠ متبضع	١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مئة مليون دينار
١١.	تحفة مقلدة فئة ٥	٢٥,٠٠٠ د	٥,٠٠٠ متبضع	١٢٥,٠٠٠,٠٠٠ مئة وخمسون مليون دينار

المبلغ الإجمالي من واردات المعارض المتحفية في المحافظات (٢,٦٥٠,٠٠٠,٠٠٠) مليارين وستمئة وخمسون مليون دينار سنوياً

سابعاً : إجمالي الواردات الداخلة للمتحف من الفعاليات والأنشطة المتحفية المختلفة:-

في ختام دراستنا المتواضعة ودراسة الجدوى الاقتصادية ، في الجدول التالي يبين مجموع الواردات المالية ، ومقدار الإنفاق على مجمل الفعاليات ، ومقدار الدخل الصافي . مع ملاحظة احتساب واردات المعارض المتحفية الجواله كواردات صافية لا تدخل ضمن خصم ٧٠% التي افترضها الباحث كنفقات كون نفقات المعرض الجوال خارج العراق تتحملها الجهة المستفيدة .

i. الواردات الإجمالية للمتحف خلال السنة الواحدة :-

تكون الواردت التخمينية (٤٢,٠٣٤,٠٠٠,٠٠٠) أثنان وأربعون مليار وأربع وثلاثون مليون دينار عراقي

ii. مجموع نفقات المتحف بنسبة ٧٠% خلال السنة الواحدة :-

تكون مجموع النفقات المستحقة على المتحف خلال سنة واحدة كرواتب الموظفين والعاملين والنقل وأجور عمل الصور الفوتوغرافية والتحف المقلدة وصيانة التحف وغيرها تكون بمقدار (٢٨,١٧٠,٠٠٠,٠٠٠) ثمان وعشرون مليار ومئة وسبعون مليون دينار

iii. صافي الواردات المتحققة للمتحف بنسبة ٣٠% خلال السنة الواحدة

:-

صافي الواردات المتحققة للمتحف بعد خصم نسبة ٧٠% وهي مبالغ عموم النفقات يكون (١٣,٨٦٤,٠٠٠,٠٠٠) ثلاثة عشر مليار وثمانمائة وأربع وستون مليون دينار + (١,٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠) مليار وثمانمائة مليون دينار وهي واردات صافية من أجور التعاقد مع المؤسسات المتحفية خارج العراق فيكون مجموع ما يحققه المتحف (١٥,٦٦٤,٠٠٠,٠٠٠) خمسة عشر مليار وستمائة وأربع وستون مليون دينار

لابد من التذكير في هذا المقام بأن الواردات المالية قابلة للزيادة فيما لو تم توسيع النشاطات المتحفية الأخرى مثل فتح جناح لبيع الكتب وطبع كراريس الرسم للأطفال وكتب القصص التوجيهية للأطفال وغيرها من الفعاليات الكثيرة . كما لابد من التذكير أيضاً أن ما أعتمدناه من أعداد للزائرين للمتحف ومن أعداد المتبضعين وكذلك تحديد أسعار التذاكر والصور وغيرها خاصة للسواح غير العراقيين تعد دون الحدود الدنيا ، وكان هدفنا من تحديد تلك الأعداد والأسعار الدنيا هو التوضيح بما يمكن يحققه متحف الكفيل من واردات تدعمه برنامجه المقدس لما يملكه من جذب سياحي كبير للأهمية العالمية التي يتمتع بها موقع المتحف كأحد الأماكن المقدسة في العالم . فضلاً عما تحقق من الهدف الأسمى وهو الهدف الثقافي التوعوي ونشر مبادئ الإسلام الحقيقية والثورة الحسينية الخالدة في نفوس المؤمنين .

وختاماً أسأل الله العلي القدير أن يتقبل هذا العمل المتواضع وأن يكون جزء من وفائنا للدين وأن يسدد خطانا لما يحبه ويرضاه ويحتسبه عنده .

الهوامش :

- ¹ - الدباغ، نقي وآخرون، طرق التنقيبات الأثرية، بغداد، ١٩٨٣، ص ٢٥.
- ² - مخلص، عدي يوسف، " تطور المتاحف لخدمة اغراض التعليم "، مجلة التراث والحضارة ، المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية، بغداد، ١٩٨١، ع ٣، ص ١٣.
- ³ - الصبيحاي، حيدر فرحان حسين ، دراسة في الاستثمار السياحي في العراق، بغداد، ٢٠١٠، ص ٥ .
- ⁴ - المدرسي، هادي ، العباس بطولة الروح وشجاعة السيف، دار الهادي للطباعة والنشر، د . ت، ص ١٧
- ⁵ - Werner Fuch , The Styles of European Art , Introduced By : Herbert Read , Thames and Hudson , London , 1965 , p . 72 .
- ⁶ - إبراهيم، زكريا، الفنان والإنسان، دار غريب للطباعة، القاهرة، د.ت، ص ١٦٤ .

- 7 - الصبيحاي، حيدر فرحان حسين، " انطباعات الرسامين المسلمين لواقعة الطف الأليمة دراسة أثرية - تحليلية "، مجلة القادسية، الديوانية، ٢٠١٥، مج ١٨، ع ١، ص ٦٨٦.
- 8 - الدباغ ورشيد، تقي وفوزي، علم المتاحف، بغداد، ١٩٨٠، ص ٦٤.
- 9 - الصفار، علي، متحف الكفيل للنقائس والمخطوطات، النجف، ١٤٣٣ هـ، ص ٨ .
- 10 - الشمري، عباس عبد منديل، التوثيق الآثاري والعرض المتحفي " المتحف العراقي أنموذجاً " رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠١٣، ص ٣١
- 11 - علم الدين، محمود، التوثيق الإعلامي، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٤.
- 12 - شامايا، سعيد، السياحة في كردستان، أربيل، ٢٠٠٧، ص ٩٧.
- 13 - محمد علي، محمد سعيد، " متحف لندن الجديد "، مجلة المتحف، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٧٧، ع ٤، ص ١٢.
- 14 - الشمري، عباس، المصدر السابق، ص ٤.
- 15 - Scott , H , G , " Design and Construction , Building-Out Pests " . Ecology and Management of Food-Industry Pests , J . Richard Gorham , ed . 1991 , p 332 .
- 16 - درويش، محمود احمد، " المتاحف "، الآثار والتراث الحضاري بين الاصاله والمعاصرة ، المؤتمر الدولي الأول في الآثار، جامعة المنيا، مصر، ٢٠١٢، ص ٤.
- 17 - الشمري، عباس، المصدر السابق، ص ٤٩.
- 18 - لمعي، عبد الرحيم، المتحف ودوره في المجتمع، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب، جامعة ابي بكر بلقايد، الجزائر، ٢٠٠٦، ص ٣٠.
- 19 - الدباغ ورشيد، المصدر السابق، ص ٧١.
- 20 - Edson , G & Dean , D , The Hand Book for Museums , butler & Tanner , Ltd , Frome , Somerset , London and New York , 2000 - 2001
- 21 - مخالدي، أنيسة، " المتاحف الفرنسية تدخل عهد التسويق والاستثمار "، جريدة الشرق الأوسط، ع ١١٤٣٣، الخميس ١٨ مارس ٢٠١٠.

- 22 - شامايا، المصدر السابق ، ص ١٥٠ .
- 23 - لويس، جيفري، " دور المتاحف ونظام الآداب المهنية "، إدارة المتاحف دليل علمي، المجلس الدولي للمتاحف (ICOM)، منظمة اليونسكو، د . ت، ص ٥ .
- 24 - لويس، المصدر نفسه، ص ٦ .
- 25 - لويس، المصدر السابق، ص ١٨ .
- 26 - الدغفق، هدى عبد الله، " المتحف الوطني بين الإعلام والإعلان والتعليم "، جريدة الرياض، السعودية، ع ١٣٤٢٢، ٢٠٠٥ .
- 27 - مخالدي، انيسة، " المتاحف الفرنسية تدخل عهد التسويق والاستثمار "، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١١٤٣٣، الخميس ١٨ مارس ٢٠١٠ .
- 28 - مخالدي ، المتاحف الفرنسية .
- 29 - قانون الآثار العراقي رقم ٥٥ لسنة ٢٠٠٢ ، المادة ٢١ / أولاً .
- 30 - كيف يتم دعم المتاحف مالياً في الولايات المتحدة الأمريكية ، نقلاً عن: ilbdigital.usembassy.gov

موقف نصارى الشام من الحروب الصليبية

م . د . ازهار غازي مطر

جامعة ديالى / كلية التربية الاساسية

موقف نصارى الشام من الحروب الصليبية

م . د . د . ا ز ه ا ر غ ا ز ي م ط ر

المخلص

كان النصارى يشكلون عنصراً مهماً من العناصر السكانية في بلاد الشام وكانوا ينقسمون في بلاد الشام الى عناصر مختلفة ، منهم النصارى السوريون والارمن واليونان ، اما النصارى السوريون فقد قاموا بدور ملحوظ بالنسبة للحملة الصليبية فقد تعاونوا مع الصليبيين في انتزاع بيت المقدس اذ كان لمساعدة نصارى ارتاح اثر كبير في استيلاء الفرنج عليها سنة (٤٩٠ هـ) اذ قام سكان البلاد النصارى بذبح الحامية الموجودة في ارتاح ، وعندما اقترب الصليبيون من انطاكية لم يجدوا صعوبة في التماس الاصدقاء في داخل المدينة ، ذلك انه انظم الى المعسكر الصليبي عدد كبير من النصارى من سكان انطاكية الذين دأبوا على الاتصال بأقاربهم في داخل المدينة من خلال باب القديس جورج في الغرب ، فتيسر للصليبيين الوقوف على ما يحدث داخل انطاكية ، وقد قاسى الصليبيون من المجاعة التي لحقت بهم اثناء حصار انطاكية حتى انه كان يموت شخص من بين كل سبعة أشخاص ، ولذلك سارع النصارى والارمن بتقديم كل ما استطاعوا جمعه الى المعسكر الصليبي ، كما كان للنصارى دور ملحوظ في استيلاء الفرنج على معرة النعمان ٤٩١ هـ ، وعندما اشتد الجوع والعطش بالصليبيين المحاصرين لبيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ قام النصارى بدور المرشدين الى مناطق الغابات والينابيع كما انهم ساعدوا صنجيل الفرنجي في حصار طرابلس سنة ٤٩٥ هـ .

المقدمة :

يعود تاريخ الصراع بين الاسلام والنصرانية الى بداية الجهاد ضد الروم في غزوة مؤتة واستمر هذا الصراع مع حملة الصليب عبر الاندلس وصقلية وفلسطين

وسواحل بلاد الشام ، فالحرب بين الاسلام والنصرانية لم تتوقف منذ مطلع الدعوة الاسلامية وحتى عصرنا هذا ، فغزوة مؤته (٨ هـ) مثلاً للصراع المبكر بين المسلمين والبيزنطيين وكذلك معركة اليرموك بقيادة كبار الصحابة (رض) وانتهى الامر باسترجاع تلك البلاد أي بلاد الشام من ايدي الروم الغزاة . ثم جاءت معركة ملاذ كرد والتي تعتبر من المعارك الفاصلة في تاريخ الصراع الصليبي مع السلاجقة وانهزم فيها الروم وأسر الامبراطور نفسه على يد القائد (ألب ارسلان) ^(١) ، وكان الامبراطور قد رفض مهادنة المسلمين وسار بجيوش جرارة يعاونه كثير من النصارى الاوربيين الذين وفدوا على بيزنطة ليساعدها في غزوها للمسلمين . ومنذ ان وقعت الكارثة على النصارى في معركة ملاذ كرد صاروا لا ينقطعون عن طلب النجدة العاجلة من البابوية وكانت هذه الصيحات من جملة اسباب توجه النصارى الصليبيين الى بلدان المسلمين والتي عرفت فيما بعد بالحروب الصليبية الشهيرة ، هذه الحروب التي استمرت مائتي سنة وكانت الحملات فيها تتوالى من الغرب الصليبي واشترك فيها ملوك وامراء اوربا ، وكان الصليب فيها شعارهم ، جاءت بعدها حرب الابادة في الاندلس بين المسلمين والنصارى ، حيث كانت تتعالى فيها تراتيل المؤذنين أمست نواقيس الكنائس فيها تصم الاذان حتى لا يسمع للتوحيد صوتاً في تلك الارض وفي سنوات معدودة لم يبق للاسلام فيها أثر ، وقد كانت ابادة المسلمين في الاندلس وصمة عار على النصارى رغم السماحة التي عومل فيها النصارى من أهل اسبانيا طوال قرون اذ سمح المسلمون لهم ان يحتفظوا بشرائعهم وقضاتهم وعين لهم حكام للاقاليم من أنفسهم ، وقد وصف الحال الشاعر ابو البقاء الرندي هذه المسألة في قصيدة حيث يقول :

تبكي الحنيفة البيضاء من أسقٍ

كما بكى لفراق الالف هيمان

حيث المساجد قد صارت كنائس

ما فيهن إلا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة

حتى المنابر ترثى وهي عيدان

لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ

إن كان في القلب اسلام وايمان

كما تعاون النصارى مع المغول القدامى ضد المسلمين ، وقد هدم المغول مساجد المسلمين وقتلوهم وحرصوا على حماية ارواح النصارى وممتلكاتهم وحافظوا على كنائسهم . ولذلك فان الصراع بين النصرانية والمسلمين طويل .

احوال النصارى في ظل الدولة الاموية والعباسية

بعد اكتمال عمليات التحرير والفتح الاسلامي في الاراضي العربية عملت الكنائس على تثبيت من تبقى على دينه من نصارى العرب وساعد على ذلك سياسة التسامح الديني التي سلكتها الدولة الاسلامية تجاه اهل الذمة عموماً ، وخاصة بعد ان حُسِم موضوع التعامل الضريبي بدفع الجزية لسائر الذميين والمعاملة الخاصة في الضرائب لأهل نجران وتغلب (٢) . وتابع المسيحيون ممارسة طقوسهم الدينية بحرية ما عدا الفترات التي اتسمت بالتشدد في عهد الخلفيتين عمر بن عبد العزيز (٩٩ هـ - ١٠١ هـ) والمهدي العباسي (١٥٨ هـ - ١٦٩ هـ) حيث حضر عليهم التبشير واحتفظوا بكنائسهم واديرتهم القديمة ، وحُظرت عليهم بناء كنائس جديدة ، حين تمكن المهدي العباسي من تحول كل نصارى تنوخ المقيمين بجهة حلب الى الاسلام حسب رواية ابن الكلبي الذي قال فيها " تلقت تنوخ المهدي لما خرج الى الشام وهي على الخيل عليهم العمام فقال من هؤلاء ؟ قيل تنوخ وهم نصارى فدعاهم الى الاسلام فابوا فضرب عنق سيدهم ابن محطة فأسهم الباكون وهدم بيع تنوخ فليس من تنوخ نصراني. (٣)

يبدو ان قوة الدولة العربية الاسلامية في تلك الفترة تحتم على النصارى الانصياع الى الاوامر والقرارات التي تصدرها الدولة والالتزام وعدم التمرد عليها فضلاً

عن روح التسامح في النصراني جعلت نصارى الشام مسالمين لفترات كثيرة من عمر الدولة الاسلامية .

اوضاع النصارى في إمارة عكا :

كانت عكا هي مركز إمارات النصارى في الشرق الاسلامي ، وكانت معنويات النصارى فيها شبه منهارة بسبب النزاع بين امراء النصارى وبسبب كسر جيوشهم على يد المسلمين غير مرة حتى وصفهم المؤرخ الانكليزي (متي الباريسي) : " أن أهالي عكا أنفسهم كانوا يخشون الابتعاد عن مدينتهم ، وينتظرون في أي حين محاصرتها من قبل المسلمين واستسلامها لهم ، وذلك أنهم كانت تنقصهم المؤن والازواد ولا يأملون بالخلاص لما ينتابهم من الفزع " (٤)

وقد دعت هذه المسألة المنهارة أسقف بيروت غاليرات الى السفر الى فرنسا لاطلاع الاوربيون على ما حلّ بنصارى الشرق من مواقع ، فأستغل ذلك البابا (اينوسنت الرابع) ليعقد مجمعاً كنسياً في ليون عام ١٢٤٥ م وأعلن رسمياً عن حملة يجري تجهيزها لتخليص بيت المقدس بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع ثم جدد البابا حرمانه للإمبراطور الالمانى فردريك الثاني (٥) ، وفي هذه الاثناء كانت شوكة المغول تزداد قوة واجتياحهم للممالك والبلدان بدأ يظهر (٦) ، فحاول النصارى عقد حلف مغولي صليبي لتطويق العالم الاسلامي ولكن المغول رفضوا ذلك لان لهم اطماعاً تخصهم تتمثل في السيادة على العالم كله ورأوا ان قوتهم الضاربة لا تجهزهم الى التحالف مع النصارى (٧) .

سار الملك لويس التاسع بحملته الى مدينة ليون ثم أبحر الى قبرص في عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل تحملهم (١٨٠٠) سفينة وانتظر في قبرص حتى يصل اليه باقي الصليبيين فلما تكاملت قواتهم أبحر من قبرص صوب الساحل المصري عام ٦٤٧ هـ فأصاب الله تعالى النصف الاخير من أساطيلهم بريح مزقتهم في البحر فجنحوا الى سواحل سوريا مضطرين وبقي لويس التاسع على شاطئ دمياط بمن بقي

معه من السفن ^(٨) ، ونزل الى البحر وخطب في الجموع الصليبية الحاشدة قائلاً لهم " أيها الاصدقاء المخلصون اعلموا أننا لن نغلب طالما لازمتنا المحبة ولولا ارادة الله لما كنا وصلنا الى هنا بهذه السرعة فلنقتحم هذه البلاد مهما تكن ولنحتلها بقوة فأنا لست ملك فرنسا ولا الكنيسة المقدسة بل انتم كل ذلك وما انا سوى فرد تنتهي حياته مثل أي فرد آخر عندما يأذن الله بذلك فإن غلبنا فسنصعد الى السماء شهداء وإن انتصرنا نحمد الله على نعمائه وسيكون مجد فرنسا أو سيكون مجد المسيحية بأجمعها كبيراً " ^(٩) . فهاجمهم المسلمون فور نزولهم بقيادة الامير فخر الدين الايوبي ليمنعوهم من التوغل في اليابسة وليرجعوهم الى البحر لكن لم يستطيعوا لكثرة النصارى مما جعل المسلمين ينسحبون فأحتل وسكن الصليبيون بيوت المسلمين وبادروا بتحصينها ^(١٠) .

وأبحر الملك لويس الى عكا واستلم المسلمون دمياط بعد ان بقيت في ايدي الصليبيين أحد عشر شهراً وسبعة أيام وسمح الملك لويس لمن اراد من جنده السفر الى بلادهم وبقي يعمل على تحصين الممالك الصليبية في الشام مع محاولة توسيع هوة الخلاف بين سلاطين المسلمين ^(١١) ، فوقع له ما يريد إذ تحارب المماليك والايوبيين حرباً ضروساً انتصر فيها المماليك ، فأنتهز لويس الفرصة وطلب من المماليك اطلاق سراح الافرنج الموجودين في السجون المصرية فلبى المماليك طلبه اعترافاً بجميله في رفضه التحالف مع الايوبيين ضدهم ^(١٢) . واتفق على مصالحة بين الملك لويس والمعر أيبك المملوكي تقضي بعقد هدنة ^(١٣) ، لمدة خمسة عشر عاماً مع اعطاء النصارى البلاد الواقعة غربي الاردن بما فيها القدس والخليل ونابلس إلا ان المصالحة لم تتم ، إذ تدخل الخليفة العباسي المستعصم بالله فأصلح بين المماليك والايوبيين ^(١٤) .

وبعد هذا الصلح بين الفئتين المسلمتين هاجم الملك الناصر يوسف الايوبي صيدا التي كانت بيد النصارى وقتل منهم وأسر ما يقارب من ألف ومائتي مقاتل عام ٦٥١ هـ (١٥).

وفي عام ٦٥٢ هـ رحل الملك الفرنسي من عكا الى فرنسا تاركاً قسماً من جيشه في عكا وبرحيله عادت الخلافات بين الامراء الصليبيين من جديد وتقاتلت جيوشهم فوقع في قتالهم ما يقرب من عشرين ألف قتيل مما أدى الى ضعف الفرنجة في بلاد الشرق الاسلامي (١٦). وما هي إلا أربع سنوات حتى كان الاجتياح المغولي الشهير الذي قضى فيه على الخلافة العباسية وقتل الخليفة المستعصم بالله عام ٦٥٦ هـ (١٧)، وكان أكثر الصليبيين في الولايات الصليبية وخاصة في عكا قد اعلنوا حيادهم وترقبوا أي الفريقين ينتصر وبعض منهم عاون التتار على المسلمين (١٨)، ثم كانت وقعة عين جالوت التي كسر فيها التتار وانتصر المسلمون بقيادة الملك المظفر قطز (١٩) وعقبه تولى عرش السلطنة في مصر الظاهر بيبرس (٢٠) فكرس حياته لغزو الامارات الصليبية في الشرق الاسلامي فظهر كثيراً من بلاد سوريا ولبنان والقدس منهم وما هي إلا ثمانية اعوام حتى استطاع الاستيلاء على اغلب مملكات الافرنجة في الشرق (٢١)، أما هنري الثاني ملك قبرص وعكا فقد حاول تحصين عكا وتقويتها والقضاء على خلافات الصليبيين فيها وتوحيدهم ثم عقد هدنة مع السلطان قلاوون مدتها عشر سنوات وعشر أشهر (٢٢)، وكان الصليبيون يرجون ان تبعث أوربا حملة جديدة تقوي من بقي منهم في عكا (٢٣).

وقد جهزت حملة شعبية من ايطاليا الوسطى وصلت الى عكا عام ٦٨٩ هـ ضمن عصابات من همج أوربا كتلك العصابات التي قادها بطرس الناسك (٢٤) في

الحملة الاولى وقاموا بالنهب والسلب والتعرض للفلاحين الامنيين والتربص بقوافل المسلمين فكتب السلطان قلاوون الى أمير النصارى في عكا يطالبه بتسليم المجرمين المعتدين فرفض ذلك فأعتبر قلاوون هذا التصرف نقضاً للهدنة فجهز جيشاً لغزو عكا وتأديب همج أوربا لكنه توفى (٢٥) ، وتولى بعد ابنه الاشرف صلاح الدين فسار على رأس الجيش الذي جهزه والده وضرب الحصار على عكا فحاول النصارى مفاوضته فأبى إلا أن تسلم له المدينة ويغادرها النصارى آمنين (٢٦) ، وقد هب لنجدته النصارى في عكا جموع من أفرنج سوريا وقبرص وزوار أتو مع مجموعات من البحارة الايطاليين بلغوا ثمان مئة فأرسل أربعة عشر راجل عدا الاهالي وشدد المسلمون الحصار على عكا وقذفوها قذفاً شديداً (٢٧) .

محاولات تسيير حملات أخرى:

بعد سقوط عكا وانتهاء الحكم الصليبي في الشرق الاسلامي حاول البابا (نيقولا الرابع) تهيج النصارى في أوربا بإلقاء المواعظ والخطب التي ذكرهم فيها بسقوط ممالك الصليب في الشرق الاسلامي وعقد المجامع الكنسية منادياً بإعادة مملكة عكا وبيت المقدس لكن الاوربيين تعبوا من تسيير حملاتهم الى الشرق الاسلامي وأحسوا بحجم الخسائر التي لحقتهم من جراء ذلك على مدى قرنين من الزمن (٢٨) .

ثم حاول النصارى الارمن ومن بقي معهم من النصارى الروم تحت الحكم الاسلامي في مصر والشام التحالف مع المغول وحصل ذلك لكنهم كسروا غير مرة (٢٩) . وتواصلت نداءات الباباوات في أوربا لتسيير حملات أخرى الى الشرق ، وشن القبارصة والارمن وغيرهم من النصارى عدة غارات على المسلمين لكنها فشلت وكانت محاولاتهم عام ٨٣٠ هـ وأنتصر عليهم المسلمون بقيادة الملك أبي النصر بريساوي التركماني إذ كسر القبارصة وأسر ملكهم جانوس وخضعت قبرص لسلطته المصرية الاسلامية ووضعت فيها حامية مصرية (٣٠) .

يتضح مما سبق انه رغم العنف الذي استخدمه الصليبيين ضد المسلمين ورغم التفوق العددي على المسلمين والمحاولات العديدة من الهجمات على مناطق أو اماره عكا لكنها في النهاية خضعت لسلطة المسلمين على الرغم من محاولة استعادة الصليبيين لها أكثر من مرة ، إلا أن الامر لم ينجح بسبب قوة واصرار وارادة المسلمين على استعادة عكا والامارات العربية الاخرى .

دور نصارى سوريا

كان المسيحيون يشكلون عنصراً مهماً من العناصر السكانية في بلاد الشام وكانوا ينقسمون في بلاد الشام الى عناصر مختلفة فمنهم المسيحيون السوريون والارمن واليونان (٣١) ، فالبعض من المسيحيون السوريون قاموا بدور ملحوظ بالنسبة للحملة الصليبية الاولى فقد تعاونوا مع الصليبيين في انتزاع بيت المقدس من المسلمين (٣٢) ، حيث كان للنصارى السوريون فضل مع الملك ريتشارد عندما اراد احتلال بيت المقدس حيث تمكن من تحسين علاقته بالبدو في صحراء سيناء حيث أجزل لهم العطاء فصاروا يطالعونه بتحركات جيوش صلاح الدين (٣٣) . وعندما أشدت الجوع والعطش بالصليبيين المحاصرين لبيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ قام النصارى بدور المرشدين الى مناطق الغابات والينابيع (٣٤) .

وعندما قام سكان البلد المسيحيون بذبح الحامية العربية الموجودة في أرتاح (٣٥) ، وكان للنصارى دور ملحوظ في استيلاء الفرنج على معرة النعمان (٣٦) سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م وازافة الى انهم ساعدوا صنجيل الفرنجي في حصار طرابلس سنة ٤٩٥ هـ (٣٧) . اما الارمن فيتضح موقفهم عندما وصل الصليبيون الى منطقة أرمينية في جبال طوروس فقد مد لهم سكانها من الارمن المسيحيين يد المساعدة وأحسنوا استقبالهم ومعاملتهم وزودهم بكل ما كانوا يحتاجون اليه من مؤن وأقوات ولولا ذلك لاختفى الفرنج في مواصلة الزحف ولألحق بهم السلاجقة هزيمة منكرة ، ولكن هذه

المساعدات التي تلقوها من الارمن هيأت لهم الجو لمواصلة العدوان المسلح والتوغل في الشرق الاسلامي (٣٨) .

موقف نصارى أنطاكية

لقد ارتأى أهالي المدينة بالإغريق والسريان والارمن وبجميع السكان الآخرين الذين كانوا يعتنقون الدين المسيحي فعندما وصل الجيش امام أسوار انطاكية ووضعت المدينة تحت الحصار فقد طردوا من المدينة جميع الضعفاء الذين لم يكن لديهم المؤن الضرورية لأعالة أنفسهم خشية ان يُصبحوا عبئاً على المدينة (٣٩) ، ولم يُسمح لهم بالبقاء في المدينة إلا الاغنياء ، وقد أثقل هؤلاء النصارى بالخدمات والاعباء الكثيرة حتى صار مصير المنضمين أكثر سعادة من مصير الذين سُمح لهم بالاحتفاظ باقامتهم هنالك وقد عقد ضلامهم مداولة سرية قبل ثمانية ايام من الاجتماع الذي دعي به فيروز اليه ، وقرروا انذاك انه من المتوجب قتل المسيحيين القاطنين في انطاكية سراً اثناء الليل ، وكان في المدينة زعيم قوي وحكيم أظهر نفسه كصديق دوماً للمسيحيين وقد تم ايقاف المذبحة لمدة ثمانية أيام بوساطة جهود هذا الرجل (٤٠) ، على الرغم من معارضة الآخرين ولولا هذا التأجيل لكان تنفيذ هذه الخطة قد تم ، وقد جاء القبول بفكرة الارجاء لثمانية ايام على أساس أخذ فرصة يمكن من خلالها التأكد فيما اذا كانت هنالك امكانية انتهاء الحصار (٤١) ، وقد أكتشف العديد من الكفرة في منازل المسيحيين عندما تم الاستيلاء على المدينة بالقوة ، لقد كانوا قد اتوا لنذبح المؤمنين الابرياء حسبما صدرت الاوامر اليهم (٤٢) . وعندما اقترب الصليبيون من انطاكية لم يجدوا صعوبة في ألتماس الاصدقاء في داخل المدينة ، ذلك انه انظم الى المعسكر الصليبي عدد كبير من المسيحيين من سكان انطاكية الذين دأبوا على الاتصال بأقاربهم في داخل المدينة من خلال باب القديس جورج في الغرب فتيسر

لصليبين الوقوف على ما يحدث داخل انطاكية (٤٣) . وقد قاسى الصليبيون من المجاعة التي لحقت بهم اثناء حصار انطاكية حتى انه كان يموت شخص من بين كل سبعة أشخاص (٤٤) ، لذلك سارع النصارى والارمن بتقديم مل ما استطاعوا جمعه الى المعسكر الصليبي (٤٥) . وقد كان سقوط انطاكية حدثاً مهماً في تاريخ الحروب الصليبية نظراً لكون هذه الامارة من الامارات الصليبية المهمة والرئيسية في بلاد الشام فقد أسسها الصليبيون في الشرق الاوسط سنة ١٠٩٧ م بعد تأسيسهم لإمارة الرها وكان تحرير انطاكية بداية النهاية لممالك الصليبين في الشام (٤٦) .

يبدو ان موقف النصارى في انطاكية كان مؤدياً للصليبين ايضاً على الرغم من انه اوضاع النصارى في ذلك الوقت أفضل من نصارى الغرب . حيث يمكن أن نعتبر القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي عصباً ذهبياً بالنسبة لأوضاع نصارى الشام ذلك أن قدوم الصليبين الى الشام أدى الى بعض ردات الفعل ضد النصارى الشاميين (٤٧) .

موقف النصارى عموماً من الحروب الصليبية

كان من أهداف الحروب الصليبية فرض المذهب الكاثوليكي على العالم وهو ما يُسمى بـ (كتلة الشرق) وهو المشروع الالهى والهدف الأكبر من تلك الحروب ، وكان نصارى الشرق (أرثوذكس) خائفين من هذه الكتلة ويريدون مكافحتها ، وفي الوقت نفسه يودون محو الاسلام وإنهاءه من الوجود (٤٨) ، ولذا فإن مواقفهم سواء من الحروب الصليبية أو ما تلاها من حركات استعمارية كان متأرجحاً بين هاتين النظريتين فمن نصارى الشرق من حارب مع المسلمين حفاظاً على مذاهبهم من الكتلة (٤٩) . وليس حباً في المسلمين أو دفاعاً عن تراب الوطن أو عصية للعرب كما يصور ذلك الوطنيين والقوميين فكل ذلك لا أساس له من الصحة لأن عداوة أهل

الكتاب وحقدهم على الاسلام وحسدهم للمسلمين جاءت به الآيات الواضحات مما لا يمكن أن يُعارض بها حوادث تاريخية يوجد لها تفسير ظاهر راجح علماً أن النصارى في الشرق في أول أمرهم ساندوا الصليبيين على المسلمين في الحملة الاولى وشاركوا في قتل المسلمين في الرها (٥٠) . ومع تقدم الصليبيين واستيلائهم على بيت المقدس وجد نصارى الشرق ان ولاية المسلمين عليهم أرحم من ولاية الاوربيين ، فالمسلمون تركوا لهم دينهم ولم يُكرهوهم على الاسلام (٥١) ، بينما الاوربيون حاولوا كئلتهم بالقوة عن طريق سوء معاملتهم وتحويل كنائسهم الى كنائس لاتينية ومنعوا الاقباط من زيارة بيت المقدس على اعتبار انهم هرطقة ومع ذلك قام الموارنة ونصارى سوريا والارمن من مساعدة الصليبيين على المسلمين (٥٢) .

ماذا استفاد النصارى من الحروب الصليبية :

لقد عادت الحروب الصليبية بعدد من الفوائد على النصارى وكان من أهمها :
١- الحضارة والعلم : فقد كانت الحروب الصليبية من المسالك التي نقلت حضارة الشرق الى الغرب الذي كان همجياً متخلفاً فقد شاهد الصليبيون ما تتعم به بلاد الشرق الاسلامي من أنوار العلم والحضارة في مختلف المجالات مما غير نظرهم الى الحياة وأوجدوا لديهم حوافز التعلم والتحضر (٥٣) .

لقد وجد الصليبيون أنفسهم امام حضارة اسلامية ذات إشعاع عظيم فيهرهم هذا الاشعاع ولمسوا التفوق السياسي والتنظيم الاجتماعي عند العرب فعادوا يحملون انطباعاتهم وينشرون الدعوة الى اصلاح شامل يبدأ بتحرير الفكر وتسهيل التبادل المادي والفكري (٥٤) . ومن الدلائل على ذلك ان أول جامعة أُسست في أوروبا جامعة نابولي أسسها الامبراطور الالمانى فردريك الثاني الذي قاد الحملة الصليبية السادسة مما يدل على تأثيره بما عند المسلمين من علوم لا سيما وانه أطلع على آثارهم في صقلية بعد انتزاعها من حكام الاندلس (٥٥) .

٢- **الاصلاح السياسي** : فقد كان الاقطاع هو النظام السائد في أوربا وكان الاقطاعيين ملوكاً بجانب ملوك أوربا بل أعظم ، كما كانت الكنيسة متنفذة وازداد نفوذها في الحروب الصليبية مما دعا مُفكري أوربا الى الثورة على الكنيسة (٥٦) ، ومن ثم اندلعت حركة الاصلاح الديني وأول من ثار على الكنيسة ملوك انجلترا والمانيا اللتين كان لكثير من ملوكها وامدائهما إقامة في الشرق الاسلامي ايام الحروب الصليبية ، مما يعني تأثرهم بالمشاركة المسلمين (٥٧) ، وتعد الاصلاحات التي أدخلها الملك الفرنسي لويس التاسع نتيجة لمشاهداته التي رآها في مصر والشام عندما قاد الحملة الصليبية السابعة (٥٨) .

٣- **معرفة الاوربيين لعلوم الطب** : كانت الكنيسة الكاثوليكية تُحرم الطب وصناعته لاعتقادهم ان المرض عقاب من الله لا ينبغي للإنسان ان يصرفه عن يستحقه وظل الطب ممنوعاً الى ما بعد دخول القرن الثاني عشر الميلادي (٥٩) . ونتيجة لاختلاط النصارى بالمسلمين في الحروب الصليبية ورؤيتهم لما كانوا عليه وما كان عليه نصارى المشرق من معرفة به تغيرت نظرتهم وبدأوا بتعلمه (٦٠) . وقد ذكر أحد مؤرخي الصليبيين أن نصارى الشرق أفادوا نصارى الغرب بتطبيبتهم أيام الحروب الصليبية وبترجمة كتب العرب الى لغتهم لما أرادوا تعلمه (٦١) . كما استفادوا من التقدم العمراني واتساع التجارة بنقل بعض الزراعات والصناعات من الشرق الى بلادهم وتعلموا التنظيم والادارة وحياة الرفاهية التي كانت في الشرق الاسلامي مما مهد للثورات الصناعية والتجارية في أوربا التي حدثت بعد ذلك (٦٢) .

يبدو انه النصارى في الغرب أو الحملات الصليبية عموماً على الرغم من الفشل الذي أصابهم إلا أنهم استفادوا من العرب من حيث نقل العلوم والحضارة الى

الغرب حتى وان لم تتحقق مصالحهم الاستعمارية في استرجاع بيت المقدس أو السيطرة على أجزاء من الاراضي العربية .
الخاتمة

١. كانت الحملة الصليبية الاولى مشروعاً كنيسياً خالصاً وكانت البابوية تهدف من ورائه الى أهداف كثيرة منها فرض سيطرتها على نصارى الشرق ، وانهاء الاتفاق بين كنيسة روما وبيزنطة وتوحيدهما من جديد تحت زعامة البابا ، ولم تكن حملات إنقاذ كما زعم المستشرقون ، فقد عاش النصارى في كنف الحكم الاسلامي عيشه هائلة .
٢. ساهم النصارى المحليون في تعزيز الوجود الصليبي فقد استعان بهم الصليبيون من أجل معرفة أكبر بالطبيعة الجغرافية لبلاد الشام .
٣. استعان الصليبيون بالعناصر النصرانية المحلية في مواجهة مشكلة نقص العنصر البشري لديهم وهي مشكلة طالما أرقت الصليبيين نظراً للتفوق العددي للمسلمين .
٤. غير الحكم الصليبي من أوضاع النصارى المحليين في بلاد الشام فأصبحوا عبيد للسيد الاقطاعي يتحكم في جميع أمورهم وتم ربطهم بالأرض ولم تتح لهم حرية التنقل والتجارة والزواج على عكس ما عهدوه إبان الحكم الاسلامي الذي أعطاهم استقلالية تامة من خلال الشريعة الاسلامية السمحة .
٥. لم تكن صفة الشمولية واردة في مواقف النصارى المحليين وذلك لعدم وجودهم في مكان واحد وانتفاء وجود زعامة واحدة واختلاطهم مع المسلمين .
٦. كان النصارى تحت الحكم الصليبي بمثابة الخلفاء ولكنهم افتقدوا حرية اداء طقوسهم حسب معتقداتهم التي كانوا يتمتعون بها تحت الحكم الاسلامي ذلك ان الصليبيين قدموا غزاة ففرضوا ارائهم عليهم كما فرضوا ضريبة العُشر عليهم .
٧. كانت استعانة بعض الحُكام المسلمين بالموظفين النصارى لها نتائجها السلبية مع الجانب الاسلامي .

٨. في العهد المملوكي كان تعاون النصارى مع الصليبيين يواجه برد حاسم أتضح ذلك من تصرف الظاهر بيبرس مع نصارى قارا لما حل بالصليبيين من هزائم على يد الظاهر بيبرس .
٩. لم ينته تعاون النصارى في الشام بعد طرد الصليبيين نهائياً من بلاد الشام فكان الموارنة يتطلعون الى عودة الصليبيين .

الهوامش و المصادر:

١. الب أرسلان : - ابو شجاع الملقب تاج الدولة ويسمى محمد أبن رضوان ، ملك حلب مات أبوه رضوان وهو صبي ، كانت ولادته سنة اربع وعشرين واربعمائة وكانت مدة ملكه تسع سنين واشهر ، توفي يوم السبت ونقل الى مرو . ينظر : ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر (بيروت - ١٩٩٤) ، ج ٥ / ص ٦٩ - ٧٠ .
٢. ابن الكلبي ، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ) ، نسب معد واليمن الكبير ، تحقيق ناجي حسن ، مكتبة النهضة ، (بيروت - ١٩٨٨) ، ج ٢ / ص ٤٠٦ .
٣. ابن الكلبي ، نسب معد ، ج ٢ / ص ٤٠٧ .
٤. البرجاوي ، احمد ، الحروب الصليبية في المشرق ، (مصر - د . ت) ، ص ٥٤٥ .
٥. الحريري ، الحروب الصليبية ، دار المعرفة ، (بيروت - د . ت) ، ص ٢٤٩ .
٦. خاشع المعاضيدي ، تاريخ الوطن العربي والحروب الصليبية ، دار الكتب للطباعة ، (بغداد - ١٩٨١) ، ص ٢٤٩ .
٧. المصدر نفسه ، ص ٢٤٩ .
٨. المعاضيدي ، تاريخ الوطن العربي ، ص ٢١٦ ؛ الحميدة، سالم محمد ، الحروب الصليبية ، ط ١ ، (بغداد - ١٩٩٤) ، ج ٤ / ص ٢٦٥ .
٩. البرجاوي ، الحروب الصليبية ، ج ٤ / ص ٢٦٨ .
١٠. الحميدة ، الحروب الصليبية ، ج ٤ / ص ٢٦٨ .
١١. البرجاوي ، الحروب الصليبية في المشرق ، ص ٥٧٨ .
١٢. المصدر نفسه ، ص ٥٧٩ .

١٣. ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٤٧٧هـ) ، البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، (القاهرة - د . ت) ، ج ١٣ / ص ١٥٤ .
١٤. المصدر نفسه ، ج ١٣ / ص ١٥٥ .
١٥. الحريري ، الحروب الصليبية ، ص ٢٥٧ .
١٦. المصدر نفسه ، ص ٢٥٧ .
١٧. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ / ص ١٦٧ - ١٧٢ ؛ ابن العماد ، الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، المكتب التجاري ، (بيروت - د . ت) ، ج ٥ / ص ٢٧٠ .
١٨. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ / ص ١٧٣ .
١٩. المظفر قطز : - وهو ناصر الدين ابن بلقاق سيف الدين المنصوري ، توفي بعد عام (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) . ينظر : المقرئ ، احمد بن علي تقي الدين ابو العباس (ت ٨٤٥ هـ) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، (القاهرة - ١٢٧٠ هـ) ، ج ٢ / ص ٤٢ - ٤٣ .
٢٠. الظاهر بيبرس : هو ركن الدين بيبرس البندقداري سلطان الديار المصرية أصله من مماليك الامير علاء الدين اينكت البندقداري ثم انتقل الى الملك الصالح نجم الدين ايوب وكان من أقوى الملوك وأعظمهم وهو احد من قام بنصرة الاسلام وفتح الفتوحات الهائلة . ينظر : الكتبي ، محمد بن شاکر (ت ٧٦٤ هـ) ، فوات الوفيات والذيل عليه ، تحقيق احسان عباس ، (بيروت - ١٩٧٤) ، ج ١ / ص ٢٣٥ ؛ ابن العماد ، ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي ، (ت ١٠٨٩ هـ) ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، (بيروت - ١٩٧٩) ، ج ٢ / ص ٣٤٩ .
٢١. ابن العماد، شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٢٧١٠ ؛ الحريري ، الحروب الصليبية ، ص ٢٦٨ .
٢٢. المعاضيدي ، الوطن العربي والحروب الصليبية ، ص ٢٣٥ .
٢٣. ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٤٠٣ .
٢٤. بطرس الناسك : - وهو راهب من مدينة أميان الفرنسية واحدى الشخصيات المحورية في تاريخ الحملة الصليبية الاولى كان متحدثاً مفهوماً وشخصية قادرة على التأثير على الجماهير ، وهو القائد الروحي لما يُسمى بحملة الفقراء ، توفي سنة ١١١٥ . ينظر : المغلوث ، سامي بن عبد الله بن احمد ، اطلس الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي حتى العصور الوسطى ، ط ١ (د . م - ٢٠٠٩) ، ص ٢٧١ .

٢٥. ابن العماد ، شذرا الذهب ، ج ٥ / ص ٤٠٣ .
٢٦. المصدر نفسه ، ج ٥ / ص ٤١٠ .
٢٧. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ / ص ٢٦٦ - ٢٦٧ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٤١٩ ؛ البرجاي ، الحروب الصليبية في المشرق ، ص ٦٣٥ - ٦٣٦ .
٢٨. البرجاي ، الحروب الصليبية في المشرق ، ص ٦٤٢ .
٢٩. المصدر نفسه ، ص ٦٤٣ .
٣٠. شلبي ، احمد ، الحروب الصليبية ، (القاهرة - د . ت) ، ص ٢٩ .
٣١. زكار ، سهيل ، تاريخ الحروب الصليبية ، صنفه باللاتينية ، ولیم ، دار الفكر ، (بيروت - د . ت) ، ج ١ / ص ١٤٨ ؛ الجنزوري ، علي ، الحروب الصليبية المقدمات السياسية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، (مصدر - د . ت) ، ص ٢٤٨ ؛ المعاضيدي ، تاريخ الوطن العربي ، ص ١٨٨ .
٣٢. العريني ، السيد الباز ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، (القاهرة - ١٩٦٣) ، ص ١٩ .
٣٣. ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن (ت ٦٣٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ، ط ٣ ، دار الكتاب العربي ، (لبنان - ١٩٨٠) ، ج ٨ / ص ٤٤٦ .
٣٤. المصدر نفسه ، ج ٨ / ص ٤٤٦ .
٣٥. الجنزوري ، الحروب الصليبية المقدمات السياسية ، ص ٢٨٥ ؛ الصلابي ، علي محمد ، دولة السلاجقة ، ط ١ ، دار المعرفة ، (لبنان - ٢٠٠٦) ، ص ٥٦٤ .
٣٦. معرة النعمان : مدينة الشام والثمار والخصب شرب أهلها من الابار بينها وبين حلب ستة وثلاثون ميلاً ، يُسب إليها كثير من العلماء في كل فن ، وهناك معرتان : معرة النعمان ومعرة نسرین . ينظر : ياقوت الحموي ، ابو عبد الله ، معجم البلدان ، دار الفكر ، ج ٥ / ص ١٥٦ ؛ السخاوي ، الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، البلدانيات ، تحقيق حسام بن محمد ، ط ١ ، دار العطاء ، (د . م - ٢٠٠١) ، ص ٢٦٥ .
٣٧. ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ / ص ٤٤٧ .
٣٨. الجنزوري ، الحروب الصليبية ، ص ٢٧١ .
٣٩. زكار ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ / ص ٣٢٥ .
٤٠. المصدر نفسه ، ج ١ / ص ٣٢٥ .
٤١. المصدر نفسه ، ج ١ / ص ٣٢٥ .
٤٢. المصدر نفسه ، ج ١ / ص ٣٢٦ .

٤٣. العريني ، الشرق الاوسط ، ج ١ / ص ٢٣٧ .
٤٤. الجنزوري ، الحروب الصليبية ، ص ٢٦٩ .
٤٥. الصلابي ، دولة السلاجقة ، ص ٥٦٤ .
٤٦. المعاضيدي ، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي ، ص ٢٣٥ .
٤٧. زكار ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ / ص ٣٥ .
٤٨. شلبي ، الحروب الصليبية ، ص ٣١ .
٤٩. المصدر نفسه ، ص ٣١ .
٥٠. قاسم ، عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، عالم المعرفة ، (الكويت - ١٩٩٠) ، ص ٢١١ ؛ شلبي ، الحروب الصليبية ، ص ٣٠ .
٥١. شلبي ، الحروب الصليبية ، ص ٣٢ .
٥٢. قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص ٢١٢ .
٥٣. مؤنس ، حسين ، الشرق الاسلامي ، (القاهرة - ١٩٥٦) ، ص ٣٨ ؛ المعاضيدي ، تاريخ الوطن العربي ، ص ٢٥٧ ؛ المطوي ، محمود العروسي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، ط ١ ، دار الكتب الشرقية ، (تونس - ١٩٥٤) ، ص ١٥٦ .
٥٤. البرجاوي ، الحروب الصليبية ، ص ١٦٨ .
٥٥. المصدر نفسه ، ص ١٦١ .
٥٦. ليون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، (القاهرة - ١٩٥٦) ، ص ١٦١ ؛ البرجاوي ، الحروب الصليبية ، ص ١٦٢ .
٥٧. ليون ، حضارة العرب ، ص ٢٦٦ ؛ المعاضيدي ، تاريخ الوطن العربي ، ص ٢٦٢ .
٥٨. ليون ، حضارة العرب ، ص ٣٦٥ ؛ البرجاوي ، الحروب الصليبية ، ص ١٦١ .
٥٩. البرجاوي ، الحروب الصليبية ، ص ١٦٢ .
٦٠. المصدر نفسه ، ص ١٦٣ .
٦١. المصدر نفسه ، ص ١٦٣ .
٦٢. ليون ، حضارة العرب ، ص ٣٤ ؛ البرجاوي ، الحروب الصليبية ، ص ١٦٣ .

Abstract

The Christians make up an important element of the population elements in the Levant and they were divided in the Levant to the different elements, including Christians, Syrians, Armenians and Greece, while the Syrians are Christians, they made a noticeable role for the crusade has collaborated with the Crusaders in the grab of Jerusalem as it was to help Christians relieved after great grab the Crusaders by the year (490 AH), as the Christians, the country's population to slaughter the garrison in relieved, and when he approached the Crusaders from Antioch did not find it difficult to seek friends in the inner city, so he joined the camp crusader large number of Christians of the population of Antioch, who routinely contact with their relatives in the inner city through the St. George's door in the West, Ftisr the Crusaders stand on what happens inside of Antioch, has suffered the Crusaders from the famine caused to them during the siege of Antioch until he was dying person out of every seven people, therefore hastened Christians and Armenians providing all they could collect the camp crusader, as was the Christians noticeable role in the takeover of the Crusaders on Maart 491 AH, when intensified hunger and thirst Balsalibin trapped sacred to the house of the year 492 AH the Christians act as mentors to the forests and springs areas as they helped Snagal Frankish in the siege of Tripoli the year 495 AH.

**دور المرجعية الدينية في العراق في قيادة
حركات الجهاد بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨**

م.د. رجاء زامل كاظم الموسوي

جامعة بغداد / كلية التربية للعلوم الإنسانية - ابن رشد

قسم التاريخ

م.د. رجاء زامل كاظم الموسوي

المقدمة

خطت بريطانيا ومنذ زمن بعيد لاحتلال العراق او اجزائه الجنوبية على اقل تقدير، ونفذت هذا الهدف بانزال قواتها العسكرية في الفاو في ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ ، ولم تبدِ الدول الكبرى استغرابها لهذا العمل ، وذلك لتوقعها حدوث ذلك في حساباتها السياسية والاقتصادية وصراعاتها ومناطق نفوذها في العالم لاسيما في العقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر. اذ كان لبريطانيا وجود في منطقة الخليج العربي منذ زمن بعيد ، وكانت لها مصالح اقتصادية ، وعلاقات سياسية بهذه المنطقة امتدت الى العراق وايران .

وما أن وطأت اقدام القوات البريطانية ارض الفاو ، حتى انطلقت المرجعية الدينية لقيادة الدفاع عن البلاد ، داعية العشائر العراقية للوقوف صفا واحدا لمواجهة المحتل البريطاني . ولم يقتصر الدور القيادي للمرجعية على اصدار فتاوى الجهاد ، وانما المشاركة الفاعلة في جبهات القتال ، حيث قاد علماء الدين جموع المتطوعين ، هادفين من وراء ذلك تحقيق استقلال العراق من السيطرة البريطانية.

سنحاول في هذا البحث ان نسلط الضوء على دور المرجعية والعشائر العراقية في الجهاد في مبحثين . كرس الأول والمعنون (حركة الجهاد الأولى) ، للتعرف على دور المرجعية والعشائر من اواخر تشرين الثاني ١٩١٤ حتى اوائل تشرين الأول ١٩١٥ .

أما المبحث الاخر فجاء بعنوان (حركة الجهاد الثانية) للكشف عن دور المرجعية والعشائر من اواخر تشرين الأول ١٩١٥ حتى اواخر عام ١٩١٨ .

أولاً : حركة الجهاد الأولى

على الرغم من نشوب الحرب العالمية الأولى في اوائل آب عام ١٩١٤ ، الا ان الدولة العثمانية لم تتخذ اجراءات مسبقة لمواجهة المخططات البريطانية لحماية مصالحها في العراق ، حيث اهملت امر الدفاع عن العراق ، فلم تضع اية خطة عسكرية مدروسة للدفاع عنه ، ولم تشرع ببناء اية تحصينات دفاعية ، او تقوم بمناورات عسكرية او حتى تزويد المقاتلين العراقيين. بل على العكس اعتمدت عليهم بالاسلحة والمؤنة اللازمة ، وكانت تفتقر الى وجود خرائط جغرافية خاصة بالعراق^(١).

وبسبب ذلك الاهمال اصبح العراقيون انفسهم في مواجهة الجيش البريطاني بالقرب من البصرة ، التي كانت تعد مركزا مهما لامن العراق واقتصاده وثرواته الطبيعية والبشرية . لذلك ارسل وجهاء البصرة في ٩ تشرين الثاني ١٩١٤ برقيات الى علماء الدين في النجف وكربلاء والكاظمية ، يستتجدون بهم من البريطانيين الذين احاطوا بثغر البصرة ، طالبت منهم حث العشائر بضرورة التصدي للبريطانيين خوفا على بقية مدن العراق ان يحل بها ماحل بالبصرة .

وبموجب ذلك تليت هذه البرقيات على الناس في المساجد من قبل الخطباء ، ولقيت اهتماما واسعا بينهم اذ اخذ الخطباء يثيرون مشاعرهم بالخطب الحماسية مؤكدين فيها ان البريطانيين اذا احتلوا العراق فسيهدمون مساجده وعتباته المقدسة ، ويحرقون القرآن الكريم، وينتهكون حرمة النساء ، ويذبحون الاطفال والشيوخ^(٢).

شرح علماء الدين باصدار نداءات بوجوب الجهاد في البلاد . في ذات الوقت ارسلت السلطات العثمانية من مركزها في بغداد وفوداً الى المدن العراقية المهمة في مقدمتها النجف الاشرف ، لتحث علماء الدين على اصدار فتاوى الجهاد. لعل اهم تلك الوفود الذي ارسل الى النجف ، الذي ضم شخصيات اجتماعية ودينية ورسمية ، حيث استقبل بحفاوة كبيرة ، والتقى عددا من علماء الدين ، وعلى اثر ذلك عقد اجتماع كبير في جامع الهندي حضره العديد من علماء الدين والوجهاء ورؤساء العشائر ، وخطب

كل من السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري، مؤكدين وجوب مشاركة الحكومة في دفع البريطانيين عن بلاد الاسلام^(٣).

ومن جانب اخر ذهب الشيخ حميد الكلدار ، وهو احد اعضاء الوفد ، الى الكوفة لمقابلة المرجع الديني السيد كاظم اليزدي ومحادثته في امر الجهاد . فوافق اليزدي على ارسال ولده السيد محمد لينوب عنه في استنهاض العشائر للجهاد^(٤).

غادر النجف عدد من علماء الدين مع مؤيديهم متوجهين نحو جبهة القتال، وبدعوا ينزلون في المدن والعشائر الواقعة في طريقهم تشجيعهم على الجهاد . وكان السيد عبد الرزاق الحلو أول العلماء الذين وصلوا الى السماوة ، كان معه تسعة من اتباعه . غير انه بعد يومين من وصوله وردته برقية من الوالي (جاويد باشا) يطلب فيها الاسراع بالمجيء الى البصرة ، فاستجاب السيد لدعوته وامر اتباعه بالرحيل فوراً نحو البصرة وسرعان ما وصلت الى السماوة بعد رحيله بايام قوافل المجاهدين من مناطق الشامية وابو صخير والنجف^(٥).

كان السيد محمد سعيد الحبوبي اشد علماء الدين حماساً للجهاد . فخرج في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٤ من النجف في موكب يصحبه عدد من مؤيديه ، وفي منتصف كانون الثاني ١٩١٥ وصل الى الناصرية ، وفي طريقه الى الناصرية نزل في مدن وعشائر كثيرة . كما اخذ في الناصرية يتجول بين العشائر المجاورة، ويرسل مؤيديه من الطلبة كباقر الشبيبي وعلي الشرقي الى العشائر البعيدة ، لحثهم على الانضمام الى حركة الجهاد . كما ارسل الشيخ عبد الحسين مطر الى خيون العبيد رئيس عشيرة عبودة الذي كان في الشطرة ، يطلب منه القدوم الى الناصرية ، فتوجه خيون مع عدد من اصحابه بصحبة الشيخ عبد الحسين الى الناصرية واعلن انه سينضم الى حركة الجهاد.

قاتلت عشائر المنتفق والسماوة عندما حاول البريطانيون التقدم من الناصرية لاحتلالها، إذ أُلّف القائد العثماني نور الدين بك جبهة من عشائر المنتفق والسماوة واستعان بها في صد تقدم البريطانيين، في حين قاتلت عشائر المنتفق في الشطرة

لوحدها بقيادة الشيخ خيون العبيد في معركتين هما معركة (باهيرة) و (البطنجة)، عندما حاول البريطانيون احتلال الغراف وفك حصار قواتهم في الكوت.^(٦) واشتبكت عشائر الشرطة والبريطانيين بالسلاح الأبيض وكان عدد المقاتلين من أفراد العشائر ينوف عن السبعة عشر ألف مقاتل.^(٧)

وعلى أثر ذلك اضطرت القوات البريطانية إلى الانسحاب إلى مدينة الناصرية وحالت دون تقدمها لفك حصار القوات الرئيسية في الكوت. واشتهر أيضاً في معركة بطنجة شيخ عشيرة البو صالح (بدر الرميض) واهدت له الحكومة التركية سيفاً مرصعاً وعدة أوسمة. واعترف البريطانيون بخسارتهم في هذه المعركة وفرضوا على بعض العشائر التي قاتلتهم غرامات فيما بعد ومن هذه العشائر عشيرة الأزيرقا.^(٨)

غادر في ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٤ وفد النجف الى جبهة القتال ممثلين عن السيد كاظم اليزدي ، باتجاه بغداد ، وكان على رأسهم ابنه السيد محمد وفي مقدمتهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والسيد اسماعيل اليزدي ، ووصلوا بغداد في ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٤ ، وكان يضم اكثر من ثلاثمائة من المتطوعين ، وغادروها الى جبهات القتال الشرقية في ٢٣ كانون ١٩١٤ .

وخلال وجود السيد محمد اليزدي في بغداد بعث برسالة الى احد رؤساء قبائل العمارة، ورسائل اخرى الى اشخاص اخرين ، يطلب فيها اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة البريطانيين او التفاوض معهم لانهاء احتلالهم للبلاد . وهو اتجاها في العمل الوطني وتعامل السيد محمد بموجبه مع قيادات عشائرية ووطنية اخرى كالسيد كاطع العوادي^(٩).

ومن جانب اخر بعث السيد محمد من بغداد برقية الى والده في النجف ، يطلعه فيها بانه سيتوجه الى جبهات القتال ، ويطلب منه حث الناس على الالتحاق به ، وتسلم من والده برقية جوابية يحثه فيها على تنفيذ ما عزم عليه . وكان السيد كاظم اليزدي قد وضع لولده منهجا لخط سيره الى جبهة القتال ، عين له بموجبه المناطق التي ينزل فيها للوعظ واستنهاض سكانها من ابناء العشائر للالتحاق بجبهات القتال .

وكان السيد محمد قد اخذ على عاتقه القيام بهذه المهمة حتى قبل ان يغادر النجف ، فبعث بعد احتلال الفاو بثلاثة ايام ببرقية الى الشيخ خزعل يطلب منه التهيء للتصدي للقوات البريطانية والدفاع عن مدينة البصرة . كما مكث السيد محمد اثناء مغادرته الى بغداد في العمارة لمدة من الزمن كان يتبادل فيها الرسائل باستمرار مع والده الذي كان يحثه على لم شمل العشائر وتوحيد كلمتها وتهيتها لقتال المحتل.

كان لفتاوى الجهاد التي اصدرها علماء الدين الدور الكبير ومن بين الاسباب المهمة التي دفعت برؤساء العشائر وشيوخها للتوجه نحو جبهات القتال.

كان للمرجع الديني السيد كاظم اليزدي دور كبير في هذا المجال ، ففضلا عن حثه على المشاركة الميدانية في الجهاد متمثلة بوفده الى جبهات القتال ، اكد على ضرورة مشاركة العراقيين جميعا في الدفاع عن بلادهم ضد المحتلين البريطانيين من خلال عشرات الرسائل والبرقيات التي بعث بها الى الشيوخ والتجار والوجهاء ، والى وكلائه في المدن العراقية . ومن خلال المنشورات التي خاطب بها سكان المدن وابناء العشائر . وكذلك الفتوى التي اوجب فيها (الدفاع عن بيضة الاسلام) .

حيث اعتلى المنبر في الصحن العلوي الشريف في ١٦ كانون الأول ١٩١٤ ، وخطب في الناس والزعم بالدفاع ، واوجب على الاغنياء المساعدة في تجهيز المتطوعين من الفقراء لتمكينهم من القتال. فكان لخطبته تأثير واسع بين الناس .

ومن جانب اخر كان السيد كاظم اليزدي على اتصال بالادارة العثمانية يخبرها بتحركاته وينسق معها بشأن تفعيل التصدي للمحتل البريطاني ، اذ بعث برسالة مطولة الى والي بغداد يخبره باصدار فتوى الجهاد ، وارسال ولده الى جبهات القتال . وطلب في رسالة اخرى من ولده عندما كان في بغداد ، الاتصال بوالي بغداد للتخفيف عن العشائر التي ضايقته السلطات العثمانية وشددت عليها في تحصيل الضرائب والرسوم، كي يكون هذا حافزا لها للذهاب الى جبهات القتال^(١٠).

أما في الكاظمية فقد تزعم حركة الجهاد المرجع الديني الشيخ مهدي الخالصي، وكان اشد الناس حماسا للجهاد ، وقد كتب ذلك في رسالة بعنوان "الحسام البتار في

جهاد الكفار" . ولم يكتف بهذا بل اصدر فتوى اوجب فيها على المسلمين صرف جميع اموالهم في الجهاد حتى تزول غمة البريطانيين، ومن يمتنع عن بذل امواله وجب اخذها منه كرها .

ودعا الخالصي علماء الكاظمية للاجتماع في غرفة الكليدار في الصحن الكاظمي للمداولة في امر الجهاد واصدار الحكم فيه . حيث اجتمع العلماء هناك ، واكدوا على وجوب الجهاد دفاعا عن البلاد الاسلامية ، وكان على رأسهم المرجع الديني السيد مهدي الحيدري الذي كان يعد انذاك كبير علماء الكاظمية.

وارسل السيد مهدي برقيات الى علماء الدين في النجف وكربلاء وسامراء يطلعهم بعزمه على محاربة البريطانيين مهما كلف الامر ، ودعا الى اجتماع في الصحن الكاظمي ، ولما اجتمع الناس اعتلى السيد مهدي المنبر وخطب فيهم يدعوهم للخروج الى الجهاد^(١١). وشكل الخالصي مجلسا من علماء الدين في الكاظمية لجمع الاموال والسلاح وتدوين اسماء المتطوعين للقتال . واستمر في هذا العمل لمدة ثلاثة اشهر حتى توفرت لديه اموالا كثيرة واعداد كبيرة من المتطوعين . كما تحرك من الكاظمية الاخ الاكبر للشيخ مهدي الخالصي المرجع الديني الشيخ راضي الخالصي الى بعض نواحي ديالى، فجمع اموالا واعداد من المتطوعين والتحق بأخيه في الاحواز^(١٢).

خرج مجاهدي الكاظمية في يوم ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٤ الى ساحات القتال ، وضم وفد الكاظمية كل من الشيخ الخالصي واخيه الشيخ محمد صادق والسيد مهدي الحيدري وثلاثة من اولاده وعدد من علماء الكاظمية والمتطوعين ، وكان عددهم ثلاثمائة على ظهر باخرة اسمها "حميدية" . وكان سيرهم باتجاه القرنة ، ووصل المجاهدين الى مقربة منها بعد ستة ايام .

وبعد سفر هؤلاء المجاهدين وصل الى الكاظمية عدد من علماء النجف وكربلاء كان بينهم الشيخ فتح الله الاصفهاني الملقب بـ"شيخ الشريعة" والسيد علي التبريزي والسيد مصطفى الكاشاني والمرزا مهدي الخراساني والمرزا محمد رضا

الشيرازي والشيخ حسن علي القطيفي وغيرهم . وقد تقرر خروجهم مع مجاهدي بغداد في يوم ٩ كانون الأول ١٩١٤ .

توجه مجاهدي بغداد في عصر يوم ٩ كانون الأول ١٩١٤ ، وعلى رأسهم السيد صادق العطار والسيد عبد الكريم الحيدري الى ساحات القتال في القرنة ، وكان بصحبته علماء النجف وكربلاء^(١٣) .

الجهاد في القرنة .

وصلت الباخرة التي تحمل مجاهدي الكاظمية الى جانب منطقة مزيرعة الذي يقابل القرنة ، واخذ الخالصي والحيدري يحثان المتطوعين على القتال . وقام المتطوعين من الكاظمية باطعام المجاهدين المتواجدين هناك ، غير ان البريطانيين قد تفوقوا عليهم في المزيرعة ، وحاصروا القرنة من جهتين . وفي الليل تحرك الخالصي مع المجاهدين لمقاومة البريطانيين في المزيرعة لتسلم القرنة . وفي الصباح هاجم البريطانيون القرنة من الساحل والنهر بالجنود والبواخر الحربية حتى تمكنوا من محاصرة القرنة ، وانقطعت طرق المواصلات، كما نفذت الذخيرة الحربية لدى المجاهدين . وعزم الخالصي على التحرك الى المزيرعة بمن معه لصد القوات البريطانية من هذه الجهة ، وفي طريقهم وصلت برقية من والي البصرة صبحي بك يخبرهم فيها بدخول القوات البريطانية الى القرنة . وعليه وصلت برقية من القائد العثماني جاويد باشا يطلب فيها من المجاهدين العودة الى العمارة . وكان رأي الخالصي اتخاذ خطة دفاع بين العزيز والقرنة . الا ان اليأس قد استولى على جاويد باشا ، فرجع الخالصي الى العمارة وتبعه المجاهدين حتى وصلوا الى هناك^(١٤) .

عندما وصل الخالصي الى العمارة ، وجد جاويد باشا متهيأ للذهاب الى الكوت، بسبب حالة الخوف التي كانت تخيم على سكان العمارة ، حتى انهم بدعوا بنقل الاشياء الثمينة لديهم الى العشائر المجاورة . فرفض الخالصي الذهاب الى الكوت ونزل في العمارة وهدأ السكان وامر المتطوعين بالتأهب للدفاع عن العمارة، فاطمأن سكانها لذلك .

كما امر الخالصي ابنه محمد ان يبعث برسائل الى رؤساء العشائر يدعوهم فيها للجهاد، ووقع الرسائل هو والسيد مهدي . لذلك اخذت افواج المتطوعين وهم يحملون السلاح تتوافد الى العمارة ، وبلغ عددهم سبعين الف متطوع . وقد اثارت هذه الاستعدادات البريطانيين ، اذ كانت قوتهم غير كافية للمهاجمة ، لذلك اتخذوا خطة دفاع عن القرنة . فقويت معنويات جاويد باشا فتقدم بالقرب من منطقة العزيز .

رأى الخالصي ان التدريب العسكري افضل سلاح في هذه الحرب ، لذلك امر المتطوعين ان يتقنوا هذا التدريب ، واستدعى ضباط من الجيش لتدريب المتطوعين ، وتشكلت افواج منهم . وكان الخالصي يخرج بنفسه للتدريب متقدما مجموعة من العلماء وهم يحملون البنادق ، فشكل منهم فوج الكاظمية .

ولم يقتصر دور الخالصي في العمارة على عشائرها ، بل كتب لجميع العشائر في العراق للمشاركة في الجهاد فالتحق به جميع علماء النجف ، وعلماء بغداد بمن معهم من المتطوعين . وتأهبت جميع عشائر العراق للجهاد^(١٥).

ارسل الخالصي ايضا رسائل الى رؤساء العشائر في الاحواز ، يطلب منهم الانضمام الى صفوف المتطوعين . فجاء وفود من تلك المنطقة ملبيين بدعوته الا انهم طلبوا ارسال عدد من علماء الدين الى هناك لحث العشائر على الجهاد . وقرر الخالصي ان يذهب اليهم بنفسه ، اما على الصعيد العسكري فقد اطلع القائد العثماني سليمان عسكري بك بالامر فاستقر الرأي على ان تحاصر البصرة من ثلاث جهات ، جهة الشعيبة وهي اليمنى ، ومن القرنة وهي الوسطى، ومن ناصريه الاحواز الى التتومة مقابل البصرة من شط العرب وهي الجهة اليمنى . وان يقسم علماء الدين والمتطوعين على هذه الاقسام. فكتب الخالصي الى عشائر الاحواز يخبرهم بعزمه على التحرك اليها ، وارسل ابنه الشيخ محمد لترتيب امور العشائر هناك مع القائد سليمان العسكري . فعاد الشيخ محمد الى العمارة بعد انتهاء مهمته في الاحواز^(١٦).

واشتركت اغلب العشائر في الحرب إلى جانب قوات الحكومة بالرغم من أنها لم تقوم بدور حاسم في ميدان القتال بسبب افتقارها الى تدريب عسكري منظم وصعوبة

مواجهتها لقوات نظامية حديثة ، فإن تأثير مشاركتها المعنوي في نفوس البريطانيين كان من الأمور الواضحة، فقد جاء في برقية السيد برسي كوكس^(١٧) المستشار السياسي للحملة العسكرية البريطانية إلى نائب الملك في الهند بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ إن جملة منافع الحملة البريطانية من احتلال القرنة ، بالإضافة الى الأسباب السوقية ، التأثير الأدبي في نفوس القبائل العراقية.^(١٨)

وقد علق كل من الجنرال نيكسن قائد الحملة البريطانية والسير مونرو القائد العام في الهند بالأهمية على احتلال مدينتي الناصرية والسماوة للسيطرة على عشائر المنتفق والسماوة.^(١٩)

معركة الروطة .

كانت القوة الرئيسة للجيش العثماني قد تحشدت في الجبهة الوسطى تجاه القرنة وكان يقودها سليمان عسكري بك نفسه، اما جموع المجاهدين فكانت بقيادة السيد مهدي الحيدري ، وقد اتخذت هاتين القوتين مواقعها حول (الروطة) وهي قناة تقع في الجانب الشرقي من دجلة على بعد خمسة عشر كيلو مترا من شمال القرنة . وفي ٢٠ كانون الثاني ١٩١٥ بدء القتال في هذه الجبهة واستمر اربع ساعات وكان النصر فيها للقوات العثمانية . وعد الناس الانتصار في هذه المعركة كرامة عظيمة للسيد مهدي ، كما اعتبروا تحقيق هذا الانتصار بفضل بركات وجوده وصموده في قلب المعركة ، وبفضل حكمته العالية، وتدبيره السديد^(٢٠).

الجهاد في الاحواز .

كان الشيخ خزعل هو الحاكم المطلق في الاحواز وان كان من الناحية الشكلية تابعا للدولة الايرانية . وحين كانت البصرة مهددة بالاحتلال البريطاني ارسل بعض علماء النجف في ٩ تشرين الثاني ١٩١٤ برقية الى الشيخ خزعل ، طالبين منه المشاركة في محاربة البريطانيين ، وحث جميع العشائر في الاحواز على ذلك . وقد وقع البرقية كل من الشيخ فتح الله الاصفهاني والسيد مصطفى الكاشاني والمرزا مهدي

الخراساني والسيد علي التبريزي والشيخ محمد حسين المهدي . وفي اليوم نفسه ارسل السيد محمد ابن السيد كاظم اليزدي برقية مماثلة الى الشيخ خزعل^(٢١). الا ان الاخير لم يهتم لهاتين البرقيتين ، وكان رايه ان علماء الدين الذين ارسلوها انما فعلوا ذلك بضغط من السلطات العثمانية ، وانه بصفته من رعايا الدولة الايرانية يجب عليه الوقوف على الحياد^(٢٢).

كان الشيخ خزعل على علاقة وثيقة باحد علماء النجف وهو الشيخ عبد الكريم الجزائري، اذ كان يعد من مقلديه ومن اشد الناس اخلاصا له وطاعة لامره ، ولهذا كتب الجزائري اليه يأمره بالاشتراك في الحرب الى جانب الدولة العثمانية ، وتجهيز حملة من العشائر لمساعدتها ، الا ان الشيخ خزعل اعتذر عن القيام بذلك . فتألم الجزائري لذلك وسخط على الشيخ خزعل وقطع علاقته معه .

عندما قامت حركة الجهاد كان صداها في الاحواز قويا . وكان السيد عيسى كمال الدين كبير علماء الاحواز في ذلك الوقت ، وهو نجفي من اسرة كمال الدين المعروفة ، وقد استجاب لدعوة الجهاد ، واخذ يشجع العشائر على الجهاد فكان له تأثير كبير فيهم^(٢٣).

سار الخالصي ومن معه الى الاحواز فدخلوا الى منطقة البسيتين . وجاء اليها بعد ذلك العديد من علماء الدين وهم الشيخ جعفر نجل الشيخ عبد الحسين ال الشيخ راضي والسيد محمد بن السيد كاظم اليزدي والشيخ عبد الكريم الجزائري . وتقدم الخالصي الى منطقة تدعى (قرية السادة) واخذ من هناك يكتب الى جميع العشائر يأمرهم بالوقوف ضد الانكليز . ثم رحل الى ناصرية الاحواز ونبعه بعض الناس ، ونزل في مكان يسمى (غدير الدعي) وبدأت العشائر تتوافد عليه تدريجياً.

عندما بدأت الحرب في الاحواز كان الخالصي يقاتل مع المتطوعين ويشجعهم على القتال . وقد تمكن المتطوعين من احراز النصر في هذه المعركة وحصلوا على الكثير من الغنائم وتمكنوا من دخول ناصرية الاحواز . وفي هذه الفترة جاء الى الاحواز اخو الشيخ مهدي الخالصي الشيخ راضي الخالصي، وجرى له استقبال عظيم

من قبل الناس هناك . وقد تحرك مع اخيه والمتطوعين من الاحواز وعادوا الى منطقة البطيحة بين العمارة والحويزة ، بعد ان مكثوا في الاحواز لأكثر من اربعة شهور . وصمم الخالسي على تطويق ناصرية الاحواز من الجانبين ومحاصرة البريطانيين فيها ببعض القوات والمسير الى التتومة مقابل البصرة ببعض الآخر^(٢٤).

عين لقيادة القوات العثمانية المحاربة في الاحواز محمد باشا الداغستاني . فكتب له الخالسي عن تفاصيل الوقائع السابقة وخطته التي عزم على تنفيذها لمحاصرة الناصرية ، والمسير الى المحمرة والتتومة . فلما قرأ القائد الخطة اعجب بها ووافق عليها دون تغيير . وعمل الخالسي جاهدا في تنفيذ خطته ، وترتيب اجتياز نهر كارون ومحاصرة الناصرية . واستدعى لذلك رؤساء بعض العشائر مثل ربيعة والاحلاف والباوية ، وبعض رؤساء كعب وغيرهم . فجاءوا اليه وعملوا على اعداد العدة لتنفيذ هذه الخطة ، فاقتربت بعض العشائر من الناصرية لمحاصرتها ، واستعد قسم من المتطوعين لعبور نهر كارون موافقة لتلك العشائر .

وقد وصلت اخبار عن تراجع الجيش العثماني الى الخلف ، فامر الخالسي ابنه محمد بان يطلع محمد باشا على هذه الاخبار . فاسرع محمد لملاقاة القائد فوجده يسير بين الجيش متحيرا ، والجيش ينقل قواته الى الخلف ، واخبره أن القوى المهاجمة قد انهزمت من الشعبية وقتل سليمان العسكري، وقد تلقيت امرا بالرجوع الى العمارة^(٢٥).

كان لعلماء الدين الآخرين دورا مهما في جبهة الاحواز ، فقد ترأسوا جموع المجاهدين في جبهات القتال ، وكان على رأسهم السيد محمد اليزدي والشيخ جعفر الشيخ راضي . وقد اتخذوا من مدينة العمارة قاعدة لانطلاقهم الى هذه الجبهة ، فقد تبادل السيد محمد اليزدي من العمارة البرقيات والرسائل مع اخيه السيد محمود في النجف ، حيث اخبره السيد محمود في رسالة له بعثها جوابا على برقيتين مرسلتين من اخيه في ٢٠ و ٢٢ كانون الثاني ١٩١٥ بتأكيد والده على ان يبذل أقصى جهوده في

توحيد كلمة العشائر والدفاع عن المسلمين وبلاد الاسلام ، والوقوف بدأ واحدة بوجه البريطانيين^(٢٦).

الجهاد في الشعيبة .

شاركت العشائر العراقية في محاربة البريطانيين خلال الحرب العالمية الأولى وذلك استجابة لها لدعوة علماء الدين لها في التطوع والجهاد بإزاء (الكفار) دفاعاً عن العراق وحماية له.^(٢٧)

حيث شاركت في معارك الشعيبة عندما شن العثمانيين هجومهم لاستعادة مدينة البصرة وطرد البريطانيين على ثلاثة محاور هي ، المحور الأيسر الذي تقرر ان ترحف قواته على نهر كارون بهدف احتلال المحمرة في عريستان، والمحور الأوسط عندما تقرر أن ترحف قواته على نهر دجلة نحو القرنة، والمحور الأيمن الذي تقرر ان ترحف قواته على نهر الفرات من جهة الزبير نحو البصرة - وقد وزع القائد العثماني سليمان عسكري بك العشائر على المحاور الثلاثة وجعلهم تحت قيادة بعض الشيوخ وبأمرة عدد من الضباط^(٢٨).

ولكن استطاع البريطانيين دحر العثمانيين في الشعيبة واحتلالهم للعمارة والناصرية. وعلى أثر هذه الهزيمة توفي اثنان من أجل علماء الدين هما السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ باقر حيدر.^(٢٩)

وارجع السيد محسن الحكيم ، الذي حضر المعركة لانه كان امين سر السيد محمد سعيد الحبوبي ، اسباب الهزيمة التي حلت بالمجاهدين الى خبر اشيع بين المجاهدين بان القائد سليمان عسكري بك قتل هو وضباطه جميعا ، فانتشرت الفوضى في صفوفهم ، وقد ثبت السيد محمد سعيد الحبوبي مع عدد من اصحابه فلم يهربوا مع من هرب ، واستقر رأيهم أخيراً على ان يرسلوا السيد محسن الحكيم الى خيمة القائد سليمان العسكري للتأكد من صحة الخبر ، وتمكن السيد محسن من ان يصل الى خيمة القائد فوجده مكبا على اوراقه، واتضح ان الاشاعة كانت خديعة ادت الى الهزيمة^(٣٠).

على الرغم من هزيمة المجاهدين في هذه المعركة ، الا ان مشاركتهم فيها كانت ذات فائدة تاريخية عامة ، حيث ان تأثير هؤلاء المجاهدين على سير المعركة من الناحية العسكرية لم يكن مهما ، ولكن الاهمية تكمن في استجابة العراقيين من اقصى الشمال الى الجنوب لنداء المرجعية بالجهاد المقدس دفاعا عن الوطن ضد المحتلين البريطانيين. فسار علماء الدين من المدن المقدسة على رأس المجاهدين من ابناء العشائر للانضمام الى القوات العسكرية بقيادة سليمان العسكري . وكان عدد المجاهدين خمسين الف مجاهد . ومن علماء الدين الذين اعتمد عليهم سليمان عسكري بك في هذه المعركة السيد عبد الرزاق الحلو والسيد محمد سعيد الحبوبي (الذي تولى قيادة المجاهدين في الجهة اليسرى) والسيد محسن الحكيم والسيد هادي المكوثر^(٣١).

بعد هزيمة المجاهدين في الشعبية ، خشي سليمان عسكري بك من تقدم البريطانيين من جهة الشعبية سيقطع الطريق على القوات المربطة في القرنة والاحواز الى بغداد ، لذلك صمم على اتخاذ مواقع دفاعية امام القرنة لسهولة طرق المواصلات فيها وأمر بتشكيل لواء للخيالة من العشائر. وبعد ذلك انسحب المجاهدين في الاحواز الى العمارة . ولما علم الشيخ الخالصي بذلك رفض ، وعد ترك العشائر التي لبت الدعوة للجهاد بمواجهة البريطانيين خيانة عظمى ، وارسل ولده الى سليمان عسكري بك ليخبره بان المجاهدين سيقفون في مكانهم مدافعين . ولكن سليمان اخبره بان الانسحاب هو اصلح للمسلمين واحفظ لبلادهم ، مقدما اسباب مقنعة لذلك تحرك الخالصي هو واخويه الاكبر والاصغر والمجاهدين حتى وصلوا الى العمارة ، ولم يكن له هدف سوى الدفاع عن العراق والانتقام من البريطانيين^(٣٢).

وفي العمارة بدء الشيخ مهدي الخالصي يبعث برسائل الى رؤساء العشائر الذين تركوا ساحات القتال سأمًا من طول المدة للاستمرار في الجهاد ، فجاءت اجوبتهم ملبين دعوته مطيعين امره . وقد فارقه اخوه الاكبر وطلب منه العودة الى بغداد ، الا ان الخالصي رفض ذلك . اما اخوه الاكبر الشيخ محمد صادق فقد فارقه قبل ذلك وعاد الى بغداد . فتوجه العلماء الذين كانوا معه في الاحواز الى الكوت ولم يدخلوا العمارة وبقي وحده فيها مع ابنه محمد . وقد انشغل باعداد العدة للجهاد وتقوية الجيش المرابط امام القرنة . غير ان البريطانيين اسرعوا بالهجوم على ذلك الجيش فابادوه وسيطروا على العمارة والخالصي فيها . وفر كثير من المجاهدين والجند والعلماء .

وعندما علم الخالصي بذلك امتنع عن الخروج من العمارة ، ولما اراد اصحابه الخروج منها قال " لا حتى يكون سبيلنا سبيل العلماء الذين كانوا مرابطين امام القرنة" . وكان هؤلاء العلماء قد فروا الى الغراف عن طريق الجزيرة دون ان يملوا بالعمارة ولم يعلم بهم الخالصي وهم السيد مهدي الحيدري وشيخ الشريعة الاصفهاني والسيد علي الداماد والسيد مصطفى الكاشاني والسيد عبد الرزاق الحلو واولادهم واصحابهم .

صمم الخالصي على الدفاع عن العمارة ، الا ان البريطانيين اسرعوا في احتلالها واسروا جميع من كان فيها من الجنود ومدراء الدوائر ، واستولوا على كل ما فيها . اما الخالصي فبقي فيها لمدة ثمانية ايام بعد دخول البريطانيين اليها ، وفي اليوم التاسع خرج متكرًا بلباس اخر متوجها الى الكوت . وارسل ولده الى دائرة البرق العسكرية ليقابل القائد العثماني نور الدين ويطلب منه ارسال مدفعين وعدد من الجنود لجمع العشائر للهجوم على العمارة ، الا ان نور الدين طلب منه زيارته في الكوت لمحادثته بامور هامة ، واخبره انه لا يستطيع مغادرة الكوت ولا ساعة واحدة لما فيها من الاعمال الضرورية المهمة^(٣٣).

من الجدير بالذكر ان خسارة المجاهدين في معركة الشعبية عززت مشروع التفاوض مع البريطانيين ، الذي تزعمه السيد محمد اليزدي بالاتفاق مع السيد كاطع العوادي . فقبل اندلاع القتال في الاحواز واستسلام العثمانيين فيها في ١٢ اذار ١٩١٥

بمدة من الزمن رابط السيد محمد اليزدي ومعه عدد من العلماء وطلبة العلوم الدينية ورؤساء العشائر في جبهة الاحواز. واخذ المجاهدون ، لاسيما من كان منهم من عشائر الاحواز ، يتوافدون على هذه الجبهة خلال شهري كانون الثاني وشباط ١٩١٥. ولعل وجود السيد كاطع العوادي والسيد محمد اليزدي معا في هذه الجبهة لمدة طويلة اتاح للسيد كاطع العوادي التعرف على السيد محمد اليزدي ، ومن ثم الاتفاق معه فيما بعد على العمل سوياً من اجل التخلص من البريطانيين والعثمانيين عن طريق التفاوض.

ادت خسارة العثمانيين والمجاهدين في جبهة الاحواز ، وانسحابهم الى العمارة، والخسارة الاخرى في الشعيبة ، الى ترك الكثير من المجاهدين ساحات القتال وتوجهوا الى مناطقهم الاصلية ، مما بلور فكرة التفاوض السلمي مع البريطانيين لدى السيد اليزدي والعوادي ، لانهاء الوجود البريطاني والعثماني في العراق وتأسيس حكم وطني فيه ، بعد أن ادركا عدم امكان التوصل الى هذه الغاية عن طريق القتال^(٣٤).

نص الاتفاق على تكوين حكومة عراقية وذلك عن طريق مفاوضة البريطانيين والاتفاق معهم على عقد هدنة يتركوا هم والعثمانيون بعدها العراق ويسلموه الى اهله . ووافق السيد اليزدي على هذا المشروع على شرط ان يكون والده السيد كاظم اليزدي ملكا على العراق^(٣٥).

وبعد رجوعه الى النجف في وقت متزامن مع احتلال العمارة في ٣ حزيران ١٩١٥، تابع السيد محمد اليزدي هذا المشروع ، فدعا رؤساء عشائر الشامية والمشخاب الى النجف واجتمعوا عند محسن شلاش وتباحثوا في المشروع، ولكنهم اتصلوا بالعثمانيين ، الذين اسرعوا وطلبوا السيد محمد الى الجهاد فذهب الى الكاظمية. وادى هذا الامر الى توتر العلاقة بين السيد محمد والسلطة العثمانية ، وقد حدث هذا التوتر قبيل تحرك السيد محمد اليزدي من النجف في ٢١ تشرين الثاني ١٩١٥ للمشاركة في حركة الجهاد الثانية^(٣٦).

ثانياً : حركة الجهاد الثانية

في الوقت الذي تحرك فيه السيد محمد اليزدي للعمل السياسي السلمي ، كان القتال بين القوات العثمانية والقوات البريطانية مستمرا . فنجحت الاخيرة في احتلال الكوت في ٢٨ ايلول ١٩١٥ ، وتقدمت نحو بغداد واصطدمت في معركة (سلمان باك) مع القوات العثمانية التي اجبرتها هذه المرة على التراجع والانسحاب من ساحة المعركة في ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٥ نحو الكوت والتحصن بها . وواصلت القوات العثمانية ملاحقتها للقوات البريطانية المتحصنة في الكوت وفرضت عليها حصارا في ٧ كانون الأول ١٩١٥ ، استمر حتى استسلام هذه القوات للجيش العثماني في ٢٩ نيسان ١٩١٦ .

في الوقت الذي اعد فيه العثمانيون قواتهم للدفاع عن بغداد من موقع سلمان باك ، في تشرين الثاني ١٩١٥ ، وعززها بأسلحة ومعدات حربية وبفرق قتالية متميزة، قاومت بعض عشائر ولاية بغداد البريطانيين في مناطق خطوطهم العسكرية^(٣٧) ، ففي خط الفرات هاجمت من عشيرة زوبع بريطانيا في صدر قناة الرضوانية واستمرت هجماتهم عدة أيام قبل ان تقوم الفصائل البريطانية بهجوم معاكس ضدهم وقامت مجموعة من عشيرة الدليم باعتراض سبيل أمر إحدى الفصائل البريطانية وقتلته أثناء قيامه بجولة استطلاعية ، فتمكن البريطانيون من القاء القبض على اثنين من أفراد المجموعة والحكم عليهما بالإعدام.^(٣٨) وشرعوا في الوقت نفسه بحملة جديدة في اوساط العشائر والمدن العراقية لاسيما النجف الاشرف ، للحث على الجهاد وتجنيد المتطوعين للاستعانة بهم في جبهات القتال كقوة مساعدة للقوات العسكرية العثمانية .

سارعت السلطات العثمانية بالشروع بهذه الحملة لاسباب عدة منها اكتشافها لتحركات من قبل بعض الزعامات الدينية والعشائرية تؤشر ميل تلك الزعامات وانحرافها عن الوقوف تماما بجانب العثمانيين . وكان من بين تلك التحركات ، الاتصالات التي اجراها السيد محمد اليزدي مع الرؤساء العشائر بين لمنطقتي الشامية والمشخاب واجتماعه بهم في النجف^(٣٩).

ادركت السلطات العثمانية وقبل ان تشرع بحملتها لحشد جيش من المتطوعين ، ان البداية يجب ان تكون من النجف لاهميتها الدينية وكونها كانت مقرا للمرجعية الدينية الشيعية العليا ولمراجع الدين وعلمائه ذوي التأثير الفاعل في نفوس الناس ، القادر على دفعهم للقتال مساندة للعثمانيين^(٤٠).

كان المسؤولون العثمانيين في موقف لا يحسدوا عليه ، لذلك ارتأوا ان تكون دعوة الجهاد في هذه المرة تحت شعار جديد هو (العلم الحيدري الشريف) . فبعد ان كانت حركة الجهاد الأولى ذات صبغة اسلامية عامة ، قررت الحكومة العثمانية ان تجعلها ذات صبغة شيعية وراحت تستخدم شتى الوسائل لبث الدعاية للعلم الحيدري في المناطق الشيعية ، وصار دعايتها يتجولون في تلك المناطق قائلين "انه علم لا يغلبه غالب ، وان صاحبه حيدر الكرار انتصر به في جميع الحروب التي خاضها ضد الكفار، ولا بد أن ينتصر العلم الان"^(٤١).

وفي نفس الاتجاه ارسلت الحكومة العثمانية وفدا الى النجف في ٢٦ تشرين الأول ١٩١٥ ليلبغ علماء الدين الناس على الجهاد . واجتمع الوفد في اليوم الثاني من وصوله بالسيد كاظم اليزدي في بيته ، وطلبوا منه تأكيد فتواه السابقة بوجوب الجهاد ، فاستجاب لهم وحضر الى الصحن العلوي الشريف . وكان خازن المشهد العلوي قد اخرج من خزانة المشهد قبل حضوره علم تاريخي ثمين كتبت عليه الشهاداتتان . فجلس السيد كاظم اليزدي على حافة منبر الخطابة ، وبلغ عنه من ارتقى المنبر تأكيده على وجوب الجهاد ولزوم التعاضد وتوحيد كلمة المتطوعين . واكد في اليوم نفسه وفي الايام التالية علماء اخرون على الوحدة الاسلامية وضرورة الجهاد والتصدي لقوات الاحتلال البريطاني . واستغل الخطباء حلول شهر محرم الحرام، فأصبحت مجالس التعزية الحسينية مجالا لالقاء الخطب لحث الناس على الخروج للجهاد دفاعا عن الوطن^(٤٢).

تقرر ان يكون يوم ١٩ تشرين الثاني موعد اخراج العلم والرحيل به . واعد في هذا اليوم احتفال كبير في الصحن الشريف ، حضره متصرف كربلاء حمزة بك ، ومفتي النجف السيد ياسين افندي ، بالاضافة الى اعضاء الوفد ، وانضم اليهم علماء

النجف ووجهائها . وامتلاعت ساحة الصحن بالجماهير ، وجاء المتطوعين من محلات النجف الاربعة ، حاملون اسلحتهم يهتفون لنصرة الدين والدولة . وفي اليوم المحدد لاجراج العلم ، تقدم السيد محمد حسن الكليدار في وسط الزحام نحو شباك المرقد المقدس ، فتناول العلم ، وانزله من محله ، ودعا الحاضرين الى الله ان يزلزل البريطانيين ويهزمهم . ثم قرا مفتي النجف دعاءً ، وتلاه الكليدار بدعاءً اخر ، ورفع العلم خارجا به من الباب . وحين خرج الى الصحن كانت الساحة والاواوين والسطوح مملوءة بالناس . واخرج العلم من الصحن نحو السوق الكبير وحف به السدنة ، حتى وصل الى باب البلدة حيث هيات له عربات ، فوضع فيها وصعد من كان معه من العلماء والاعيان^(٤٣) .

كان في صحبة العلم من العلماء كل من الشيخ فتح الله الاصفهاني ، السيد علي التبريزي ، السيد مصطفى الكاشاني ، الشيخ باقر القمي ، الشيخ محمد حسين القمشي ، السيد عبد الرزاق الحلو ، المرزا مهدي بن الملا كاظم الخراساني ، السيد علي بن السيد محمد سعيد الحبوبي ، الشيخ عبد الرضا الشيخ مهدي ، السيد محمد علي بحر العلوم ، الشيخ محمد جواد الجواهري ، السيد هبة الدين الشهرستاني ، الشيخ عبد الكريم الجزائري ، الشيخ محمد حسين الجعفري ، الشيخ اسحاق الرشتي ، الشيخ عبد الحسين الجواهري ، الشيخ حسن علي القطيفي، وغيرهم . وكان معهم عدد من الطلبة ايضا حيث بلغ عددهم مائة وخمسين . ووصل الى الكوفة السيد محمد بن السيد كاظم اليزدي مع عدد من اصحابه للانضمام الى موكب العلم نيابة عن ابيه^(٤٤) .

وخلال المناطق التي مر بها الموكب كان العلماء يخطبون في الناس للحث على الجهاد. وفي عصر يوم ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٥ وصل العلماء الى بغداد فجرى لهم استقبال عظيم جدا ، وسار العلماء يتقدمهم العلم نحو القشلة وسط هتاف الجماهير واهازيجهم . وعند انتهاء الاحتفال توجه العلماء الى الكاظمية ، حيث استقبلوا فيها استقبالا عظيما ، واودع العلم عند مرقد الامامين الجوادين عليهما السلام^(٤٥) .

في عصر يوم ٣ كانون الأول خرج العلماء من الكاظمية لزيارة الاعظمية بدعوة من علمائها ووجهائها . وفي منتصف الشهر نفسه وصلت انباء مقلقة حول توغل القوات الروسية في ايران وزحفها باتجاه الحدود العراقية ، ووردت برقيات من بعض الايرانيين الى علماء النجف يستغيثون بهم للوقوف الى جانبهم ، للتخلص من الروس^(٤٦).

ومكث السيد محمد اليزدي والعلماء واهالي النجف في الكاظمية بانتظار ان تقوم السلطة العثمانية باعداد وسائل سفرهم الى الجبهة التي كانت انذاك في الكوت حيث حوشر فيها الجيش البريطاني . غير ان مكوثهم طال حتى شهر شباط من عام ١٩١٦ . وكانوا خلال تلك المدة يتوقعون المسير الى الجبهة بين يوم واخر . وخلال وجود السيد محمد اليزدي زار في ١ كانون الأول ١٩١٥ مستشفيات الهلال الاحمر في بغداد ، وقدم الهدايا للمرضى الراقدين فيها . وبعث الى اخيه السيد محمود في النجف في ٧ كانون الأول ١٩١٥ برسالة يخبره فيها بانهم بانتظار السفينة التي ستقلهم غدا او بعد غد الى الجبهة .

غير أن السلطات العثمانية سرعان ما تراجعت عن المضي في تنفيذ حملتها التي دعيت بحركة الجهاد الثانية بعد الشروع بها مباشرة ، لعدم حاجتها الى المتطوعين بعد الانتصارات التي حققتها على القوات البريطانية انذاك من جهة، ووصول الامدادات النظامية لها من الاناضول من جهة اخرى. فبعد اربعة ايام من تحرك جموع العلماء والمتطوعين من النجف انسحبت القوات البريطانية جنوبا باتجاه الكوت بعد معارك كبيرة خاضتها مع القوات العثمانية في منطقة سلمان باك جنوبي بغداد. وكانت ترد على تلك الجموع الاخبار ، وهي في طريقها الى بغداد ، عن الانتصارات الكبيرة التي كان يحرزها الجيش العثماني على القوات البريطانية المنسحبة من سلمان باك . ولذلك فقد اهملت السلطة العثمانية امر العلماء والمتطوعين بعد احتفاءها بمقدمهم الى بغداد بصحبة العلم الحيدري احتفاء كبيرا . وعدت كما يبدو حركة الجهاد الثانية دعما معنويا لها فحسب .

ونتيجة لذلك بدء متطوعوا النجف ، دون العلماء ، بالانسحاب من الكاظمية شيئا فشيئا والرجوع الى مدينتهم .

وحاولت السلطة العثمانية ان تجد مخرجا لموضوع العلم والسائرين به الى جبهة القتال بعد أن انتفت حاجتها اليه واليه . فبعثت لهم في الكاظمية متصرف كربلاء ليفاوضهم في الذهاب الى ايران لتحشيد الايرانيين وحثهم على قتال الروس الذين كانوا يطلبون من الايرانيين الاشتراك معهم في الحرب . لكن هؤلاء لم يستجيبوا للطلب الروس وكتبوا الى علماء العراق يستغيثون بهم من ضغوط الروس^(٤٧) . ولم يحسم موضوع العلم وحملته الا حسما شكليا بعد تعيين خليل بك واليا على بغداد وقائدا عاما للقوات العثمانية في العراق في ١٢ كانون الثاني ١٩١٦ .

فقد وردت برقية منه وهو في جبهة الكوت الى معاون والي بغداد في اوائل شباط ١٩١٦ ، يطلب فيها ان ياتي العلماء اليه ومعهم العلم الحيدري لايام معدودة . وتخوف العلماء من دوافع خليل بك واهدافه ، لان نوايا العثمانيين بشأن حركتهم قد اختلفت ، وكان وضعهم العسكري جيدا لا يتطلب الاستعانة بهم . فبعد ان اكد خليل بك للعلماء القصد من طلبه هذا ، اطمئن العلماء ورحلوا الى الكوت ، ومنهم السيد محمد اليزدي ، في ١٦ شباط ١٩١٦ حاملين معهم العلم الحيدري . وكان السيد محمد اليزدي عند سفره الى الكاظمية مريضا ، فارسل برقية الى والده في النجف عند وصولهم الى الكوت يطمئنه ويخبره بحسن استقبال القائد خليل بك للعلماء ، ويصف له قوة الجيش العثماني وانتظامه مما يبعث الثقة بالنصر .

ومكث العلماء في الكوت اثني عشر يوما ، استمعوا خلالها الى شرح مفصل قام به خليل بك عن سير المعارك من خلال الخرائط والرسومات ، وقاموا بزيارات ميدانية لبعض القطاعات ومواقع المعارك^(٤٨) . ويعدها سمح لهم خليل بك بالانصراف ، فغادروا الكوت في اوائل اذار ، فمنهم من عاد الى الكاظمية ، ومنهم من عاد الى الشرطة لمساعدة الشيخ خيون العبيد الذي كان مشغولا بمحاربة البريطانيين هناك ،

وكان على راس العلماء الذين ذهبوا الى الشطرة المرجع الديني الكبير السيد علي التبريزي^(٤٩).

وجرى في الكوت لقاء بين السيد كاطع العوادي والسيد محمد اليزدي ، وتحدث العوادي مع السيد محمد بشأن استئناف مشروع العمل السياسي من اجل التوصل الى استقلال العراق وتشكيل حكومة وطنية فيه . وامتنع السيد اليزدي عن الاستجابة للسيد كاطع العوادي الذي عرض عليه استئناف العمل بالمشروع الذي تفاوضا عليه سابقا .

كان لموقف اليزدي هذا اسباب متعددة اهمها :

- اعتلال صحته منذ خروجه من الكاظمية ، ويبدو ان مرضه كان شديدا ، وانه ارغم على السفر ، ذلك انه قد توفي في ١٧ اذار ١٩١٦ بعد عودته الى الكاظمية بسبعة عشر يوما .

- معرفة السلطات العثمانية بتحركاته السياسية الرامية الى استقلال العراق ، التي ذكرت سابقا ، مما حد من قدرته على مواصلة مثل تلك التحركات كانت ترصد عادة من قبل السلطات وبضيق على صاحبها .

- ولعل مما جعل السيد اليزدي لا يتجاوب مع السيد كاطع العوادي هو ما كان ظاهرا للعيان من امكانية قيام العثمانيين في ذلك الوقت بدحر القوات البريطانية وطردها من العراق لاسيما بعد انتصارهم على تلك القوات في معركة سلمان باك ومحاصرتهم لها في الكوت لمدة حوالي خمسة اشهر والتي انتهت باستسلام تلك القوات^(٥٠).

تعلم المجاهدون والبريطانيون من حركة الجهاد معان واحدة ، وخرجوا بنتيجة واحدة ، فكل منهما عرف خصمه ، وتعرف عليه . ولم يسقط البريطانيون من حسابهم العمل في خط اخر يسعى للترضية والكسب والتسلل الى مواقع المجاهدين ومناطق نفوذهم .

فراح البريطانيون يفكرون في الطرق التي تضمن لهم عدم ظهور اي حركة جهادي اخرى . اما قادة الجهاد فكانوا يفكرون بالطرق التي توصلهم الى صيغة علمية

لحركة ثورية قادمة ضد البريطانيين. حيث عاد علماء الدين الذين قادوا قوات المجاهدين الى مراكزهم الدينية ، بعد ان قطعوا اكثر من (٥٠٠) كيلومتر ، تعرضوا خلالها الى مشكلات صحية بسبب تقدم اعمارهم . فلم يتحدثوا للناس عن احوال الحرب ، ولم يكتبوا الرسائل في همومهم . فكان ذلك السلوك محرم في عقيدتهم . لانهم كانوا يقاتلوا في سبيل الله ، وليس لاحد ان يمن على الله بشيء^(٥١).

أما البريطانيين فقد قرروا المضي في سياسة تقوم على خطين الأول العنف المباشر ، اما الآخر فهو خط الترضية وكسب الاصدقاء ، وكانت هذه السياسة ترمي الوصول الى هدف واحد هو ان لا تظهر دعوة اخرى للجهاد^(٥٢) .

بعد احتلال بغداد في ١١ اذار ١٩١٧ ، الذي وصفه السيد مهدي الحيدري بان بمثابة "سقوط الاسلام من السماء الى الارض" ، تضاعف حماس علماء الدين العائدين من الجهاد للعمل الجديد ضد البريطانيين ، الامر الذي شجع رؤساء العشائر على ضرورة مواجهة الاحتلال البريطاني ، بتبني مشروع اسلامي عربي واسع ، لحركة تحرير اسلامية عربية ، تسعى لاقامة حكومات اسلامية من جهة ، ودعم الجهود الرامية الى الوحدة العربية المستقلة عن النفوذ الاجنبي من جهة اخرى.

تعهدت بريطانيا في الأول من تشرين الثاني عام ١٩١٤ بعدم ارسال اية حاميات عسكرية الى المدن المقدسة . غير انها نقضت هذا الوعد في خطتها العسكرية بعد احتلال بغداد ، ففي الاسبوع الأول من عام ١٩١٨ ارسلت حاميات عسكرية الى الكوفة ، واخذت القوات البريطانية مواقعها في المدينة ، وبدأت دوريات عسكرية بالتجول حول سور النجف ، فاطلقت عليها النار حالا وقتل اثنان من افرادها .

أن هذا الحادث يعيد للاذهان مرة اخرى فكرة المواجهة بين الشيعة والبريطانيين ويعطي انطباعا عاجلا - ربما شخص من قبل العسكريين البريطانيين - بان السهولة التي دخلت بها قواتهم الى بغداد سوف لا تتكرر مع مدينة النجف^(٥٣).

لقد بدأت مرحلة جديدة من النضال السياسي للتفاوض مع محتل منتصر بعد ان ولت ايام المحتل المنهزم . وقد كان هذا المحتل هو أدهى واقوى من سابقه ، مما

تطلب عملاً سياسياً ممنهجاً لآخراجه من العراق ، لاعادة العراق مستقلاً الى اهله . فشرع علماء الدين بالعمل السياسي الذي يحقق هذا الهدف بالطرق السلمية ، او التحول عنه ، لنيل حقوقهم ، الى "التوصل بالقوة الدفاعية اذا امتنع البريطانيون عن قبول مطالبهم" على حد تعبير فتوى المرجع الاعلى الشيخ محمد تقي الحائري^(٥٤).

وبدء علماء الدين ورؤساء العشائر بمواجهة الوجود البريطاني في النجف وباقي مدن العراق ، بتأسيس تنظيم حزبي ، هدفهم منه وضع تنظيم ثوري شامل له فروع في المدن والقرى والبادي العراقية . وله فروع ايضا في البلاد العربية والاسلامية . ووضع هذا المشروع علماء دين منهم الشيخ عبد الكريم الجزائري ، والشيخ محمد جواد الجزائري ، والسيد محمد علي بحر العلوم ، والشيخ محمد علي الدمشقي . وقد اسسوا لتنفيذه تنظيمًا حزبياً، واقاموا له هيكلًا ونظامًا داخليًا ، وهو حزب النهضة الاسلامي . وكانت الاحزاب تسمى على الاغلب جمعيات ، فغلبت عليها هذه التسمية واصبح معروفًا باسم جمعية النهضة الاسلامية .

انضم الى الجمعية معظم رؤساء النجف وزعمائها المحليين وبعض رؤساء العشائر ، وانضم اليها الكسبة والفقراء^(٥٥). كما انضم اليها زعماء عشائر الفرات الاوسط ، منهم السيد كاطع العوادي ، وعبد الواحد الحاج سكر ، وعلوان الياسري، وشعلان ابو الجون ، وغثيث الحرجان^(٥٦).

وتشكلت هيأتها الادارية من :

السيد محمد علي بحر العلوم	رئيساً .
الشيخ محمد جواد الجزائري	عضواً .
الشيخ محمد علي الدمشقي	عضواً .
الشيخ عباس الخليلي	سكرتيراً عاماً .

وجميع هؤلاء علماء دين كبار، سوى عباس الخليلي الذي كان يلقب بفتى الاسلام. واعتمد التشكيل على جناحين للجمعية سياسي فكري اعلامي، ينهض به العلماء والمتقنون والشعراء. وعسكري يعتمد الكفاح المسلح. ولم يكن الجناحان

متكافئين. اذ ان القادة العلماء يشكلون جناحه السياسي. وكانت قاعدته الشعبية تشكل جناحه العسكري المسلح ، والتي تضم الزعماء الشعبيون من قادة المحلات .

وخاض هؤلاء اول تجربة حزبية مبكرة في الكفاح المسلح في العراق . وقادوا ثورة النجف في ١٩ اذار ١٩١٨ حيث شارك فيها شيوخ العشائر في الفرات وبالتعاون مع عدد من اهالي النجف، وتوجهت اطلاقة الثورة الاولى الى راس الحاكم السياسي البريطاني الكابتن مارشال وارادته قتيلا ، كما جرح احد مساعديه في هجوم خطته ونفذه الجناح العسكري.^(٥٧)

وكانت الخطة تستهدف قتل جميع الحكام السياسيين البريطانيين في المنطقة المجاورة. واستمرت الثورة خمسة واربعين يوما . واشترك فيها من الجانب العراقي اكثر من عشرة الاف مسلح . وعن الجانب البريطاني اشترك في القتال وفي حصار النجف اثناء الثورة اكثر من ثمانية الاف جندي . وانتهت باعدام قادة الجناح العسكري ، ونجاة سكرتير الجمعية الذي حكم بالاعدام واستطاع الهروب من المعتقل . ونفي تسعون عضوا من اعضائها ، منهم تسعة مدى الحياة الى الهند. وقد قضوا بالفعل سبع سنوات هناك في المنفى.^(٥٨)

وحكم على الشيخ محمد جواد الجزائري بالاعدام وهو اول عالم ديني يصدر عليه حكم بالاعدام عام ١٩١٨ من قبل محكمة عسكرية بريطانية عقدت في سجن بمنطقة ام العظام في بغداد . وقد استبدل الحكم بالنفي الى الهند . غير ان الشيخ خزعل امير المحمرة قد تدخل لدى البريطانيين ، لابقائه منفيا في الاحواز ، مع قائد ثورة النجف الاخر السيد محمد علي بحر العلوم الذي كان قد حكم ايضا بالاعدام ، ودخل السجن مع الشيخ الجزائري . وكان متوقعا لجمعية النهضة ، ان تقود الثورة الشاملة بالاتفاق مع عشائر الفرات الاوسط، الا ان الجناح العسكري قد تسرع في اعلان الثورة^(٥٩).

وقد ادانت الجمعية السياسة الاستعمارية البريطانية التي بدأت تقصح عن نفسها بجلاء بعد استكمال القوات البريطانية احتلال العراق اواخر عام ١٩١٨ ، مما

دعا الجمعية في نطاق اهدافها، الى ان تسعى لتحرير العراق من الاحتلال البريطاني وتاليف حكومة مستقلة فيه ، وكان لنشاطاتها هذه دور مهم في التحضير لقيام ثورة العشرين^(٦٠).

ومما تجدر الإشارة اليه ان استمرار ولاء الشيوخ والعشائر للحكومة العثمانية لا يعود لأسباب دينية ووطنية فحسب ، وإنما لأسباب أخرى ، منها الخوف من الاجراءات التي قد يتخذها العثمانيون في حالة عودتهم ضد كل من يتعامل مع البريطانيين^(٦١). وتأثير الدعاية العثمانية والدعاية العثمانية - الألمانية التي كانت تصرح بان العثمانيين سوف يعودون للعراق ، وان العراق سوف يسلم من جديد إلى العثمانيين لقاء تحرير بلجيكا من رقبة الألمان ، وتحريض الضباط العهدين العراقيين بالثورة ضد البريطانيين^(٦٢).

الخاتمة

سجلت المرجعية الدينية والعشائر في العراق موقفا متميزا عن الاحتلال البريطاني، فقد اعلنت رفضها لهذا الاحتلال منذ الايام الأولى لنزول القوات البريطانية في الفاو . وتمثل موقف المرجعية الرفض للاحتلال باعلان الجهاد ، والذي كان ترجمة عملية لرسائل المراجع العظام الفقهية في الجهاد ، منطلقة من قاعدة شرعية ان المسلم لا يحكمه غير المسلم . وقد جمع العلماء في موقفهم بين جهاد الكلمة والسلاح ، ففي الوقت الذي دعا فيه العلماء الناس للجهاد من خلال خطبهم على المنابر وفي المساجد ، فانهم ترأسوا جموع المتطوعين في جبهات القتال.

فقد لبث العشائر العراقية فتوى الجهاد (المقدس) وأن هذا الولاء يعود في معظمه إلى تأثير العامل الديني في نفوس أفرادها ، وانها في نهاية الحرب المذكورة خضعت لحكم أجنبي محتل ذي طبيعة حضارية ودينية متميزة.

وعلى الرغم من فشل العلماء والعشائر من تحقيق الاهداف المتوخاة من حركتي الجهاد الأولى والثانية ، والمتمثلة باخراج المحتل البريطاني وتحقيق استقلال

العراق ، فانهم سجلوا بموقفهم هذا تعبيراً واضحاً للرفض القاطع للوجود البريطاني في العراق .

وظل علماء الدين بعد احتلال بغداد يتحينون الفرص لإعلان حركة جهاد جديدة للانقضاء على السلطة البريطانية وانتهاء وجودها في البلاد ، فوضع العلماء أسس النظام الحزبي الثوري المنظم من خلال تأسيس جمعية النهضة الإسلامية السرية ، والتي مثلت انموذجاً للوحدة بين المرجعية الدينية والجماهير ، والتي قادت أول ثورة ضد المحتل البريطاني وهي ثورة النجف عام ١٩١٨ ، والتي شكلت الخطوة الأولى لنضال المرجعية الدينية والعراقيين جميعاً في ثورة أعظم هي الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ .

وعليه لا يمكن إنكار دور المرجعية في النجف الاشراف في دعم الحركة الجهادية في العراق فبالرغم من دورها العسكري المحدود إلا أنها مارست دوراً فعالاً في إثارة الرأي العام العراقي للوقوف بوجهة المحتل البريطاني.

- أظهرت المرجعية برجاليتها الأشداء زعامات دينية استطاعت أن ترسم خطوط واضحة لامكانية انهاض الجماهير لمواجهة الغزاة .
- أعطى دور المرجعية في مقاومة المحتل درساً للعثمانيين غزاة الأمس والبريطانيين من بعدهم بأن الوحدة الوطنية درس يورث لدى الجماهير ولا يكتب في ظل شرعية المرجعية.

هوامش البحث ومصادره :

- (^١) شكري محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨ ، ط ٨ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص ١٦-١٧.
- (^٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٤ ، مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص ١٢٧.
- (^٣) عبد الشهيد الياسري ، البطولة في ثورة العشرين ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٦٦ ، ص ٦٩ .
- (^٤) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ .
- (^٥) عبد العزيز القصاب ، من ذكرياتي ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ١٠٨-١١٢ .
- (^٦) وادي العطية ، تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً ، النجف ، ١٩٥٤ ، ص ٤٤٨.
- (^٧) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
- (^٨) محمد أمين العمري، تاريخ حرب العراق ، ج ١ ، المطبعة العربية ، بغداد ، ١٩٣٥ ، ص ٣٧٤.
- (^٩) جميل موسى النجار ، السيد كاطع العوادي ودوره الوطني في الحياة السياسية العراقية ١٩٠٨-١٩٤٥ ، ط ١ ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص ٦٩-٧٠ .
- (^{١٠}) المصدر نفسه ، ص ٧٠-٧١ .
- (^{١١}) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ١٣٠-١٣١ .
- (^{١٢}) محمد بن محمد مهدي الخالصي ، بطل الاسلام الشهيد الامام الشيخ محمد مهدي الخالصي، ط ١ ، طهران، ٢٠٠٧ ، ص ١٠٥-١٠٦ .
- (^{١٣}) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ١٣٣-١٣٤ .
- (^{١٤}) محمد بن محمد مهدي الخالصي ، المصدر السابق ، ص ١١٠-١١١ .
- (^{١٥}) المصدر نفسه ، ص ١١١-١١٣ .
- (^{١٦}) المصدر نفسه، ص ١١٥-١١٦ .
- (^{١٧}) وهو رئيس الحكام السياسيين البريطانيين في العراق، وقد أصبح بعد سقوط بغداد يسمى بـ (الحاكم الملكي العام).
- (^{١٨}) آرنولد ولسن ، بلاد ما بين النهرين بين ولاتين ، ترجمة: فؤاد جميل ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص ١٠٦ و ٣٦٦.
- (^{١٩}) المصدر نفسه.
- (^{٢٠}) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ١٣٦-١٣٩ .

- (٢١) المصدر نفسه ، ص ١٤٠ .
- (٢٢) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٧ .
- (٢٣) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ١٤١-١٤٢ .
- (٢٤) للتفاصيل عن سير الوقائع في الاحواز ينظر : محمد بن محمد مهدي الخالسي ، المصدر السابق ، ص ١١٨-١٢٣ .
- (٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٤-١٢٦ .
- (٢٦) جميل موسى ، المصدر السابق ، ص ٧٥-٧٦ .
- (٢٧) لم تكن مشاركة العشائر في الدفاع عن العراق أمراً جديداً فقد شاركت جيوش العثمانيين ضد غزوات الفرس والهابيبين وفي حروب إيطاليا والبلقان (١٩١١-١٩١٢) عندما أعرب عدد من شيوخ العشائر تطوعهم وأفراد عشائهم للقتال إلى جانب الحكومة.
- (٢٨) عبد الجليل الطاهر ، العشائر العراقية ، ج ١ ، مطابع دار لبنان ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٨٦ .
- (٢٩) عبدالقادر باش اعيان ، البصرة في ادوارها التاريخية ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ٨٠ .
- (٣٠) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ١٤٧-١٤٨ .
- (٣١) شكري محمود نديم ، المصدر السابق ، ص ٢٩-٣٠ .
- (٣٢) محمد بن محمد مهدي ، المصدر السابق ، ص ١٢٦-١٢٩ .
- (٣٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٩-١٣٥ .
- (٣٤) جميل موسى ، المصدر السابق ، ص ٧٦-٧٩ .
- (٣٥) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .
- (٣٦) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ٢١٢ .
- (٣٧) كانت خطوط البريطانيين العسكرية بعد احتلالهم لبغداد ثلاثة ، الخط الأول ويمتد من بغداد إلى بعقوبة على نهر ديالى ، والخط الثاني من بغداد الى سامراء على نهر دجلة ، والخط الثالث ويقع غرب بغداد على نهر الفرات فيما بين الفلوجة وسدة الهندية . ينظر : برسي كوكس وهنري دويس ، صفحة من تاريخ العراق الحديث ١٩١٤-١٩٢٦ ، تعريب بشير فوجو ، الموصل ، ١٩٥١ ، ص ٢٥ .
- (٣٨) المصدر نفسه .
- (٣٩) جميل موسى ، المصدر السابق ، ص ٨٠-٨١ .
- (٤٠) المصدر نفسه ، ص ٨٤ .
- (٤١) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

- (٤٢) جميل موسى ، المصدر السابق ، ص ٨٥ .
- (٤٣) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦-٢٣٨ .
- (٤٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩-٢٤٠ .
- (٤٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠-٢٤١ .
- (٤٦) المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ .
- (٤٧) جميل موسى ، المصدر السابق ، ص ٨٥-٨٦ .
- (٤٨) المصدر نفسه ، ص ٨٧-٨٨ .
- (٤٩) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٢-٢٤٣ .
- (٥٠) جميل موسى ، المصدر السابق ، ص ٨٩-٩٠ .
- (٥١) المصدر نفسه ، ص ٩٠ .
- (٥٢) المصدر نفسه ، ص ٨٧-٨٨ .
- (٥٣) المصدر نفسه ، ص ٨٨ .
- (٥٤) حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠، ط ١، مطبعة قلم، قم، د.ت، ص ٨٦ .
- (٥٥) جميل موسى ، المصدر السابق ، ص ٩٠-٩١ .
- (٥٦) حسن العلوي ، المصدر السابق ، ص ٩٥ .
- (٥٧) ستار جبار الجابري ، سعد صالح ودوره السياسي في العراق ، مطبعة المشرق، بغداد، ١٩٩٧، ص ٥٢ .
- (٥٨) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ .
- (٥٩) المصدر نفسه .
- (٦٠) حسن العلوي ، المصدر السابق ، ص ٩٦-٩٧ .
- (٦١) بعد انتصار العثمانيين في الكوت وعودتهم اليها اعدموا عدداً من اهالي الكوت لتعاونهم مع سلطات الاحتلال البريطاني ، ينظر: المس بيل ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ .
- (٦٢) تجلى ذلك في دياتي ومع عشائر العزة والعبيد. ينظر: تحسين العسكري ، مذكراتي عن الثورة العربية ، ج ١، النجف ، ١٩٣٨، ص ١٦٥ .

**القضاة ودورهم السياسي فى عصر
دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)**

م.د. ريم هادي مرهج الذهبى

كلية التربية - جامعة ميسان

قسم التاريخ

القضاة ودورهم السياسي في عصر دولة المماليك
(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

م.د. ريم هادي مرهج الذهبي

المقدمة

يحتل منصب القضاة في عصر دولة المماليك من اعظم المناصب الادارية وأجلها، لانهم يملكون قدرةً ونفوذاً بين العلماء في تنظيم الدولة من جميع جوانبها فقد تناول هذا البحث الدور السياسي للقضاة في عصر دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، بدءاً من المرحلة الإنتقالية التي مرت بها البلاد من الدولة الأيوبية إلى دولة المماليك حيث أنهم وقفوا بجانب سلاطين المماليك ودعموهم وتصدوا لكثير من الثورات لتسهيل عملية الإنتقال، وقد أيقن المماليك الدور الفعال للقضاة في هذه الناحية ، فكان لقضاة دولة سلاطين المماليك مكانة عظيمة وشأن كبير لم يكن مثله للسلاطين أنفسهم ، وذلك بسبب ما قام القضاة من أعمال لحل أزمات البلاد دون إنتظار المقابل ، لذلك حرص سلاطين دولة المماليك على تقريب القضاة إليهم والأخذ برأيهم عند تولى أو عزل أحد الحكام.

وقد تتبعنا الدور السياسي لبعض لقضاة ودورهم في قيام دولة المماليك ، بداية من إنكار الخلافة العباسية بتولى النساء ولاية أمور المسلمين وقيام الثورات في القاهرة ، فضلاً عن دورهم الفعال في عملية تولى الحكام ، فقد جرت العادة عند تولى سلطان جديد أن يحضر القضاة لكي تكون الولاية شرعية ، كما كان لهم الدور الأكبر في حشد الجيوش لمواجهة المغول .

دور القضاة في قيام الدولة المملوكية

ورثت دولة سلاطين المماليك (٦٤٨هـ / ٩٢٣هـ - ١٢٥٠م / ١٥١٧م) ممتلكات دولة الأيوبيين. ومسؤولياتها السياسية والعسكرية، وقد قامت الدولة الأيوبية في ظل تحديات خطر كان يهدد العالم العربي والإسلامي وهو الخطر الصليبي، وقد استطاع صلاح الدين التصدي لهذا الخطر بعد أن إحتلوا القدس وأجزاء من فلسطين، وبلاد الشام، وباتوا مهددين لبقية المنطقة العربية^(١).

ومن الجدير بالذكر مساندة العلماء والقضاة والفقهاء لصلاح الدين الأيوبي أمثال "زين الدين علي تجا" الواعظ والقاضي المعروف بابن نجية^(٢)، إلا أن الأيوبيين الأواخر فشلوا في استكمال الدور التاريخي الذي أفرز دولتهم، عوضاً عن اهتمامهم بالجهاد ضد العدو الصليبي، وجهوا قدراتهم وطاقتهم السياسية والعسكرية للاقتتال فيما بينهم^(٣).

وفي خضم تلك الظروف التاريخية التي أحاطت بالأيوبيين الأواخر خرجت الدولة المملوكية^(٤)، فحملت مسؤولية الدفاع عن شرق الأمة الإسلامية بأثرها، وتعين على سلاطين المماليك مواجهة خطراً مزدوجاً، الأول من جانب الصليبيين بقيادة لويس التاسع والمغول بقيادة هولاكو، والخطر الثاني كان من جانب سادتهم السابقين من بني أيوب، وهكذا تحتم على المماليك القتال على الجبهتين الداخلية والخارجية، وهو ما كفلت له موارد مصر الهائلة، وذلك بمساعدة رجال الدين من القضاة، والفقهاء، وكانت الخطوة الأولى في سبيل تحقيق حلم المماليك في الاستيلاء على عرش مصر، أن أرملة الصالح نجم الدين أيوب^(٥) الأميرة "شجر الدر"^(٦)، جلست على عرش السلطنة، حيث كان للدور الكبير الذي قامت به بعد وفاة الصالح نجم الدين أيوب، وتصرفها حيال الصليبيين، وأسرها الملك لويس التاسع أبلغ الأثر لدى المماليك بعدما شاهدوا ما تتصف به من حماس سياسي وحكمة، ومهارة في تصريف أمور الدولة في ذلك الوقت العصيب الذي كادت أخطار الحرب والاستيلاء على دمياط^(٧) أن تفت في عضد أي حاكم آخر، فقد عملت شجر الدر على تحرير دمياط من الصليبيين، لما أخفت موت

نجم الدين أيوب على الجيش المصري الذي كان يقاتل الغزاة، إذ لو أعلنت نبأ وفاة الملك، والجيش المسلمة، والصليبية في التحام، وعراك لأقلت الأمر من أيدي القادة المماليك، وبعث فيهم نبأ وفاة الملك شيئاً من الضعف والتخاذل والتواكل، وقد عهدت شجر الدر إلى الأمير فخر الدين بقيادة الجيش وبعثت فيه روح المثابرة، والعزيمة، والجهاد، ومواصلة الحرب لاسترجاع دمياط من أيدي الصليبيين^(٨) وبهذا التدبير الحكيم وذلك الأسلوب المميز، والحنكة الفريدة استطاعت شجر الدر إدارة شؤون البلاد في تكتم شديد إلى أن تم استدعاء توران شاه بن الصالح أيوب من حصن كيفا^(٩) الذي كان حاكماً لها، رغبة منها ومن أمراء المماليك في مصر، في أن يخلف والده في حكم الأراضي المصرية. إلا أن توران شاه لم يكن الرجل المناسب، الذي يخلف والده في حكم الأراضي المصرية^(١٠)، فبدلاً من أن يعمل على تهدئة الأمور، ويضع يده في يد ممالك والده لتوطيد حكمه لمصر، دخل مع كبار أمراء المماليك في منافسات حادة، وخلافات ظاهرة، جعلت المماليك يفكرون في التخلص منه، فقتل على أيديهم بفارسكور^(١١) شر قتلة، فجرحوه أولاً ففر إلى أعلى البرج، وأغلق بابيه والدم يسيل من يده فأضرموا النار في البرج، ورموه بالنشاب فألقى نفسه من البرج في النيل يقول المقرئزي^(١٢): "فمات جريحاً، حريقاً، غريقاً".

وبعد التخلص من توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب أدرك الأمراء المماليك أنه لا فائدة من بقاء الحكم بيد أمراء البيت الأيوبي، بعد سوء التصرف الذي قام به توران شاه حيالهم، فاجتمع الأمراء المماليك البحرية وأعيان الدولة، وأهل المشورة بالدهليز السلطاني، واتفقوا على إقامة شجر الدر أم خليل زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب في مملكة مصر^(١٣).

ويبدو أن أقدام المماليك على تنصيب شجر الدر على مملكة مصر، وعدم تقديم أحدهم ليكون سلطاناً على حكم مصر، رغم وجود عدد كبير منهم من ذوي الكفاءة الإدارية والسياسية والعسكرية، لإدارة شؤون البلاد في تلك المرحلة، إلا أنهم فضلوا عدم الصدام مع بقايا البيت الأيوبي؛ إذ تنصيبها سيكون في نظرهم استمرار

لحكم بني أيوب، فهي زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأم ولده خليل، وهذا الأمر هو الذي جعل ابن إياس يعتبرها آخر ملوك الدولة الأيوبية^(١٤)، والذي لا جدال حوله أن حكم بني أيوب لمصر، قد انتهى بمقتل توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين، ولو كانت رغبة أمراء المماليك استمرار حكم بني أيوب للبلاد، لقاموا بتتصيب أحد أفراد البيت الأيوبي، سواء في مصر أو في بلاد الشام، وهو الأمر الذي جعل المقريري يقول: "أن شجر الدر هي أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك"^(١٥).

والذي يهنا هنا هو موقف القضاة والعلماء من انتقال سلطة البلاد من البيت الأيوبي إلى ممالكهم، فنجد أن القضاة والعلماء التزموا الصمت إزاء هذا التحول، ولعل السبب وراء صمتهم إزاء هذا التحول الخطير في حياة الأمة راجع إلى سببين هما:

السبب الأول: سوء الأحوال الذي ألت إليه البلاد في نهاية الحكم الأيوبي، وحالة التدهور السياسي، والتناحر العسكري فيما بين الأمراء الأيوبيين، فضلا عن تخليهم عن دورهم التاريخي الذي أفرز دولتهم، وهو الدفاع عن بيت المقدس الذي قامت الدولة الأيوبية من أجله وهو جهاد الصليبيين^(١٦)، وما زاد من خطورة الأمر تحالف الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق^(١٧)، مع الصليبيين، والاستعانة بهم لقتال ابن أخيه الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر، وهو الأمر الذي أغضب القضاة والعلماء، وعلى رأسهم قاضي القضاة وسلطان العلماء العز بن عبد السلام، فأفتى بتحريم بيع السلاح للفرنج، وقطع من الخطبة بجامع دمشق الدعاء للصالح إسماعيل^(١٨)، كل هذه الأمور أثارت الملك الصالح إسماعيل. فأمر باعتقاله وعزله من منصبه، فخرج العز بن عبد السلام^(١٩) من بلاد الشام معترضاً على أفعال الصالح إسماعيل، وتوجه إلى مصر، فاستقبله الصالح نجم الدين أيوب أحسن استقبال، وولاه قضاء مصر، والوجه القبلي^(٢٠).

السبب الثاني: إدراك القضاة، والفقهاء لطبيعة المرحلة التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية في المشرق الإسلامي، ففي ذلك الوقت كانت جحافل المغول استولت

على معظم بلاد المشرق الإسلامي، وفي الوقت ذاته كان العدو الصليبي يربط على سواحل بلاد الشام، يترصد بالمسلمين لتوسيع نفوذه، يضاف إلى ذلك أن العالم الإسلامي كان يمر بمحنة الانقسام والتفكك السياسي، وقيام العداء والصراع بين معظم دوله وحكامه، ولهذه الأسباب، رأى القضاة والعلماء ضرورة اتباع سياسة جديدة تتحمل عبء مواجهة هذه الأخطار التي باتت تهدد وجود الدولة الإسلامية، فضلاً عن حرصهم على تماسك وحدة الجبهة الإسلامية وعدم تفككها ويبدو أنهم قد رأوا في المماليك أنهم خير من يقوم بهذا الدور، نظير البطولات التي حققوها في معظم المعارك التي خاضوها، وعليه فإن القضاة والعلماء واجهوا صعوبات في التعامل مع الوضع الجديد اوسبب ذلك يعود الى مسألتين اثنتين وهما:

المسألة الأولى: هي رفض الخليفة، والقضاة، والعلماء وعامة الناس، ولاية امرأة للسلطنة، على الرغم من الدور الكبير الذي قامت به "شجر الدر" بعد وفاة زوجها نجم الدين أيوب وتصرفها حيال الصليبيين، وأسرها الملك لويس التاسع، وما اتصفت به من حماس سياسي، وحنكة ومهارة في تصريف أمور الدولة في ذلك الوقت العصيب، وحرصها على مواصلة الحرب لاسترجاع دمياط من أيدي الصليبيين، وحفاظها على وحدة الجيش وتماسكه، والحيلولة دون تصدع صفوفه، وانفراط عقده^(٢١).

إلا أن الرأي العام في مصر والعالم العربي والإسلامي ما كان ليقبل بقيادة امرأة على كرسي الحكم؛ إذ كان التراث السياسي للحضارة العربية الإسلامية قد استقر على أن الحاكم رجلاً^(٢٢)، كذلك رفض الخليفة العباسي "المستعصم بالله"^(٢٣) الاعتراف بالسلطة الجديدة وإرساله من بغداد إلى الأمراء الذين كانوا بمصر يقول لهم: "أعلمونا أن كان ما بقي في مصر عندك من الرجال من يصلح للسلطنة، فنحن نرسل إليكم من يصلح لها، ومما قاله الشعراء في إنكارهم على تولي شجر الدر السلطنة:

النساء ناقصات عقل ودين ما رأيهن رأياً سنياً
ولأجل الكمال لم يجعل الله تعالى من النساء نبياً^(٢٤).

فضلا عن ردود أفعال الأيوبيين الحاكمين في بلاد الشام التي اتسمت بالعصبية والضييق، ورفضوا الاعتراف بهذا التتويج، وحاولوا القيام بعمل عسكري للاستيلاء على مصر^(٢٥).

وقد تفجرت ثورات من الغضب في العالم الإسلامي، وقامت المظاهرات العارمة في القاهرة، وكانت وسيلة "شجر الدر" للتغلب على تلك المظاهرات بالتقرب إلى العلماء والخطباء، وعلى رأسهم "العز بن عبد السلام"^(٢٦)، ولكي تذلل شجر الدر هذه العقبة، وحتى لا يفلت الأمر من أيدي المماليك، تزوجت من عز الدين أيبك، وتنازلت له عن العرش^(٢٧). بعد أن قضت في منصب السلطة ثمانين يوماً برهنت فيها على حسن سيرتها، ووزير عقلها، وجودة تدبيرها^(٢٨).

المسألة الثانية:

مسألة الرق: فلا يخفى على قارئ التاريخ الإسلامي أن المماليك هم تلك الاجلاب الذين عرفوا المجتمع الإسلامي منذ أيام الخلافة الإسلامية في بغداد، وقد جاءوا إلى مصر من مختلف البلاد مع تجار الرقيق، وشجع هؤلاء التجار على جلب الرقيق من الجنسين سعة الأموال التي بذلها لهم السلاطين، والأمراء رغبة في الإكثار من مماليكهم ليكونوا لهم سنداً يعتمدون عليه، فضلاً في أبهة التملك على إعداد كبيرة من الجند والحاشية^(٢٩)، وأن المماليك لم يكونوا جميعاً من أصل واحد^(٣٠).

والذي يهمنا في هذه المسألة أن أمراء المماليك قد مسهم الرق، ويشترط الفقهاء فيمن يلي الولاية العامة أن يكون حراً فلا تثبت ولاية العبد لقوله - سبحانه وتعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)^(٣١)؛ لأنه لا ولاية له على نفسه فكيف تثبت له الولاية على غيره؟

بالإضافة إلى أن المماليك الذين اشتراهم نجم الدين أيوب، دفع ثمنهم من بيت مال المسلمين واستغلهم في خدمته وجيشه، وتصريف شؤون الدولة يمارسون البيع والشراء وهو تصرف باطل؛ لأن المملوك لا ينفذ تصرفه، فأخذ قاضي القضاء "العز بن

عبد السلام " لا يمضي لهم بيعاً ولا شراءً، فضايقهم ذلك وشجر بينهم وبينه كلام حول هذا المعنى فقال لهم بائع الملوك: أنتم الآن أرقاء لا ينفذ لكم تصرف، وإن حكم الرق مستصحب عليكم لبيت مال المسلمين، وقد عزمت على بيعكم فاحتدم الأمر، العز بن عبد السلام مصمم، لا يصحح لهم بيعاً ولا شراءً ولا نكاحاً، فتعطلت مصالحهم، وكان من جملتهم نائب السلطان الذي اشتاط غضباً واحمر أنفه فاجتمع مع شاكلته، وأرسلوا إلى قاضي القضاة وسلطان العلماء "العز بن عبد السلام"، فقال: نعقد لكم مجلساً وينادي عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعي فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه، فلم يرجع فخرجت من السلطان كلمة فيها غلظة حاصلها الإنكار على العز بن عبد السلام- في دخوله في هذا الأمر، وأنه لا يتعلق به^(٣٢)، وهذا أدرك العز بن عبد السلام أن أعوان الباطل تماثلوا عليه ووقفوا في وجه الحق وتطبيق الشرع، وتنفيذ الأحكام التي لا تفرق- في الدين- بين كبير وصغير، وحاكم ومحكوم، وأمير ومواطن، فلجأ إلى سلاحه الضعيف الباهت في ظاهرة القوى الفعال المدمر في حقيقته وجوهره وسنده، وأعلن الانسحاب، وعزل نفسه عن القضاء، وقرر الرحيل عن القرية الظالم أهلها، والتي ترفض إقامة شرع الله^(٣٣).

وخرج العز من القاهرة، وما انتشر الخبر بين الناس في مصر حتى تحركت جموع المسلمين وراءه م ولسان حالهم يقول: لا خير في مصر أن لم يكن فيها العز بن عبد السلام وأمثاله، القائمون بالكتاب والسنة والأمرون بالمعروف. والناهون عن المنكر، والمجاهدين في سبيل الله، لا يخافون لومة لائم، ولا شماتة شامت، ورفعت التقارير حول هذه الظاهرة إلى القاهرة، فركب السلطان بنفسه، ولحقه، واسترضاه، وطيب قلبه، فرجع أن ينادى على ملوك مصر، وأمرائها، وأرسل إليه كبيرهم نائب السلطان بالملاطفة والشيخ لم يتغير، لأنه يريد إنفاذ حكم الله، عندئذ انزعج نائب السلطان وأصدر قراره بتصفية العز بن عبد السلام، وقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ وبييعنا ونحن ملوك الأرض، والله لأضربنه بسيفي هذا بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت العز بن عبد السلام، والسيف في يده صلتاً، وطرق الباب فخرج إليه ولد الشيخ

فرأى أمراً جليداً، وعاد إلى أبيه، وأخبره الحال، فقال العز بن عبد السلام ممثلاً إيمان بربه، قائلاً لولده: "يا ولدي: أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله، فلما رآه نائب السلطان اهتزت يده وارتعدت فرائصه، وسقط أرضاً فبكى، وسأل الشيخ أن يدعو له قائلاً: يا سيدي خيراً أي العمل؟ فقال العز بن عبد السلام أنادي عليكم وأبايعك ثمننا؟ قال العز بن عبد السلام في مصالح المسلمين، قال نائب السلطان: من يقبضه؟ قال الشيخ: أنا^(٣٤)، وأنقذ الله أمره على يد الشيخ- رحمه الله- فباع الأمراء منادياً عليهم واحد تلو الآخر، وغالى سلطان العلماء في ثمنهم وقبضه، وصرفه في وجوه الخير التي تعود بالنفع على البلاد، والعباد^(٣٥) وبذلك يكون أمراء المماليك قد تخلصوا من مسألة الرق، وحق لهم أن ينالوا الوظائف العامة في البلاد.

دور القضاة في إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة:

من المعروف أن الخلفاء العباسيون الذين تولوا الخلافة منذ عام (١٣٢هـ/ ٧٥٠م - ٧٤٩ / ١٣٤٩م) كانوا قد انقسموا إلى قسمين: قسم امتاز بالقوة والمهارة في إدارة الأمور وهؤلاء هم خلفاء العصر العباسي الأول في الفترة الممتدة من عام (١٣٢هـ - ٢٣٢هـ / ٧٥٠ - ٨٤٦م) وقسم ثان كان الضعف هو السمة المميزة الغالبة عليه، وهذا القسم هو ما سمي بالعصر العباسي الثاني في الفترة الممتدة من سنة (٢٣٢ - ٦٥٦هـ / ٧٥٠ - ١٢٥٨م) والذي في نهايتها سقطت الخلافة العباسية في بغداد وانتهت على يد جحافل التتار، تلك الخلافة التي استمرت قائمة لفترة تزيد على أربعة قرون من الزمان ما بين قوة وضعف^(٣٦).

وفي الوقت ذاته كان السلطان الظاهر "بببرس"^(٣٧) قد أنفرد بحكم مصر سنة (٦٥٨ - ٦٧٦هـ / ١٢٦٠ - ١٢٧٧م) وعقب انفراده بالحكم أحس أنه في حاجة إلى تأييد شرعي لحكمه، خاصة وأن كثيراً من أعدائه ظلوا متربصين به، ومن هؤلاء بقايا

ملوك البيت ببلاد الشام وعلى رأسهم الملك الناصر يوسف^(٣٨) صاحب دمشق. الذي أخذ يعمل من أجل انتزاع حكم مصر من أيدي المماليك، وما لبس يذكر المماليك بأصلهم الوضيع وأنهم ما هم إلا ممالك قد مسهم الرق.

ومن جهة أخرى ظل المغول الذين اتخذوا بغداد مركزاً لهم، ظلوا مهددين حكم بيبرس في مصر تهديداً كبيراً، ومن جهة ثالثة لم يكن للمماليك قوة شرعية يستندون إليها في حكم البلاد، لذلك قد بحثوا عن قوة تحميهم، وتمنحهم حكماً شرعياً للبلاد^(٣٩)

نتيجة لذلك تولدت فكرة في ذهن السلطان الظاهر بيبرس مفادها إحياء الخلافة العباسية، لتكون تلك القوة التي يستند إليها حكمه في مصر بالإضافة إلى ذلك فحامي حمى الخلافة، لا بد وأن يكون هو صاحب السيادة العليا على ما عداه من ملوك وحكام، وهذا ما يتمناه السلطان الظاهر بيبرس، ويعطيه أيضاً الحق في الإشراف على الحرمين الشريفين، بالإضافة إلى مكانة مرموقة في نظر الحكام المسلمين^(٤٠). كل تلك الدوافع جعلت السلطان الظاهر بيبرس مصرأعلى فكرة إحياء الخلافة العباسية في القاهرة والحصول على تفويض من الخليفة بالحكم، وإذا كان إحياء الخلافة يأتي من جانب الدولة صاحبة الفضل في وقف الخطر التنزلي، وصاحبة القوة اللازمة لمواجهة الخطر الصليبي، فإن تأييد الناس لهذه الدولة سيكون بلا حدود ولذلك يقول السيوطي^(٤١): "الإيمان والعلم يكونان مع الخلافة أينما كانت: فحين صارت مصر داراً للخلافة عظم أمرها وكثرت شعائر الإسلام فيها، وصارت مسكناً للعلماء، ومحطاً لرجال فضلاء".

من ذلك يتضح أن القاهرة ستصبح مقراً للخليفة العباسي والواقع أن تلك الرغبة لم تكن حديثة العهد إذ كانت متولدة في نفوس أغلب السلاطين والحكام اللذين حكموا مصر نستثني منهم الخلفاء الفاطميين^(٤٢)، فقد حاول أحمد بن طولون^(٤٣) اجتذاب الخليفة المعتمد^(٤٤) إلى مصر سنة (٢٦٩هـ / ٨٨٢م)، حينما استبد بالخلافة أخوه الأمير أحمد الموفق، فأرسل إليه كتاباً يقول فيه: قد منعني الطعام والشراب والنوم خوفي على أمير المؤمنين من مكروه يلحقه مع ما له في عنقي من أيمن مؤكدة، وأنا

أرى لسيدي أمير المؤمنين الانجذاب إلى مصر، فإن أمره بعد الامتهان إلى نهاية العز، ولا يتهيأ لأخيه (الموفق) فيه شيء مما يخاف عليه في كل لحظة^(٤٥)، ولا شك أن أحمد بن طولون أراد بذلك أن يدعم دولته الجديدة التي أسسها في مصر والشام، وأن يتمنع عن إرسال الجزية السنوية إلى دار الخلافة.

كذلك حاول محمد الإخشيد^(٤٦) نفس المحاولة حينما ذهب إلى الشام سنة (٣٣٣هـ / ٩٤٤م) لإغاثة الخليفة المتقي بالله (٣٣٣.٣٢٩هـ / ٩٤٠-٩٤٤م)^(٤٧) من جور الحمدانيين^(٤٨) بحلب^(٤٩)، ومن استبداد الأمراء الأتراك في بغداد فلقية بالركة^(٥٠) شمال الفرات، وترجل عن بعد، وهو بسيفه، ومنطقته وجعبته على سبيل الخدمة، وقبل الأرض مراراً، ثم تقدم وقبل الأرض بين يديه، وطلب منه أن يصحبه إلى مصر، ولكن الخليفة عز عليه في آخر الأمر أن يترك عاصمته، ومقر أسرته، فرفض هذا العرض، فعاد الإخشيد إلى مصر على حين عاد الخليفة إلى بغداد، ولا شك أن الإخشيد رأى في اجتذاب الخلافة العباسية إلى مصر ما يقوي دولته التي أسسها في مصر^(٥١).

كذلك قد جرت محاولة من الملك الناصر صاحب حلب^(٥٢)، عندما علم أن أحد أبناء الخلفاء العباسيين ويدعي "أبو العباس أحمد"^(٥٣)، كان قد اختفى وقت أخذ بغداد ونجا، ثم خرج منها، وفي صحبته جماعة، ثم وصل إلى دمشق، وأقام عند الأمير عيسى بن مهنا^(٥٤) مدة، فطالع به الناصر، فأرسل يطلبه قيمته مجيء المغول^(٥٥) فقبل أن طلبه له كان يقصد أحياء الخلافة في دمشق، أو حلب.

وكان قطز^(٥٦) هو الآخر قد فكر في إحياء الخلافة العباسية بعد انتصاره في عين جالوت^(٥٧)، سنة (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) عندما أرسل يستدعي واحداً من سلالة العباسيين، كان قد نجا بعد سقوط بغداد، وجاء الأمير العباسي بالفعل إلى دمشق، وبإيعه قطز الخلافة ولكن مصرع قطز حال دون إعادة كرسي الخلافة العباسية إلى القاهرة^(٥٨)، وعليه فإن بيبرس ليس هو أول من فكر في فكرة إحياء الخلافة العباسية في القاهرة، فحين جلس بيبرس على عرش السلطنة أخرج المشروع إلى حيز التنفيذ، لذا أرسل بيبرس في طلب "أبو العباس أحمد"، وكان لا يزال بالعراق يحاول محاولته، فقدم

أبو العباس إلى دمشق حيث جهزه نائبها إلى القاهرة إذ سبقه إلى بيبرس زميل آخر من البيت العباسي. وهو "أبو القاسم أحمد بن الخليفة العباسي محمد الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بالله"^(٥٩)، وعلى مشارف القاهرة خرج السلطان الظاهر بيبرس للقاء أبي القاسم أحمد في رجب سنة (٦٥٩هـ / ١٢٦١م) ومعه جملة من القضاة والعلماء يتقدمهم قاضي القضاة "تاج الدين بن بنت الأعز"^(٦٠)، وعلماء البلد وفقهائها، وفي مقدمتهم الشيخ "عز الدين بن عبد السلام"، وجلس الجميع بحضرة السلطان وأبي القاسم وذلك بغرض إثبات نسب أبي القاسم إلى البيت العباسي، وكان أول من شهد بذلك مجموعة من أهل بغداد الذين كانوا قد لجئوا إلى القاهرة بعد دخول المغول إلى بغداد. فضلاً عن أن بعضاً منهم كان قد قدم إلى القاهرة في صحبة أبي القاسم، فقبل قاضي القضاة ابن بنت الأعز شهادتهم، وأعلن ثبوت نسب أبي القاسم إلى البيت العباسي وأنه بالفعل ابن الخليفة العباسي الظاهر، وكان أول من قام لمبايعة الخليفة قاضي القضاة ابن بنت الأعز نفسه، ومن هذا نستطيع أن تؤكد مدى الدور الذي قام به القضاة، إذ أن بيبرس جاء دورة في المبايعة بعد قاضي القضاة^(٦١)، ثم جاء دور باقيّة العلماء، والقضاة، وأعيان البلد الذين تقدموا بعد ذلك صوب أبي القاسم، وبايعوه على العمل بكتاب الله، وسنة رسول (صلى الله عليه واله وسلم) وعلى إقامة مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخذ الأموال من الناس بحقها وصرفها في مستحقاتها، كما بايعوه أيضاً على إقامة شريعة الجهاد في سبيل الله ضد أعداء المسلمين^(٦٢).

وإذا كان السلطان الظاهر بيبرس قد حقق هدفه بإحياء الخلافة العباسية على النحو الذي ذكرنا، فإنه قد آن له أن يجني ثمرة هذا الجهد، وهو تقليد الخليفة العباسي له بحكم البلاد، وتم ذلك بالفعل في الرابع من شعبان سنة (٦٦٢هـ / ١٢٦٣م)، عندما خرج جمع كبير ضم الخليفة، والقضاة والأمراء، وأقيمت لهم خيمة كبيرة، وقرأ تقليد الخليفة المستنصر بالله للسلطان الظاهر بيبرس، وخلع عليه خلعه التولية^(٦٣) وبذلك تكون دولة سلاطين المماليك قد نالت البعد الديني الذي يؤكد شرعيتها في عيون المعاصرين^(٦٤). والذي يمكن التأكيد عليه هنا هو مدى الدور الذي قام به القضاة

والعلماء وغيرهم في مساعدة السلطان الظاهر بيبرس في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة. وذلك لمعرفتهم المسبقة بمدى الدور الذي ستلعبه الخلافة بعد إحيائها في القاهرة في كافة الأصعدة.

دور القضاة في مواجهة الخطر المغولي:

بعد سقوط بغداد على يد المغول سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، وصل الأمر ببعض المسلمين إلى اليأس، لدرجة جعلت بدر الدين العيني يقول: "إن القلوب كانت قد يئست من النصر على التتار، لاستيلائهم على معظم بلاد المسلمين؛ لأنهم ما قصدوا إقليماً إلا فتحوه، ولا عسكرياً إلا هزموه"^(٦٥)، كما وصل الأمر بآخر أن يقول بعد معركة عين جالوت: "ما كانت أظن أن الإسلام تقوم له قائمة"^(٦٦)، ومن هنا نستدل على مدى اليأس الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية قبل انتصار المسلمين في معركة عين جالوت.

وبالرغم من الوضع السيئ الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية، فقد قام القضاة والفقهاء، والعلماء بدور كبير في رفع الروح المعنوية للمسلمين بكل ما أمكنهم من وسائل، فعندما وصل ابن العديم^(٦٧) إلى الديار المصرية مرسلاً من الملك الناصر صاحب دمشق وذلك سنة (٦٥٧هـ / ١٢٥٩م) يستجد المصريون على قتل المغول، وأنهم قد اقترب قدومهم إلى الشام^(٦٨).

عقد الملك المنصور مجلساً بالقلعة حضره قاضي القضاة على مصر والوجه القبلي "عز الدين عبد السلام"، وقاضي القضاة على القاهرة والوجه البحري "بدر الدين حسن السنجاري"^(٦٩). وكذلك الفقهاء، والأعيان لمشاورتهم^(٧٠)، وكان أمر الديار المصرية بيد الأمير قطز لصغر سن الملك المنصور، فانعقد المجلس، وأفاضوا في الحديث، وكان الاعتماد على ما يقرره القاضي العز بن عبد السلام، والقضاة، وافرز الاجتماع مايلي:

الأول: إجابة الملك الناصر في طلبه النصر، والمساعدة، ومجاهدة المغول.

الثاني: خلع الملك المنصور لصغر سنة وعدم كفايته.

الثالث: تولية قطز للملك ليقوم بأمر الجهاد.

الرابع: أن يؤخذ من الناس ما يدفع به العدو عند خلو بيت المال، ولكن بعد تساوي الأمراء، والعامّة في الممتلكات العامة^(٧١).

وقد ذكر ابن إياس^(٧٢) دور قاضي القضاة بدر الدين السنجاري والعز بن عبد السلام في ذلك المجلس فقال: "لما تكامل المجلس قام شخص بين يدي المجلس وذكر هيئة سؤال في أمر هولاء، وقد استولى على البلاد ووصل إلى حلب، وقد تقدم ما فعله في بغداد، وأن بيت المال خال من الأموال، وقد ضاقت الوقت عن استخراج الأموال من البلاد، وقد اضطربت الأحوال، وأن وقت محتاج إلى إقامة سلطان كبير تركي، تخشاه الرعية، وأن السلطان الآن صغير السن، وأوضاع مصالح المسلمين، والعدو زاحف على البلاد، فما الجواب على ذلك؟"

فأجاب الشيخ عز الدين بقوله: "إذا طرق العدو البلاد وجب على العالم كلهم قتالهم، وجاز أن يؤخذ من الرعية ما يستعان به على جهادهم (أي فوق الزكاة)، شرط أن لا يبقى في بيت المال شيء، من السلاح والسروج، والذهب، والفضة، والسيوف المحلاة بالذهب، وأن تبيعوا ما لكم من الحوائص والآلات أي يبيع الحكام، والأمراء والوزراء ما يمتلكون، ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه ويتساوا في ذلك هم والعامّة. وأما أخذ أموال العامّة مع بقاء ما في أيدي الجند من الأموال، والآلات الفاخرة فلا^(٧٣).

فقد بين الشيخ العز بن عبد السلام، بأنه لا يجوز فرض ضرائب إلا بعد أن يتساوى الوزراء، والأمراء مع العامّة في الممتلكات، ويجهز الجيش بأموال الأمراء والوزراء، فإن لم تكف هذه الأموال جاز هنا فرض الضرائب على الشعب بالقدر الذي يكفي بتجهيز الجيش ليس أكثر من ذلك^(٧٤).

وافق سيف الدين قطز على فتوى العز بن عبد السلام، والقضاة، والفقهاء، والأعيان ببساطة، وبدأ بنفسه، وباع كل ما يملك، وأمر الوزراء والأمراء أن يفعلوا ذلك

فانصاع الجميع وامتثلوا أمره، فقد أحضر الأمراء كافة ما يملكون من مال، وحلي نسائهم، وأقسم كل واحد منهم أنه لا يملك شيئاً في الباطن، ولما جمعت هذه الأموال. وضربت سكاً، ونقداً وأنفقت في تجهيز الجيش، ولم تكفل هذه الأموال نفقة الجيش فقرّر قطز على كل رأس من أهل مصر، والقاهرة من كبير وصغير ديناراً واحداً وأخذ من أجرة الأملاك شهراً واحداً، وأخذ من أغنياء الناس والتجار زكاة أموالهم معجلاً، وأخذ من الترك الأهلية ثلث المال، وأخذ من الغيطان والسواقي أجرة شهر واحد، وبلغ جملة ما جمعه من الأموال أكثر من ستمائة ألف ديناراً^(٧٥).

أن ما قام به سيف الدين قطز في الاستماع لرأي العز بن عبد السلام، وبدر الدين السنجاري، والفقهاء، وتم تنفيذه ترتب عليه شحنة معنوية قوية شحذت همم الناس للجهاد، و يمكن القول أن تلك الفتوى التي أصدرها العز بن عبد السلام، في ذلك الوقت قد أدت الدور نفسه الذي كانت الخلافة ستؤديه فيما لو كانت قائمة؛ إذ كانت فتواه تلك بمثابة سلطة روحية ساعدت المظفر في الحصول على استجابة عامة المسلمين بدفع ما قرر عليهم من أموال مستشعرين بأن ذلك واجب يفرضه عليهم دينهم الحنيف^(٧٦).

فكان الشيخ "عز بن عبد السلام" وعلماء مصر يحثون الناس على الإنفاق في سبيل الله تعالى، ووعظ الأمراء، والحكام، وتحريك قلوبهم ، فأخرجوا ما عندهم، ورأى الناس ذلك فتسابقوا إلى بذل الجود، وكثرت الأموال، فأعدوا العدة وجمعوا السلاح، وأقيمت معسكرات التدريب في كل مكان، واهتزت البلدة بالهتاف والتكبير، وصار كل مسلم يشتهي الوصول إلى المعركة، وهذا درس مهم في أهمية التكامل بين أمراء المماليك والعلماء والقضاة^(٧٧)..

دور القضاة تولية السلاطين و عزلهم

نظراً للمكانة المرموقة التي حظي بها القضاة في عصر سلاطين المماليك، وتمتعهم بمميزات رفيعة ، واعتبارهم الممثلين للشرع ، وبما أن سلاطين المماليك قد

حاولوا صبغ حكمهم بالصبغة الشرعية، فكان لا بد من حضور القضاة وإشهادهم، والخليفة على تولية السلاطين أو عزلهم، أو أخذهم العهود لأحد أبنائهم من بعدهم، والحلف الصريح على ذلك.

فقد جرت العادة في عصر سلاطين المماليك أنه عند موت أحد السلاطين أن يبادروا بتولية السلطان الجديد قبل الشروع في دفن السلطان الراحل، فيجتمع الخليفة والقضاة، والأمراء بدار العدل بالقلعة، ثم يأتي السلطان الذي وقع الاختيار عليه فيبايعه الخليفة "فوضت إليك ذلك" ثم يقوم القضاة بعد ذلك بالشهادة على هذا العهد، وبذلك تكون قد اكتملت مهام تولية السلطان^(٧٨)، فتصبح سلطة السلطان، ونوابه، وموظفيه سلطة شرعية، وذلك بعد مبايعه الخليفة العباسي، وقضاة المذاهب الأربعة له، وقد كان هذا لكل من وصل إلى السلطنة، ولو حدث ذلك عدة مرات، أو لو أن السلطان في حجر مرضعة^(٧٩).

وتاريخ المماليك مملوء بمثل تلك الصور فيذكر المقرئ في^(٨٠): أنه في يوم الجمعة ثاني عشر من شوال سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) وصل كتاب السلطان الناصر بترك السلطة ويسأل الإنعام عليه بالكرك والشوبك، فاجتمع الأمير بيبرس الجاشنكير^(٨١) وسائر الأمراء، واشتروطوا فيمن يلي السلطنة. فقال أكابر الأمراء المنصورية: ينبغي استدعاء الخليفة والقضاة وإعلامهم، بما وقع فخرج الطلب لهم وحضروا فقرئ عليهم كتاب السلطان، وشهد عند قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي الأميران عز الدين الخطيري، والحاج آل ملك ومن كان معهم من الأمراء بنزول الملك الناصر عن المملكة وترك سلطنة مصر والشام فاثبت ذلك وأعيد الكلام فيمن يصلح فأشار الأمراء الأكابر بالأمير سلا^(٨٢) فقال: نعم! على شرط أن كل ما أشير به لا تخالفوه، وأحضر المصحف وحلفهم على موافقته، وألا يخالفوه في شيء، فقلق الممالك البرجية ولم تبق إلا إقامتهم الفتنة فكفهم الله عن ذلك وانقضى الحلف فقال سلا^(٨٣): والله يا أمراء أن ما أصلح للملك ولا يصلح له إلا أخي هذا وأشار إلى بيبرس الجاشنكير.

ومنها أيضاً منها ما حدث سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) عندما استقر الأمراء على السلطان وجلس السلطان أحمد بن محمد بن قلاوون^(٨٣)، واجتمع الخليفة، والقضاة بدار العدل، فجلس الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبي الربيع سليمان على الدرجة الثالثة من تحت السلطنة، وجلس السلطان على الدرجة الأولى دون الخليفة، فقام الخليفة وافتتح الخطبة بقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)^(٨٤).

ثم أوصى السلطان بالرفق بالرعية، وإقامة الحق، وتعظيم شعائر الإسلام ونصرة الدين ثم قال: فوضت إليك جميع أحكام المسلمين قلدتك ما تقلدته من أمور الدين ثم تلا قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)^(٨٥).

وجلس الخليفة فجاء في الحال بخلعة سوداء فألبسها الخليفة للسلطان بيده وقلده سيفاً عربياً. وأخذ علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر في قراءة عهد الحقيقة للسلطان حتى فرغ منه، ثم قدمه للخليفة فكتب عليه ثم كتب بعده القضاة بالشهادة عليه. بايعه الخليفة، وقضاة مصر، والشام والأمراء^(٨٦)، وفي سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢) حين استقر الأمراء على سلطنة "الأشرف شعبان بن حسين"^(٨٧) قاموا باستدعاء القضاة الأربعة، والخليفة المتوكل على الله محمد، وذلك لإتمام مراسم تنصيب السلطان الجديد^(٨٨).

وبعد وفاة الأشرف شعبان سنة (٧٨٣هـ/ ١٤٧٨م) اجتمع الأمير الكبير برقوق والأمراء بالقلعة، واستدعي الخليفة وقضاة القضاة، وأحضر إليهم أولاد الملك الأشرف شعبان وهم (إسماعيل، وأبو بكر، وحاجي)^(٨٩) فوقع الاختيار على حاجي فإنه أكبرهم فحلفوا له وبايعه الناس. ثم ركب من باب الستارة بشعار السلطنة والأمراء في ركابه مشاة حتى صعد الإيوان، فأجلس على كرسي الملك، ولقب بالملك الصالح، فلما دخل إلى القصر، حضر الخليفة والقضاة ومشايخ العلم وقرأ عهد الخليفة للسلطان على الأمراء وكتب عليه الخليفة خطه، وشهد فيه القضاة^(٩٠).

كما شارك القضاة الأربعة وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني^(٩١)، وكاتب السر فتح الله^(٩٢)، والخليفة المتوكل على الله، في مراسم تقليد السلطان الناصر فرج بن برقون" السلطنة سنة (٨٠١هـ / ١٣٩٨م)^(٩٣)، وذكر ابن إياس^(٩٤): "أنه في سنة (٩٠٦هـ / ١٥٠٠م) قام القاضي عبد القادر بن النقيب الشافعي بكتابة صيغة حلف للأمرء يقول وكانت أيمان مغلظة حلف بها الأمرء حتى لا ينحازوا إلى "العادل طومان باي" وذلك في أوائل سلطنة قبل قدومه إلى القاهرة مما أثار حفيظة السلطان "طومان باي"، وانتقم من هذا القاضي، ونكل به بعد أن استتب أمره في السلطنة.

كما جرت العادة عند خلع السلطان أو تنازله عن السلطنة كان لا بد من حضور القضاة، وكتابة محضر شرعي بذلك ثم الإشهاد عليه، فعندما أستقر على خلع الملك السعيد بن بيبرس سنة (٦٧٨هـ / ١٢٧٩م) حضر أعيان القضاة، والمفتون الأمرء، فخلع السعيد نفسه من السلطنة، وأشهدهم على نفسه بذلك، وكتبت بذلك مكاتيب، ووضع القضاة والمفتون خطوطهم وتم الإشهاد على ذلك، وبايعوا أخاه بدر الدين سلامش ولقب بالملك العادل^(٩٥)، وحين شعر السلطان "الناصر محمد بن قلاوون"^(٩٦) بعجزه عن إدارة شؤون البلاد أمام تحكم الأميرين (بيبرس الجاشنكير^(٩٧))، وسار أظهر أنه ينوي الذهاب إلى الحج ثم توجه إلى الكرك وأقام بها وكتب إلى الأميرين بتنازله عن العرش، وحتى يأخذ الكتاب صفته الشرعية استدعى الأمرء القضاة والخليفة فقرأ عليهم كتاب السلطان واثبت ذلك عند قضاة المذاهب عدا الحنبلي فلم يقره^(٩٨).

وذكر المقرئ وأبن تغري بردي: "أنه في يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول سنة (٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) استدعى الخليفة، والأمرء والقضاة، وجميع أرباب الدولة إلى الحارقة بالإسطنبول، وأثبت عدم أهلية الملك العزيز يوسف^(٩٩) لأنه لا يحسن التصرف فخلعه الخليفة، وفوض السلطة للأمير نظام الملك جقمق وتلقب بالملك الظاهر جقمق^(١٠٠).

وبالرغم أن المماليك لم يؤمنوا مطلقاً بمبدأ وراثة العرش، وإنما آمنوا إيماناً راسخاً بفكرة الخشداشية^(١٠١)، أي الزمالة فهم جميعاً زملاء لا فرق لملوك على آخر إلا بما تمتع به من مواهب، وقوة وصفات خاصة، وقد أدت هذه الفكرة بالمماليك إلى بغض وراثة العرش لأنهم ما داموا جميعاً سواسية وزملاء، فليس هناك ما يدعوا أن يحتكر أحدهم الملك في ذريته، فالملك لأقوى للأمراء بعد وفاة السلطان الحاكم أو مقتله^(١٠٢).

وقد جرت عادة سلاطين المماليك عند أخذ العهد لأحد أبنائهم من بعدهم أن يعلنوا رغبتهم هذه إلى الأمراء، وكبار رجالات الدولة، وأن يطلبوا منهم الموافقة والحلف الصريح على ذلك، وحتى يكون هذا الحلف صحيحاً، وشرعياً، ولا يجوز نقده، أو التحلل منه، كان السلطان يقوم بدعوة قضاة القضاة الأربعة إلى القلعة كي يحلفوا الأمراء، وكبار الجند، ويشهدوا على هذا الحلف، والتوقيع عليه.

فذكر المقرئزي^(١٠٣) أنه سنة (٦٨٧هـ / ١٢٨٨م) فوض السلطان قلاوون ولاية العهد لابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل^(١٠٤)، وحلف القضاة له جميع الأمراء، وكبار العسكر وفي شوال سنة (٨٠١هـ / ١٣٩٨م) عهد السلطان برقوق لولده فرج من برقوق "استحلف القاضي الشافعي والخليفة وجميع الأمراء ومن كان غائباً أرسل إليه فحضر وحلف، ولم يتأخر أحد، وعندما اشتد المرض بالسلطان الأشرف برسبائي^(١٠٥) أفي ذي القعدة سنة (٨٤١هـ / ١٤٣٨م) طلب السلطان الخليفة والقضاة، والأمراء، والمماليك السلطانية والأجناد، وعهد السلطان بالسلطنة لولده "العزیز يوسف"^(١٠٦)، ومن هنا يتضح مدى الدور الذي لعبه القضاة في تولية السلاطين أو خلعهم من الحكم أو أخذهم العهود لأحد أبنائهم.

الخاتمة

لقد لعب القضاة دور سياسياً في مصر في عصر دولة المماليك عام (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، في مختلف الميادين السياسية، والحكم، والإدارة، كما تناول البحث ما قام به القضاة من جهود لتأسيس الدولة المملوكية وإعادة إحياء الخلافة العباسية في القاهرة، فضلاً عن دورهم في التصدي للثورات الداخلية والخارجية، بتجهيز الجيوش لمحاربة العدو ولم يقتصر على ذلك فحسب بل شاركوا في هذه الحروب، وأوضحت الدراسة المناصب السياسية التي تولوها هؤلاء القضاة والوظائف الإدارية و الدينية في عصر الدولة المملوكية، وبرز ما اهتمت به الدراسة هو إيضاح العلاقة بين القضاة و سلاطين الدولة و مدى علاقتهم بعامّة الشعب المصري، واتضح دورهم ايضاً في تولي السلاطين المماليك وعزلهم فقد جرت العادة عند تولي سلطان جديد أن يحضر القضاة لكي تكون الولاية شرعية، فكان لقضاة دولة سلاطين المماليك مكانة عظيمة وشأن كبير لم يكن مثله للسلاطين أنفسهم .

(١) أبو شامة ، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم المقدسي (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٤٤. قاسم، قاسم عبده، عصر سلاطين المماليك السياسي والاجتماعي، ط ١، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٤، ص ١١.

(٢) ابن نجية: الشيخ الإمام العالم الرئيس الجليل الواعظ الفقيه علي بن إبراهيم بن نجا غنائم الأنصاري الدمشقي الحنبلي أبو الحسن المعروف بـ: ابن نجية. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م. ج ١٥، ص ٤٧١؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٦، ص ٧، ط ٢، دار المسيرة، بيروت ١٩٧٩م، ج ١١، ص ٣٧١.

(٣) قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ١٣.

(٤) م. ن، ص ١٣.

(٥) نجم الدين أيوب، هو أيوب (الملك الصالح) بن محمد (الملك الكامل) بن أبي بكر (العاقل) بن أيوب، أبو الفتح نجم الدين من كبار الملوك الأيوبيين بمصر. ولد ونشأ بالقاهرة وولي بعد خلع أخيه (العاقل) سنة ٦٣٧هـ وضبط الدولة بحزم. وكان شجاعاً مهيباً عفيفاً صموتاً عمر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوك بني أيوب. وفي أواخر أيامه أغار الإفرنج على دمياط (سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م)، واحتلوها وأصاب البلاد ضيق شديد، وكان الصالح غائباً في دمشق، فقدم ونزل أمام الفرنج وهو مريض بالسل فمات بناحية المنصورة، ونقل إلى القاهرة، من أثاره قلعة الروضة بالقاهرة. المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، (٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٢٣٦؛ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ت، ج ١، ص ٢٩٦-٣٤٢؛ ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م، ج ١، ص ٨٣.

(٦) شجرة الدر: الملقبة بعصمة الدين أم خليل، خوارزمية الأصل، وقيل أنها أرمينية أو تركية، كانت جارية اشتراها السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وحظيت عنده بمكانة عالية حتى أعتقها

وتزوجها وأنجبت منه ابنها خليل الذي توفي في الثاني من صفر 648 هـ/1250 م، تولت عرش مصر لمدة ثمانين يوماً بمبايعة من المماليك وأعيان الدولة بعد وفاة السلطان الصالح أيوب، ثم تنازلت عن العرش لزوجها المعز أيك التركماني سنة (648 هـ/1250 م) لعبت دوراً تاريخياً هاماً أثناء الحملة الصليبية السابعة على مصر وخلال معركة المنصورة. المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص ٤٥٩؛ قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٢٢.

(٧) دمياط: مدينة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والملح والنيل وتعمل بها الثياب الشرب. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥ م، مج ٢، ص ٤٧٤.

(٨) الصلابي، علي محمد، السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ٢٠٠٩ م، ص ٦٣.

(٩) حصن كيفا: ويقال كيبا: بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة، بين أمد وجزيرة ابن عمر، من ديار بكر، وكانت ذات جانبين، وعلى دجلتها قنطرة عظيمة. البغدادي، ابن عبد الحق صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩ هـ/١٣٣٨ م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأماكن والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١، لبنان، ١٩٥٤ م، ج ١، ص ٤١٠.

(١٠) المقرئزي: المواعظ والاعتبار، ج ٤، ص ٢١٨.

(١١) فارسكور: وهي مدينة على ساحل النيل من أعمال مدينة دمياط والكاف الذي في أسماها مضموم، وفيها دارت معركة عظيمة بين المماليك والصليبيين بقيادة لويس التاسع، وهزم الصليبيين فيها شر هزيمة، واسر قائد الحملة لويس التاسع. ابن بطوطة، أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩ هـ/١٣٧٧ م)، رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م، ج ١، ص ٢٤.

(١٢) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص ٤٥٨.

(١٣) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص ٤٥٨.

(١٤) بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٠٥.

(١٥) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص ٤٥٨.

(١٦) قاسم، عصر سلاطين المماليك السياسي والاجتماعي، ص ١١.

(١٧) السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو الخيش إسماعيل ابن الملك العادل محمد بن أيوب بن شاذي صاحب دمشق كان في خدمة أخيه الأشرف، فلما مات الأشرف توثب على دمشق،

وتملك ، فجاء أخوه السلطان الملك الكامل ، وحاصره ، وأخذ منه دمشق ، وردّه إلى بعلبك . فلما مات الكامل ، وتملك الجواد ثم الصالح نجم الدين ، وسار نجم الدين يقصد مصر ، هجم الصالح إسماعيل بإعانة صاحب حمص المجاهد ، فتملك دمشق ثانياً في سنة سبع وثلاثين فبقي بها إلى سنة اثنتين وأربعين . وحاربه الصالح بالخوارزمية ، واستعان هو بالفرنجة وبذل لهم الشقيف وغيرها فمقت لذلك ، قتل بمصر. الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٣٥-١٣٦.

(١٨) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص ٩٨.

(١٩) أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السُّلَمي الشافعي (577هـ/1181م - 660هـ/1262م) (الملقب بسلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام، هو عالم وقاضٍ مسلم، برع في الفقه والأصول والتفسير واللغة، وبلغ رتبة الاجتهاد، بلغ رتبة الاجتهاد، وانتهت إليه رئاسة المذهب، مع الزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلابة في الدين، وقصّده الطلبة من الآفاق، وتخرّج به أئمة» عز الدين شيخ الإسلام الإمام العلامة، وحيد عصره، سلطان العلماء، برع في الفقه والأصول والعربية، وفاق الأقران والأضراب، وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه واختلاف الناس ومآخذهم، وبلغ رتبة الاجتهاد، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد، وصنف التصانيف المفيدة. السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة، د.ت، ج٧، ص١٣٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص١١٢.

(٢٠) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥م) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨م، ج٢، ص ١٦٠.

(٢١) حسين ، أحمد ، موسوعة تاريخ مصر ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، د . ت ، ج٢، ص ٦٧١.

(٢٢) قاسم، عصر سلاطين المماليك السياسي والاجتماعي، ص ١١.

(٢٣) المستعصم بالله عبد الله بن منصور بن محمد بن أحمد بن الحسن، الخليفة أمير المؤمنين المستعصم بالله أبو أحمد الشهيد بن الخليفة المستنصر بالله بن الخليفة الظاهر بن الخليفة الناصر بن المستضيء بن المستجد بالله البغدادي العباسي الهاشمي، آخر خلفاء بغداد، ومولده في سنة تسع وستمائة، وأمة أم ولد حبشية، بوبع بالخلافة بعد وفاة أبيه، وكان مليح الخط، قرأ القرآن على الشيخ على بن التيار الشافعي وعملت دعوة عظيمة يوم ختمه وأعطى الشيخ على

المذكور من الذهب ستة آلاف دينار، وخلع يوم خلافته ثلاثة عشر ألف وسبعمائة وخمسين خلعة، وكان عبد مبدأ ملكهم من سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م إلى سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، أعني سنة قتل المستعصم هذا، وكانت خلافة المستعصم بالله سنة عشرة سنة وشهوراً، وانقضت الخلافة ببغداد وزالت أيامهم من العراق. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد أمين صالح ونبيل محمد عبد العزيز، مركز، تحقيق التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ج٧، ص ١٣٦.

(٢٤) م.ن، ج ١، ص ٢٨٧.

(٢٥) م.ن، ج ١، ص ٢٨٧.

(٢٦) الصلابي، السلطان المظفر سيف الدين قطز، ص ٧٧.

(٢٧) الحريري، أحمد بن علي بن المغربي المعروف (ت ٩٢٦هـ / ١٥٢٠ م)، الأعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاحين على ديار المسلمين، تحقيق: سهيل زكار، دار الملاح، ط ١، ١٩٨١م، ص ٩٩؛ شرف الدين، إبراهيم، عظيماات غيرت وجه التاريخ، المكتبة الحديثة، ط ١، بيروت، ١٩٩٠، ص ٥٧؛ عودات، أحمد و جميل بيضون، تاريخ المماليك من القرن السابع إلى القرن الثالث عشر الهجري، دار الكندي، أريد، ١٩٩٠م، ص ٨٣.

(٢٨) أبو الفدا، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٢٢هـ/ ١٣٣١م)، التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق: محمد زينهم، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٧٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣م، ج ٦، ٣٧٣؛ المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص ١١١؛ أبو خليل شوقي، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، ط ٥، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ٢٣٠؛ حسن، علي إبراهيم، تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٥٠.

(٢٩) العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان حوادث ووفيات السنوات (٨١٥-٨٢٤هـ)، تحقيق: عبد الرازق الطنطاوي القرموط، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٨٥م، ج ١، ص ٢٢١.

(٣٠) عاشور، سعيد عبدالفتاح، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٢م، ص ١٧.

(٣١) سورة النحل: آية ٧٥.

(٣٢) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٦٣.

(٣٣) الصلابي المغول [التتار] بين الانتشار والانكسار، مؤسسة الأندلس الجديدة ، القاهرة ، ٢٠٠٩ م . ص ٤٠٠ .

(٣٤) السيوطي، حسن المحاضرة ، ج٢، ص ١٦٣ .

(٣٥) م.ن ، ج٢، ص ١٦٣ .

(٣٦) غانم، حامد ، صفحة عن تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك دار الثقافة المصرية للطباعة والنشر سنة ١٩٧٨م، ص ١٥ وما بعدها .

(٣٧) الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلاني البندقداري الصالحي النجمي لقب بأبي الفتوح .سلطان مصر والشام ورابع سلاطين الدولة المملوكية ومؤسسها الحقيقي، بدأ مملوكاً يباع في أسواق بغداد والشام وانتهى به الأمر أحد أعظم السلاطين في العصر الإسلامي الوسيط. لقّبه الملك الصالح أيوب في دمشق بـ"ركن الدين"، وبعد وصوله للحكم لقب نفسه بالملك الظاهر . ولد بيبرس نحو عام (620 هـ/ 1223 م) حقق خلال حياته العديد من الانتصارات ضد الصليبيين وخانات المغول ابتداءً من معركة المنصورة ومعركة عين جالوت انتهاءً بمعركة الأبلستين ضد المغول سنة (676 هـ/ 1277 م) ،وقد قضى أثناء حكمه على الحشاشين واستولى أيضاً على إمارة أنطاكية الصليبية حكم بيبرس مصر بعد رجوعه من معركة عين جالوت واغتيال السلطان سيف الدين قطز ، حيث خطب له بالمساجد يوم الجمعة ٦ ذي الحجة (٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م) وتوفي (٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) .ابن كثير ،البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٦٧ .

(٣٨) الناصر يوسف: الناصر يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب السلطان، الملك الناصر، صلاح الدنيا والدين، يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب ودمشق، مولده في رمضان، سنة (٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م) وتوفي سنة (٦٥٩ هـ/ ١٢٦٠م) .الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٢٣، ص ٢٠٤ .

(٣٩) غانم، صفحة عن تاريخ الخلافة العباسية ، ص ١٩ .

(٤٠) م.ن، ص ١٩ .

(٤١) حسن المحاضرة، ج٢، ص ٩٤ .

(٤٢) حسن، دراسات في عصر المماليك البحرية ص ٢٢١ .

(٤٣) (الأمير أحمد بن طولون التركي ، صاحب مصر أبو العباس . ولد بسامراء ، وقيل : بل تبناه الأمير طولون . وطولون قدمه صاحب ما وراء النهر إلى المأمون ، في عدة ممالك ، سنة

مائتين ، فعاش طولون إلى سنة أربعين ومائتين فأجاد ابنه أحمد حفظ القرآن ، وطلب العلم ، وتقلت به الأحوال ، وتأمر ، وولي ثغور الشام ، ثم إمرة دمشق ، ثم ولي الديار المصرية في سنة (٢٥٤هـ/٨٦٨م) ، وله إذ ذاك أربعون سنة ، توفي أحمد بمصر في شهر ذي القعدة ، سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣ م) . ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر (بيروت ، د.ت. ج ١ ، ص ١٧٣-١٧٤ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ١٣ ، ص ٩٤-٩٦

(٤٤) أبو العباس أحمد بن جعفر المتوكل ، ولد عام (٢٢٩هـ/٨٤٣م) ، بويغ بالخلافة عام (٢٥٦هـ/٨٥٦م) في اليوم الذي مات فيه المهدي ، وتوفي عام (٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، ينظر : ابن العمراني ، محمد بن علي (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م) ، الأبناء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : قاسم السامرائي ، ط ١ ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ١٣٧-١٣٩ .

(٤٥) البلوي ، أبو محمد عبد الله بن محمد المدني (٣٥٠هـ/٩٦١م) ، سيرة أحمد بن طولون ، تحقيق : محمد كرد علي ، ط ١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت. ص ٢٨١ .

(٤٦) محمد بن طنج مملوكاً تركياً ، عينه الخليفة العباسي أبو العباس محمد الراضي بالله واليا على مصر فأقر فيها الأمن والأمان وقضى على المتمردين على الدولة العباسية ، وتمكن من الحد من الأطماع الفاطمية بمصر . فلما تمكن من ذلك منحه الخليفة لقباً تشريفياً فارسياً هو «الإخشيد» تكريماً له ومكافأة على عمله وما لبث الإخشيد أن سار على طريق أحمد بن طولون مؤسس الإمارة السابقة لإمارته ، فاستقل بمصر عن الدولة العباسية ، واستولى على أغلب أجناد الشام : فلسطين ودمشق وحمص والأردن عدا حلب التي تركها للحمدانيين . ثم ضم الحجاز إلى دولته ، وكان ابن طولون قد حاول أن يضمها إليه فلم ينجح . وكان الإخشيد والياً حازماً يقظاً خبيراً بالحرب ، شديد الحذر والحيلة على نفسه ، فاعتمد على جنده وحرسه وخدمه توفي (٣٣٤هـ/ ٩٤٦م) . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٥٨ .

(٤٧) أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر ابن المعتضد ابن الموفق طلحة ابن المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد الملقب بالمتقي لله . ولد في سنة (295 هـ/ ٩٠٨م) وبويغ له بالخلافة بعد موت أخيه الراضي سنة 329 (هـ / ٩٤٠م) لما مات الراضي بالله أخوه ، اجتمع القضاة والأعيان وبتدار بحكم ، فاتفق رأيهم كلهم على المتقي بالله ، فأحضروه في دار الخلافة وأرادوا بيعته ، فصلى ركعتين صلاة الاستخارة وهو على الأرض ، ثم صعد على الكرسي بعد الصلاة ، ثم صعد إلى السرير وبايعه الناس . كان حاكماً بالاسم فقط . ثار عليه الأتراك ، وخلعوه من الخلافة في 333 (

هـ/٩٤٤م) وزج به في السجن حتى توفي سنة ٣٥٧ (هـ/٩٦٨م). : ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) البداية والنهاية، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار، القاهرة، د.ت، ج ١١، ص ١٩٨-١٩٩.

(٤٨) الحمدانيون: ينسب الحمدانيون الى حمدان بن محمد من قبيلة تغلب وموطنها ديار ربيعة في الجزيرة بالغرب عند سنجار ونصيبين، وقد ظهر نفوذ الحمدانيين في مدينة الموصل منذ ان تغلب ولايتها عبد الله بن حمدان من قبل الخليفة المكتفي بالله العباسي سنة (٢٩٢هـ/٩٠٤م)، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ١، ص ١٧٥. ولما ولي الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٤-٩٣٢م) الخلافة اقره واليا عليها، فضل يلي امورها من سنة (٣٠٧هـ/٩٢٩م)، حيث اشترك بالمؤامرة التي دبرت لمقتل الخليفة العباسي المقتدر بالله، فكان مصيره القتل. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٢٣. وعلى الرغم من ذلك فقد استعان الخليفة العباسي المقتدر بالحمدانيين بالقضاء على القبائل المتأخرة في اقليم الجزيرة، فاسند الى الحسين بن عبد الله بن حمدان ولاية الموصل، كما تمكن من فرض نفوذه على ديار بكر وربيعة. ابن الاثير، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٨، ص ٦٧-٦٨.

(٤٩) حلب: مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء، صحيحة الاديم والماء، وهي جند قنسرين. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ٢٨٢.

(٥٠) مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حران ثلاثة ايام معدودة من بلاد الجزيرة. م.ن، مج ٣، ص ٥٩.

(٥١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٤٨.

(٥٢) السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب ودمشق. أنشأ مدرسته بدمشق، وحضرها يوم التدريس، وأنشأ الرباط الكبير، وأنشأ خان الطعم، ولما أقبلت التتار، تأخر إلى قطيا، ثم خاف من المصريين، فشرق نحو التيه، ورد إلى البلقاء فكبسته التتار فهرب، ثم انخدع واغتر بأمانهم، فذهب وندم، وبقي في هوان وغربة، هو وأخوه الملك الظاهر. وقيل: لما كبسوه دخل البرية فضايقوه حتى عطش فسلم نفسه، فأثروا به إلى كتبغا وهو يحاصر عجلون فوعده وكذبه وسقاه خمرًا، وقيل: أكرمه هولاء مدة، فلما جاءه قتل كتبغا انزعج وأخرج غيظه في الناصر وأخيه، فيقال: قتل بالسيف بتبريز رماه

بسهام ، وضربت عنق أخيه وجماعة ممن معه في أواخر سنة (658هـ/١٢٦٠م) وعاش إحدى وثلاثين سنة. وقيل : إنه ما سلم نفسه إلى التتار حتى بلغت عنده الشربة مائة دينار الذهب، سير اعلام النبلاء، ج٢٣، ص٢٠٥-٢٠٧.

(٥٣) لم اجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر.

(٥٤) الأمير عيسى بن مهنا: هو الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثه بن غضبة بن فضل بن ربيعة، أمير العرب وفوض إليه السلطان الناصر أمرة عرب آل فضل بعد وفاة ابن عمه على حذيفة بن مهنا، فصار فيها سيرة حسنة وعلى عكس سلفه، وعرف بالصلاح والعدل، فلم يظلم أحد ولم يسفك دماء الا بحقها كانت وفاته في تاسع ربيع الأول فاستقر في إمرة العرب ابنة حسام الدين مهنا بن عيسى .المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ص ٢٥، ٢٩، ١٨٦.

(٥٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج١، ص ٣٣٧.

(٥٦) (الملك المظفر سيف الدين قطز محمود بن ممدود بن خوارزم شاه، سلطان مملوكي توفي (658هـ/1260)) تولى الملك سنة (657هـ/1259) يُعدّ قطز بطل معركة عين جالوت وقاهر التتار المغول؛ كما يعتبر أحد أبرز ملوك مصر، وذلك على الرغم من أن فترة حكمه لم تدم سوى أقل من عام واحد، حيث نجح في إعادة تعبئة وتجميع الجيش المصري، واستطاع إيقاف زحف المغول الذي كاد أن يقضي على الدولة الإسلامية، فهزمهم قطز بجيشه هزيمة كبيرة في عين جالوت، ولاحق فلولهم حتى حرر الشام بأكملها من سلطنتهم.المقريزي، ١.المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ج١، ص٥٢٠؛ السرجاني راغب، قصة التتار من البداية حتى عين جالوت، القاهرة، د.ت، ص ٣٣٦.

(٥٧) معركة عين جالوت (658هـ/١٢٦٠م) وقعت بين المسلمين بقيادة السلطان سيف الاسلام بقيادة السلطان قطز وبين المغول بقيادة كتيبا فهجم المسلمون على الجيش المغولي فأبادوا الجيش وقتل كتيبا وهزم المغول شر هزيمة وانتصر المسلمون وتعد من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي. ينظر، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١، ص 479 .

(٥٨) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ج٣، ص ٤٤٨؛ قاسم، عصر سلاطين المماليك ، ص ٨٩؛ موير، ولیم ، تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة: محمود عابدين وسليم حسن، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٤٦.

(٥٩) أبو القاسم أحمد: الإمام أبي القاسم أحمد ابن الظاهر بأمر الله أب نصر محمد ابن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء الهاشمي، العباسي، البغدادي آخر الخليفة المستنصر بالله منصور

- واقف المستصرية. بويغ بالخلافة أحمد بعد خلو الوقت من خليفة عباسي ثلاث سنين ونصف سنة، وكان هذا معتقلاً ببغداد مع غيره من أولاد الخلفاء فلما استولى هولاكو على بغداد نجا هذا، وانضم إلى عرب العراق، فلما سمع بسلطنة الملك الظاهر وفد عليه في رجب سنة تسع وخمسين في عشرة من آل مهارش، فركب السلطان للقائه والقضاة والدولة، وشق قسبة القاهرة، ثم أثبت نسبة على القضاة وبويغ فركب يوم الجمعة من القلعة في السواد حتى أتى جامع القلعة فصعد المنبر، وخطب ولوح بشرف آل العباس ودعا للسلطان وللرعية وصلى بالناس. الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٢٣، ١٦٨؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠ م، ج٧، ص ٢٥١؛ المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج١، ص ٥٢٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج٢، ص ٧٣.
- (٦١) تاج الدين عبد الوهاب بن بت الاعزالشافعي المتوفي (٦٦٥هـ/١٢٦٧م) كان يتولى القضاة بين الناس، واسندت إليه مناصب كثيرة، وقد اضيفت إليه خمس عشرة وظيفة أخرى في مصر من السلطان بيبرس. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ٢٤٨-٢٥٠.
- (٦١) القلقشندي، صبح الأعشى ج٣، ص ٢٧٤، ٢٧٥؛ والنويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دار الكتب، القاهرة ١٩٢٣م، ج٢٨، ص ٥، ٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٠٩ و ١١٠؛ والسيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٧٧، ٤٧٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج٥، ص ٢٩٧.
- (٦٢) المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص ٤٤٨، ٤٤٩؛ والنويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ج٣٠، ص ١٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٢، ص ٣١٢-١١٥، اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، ذيل مرآة الزمان، وزارة التحقيقات الحكيمة والأمور الثقافية المحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، القاهرة ١٩٩٢م، ج١، ص ٤٤١؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء ص ٣٣٦.
- (٦٣) قاسم عبده، عصر سلاطين المماليك، ص ٩٠.
- (٦٤) غانم، صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك، ص ٢٣.
- (٦٥) عقد الجمان، ج١، ص ٢٤٥.
- (٦٦) قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ١١.

(٦٧) عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين المتوفي سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، مؤرخ، محدث، من الكتاب. ولد بطلب، ورحل إلى دمشق وفلسطين والحجاز والعراق، وتوفي بالقاهرة. صاحب كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب واختصره في كتاب آخر زبدة الطلب في تاريخ حلب. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص 236؛ الحلبي، محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تحقيق: محمد كمال، منشورات دار القلم العربي، ط ٢، حلب، ١٤٠٨ هـ، ج ٢، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٦٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٢٨.

(٦٩) لم اجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر.

(٧٠) المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص ١٣٧.

(٧١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٢٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج ٧، ص ٥٥؛ العيني، عقد الجمان ج ١، ص ٢٢١؛ السيوطي، حسن المحاضرة ج ٢، ص ٣٨.

(٧٢) بدائع الزهور ج ١، ص ٣٠١، ٣٠٢.

(٧٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٧، ص ٧٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء ج ١، ص ٣٣٤؛ وحسن المحاضرة ج ١، ص ٣٨؛ الصلابي، الأيوبيين بعد صلاح الدين، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠٠٨، ج ٢، ص ١٥٧.

(٧٤) الصلابي، المغول [التتار] بين الانتشار والانكسار ج ١، ص ٣٥١.

(٧٥) ابن إياس، بدائع الزهور ج ١، ص ٣٠٥.

(٧٦) الغامدي، عبد الله سعيد، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في بلاد الشام رسالة دكتوراه لم تنشر، جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية سنة (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص ١١٠.

(٧٧) عويس، عبد الحليم، المسلمون من التبعية والفتنة إلى القيادة والتمكين، مكتبة العبيكان، الرياض ٢٠٠٦ م، ص ١٢٢، ١٢٥.

(٧٨) عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ٢١٣. "وقد كانت هناك ظروف تحدد هذا الاختيار، ونهياً الوصول إلى السلطنة منها على الخصوص كثرة عدد المماليك عند الأمير الهادف إلى السلطنة فكان يقال مقام الأمراء بمماليكهم فبعضهم عنده خمسة آلاف أو سبعة آلاف أو اثنا عشر ألف) سعيد عاشور، المجتمع المصري ص ٢٨.

(٧٩) ماجد، عبد المنعم، نظم المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٢ القاهرة، ١٩٧٩ م، ص ٣٦.

(٨٠) المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢، ص ٢٤١ و ٢٤٢.

(٨١) المظفر بيبرس: هو بيبرس الجاشنكير المنصوري، ركن الدين، الملك المظفر، من سلاطين المماليك بمصر والشام شركسي الأصل، على الأرجح كان من مماليك المنصور قلاوون وصار من كبار الأمراء في دولة الأشرف خليل بن قلاوون. ولما تسلطن الناصر محمد بن قلاوون، بعد مقتل الأشرف. صار بيبرس (أستاداراً) وتقلبت به الأحوال إلى أن ذهب الناصر إلى الكرك وخلع نفسه من الملك، فالح القوات على بيبرس أن يتولى السلطنة. وخاف الفتنة، فتسلطن (سنة ٧٠٨هـ ولقب بالمظفر. وما كاد يستقر حتى جاءه من الكرك أن الناصر يستكثر من الخيل والمماليك. وانتهى أمره بأن استسلم للناصر، وكانت مدة سلطنته ١٠ أشهر و ٢٤ يوماً، لم يهنأ به فيها بال. وهو من خيار المماليك سيرة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٢٣٢- ٢٧٦؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ج ٢، ص ٤٥، ٧١، ٨٠.

(٨٢) سلالر بن عبد الله المنصوري، الأمير سيف الدين، نائب السلطنة بديار مصر، كان أبوه أمير شكار عند صار في خدمة ولده الملك الأشرف صاحب الروم فلما عزا الملك الظاهر بيبرس التتار والروم كان سلالر فذاع عن أسر في الوقعة، فاشتره قلاوون بعد مدة وأعطاه لولده الصالح علي، ومات الصالح فعاد سلالر إلى ملك الملك المنصور ثانياً، واستمر عنده، وصار من أعيان مماليكه، ثم خليل، من جملة أعيان الأمراء إلى أن قتل، ثم ترقى في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون، وبقي أحد المتكلمين في الدولة إلى أن خلع الملك الناصر وتسلطن الملك المنصور حسام الدين لاجين، سار سلالر المذكور من العوجاء إلى الديار المصرية لتحليق الأمراء بها للملك المنصور لاجين، ولما قتل لاجين، وأعيد الملك الناصر محمد إلى الملك، صار سلالر هذا نائب السلطنة بالديار المصرية، ولم يدع للملك الناصر أمراً ولا نهياً، وبقي له ثروة ومال جزيل يضرب به المثل كثرة، وكان إقطاعه نحواً من أربعين إمرة طبلخانة، قيل أنه كان متحصله في كل سنة ألف دينار، وكان مع ذلك قليل الظلم، كبير العقل، ذا دهاء وخبرة، ونهضة وسياسة. تمكن من الدولة إحدى عشرة سنة، ورشح للسلطنة لما توجه الملك الناصر محمد إلى الكرك. فامتناع سلطان بيبرس الجاشنكير مع تقدمه على بيبرس المذكور، وعمل النيابة له، ولا زال على ذلك حتى عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى ملكة، وقتل الملك المظفر بيبرس، وقبض الملك الناصر على أربعين أميراً ممن كان يستوحش منهم من أصحاب بيبرس، فلما رأى سلالر ذلك تخوف وطلب الشويك، فأنعى عليه الملك الناصر بنياية كرك الشويك، فتوجه إليها، وأقام بها مدة، ثم خشى على نفسه ففر إلى البرية ثم ندم، وطلب الأمان، وحضر إلى القاهرة، فأمسك واعتقل ومنع عنه الطعام والشراب حتى أكل خفة من الجوع، ومات، قيل: أن هم دخلوا عليه قبل موته وقالوا له: فقد عفا عنك السلطان، فقام ومشى من الفرخ خطوات. ثم خر ميتاً، وذلك في

شهر ربيع الآخر سنة (٧١٠هـ / ١٣١٠م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج٦، ص ١٧.

(٨٣) الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون الصالحي ولد بالقاهرة- توفي بالكرك سنة (٧٤٥هـ / ١٣٤٤م) خامس عشر سلاطين الدولة المملوكية وثالث من تربع على عرش السلطنة من أبناء السلطان الناصر محمد بن قلاوون. نصب سلطانا وهو في الكرك في عام (٧٤٣هـ / ١٣٤٢ م) . المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٥، ص ٣٥٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ص ١٠٥.

(٨٤) سورة النحل: آية ٩٠.

(٨٥) سورة الفتح: آية ١٠.

(٨٦) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ص ٣٢٩.

(٨٧) الأشرف شعبان السلطان الملك الأشرف أبو المفاخر زين الدين شعبان ابن الملك الأمجد حسين بن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون. ولد الأشرف في سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م بقلعة الجبل، وجلس على تخت الملك وعمره عشر سنين في يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م بعد خلع ابن عمه الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي، باتفاق الأمير يلبيغا العمري وطبيغا الطويل مع الأمراء على سلطنته وهو السلطان الثاني والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية، وكان القائم بتدبير ملكة الآتابك يلبيغا على العادة، وهو مع يلبيغا آله في السلطنة، وجميع أمور المملكة بيد يلبيغا ويشاركه في ذلك طبيغا الطويل، ثم ثقل طبيغا الطويل على يلبيغا، فما زال يلبيغا به حتى ظفر به وأمسكه، واستبد عند ذلك بجميع أمور المملكة، وعظم أمره حتى تجاوز الحد. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١١، ص ٢٤.

(٨٨) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ص ٨٣؛ وابن إياس: بدائع الزهور ج١، ق٢، ص ٣.

(٨٩) علي حاجي: السلطان صلاح زين الدين أبو الجود حاجي بن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون الألفي، أقيم في السلطنة ثاني يوم مات أخوه المنصور في يوم الاثنين رابع عشرين سنة (٧٨٣هـ / ١٣٨١م). المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ج٢، ص ٣٥٣.

(٩٠) م.ن، ج٢، ص ٣٥٣.

(٩١) علم الدين البلقيني (٨٦٨هـ/١٤٦٤م) هو صالح بن عمر بن ارسلان بن نصير الكناني قاضي القضاة وهو امام الفقهاء في عصره وحامل لواء المذهب الشافعي في عراقه وحجازه ومصر. السيوطي ، حسن المحاضرة، ج١، ص٤٤٥، ٣٣٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٣٠٦

(٩٢) ابن فتح الله: هو فتح الله بن معتصم بن نفيس فتح الدين التبريزي الحنفي كاتب السر بمصر ولد سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) اهتم بالطب وعمل رئيس الأطباء بالديار المصرية، ثم تولى كتابة السر بها، وظل في هذا المنصب إلى أن قتلة المؤيد شيخ وصادر أمواله في ربيع الأول سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م) ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج٢، ص ٥١٩.

(٩٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ١٠ ص ٤٩.

(٩٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٥٣٦، ٥٣٧.

(٩٥) اليونيني، ذيل مرآة الزمان ، ج٤، ص ٧؛ الذهبي؛ العبر في خبر من غير ويليه ذيول العبر ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ج ٣، ص ٣٧٣، وابن كثيرة البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٨٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٧، ص ٢٧٨.

(٩٦) ناصرالدين محمد بن قلاوون، ولد بالقاهرة في (٤٥٤ هـ / ١٥٥٨) توفي بالقاهرة في (٧٤١ هـ / ١٣٤١م) اصغر أبناء السلطان المنصور قلاوون، والأخ الأصغر للسلطان الأشرف خليل . ولد بقلعة الجبل بالقاهرة بعد اغتيال السلطان الأشرف خليل ، اتفق الأمر على تنصيب أخيه الصغير ناصر الدين محمد، تاسع سلاطين المماليك البحرية .لقي بدأي المعالي وبأبي الفتح، جلس على عرش السلطنة ثلاث مرات .أبوالمعالى،تقي الدين محمد بن رافع السلامي الوفيات،تحقيق:صالح مهدي عباس وآخرون،د.م،١٩٨٢م ،ج١، ص٣٨٨، ٢٢.

(٩٧) بيبرس الجاشنكير: سبق ترجمته فيما سبق.

(٩٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٥٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٧، ص ٢٧٠.

(٩٩) العزيز يوسف: وهو الملك العزيز يوسف بن برسباي يوسف بن برسباي الدقماقي: السلطان الملك العزيز أبو المحاسن بن السلطان الملك الأشرف أبي النصر، ولد سنة سبع وثمان مائة. وولي السلطنة في سادس عشر ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وثمان مائة ثم خلع في سادس عشر ربيع الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة .السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، د.م، د.ت، ج ١، ص ١٧٩.

(١٠٠) السلوك لمعرفة دول الملك ج٧، ص ٣٧٢؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج٤، ص ٢٩٥.

(١٠١) الخشداشييه: أي الزمالة وهي من أقوى الروابط القائمة على الولاء الشخصي في الدولة. وتفسير ذلك أن هؤلاء الذين جلبوا أطفالاً، ثم عزلوا عن المجتمع في معسكرات صارمة القوانين، وعاشوا حياتهم الباكرا في سن الشباب سوياً، لم يكونوا يجدون الأمان والطمأنينة سواء مع بعضهم البعض، ولهذا تميزت الفرقة المملوكية بالطائفية القائمة على الولاء الشخصي، فالمماليك كانوا عادة ينسبون إلى السلطان الذي اشتراهم. الصلابي، السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، ج١، ص ٣٢.

(١٠٢) الحداد محمد حمزة إسماعيل صفحات من تاريخ السلطان المنصور قلاوون مكتبة مبدولي القاهرة الطبعة الثانية سنة (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م) ص ٣٨. ويرى بعض الباحثين أنه لا يمكن تفسير هذه الظاهرة السياسية في تاريخ دولة سلاطين المماليك في ضوء إيمان المماليك بمبدأ وراثة العرش، وإنما هي ظروف وملابسات أحاطت بسلاطين تلك الأسرة. ينظر: قاسم، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٢٤؛ الحجى، حياة ناصر، السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك، فترة حكم السلاطين المماليك البحرية (٦٦١-٧٨٤ هـ / ١٢٦٢-١٣٨٢ م)، جامعة الكويت، ١٩٩٧ م، ص ٢٠.

(١٠٣) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ج٢، ص ٢١٨.

(١٠٤) الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي ولد في القاهرة في عام (٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م) توفي في تروجة قري الإسكندرية في (١٥ محرم ٦٩٣ هـ / ٣١ ديسمبر ١٢٩٣م)، هو ثامن سلاطين الدولة المملوكية البحرية. تولى شؤون الحكم إلى جاني والده الزمن، وبعد وفاة الأخير نصب خليل سلطاناً وبقي حتى اغتياله، يُعتبر من أبرز سلاطين الأسرة القلونية والدولة المملوكية. المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ج٢، ص ٢٠٧، ج٥، ص ٥١٧.

(١٠٥) الأشرف سيف الدين برسباي (ذي الحجة ٥٤١ هـ / مايو ١٤٣٧) هو السلطان الثاني والثلاثون في ترتيب سلاطين دولة المماليك. تولى السلطان "برسباي" عرش دولة المماليك، (٥٥٨ هـ / ١٤٥٥ م) ويُعد من عظام سلاطين الدولة المملوكية، وعلى يديه فُتح قبرص؛ ابن تغري بردي، المنهل الوافي والمستوفي بعد الوافي، ج٣، ص ٥٨٨.

(١٠٦) العزيز يوسف: وهو الملك العزيز يوسف بن برسباي يوسف بن برسباي الدقماقي: السلطان الملك العزيز أبو المحاسن بن السلطان الملك الأشرف أبي النصر، ولد سنة سبع وثمان مائة.

وولي السلطنة في سادس عشر ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وثمان مائة ثم خلع في سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، وسجن بالإسكندرية، ومات في محرم سنة ثمان وستين وثمانمائة. السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، ج ١، ص ١٧٩.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية :

-القران الكريم

-ابن الأثير ، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)

١- الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٩م.

-ابن إياس ، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)
٢بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

-ابن بطوطة (أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)

٣-رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

-البلوي، أبو محمد عبد الله بن محمد المديني (٣٥٠هـ/ ٩٦١م)

٤-سيرة أحمد بن طولون، تحقيق: محمد كرد علي، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة
د.ت.

- البغدادي ،ابن عبد الحق ،صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) .

- ٥- مراصد الإطلاع على أسماء الأماكن والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، لبنان، ١٩٥٤م.
- البونبيني قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد البونبيني (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م).
- ٦- ذيل مرأة الزمان، وزارة التحقيقات الحكيمة والأمور الثقافية المحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩).
- ٧- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد أمين صالح ونبيل محمد عبد العزيز، مركز تحقيق التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م.
- ٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣م، تحقيق: فهمي شلتوت وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١م.
- الحريري، أحمد بن علي بن المغربي المعروف (ت ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م)
- ٩-الأعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تحقيق: سهيل زكار، دار الملاح، ط١، ١٩٨١م
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)
- ١٠-سير أعلام النبلاء، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٦م.
- ١١-العبر في خبر من غبر ويلييه ذيول العبر ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
- السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩ م)
- ١٢-طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة، د.ت .
- السيوطي ،جلال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)
- ١٣-تاريخ الخلفاء، دار الفكر، بيروت، د.ت.

- ١٤- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨م.
- ١٥- نظم العقيان في أعيان الأعيان، د.م.د.ت.
- أبو شامة ، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم المقدسي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)
- ١٦- الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م.
- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٢ م)
- ١٧-الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ٢٠٠٠ م .
- العيني، بدر الدين محمود(ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م)
- ١٨- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان حوادث ووفيات السنوات (٨١٥ - ٨٢٤هـ)، تحقيق: عبد الرازق الطنطاوي القرموط، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)
- ١٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م.
- أبو الفدا ،المك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٢٢هـ / ١٣٣١ م)
- ٢٠-التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق: محمد زينهم، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٩٩٥م.
- القلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨) .
- ٢١-صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تصحيح وتعليق: محمد حسين شمس الدين وآخرون، ط١، دار الفكر، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الغدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)
- ٢٢-البداية والنهاية، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار ، القاهرة ، د.ت.

-- المزي ،الحافظ ابي الحجاج جمال الدين بن يوسف بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢ هـ /١٣٥١ م).

٢٣-تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق: بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة، ط١ ،بيروت، ١٩٨٠م.

أبوالمعالي،تقي الدين محمد بن رافع السلامي

٢٤-الوفيات،تحقيق:صالح مهدي عباس وآخرون،د.م، ١٩٨٢م.

المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، (٨٤٥هـ/١٤٤١م).

٢٥-السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م .

٢٦- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ت.

- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ت٧٣٣هـ /١٣٣٢م)

٢٧-نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٨، ٢٨-٣٢، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دار الكتب، القاهرة ١٩٢٣م.

ياقوت الحموي ،شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

٢٨-معجم البلدان ،دار صادر، ط ٢ ،بيروت ، ١٩٩٥م.

ثانياً المراجع :

الحجى ، حياة ناصر .

29- السلطة والمجتمع فى سلطنة المماليك ، فترة حكم السلاطين المماليك البحرية (٦٦١- ٧٨٤ هـ / ١٢٦٢- ١٣٨٢ م) ، جامعة الكويت، ١٩٩٧ م .

الحداد , محمد حمزة إسماعيل .

30- صفحات من تاريخ السلطان المنصور قلاوون مكتبة مدبولي , ط٢ , القاهرة , ١٩٩٨م.

حسن , علي إبراهيم

31- تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧.

- حسين ، أحمد .

٣٢- موسوعة تاريخ مصر ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، د . ت .

الحلبي، محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ

٣٣-أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تحقيق: محمد كمال، منشورات دار القلم العربي، ط٢، حلب، ١٤٠٨ هـ.

السرجاني راغب

قصة التتار من البداية حتى عين جالوت، القاهرة ، د.ت.

شرف الدين , إبراهيم

٣٤- عظيماات غيرت وجه التاريخ، المكتبة الحديثة، ط١، بيروت ١٩٩٠.

الصلابي , علي محمد

٣٥-السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت , مؤسسة أقرأ القاهرة , ٢٠٠٩ م .

٣٦-المغول [التتار] بين الانتشار والانكسار، مؤسسة الأندلس الجديدة ، القاهرة , ٢٠٠٩ م .

٣٧-الأيوبيين بعد صلاح الدين، دار ابن الجوزي ، القاهرة , ٢٠٠٨.

عاشور ,سعيد عبد الفتاح

٣٨-المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك , دار النهضة العربية , القاهرة ١٩٩٢ م .

عويس ، عبد الحليم

٣٩- المسلمون من التبعية والفتنة إلى القيادة والتمكين ، مكتبة العبيكان، الرياض
٢٠٠٦ م .

غانم ، حامد

٤٠- صفحة عن تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك دار الثقافة المصرية
للطباعة والنشر سنة ١٩٧٨م

قاسم ، عبده قاسم

٤١- عصر سلاطين المماليك السياسي والاجتماعي، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة
١٩٩٤

ماجد ، عبد المنعم

٤٢- نظم المماليك ورسومهم في مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٢ القاهرة ،
١٩٧٩ م .

موير ، وليم

٤٣- تاريخ دولة المماليك في مصر ، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن: مكتبة
مديولي القاهرة، ١٩٩٥م

ثالثاً : الرسائل الجامعية

٤٤- الغامدي، عبد الله سعيد جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في بلاد الشام
رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
سنة (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

Abstract

Judges have been playing Politically role in Egypt in the era of the Mamluks in (٩٢٣-٦٤٨h / ١٥١٧-١٢٥٠m), in various political fields, governance, management, also addressed the research done by the judges of the efforts to establish the Mamluk state and revitalize the Abbasid caliphate in Cairo, as well as their role in addressing domestic and foreign revolutions, equip armies to fight the enemy and did not limit themselves to that, but also participated in these wars, and the study showed the political positions held by these judges of administrative and religious functions in the era of state-owned, and the most prominent focused on doing the study was to clarify the relationship between judges and sultans of the state and the extent of their relationship in general of the Egyptian people, and it turned out also their role in assuming sultans and removal has traditionally been when he took the new Sultan to attend a judges order the state to be legitimate, it was the judges of the State of the Mamluk sultans great stature and large would not like him for the sultans themselves.

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Masan– College of Education

Department of History

Judges and political role in the era of the Mamluks (648-923h/1250-1517m)

M.Dr.Reem Hadi Merhej Al-Thahabi

**النهضة الثقافية وملامح التحديث المبكر
في امارات الساحل المتصالح ١٩٠٠-١٩٧١**

د. جمانة محمد راشد

كلية الآداب / جامعة بغداد

النهضة الثقافية وملامح التحديث المبكر في امارات الساحل
المتصالح ١٩٧١-١٩٠٠

د. جمانة محمد راشد

الملخص:

بدأت النهضة الثقافية في امارات الساحل المتصالح مع مطلع القرن العشرين وتطورت هذه النهضة ونمت، وكانت من ابرز العوامل التي ساعدت على هذه النهضة ازدهار اقتصاد الساحل المتصالح وارتباطه بعد عزلة طويلة بالحركة الثقافية في مصر وبلاد الشام بعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩؛ إذ تدفقت الكتب المطبوعة العربية والمجلات الادبية والصحف مع السفن التجارية، فضلاً عن فتح الخط الصحراوي بين بغداد ودمشق، الذي جاءت من خلاله المجلات والكتب من بلاد الشام والعراق، مما خلق وعياً ادبياً وسياسياً وفكرياً.

واسهم التجار في الخليج في رعاية التعليم وإنشأوا المدارس وعلى الرغم من ان نهاية العشرينيات من القرن العشرين شهدت كساداً في تجارة اللؤلؤ تبع ذلك تاثر التعليم في امارات الساحل المتصالح، إلا أن اواخر الثلاثينيات شهدت عودة المدارس إلى العمل وان كانت قليلة.

وبعد الحرب العالمية الثانية وفي الخمسينيات من القرن العشرين شملت العالم العربي كله حركة تحرر من الاستعمار وصاحبت هذه الحركة اتجاهات للإصلاح الاجتماعي والنهوض الثقافي وقد انعكست اثار هذا التغيير في العالم العربي على الخليج في الساحل المتصالح، وبدأ سكان الامارات بالتصميم على تحسين احوالهم الاقتصادية والثقافية وكانت هذه الرغبة هي العامل الأول الذي ادى إلى حدوث التغييرات الايجابية، كما ان ظهور النفط في (أبو ظبي) فضلاً عن تولي الشيخ زايد بن سلطان حكم الامارة هو العامل الاكبر تائيراً الذي اسهم في سرعة التجديد والتحديث

ومهد لتغييرات جوهرية في خارطة الامارات، تلك التغييرات قد توجت عام ١٩٧١ بالاعلان عن قيام دولة الامارات العربية المتحدة.

بدأت نهضة ثقافية بامارات الساحل المتصالح^(١) مع بداية القرن العشرين وتطورت هذه النهضة ونمت. وكانت هناك عدة عوامل ساعدت على هذه النهضة منها ازدهار اقتصاد الساحل ، وارتباط الخليج العربي بعد عزلة طويلة بالحركة الثقافية في مصر وساحل الشام بعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩ مما ادى إلى تدفق الكتب العربية المطبوعة على الخليج من القاهرة عن طريق السفن التجارية وكذلك الصحف والمجلات الادبية^(٢).

كما كان فتح الخط الصحراوي بين بغداد ودمشق عام ١٩٢٤ شرياناً جديداً للخليج جاءت من خلاله المجلات والكتب اللبنانية والسورية والفلسطينية والعراقية واتسع انفتاح الامارات على اخبار الانتفاضات العربية واحداث الحركة الفكرية والادبية الحديثة في الاقطار العربية، فضلاً عن ذلك فأن الدور الذي لعبته بومباي منذ نهاية القرن التاسع عشر وما بعد في نقل صورة الحياة الغربية والحضارة الأوروبية كان عاملاً مهماً ساعد على احداث نهضة ثقافية في منطقة الخليج العربي، فبومباي كانت سوقاً رئيساً لتجارة اللؤلؤ إذ يلتقي هنالك في كل موسم التجار العرب الاغنياء من جميع امارات الخليج من الكويت حتى رأس الخيمة^(٣).

وقد اسهم هؤلاء التجار في رعاية التعليم وانشأوا المدارس، ففي عام ١٩٠٣ تم انشاء ثلاث مدارس سميت الأولى بـ (المدرسة التيمية) في الحيرة والتي كان يمولها تاجر اللؤلؤ علي محمود وكان فيها نحو (٢٠٠) طالب من ابناء الشارقة فضلاً عن اخرين من رأس الخيمة والعجمان وام القيوين يقيمون على نفقة التاجر في القسم الداخلي بالمدرسة وكان التعليم والاقامة بالمجان، كما ان اغلب معلمي هذه المدرسة من نجد؛ وانشئت في عام ١٩٣٣ وبمساهمة عدد من التجار مكتبة سميت بـ (المكتبة التيمية) والحققت بالمدرسة^(٤).

اما المدرسة الثانية فهي (المدرسة الاحمدية) في دبي وكان يمولها التاجر أحمد بن دلموك وسميت بهذا الاسم نسبة اليه، وكانت تدرس فيها العلوم الدينية مثل الفقه والحديث والتوحيد والسيرة وتلاوة القرآن الكريم وبنيت هذه المدرسة على احدث طراز إذ كانت لها اربعة اروقة وتحت كل رواق عدد من الغرف يأوي اليها الوافدون من الخارج للدراسة على حساب المدرسة وكان التلاميذ يجلسون على مقاعد خشبية في اثناء الدرس وكان معلمو المدرسة من لنجة والاحساء والوزير وبلغ عدد الطلبة في المدرسة وقتذاك نحو (٣٠٠) طالب اما الدراسة فكانت مجاناً في الفترة الأولى وبعد تحديث المدرسة اخذ الطلاب يدفعون مبالغ شهرية بسيطة ^(٥).

والمدرسة الثالثة هي (مدرسة ابن خلف) في (أبو ظبي) انشئت من قبل التاجر خلف بن عتيبة وعهد بالتعليم فيها إلى الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم احد افراد عائلة آل مبارك من علماء الاحساء ^(٦).

فضلاً عن هذه المدارس فقد كانت هناك مدارس اخرى في دبي (السالمية) و(الفلاحية) و(السعادة) وفي الشارقة (المدرسة القاسمية) التي افتتحت عام ١٩١٧ وكان مقرها منزل السيد حمد بن سعيد المدفع ^(٧).

وشهدت فترة العشرينيات من القرن العشرين كساداً كبيراً في تجارة اللؤلؤ وهذا بدوره اثر على التعليم في امارات الساحل المتصالح إذ اغلقت المدارس ولم يعد المدرسون للعمل الا في اواخر الثلاثينيات ^(٨).

وبعد الحرب العالمية الثانية وفي أوائل الخمسينيات شملت العالم العربي كله حركة تحرر من الاستعمار وصاحبت هذه الحركة اتجاهات للإصلاح الاجتماعي والنهوض الثقافي، وفي الخليج ظهرت مرحلة جديدة وتغير كبير في تاريخ المنطقة عبرت عنه حركة تأمين النفط في إيران وبناء دولة حديثة في كل من الكويت وقطر والتطورات الواسعة في المملكة العربية السعودية وكذلك انتفاضات الحركة القومية والاصلاحية في البحرين وثورة ١٩٥٨ في العراق وكانت كل هذه التطورات تعني عهداً جديداً قد بدأ في منطقة الخليج، وسرعان ما انعكست اثار التغيير في العالم العربي

على الخليج في امارات الساحل المتصالح إذ ظهرت بعض علامات التغيير والنهضة وبدأ تصميم سكان الامارات على تحسين احوالهم الاقتصادية والثقافية وكانت هذه الرغبة في النهضة والرقي هي العامل الأول الذي ادى إلى التغييرات التي حدثت في الامارات المتصالحة بين عامي ١٩٤٥-١٩٧١^(٩).

وكانت الفترة ما بين نهاية الحرب العالمية الثانية إلى مطلع الستينيات تمتاز بتغيير محدود وبطيء نوعاً ما في امارات الساحل كافة وذلك لقلة الموارد المالية إلا أن اهم ما يميزها تطور ونمو التعليم الحديث في اماره الشارقة إذ اعاد التاجر محمد علي المحمود بعد الحرب العالمية الثانية افتتاح مدرسة والده (الاصلاح المحمدي) وكانت هذه المدرسة قد اغلقت ابوابها بعد تدهور تجارة اللؤلؤ وقد مولها الشيخ سلطان بن صقر واصبحت تسمى (المدرسة القاسمية)^(١٠).

وكان حاكم الشارقة قد طلب عام ١٩٥٢ المساعدة لادخال التعليم الحديث في امارته من اماره الكويت التي قامت بارسال اثنين من المدرسين الفلسطينيين هما مصطفى يوسف طه واحمد قاسم البوريني وقامت الكويت بتزويد المدرسة القاسمية بالكتب والقرطاسية ولوازم التلاميذ، واتبعت المدرسة المنهج الكويتي وقسم التعليم إلى ثلاث مراحل مدة كل منها اربع سنوات هذه المراحل هي الابتدائية والمتوسطة والثانوية^(١١). ولم تكتف الكويت بذلك بل انشأت بيتاً لطلبة الساحل وابناء عمان القادمين للدراسة في الكويت في العام الدراسي ١٩٥٣/١٩٥٤^(١٢).

وبانتهاء العام الدراسي ١٩٥٤/١٩٥٥ أصبح التعليم الحديث في الشارقة وطيد الاركان ودعي الطلاب الذين غادروا البلاد مبكرين إلى الكويت للعودة إلى الشارقة، وفي عام ١٩٥٧ ادى التلاميذ لأول مرة امتحان الصف الرابع الاعدادي، وفي العام الدراسي ١٩٥٨/١٩٥٩ افتتح أول فصل ثانوي في المدرسة القاسمية وفي نفس العام بدأت قطر تقدم مساعداتها التعليمية للساحل عامة ونمت المدرسة القاسمية واصبح بها (٣٧٥) تلميذاً يعلمهم (١٦) معلماً ثلاثة من قطر وثلاثة من الكويت وتسعة من مصر^(١٣).

ثم شهد التعليم في الشارقة تطوراً آخر تمثل بتعليم الفتيات إذ وجد تعليم البنات التشجيع من الاهالي ومن رجال الدين لذلك افتتحت مدرسة للبنات سميت المدرسة القاسمية للبنات والتي سميت فيما بعد بمدرسة (فاطمة الزهراء) كما وافتتحت عام ١٩٥٨ مدرسة ثانية للبنات سميت مدرسة (اشبيلية) وتوج نشاط هذا العام الدراسي باقامة أول مهرجان رياضي في الساحل (١٤).

وحذت الامارات الأخرى حذو الشارقة في طلب مساعدات تعليمية من الكويت وقطر ومصر باستثناء اماره (أبو ظبي) التي كان يحكمها الشيخ شخبوط بن سلطان والذي كان يرى ضرورة المحافظة على تقاليد البادية وعدم الاختلاط بالعالم الخارجي أو التأثير بمنجزات الحضارة العصرية وباختصار فإنه كان يكره التغيير (١٥).

وقد بدأ التعليم الحديث في اماره رأس الخيمة عام ١٩٥٥ وذلك بوصول بعثة كويتية وقيامها بافتتاح مدرسة (القاسمية الابتدائية)، وفي العام الدراسي ١٩٥٨ / ١٩٥٩ وصلت بعض المدرسات مع ازواجهن من الكويت ومصر وبدأن العمل في مدرسة (خولة) للبنات، ثم افتتحت مدرسة اخرى سميت مدرسة (هند)؛ اما اماره عجمان فقد بدأ التعليم النظامي فيها عام ١٩٥٨ حين انشأت الكويت عن طريق ممثلها في دبي مرشد العصيمي مدرسة (الراشدية الابتدائية) وقد ابتدأت المدرسة بالصفوف الابتدائية من الأول وحتى الرابع الابتدائي وفي العام الدراسي ١٩٥٩ / ١٩٦٠ بلغ عدد الطلبة المسجلين نحو (١٢٠) طالباً (١٦).

هذا فضلاً عن التقدم في ميدان التعليم في ارجاء امارات الساحل المتصالح فأن اماره دبي اخذت تنمو في ميادين اخرى وبشكل واضح وذلك بفضل جهود الشيخ راشد بن سعيد (١٧). ففي عام ١٩٤٦ افتتح المصرف البريطاني للشرق الأوسط أول فرع له في الساحل المتصالح في دبي (١٨)، كما تم انشاء مستشفى المكتوم عام ١٩٤٩ وهي مشروع مشترك بين بريطانيا والشيخ راشد بن سعيد (١٩)؛ كما ان نقل الوكالة السياسية من الشارقة إلى دبي جعل من الاخيرة قاعدة سياسية بريطانية تشرف على منطقة الساحل العماني برمته (٢٠).

واهتم الشيخ راشد بن سعيد بتطوير الميناء إذ اقترض في اواخر الخمسينيات نحو (٤٠٠) الف دينار من الكويت لتجديد الميناء وبذلك اصبح هذا الميناء مصدراً لتمويل المشاريع الاصلاحية لاحقاً في الامارة، وفي عام ١٩٥٦ انشئت أول قوة للشرطة في دبي وفي السنة التالية تم انشاء بلدية دبي الحديثة وانتخب نائب حاكم دبي الشيخ راشد رئيساً للبلدية والسيد علي البستاني مساعداً للرئيس وكاتباً للمجلس وتم تشكيل المجلس من (٢٢) عضواً مرشحاً وقدم الشيخ راشد مبلغ الف روبية هدية إلى المجلس البلدي^(٢١)، كما تم انشاء أول مطار حديث في الامارة عام ١٩٥٨ واصبحت دبي بموجبه مركز السفر الرئيس للامارات^(٢٢).

وبين عامي ١٩٥٥ و ١٩٥٩ انجزت بريطانيا قضايا الحدود بين الامارات بعد موافقة الشيوخ على قبول تحكيمها في هذه القضية ولقد كان انجاز الحدود الداخلية بين الامارات مسألة هامة للامن الداخلي ولمعرفة حدود امتيازات شركات النفط كما ان رسم الحدود الداخلية ادخل مفهوم الدولة الحديثة للامارات في هذا الوقت المبكر^(٢٣).

وفي فترة الستينيات من القرن العشرين زادت نسبة التطور الحديث في امارات الساحل عامة ودبي وابو ظبي والشارقة خاصة، وكانت دبي في تلك الفترة رائدة في ميدان تحديث الإدارة الحكومية إذ عين في عام ١٩٦٠ ولي العهد الشيخ مكتوم بن راشد رئيساً لإدارة الأراضي كما عين الشيخ حمدان بن راشد رئيساً لبلدية دبي ورئيساً لدائرة الصحة والخدمات الطبية وافتتحت دبي ادارة للبريد عام ١٩٦١ ودائرة للنفط عام ١٩٦٢ كما اصبح الشيخ محمد بن راشد^(٢٤) بعد اتمام دراسته العسكرية في انكلترا رئيساً للشرطة والامن العام^(٢٥).

اما أبو ظبي فقد اتخذت فيها بعض الخطوات في التعليم لأول مرة عام ١٩٦٠ وزادت قوة الشرطة التي انشئت في الخمسينيات زيادة قليلة ومع ذلك فقد بدأ الشيخ زايد بن سلطان^(٢٦) ممثل الحاكم في العين برنامجاً اصلاحياً في حدود الاعتمادات المالية القليلة التي لديه وكانت اهم مشروعاته في العين انشاء سوق جديد فيها وقد مول الشيخ زايد هذا المشروع بالكامل، وزيادة الرقعة الخضراء بتشجيع الزراعة وقد انشأ عدد من

الافلاج الجديدة^(٢٧)، كما اصلح الافلاج القديمة، إذ بدأ الشيخ العمل في اثنين من الافلاج الثلاثة القديمة بهدف زيادة تدفق المياه عبر تنظيف الاقنية الموجودة تحت الأرض وتوسيعها، وقد صرف الشيخ مضخات مياه معظمها من صنع هندي وباباني لصغار المزارعين بطريقة التقسيط المريح جداً وقام بطلب جرار وعدد من المعدات الزراعية من انكلترا، كما طلب البذور واشجار الفاكهة لزراعتها من الولايات المتحدة والهند^(٢٨).

وفي هذه الفترة تركز التقدم الملحوظ في بقية الامارات في مجال التعليم فقط وكانت الشارقة رائدة في هذا الميدان بين بقية الامارات.

ففي العام الدراسي ١٩٦٠ / ١٩٦١ اقامت قطر مدرسة خاصة للمرحلة الثانوية في الشارقة سميت (مدرسة العروبة)^(٢٩)، كما قامت ببناء ثلاث مدارس حديثة في الشارقة ودبي فضلاً عن بناء مجموعتين من مساكن المدرسين في الشارقة وكانت تقوم بدفع رواتب المدرسين وتحمل تكاليف سكنهم واثاثهم واجور تنقلاتهم^(٣٠).

ولم ينحصر بناء المدارس في الشارقة عاصمة الامارة وانما تعداها ليشمل بناء مدرسة ابتدائية في خور فكان افتتحت في الأول من كانون الثاني عام ١٩٦٠ وسميت مدرسة المهلب وضمت (١٤٠) طالباً وقد درس فيها أول الامر مدرسان احدهما من الجمهورية العربية المتحدة والآخر من قطر ثم بعد ذلك انضم اليهما مدرس من بعثة الكويت^(٣١).

وفي نهاية عام ١٩٦١ توجه (١٦) طالباً من الشارقة إلى الكويت لاكمال الصفين الثالث والرابع من الدراسة الثانوية المتخصصة وبعد استقلال الكويت تضاعفت مساعداتها للساحل وزادت من اعداد المعلمن الموفدين للامارات وقامت الكويت بانشاء (١٤) مدرسة^(٣٢)، كما ارسلت الكويت بعثة فنية لمسح المنطقة مسحاً اجتماعياً للتعرف على متطلبات الامارات العربية وانشأت من اجل ذلك ما عرف باللجنة الدائمة لمساعدة امارات الخليج رصدت لها في عام ١٩٦٢ مبلغ (٤٣٠) الف دينار، ثم عززت ذلك المبلغ باعتمادات مالية اخرى، ونص المرسوم الصادر بتكوين هذه اللجنة

على ان الغرض من انشائها هو الاشراف على تقديم المساعدات لالبناء الخليج على شكل منح من دون مقابل، كما انه ليس لها اية التزامات سياسية^(٣٣).

وفي عام ١٩٦٣ انشأت الكويت مكتباً لها في دبي وحذت كل من قطر ومصر والمملكة العربية السعودية حذو الكويت في تقديم مساعدات تعليمية واجتماعية وفنية إلى امارات الساحل المتصالح^(٣٤).

وبنهاية عام ١٩٦٥ كان التعليم قد سار خطوات واسعة كما يتضح من بيان عدد المعلمين في الشارقة هذا العام وقد كانوا (٦٠) مدرساً من الكويت و(٤٠) مدرساً من مصر و(٩) من البحرين و(٩) من قطر وكانت معظم الكتب والدفاتر والمطبوعات من الكويت وغلبت مناهج الكويت بذلك في التعليم في الشارقة بصفة خاصة، كما قدمت الكويت وقطر المساكن لمعلميهم بينما قدم حاكم الشارقة البيوت لسكن البعثة المصرية^(٣٥).

كما ازدهر في هذه الفترة التعليم الحديث في اماره رأس الخيمة ويرجع ذلك إلى اهتمام حاكمها الشيخ صقر بن محمد بالتعليم^(٣٦).

وفي النصف الأول من الستينيات كان الانشاء والتعمير الحديث محدوداً مقارنة بالتعليم في الامارات عامة ما عدا (أبو ظبي) ودبي بسبب الدخل المحدود فقد اعتمدت هذه الامارات على المعونة البريطانية القليلة لمشروعاتها^(٣٧)؛ فأمارات الساحل المتصالح لم يكن لها موارد دخل كبيرة فأذا ما استثنينا (أبو ظبي) ودبي فإن الدخل في بقية الامارات (الشارقة، عجمان، ام القيوين، رأس الخيمة، الفجيرة) لم يكن يتجاوز (٢٥٠) ألف جنيه استرلينياً ولذلك كانت هذه الامارات في حاجة ماسة إلى مساعدات مالية للنهوض بمستلزماتها الاجتماعية والاقتصادية ؛ وقد اقتصرت موارد الدخل على ما كان يفرضه الشيوخ على التجار وصاندي اللؤلؤ أو على البضائع المستوردة التي كان لايتجاوز ما يفرض عليها من ضرائب ٢.٥% من قيمتها؛ وعلى الرغم من تزايد دخل بعض هذه الامارات نتيجة بدل الايجارات التي كانت تدفعها بريطانيا في اثناء سيطرتها على الامارات مقابل استخدام اجزاء من أراضيها لتكون قواعد عسكرية أو

مطارات لخطوطها الجوية إلا أن تزايد الدخل لم يتبعه أي تأثير اجتماعي أو عمراني على هذه الامارات (٣٨).

اما في النصف الثاني من الستينيات إلى أوائل السبعينيات فقد تميزت هذه الفترة بنمو (أبو ظبي) السريع حتى انها اخذت مكان القيادة في التطوير والانشاء فضلاً عن ان الفكر السياسي لحكام وسكان الامارات تطور بشكل كبير هذا التطورالذي كان من نتيجته ظهور دولة الامارات العربية المتحدة في كانون الأول ١٩٧١ برئاسة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

ففي ٦/آب/١٩٦٦ بدأ في (أبو ظبي) عهد جديد اتسم بسياسة الشيخ زايد وذلك عندما تسلم مقاليد الحكم في الامارة (٣٩) ووضع الشيخ برنامجاً اصلاحياً سمي بالخطـة الخمسية الأولى (١٩٦٨-١٩٧٢) تضمن قائمة بالمشاريع التي سيمـنحها افضلية واهمها في ما يخص الصناعة انشاء مصنع للالبان ومصنع لعلف الحيوانات ومصنع للاسمنت واخر للزيوت وانشاء محطة ضخمة لتوليد الكهرباء فضلاً عن مصنع لتعليب الاسماك؛ اما في الزراعة فتقرر زراعة مئات من الافدنة بأشجار الموالح والحمضيات وانشاء مزرعة لتربية المواشي؛ وفي التعليم بناء مدارس ثانوية وابتدائية ومدارس للتعليم المهني والفني فضلاً عن اربع عشرة روضة للاطفال (٤٠)؛ وفي الخدمات الصحية توسيع المستشفى الحالي في (أبو ظبي) وانشاء مستشفى كبير اخر فضلاً عن اربعة عشر مستوصفاً للعيادة الخارجية؛ وفي المواصلات تعبيد (١١٠٠) كم من الطرق التي تربط أبو ظبي بالقرى وانشاء مطار في العين إلى جانب توسيع مطار أبو ظبي وانشاء ميناء لرسو البواخر؛ وفي الاسكان بناء أكثر من (١٣٠٠) منزل في (أبو ظبي) توزع على السكان ببدلات نقدية تقسط عليهم في آجال طويلة الامد؛ وفي الشؤون البلدية اقامة ثلاثة أسواق عصرية للاسماك واللحوم والخضار والفواكه في (أبو ظبي) وبناء مجازر عصرية؛ كما تضمنت الخطـة انشاء ميناء كبير في مدينة أبو ظبي يساعد على رسو البواخر الكبيرة عابرات المحيط (٤١).

وقد رصد الشيخ زايد للخطـة الخمسية الأولى (٣٠٠) مليون دينار بحريني وكان من بين ما تضمنته الخطـة تنفيذ مشروع لامداد الامارة بالمياه العذبة، إذ قامت احدى الشركات البريطانية ببناء معمل لتكرير مياه البحر يستطيع انتاج (٢) جالون من المياه العذبة يومياً، كما تضمنت الخطـة مشروعاً زراعياً ضخماً في جزيرة السعديات القريبة من (أبو ظبي) وهي جزيرة رملية قاحلة وتقوم جامعة اريزونا الأمريكية بالاشراف على هذا المشروع الذي هو عبارة عن تجربة لانتاج الخضروات باستخدام الوسائل الصناعية وتحت ظروف مناخية متحكم فيها ويطلق على هذا المشروع اسم مركز ابحاث الأراضي القاحلة^(٤٢).

واتبع الشيخ زايد سياسة حكيمة حينما قلد مسؤولية الإدارة الحكومية الجديدة إلى افراد العائلة الحاكمة واشرك معهم في مسؤولية نهضة الامارة عدداً من البارزين من الشباب المثقف من ابناء العائلات الكبيرة، وفي عام ١٩٦٧ عين أحمد السويدي وهو أول خريج جامعي في امارة (أبو ظبي) رئيساً للديوان الاميري، وفي عام ١٩٦٨ انشأ الشيخ زايد مركز الوثائق والدراسات في الديوان الاميري لاثراء الدراسات الخاصة بالخليج والجزيرة العربية، وفي تموز ١٩٧١ خطا الشيخ زايد خطوات أكثر في تنظيم الدولة الحديثة فأصدر مرسومين الأول لانشاء أول مجلس للوزراء في الامارة وعين الشيخ خليفة بن زايد ولي العهد ونائب الحاكم رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع وتحولت دائرة الاعلام التي انشئت مؤخراً إلى وزارة الاعلام والثقافة وعين أحمد بن حامد وزيراً لها، اما المرسوم الثاني فيقضي بتشكيل المجلس الوطني الاستشاري، وقد قام الشيخ زايد بتطوير قوة دفاع أبو ظبي بوحداتها البرية والجوية والبحرية^(٤٣).

فضلاً عن ذلك فأن عهد الشيخ زايد يعد عصراً جديداً في ميدان التعليم في (أبو ظبي) إذ انشئت دائرة جديدة للتعليم برئاسة الشيخ حمدان بن محمد الذي اخذ هذه المسؤولية على عاتقه فضلاً عن مسؤولياته الأخرى وظهرت عندئذ المدارس الاعدادية والثانوية وانشئت المدارس الجميلة المعدة بكافة لوازم التعليم والتربية الحديثة وقدمت للطلاب المواصلات ومنحوا الرواتب الشهرية، وفي عام ١٩٦٨ استقبلت امارة أبو ظبي

بعثة تعليمية كبيرة من البحرين وبدأت المناهج الاردنية القديمة يدخلها بعض التطوير والتعديل لتلائم بيئة (أبو ظبي)^(٤٤)، كما رفعت رواتب المعلمين واستقدم الخبراء في هذا الميدان لتطويره وانشئت الفصول الليلية لتلبية رغبة كبار السن من السيدات والرجال الذين اقبلوا على التعليم، وقد نما التعليم وتطور في (أبو ظبي) خلال السنوات من ١٩٦٦ إلى ١٩٧١ حتى ان عدد المدارس في عام ١٩٧١ قد وصل إلى (٢٥) مدرسة يتعلم فيها (٧٨٩٧) تلميذاً ويدرس في هذه المدارس (٤٣٩) معلماً وهي ارقام تفوق مثيلاتها في دبي والشارقة اللاتي سبقن (أبو ظبي) في هذا الميدان من قبل^(٤٥).

وكان عهد الشيخ خالد بن محمد في الشارقة بداية الطريق إلى التطوير الحديث إذ وجه الشيخ اهتمامه إلى انعاش الحياة الاقتصادية والبناء وتنظيم الإدارة^(٤٦).

وفي صيف عام ١٩٦٦ عاد إلى الشارقة أوائل الخريجين من الجامعة ليتحملوا اعباء العمل والنهضة في الامارة في دوائر حكومة الشارقة التي ظهرت حديثاً، وفي عام ١٩٦٨ قامت الكويت ببناء مدرسة ثانوية حديثة اخذت اسم (عبد الله سالم الثانوية) وكانت هذه المدرسة اخر ما قدمت وانجزت الكويت في ميدان التعليم بالشارقة^(٤٧).

وفي السنوات الاخيرة من الستينيات ظهر عدد من الأندية الثقافية في الشارقة واهمها نادي العروبة^(٤٨) الذي ضم الشباب والجامعيين والتجار، وقد قام هذا النادي بانشاء أول مسرح في الشارقة عام ١٩٦٦ قدمت فيه تمثيليات تعالج المشاكل الاجتماعية؛ كما تمتاز الامارة بالنشاط الرياضي الذي يتمثل في كرة القدم وكرة السلة والطاولة إذ قام نادي العروبة باعداد مسابقات رياضية في مختلف النشاط الرياضي في منطقة الساحل منها سباق الضاحية في الركض لمسافة (١٧) كم، كما قامت الامارة بانشاء نادٍ جديد عام ١٩٦٩ هو نادي الخليج العربي وترأسه الشيخ صقر بن محمد القاسمي^(٤٩). ولما كانت الشارقة رائدة في مجال التعليم فلم يكن غريباً ان يكون أول وزير للتعليم في دولة الامارات العربية المتحدة هو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي^(٥٠).

هذا وكان الشيخ خالد بن محمد حاكم الشارقة قد استطاع الحصول على مبالغ معقولة من صندوق مكتب التطوير الذي انشأته بريطانيا وامتته بمبلغ (٢٠٠) الف جنيه استرليني^(٥١) وكذلك من الشيخ زايد بن سلطان بدأ بها في وضع حجر الاساس لميناء خالد في الشارقة ، كما انشأ قوة للشرطة وادارة حكومية حديثة، وشجعت اماره الشارقة الاستثمار من الخارج فتطورت تطوراً سريعاً، وفي ١٩٦٦ انشأت المملكة العربية السعودية الطريق الاسفلت بين دبي والشارقة وتعهدت بمد هذا الطريق إلى رأس الخيمة وتم ذلك بالفعل في عام ١٩٦٧، كما قامت السعودية بانشاء مدرسة دينية في رأس الخيمة وزودتها بالمعلمين^(٥٢).

اما في اماره دبي فقد بدأ انتاج النفط عام ١٩٦٩ وازداد هذا المورد دخلاً جديداً للامارة لزيادة التعمير والبناء إلى درجة كبيرة ، كما بقي ميناء راشد بعد ان اجريت له توسيعات وتعميقات بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٧١ يلبي حاجيات (أبو ظبي) وبقية الامارات في الاستيراد من الخارج^(٥٣).

وبذلك فإن النهضة الثقافية وملامح التحديث المبكر التي مر ذكرها والتي شهدت امارات الساحل المتصالح منذ مطلع القرن العشرين وحتى عام ١٩٧١ كانت بمثابة الاساس الصلب الممهّد لتغييرات جوهرية ونهضة أكثر شمولية في مختلف جوانب الحياة بعد قيام الاتحاد ما بين الامارات وظهور دولة الامارات العربية المتحدة.

- (١) الساحل المتصالح: تسمية اطلقها البريطانيون بعد توقيع معاهدة عام ١٨٢٠ مع ستة من شيوخ الامارات وتشمل هذه التسمية الساحل الممتد من خور العديد الواقع في جنوب شبه جزيرة قطر حتى خور كلبا الواقع على ساحل عمان. علي محمد راشد، دولة الامارات العربية المتحدة في مجلة العرب، ط١، مطابع البيان التجارية، دبي، ١٩٨٨، ص ٢٢؛ محمود بهجت سنان، اماره الشارقة، وزارة الثقافة والارشاد، بغداد، ١٩٦٧، ص ٥.
- (٢) ابتسام عبد الأمير حسون، دولة الامارات العربية المتحدة دراسة في الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ص ٩٣-٩٤.
- (٣) محمد مرسي عبد الله، دولة الامارات العربية المتحدة وجيرانها، ط١، دار القلم، الكويت، ١٩٨١، ص ١٥٠.
- (٤) حسناء ناصر إبراهيم، تنمية الموارد البشرية في دولة الامارات، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد - جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٠٦.
- (٥) ابتسام عبد الأمير، المصدر السابق، ص ٩٥.
- (٦) محمود أحمد العجاوي، تطور التعليم في دولة الامارات العربية المتحدة (١٩٧١-١٩٠٥)، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ع٤٥، الكويت، ١٩٨٦، ص ١١٩.
- (٧) ابتسام عبد الأمير، المصدر السابق، ص ص ٩٦-٩٧.
- (٨) حسناء ناصر إبراهيم، المصدر السابق، ص ٢٠٦.
- (٩) محمد مرسي عبد الله، المصدر السابق، ص ١٨٦.
- (١٠) حسناء ناصر إبراهيم، المصدر السابق، ص ٢٠٦.
- (١١) محمود أحمد العجاوي، المصدر السابق، ص ١٢٥.
- (١٢) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، بريطانيا وامارات الساحل العماني دراسة في العلاقات التعاهدية، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٨، ص ٣٨٦.
- (١٣) محمد مرسي عبد الله، المصدر السابق، ص ١٩٨.
- (١٤) جمانة محمد راشد، التطورات السياسية في اماره الشارقة ١٩١٤-١٩٧١، ط١، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٥، ص ص ١٠٥-١٠٦.

- (١٥) جمال زكريا قاسم، الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥-١٩٧١، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٤، ص ص ١٩٥-١٩٦.
- (١٦) محمود أحمد العجاوي، المصدر السابق، ص ١٣٠.
- (١٧) ولد الشيخ راشد بن سعيد عام ١٩١٤ وخلف والده الشيخ سعيد آل مكتوم كحاكم عام ١٩٥٨ لكنه شغل منصب نائب الحاكم منذ عام ١٩٣٨.
- (١٨) محمد مرسي عبد الله، تاريخ الامارات العربية المتحدة مختارات من اهم الوثائق البريطانية ١٧٩٧-١٩٦٥، المجلد الثالث، مركز لندن للدراسات العربية، لندن، ١٩٩٧، ص ٣٦٤.
- (١٩) محمد مرسي عبد الله، دولة الامارات العربية، ص ص ١٨٧-١٨٨.
- (٢٠) جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص ١٧٦.
- (٢١) محمد مرسي عبد الله، تاريخ الامارات العربية المتحدة، ص ٣٨٣.
- (22) K.G.Fenelon, The United Arab Emirates an Economic and social survey, Lonon, 1973, P.14.
- (٢٣) محمد مرسي عبد الله، دولة الامارات العربية، ص ١٨٩.
- (٢٤) الشيخ محمد بن راشد : نائب رئيس دولة الامارات العربية المتحدة، ورئيس مجلس الوزراء بدولة الامارات وحاكم اماره دبي ووزير الدفاع. ولد في دبي في ١٥ تموز ١٩٤٩ ونشأ في بيت جده الشيخ سعيد بن مكتوم آل مكتوم. دخل المدرسة الاحمدية عام ١٩٥٥ لتعلم قواعد اللغتين العربية والانكليزية والجغرافية والتاريخ والرياضيات ثم انتقل وهو في العاشرة من عمره إلى مدرسة الشعب ثم ثانوية دبي وتخرج منها في العام الدراسي ١٩٦٤/١٩٦٥. التحق بمدرسة بل للغات في كامبريدج في لندن عام ١٩٦٦. التحق بعدها بكلية موزن العسكرية البريطانية إذ أنهى تدريبه العسكري وبعد عودته من المملكة المتحدة وفي اواخر الستينيات اصدر والده الشيخ راشد مرسوماً عينه في رئيساً للشرطة والامن العام بدبي. وفي عام ١٩٧١ اصدر مرسوماً آخر اوكل فيه له بتشكيل قوة دفاع دبي والتي اندمجت عام ١٩٧٥ في القوات المسلحة لدولة الامارات. كما انه منذ عام ١٩٧١ اصبح وزيراً للدفاع في حكومة دولة الامارات. وفي ٤/آذار/ ١٩٩٥ اصدر حاكم اماره دبي الشيخ مكتوم بن راشد قراراً بتعيينه ولياً للعهد في الامارة وقد بدأت معظم المشاريع الحديثة في دبي مع توليه ولاية العهد في الامارة هذه المشاريع التي اسهمت بصورة سريعة في رسم صورة مشرقة جديدة لدبي. في ٤ كانون الثاني ٢٠٠٦ تولى الحكم في اماره دبي بعد وفاة اخيه الشيخ مكتوم وانتخبه اعضاء المجلس الاعلى للاتحاد في ٥ كانون الثاني ٢٠٠٦ نائباً

لرئيس الدولة ووافقوا على اقتراح رئيس الدولة الشيخ خليفة بتكليفه برئاسة مجلس الوزراء ومنذ تولي الشيخ محمد هذه المناصب إلى اليوم بدأت وتيرة الانجازات والمبادرات تتسارع على المستوى المحلي والإقليمي.

<https://en.m.wikipedia.org>.

(٢٥) محمد مرسى عبد الله، دولة الامارات العربية، ص ١٩٠.

(٢٦) الشيخ زايد بن سلطان : الرئيس الأول لدولة الامارات العربية المتحدة. ولد عام ١٩١٨ في مدينة (أبو ظبي) بقصر الحصن. بدأ الشيخ تعليمه في سن الخامسة على يد المطاوعة وهم الشيوخ الذين يدرسون القرآن الكريم والحديث الشريف واصل الدين واللغة العربية. تولى الشيخ زايد حكم العين عام ١٩٤٦. وفي عام ١٩٥٣ زار بريطانيا والولايات المتحدة وسويسرا ولبنان والعراق ومصر وسوريا والهند وباكستان وفرنسا وقد زادته هذه الزيارات اقتناعاً بمدى الحاجة لتطوير الحياة في الامارات والنهوض بها بأسرع وقت ممكن للحاق بركب تلك الدول. في ١٩٦٦/ب/٦ تولى مقاليد الحكم في (أبو ظبي) وتمكن من تحقيق اصلاحات واسعة. وفي عام ١٩٦٩ انتخب رئيساً للاتحاد التساعي الذي ضم الامارات السبع وقطر والبحرين وبانسحاب الاخيرتين تم الاعلان عن قيام دولة الامارات العربية المتحدة في ٢ كانون الأول ١٩٧١ وانتخب الشيخ زايد رئيساً للدولة وقائداً عاماً للقوات المسلحة. عمل الشيخ على بناء المؤسسات وبناء القوات المسلحة واسس سياسة خارجية متميزة تتسم بالتوازن والاعتدال. توفي في ٢ تشرين الثاني ٢٠٠٤.

<https://en.m.wikipedia.org>.

(٢٧) الافلاج: هو نظام فريد للحصول على المياه الجوفية والفلج عبارة عن نفق اصطناعي من عمل الإنسان ويمتد افقياً في الطبقات الصخرية الحاملة للماء الباطني ويكون امتداده بميل خفيف يساعد على انحدار الماء فيه وتتجمع فيه كذلك المياه الباطنية بطريق التسرب ثم تتحدر نحو نهايته إذ توجد الأراضي الزراعية التي يراد ريها. يوسف أبو الحجاج وآخرون، دولة الامارات العربية المتحدة دراسة مسحية شاملة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٨، ص ٢٠٣.

(٢٨) محمد مرسى عبد الله، تاريخ الامارات العربية، ص ٢٩٢.

(٢٩) محمود أحمد العجاوي، المصدر السابق، ص ١٢٦.

- (٣٠) مصطفى مراد الدباغ، قطر ماضيها وحاضرها، ط١، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٩٦١، ص ٢٧٩.
- (٣١) جمانة محمد راشد، المصدر السابق، ص ١٠٧.
- (٣٢) محمد مرسي عبد الله، دولة الامارات العربية، ص ١٩٩.
- (٣٣) جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص ١٨٥.
- (٣٤) المصدر نفسه، ص ١٨٦.
- (٣٥) محمد مرسي عبد الله، دولة الامارات العربية، ص ١٩٩.
- (٣٦) المصدر نفسه، ص ١٩١.
- (٣٧) المصدر نفسه.
- (٣٨) جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص ١٧٨.
- (٣٩) محمد حسن العيدروس، التطورات السياسية في دولة الامارات العربية المتحدة، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٣، ص ٣٦٥.
- (٤٠) محمود بهجت سنان، أبو ظبي واتحاد الامارات العربية ومشكلة البريمي، سلسلة الساحل المهادن، ط١، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٦٩، ص ص ٨١-٨٣.
- (٤١) المصدر نفسه، ص ص ٨٣-٨٥.
- (٤٢) جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص ٢٠١.
- (٤٣) محمد مرسي عبد الله، دولة الامارات العربية، ص ١٩٣.
- (٤٤) محمود أحمد العجاوي، المصدر السابق، ص ١٢٨.
- (٤٥) محمد مرسي عبد الله، دولة الامارات العربية، ص ص ٢٠٤-٢٠٥.
- (٤٦) محمود بهجت سنان، امارة الشارقة، ص ص ٣٥-٣٦.
- (٤٧) محمود أحمد العجاوي، المصدر السابق، ص ١٢٦.
- (٤٨) خالد العزي، الخليج العربي في ماضيه وحاضره دراسة شاملة للخليج العربي ولدول البحرين - قطر - الامارات العربية المتحدة، بغداد، ١٩٧٢، ص ٣١٧.
- (٤٩) المصدر نفسه.
- (٥٠) محمد مرسي عبد الله، دولة الامارات العربية، ص ٢٠٠.
- (٥١) محمود علي الداود، الخليج العربي والعمل العربي المشترك، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٨٠، ص ١٢٦.

(52) Donald Hawley, The Trucial states, London, 1970, P.230.

(53) محمد مرسي عبد الله، دولة الامارات العربية ، ص ١٩٣.

Abstract of the Research Cultural Renaissance and the early features of modernization in the Trucial States 1900-1971

Began cultural renaissance in the Trucial States with the beginning of the twentieth century and evolved this renaissance and grew, and was one of the main factors that helped this renaissance boom Trucial and its association with the coast's economy after a long isolation of the cultural movement in Egypt and the Levant after the opening of the Suez Canal in 1869, as it flowed printed books Arab literary magazines and newspapers with commercial vessels, as well as open desert line between Baghdad and Damascus, who came through magazines and books from the levant and Iraq, creating awareness morally, politically and intellectually . The shares of the merchants in the Gulf in the care and education they set up schools , despite the fact that the end of the twenties of the twentieth century witnessed a recession in the pearl trade ensued affected education in the Trucial states, but the late thirties saw a return to work and schools were few . After World War II and in the fifties of the twentieth century , including the entire Arab world movement of liberation from colonialism and accompanied this movement trends of social reform and cultural advancement have reflected the effects of this change in the Arab world on the Gulf in the Trucial Coast, and began Emirates residents determined to improve the economic and Cultural Conditions and this was desire in the First Factor which led to the occurrence of positive changes, and the discovery of oil in Abu Dhabi as well as take over Sheikh Zayed bin Sultan ruled the emirate is the biggest factor influence which contributed to the speed of renewal, modernization and Paved the substantial changes in the Emirates map, those changes have culminated in 1971 the announcement of the United Arab Emirates

DR.JUMANA MOHAMMED RASHID
College Of Arts
Baghdad University

**المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق
والمشرق الاسلامي**

(٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

م . د : حاتم فهد هنو الطائي

جامعة الموصل / كلية الآداب / قسم التاريخ

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي
(٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

م . د : حاتم فهد هنو الطائي

ملخص البحث :

يعد عصر السلاجقة من أهم العصور التي اندمجت فيها العلاقات الاجتماعية والسياسية مع القوى المتعددة في سائر أنحاء الدولة السلجوقية إما عن طريق التبعية السلمية أو الحربية فكان للمصاهرات السياسية الدور الأبرز في دمج السلاجقة وارتباطهم مع الخلافة العباسية والحكام المجاورين ، فضلاً عن مصاهراتهم فيما بينهم ، فقد شهد العصر السلجوقي العديد من الأحداث التي لم تتناولها إلا القليل من الأبحاث ، ومن تلك الأحداث ما يتعلق بالناحية الاجتماعية مثل المصاهرات ، لذا ارتئينا تسليط الضوء على تلك الناحية من حياة الدولة السلجوقية فجاء بحثي بعنوان (المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٤م) . أما الهدف من البحث فهو كشف النقاب عن تلك المصاهرات ودوافعها ، وليس كما هو متعارف عليه بأن المصاهرة أو الزواج هو بناء عائلة جديدة قائمة على أساس المودة والرحمة ، لابل تعني تلك المصاهرات في جوهرها مصاهرة المصلحة المبنية على أساس الرغبة في الاستيلاء على البلاد والاستحواذ على مدينة من المدن ، أو السيطرة على بلد ما والرأي العام فيه ، أو المحاولة للتقوي بالصهر ، أو التقرب من الخلفاء العباسيين والتشريف بمصاهرتهم .

قسم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة ، تناول المبحث الأول مصاهرات السلاجقة مع الخلافة العباسية ، والمبحث الثاني تطرق إلى مصاهرات السلاجقة مع بعضهم البعض ، أما المبحث الثالث فقد خصص لمصاهرات السلاجقة

مع ولايتهم وقادتهم وأمرائهم ، و المبحث الرابع تحدث عن مصاهرات السلالة مع القوى المجاورة ، أما الخاتمة فقد تضمنت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج .

Summary:

The era of the Saljuks is one of the most important eras in which social and political relations merged with multiple powers throughout the Saljuk state either through peaceful dependency or war was to marriages' prominent role in the integration of the Saljuks and their association with the Abbasid Caliphate, neighbouring rulers , neighbors, as well as marriages among themselves. The times of Saljuks saw many events that are not covered, but little research, and these events are related to the social aspect, such as marriages. That is the reason why I wanted to highlight that point in the life of Saljuk State. This research entitled with (Marriages in the Saljuks' Era (447-590h / 1055-1194m) has been done for that purpose .

The aim of the research is to unveil those marriages , motives, and not, as decided by the Islamic law that marriage is to build a new family based on love and compassion, but rather those marriages, in essence, affinity interest based on a desire to seize the country and the acquisition of one of the cities, or control of the country and public opinion, or try to strengthen melt, or closer to the Abbasid caliphs and to be honoured by their marriages.

This research has four sections and a conclusion. The first section is about Marriages of Saljuks with the Abbasid Caliphate. The second one, on the other hand, deals with

Marriages of Saljuks with each other, while the third section devoted to Marriages of Saljuks with the accused and their leaders and princes, and in the fourth section I dealt with the Marriages of Saljuks with neighboring powers. The conclusion includes the key findings of the research

ينحدر السلاجقة في نسبهم من مجموعة من القبائل التركية التي تُعرف باسم الغز ، وينسب هؤلاء إلى جدهم سلجوق بن دقاق الذين عاشوا في بداية حياتهم في إقليم تركستان^(١) ثم انتقلوا إلى مناطق ماوراء النهر^(٢) أي (ما وراء نهر جيحون) واعتنقوا الإسلام تأثراً بمن جاورهم من القوى الاسلامية ، وبدأوا بالظهور في المشرق الإسلامي كقوة سياسية كبرى وذات أهمية منذ بداية القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ، إذ دخلوا أراضي الدولة الغزنوية^(٣) في سنة (٤١١هـ/١٠٢٠م) إلا أنهم ما لبثوا أن اصطدموا بالغزنويين فهزموا وهربوا باتجاه خوارزم^(٤) إلا أن وفاة السلطان الغزنوي محمود بن سبكتكين (٣٨٧-٤٢١هـ/٩٩٧-١٠٣٠م) واضطراب أوضاع الدولة الغزنوية مكنهم من إعادة تثبيت قوتهم في أراضي الغزنويين ، لاسيما بعد أن واجه السلطان الجديد مسعود بن محمود^(٥) (٤٢١-٤٣٢هـ/١٠٣٠-١٠٤٠م) في معركة داندانقان^(٦) سنة (٤٣١هـ/١٠٣٩م) فهزموا وسيطروا على خراسان التي اتخذوها قاعدة لمد سلطانهم إلى مناطق العالم الإسلامي بزعامة السلطان طغرل بك^(٧) (٤٢٩-٤٥٥هـ/١٠٣٧-١٠٦٣م) الذي استطاع دخول بغداد سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) ليعلن أنه من السلاطين التابعين للخلافة العباسية .

ولعل أهم ما يميز العصر السلجوقي هو بروز ظاهرة المصاهرات السياسية التي ارتبط بها السلاجقة مع الخلافة العباسية من جهة والأمراء والولاة التابعين والحكام المجاورين من جهة أخرى ، فضلاً مصاهراتهم الداخلية فيما بينهم ، وما نتج عنها من ظهور علاقات أو إنهاء حروب ، أو تطلع لضم أملاك جديدة ، إلى غير ذلك من مناحي الحياة السياسية ، وقد عملت أغلب القوى السياسية المختلفة في العالم الإسلامي عند سيطرتها على منطقة ما ، على إقامة علاقات ودية مع الخلافة العباسية لتستمد منها شرعية حكمها ، كما سعت بعض القوى إلى السيطرة على مركز الخلافة العباسية لتحقيق السطوة السياسية على غيرها من القوى . وقد اقتصرنا الدراسة على مصاهرة

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

السلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي فحسب ، وعدم التطرق لسلاجقة الشام والروم لعدم تشعب الموضوع و بسبب الرقعة الجغرافية الواسعة والمدة الزمنية الطويلة، فضلاً عن ان مناطق النفوذ الرئيسة للسلاجقة كانت العراق والمشرق الاسلامي.

المبحث الأول : مصاهرات السلاجقة مع الخلافة العباسية :

بعد أن سيطر السلاجقة على أغلب المدن في المشرق الاسلامي وقويت شوكتهم وأصبحوا قوى لا يستهان بها تطلعوا إلى الارتباط مع الخلافة العباسية برباط المصاهرة ، لما رأوا في ذلك من شرف لهم لما يتمتع به الخليفة العباسي من مكانة دينية في العالم الإسلامي ، لذلك فضل السلاجقة زواج بناتهم من الخلفاء العباسيين أو أبناءهم ، وتطلعوا أن تكون لتلك المصاهرات أثرها في تعميق أواصر الألفة والمحبة فيما بينهم^(٨) ..

كانت أول مصاهرة تمت بين السلاجقة والخلفاء العباسيين في عهد الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٧٤م) ، تلك المصاهرة التي تمت بعد شهور من دخول السلطان السلجوقي طغرلبيك بغداد ، وذلك على أثر ما أحدثه الجيش السلجوقي من أعمال شغب ونهب وسلب في بغداد فاستاء الخليفة القائم من تلك التصرفات وأرسل إلى السلطان يذكر له ماجرى فقام السلطان بتهدئة الوضع وحاول كسب ود الخليفة بأن يزوجه من ابنة أخيه (خديجة بنت داود بن ميكائيل) التي كانت تُعرف بأرسلان خاتون^(٩) ، وقد سعى إلى تلك المصاهرة كل من الوزير الكندري (عميد الملك ت : ٤٥٦هـ - ١٠٦٣م) بوصفه وزير السلطان ورئيس الرؤساء ابن المسلمة (علي بن الحسين ت: ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) وزير الخليفة واستمرت المشاورات بشأن تلك المصاهرة بعض الوقت فقد بدأت منذ دخول السلطان طغرلبيك بغداد إلى أن تمت الموافقة وعقد الزواج بين الطرفين ، ووصف لنا البنداري جلسة عقد الزواج بقوله : ((جلس الخليفة القائم بأمر الله وأحضر عميد الملك الكندري ، وقدمه على المقدمين وتقدم إليه بإحضار من يجوز إحضاره ، ويقع على إيثاره ، واستدعى السلطان من معه

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

فخدموا الخليفة ، وشاهدوا السدة الشريفة ، ثم شرع رئيس الرؤساء في خطبة النكاح واستوعب شرائط الايجاب بالذكر من تسمية المخطوبة والمهر ثم قال إن رأى سيدنا ومولانا أن ينعم بالقبول فقال الخليفة قد قبلنا هذا العقد بهذا الصداق^(١٠) . وبلغ صداقها مائة ألف دينار ، ودعمت تلك المصاهرة والد الخليفة القائم بأمر الله السيدة قطر الندى فقد ذهبت بنفسها إلى دار السلطان وأحضرت العروس إلى قصر الخلافة^(١١) . من الملاحظ على تلك المصاهرة أنها غير المصاهرات المعتادة من حيث الصداق فإن صداقها بلغ مائة ألف دينار ، وهو صداق كبير جداً إذا قيس بالمصاهرات التي تمت مع الخلفاء العباسيين من قبل ، فكان صداق ابنة خمارويه^(١٢) أمير الدولة الطولونية (٢٧٠-٢٨٢هـ / ٨٨٤-٨٩٦م) الذي دفعه الخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م) لأبيها لم يزد عن أربعين ألف دينار فقط، وعلى الرغم من أن ارسلان خاتون كانت إحدى بنات أخ السلطان طغرلبيك ولم تكن أبنته ، فقد نالت من الخلافة ذلك التقدير^(١٣) ، وهذا يؤكد على أن الخليفة القائم بأمر الله قد حسب لدولة السلاجقة ألف حساب من خلال ارتباطه معهم بالمصاهرة ، واكد على ذلك البنداري بقوله : ((فامتزجت الدولتان بالاستحقاق واستمرت بالبركة واستقرت المملكة))^(١٤) ، كما أشاد الحسيني على أثار تلك المصاهرة من الناحية السياسية قائلاً : ((وخلع الخليفة على السلطان طغرل سبع خلع ، وطوقه وسوره وكتب له عهداً على ماوراء بابه ، وخاطبه سلطان المشرق والمغرب ، فعظمت هيئته وكثرت شوكته واتسعت مملكته))^(١٥) ، وأدت تلك المصاهرة إلى زيادة أواصر العلاقة بين البيت السلجوقي والبيت العباسي ، وربما اقتدى السلاجقة بالبويهيين وساروا على خطاهم في التقرب من الخلافة العباسية عن طريق المصاهرة ، فسبق وأن قام عضد الدولة البويهي (٣٦٧-٣٧٢هـ/٩٧٧-٩٨٢م)^(١٦) ، بتزويج ابنته من الخليفة الطائع لله (٣٦٣-٣٨١هـ/٩٧٣-٩٩١م) ، فضلاً عما كان يرموا إليه السلطان طغرلبيك من التميز والعلو على سائر الملوك والأمراء في المشرق الإسلامي بتلك المصاهرة^(١٧) .

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

واستطاعت ارسلان خاتون بعد زواجها من الخليفة القائم بأمر الله مستغلة نفوذ السلاجقة أن تلعب دوراً في الحياة السياسية في بلاط الخلافة العباسية ، إذ لم تنقطع علاقتها مع عمها السلطان طغرلبيك وكانت تعلمه بكل تحركات الخلافة ، وقد وقعت أسيرة مع زوجها الخليفة القائم بأمر الله سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) على يد أبا الحارث البساسيري^(١٨) ، الذي وضعهم تحت الإقامة الجبرية في عانة غربي العراق ، وكان الأمير قریش بن بدران (ت : ٤٥٣هـ / ١٠٦١م) قد رافق البساسيري في حملته على بغداد فبقي الخليفة وأسرته عنده^(١٩) .

ويتضح لنا من تلك الحادثة أي وجود زوجة الخليفة ارسلان خاتون مع زوجها في اسره أمران أولهما : أن البساسيري وقریش بن بدران^(٢٠) كانا يعلمان قدر ارسلان خاتون عند السلطان طغرلبيك فعملاً على جعلها أسيرة بأيديهم لاستخدامها كورقة ضغط على السلطان في حال حدوث مفاوضات بين الأطراف المتنازعة ، أما الأمر الثاني فلا يختلف عن مضمون الأمر الأول سوى أن يكون المستفيد من أسر ارسلان خاتون هو الخليفة نفسه ، فلا مانع أن يكون الخليفة هو الذي أصر أن تكون زوجته معه لما يعلمه من قدر ارسلان خاتون عند السلطان طغرلبيك ، فوجودها مع الخليفة سيكون من عوامل سرعة تحرك السلطان لإنقاذ ابنة أخيه ارسلان خاتون ، وفعلاً تم ذلك إذ قام السلطان بالقضاء على البساسيري وعاد الخليفة وزوجته إلى بلاط الخلافة . لا بل بعد انتهاء فتنة البساسيري وعودة الخليفة إلى مركز الخلافة في ظل قوة السلاجقة ازداد نفوذ ارسلان خاتون في الدولة فأصبحت تتدخل في الأمور السياسية ، وأصبح لها دوراً أساسياً في إتمام المصاهرة التي تمت بين السلطان وابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله وسنتطرق لذلك لاحقاً .

وبعد أن شعر السلطان طغرلبيك بأنه صاحب قوة ونفوذ أقدم على أمراً لم يقدم عليه أحداً من العجم من قبل ، وهو مصاهرة الخلافة العباسية ، إذ تقدم طغرلبيك لخطبة ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وذلك بناءً على وصية زوجة السلطان

التونجان التي طلبت من طغرلبيك ان يتزوج من ابنة الخليفة وأوصته بأن يكون مالها كله لبنت الخليفة^(٢١) ، وبهذا فقد ضرب السلطان العادات والتقاليد الاجتماعية عرض الحائط ، وقصد من وراء تلك المصاهرة على حد قوله : ((الاتصال بهذه الجهة النبوية ، وبلوغ مالم يبلغه سواه من الملوك))^(٢٢) .

وتعددت الآراء حول مطلب السلطان بالمصاهرة من الخلافة العباسية فهناك رأي أشار إلى أن السلطان طغرلبيك أراد بتلك المصاهرة الجديدة تدعيم نفوذه السياسي برابطة القرابة من الخلافة العباسية دون مراعاة التقاليد الراسخة لبيت الخلافة^(٢٣) ، وهناك رأي آخر اشار اليه ابن الأثير اذا قال : ((وهذا لم يجد للخلفاء مثله ، فإن بني بويه مع تحكمهم ، ومخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا في مثل هذا ، ولا ساموهم فعله))^(٢٤) ، وذهب بهذا الاتجاه أيضاً بن دقماق الذي استنكر الأمر وقال : ((ولم يسبق احد من الملوك إلى زواج بنت خليفة قط))^(٢٥) ، وهناك من ذهب الى ابعد من ذلك إذ عدّ السيوطي تلك المصاهرة مصيبة فدعا على طغرلبيك وقال : ((فلا عفا الله عنه))^(٢٦) .

أما موقف الخليفة القائم بأمر الله من تلك المصاهرة فقد انزعج من هذا الأمر الجلل وتحير بالأمر فكيف يزوج ابنته الهاشمية القرشية إلى شخص اعجمي لا يمت الى العرب بصلة ، وقد راوغ كثير في عدم موافقته من تلك المصاهرة ، فتارة كان يهدد بالخروج من بغداد وتارة اخرى وضع عراقيل وعقبات كثيرة من بينها طلب صداق كبير جداً مقداره ثلاثمائة ألف دينار وأن يتنازل السلطان عن اعمال واسط وغيرها من المطالب^(٢٧) ، وكلف بهذا الأمر للمفاوضات ابن التميمي من جانب الخليفة والوزير عميد الملك الكندري من جانب السلطان فكانت براعة الوزير واضحة للعيان عند موافقته على طلب الخليفة فقد فوجئ ابن التميمي بالموافقة وعرضها على الخليفة لكن الخليفة أصر على عدم الموافقة وجرت مراسلات أخرى بين الطرفين لثني السلطان عن تلك المصاهرة لكن الأخير أصر على الزواج من بيت الخليفة ، وأرسل رسله للخليفة

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

لإبلاغه بتضييق الخناق عليه ، وعد هذا الرفض إهانة ، ليس لشخصه فقط وإنما لكيان دولة السلاجقة ، فأصدر أوامره في الوقت نفسه إلى الوزير الكندري بأن يقبض الإقطاعات ولا يترك منها للخليفة إلا القليل ، مما أدى إلى ضعف الموارد المالية لدى الخليفة^(٢٨) ، ولم تقتصر مضايقات طغرلبيك على تلك المسائل فقط وإنما كتب إلى دار الخلافة يطلب ابنة أخيه ارسلان خاتون لتعود إليه ، وكادت العلاقات لتصل إلى حد القطيعة بين السلطان والخليفة فلم يبق أمام الخليفة إلا الموافقة على هذه المصاهرة التي عدها الخليفة من مظاهر فقدان الخلافة العباسية هيبتها ففي نهاية الأمر وافق الخليفة على ذلك الزواج مرغماً^(٢٩) .

وورد على لسان الخليفة استنكاره على تلك المصاهرة بقوله : ((نحن بنو العباس خير الناس ، فينا الأمانة والزعامة إلى يوم القيامة ، من تمسك بنا رشد وهدى ، ومن ناوأنا ضل وغوى))^(٣٠) ، وبعد موافقة الخليفة كتب وكالة الزواج باسم الوزير عميد الملك بالإجابة وأشهد قاضي قضاة بغداد على ذلك في سنة (٤٥٤هـ/١٠٦٢م) وطلب ان يكون صداقها أربعمئة درهم من الفضة وديناراً واحداً من الذهب ، وهو صداق سيدة النساء فاطمة الزهراء^(٣١) .

ولا نعلم ماهي العوامل التي دفعت الخليفة العباسي بأن يتراجع في أمر الصداق الذي كان مقرراً في بادئ الأمر ثلاثمائة ألف دينار إلى أربعمئة درهم ودينار واحد ، ولكن على الأرجح ان الخليفة قصد بمبالغته في قيمة الصداق تعجيز السلطان طغرل ومراوغته حتى لاتتم المصاهرة ، فلما غلب على أمره أراد أن يعبر عن موقفه بأنه من الزاهدين بالدنيا ، مع الحفاظ على مكانة ابنته أمام السلاجقة .

وفرح السلطان بموافقة الخليفة فأقام الأفراح في مدينة الري^(٣٢) (طهران حالياً) عاصمة السلاجقة ودار ملكه ، ثم رحل طغرلبيك إلى بغداد في سنة (٤٥٥هـ/١٠٦٣م) فاستقبل استقبالاً رائعاً ثم عاد إلى مقر حكمه بانتظار وصول زوجته ابنة الخليفة القائم بأمر الله^(٣٣) ، وفيما يخص ذلك الزواج وردت روايات تشير إلى أن ذلك الزواج كان

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٤٥٩ هـ/١٠٥٥-١١٩٣ م)

شرفياً وليس حقيقياً إذ تبين أن السلطان طغرل وافق على شرط فرضته عليه الخلافة يقضي أن تكون المصاهرة ليست حقيقية التي عبر عنها ابن الأثير بقوله : ((وصلة الشرف لا الاجتماع))^(٣٤) ، كما ذكر ابن الجوزي بقوله : ((ان السلطان طغرل دخل على زوجته ابنة الخليفة ، وانه قبل الأرض بين يديها وخدمها وخرج من غير أن يجلس ، ولا هي قامت له ولا كشفت البرقع عن وجهها ، ولا أبصرته ، وان السلطان خرج إلى صحن دار المملكة ورجال الدولة يرقصون ويغنون بالتركية))^(٣٥) ، وهذا ما يشير إلى أن السلطان طغرل لم يدخل بها ، ويقال كذلك أن العروس عندما وصلت إلى مقر زوجها في مدينة الري وجدت زوجها قد توفي ، فلما تولى السلطان الب إرسال الحكم (٤٥٥-٤٦٥ هـ/١٠٦٣-١٠٧٣ م) أعاد ابنة الخليفة إلى أبيها رغبته في تحسين العلاقات مع الخلافة العباسية^(٣٦) .

وسعى السلطان الب إرسال (٤٥٥-٤٦٥ هـ/١٠٦٣-١٠٧٢ م) منذ بداية تسنمه الحكم إلى تحسين علاقة السلاجقة مع الخلافة العباسية ، بعد الفتور الذي حدث عندما قام السلطان طغرل بإجبار الخليفة على زواج ابنته منه ، لذلك أصدر الب إرسال أوامره في سنة (٤٥٦ هـ/١٠٦٣ م) بإعادة ابنة الخليفة إلى بغداد في موكب كبير جداً أحاطه بالأبهة والاحترام مع عدد من الأمراء ، وفي غضون ذلك أمر بإلقاء القبض على وزيره ووزير عمه عميد الملك ، معللاً للخليفة أنهما كانا سبباً من أسباب تلك المصاهرة ، ففرح الخليفة بموقف السلطان الب إرسال بإعادة ابنته ، وأمر ان تكون الخطبة لألب إرسال في بغداد من بعده وأرسل له عقد التولية على حكم السلاجقة^(٣٧) . وتبين من ذلك أن السلطان الب إرسال كان ذو حكمة ودهاء وبعد نظر باحترامه لمنصب الخلافة كونه السلطة الدينية والسياسية العليا في الدولة العباسية ، إذ لاقى موقفه هذا تقديراً واحتراماً وصداً طيباً من قبل الخليفة القائم بأمر الله ، فلا شك أن هذا الموقف قد رفع من منزلة ومكانة السلطان عند الخليفة .

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

وفي سنة (٤٦٤هـ/١٠٧١م) توثقت العلاقات السلجوقية العباسية بمصاهرة جديدة بين ولي عهد الخليفة القائم بأمر الله (المقتدي بالله) وابنة السلطان الب ارسلان (الخاتون السفرية)^(٣٨) ، أما المكسب السياسي الذي حصل عليه السلطان الب ارسلان من تلك المصاهرة وما سعى من تحقيقه هو إرساله في السنة نفسها طلب إلى الخليفة مطالباً إياه بإقرار ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م) ابن الب ارسلان على ولاية عرش أبيه ، فوافق الخليفة على طلبه ، طمعاً بتقوية العلاقات فيما بينهم^(٣٩) ، لكن المصادر التاريخية ذكرت لنا مصاهرة أخرى جرت للمقتدي بالله (٤٦٧-٤٨٧هـ/١٠٧٤-١٠٩٤م) عندما أصبح خليفة مع السلطان ملكشاه وذلك في سنة (٤٧٥هـ/١٠٨٢م)^(٤٠) . وعند إمعان النظر في هذه المصاهرة نجد من غير المعقول التسليم بتلك الروايات حول المصاهرة الثانية ، إذ كيف جمع المقتدي بالله بين الزوجتين أي بين بنت ملكشاه (مهلك خاتون) وعمتها خاتون السفرية التي تحدثنا عنها سابقاً ، فلم تشير إليها المصادر التاريخية ولم ترد أية إشارة عن مصيرها بعد زواج المقتدي بالله من ابنة ملكشاه ، فمن المرجح أن خاتون السفرية الزوجة الأولى للمقتدي بالله قد توفيت ، فتزوج بعدها بنت السلطان ملكشاه .

وعلى أية حال فقد تقدم الخليفة المقتدي بالله لخطبة (مهلك خاتون) بنت السلطان ملكشاه لنفسه ، بعد نصيحة تقدم بها الوزير نظام الملك إلى الخليفة ، لتحسين العلاقة بين الطرفين التي ساءت في أكثر من مرة حتى وصل به الأمر إلى محاولته خلع الخليفة ، لكن تلك المصاهرة اتت لتكون فرصة للتقارب بينهم ، فذهب وفد الخليفة إلى السلطان ملكشاه في سنة (٤٧٥هـ/١٠٨٢م) للتباحث بشأن ذلك الزواج فأوكل ملكشاه أمر الزواج إلى والدتها (تركان خاتون) فطلبت ان يكون مهرها أربعمئة ألف دينار ، وذكرت أن العديد من الامراء وحكام دويلات المشرق الاسلامي قد تقدموا لخطبتها وبذل كل واحد منهم عن ولده أربعمئة ألف دينار ، وان بذلها الخليفة فأنى اختار شرفه^(٤١) .

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

اتضح مما ذكرته تركان خاتون أنها وضعت الخليفة العباسي في المستوى نفسه الذي نظرت به إلى غيره من الحكام والامراء ، وجعلت أفضلية الخليفة عليهم مرتبطة بدفعه الصداق الذي دفعه ممن سبقه ، وتلك النظرة تشير إلى تدني هيبة الخلافة في نظر السلاجقة، وهكذا جعلت الخلافة في مستوى واحد مع بقية القوى السياسية في المنطقة .

وفي تلك الأثناء ظهرت ارسلا ن خاتون زوجة الخليفة القائم بأمر الله من جديد على المسرح السياسي لتتدخل في أحداث تلك المصاهرة ، فقد سعت جاهدة لإتمام هذه المصاهرة وإقناع والددة العروس بما ستتاله ابنتها من شرف ومكانة عالية في البلاط العباسي من الخدم والحشم والأبهة ، وإن ملوك المنطقة وحكامها جميعهم خدم لدى الخليفة التي قارنتهم به ، فمثل الخليفة لايقابل بطلب المال ، فوافقت بعد تلك النصيحة على ذلك الزواج بشروط وافق عليها الخليفة ، وهي أن يكون صداقها خمسين ألف دينار ، وأن لا تبقى له زوجة غيرها ، ويكون مبيته عندها فقط^(٤٢) .

وقد أجل الزواج إلى سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) ، ولا نعلم الأسباب التي تكمن وراء ذلك التأجيل ، ربما كان صغر سن ابنة ملكشاه احدى أسباب تأجيل الزواج ، وربما كان الانشغال في التجهيز لها من عوامل التأجيل كذلك فقد ذكر أن جهاز ابنة السلطان فاق الوصف ، فتم حمله على مائة وثلاثين جملاً ، كان اغلبها من الذهب والفضة ، كما حملت البغال الجواهر والحلي ، وزينت الخيول التي حملت تلك العروس ومن معها^(٤٣) ، لكن هذا الوصف لجهاز العروس قد تجاوز المعقول وفيه مبالغة كبيرة جداً فكيف لنا التسليم بمثل تلك الرواية التي لا يقبلها العقل بأن تكون مئة وثلاثين جملاً محملة بالذهب والفضة فإذا كان جهاز ابنة السلطان بهذا القدر من الذهب والفضة فإذاً كم سيكون خزين دولة السلاجقة من هذان المعدنان النفيسان فالأمر فيه مبالغة ولا يمكن التسليم به ، ربما كان الأمر إعلامياً لبيان إمكانيات وقدرات دولة السلاجقة سياسياً واقتصادياً .

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

ومهما يكن من امر فقد احتفل أهل بغداد وزينت شوارعها بهذه المناسبة ، وشارك في الاحتفال كبار رجال الدولتين العباسية والسلجوقية ، وبعد ذلك الزواج ازداد نفوذ زوجة الخليفة مهملك خاتون وجعلت على بابها حراس من السلاجقة فأساءوا التصرف وتجاوزوا على العامة في بغداد ، فطردهم الخليفة وساعت معاملته الخليفة لزوجته التي اشتكت بدورها الأمر لأبيها ، فترتب على ذلك بأن كتب السلطان ملكشاه إلى الخليفة كتاباً طلب فيه بإرسال ابنته إليه مع طفلها المدعو (جعفر) ، فسارت الخاتون مع ابنها إلى أبيها في سنة (٤٨٢هـ/١٠٨٩م) ووصلت إلى أصفهان^(٤٤) ، بمقر أبيها ، وبقيت بها إلى أن توفيت في ذي القعدة من السنة نفسها التي وصلت فيها ، وترك أبنها في حضانة أمها ترکان خاتون والسلطان ملكشاه^(٤٥) .

أهتم السلطان ملكشاه بالطفل الصغير وأولاه عناية خاصة هو وترکان خاتون ، إذ كان السلطان يصطحبه معه في جولاته لأصفهان والري ، وعمل على إعدادة لتولي الخلافة ، حتى وصل الأمر إلى أن ترکان خاتون زوجة السلطان كانت تتنادي جعفرأ بحضور أبيه الخليفة القائم بأمر الله (بأمر المؤمنين) ، كما فكر ملكشاه ببناء دار للخلافة في أصفهان تكون مقراً للأمير جعفر^(٤٦) ، فعمل السلاجقة فكروا بنقل مركز الخلافة من بغداد إلى أصفهان ، راغبين في إسناد الخلافة إلى جعفر الذي يحمل الدماء السلجوقية عن طريق أمه مهملك خاتون ، ويبدو أن ذلك الأمر دفع السلطان إلى مقاطعة الخليفة فأصدر أمراً بعزله عن الخلافة وعزم السير بنفسه إلى بغداد في سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) ، لكن المنية وافته قبل وصوله إليها^(٤٧) .

ولم تتوقف المصاهرات بين الخلافة العباسية والسلاجقة ، بعد السلطان ملكشاه ، ففي سنة (٥٠٤هـ/١١١٠م) ، جرت مصاهرة بين الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م) وأخت السلطان محمد بن ملكشاه (٤٩٨-٥١١هـ/١١٠٤-١١١٧م) (سيدة خاتون) إذ تم التفاهم على تلك المصاهرة ، وقد دفع الخليفة صداقها وقدره مائة ألف دينار^(٤٨) ، وعلى الرغم من عدم توفر المعلومات الكافية عن تلك

المصاهرات السياسية للسلجوقية في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

المصاهرة ، إلا أن الكثير من الدلائل تبين مدى ما وصلت إليه العلاقات الطيبة من مودة واحترام بين الخلافة والدولة السلجوقية آنذاك .

وفي سنة (٥١٨هـ/١١٢٤م) أقدم الخليفة المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٤م) على مصاهرة البيت السلجوقي بخطبته بنت السلطان سنجر بن ملكشاه (٥١١-٥٥٢هـ/١١١٧-١١٥٧م) ، إذ كلف الخليفة للعقد قاضي القضاة زين الإسلام أبا سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي (ت : ٥١٨هـ / ١١٢٤م) ، وبنى لها داراً على حافة نهر دجلة وتزوج منها في تلك الدار^(٤٩) ، وقد قصد السلطان سنجر من هذا الزواج تحسين العلاقات مع الخلافة العباسية وأن يكون له نفوذ واستبداد في الحكم .

وجرت آخر مصاهرة بين الخلافة العباسية والدولة السلجوقية في عهد الخليفة المقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٥-١١٦٠م) ، إذ تزوج الخليفة المقتفي من فاطمة خاتون^(٥٠) ، أخت السلطان مسعود بن محمد (٥٢٩-٥٤٧هـ/١١٣٤-١١٥٢م) ، مقابل زواج مسعود من ابنة الخليفة المقتفي في سنة (٥٣٤هـ/١١٣٩م) ، ولم يكن أي اختلاف في زواج الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله عن الزيجات التي سبقتها في العصر العباسي مع البيت السلجوقي ، لكن الاختلاف يكمن في المصاهرة الثانية من الطرف الثاني عندما تزوج السلطان مسعود بابنة الخليفة المقتفي لأمر الله^(٥١) ، فإن الملفت للنظر في هذه المصاهرة إنها لم تسبب أية مشاكل كما حدث من قبل عند زواج السلطان طغرل بك بابنة الخليفة القائم بأمر الله ، فما هو السبب وراء ذلك الهدوء من جانب الخلافة ؟ وأين ذهب مشاعر الأنفة والكبرياء من زواج العجم لبنات الخلفاء ؟ ولعل السبب في ذلك أن المصاهرة الأولى التي تمت بين طغرل بك والخليفة القائم قد امتصت مشاعر الرفض التي كانت مهيمنة على البيت العباسي ، وإن الرفض لمصاهرة الأتراك لم يعد له مبرر من الناحية المعنوية وذلك لحصوله من قبل ، فضلاً عن الوضع السياسي المضطرب الذي كانت عليه الخلافة العباسية في بداية عهد

المصاهرات السياسية للسلالة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

الخليفة المقتفي لأمر الله ، فقد استغل السلطان مسعود الظروف التي بويح فيها المقتفي بالخلافة بعد مقتل الخليفين المسترشد والراشد ، فسعى جاهداً إلى خلع الخليفة الراشد وتولية المقتفي^(٥٢) .

وفي تلك الظروف لم يكن للمقتفي أن يرفض مصاهرة السلطان مسعود صاحب الفضل عليه في تقلده منصب الخلافة ، لذلك جرت المصاهرة بين الطرفين ، ومن المرجح كذلك ان السلطان مسعود قد سعى لإتمام تلك المصاهرة في ذلك الوقت بالذات رغبة منه في تحسين العلاقات مع الخلافة العباسية لاسيما بعد مافعله بالخليفين المسترشد والراشد ، وليظهر نفسه بشكل أكثر شرعية في نظر رعيته ، رغباً في فتح صفحة جديدة معها ، فضلاً عن سعيه من وراء تلك المصاهرة إلى كسب قوة الخلافة للتصدي لأي قوة تنافسه^(٥٣) .

وبعد وفاة السلطان مسعود سنة (٥٤٧هـ/١١٥٢م) اختفت ظاهرة المصاهرات السياسية بين الخلافة العباسية والسلالة ، وكان العامل الأساس من وراء إنهاء المصاهرات وعدم الإقدام عليها ، هو ماتعرضت له الدولة السلجوقية من ضعف جراء الصراع الداخلي بين أفراد البيت السلجوقي وانشغالها بحل مشاكلها الداخلية ، فضلاً عن صعوبة الخلافة لإعادة هيكلتها تجاه القوى المناوئة للخلافة العباسية ، ويذكر أن السلطان مسعود السلجوقي كان آخر السلاطين نفوذاً على الخلافة في العراق ، فأشار السيوطي إلى ذلك بقوله : ((أنه جدد معالم الإمامة ، ومهد رسوم الخلافة وياشر الأمور بنفسه ، وفي عهده عادت بغداد والعراق إلى يد الخلفاء ولم يبقَ منازع))^(٥٤) .

ويتضح من المصاهرات العباسية السلجوقية أنها تحكمت فيها الظروف السياسية ، إذ استطاع السلالة بسرعة كبيرة سيطرتهم على أغلب أقاليم المشرق الإسلامي ، وامتد نفوذهم إلى العراق وحصلوا على عهود التولية من الخلافة العباسية ، الأمر الذي دفعهم وشجعهم على إقامة مصاهرات معهم لخدمة أهدافهم السياسية واطماعهم التوسعية في المنطقة .

المبحث الثاني : مصاهرات السلاجقة مع بعضهم البعض :

تمسك السلاجقة بتقاليدهم في الزواج فقد اختاروا نساءهم في أغلب الأحيان من النساء التركيات من بنات السلاطين السلاجقة ، فالذي أرسى دعائم ذلك النظام هو السلطان طغرلبيك وسار عليه من جاء بعده من السلاطين السلاجقة ، فأرتبط السلاجقة فيما بينهم بعلاقات سياسية واجتماعية متنوعة بسبب التنافس السياسي بين فروع البيت السلجوقي ، فكانت المصاهرات إحدى أشكال تلك العلاقات التي غالباً ما كانت تحدث أعقاب الحروب الداخلية بين حكام السلاجقة للتعبير عن أجواء التفاهم والاحترام وإنهاء الحرب فيما بينهم ، كما سعى السلاطين إلى خلق روح الاندماج بين البيت السلجوقي والتآلف بينهم ، وعدت المصاهرات إحدى مظاهر ذلك الترابط الأسري ، فبعد وفاة جغري بك بن داود بن ميكائيل سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) تزوج السلطان طغرلبيك من زوجة أخيه المتوفي التي تدعى أم سليمان^(٥٥) . وربما يسأل سائل ما السبب الذي دفع السلطان طغرلبيك إلى الزواج من أم سليمان دون غيرها من زوجات أخيه جغري بك المتوفي ، فمن المعلوم أن جغري كان لديه أبناء من زوجاته الأخريات وقد أوصى أن يكون حكم خراسان من بعده لأبنه آلب ارسلان من زوجة أخرى ، وكان لديه أبناء آخرون من زوجات أخريات وهم (ياقوتي وقاروت وسليمان) فما هو السر وراء ذلك الزواج^(٥٦) . والراجح أن سليمان كان أكثر هؤلاء الأولاد حاجة لرعاية عمه السلطان طغرلبيك ، إذ كان طفلاً عند وفاة والده وأن زوجته أم سليمان كانت في أوج شبابها عند وفاة زوجها ، فكانت تلك المصاهرة حفاظاً على الطفل ، فضلاً عن أن أم سليمان هي الزوجة الوحيدة من أصول تركية من بين زوجات جغري بك ، وقصد أيضاً من تلك الزيجة الحفاظ على وحدة البيت السلجوقي ، وتأكيداً على ذلك فقد اهتم طغرلبيك بسليمان ووالدته ، إذ منحه ولاية العهد على الرغم من صغر سنه مما يؤكد نقاء نسبه السلجوقي ، وهناك من يعزو ذلك إلى نفوذ والدته التي تمكنت من إقناع السلطان طغرلبيك بأن يعهد بولاية العهد لابنها سليمان^(٥٧) ، لكن ولاية العهد لم تدم طويلاً إذ

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

عزل عن عرش السلاجقة بعد وفاة طغرلبيك من قبل أخيه آلب ارسلان حاكم خراسان واستأثر بحكم السلاجقة كسلطان عام عليهم^(٥٨).

وعمل السلطان الب ارسلان في عهده أيضاً على لم شمل الأسرة السلجوقية عن طريق المصاهرة وربطها مع بعضها البعض بفروعها المختلفة ، ففي سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م) تمرد قاورد (٤٤٠-٤٦٦هـ/١٠٥٢-١٠٧٣م) الملقب قرا ارسلان ملك كرمان^(٥٩) ، وخرج عن طاعة السلطان الب ارسلان ، إلا ان السلطان استطاع ان يهزمه بمدة قصيرة ، ففر هارباً إلى مدينة جيرفت^(٦٠) ، وبدأ يجري اتصالاته من تلك المدينة بالسلطان الب ارسلان يطلب منه السماح والعودة إلى ولاية كرمان ، فوافق السلطان على عقد المصالحة بين الطرفين بشرط ، وقد تضمن الاتفاق على ان يتعهد السلطان بتزويج بنات قرا ارسلان ، وأن يتكفل بزواجهن ومنح كل واحدة منهن مائة ألف دينار ، فضلاً عن الثياب والإقطاعات ، بشرط زواجهن من أفراد البيت السلجوقي^(٦١) ، كما أوصى السلطان الب ارسلان وهو على فراش الموت ابنه ملكشاه في خطوة لجمع البيت السلجوقي بإن يعطي عمه قاورد بك بن جفري بك داؤد أعمال اقليم فارس فارس^(٦٢) ، وكرمان وشيئاً من المال عينه له ، وأوصى كذلك ان يتزوج قارود من زوجة الب ارسلان بعد وفاته^(٦٣) . تبين من خلال هذه المصاهرة ان السلاجقة لم يجدوا حرجاً في زواج زوجاتهم من الأمراء والولاة السلاجقة بعد وفاتهم حفاظاً على تقوية الروابط الأسرية داخل البيت السلجوقي على الرغم من تعدد فروعها وبطونها ، وان هذه الظاهرة قد تكررت ، ففي الأول تزوج طغرلبيك من زوجة أخيه جفري بك بعد وفاته ، فاقتدى السلطان الب ارسلان بعمه طغرلبيك وأوصى بزواج زوجته بعد وفاته من أخيه قارود .

وتزوج السلطان ملكشاه من ابنة عمه ياقوتي بن جفري بك التي تدعى (زبيدة خاتون) وهو ولي للعهد ، وكان الهدف من تلك المصاهرة ربط أبناء ياقوتي الذين حكموا اذربيجان^(٦٤) بأبناء عمهم الب ارسلان الذين ورثوا السلطة بعد وفاة ابيهم ، وقد

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٤٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

سعت زبيدة خاتون جاهدة لأجل الحصول على عهد التولية لأبنها بركياروق (٤٧٢-٤٩٨هـ/١٠٧٩-١١٠٤م) لعرش السلطنة السلجوقية ، ودخلت في حرب مع ترکان خاتون زوجة السلطان ملكشاه الثانية منافسة إياها لتحقيق ذلك الهدف ، فبعد وفاة السلطان ملكشاه سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) طلبت زبيدة من أخيها إسماعيل بن ياقوتي (ت: ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م) في انريجان مساعدتها ، فقدم لها المساعدة وحصلت على عهد التولية لأبنها بركياروق ، فضلاً عن مساندة كبار رجال الدولة السلجوقية وقادتها لها^(٦٥) ، لكن ترکان خاتون لم يهدأ لها بال من أجل تولية ابنها محمود لعرش السلطنة السلجوقية ، فقد دبّرت خطة جنونية لنيل مرادها ، وهي مصاهرة احد أمراء السلاجقة لدعم موقفها ، والطريف في ذلك أنها بدأت تلمح للأمير إسماعيل بن ياقوتي (أخو زبيدة خاتون) إلى الزواج منها على شرط الوقوف معها في محاربة ابن أخته بركياروق بن ملكشاه ، وبدأ إسماعيل الاتصال بترکان خاتون لترتيب اوضاع الحرب فقدمت له المال والعسكر لخوض تلك الحرب ، فخاض الأمير إسماعيل بن ياقوتي الحرب ضد السلطان بركياروق ابن أخته واستطاع بركياروق ان يلحق الهزيمة به في سنة (٤٨٦هـ/١٠٩٣م) ، فأضطر إسماعيل بن ياقوتي للفرار باتجاه أصبهان مكان تواجد ترکان خاتون ، فاستقبلته استقبالاً حاراً ، وأمرت أن تكون الخطبة له بعد ابنها وضربت أسمه على النقود^(٦٦) . وهذا ما يشير إلى أن نوايا المصاهرة قائمة لحد تلك اللحظة وبالإمكان الزواج من بعضها البعض ، لكن الأمير إسماعيل بن ياقوتي شعر بأن الأجواء غير مقنعة لبقائه مع ترکان خاتون ، ولأسيما بأن الأمراء والقادة السلاجقة قد حقدوا عليه ، لذا فضل الانسحاب من اصفهان والتخلي عن فكرة زواجه من ترکان خاتون ، فلم يكن أمامه إلا أخته للذهاب إليها في مدينة الري ، فأرسل لها رسالة يطلب منها الموافقة على قدومه إليها فوافقت ، ووصل إليها ، لكن مصيره كان القتل على يد مجموعة من القادة والأمراء بعد اعترافه أنه طلب ذلك أي السلطان لنفسه فقتلوه بهذا الاعتراف^(٦٧) .

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

هنا يتبادر سؤال في الذهن وهو ماهي الدوافع التي دفعت الأمير إسماعيل بن ياقوتي إلى الإقدام على مثل هذا الأمر ، ودون الوقوف إلى جانب أخته وابنها بركياروق ؟ وعلى الأرجح أن الأمير إسماعيل كان طامعاً بسلطنة السلاجقة قبل فكرة المصاهرة مع ترکان خاتون ، فأتت تلك فرصة لتحقيق غايته ، ولأسيما أن الأمير محمود بن ملكشاه كان طفلاً عند وفاة والده ، فهذا يشير إلى أن الأمير إسماعيل باستطاعته الاستئثار بالسلطة ، فليس السبب مقنع في المصاهرة بأن يوافق إسماعيل بن ياقوتي على تلبية طلب ترکان خاتون بالزواج فحسب ، وأن يعادي أخته وابنها ، لو لم يكن يخفي تحت أنفاسه مطامع أخرى وهي السلطنة السلجوقية فكان بالفعل يتطلع إلى تولي ذلك العرش فذهب ضحية طموحه الذي لم يتحقق .

ومن المصاهرات الأخرى التي حصلت للسلاجقة مع بعضهم البعض هي مصاهرة السلطان سنجر بن ملكشاه (٥١١-٥٥٢هـ/١١١٧-١١٥٧م) مع ابن أخيه محمود بن محمد بن ملكشاه (ت: ٥٢٦هـ / ١١٣١م) فقد حدثت أعقاب الحرب التي جرت بينهم ، وكان وراءها قادة السلطان محمود لإفساد مابينه وبين عمه سنجر ، الملقب ببرهان أمير المؤمنين حاكم خراسان ، إذ وصل الأمر بمحمود أن راسل خان سمرقند^(٦٨) يحرضه على مقاتلة عمه سنجر ، والقضاء عليه^(٦٩) ، فمن هنا رأى السلطان سنجر أن الأخطار محدقة به وان أوضاع الدولة السلجوقية تحتاج إلى إصلاح ، فجهز جيش وسار ناحية العراق ، لملاقاة ابن أخيه محمود ، فالتقى الطرفان في سنة (٥١٣هـ/١١١٧م) فألحق الهزيمة به ، وعلى الرغم من انتصار السلطان في تلك المعركة ، إلا أنه راسل ابن أخيه من أجل المصالحة ، وبالفعل تم الصلح بين الطرفين ، فأقر السلطان سنجر ابن أخيه (محمود) على العراق ، ثم أُنقذ الاثنان على عقد مصاهرة ، إذ تزوج محمود من ابنة عمه سنجر وتدعى (مهلك خاتون - وهذه ليس مهملك خاتون بنت السلطان ملكشاه سابقة الذكر) ، وبهذه المصاهرة عاد الوفاق بين السلاجقة من جديد ، ولكن سرعان ما توفيت مهملك خاتون في سنة (٥١٦هـ-

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

١١٢٢م) فحزن عليها أبيها السلطان سنجر حزناً شديداً^(٧٠) ، إلا أنه كان حريصاً على دوام الصلة بينه وبين ابن أخيه ، حفاظاً على استقرار الأوضاع داخل الدولة السلجوقية ، لذلك فقد زوجه ابنته الأخرى الأميرة (إيمن ستي خاتون) الأخت الصغرى لمهلك خاتون ، وقيل أنه أنجب طفلاً من كل منهما^(٧١) .

وجرت مصاهرات أخرى داخل البيت السلجوقي في عهد السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه (٥٢٧-٥٤٧هـ/١١٣٢-١١٥٢م) بعد الأحداث التي شهدتها دولة السلاجقة بوفاة السلطان طغرل بك بن محمد بن ملكشاه سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م) بهمذان^(٧٢) ، إذ تمرد بعض المخالفين للسلطان مسعود بقيادة الأتابك قرا سنقر^(٧٣) ، وعملوا على إثارة الملك داؤد بن محمود ابن محمد على عمه مسعود الذي طالب بحكم العراق ، لكن سرعان ما وصل السلطان مسعود إلى همذان وافشل مخطط ابن أخيه داؤد ، وعلى الرغم من إفشاله مسعى بعض القادة أثناء محاولتهم الخروج عليه ، إلا أنه حرص على تماسك العائلة السلجوقية واستقرارها من خلال إدانة أواصر المودة والوفاء بين أفرادها ، وعمل على ربط السلاجقة بالمصاهرة مرة أخرى مقتدياً بسياسة عمه السلطان سنجر ، فجعل ابن أخيه الملك داؤد ولياً للعهد وزوجه من ابنته (كوهر خاتون) ، وولاه ولاية انزليجان^(٧٤) .

وبذلك استطاع السلطان مسعود إنهاء إحدى مشاكله السياسية مع ابن أخيه وبعض القادة المساندين له الذين نازعوه على السلطنة ، وعلى الرغم من أن السلطان مسعود استطاع إرضاء الملك داؤد بولاية العهد وزواجه من ابنته وجعله والياً على انزليجان ، إلا أنه تعرض للاغتيال في سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م)^(٧٥) .

ولجأ السلطان مسعود إلى الأسلوب نفسه الذي اتبعه في استمالة خصومه من أبناء السلاطين والأمراء السلاجقة ، محاولة منه في لم شمل الأسرة السلجوقية وعدم تفككها ، لاسيما بعد أن خرج عليه الملكان محمد وملكشاه أبناء محمود بن ملكشاه ، بدعم من صاحب اقليم فارس المدعو (بوزابة) ، فعالج السلطان مسعود تمرد هؤلاء

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

القادة بحكمة ولين ، فتخلص منهم الواحد تلو الآخر ، كما سوى مشاكله مع أبناء أخيه بالتراضي ففي سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م) عهد لمحمد بولاية خوزستان^(٧٦) ، وتعهد كذلك أن يزوجه من أرملة أخيه داؤد ابنة السلطان مسعود (كوهر خاتون)^(٧٧) . وهكذا تمكن السلطان مسعود باتباعه سياسة عمه السلطان سنجر وتوجيهاته في الحفاظ على تماسك ووحدته البيت السلجوقي ، بذلك النوع من المصاهرات التي كان الهدف الأساس منها هو استقرار أوضاع الدولة السلجوقية

كما ذكر الحسيني أن السلطان مسعود بن محمد ، كان متزوجاً من السيدة زبيدة خاتون ابنة بركياروق بن ملكشاه ، ولكنه لم يذكر إذ كانت تعد كزوجته قبل توليه السلطنة أم بعدها ، كما انه لم يحدد تاريخ تلك المصاهرة ، سوى بعض الإشارات التي نوهت إلى أن زبيدة خاتون كانت غالبية على أمره ، فتلك إشارة تدل على إنها كانت زوجته عند توليه السلطة^(٧٨) ، وبعد وفاة زبيدة خاتون ابنة بركياروق سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م) عقد مصاهرة سياسية أخرى مع ابنة قاروت (ت: ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) بن جغري بيك داؤد عم السلطان ملكشاه السلجوقي^(٧٩) .

وفي سنة (٥٣٣هـ/١١٣٨م) أقدم ابن قاروت بك ملك كرمان، على الزواج من خاتون المستظهيرية عمه السلطان مسعود التي كانت متزوجة من الخليفة المستظهر بالله العباسي سنة (٥٠٤هـ/١١١٠م) فوافق السلطان مسعود على تلك المصاهرة من أجل الحفاظ على وحدة البيت السلجوقي ، ولما للمرأة من دور في تقوية العلاقات الأسرية بين أبناء البيت الواحد ، إلا أنها مالبثت أن توفيت قبل وصولها إلى كرمان^(٨٠) .

وكانت الظروف السياسية التي تمر بها دولة السلاجقة في آخر أيامها من ابرز العوامل التي دفعت السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه (٥٤٨-٥٥٤هـ/١١٥٣-١١٥٩م) إلى إقامة التوازن والاتفاق بين البيت السلجوقي ، وذلك لأن الصراع كان قائماً بين السلطان محمد وأخيه ملكشاه ومن أيده من القادة على التمرد ،

فرأى السلطان محمد ضرورة كسب ود القائمين على جبهة كرمان بالارتباط معهم بمصاهرة سياسية وبالفعل تقدم السلطان محمد لخطبة ابنة ملك كرمان^(٨١)، إذ كان الهدف منها كسب أنصار جدد داخل البيت السلجوقي في العراق، إلا أن تلك المصاهرة لم تكتمل بالشكل الذي أراده السلطان، وذلك بسبب مرض السلطان محمد، فلم تستمر تلك المصاهرة أكثر من خمسة أشهر، وبقيت لا تحمل من معاني الزواج أكثر من مغزاها السياسي، وبقيت العروسة حزينة على زوجها الذي فارق الحياة سنة (٥٥٤هـ/١١٥٩م)^(٨٢).

المبحث الثالث : مصاهرات السلاجقة مع أمرائهم وولاتهم وقادتهم :

شهد العصر السلجوقي علاقة متماسكة بين السلاطين السلاجقة وولاتهم وقادتهم وأمرائهم فضلاً عن أتابكتهم^(٨٣)، فلم يشعروا بالتفرقة والاستعلاء عليهم، بل ازدادت العلاقة وثاماً عن طريق المصاهرة، ويرجع ذلك إلى ما تميز به العصر السلجوقي من مرونة في العلاقات الاجتماعية بين الأسرة السلجوقية كأُسرة حاكمة من ناحية وبين ولاية السلاجقة وقادتهم وأتابكتهم من ناحية أخرى، وذلك حرصاً على الاستقرار السياسي للبلاد، فلم يبخل سلاطين السلاجقة ببنايتهم وأراملهم، أو غيرهن من نساء السلاجقة على أحد قاداتهم وولاتهم، كما أبدت المرأة السلجوقية رغبتها في مثل تلك المصاهرات خدمة للدولة السلجوقية، كما سنبين ذلك لاحقاً.

وقد عمل السلاجقة جاهدين منذ بداية حكمهم على توحيد علاقاتهم مع حكام الولايات والعمل على ربطها بالسلطة المركزية السلجوقية عن طريق المصاهرات لمواجهة المخاطر المحدقة بالدولة السلجوقية فالسلطان ألب ارسلان بعد سيطرته على الكثير من ولايات المشرق الإسلامي كأصبيهان وكرمان، وتعدد جبهات القتال عليه، اضطر إلى البحث عن حلول سلمية مع بعض الأمراء والولاة والقادة، فعقد مصاهرات مع بعضهم، ففي سنة (٤٦٢هـ/١٠٦٩م) تزوج والي خوزستان تاج الملوك (هزارسب بن بنكير) من أخت السلطان ألب ارسلان^(٨٤)، وكان نتيجة تلك المصاهرة بأن علا

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

شأن تاج الملوك عند السلطان ، ودفع الخطر عن السلاجقة من ولاية خوزستان وبذلك أطمأن على الحالة السياسية فيها .

وعقدت مصاهرة ثانية في عهد السلطان الب ارسلان مع شرف الدولة الأمير مسلم بن قريش أمير بني عقيل حاكم الموصل (٤٥٣-٤٧٨هـ/١٠٦١-١٠٨٥م) ، إذ تزوج من اخت السلطان (صفية خاتون) التي كانت زوجة لتاج الملوك هزاسب بعد وفاته ، فوصل إلى المكانة التي كان عليها هزاسب عند السلطان^(٨٥) ، وفي عهد السلطان ملكشاه وبعد وفاة شرف الدولة تزوجها أخيه إبراهيم (٤٧٩-٤٨٦هـ/١٠٨٦-١٠٩٣م) ، وكان لها ولد من شرف الدولة اسمه علي ، وله اخ من ابيه من زوجة ثانية اسمه محمد ، الذي دخل في صراع مع أخيه حول حكم الموصل ، فأراد السلطان ملكشاه استمالة محمد بن شرف الدولة أملاً في استقرار الأوضاع في الموصل ، فزوجه من أخته زليخا خاتون واقطعه بعض المناطق في العراق والشام في سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)^(٨٦) .

وبعد وفاة السلطان ملكشاه سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) تنازع علي وأخوه محمد على حكم الموصل ، فانتهى الصراع لصالح صفية خاتون وأبنها علي وأصبحت الموصل تحت تصرفهما^(٨٧) ، كما عقد السلطان ملكشاه مصاهرة سياسية أخرى مع حاكم الإمارة الكاكوية^(٨٨) في إقليم الجبال الأمير علي بن أبي منصور فرامر بن علاء الدولة بن كاكويه (٤٦٩-٤٨٨هـ/١٠٧٦-١٠٩٥م) ، إذ زوجه من (ارسلان خاتون) ابنة جغري بك داؤد ارملة الخليفة القائم بأمر الله سنة (٤٦٩هـ/١٠٧٦م) فوافقت ارسلان على تلك المصاهرة خدمةً لدولتها^(٨٩) ، وقد علق البنداري على تلك المصاهرة قائلاً : (فاستبدلت القريشي بالديلمى ، والإمام بالأمي)^(٩٠) .

وكانت المصاهرة في بعض الأحيان مكافأة السلاطين السلاجقة لبعض قادتهم بتزويجهم من إحدى نساء السلاطين المتوفين ، فمن ابرز تلك المصاهرات مصاهرة السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه في سنة (٥١١هـ/١١١٧م) عندما قام بتزويج

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

أرملة أبيه محمد بن ملكشاه السيدة (نيسيت اندر جهان) من الأمير منكوبرس^(٩١)، وكانت الغاية من تلك المصاهرة استمالة منكوبرس وكسب ولائه وثقته بهذا الزواج إلا أن هذا الزواج لم يدم طويلاً فسرعان ما تم قتل منكوبرس على يد السلطان محمود^(٩٢).

وبقيت السيدة (نيسيت اندرجهان) أرملة إلى أن ابتسم لها الحظ من جديد لتتزوج من والي العراق الأمير اقسنقر البرسقي^(٩٣)، بعد أن وافق السلطان محمود على الزواج، فقد اخلص هذا الأمير خدمة للسلطان، وأرسله لمقاتلة دبيس بن صدقة (ت: ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) أمير الحلة بسبب موقفه العدائي للسلطان محمود وأخيه مسعود، فاستطاع البرسقي من إلحاق الهزيمة بدبيس^(٩٤)، ولم تكن تلك المصاهرة فريدة في العصر السلجوقي، إذ أقدم الأمير شمس الدين ايلدكز^(٩٥)، والي اذربيجان على الزواج من أرملة السلطان طغرل بن محمد وتدعى مؤمنة خاتون، وكان ذلك بموافقة السلطان مسعود، فأنجبت منه ولدان وبنت، والهدف من وراء تلك المصاهرة هو استمالة الاتابك شمس الدين الذي حظي بمكانة مرموقة لدى السلطان مسعود، وعندما كانت النساء السلجوقيات تُطلق لأسباب سياسية أو دينية، فينعم عليها السلاطين السلاجقة بأحد رجال الدولة السلجوقية كالعسكريين منهم مما ساعد على توثيق صلاتهم بقادتهم وولاتهم على المناطق التابعة لهم^(٩٦).

واستغل الاتابك ايلدكز نفوذه وتأثيره على السلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه، وجعله يعهد بولاية العهد لارسلان بن طغرل بن محمد الذي وصل إلى عرش السلطنة السلجوقية، بمساعدة زوج والدته الاتابك ايلدكز، فعلا شأنه بعد أن قرّبه السلطان ارسلان وأوكل إليه مسؤولية رعاية أمور الدولة ومنحه لقب (الاتابك الأعظم)^(٩٧)، واتبع الاتابك شمس الدين ايلدكز السياسة ذاتها التي سار عليها السلاطين السلاجقة قبله في المصاهرات وما تحقّقه من مكاسب، لذا فقد سعى ايلدكز لإقامة مصاهرات سياسية لتقوية العلاقات الاجتماعية بين الدولة السلجوقية وأمرائها

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

على أطراف الدولة التابعين لها ، فشجع السلطان ارسلان على مصاهرة حاكم مدينة همذان الأمير فخر الدين علاء الدولة ، إذ أقدم على خطبة أخته المدعوة (فاطمة) وتزوجها في سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م) ، وبذلك ضمن الاستقرار في همذان ومساعدة واليها فخر الدين ^(٩٨).

وخرجت المصاهرات هذه المرة عن الطور المألوف بأن تكون بين السلاطين السلاجقة وأمرائهم وقادتهم أو زواج نسائهم إلى مصاهرات بين قادة السلاجقة فيما بينهم ، إذ ارتبط الأتابك شمس الدين ايلدكز بمصاهرة مع صاحب الري الأمير اينانج بك سنقر ، فتزوج ابن ايلدكز نصر الدين بهلوان من ابنة اينانج ، فنتج عن تلك المصاهرة الرضا والولاء لدولة السلطان من قبل أمير مدينة الري ، كما ارتبط ايلدكز مع امراء الأطراف بمصاهرات أخرى لضمان الاستقرار والهدوء لتلك الولايات ^(٩٩).

وبعد وفاة السلطان ارسلان (٥٧٣هـ/١١٧٧م) تولى من بعده ابنه طغرل الثالث (٥٧٣-٥٩٠هـ/١١٧٧-١١٩٣م) على الرغم من صغر سنه ، فبقي تحت وصاية أبناء الاتابك ايلدكز ، الذين سرعان ما اصطدموا مع بعض في شأن إدارة الدولة فحل النزاع بين مظفر الدين الملقب بقرل ارسلان بن ايلدكز ^(١٠٠) مع زوجة أخيه البهلوان وابنائها ، ومن هنا بدأ السلطان طغرل الثالث يسعى للتخلص من وصاية عائلة ايلدكز ، فذهب إلى اصفهان ثم إلى أذربيجان وتعاون مع الأمير عز الدين حسن بن قفجان ، وكونا جبهة واحدة ضد الاتابك مظفر الدين قزل ارسلان وعائلته ، ومن اجل تقوية تلك العلاقة ارتبط السلطان طغرل مع الأمير عز الدين بمصاهرة تم فيها زواج طغرل من أخت الأمير عز الدين ، وبعد مدة قصيرة استطاع الاتابك قزل ارسلان من محاصرة السلطان طغرل وإلقاء القبض عليه واستبد هو بالسلطنة ^(١٠١).

المبحث الرابع : مصاهرات السلاجقة مع الحكام المجاورين :

لم تقتصر المصاهرات في الدولة السلجوقية بين السلاطين وقادتهم وامرائهم وولاتهم ، بل تعدتها لتشمل تلك المصاهرات بعض الحكام والأمراء المجاورين لحدود الدولة السلجوقية ، من أجل ربط البلاد الإسلامية بعلاقات متينة ورصينة برابطة المصاهرة ، فلم يتردد السلاجقة بعد حروبهم الطويلة مع الغزنويين ، إلى إقامة علاقات ودية معهم عن طريق المصاهرة ، وذلك عند ظهور بوادر الهدوء السياسي والعسكري بين هاتين الدولتين ، ولأسيما أن الغزنويين بعد وفاة السلطان مسعود بن محمود (٤٢١-٤٣٢هـ/١٠٣٠-١٠٤٠م) انكمش دورهم بالتوسع باتجاه خراسان واكتفوا بشمال الهند ، وفي الوقت نفسه بدأت قوة السلاجقة تتجه نحو الولايات الغربية باتجاه العراق ، إذ ساعدت تلك الإستراتيجية على تهدئة الأوضاع السياسية والعسكرية بين الطرفين ، مما أدى إلى ظهور المصاهرات فيما بينهم ، فكانت أول مصاهرة للسلطان مودود بن مسعود (٤٣٢-٤٤١هـ/١٠٤٠-١٠٤٩م) الملقب بشهاب الدولة مع ابنة جغري بك داود السلجوقي^(١٠٢) ، وليس لدينا معلومات كافية عن تلك المصاهرة ، فمن الأرجح أنها لم تكن كمثيلاتها من المصاهرات اللاتي حظين بالاهتمام الرسمي والشعبي ، ففعل الظروف السياسية لعبت دوراً في عدم الاهتمام بتلك المصاهرة ، لان العلاقة بين الدولتين كانت مائزلة تخيم عليها مظاهر العداء والخصومة ، وفي المقابل تزوج ارسلان ارغون بن الب ارسلان السلجوقي من إحدى أميرات البيت الغزنوي^(١٠٣) .

وبعد تلك المصاهرة انقطعت العلاقات بين السلاجقة والغزنويين ووصلت إلى حد القطيعة إذ تعرضت عاصمة الغزنويين للهجوم من قبل السلاجقة في عهد السلطان الغزنوي إبراهيم بن مسعود (٤٥١-٤٩٢هـ/١٠٥٩-١٠٩٨م) ، ولكن بعد مدة قصيرة جرت محادثات بين الطرفين من أجل الصلح ، فتم الصلح بين السلطان ملكشاه السلجوقي وبين مسعود بن إبراهيم ، واتفق الجانبان على عقد مصاهرة سياسية فيما بينهما ، فتزوج مسعود بن السلطان إبراهيم بن مسعود من ابنة ملكشاه التي تدعى جوهر

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

خاتون الملقبة بمهد العراق^(١٠٤)، كما وردت إشارات إلى مصاهرة ثانية يحوم حولها الغموض ، إذ يقال أن ابناً آخر للسلطان إبراهيم تزوج بابنة ثانية لملكشاه أو إحدى أخواته^(١٠٥) ، ولقي الزواج الأول اهتماماً كبيراً بين السلاجقة والغزنويين إذ تحدث ابن الأثير عن ذلك الزواج قائلاً : ((ان الوزير السلجوقي نظام الملك أخرج من الأموال للصرف على تجهيز جوهر خاتون مبلغ قدره مائة ألف دينار))^(١٠٦) وهذا ما يؤكد على اهتمام الدولة السلجوقية من الناحية الرسمية بتلك المصاهرة ، ولم تدم العلاقات السلجوقية الغزنوية طويلاً ، فإذا كانت المصاهرات عاملاً مساعد في تصفية الجو السياسي فيما بينهم ، لمدة من الوقت ، فإنها كانت المسؤولة عن تدخل السلاجقة بالشؤون الداخلية للدولة الغزنوية في أوقات أخرى .

فعند وفاة السلطان مسعود بن إبراهيم بن إبراهيم في سنة (٥٠٨هـ/١١١٤م) الذي كان صهراً للسلاجقة ، تولى بعده ابنه ارسلان شاه من جوهر خاتون السلجوقية واتسم عهده بالاستبداد والاستحواذ على جميع البلاد التي كانت تحت سيطرة أبيه ، فقام بدوره بإقصاء إخوته وزجهم بالسجن ، إلا أن تمكن أحد أخوته المدعو بهرامشاه من الفرار ، فلجأ إلى السلطان السلجوقي سنجر بن ملكشاه في خراسان طالباً منه المساعدة فلبى السلطان طلبه وأعادته إلى عرش السلطنة في غزنة ، ومن هنا أتت الفرصة للسلطان سنجر لبسط نفوذه على الدولة الغزنوية^(١٠٧) .

واستقرت الأمور لبهرامشاه وتسلم الحكم في غزنة ، ولكن سرعان ما تمرد على السلطان سنجر على الرغم من أنه أوصله إلى سدة الحكم ، فلما بلغ ذلك سنجر تقدم باتجاه غزنة ، فأحس بهرامشاه بالخطر ، فطلب الصلح من السلطان بأن يعفي عنه ، وأبدى حسن نيته تجاه الدولة السلجوقية فوافق على الصلح في سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥م)^(١٠٨) . وبذلك سمح بهرامشاه للسلاجقة وأعطاهم الفرصة للتدخل في ممتلكات الدولة الغزنوية والسيطرة على حكام غزنة ، وهذا ما ترتب عليه زوال الدولة الغزنوية فيما بعد .

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

وارتبط السلاجقة بمصاهرات سياسية مع البويهيين^(١٠٩) ، - على الرغم من عداءهم الشديد - ، وذلك عندما توسع السلاجقة باتجاه مناطق نفوذ البويهيين ، إلا إن العلاقات اتسمت في بعض الأحيان بالهدوء والتفاهم بين الجانبين ، فكانت بمثابة هدنة مؤقتة ، وعدت المصاهرات إحدى مظاهر التفاهم المؤقت بينهم ، ففي سنة (٤٣٩هـ/١٠٤٧م) ارسل الأمير البويعي أبو كاليجار فناخسرو بن مجد الدولة البويعي (٤٣٥-٤٤٠هـ/١٠٤٣-١٠٤٨م) إلى السلطان طغرلبيك السلجوقي يطلب منه الصلح ، فوافق على الصلح بين الطرفين وتم بمقتضاه أن تعقد مصاهرة بينهم ، إذ تزوج طغرلبيك بابنة أبي كاليجار مقابل تزويج الأمير أبو منصور بن أبي كاليجار من ابنة الملك داؤد جغري بك أخي طغرلبيك وتمت المصاهرة في سنة (٤٣٩هـ/١٠٤٧م)^(١١٠) ، ولكن لم تستمر أجواء الود والوثام بين البويهيين والسلاجقة سوى بضع شهور ، ففي سنة المصاهرة نفسها تمرد أبو كاليجار على السلطان طغرلبيك ، ووقعت بينهم حرب استطاع السلطان طغرلبيك الانتصار عليه^(١١١) .

وجرت مصاهرة أخرى بين البيت السلجوقي والبويعي بعد وفاة أبي كاليجار البويعي في سنة (٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) عندما تنازع أبناء كاليجار على السلطة بعد وفاة أبيهم ، فوقع الخلاف بين الملك الرحيم (ت : ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م) وأخيه أبي علي عندما اتصل الأخير بالسلطان طغرلبيك في أصفهان وطلب منه الإقامة عنده فوافق السلطان وتوج تلك العلاقة بمصاهرة تم فيها زواج أبي علي البويعي من إحدى نساء البيت السلجوقي ، ثم زاد السلطان في إكرامه واقطعه بعض المناطق في فارس^(١١٢) ، فما قصد من تلك المصاهرة التي صاهر فيها السلطان طغرلبيك أبي علي الذي فقد سلطته ، ربما قصد بها طغرلبيك تعميق الخلافات الداخلية بين الأمراء البويهيين ، وإظهار مدى تفتت الدولة البويعية .

وارتبط السلاجقة مع القرخانيين^(١١٣) في بلاد ماوراء النهر بمصاهرات ، بعد أن أمتد نفوذ السلاجقة وأصبحت حدودهم من الشام إلى ضفاف نهر جيحون^(١١٤) ، وقد

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

تعاقب على حكم الخانية عدد من الخانات وكان في مقدمتهم طغغاج خان أبو منصور إبراهيم بن نصر ابك الملقب بعماد الدولة (ت : ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) الذي حكم مدينتي سمرقند وفرغانة^(١١٥)، وعلى الرغم من انتماء السلطان الب ارسلان إلى الخانيين من جهة أمه ، وذلك ما اكده الراوندي بقوله : ((وكانت امه من أسرة الخانية))^(١١٦)، إلا أن الب ارسلان قام بمهاجمة ممتلكات طغغاج خان رغبة في التوسع على حساب أملاك الخان ، فأستجد الخان على أثر ذلك بالخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م) ، وطلب منه كف أذى يد الب ارسلان عنه ، فاستجاب له الخليفة ، ودفع الأذى عنه وعن بلاده ، فعادت الأوضاع على ما كانت عليه من السلم بين الب ارسلان والخان^(١١٧) .

ونتيجة لأطماع الب ارسلان المتكررة في ممتلكات الخان ، فإن طغغاج خان لم يجد أمامه إلا أن يرتبط بالسلطان الب ارسلان بعلاقة ودية فكانت المصاهرة أفضل واسطة لإقامة تلك العلاقة ، فتزوج الخان الب ارسلان من (سارة خاتون) مطلقة السلطان مسعود بن محمود الغزنوي^(١١٨) ، وكان الهدف من تلك المصاهرة كف أيدي السلاجقة عن ممتلكات الخانيين في بلاد ماوراء النهر .

وعلى الرغم من أن تلك المصاهرات هيأت الظروف السياسية بعض الشيء وادت الى استقرار الأوضاع بينهما ، إلا أن الب ارسلان مالبث أن هاجم ممتلكات الخانية في سمرقند من جديد سنة (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) في محاولة منه للسيطرة على الدولة ، وبالفعل سيطر على الكثير من القلاع والحصون في ماوراء النهر ، وواصل تقدمه إلى أن وافته المنية في سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) دون إكمال سيطرته على مناطق نفوذ الخانية^(١١٩) .

ومن أجل تقوية العلاقات السلجوقية الخانية زوج الب ارسلان ابنته إلى حاكم مدينة سمرقند الأمير شمس الملوك أبو الحسن نصر بن إبراهيم (ت : ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م) ، والذي أشرف على ذلك الزواج الوزير نظام الملك ، وقد أدت تلك

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

المصاهرة إلى استقرار الأوضاع والعلاقات بين السلاجقة والامراء القرخانيين في بلاد ماوراء النهر بعض الوقت^(١٢٠) ، كما صاهر السلاجقة الخانيين مرة أخرى ، ففي سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) تزوج السلطان ملكشاه بن الب ارسلان من ترکان خاتون ابنة طغاج خان ، وهي التي لعبت دوراً في حياة زوجها وبعده ، فقد بلغ نفوذها إلى إصدار الأوامر وتنفيذها^(١٢١) .

وهكذا نرى أن تلك المصاهرة تحقق حلم الخانات في رفع قدرهم حتى تطلعوا للوصول إلى عرش السلطنة السلجوقية عن طريق ابن ابنتهم محمود بن ملكشاه ، ولكن شاعت الأقدار أن أن تتوفى ترکان خاتون وابنها من بعدها وتنتهي آمال وأحلام الخانيين .

وتطلع السلطان ملكشاه إلى السيطرة على بعض المناطق في ماوراء النهر ، فقرر التوجه إلى مدينة كاشغر^(١٢٢) ، فرأى حاكم كاشغر انه لا بد من إقامة علاقة مع السلاجقة حفاظاً على ممتلكاتهم ، فزوج إحدى بناته من أحد أبناء ملكشاه ، ووصف نفسه بأنه من موالي السلطان وعبيده قائلاً : ((نحن من مواليك وعبادك))^(١٢٣) .

وحدثت مصاهرة أخرى في عهد السلطان سنجر بينه وبين الخان صاحب سمرقند ، إذ تزوج السلطان سنجر من السيدة ترکان خاتون ابنة محمد خان بن ارسلان بن سليمان بن داؤد بن بغراخان ، وهي الزوجة التي شاركت السلطان في جميع غزواته وفتوحاته حتى وقعت أسيرة معه على يد القرخانيين^(١٢٤) ، في سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م) وبقيت بالأسر سنة كاملة حتى فدت نفسها بمبلغ قدره خمسمائة ألف دينار^(١٢٥) . وهنا لا بد أن نشير بأن الخانيين قد استفادوا من هذه المصاهرة فقد علت مكانتهم ورفع قدرهم عند من جاورهم ، فضلاً عن مساندة السلطان لصهره وإيصاله إلى العرش بعد عزل الخان الذي سبقه والمسمى قدرخان جبريل بن عمر (ت : ٤٩٥هـ / ١١٠١م)^(١٢٦) .

وهكذا فإن المصاهرات السياسية بين السلطان سنجر والخان محمد ارسلان أدت إلى ماكان يرتجى منها ، وبفضل ترکان خاتون رفعت مكانتهم وسلطانهم في بلاد

ماوراء النهر ، وفي كثير من الأحيان لولا شفاعتها لقضي على الدولة الخانية في تلك
المدة .

الخاتمة :

١- نستخلص مما سبق أن ظاهرة المصاهرات السياسية نشطت في العصر السلجوقي
وفي مجالات متعددة سواء مع الخلافة العباسية ، أو داخل الأسرة السلجوقية
كدولة حاكمة ، أو مع قادتها وكبار رجال الدولة ومع حكام الولايات التابعة
والمجاورة لهم ، لتحسين العلاقات مع هؤلاء الحكام والولاة وربطهم بالسلطة
المركزية ، كما لم يمانع السلاجقة من إقامة المصاهرات مع الدول المجاورة
كالدولة الغزنوية والبويهية والقرخانية رغبة في تحسين العلاقات بين دولتهم والدول
المجاورة .

٢- اتضح من مصاهرات السلاجقة للخلفاء العباسيين بأنهم اتبعوا افضل اسلوب
لشرعنة وجودهم في مناطق نفوذ الخلافة العباسية من خلال ارتباطهم برابط
المصاهرة معهم أما عن طريق تزويج بناتهم منهم أو الزواج من بنات الخلفاء
وذلك للحصول على مولود ذكر يكون هو لياً للعهد وتكون السطوة السياسية لهم
على جميع مناطق العراق والمشرق الاسلامي والظهور امام منافسيهم بأنهم اعظم
واقوى القوى السياسية في المنطقة بتأييد الخلافة العباسية .

٣- اتضح من المصاهرات بين السلاجقة والخلافة العباسية أن المرأة السلجوقية لعبت
دوراً كبيراً في خدمة دولتها وذلك بإقامة علاقات ودية مع الخلافة العباسية ، عن
طريق زواجهن من الخلفاء العباسيين والتأثير عليهم ، بما يحقق أهداف الدولة
السلجوقية ، فقد كانت المرأة في الدولة السلجوقية ومصاهرتها مع خلفاء بني
العباس وحكام الاطراف اشبه بسفيرة لدولتها للعمل على تحسين العلاقات مع
الخلفاء أو الدول والإمارات المجاورة للسلاجقة .

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

٤- تبين من ارتباط السلاجقة مع بعضهم البعض انهم لجأوا الى افضل اسلوب للم شمل الاسرة السلجوقية وذلك لتأمين جانب التمردات الداخلية ضد الحكام السلاجقة وتوحدتهم بوجه القوى السياسية الاخرى المنازعة لوجودهم في العراق والمشرق الاسلامي ، كما اتضح ان السلاجقة عملوا جاهدين على تقريب وجهات النظر بينهم وبين ولايتهم وقادتهم للحد من خروج هؤلاء على السلطة المركزية عن طريق الارتباط معهم بالمصاهرة وللتوحد في مواجهة عدوهم الاكبر البيزنطيين والفاطميين .

٥- أظهر البحث أن المصاهرات التي كانت تحدث في الدولة السلجوقية مع الخلافة العباسية أو ولايتها وحكامها أو مع الدول المجاورة لها ، فقد حملت في حقيقتها بعض الأهداف السياسية.

الهوامش :

(١) تركستان : اسم جامع لكل بلاد الترك تمتد مساحته من بحر قزوين ونهر أورال غرباً إلى حدود الصين شرقاً ومن سيبيريا ومنغوليا شمالاً إلى إيران وأفغانستان والهند والتبت جنوباً وقد قسمت تركستان إلى قسمين الغربية الصينية والشرقية الروسية وتشمل حالياً ست جمهوريات أوزبكستان ، تاجيكستان ، تركمانستان ، قرغزستان ، كازخستان ، وقرقلباق ، النرشخي : أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي (ت : ٣٤٨هـ / ٩٥٩م) تاريخ بخارى تحقيق : أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي ، دار المعارف ، ط٣ (القاهرة : ١٩٩٣م) ١٩.

(٢) ماوراء النهر : اسم اطلق على الولايات الواقعة شمال مجرى نهر جيحون وتشمل كل من الصغد وفرغانة والشاش واشروسنة وغيرها من الولايات والمدن التي تضم جمهوريتي اوزبكستان وتاجيكستان حالياً ، وذكر أن خراسان هي المنطقة الواقعة ماوراء نهر جيحون فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياطلة وفي الاسلام سموه ، وما كان في غربيه فهو خراسان وخوارزم ، ياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت : ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان ، دار صادر (بيروت : ١٩٩٣م) ٥/٤٥-٤٧.

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٤٤٨) (١٠٥٥-١١٩٣م)

(٣) الدولة الغزنوية : هم أسرة تركية ، اخذوا اسمهم من عاصمتهم غزنة التي تقع الآن في أفغانستان ، الذين انشئوا دولتهم على أنقاض الإمارة السامانية التي كانت تحكم خراسان وبلاد ماوراء النهر ، وسيطروا على خراسان وماوراء النهر وشمال الهند واستمر حكمهم أكثر من قرنين من الزمان (٣٦٦-٥٨٢هـ/٩٧٦-١١٨٦م) ، ويُعد سبكتكين بن جوق المؤسس الحقيقي لهذه الدولة . ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ ، تحقيق :عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت : ١٩٨٧م) ، ٦-٣/٨ ؛ عباس إقبال تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥-١٣٤٣هـ/٨٢٠-١٩٢٥م) ، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه : محمد علاء الدين منصور ، دار الثقافة والتوزيع (القاهرة: ١٩٨٩م) ، ١٦٩ .

(٤) خوارزم : هو إقليم فسيح تحيط به المفازة الكبرى ويحده من جهة الشمال والغرب بلاد الغز ومن جهة الجنوب والغرب خراسان وبلاد ماوراء النهر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٣٩٥-٣٩٨ .

(٥) مسعود بن محمود : هو مسعود بن محمود بن سبكتكين من سلاطين الدولة الغزنوية ولد بغزنة في بيت سلطنة وجهاد ولي أصفهان في حياة والده تولى الحكم بعد وفاة والده سنة (٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) خسر الغزنويين في عهده مدينة نيسابور واستولى عليها السلاجقة وللمزيد عن السلطان مسعود بن محمود ينظر: عباس إقبال تاريخ إيران ، ١٨٩-١٩٨ .

(٦) داندنقان : وهي إحدى مدن خراسان ، ويكثر فيها الحرير والقطن وكان يضرب به المثل ويصدر منه للخارج ، وفي هذا المكان جرت معركة بين الغزنويين والسلاجقة في سنة (٤٣١هـ/ ١٠٣٩م) وانتصر فيها السلاجقة وسيطروا على أغلب مدن خراسان التي كانت تحت السيطرة الغزنوية فسميت المعركة بداندنقان تيمناً بذلك المكان ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢/٤٧٧ ؛ عباس اقبال ، تاريخ إيران ، ١٩٨ .

(٧) طغرلبيك : هو السلطان محمد بن ميكائيل بن سلجوق أول السلاطين السلاجقة استولى على خراسان ثم سيطر على العراق سنة (٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م) توفي سنة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) ودفن في مدينة مرو بخراسان ، البنداري : الفتح بن علي محمد البنداري الأصفهاني (ت : ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) : تاريخ دولة آل سلجوق ، شركة طبع الكتب العربية (القاهرة : ١٩٠٠م) ، ١٢-١٠ .

المصاهرات السياسية للسلالة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

(^٨) الشيزري : عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر (ت : ٥٨٩هـ / ١١٩٣) : المنهج السلوك في سياسة الملوك ، تحقيق : علي عبد الله موسى ، مكتبة المنار (الأردن : ١٩٨٧م) ، ١٧ ؛ ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت : ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) البداية والنهاية ، دار مكتبة المعارف (بيروت : ١٩٩١م) ، ١٢ / ٨٦-٨٩ .

(^٩) الفارقي : أحمد بن علي الأزرق (ت ٥٧٧هـ / ١١٨١م) : تاريخ الفارقي ، تحقيق بدوي عبد اللطيف ، دار الكتاب اللبناني (بيروت : ١٩٧٤م) ، ٢٦ ؛ الحسيني : صدر الدين أبو الحسن علي ناصر بن علي (ت بعد : ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) : كتاب أخبار الدولة السلجوقية : تصحيح محمد اقبال ، دار الآفاق الجديد (بيروت : ١٩٨٤م) ١٧-١٨ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ٩-١١ .

(^{١٠}) تاريخ دولة آل سلجوق ، ١١ .

(^{١١}) ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت : ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، مراجعة وتحقيق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، (بيروت : ١٩٩٥م) ، ١٦ / ٤-٥ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ١١-١٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٢٧ .

(^{١٢}) خمارويه : هو أبو الجيوش خمارويه بن احمد بن طولون حكم الدولة الطولونية بعد وفاة والده سنة (٢٧٠هـ / ٨٨٣م) تصالح مع الخلافة العباسية وارتبط معهم برباط المصاهرة توفي سنة (٢٨٢هـ / ٨٩٥م) ، ابن خلكان : شمس الدين إيو العباس احمد بن إبراهيم (ت : ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر (بيروت : ١٩٧٢م) ، ٢ / ٢٤٩-٢٥٠ .

(^{١٣}) عمر رضا كحالة ، أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ، مؤسسة الرسالة ، ط ٥ (بيروت : ١٩٨٤) ، ٤ / ٢١٣ .

(^{١٤}) تاريخ دولة آل سلجوق ، ١١ .

(^{١٥}) زبدة التواريخ (أخبار الأمراء والملوك السلجوقية) تحقيق : محمد نور الدين (الكويت : ١٩٨٥م) ، ٥٨ .

(^{١٦}) عضد الدولة : هو فنا خسرو بن الحسن بن بويه بن فنا خسرو ، أبو شجاع الملقب بعضد الدولة بن ركن الدولة وللمزيد عن عضد الدولة ينظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٤ / ٣٠٠ .

المصاحرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

(١٧) سبط ابن الجوزي : شمس الدين يوسف بن قزا أوغلي (ت : ٦٥٤هـ / ١٢٥٦) : مرآة الزمان في تواريخ الأعيان - الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة ، إصدار الجمعية التاريخية التركية (انقرة : ١٩٦٨م) ٢ ؛ توفيق سلطان اليوزكي : الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية (١٣٢-٤٤٧هـ) ، ط ٢ ، (الموصل : ١٩٧٦م) ، ٢٢٣ .

(١٨) البساسيري : هو ارسلان أبو الحارث الملقب بالمظفر ، كان مملوكاً تركياً من ممالك بهاء الدولة البويهية بن عضد الدولة تقلبت به الأمور حتى أصبح ملك الأمراء في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٧٥م) ، تمرد على الخلافة العباسية واتصل بالفاطميين بمصر ، ثم سنحت له الفرصة بأن يخرج على الخليفة ويستولي على بغداد فأقام الخطبة للخليفة الفاطمي لمدة سنة كاملة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ، لكنه قتل على يد السلطان طغرل بك بعد مدة قصيرة . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ٨٤ .

(١٩) الفارقي ، تاريخ الفارقي ، ١٥٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ٧٨ .
(٢٠) قریش بن بدران ، ينتمي إلى بني عقيل من قبيلة هوازن كان والياً على الموصل ونصيبين توفي سنة (٤٥٣هـ / ١٠٦١م) ، زمباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، دار الرائد العربي (بيروت : د . ت) ٢٠٥ .

(٢١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٦ ، ٧٥ ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ٧٥ ؛ السيوطي : عبد الرحمن بن بكر جلال الدين (ت : ٩١١هـ/١٥٠٥م) : تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ط ٢ (قطر : ٢٠١٣م) ، ٦٤٥ .
(٢٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٥٧ .

(٢٣) محمد مسفر الزهراني : نظام الوزارة في الدولة العباسية (٣٣٤-٥٩٠) العهدان البويهية والسلجوقي ، مؤسسة الرسالة (بيروت : ١٩٨٠م) ، ٤٠ ؛ وفاء محمد علي ، الزواج السياسي في الدولة العباسية ، دار الفكر العربي ، (القاهرة : ١٩٨٨م) ، ٨٧ .
(٢٤) الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٥٨ .

(٢٥) ابن دقماق : صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدير العلاني (ت : ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) : الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، مراجعة احمد السيد دراج ، مطبوعات جامعة ام القرى (مكة : ١٩٨٢م) ، ١ / ١٥٨ .
(٢٦) تاريخ الخلفاء ، ٦٤٥ .

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧- ٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

- (٢٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٦ / ٦٥-٦٩ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ١٨-١٩ .
- (٢٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٥٧ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ١٨-٢١ .
- (٢٩) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٥٨ .
- (٣٠) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ١٩ .
- (٣١) الراوندي : محمد بن علي سليمان (ت: ٥٩٩هـ/١٢٠٢م) : راحة الصدور وأية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، تصحيح محمد إقبال ، ترجمة : إبراهيم الشواربي وآخرون ، دار القلم (القاهرة : ١٩٦٠) ، ١٧٧ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٠ .
- (٣٢) الري : وهي مدينة تقع في الطرف الشمالي لاقليم الجبال بناها الخليفة محمد المهدي وحول اسمها الى المحمدية ، كي لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ (بيروت : ١٩٨٥) ، ٢٤٩-٢٥٠ .
- (٣٣) الراوندي ، راحة الصدور ، ١٧٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٦٠ .
- (٣٤) الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٦٠ .
- (٣٥) المنتظم ، ١٦ / ٨٠ .
- (٣٦) الراوندي ، راحة الصدور ، ١٧٨ .
- (٣٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٦ / ٨٦-٨٧ ؛ خواندمير : غياث بن همام الحسيني (ت : ٩٤٢هـ/١٥٣٥م) : دستور الوزراء ، ترجمة : عربي أمين سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة : ١٩٨٠م) ، ٢٤٥ ؛ صالح رمضان حسن ، السياسة الداخلية للسلطان الب ارسلان (٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م) ، بحث منشور ، مجلة التربية والعلم ، مجلد ١٩ ، العدد ٤ ، (الموصل: ٢٠١٢م) ، ١٢٦-١٢٧ .
- (٣٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٩١ .
- (٣٩) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٩١ .
- (٤٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٦ / ٢٢٢-٢٢٣ ؛ الراوندي ، راحة الصدور ، ٢٠٦-٢٠٧ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٧٢ .
- (٤١) الراوندي ، راحة الصدور ، ٢١٦ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٦٧ .
- (٤٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٤٢٥ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٦٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ١٣٠ .

المصاحرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٤٤٨هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

(٤٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٤٥١ ، ٤٦٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ١٣٢ .
(٤٤) اصفهان : وهي إحدى مدن إقليم الجبال تقع في الطرف الجنوبي الشرقي منه وتكون جنوب العاصمة طهران على بعد ٤٠٠ كم تقريباً ، وللمزيد عن مدينة اصفهان ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٢٤٤ ؛ كي لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٢٠٦-٢١٠ .

(٤٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٤٦٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ١٣٥ ؛ الذهبي : الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت : ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) : دول الإسلام : تحقيق : حسن اسماعيل مروة و محمود الأرناؤوط ، دار صادر (بيروت : ١٩٩٠م) ، ١ / ٤١٤ .

(٤٦) ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي بن علي بن محمد (ت : ٤٨٢هـ/١٠٨٩م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، ط ١ (دمشق : ١٩٨٩م) ، ٥ / ٣٦٦-٣٦٧ ؛ الراوندي ، راحة الصدور ، ٢١٦ ؛ ابن تغرى بردي : أبو المحاسن محمد بن احمد الكناني (ت : ٦١٤هـ/١٢١٧م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة (القاهرة : ١٩٦٣م) ، ٥ / ١٣٤ ؛ ابن خلكان : شمس الدين إيو العباس احمد بن إبراهيم (ت : ٦٨١هـ/١٢٨٢م) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر (بيروت : ١٩٧٢م) ، ٥ / ٢٨٧-٢٨٨ .

(٤٧) السبكي : تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت : ٧٧١هـ/١٣٦٩م) : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ٤ (القاهرة : ١٩٦٤م) ، ٤ / ٣٢٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ١٥٣ .

(٤٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ١٧٢ ؛ الحسيني ، زبدة التواريخ ، ١٧٢ .

(٤٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٧ / ٢٢٤-٢٢٥ .

(٥٠) فاطمة خاتون : حدث الكثير من اللبس في صلة قرابة هذه الخاتون بالسلطان مسعود فقد ذكر ابن الأثير في كتابه (الكامل ، ٩ / ٣١٦) انها ابنة السلطان مسعود ، غير انه ذكر في موضع آخر في (الكامل ، ٩ / ٢٩٦ ، ٣٤٩) في أحداث سنة (٥٤٢هـ/١١٤٨م) انها ابنة السلطان محمد بن ملكشاه أي اخت مسعود ، وتكرر الأمر نفسه عند سبط ابن الجوزي (مرآة الزمان ، ٨ / ١٧٣ ، ١٨٦) فتارة يذكر انها ابنة السلطان محمد واخرى انها ابنة السلطان مسعود ، وكذلك

المصاحرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

- الأمر عند ابن كثير (البداية والنهاية ، ١٢ / ٢١١ ، ٢١٦) إذ يذكر في سنة (٥٣١هـ) أنها ابنة السلطان محمد ، بينما يعود في سنة (٥٣٤هـ) ويذكر أنها ابنة السلطان مسعود وليست اخته .
- (^{٥١}) الراوندي ، راحة الصدور ، ٢٣٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٥ / ٧٣ .
- (^{٥٢}) وللمزيد عن أحداث الخليفة المسترشد والراشد وبيعة المقتفي ينظر : ابن العمراني : محمد بن علي بن محمد (توفي في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السامرائي ، دار الافاق العربية (القاهرة : ١٩٩٩م) ، ٢٢٢ ؛ ابن دحية : عمر بن حسين بن علي (ت : ٦٣٤هـ/١٢٣٦م) : النبراس في تاريخ بني العباس ، تحقيق : عباس العزاوي ، مطبعة المعارف (بغداد : ١٩٤٦م) ، ١٥٢-١٥٣ ؛ ابن العبري : أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الملقب (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) : تاريخ مختصر الدول ، دار الرائد اللبناني ، ط٢ (بيروت : ١٩٨٣م) ، ٣٥٥-٣٥٨ ؛ أبو الفداء : الملك المؤيد إسماعيل بن علي عماد الدين (ت : ٧٣٢هـ/١٣٣١م) : المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية (القاهرة : ١٣٢٥هـ) ، ٣ / ١١ ؛ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت : ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر (بيروت : ٢٠٠٠) ، ٣ / ٦٣١-٦٣٢ .
- (^{٥٣}) وفاء محمد علي ، الزواج السياسي ، ص ١١١ .
- (^{٥٤}) تاريخ الخلفاء ، ص ٦٧٥-٦٧٦ .
- (^{٥٥}) الجوزجاني : أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين (ت في القرن ٧هـ/١٣م) : طبقات ناصري ، ترجمة : عفاف السيد زيدان ، المركز القومي للترجمة ، (القاهرة: ٢٠١٣م) ١ / ٣٣٤ .
- (^{٥٦}) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٥٠ .
- (^{٥٧}) الراوندي ، راحة الصدور ، ١٨٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٥٠ .
- (^{٥٨}) الراوندي ، راحة الصدور ، ١٨٤ .
- (^{٥٩}) كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة ذات بلاد ومدن واسعة ، بين فارس ومكران وسجستان وخراسان ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٤٥٤ .
- (^{٦٠}) جيرفت : هي إحدى مدن إقليم كرمان ، المقدسي : شمس الدين أبي عبد الله (ت : ٣٨٠هـ/٩٩٠م) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار الكتب العلمية (بيروت: ٢٠٠٢) ، ٣٣٤ .

المصاحرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

- (٦١) الحسيني ، زبدة التواريخ ، ٩٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٧٩ .
- (٦٢) فارس : إقليم فسيح ، أول حدوده من جهة العراق ارجان ، ومن جهة كرمان السيرجان ، ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ، ومن جهة السند مكران ، وفيه العديد من المدن المشهورة وعاصمته شيراز ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٢٢٦ .
- (٦٣) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٩٥ ؛ وفاء محمد علي ، الزواج السياسي ، ١٨٩ .
- (٦٤) أنزبجان : هو إقليم واسع يغلب عليه الجبال ، تتصل حدوده من جهة الشمال ببلاد الديلم وأشهر مدنه تبريز ومراغة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ١٢٨-١٢٩ .
- (٦٥) الراوندي ، راحة الصدور ، ٢٠٧-٢٠٨ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٧٦ .
- (٦٦) الحسيني ، زبدة التواريخ ، ١٥٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٨ / ٤٨٩-٤٩٠ .
- (٦٧) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ / ٤٩٠ .
- (٦٨) سمرقند : وهي مدينة من مدن إقليم الصغد ، ورد اسمها بالعربية بسمران تقع على نهر جيحون تبعد عن بخارى مائة وخمسين ميلا . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٢٤٩ .
- (٦٩) الراوندي ، راحة الصدور ، ١٤٣ ، ٢٥٥ ؛ الحسيني ، زبدة التواريخ ، ١٧٨ .
- (٧٠) الراوندي ، راحة الصدور ، ٣٠١ ؛ الحسيني ، زبدة التواريخ ، ١٧٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١٨٢/٩ - ١٨٥ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١٨٢/٥ - ١٨٣ ؛ ذبيح الله صفا ، تاريخ أدبيات درباران ، (طهران : ١٩٩٣م) ، ٢ / ٥٣٥ .
- (٧١) القزويني : حمد الله بن أبي بكر بن احمد (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) : تاريخ كزيدة ، ترجمة : محمود محروس قشقة (القاهرة : ١٩٦٨م) ، ١٣٠ ؛ الكرمانى : ابو حامد فضل الدين (عاش في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) : سلجوقيان وغز دركرمانى ، تحرير : ميرزا محمد إبراهيم خبيصي ، تصحيح ومقدمة : باشاني وباديزي محمد إبراهيم (طهران : ١٩٩٤م) ، ٢٨٧ .
- (٧٢) همذان : هي من أكبر مدن إقليم الجبال ، وتقع في وسطه ، وهي اليوم تقع في وسط غرب إيران ، ابن حوقل : أبو القاسم النصيبي (ت : ٣٦٧هـ/٩٧٧م) : صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، ط ٢ (بيروت : ١٩٩٢م) ٣٠٦ - ٣٠٧ ؛ القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت : ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر (بيروت : ١٩٦٠م) ، ٤٨٣ .

المصاحرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٤٥٩ هـ/١٠٥٥-١١٩٣ م)

- (٧٣) قرا سنقر: هو من مماليك السلطان طغرل بن محمد ، عظم شأنه في عهد السلطان مسعود وشكل خطراً عليه ، توفي سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م) ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣١٧/٩ .
- (٧٤) الراوندي ، راحة الصدور ، ٣٢٨-٣٢٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢٧٨/٩ .
- (٧٥) الحسيني ، زبدة التواريخ ، ٢١٩ .
- (٧٦) خوزستان : هو اسم جامع لجميع بلاد الخوز ، ويكتب هذا الاسم بصيغة خوز و حوز وجمعها الأحواز أي خوزستان هو إقليم الأحواز ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤٠٤/٢ - ٤٠٥ .
- (٧٧) الراوندي ، راحة الصدور ، ٣٤٢ ؛ الحسيني ، زبدة التواريخ ، ٢٢٢-٢٢٥ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٠٣ .
- (٧٨) زبدة التواريخ ، ٢٠٨ .
- (٧٩) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٠٧/٩ ؛ ابن الساعي : تاج الدين أبو طالب علي بن أمجد المعروف بابن الساعي (ت : ٦٧٤هـ/١٢٧٥م) : نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء ، تحقيق : مصطفى جواد ، دار المعارف (القاهرة : ١٩٦٨م) ، ١٣٢ .
- (٨٠) الحسيني ، زبدة التواريخ ، ١٧١ ؛ سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ٦٩ .
- (٨١) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٦٠-٢٦١ .
- (٨٢) الراوندي ، راحة الصدور ، ٣٨٧ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٦٣ .
- (٨٣) الاتابك : كلمة تركية مكونة من كلمتين هما أنا بمعنى الأب والشيخ المحترم لسنه ، ويك هو اللقب التركي بمعنى الأمير فهي في الاصطلاح تعني مربي الأمير ، ينظر : احمد سعيد سليمان ، تأصيل ماورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل ، دار المعارف (القاهرة: ١٩٧٩م) ، ١٢ .
- (٨٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٨٥/٨ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٣٥ .
- (٨٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٨٥/٨ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٣٥ .
- (٨٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٤٣٤ ، ٤٥٠ .
- (٨٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٤٨٦/٨ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، ٤٣٥/١ .
- (٨٨) الإمارة الكاكية : يرجع أصل بني كاكية إلى الديلم ويعد محمد بن دشمنزار المعروف بابن كاكية هو المؤسس لهذه الإمارة التي كان مقرها في مدينة اصفهان ، اما عن سبب شهرتها بكاكية لانها تعني بلغة الديالمة الخال وبما انه ان محمد بن دشمنزار هو ابن خال السيدة (خاتون) والدة

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

- الامير مجد الدولة البويهى . وللمزيد عن الإمارة الكاكوية ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٨/ ٤٩ : خواندمير ، روضة الصفا ، ١٦١ .
- (٨٩) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٨/ ٤١٣ .
- (٩٠) تاريخ دولة آل سلجوق ، ٤٩-٥٠ .
- (٩١) منكوبرس : هو احد المماليك لدى السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه الذي تدرج بالمناصب حتى أصبح شحنة في بغداد ، وقتل سنة (٥١٣هـ/١١١٩م) بسبب سيرته السيئة ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢/ ١٨٤ .
- (٩٢) الحسيني ، زبدة التواريخ ، ٢٠٧ . هناك خلاف حول تلك المصاهرة فعلى الرغم من أن الحسيني ذكر في كتابه (زبدة التواريخ ، ٢٠٧) ان السلطان محمود هو الذي قام بتزويج الأمير منكوبرس من زوجة أبيه ، إلا أن ابن الأثير ذكر أمراً آخر في كتابه الكامل في التاريخ ، (٩/ ١٨٧) ، إن السلطان محمود أمر في سنة (٥١٣هـ/١١١٩م) بقتل الأمير منكوبرس لأسباب عديدة منها أخذه زوجة أبيه ووالدة أخيه مسعود وتزوجها قهراً قبل انقضاء عدتها ، وهذا ما أشار إليه ابن كثير أيضاً في كتابه البداية والنهاية ، ١٢/ ١٨٤ .
- (٩٣) الأمير اقسنقر البرسقي : هو سيف الدين قسيم الدولة أبو سعيد احد مماليك السلطان طغرل بك ترقى به الحال إلى أن ولاة السلطان محمود إمرة الموصل والرحبة ، ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، ١/ ٢٤١ .
- (٩٤) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ١٥٨-١٥٩ .
- (٩٥) شمس الدين ايلدكز : وهو مملوك تركي لكمال الدين أبي طالب وزير السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه ، ثم دخل في خدمة السلاجقة حتى وفاته سنة (٥٦٨هـ/١٠٧٢م) . زمباور ، معجم الأنساب ، ٣٤٩ .
- (٩٦) الراوندي ، راحة الصدور ، ٤٠٩ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٧١ .
- (٩٧) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٧١-٢٧٢ .
- (٩٨) الراوندي ، راحة الصدور ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤٣٠ .
- (٩٩) الراوندي ، راحة الصدور ، ٤٦٧ ؛ الحسيني ، زبدة التواريخ ، ٢٤٧ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٧٢-٢٧٣ .

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧- ٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

- (^{١٠٠}) قزل ارسلان : هو مظفر الدين عثمان بن الاتابك ايلدكز حكم السلاجقة (٥٨٢-٥٨٧هـ / ١١٨٦-١١٩١م) عين نفسه حاكما على اذربيجان وهمذان واصفهان والري وتحالف مع الخليفة العباسي ضد السلطان طغرل الثالث فمنحه الخليفة لقب امير وجعله سلطاناً على السلجقة لكنه اغتيل في سنة (٥٨٧هـ / ١١٩١م) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ / ١٤١ ، ١٦٣ ، ٢١٢ .
- (^{١٠١}) الحسيني ، زبدة التواريخ ، ٢٩٦-٢٩٨ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٧٦-٢٧٧ .
- (^{١٠٢}) الحسيني ، زبدة التواريخ ، ٣٤ .
- (^{١٠٣}) ادوارد جرانفيل براون ، تاريخ الأدب إيران من الفردوسي إلى السعدي، نقله الى العربية ابراهيم امين الشواربي ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة : ١٩٥٤م) ، ٢٢١ .
- (^{١٠٤}) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٤٥٦/٨ .
- (^{١٠٥}) الحسيني ، زبدة التواريخ ، ٥٤ .
- (^{١٠٦}) الكامل في التاريخ ، ٤٥٦/٨ .
- (^{١٠٧}) خواندمير : محمد بن خاوندشاه (ت : ٩٠٣هـ / ١٤٩٧) : روضة الصفا في سير الأنبياء والملوك والخلفاء (تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بويه والإسماعيلية والملاحدة) ، ترجمة : احمد عبد القادر الساداتي ، مراجعة : السباعي محمد السباعي ، الدار المصرية للكتاب ، ط ١ ، (القاهرة:١٩٨٨م) ، ١٧٠-١٧١ .
- (^{١٠٨}) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢٨٤/٩ ؛ خواندمير ، روضة الصفا ، ١٧١ .
- (^{١٠٩}) البويهيون : هم سلالة من الديلم من جنوب بحر الخزر حكمت في غرب إيران والعراق ، وينحدرون بنسبهم إلى ملوك الساسانية حسب إدعائهم ، استمدوا اسمهم من أبو شجاع بويه ، استمر حكمهم من (٣٢١-٤٤٧هـ/٩٣٣-١٠٥٥م) وللمزيد عن الدولة البويهية ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٨٧/٧ - ٩٦ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ٢٧٩ .
- (^{١١٠}) الحسيني ، زبدة التواريخ ، ٧٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢٧٦/٨ .
- (^{١١١}) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢٧٩/٨ .
- (^{١١٢}) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٠٩/٨ .
- (^{١١٣}) خانات : وهم أسرة تركية ظهوروا في بلاد تركستان واعتنقوا الإسلام ، وفرضوا سيطرتهم على معظم مدن تركستان وبلاد ماوراء النهر ، واسسوا لهم إمارة عاصرت الإمارة السامانية والغزنوية والخورزمية ، وامتد حكم إمارتهم أكثر من قرنين من الزمان (٣١٥-٦٠٧هـ/٩٢٧-١٢١٠م)

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧- ٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

- وللمزيد عن الإمارة القرخانية أو الخانية . ينظر : بارتولد ، فاسيلي ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة : احمد سعيد سليمان ، مراجعة : إبراهيم صبري ، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة : د.ت) ٨٣ ؛ سعاد هادي حسن ارحيم الطائي ، القراخانيون دراسة في أصولهم التاريخية وعلاقاتهم السياسية ودورهم في الحياة العلمية (٣١٥-٦٠٧هـ/٩٢٧-١٢١٠م) ، دار صفحات ، ط١ ، (دمشق : ٢٠١٦) ، ١٧-٢١ .
- (^{١١٤}) نهر جيحون : وهو نهر عظيم يعد الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية أي إيران وتوران ، وتتصل بهذا النهر انهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم ثم ينحدر من خوارزم حتى يصب في بحيرة تعرف ببخيرة خوارزم ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١٩٦/٢-١٩٧ ؛ كي لسترانج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ٤٧٦ .
- (^{١١٥}) وفرغانة : ، أما فرغانة : وهي مدينة واسعة تقع على ضفاف نهر سيحون في بلاد ماوراء النهر ، متاخمة لبلاد الترك . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢٤٩/٣ ، ٢٥٣ ؛ الحميري : محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، مطابع هيدلبرغ ، ط١ (بيروت: ١٩٨٤م) ، ٤٤٠ .
- (^{١١٦}) راحة الصدور ، ١٩٠ .
- (^{١١٧}) بارتولد ، تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم ، قسم التراث العربي ، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، (الكويت: ١٩٨١م) ، ٤٦٢ .
- (^{١١٨}) ابن خلدون ، العبر ، ٣٩٣/٤ .
- (^{١١٩}) الراوندي ، راحة الصدور ، ١٩٩ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٤٤ ؛ سعاد هادي حسن ، القراخانيون ، ١٠٧ .
- (^{١٢٠}) الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية ، ٥٣-٥٤ ؛ زبدة التواريخ ، ١١٨ .
- (^{١٢١}) القزويني ، تاريخ كزيدة ، ١٠٢ ؛ بارتولد ، تركستان ، ٤٧٠-٤٧١ .
- (^{١٢٢}) كاشغر : مدينة وقرى ورساتيق ، تقع في وسط بلاد الترك . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤٣٠/٤ .
- (^{١٢٣}) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ٦٦ .

المصاهرات السياسية للسلاجقة في العراق والمشرق الاسلامي (٤٤٧- ٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٣م)

(^{١٢٤}) القرخطائيين : هم قبائل تركية من بلاد الصين فرضوا سيطرتهم على تركستان وبلاد ماوراء النهر ، وكانت ديانتهم الوثنية ، وأطلق على حكامهم لقب كورخان ، وقامت دولتهم في حدود سنة (٥١٨هـ/١١٢٤م) . السمرقندي : أحمد بن عمر بن علي النظامي العروضي (ت : ٥٥٠هـ/١١٥٥م) : جهار مقالة (المقالات الأربع في الكتابة والشعر والنجوم والطب) ، وعليه خلاصة حواشي العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني ، ترجمة : عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ١ ، (القاهرة : ١٩٤٩م) ، ١٠٨ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٤/٤٨٧ ؛ بارتولد ، تاريخ الترك ، ١٢٠-١٢٣ .

(^{١٢٥}) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٥٤ ؛ النويري : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت : ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : مفيد قميحة وآخرون ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت : ٢٠٠٤م) ٣٨٢/٢٦ .

(^{١٢٦}) الراوندي ، راحة الصدور ، ٢٥٩ .

مؤتمر القسطنطينية

(١١ كانون الاول ١٨٧٦ – ٢٢ كانون الثاني ١٨٧٧)

م . د . حمزة ملغوث البديري

كلية الامام الكاظم (عليه السلام)

للعلوم الاسلامية الجامعة - فرع ميسان - قسم التاريخ

م . د . حمزة ملغوث البديري

المقدمة :-

تعد المسألة الشرقية واحدة من أكثر المسائل تعقيداً في التاريخ الأوروبي الحديث , إذ مثلت بؤرة للصراع والتنافس بين الدول الاستعمارية الكبرى , ذات المصالح السياسية والاقتصادية والدينية , في ممتلكات السلطان العثماني , لا سيما تلك التي تقع في القسم الشرقي من أوروبا (البلقان) . وقد مرت تلك المسألة بمراحل من التوتر والاضطراب , ألقت بظلالها على الدول الأوروبية الكبرى , و أوصلتها في بعض الأحيان إلى هاوية الحرب , لا سيما تلك التي حدثت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . إذ نتجت تلك الأزمة من جراء الأوضاع الاقتصادية المتدهورة التي كان يعيشها مزارعي وسكان البلقان بصورة عامة , وأهالي البوسنة والهرسك بصورة خاصة , وتعاطف بعض الدول الكبرى معهم , وتعسف الدولة العثمانية في التعامل معهم , لا سيما بخصوص قضية الضرائب وطرق جبايتها , مما جعلهم يرفعون راية الثورة والعصيان ضد حكومة السلطان , مستغلين الأوضاع الاقتصادية الصعبة والتدهور والإفلاس المالي , الذي كانت الدولة العثمانية تعاني منه خلال تلك المدة . حاولت الدول الكبرى التدخل لردء الصدد بين السلطان العثماني ورعاياه , الا أن تعسف الدولة العثمانية وقمعها للثوار بصورة وحشية أثار حفيظة كلاً من روسيا والنمسا - المجر , لما لهاتين الدولتين من مصالح سياسية واقتصادية في البلقان , فضلاً عن كون روسيا تعدُّ نفسها الحامي والمدافع عن حقوق المسيحيين في تلك الأقاليم البلقانية (السلاف . الأرثوذكس) , لذا تم صياغة بعض المذكرات التي أريد من خلالها إرغام الدولة العثمانية على القيام بإصلاحات , لتحسين أحوال رعاياها مثل (مذكرة أُندراسي ومذكرة برلين) , ولكن دون جدوى . ولقد دفع ذلك الأمر الحكومة البريطانية والتي كانت تسعى لإدامة عمر الدولة العثمانية لأطول مدة ممكنة , لا سيما

وأنها كانت تعتبر الدولة العثمانية بمثابة (الدولة العازلة Buffer State) بينها وبين روسيا في الشرق الأدنى للدعوة لعقد مؤتمر دولي لبحث تداعيات الأزمة البلقانية , ووضع الحلول المناسبة لمعالجتها , دون المساس بوحدة واستقلال الدولة العثمانية . وتمت موافقة الدول الكبرى الست على عقد ذلك المؤتمر في العاصمة العثمانية إسطنبول في نهاية عام ١٨٧٦ . سنحاول في سياق هذا البحث الاجابة عن التساؤلات التالية : ما هو سبب اندلاع الأزمة البلقانية ولماذا لم تقم الحكومة العثمانية بتطبيق الإصلاحات التي ألزمت بها بموجب معاهدة باريس لعام ١٨٥٦ ؟ وهل ان تلك الأخيرة وعدم جديتها بإجراء اصلاحات هو السبب الذي أدى لإندلاع الأزمة عام ١٨٧٥ ؟ ولماذا حاولت روسيا استغلال الأزمة لصالحها , وإرغام دول (عصابة الأباطرة الثلاثة) على التدخل العسكري لحل تلك الأزمة؟ ولماذا كانت النمسا – المجر , تعارض اي تدخل لروسيا في البلقان ولماذا كانت ألمانيا دائماً تسعى للتوفيق بين روسيا والنمسا – المجر مع ميل بسمارك إلى الأخيرة ؟ ولماذا كانت بريطانيا حريصة على حل النزاعات بين السلطان العثماني ورعاياه بالطرق السلمية وبدون تدخل روسيا والنمسا – المجر ؟ ولماذا رفض العثمانيون بنود ومقررات مؤتمر القسطنطينية ؟ وهل أنّ بريطانيا التي دعت لعقد ذلك المؤتمر دور في عدم نجاحه ؟ . كل هذه التساؤلات وغيرها سيتم الاجابة عليها من خلال سياق هذا البحث .

Abstract :

Re Presented Treaty of Paris in 1856 , That came in the wake of The Crimean war Fill the Ottoman Empire For to keep The Unity and Independence For as Long as Possible and avoid attempts , The Great Powers , Especially those with Ambition and benefit Interests Strategy in The Eastern Question , which Seeks to divide , Now that those State imposed on the Ottoman Empire , The Reforms Must be Undertaken To improve Condition Christians nationals in the Balkan , but those Reforms it was not Related Returns Positive , So the Revolution broke out in Bosna and Herzegovina in a year 1875 to announce the Start the Great Crisis Balkan (1875 – 1878) . I tried the Great Powers

intervention to Repair Case between the Sultan and his Flock , some have try to pled and in Particular Russia and Austria – Hungary Exploit that Situation achieve Its expansionist aims in the Balkan Through the Formation some decisions and Notes , but Great Britain it Refused to do so , and Colled on prime Misister (Disraeli) to hold international Conference to slaves the Balkan Crisis and Re – Conciliation between sultan and sponsorship it held The Constantinople Conference in (11 December 1876) and Continued to (22 January 1877) , in the Ottoman Capital Istanbul , but he did not achieve The desired objectives From him Several Reasons Most not ableis Rejected The Ottoman Government to Decision Resulting and his Failure to end work and its Oared the way For the Outbreak The Russia – Ottoman war in April 1877 .

– أولاً – الأزمة البلقانية وموقف الدول الكبرى منها :-

لَمْ تلتزم الدولة العثمانية بالوعود التي قطعتها للدول الكبرى بموجب معاهدة (باريس ١٨٥٦)^(١) , للقيام بإصلاحات تخدم رعايا السلطان من الأقليات والطوائف الدينية , لا سيما المسيحية منها , على الرغم من قيام السلطان العثماني بإصدار (خط همايون الاصلاحى)^(٢) , والذي توعده بموجبه بتحقيق العدالة والمساواة بين كافة رعاياه^(٣) . إلا أنّ وصول الدولة العثمانية إلى مرحلة كبيرة من الضعف والتدهور , خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر حال دون قيام تلك الإصلاحات . إذ لم يعد باستطاعة الدولة العثمانية فرض سيطرتها وسيادتها على ممتلكاتها في البلقان , مما أدى إلى حدوث سلسلة من الانتفاضات والثورات الشعبية ضد الوجود العثماني في تلك المناطق , وكان الهدف من تلك الانتفاضات هو التخلص من السيطرة العثمانية^(٤) . اندلعت الأزمة في (البوسنة والهرسك) في التاسع من حزيران عام ١٨٧٥ , على إثر قيام الفلاحين المسيحيين في الهرسك بإثارة الاضطرابات ضد الدولة العثمانية , بسبب قلة المحاصيل الزراعية في ذلك العام , وإصرار جباة الضرائب . الذين كان غالبيتهم من المسلمين . على تسديد الفلاحين لما بذمتهم من رسوم ضرائب متراكمة من سنوات سابقة^(٥) . وعلى إثر ذلك لجأ غالبية الثوار من الفلاحين إلى الجبل الأسود , وذلك في تموز من العام نفسه^(٦) , بعد أن انضم إليهم العديد من سكان الأقاليم البلقانية

الأخرى , الساخطين على السياسة العثمانية والمتأثرين بقضية (الجامعة السلافية The Pan Slavia)^(٧) , وأخذوا يثيرون الاضطرابات والقتل بين المسلمين المقيمين في نفس أقاليمهم . وقد حظيت تلك الانتفاضة بدعم وتأييد من قبل صربيا والجبل الأسود , إلا أنّ الجيش العثماني قام بالتصدي لتلك الانتفاضة , والحق هزيمة كبيرة بجيوش صربيا , وهدد بدخول عاصمتها بلغراد , في حال استمرت بدعم المتمردين^(٨) . ومما زاد الامور تعقيداً هو إعلان سكان بلغاريا الثورة والتبرّد على الحكم العثماني , وذلك في العشرين من آب من العام نفسه^(٩) .

نتيجة لاشتداد الأزمة وتصلب الموقف العثماني منها , فقد حاولت الدول الأوروبية استغلالها لتحقيق غاياتها وأهدافها التوسعية في الدولة العثمانية , وكانت روسيا في طليعة تلك الدول , إذ حاولت دعم الثوار , لغرض تحقيق أهدافها التقليدية , والمتمثلة بالوصول إلى المياه الدافئة والاستحواذ على العاصمة العثمانية إسطنبول^(١٠) , إلا أنّ السلطان العثماني (عبد العزيز ١٨٣٠ - ١٨٧٦ / ١٨٦١ - ١٨٧٦)^(١١) حاول تدارك الموقف , والحيلولة دون تدخل روسيا في انتفاضة سكان الهرسك , من خلال قيامه بإرسال وزير الخارجية (سرور باشا) , لغرض معالجة مشاكل الثوار , فضلاً عن قيام السلطان بإصدار مرسوم إصلاح في الثاني من تشرين الثاني ١٨٧٥ , تضمن مقترحات لمعالجة الأوضاع العامة في البلقان^(١٢) . إلا أنّ مضمون ذلك المرسوم لم يختلف كثيراً عن مرسومي عامي (١٨٣٩ و ١٨٥٦) , اللذان أُريد من خلالهما تحقيق المساواة بين رعايا السلطان العثماني^(١٣) .

وفي الثاني عشر من كانون الاول من العام نفسه حاول السلطان الاستجابة لبعض مطالب الثوار^(١٤) . إلا أنّ الآخرين استمروا بتمردهم , وذلك لعدم ثقتهم ولعلمهم بعدم جدية الحكومة العثمانية بتنفيذ تلك الوعود من جهة , ومن جهة أخرى لاستمرار الدعم والمساعدات التي كانوا يحصلون عليها من الدول البلقانية المجاورة , لا سيما من صربيا والجبل الأسود^(١٥) .

حاولت الدول الأوروبية الكبرى التوسط بين السلطان ورعاياه , من خلال حث حكومة الباب العالي على القيام بالإصلاحات اللازمة والتي تلبي مطالب الثوار المشروعة . وكانت إمبراطورية النمسا - المجر في مقدمة تلك الدول . إذ قدّم وزير خارجيتها (الكونت أندراسي Cont Andracy ١٨٢٣ - ١٨٩٠ / ١٨٧١ - ١٨٧٩)^(١٦) , في الثلاثين من كانون الاول من العام نفسه مجموعة مقترحات , بالتشاور مع الحكومة الروسية , لغرض حل الأزمة , عرفت بـ (مذكرة أندراسي)^(١٧) . وهي بمثابة الدعوة للإصلاح بين السلطان العثماني ورعاياه , مقدمة من قبل دول (عصابة الأباطرة الثلاثة)^(١٨) . وقد وافقت عليها كلاً من إيطاليا وفرنسا , في حين تردد رئيس الوزراء البريطاني (بنجامين دزرائيلي Benjamin Disraeli ١٨٠٤ - ١٨٨١ / ١٨٧٤ - ١٨٨٠)^(١٩) على الموافقة عليها في بداية الأمر , لأنه أراد معرفة موقف المستشار الألماني (أوتوفون بسمارك Otto Von Bismarck ١٨١٥ - ١٨٩٨ / ١٨٧١ - ١٨٩٠)^(٢٠) , الذي لم تشترك بلاده في تقديم المذكرة , وذلك لأنه لم تكن لألمانيا - حتى ذلك الوقت - أية مطامع في المسألة الشرقية من جهة , ومن جهة أخرى لأنه كان يحاول عدم إثارة الخلافات بين روسيا والنمسا - المجر حول التوسع والنفوذ في البلقان , إلا أنّ المستشار الألماني وافق عليها في نهاية الأمر^(٢١) .

أعلنت الحكومة العثمانية على إثر ذلك عن موافقتها على بنود مذكرة أندراسي وذلك في الحادي عشر من شباط عام ١٨٧٦^(٢٢) . وأصدر السلطان عبدالعزيز مرسوماً بذلك الشأن , فضلاً عن قيامه بإصدار عفوٍ عامٍ عن الثوار مع استثنائهم من دفع الضرائب ولمدة عامين^(٢٣) . إلا أنّ الحكومة العثمانية لم تستطع تطبيق وتنفيذ كل ما جاء في مذكرة أندراسي والمراسيم السلطانية السابقة الذكر , وذلك لأنها كانت تعاني خلال تلك المدة من أزمة مالية حادة , فضلاً عن ذلك فإنها كانت قد أعلنت إستفلاسها في السادس من تشرين الاول عام ١٨٧٥^(٢٤) . وكان الثوار لا يثقون بوعود السلطان العثماني , لذا استمروا بتمردهم نتيجة للدعم اللامحدود الذي قدمه لهم السفير الروسي

في إسطنبول (أجناتيف Ignatie ١٨٣٢ - ١٩٠٨ / ١٨٦٤ - ١٨٧٧)^(٢٥) ,
وحته للثوار على مواصلة نضالهم وعدم الرضوخ للوعود العثمانية^(٢٦) .

حاول أندراسي حث الثوار على القبول بوعود السلطان , وطلب من روسيا
الضغط عليهم لإنهاء التمرد , إلا أنَّ وزير الخارجية الروسي (الكسندر مكالوفتش
جورتشاكوف Alexander Mikhailovich Gorchakov ١٧٩٨ - ١٨٨٣ /
١٨٥٦ - ١٨٨٢)^(٢٧) , رفض مقترحات أندراسي . لذا دعا الأخير لعقد اجتماع بين
روسيا والنمسا - المجر وألمانيا في برلين , لغرض بحث موضوع الانتفاضة
البلقانية^(٢٨) . وتم عقد ذلك الاجتماع بزعامة بسمارك في الحادي عشر من آيار عام
١٨٧٦^(٢٩) . وقدم وزير الخارجية الروسي جورتشاكوف مقترحاً في ذلك الاجتماع ,
يؤكد على وجوب تدخل الدول الأوروبية الكبرى لحث السلطان العثماني , لغرض القيام
بإصلاحات عامة , وتشكيل لجنة دولية مشتركة لغرض مراقبة تطبيق تلك
الإصلاحات^(٣٠) . إلا أنَّ تلك المقترحات جوبهت بمعارضة ألمانيا والنمسا - المجر ,
لتخوفهما من نية روسيا من وراء ذلك , ان يؤدي إلى تكوين دولة سلافية كبرى في
البلقان , من شأنها تهديد مصالح إمبراطورية النمسا - المجر هناك^(٣١) .

قدم أندراسي على إثر ذلك مقترحاً جديداً عرف بـ(مذكرة برلين Berlin
Memorandum)^(٣٢) , تم صياغتها وإرسالها إلى بريطانيا وفرنسا وإيطاليا لغرض
دراستها والاطلاع عليها , وذلك في الثالث عشر من آيار من العام نفسه^(٣٣) .

أعلنت فرنسا وإيطاليا موافقتهما على بنود مذكرة برلين^(٣٤) . أما
بريطانيا فرفضتها وبشدة , إذ اعتبرها رئيس الوزراء دزرائيلي بأنها تم صياغتها من
لدن دول عصبة الأباطرة الثلاثة وقدمت دون استشارة بريطانيا^(٣٥) , متجاهلين دور
الآخيرة وأهميتها كدولة كبرى , لها ثقلها في أوروبا وعَدَّها محاولة من قبل دول عصبة
الأباطرة الثلاثة لتحجيم دور بريطانيا^(٣٦) . فضلاً عن ذلك فأن الحكومة البريطانية
كانت تخشى أن تكون مذكرة برلين سبيلاً للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية
من قبل تلك الدول^(٣٧) . وفي الوقت نفسه حذر السفير البريطاني في إسطنبول (هنري

إليوت Henry Eliot ١٨١٧ - ١٩٠٧ / ١٨٦٧ - ١٨٧٧)^(٣٨) , من مغبة انفراد روسيا وتدخلها في الانتفاضة البلقانية , لغرض تحقيق أهدافها في العاصمة العثمانية والوصول إلى المياه الدافئة , لذا فعلى حكومة صاحبة الجلالة اتخاذ كل التدابير اللازمة للحيلولة دون ذلك^(٣٩) . وبناءً على توصيات إليوت قرر دزرائيلي في الرابع والعشرين من آيار من العام نفسه , إرسال الاسطول البريطاني إلى خليج (بسيكا Besika - على الدردنيل)^(٤٠) . الا أنّ ذلك القرار لم يلاقي موافقة بعض الاطراف في الحكومة البريطانية , إذ عدّها البعض انفراد عن الدول الكبرى , ولم ترحب بها الملكة (فكتوريا Queen Victoria ١٨١٩ - ١٩٠١ / ١٨٣٧ - ١٩٠١)^(٤١) , التي تخوفت من احتمالية اعتقاد الدولة العثمانية بالاعتماد على بريطانيا في مجابهة محاولات روسيا والنمسا - المجر , لتقسيمها مما يجعل بريطانيا في موقف عدائي من تلك الدول^(٤٢) .

لم يأبه دزرائيلي لتحذيرات الملكة فكتوريا ومخاوف واعتراضات وزير خارجيته (ادورد جورج جفري ستانلي ديربي Edward George Geofry Stanly Derby ١٧٩٩ - ١٨٨٩ / ١٨٧٤ - ١٨٧٦)^(٤٣) , من احتمال اقحام بريطانيا في حرب مع دول عصابة الأباطرة الثلاثة , لذا قام دزرائيلي بعقد اجتماع للحكومة البريطانية في الرابع والعشرين من آيار عام ١٨٧٦ , قرر بموجبه تعزيز التواجد البحري البريطاني في المضائق العثمانية , مبرراً ذلك بقصد المحافظة على مقررات معاهدتي عامي (١٨٤١ و ١٨٥٦) , اللتان أكدتا على منع السفن الحربية الروسية من عبور المضائق العثمانية في أوقات السلم^(٤٤) . تفاقمّت الأوضاع في البلقان نتيجة لاندلاع الحرب العثمانية - الصربية , نتيجة لتعسف الجيش العثماني بقمع الانتفاضة في بلغاريا , وهنا حاولت الدول الكبرى التدخل مجتمعة , للحيلولة دون ازدياد القمع والقتل , الذي كانت تمارسه القوات العثمانية , في القضاء على الانتفاضة , والحيلولة أيضاً دون انفراد أحد الدول في المسألة الشرقية^(٤٥) . لذا قررت الحكومة البريطانية أخذ زمام المبادرة والدعوة لعقد مؤتمر دولي في العاصمة العثمانية إسطنبول , وصادقت الملكة فكتوريا على ذلك

، وقررت اختيار وزير شؤون الهند (اللورد روبرت أرثر تالبوت غاسكوين سالزبيري Robert Arthur Talbot Gascoyne Salisbury ١٨٣٠ - ١٩٠٣ / تموز ١٨٦٦ - آذار ١٨٦٧)^(٤٦) ، ممثلاً عن بريطانيا في المؤتمر^(٤٧) .

- ثانياً - انعقاد المؤتمر وأهم أهدافه :-

رحبت الدول الكبرى الست بالمقترح البريطاني لعقد مؤتمر دولي في إسطنبول ، واقترح وزير خارجية بريطانيا اللورد ديربي وضع قواعد أساسية لمناقشتها قبل البدء بأعمال المؤتمر ، تمثلت بوجود المحافظة على سلامة الدولة العثمانية ومشاركة مندوبين عنها في جلسات المؤتمر ، والتأكيد على وجوب قيامها بإصلاحات جذرية في الأقاليم المنتفضة (البوسنة والهرسك وبلغاريا) ، فضلاً عن التأكيد على إعادة حدود صربيا والجبل الأسود إلى ما كانتا عليه قبل اندلاع الأزمة^(٤٨) .

أما وزير الخارجية الروسي جورتشاكوف فأقترح في العشرين من آب من العام نفسه بأنه يتوجب على الدول الكبرى الست عقد مؤتمر دولي لمعالجة جميع مشاكل البلقان . وقد أبدت النمسا - المجر موافقتها على المقترح البريطاني عادةً العاصمة العثمانية أفضل مكان لعقده^(٤٩) . وأعلنت حكومة الباب العالي في التاسع عشر من تشرين الاول ، عن موافقتها بالاشتراك في المؤتمر ، وتم تكليف وزير الخارجية (صفوت باشا) والسفير العثماني في برلين (أدهم باشا) بتمثيلها فيه . أما بريطانيا فمثلتها بالإضافة إلى سالزبيري والسفير البريطاني في إسطنبول هنري إليوت . وأرسلت النمسا - المجر (البارون كاليس B . Calice) ، فضلاً عن سفيرها في إسطنبول (الكونت زخي Cont Zichy) ، وأرسلت فرنسا ممثلاً عنها (الكونت شودري C . Chardordy) ، ومثل ألمانيا سفيرها في إسطنبول أيضاً (البارون ويردر B . Werther) ، ومثل السفير الروسي أجناتيف بلاده ، ومثل (الكونت كوري Cont Corti) ، الجانب الإيطالي في المؤتمر^(٥٠) .

اقترح ممثلو الدول الكبرى في بداية الأمر عدم حضور ممثلين عن الجانب العثماني ، في الجلسات التمهيديّة للمؤتمر وأن يقتصر حضورهم على الجلسات

الرسمية ، الا أنّ الجانب العثماني اعترض على ذلك ، بسبب تخوف العثمانيين من انفراد المجتمعين بصياغة قرارات لا تصب في صالح الدولة العثمانية وتخدم مصالح المتمردين^(٥١) .

وصل ممثل بريطانيا اللورد سالزبيري إلى إسطنبول في الخامس من كانون الاول ١٨٧٦ ، والتقى بالسلطان العثماني (عبد الحميد الثاني ١٨٤٢ - ١٩١٨ / ١٨٧٦ - ١٩٠٩)^(٥٢) ، وأبدى الأخير رغبة باستمرار صداقة بلاده مع بريطانيا ، وأكد استعداداه للتعاون معها ، لغرض الشروع بالإصلاحات المزمع إجرائها في البلقان . الا أنّ سالزبيري لم يتعاطف مع السلطان لمعرفته المسبقة بعدم جدية الأخير ، لا سيما في قضية الإصلاحات ، فضلاً عن ميل سالزبيري للجانب الروسي ، إذ كان على صداقة وصلة مع القيصر الروسي (الكسندر الثاني Alexander II ١٨١٨ - ١٨٨١ / ١٨٥٥ - ١٨٨١)^(٥٣) والسفير الروسي في إسطنبول أجناتيف^(٥٤) ، على العكس من رئيس الحكومة البريطاني دزرائيلي ، الذي كان هدفه من ارسال سالزبيري إلى إسطنبول ، لأجل كبح جماح روسيا ومطامعها التوسعية في الدولة العثمانية^(٥٥) .

بدأ المؤتمر أعماله بصورة رسمية في (الحادي عشر من كانون الاول عام ١٨٧٦) ، واجتمع مندوبو الدول الكبرى الست في مقر السفارة الروسية في إسطنبول ، دون حضور ممثلين عن الجانب العثماني ، واستمرت اجتماعات المؤتمرين لدراسة مقترحات وزير الخارجية البريطاني اللورد ديربي التي تم الاتفاق عليها مسبقاً بينهم ، في (الرابع من تشرين الثاني من العام نفسه) ،

والخاصة بقضيتي البوسنة والهرسك^(٥٦) . لذا ركزت أغلب جلسات المؤتمر لمناقشة قضية بلغاريا^(٥٧) .

قد السفير الروسي أجناتيف مقترحاً يتضمن تكوين دولة بلغارية على غرار صربيا والجبل والأسود ، اللتان تم انشائهما بموجب مقررات معاهدة باريس لعام ١٨٥٦^(٥٨) ، على أنّ تمتد الدولة البلغارية المزمع انشائها من البحر الأسود شرقاً ، إلى صربيا غرباً ، وأنّ تحصل على منفذ على ساحل بحر إيجه ، وأنّ تكون خارج نطاق سيطرة الدولة

العثمانية وأن تكون تحت مراقبة وإشراف روسيا^(٥٩) .

اعترض ممثلو بريطانيا والنمسا - المجر على مقترح أجناتيف , وأبدت النمسا - المجر تخوفها من إمكانية أن تصبح بلغاريا منطقة نفوذ روسي في البلقان مع احتمالية أن يمتد ذلك النفوذ إلى بقية الأقاليم البلقانية الأخرى . واعتبر سالزيري مقترحات أجناتيف بمثابة التهديد لسيادة الدولة العثمانية^(٦٠) . لذا دعا الجانبان البريطاني والنمساوي - المجري لتعديل المقترح الروسي , بتقسيم بلغاريا إلى قسمين شرقي وغربي , على أن تمتد الحدود الجنوبية للقسمين من (أدرنه إلى موناستير) , الا أن ذلك سوف يحرم بلغاريا من الحصول على منفذ على بحر إيجه^(٦١) .

ومن الامور الأخرى التي تم مناقشتها في المؤتمر والاتفاق عليها هو توحيد البوسنة والهرسك في ولاية واحدة , تكون تابعة للدولة العثمانية . وارجاع صربيا والجبل الأسود إلى حدودهما , التي أقرتها معاهدة باريس لعام ١٨٥٦ , مع إعطاء صربيا منطقة (ميلي زفورنك Mali ZVornik) و توسيع حدود الجبل الأسود , بإعطائه منفذ مائي على (نهر بويان Bojana) وبحيرة (أشقودرة)^(٦٢) .

استمرت الجلسات والاجتماعات الاولى للمؤتمر اثنا عشر يوما (١١ - ٢٣ كانون الاول ١٨٧٦) , وبعد ان تم إنهاء تلك الاجتماعات التمهيدية قام سالزيري بأرسال الامور التي تم مداولتها والاتفاق عليها بين ممثلي الدول الكبرى الست , إلى الحكومة العثمانية , وذلك في الرابع والعشرين من الشهر نفسه . فضلاً عن ذلك فقد التقى سالزيري بالصدر الأعظم (مدحت باشا ١٨٢٢ - ١٨٨٢ / ١٨٧٦ - ١٨٧٧)^(٦٣) , الا أن الأخير رفض جميع مقترحات ومقررات المؤتمر مسبقاً^(٦٤) .

بدأ مندوبو الدول الكبرى الست في الثالث والعشرين من كانون الاول اجتماعاتهم الرسمية , في مقر وزارة الحربية العثمانية بإسطنبول , بحضور ممثلين عن الجانب العثماني , وهما (صفوت باشا وأدهم باشا) وقدم المجتمعون مقترحاتهم إلى ممثلي الدولة العثمانية , وفي تلك الاثناء فوجئ المجتمعون بسماع اصوات دوي المدافع , التي أطلقت تيمناً بصدور الدستور العثماني في (٢٣ كانون الاول ١٨٧٦)

(^{٦٥}) , الذي أكد على منح الحرية والمساواة لجميع رعايا السلطان دون تمييز بين طائفة وأخرى(^{٦٦}) . الا أنّ مندوبو الدول الكبرى استمروا في اجتماعاتهم , معتبرين إعلان صدور الدستور إعلاناً شكلياً , لأنّ الدولة العثمانية كانت قد أعلنت في السابق عن العديد من المراسيم الإصلاحية , غير أنها لم تطبق أي واحدة منها بصورة صحيحة(^{٦٧}) . واعتبر المندوب الروسي أجناتيف إنّ صدور الدستور العثماني أشبه بـ((لعبة الاطفال))(^{٦٨}) , أو محاولة لإيهام الدول الكبرى .

ممثلاً الدولة العثمانية في المؤتمر , تعديل المقترحات التي قدمها ممثلو الدول الكبرى , وأعلن المؤتمر في الثامن والعشرين من كانون الاول من العام نفسه تمديد الهدنة بين الباب العالي وصربيا والجبل الأسود لمدة شهرين , وفي الوقت نفسه حملّ رئيس الوفد الفرنسي (شودري) , حكومة الباب العالي مسؤولية المذابح التي ارتكبت في بلغاريا على يد القوات العثمانية , واتهم ممثلو الاخيرة بمحاولة عرقلة أعمال المؤتمر(^{٦٩}) .

حاول ممثل بريطانيا سالزبيري اقناع السلطان عبدالحميد الثاني وحكومته بقبول مقترحات المؤتمر والتعاون مع مندوبي الدول الكبرى , لوضع حل مناسب للأزمة البلقانية , وذلك في الرابع من كانون الثاني عام ١٨٧٧ , وأكد سالزبيري للسلطان أنه في حال استمرار رفض الحكومة العثمانية , فإنّ المؤتمر سوف ينفذ وسيغادر مندوبو الدول الكبرى , مما سيضع الدولة العثمانية في عزلة تامة مع احتمالية قيام روسيا بإعلان الحرب عليها(^{٧٠}) .

- ثالثاً - مقررات المؤتمر :

وقع مندوبو الدول الست الكبرى في الخامس عشر من كانون الثاني عام ١٨٧٧ على مقررات المؤتمر , واعتبروا تلك المقررات كحد أدنى من المطالب التي لا يمكن التراجع عن أي منها . حسب آرائهم . , وطلبوا من السلطان العثماني عبدالحميد الثاني الموافقة عليها , خلال مدة أقصاها أسبوع , وبخلاف ذلك فإنّ مندوبي الدول

سيغادرون إسطنبول ، ويتحمل السلطان وحكومته تبعات ذلك^(٧١) . ومن أبرز تلك المقررات ما يأتي :

أ . فيما يخص صربيا والجبل الأسود :-

أكد المؤتمر على أن تحافظ الامارتان على ما كانتا عليه قبل اندلاع الأزمة وبيقيان تحت السيادة العثمانية . وأن تترك (كوجل و زورنك) لصربيا . أما المناطق المتنازع عليها على حدود البوسنة منذ عام ١٨٣٣ فتشكل محكمة لتقرير عائدتها بموجب مرسوم سلطاني . فضلاً عن توسيع حدود الجبل الأسود واعطائه كلاً من (بيو Piva و درونيك Drobnjak و بنياني Banjani و نكسج Nickistch و زوبي Zubi و سبيزا Spizza) ، مع اعطائه حرية الملاحة في نهر بويان وبحيرة أشقوردة . وأن يعقد صلح بين صربيا والجبل الأسود والدولة العثمانية ويتم تبادل الاسرى بين الطرفين^(٧٢) .

ب . فيما يخص البوسنة والهرسك وبلغاريا :-

١ . يتم توحيد البوسنة والهرسك في ولاية واحدة وتقسيم ولاية الدانوب (الطونه) إلى منطقتين شرقية مركزها (ترنوفو Ternovo) وغربية مركزها (صوفيا Sophia) . على ان يكون حاكمها من المسيحيين التابعين للدولة العثمانية ومن خارج الولاية يتم تعيينهم من قبل السلطان العثماني وبموافقة الدول الكبرى ولمدة خمس سنوات ، وان يقوم والي المنصب بتشكيل قوة عسكرية محلية وقوة ضبطية (جندرية) ، من أهالي المنطقة ، المسلمين والمسيحيين ، وعلى والي المنطقة تكفل نفقاتهم ، ويتولى قيادة تلك القوات ضباط مسلمين ومسيحيين ، وأن تبقى عساكر الحكومة المركزية في القلاع وامكن تحددها الحكومة العثمانية والدول الكبرى الست^(٧٣) .

٢ . يتم تشكيل مجلس لإدارة أمور الولاية ، الادارية والمالية ، يتكون من نواب الاهالي في المدن والقرى التابعة للولاية ، والمجلس مهمته ومسؤوليته تنظيم جباية الضرائب والايادات ونفقات الولاية ، على أن يتعاون أعضائه مع رؤساء الطوائف الدينية ، وأن لا يتم تغيير أو إبعاد أعضاء هذا المجلس ، الا بموافقة الحكومة العثمانية المركزية

والدول الكبرى . وأن يقوم هذا المجلس بدفع ما يقارب (٣٠ % من إيرادات الولاية) ,
لخزينة الدولة العثمانية ويصرف الباقي على الولاية^(٧٤) .

٣ . تقسم الولاية إلى متصرفيات , يرأس كل واحدة منها متصرف , يتم تعيينه من قبل
الحكومة العثمانية بعد ان يقوم الوالي بترشيحه , وهو ينوب عن الوالي , ومسؤول عن
المحافظة على الأمن وتطبيق النظام داخل المتصرفية ويكون حلقة وصل بين الوالي
ومجلس المتصرفية , وكل متصرفية يكون لها دائرة ومجلس متصرفية , يتكون من (
أربعة أشخاص) , يقوم الولي باختيارهم من أعيان المتصرفية ومن أعضاء المجالس
البلدية . وتنقسم المتصرفية إلى مديريات , يكون عدد سكان كل مديرية من (٥٠٠
إلى ١٠٠٠ نسمة) , على أن يتم فصل المديريات التي يسكنها المسيحيون عن تلك
التي يسكنها المسلمون . وتنقسم كل مديرية إلى قرية , وللأخيرة رئيس يقوم الأهالي
بانتخابه , بغض النظر عن انتمائه الديني . وفي كل متصرفية مجلس يسمى مجلس
المتصرفية . وينتخب مجلس المتصرفية اثنين من أعضائه ويختار الوالي أحدهما
ليكون رئيس المتصرفية , ويكون له الحق في النيابة عن مجلس المتصرفية (أي يكون
بمقام الوالي في متصرفيته) , ومن واجباته انشاء الطرق وتنظيم الجندرية , إذ تكون
ادارة المتصرفية مستقلة به^(٧٥) .

٤ . تقوم الحكومة العثمانية بإجراء احصاء لسكان كل متصرفية وبأقرب وقت ممكن .
وتقوم أيضاً بمسح الاراضي الصالحة للزراعة في المتصرفيات , وأن يعامل جميع
السكان بالتساوي , أمام القانون القضائي العثماني , دون تمييز بين طائفة وأخرى ,
وتلغى الامتيازات الخاصة , وتضمن وتكفل حرية العقيدة وتبقى المساجد والكنائس
والمدارس الاهلية الخاصة بيد اصحابها , وتكفل حرية التعليم , وتكون اللغات المحلية
(الصربية والبلغارية) هي اللغات الرسمية في الولاية والمتصرفيات المختلطة , على
أن تكون للغة العثمانية واللغات المحلية الأخرى حق متساوي أيضاً مع تلك اللغتين (
البلغارية والصربية)^(٧٦) .

٥ . يتم تطبيق هذه المقترحات بمساعدة قوة من العساكر , وتقوم الدول الكبرى بتشكيل لجنة من مندوبيها تكون برئاسة الحكومة العثمانية وأعيان من المسيحيين , وتستعين هذه اللجنة بمجموعة من الضباط المتطوعين من دول محايدة , يكونون تحت امرة الوالي ويرتدون الزي العسكري العثماني , على أن تكون نفقاتهم من خزينة الولاية ويتعاونون مع القوات المحلية (الجندرية) , لغرض تطبيق الإصلاحات . وأن تقوم الدول الكبرى بإعادة النظر بالقوانين الجنائية والمالية العثمانية , وتعديلها على ضوء القوانين الفرنسية , ثم تقوم الحكومة العثمانية بنشر تلك القوانين باللغات المحلية في تلك الولايات بالنسبة للمسيحيين . أما ما يتعلق بالقوانين الخاصة بالمسلمين (المالية والجنائية أيضاً) , فيترك أمرها للشرعية الاسلامية^(٧٧) .

قام المؤتمر بصياغة شروط ومقررات أخرى , بالإضافة إلى القرارات السابقة , الغرض منها تنفيذ الإصلاحات التي تمخضت عن مؤتمر القسطنطينية . ومن أبرزها تواجد قوات بلجيكية (دولة محايدة) يقدر عددها بـ (خمسة الاف مقاتل) , في ولايات البوسنة والهرسك وبلغاريا , فضلاً عن ذلك فقد أكد المؤتمر على وجوب عدم إسكان الشركس في (الرومييلي) , وأن تقوم الحكومة العثمانية بإصدار عفو عام عن جميع الجرائم السياسية في البلقان^(٧٨) .

- رابعاً - موقف الدولة العثمانية من مقررات المؤتمر وأسباب فشله :-

بعد قيام مندوبي الدول الكبرى بتسليم حكومة الباب العالي لمقررات المؤتمر في الخامس عشر من كانون الثاني ١٨٧٧ , قام ممثل بريطانيا اللورد سالزبيري ببعث رسالة سرية إلى الصدر الأعظم مدحت باشا , وذلك في السابع عشر من الشهر نفسه , أوضح من خلالها الوضع المتدهور للدولة العثمانية , ويحث من خلالها على وجوب الموافقة على جميع مقررات المؤتمر , فضلاً عن ذلك فقد أكد سالزبيري من خلال تلك الرسالة أيضاً على أن روسيا تحاول انتهاز أي فرصة لتعلن الحرب على الدولة العثمانية , وأن ليس بمقدور الأخيرة الصمود في تلك الحرب , بسبب ما تعانيه من

أزمة مالية خانقة , وأنّ المسيحيين في البلقان سيعلمون الثورة والتمرد من جديد , لذا فإنّ موافقة الحكومة العثمانية على مقترحات مؤتمر القسطنطينية تُعدّ بمثابة الفرصة الأخيرة لسلامة وديمومة حكومة السلطان , لأطول مدة ممكنة^(٧٩) .

شكلت حكومة الباب العالي , على إثر تلك الرسالة , مجلساً خاصاً للنظر في مقررات مؤتمر القسطنطينية , إذ أنّ مجلس (المبعوثان) , كان لم يشكل حتى ذلك الحين وتألّف المجلس من بعض كبار الضباط ورؤساء المحاكم العليا والوزراء وكبار موظفي الدولة و رؤساء الطوائف الدينية , فضلاً عن بعض علماء المسلمين . وعقد المجلس اجتماعاً في الثامن عشر من كانون الثاني في مقر الحكومة العثمانية^(٨٠) . و أوضح الصدر الأعظم مدحت باشا للحاضرين إنّ الهدف من هذا الاجتماع هو للنظر في مقررات مؤتمر القسطنطينية وقبولها أو رفضها , وأكّد على أنّ عدم قبولها سوف يؤدي إلى قيام الدول الكبرى بسحب ممثليها ومغادرة العاصمة^(٨١) . وأكّد الأخير للحاضرين أيضاً عن موقف كلاً من بريطانيا وفرنسا من أنهما لن يعلن الحرب على الدولة العثمانية , الا أنّهما لن يقدموا لها الدعم والاسناد في حال قيام روسيا بإعلان الحرب عليها^(٨٢) . وأكّد مدحت باشا أيضاً على حجم الخلافات بين روسيا والنمسا – المجر ومطامعهما في البلقان ووضع الدولة العثمانية المتدهور , مادياً وعسكرياً , وإنّ رفض الجانب العثماني لمقررات المؤتمر , سيكون بمثابة التهديد لاستقلال الدولة العثمانية , وإنّ قبولها سيؤدي إلى الاخلال بسيادتها على أراضيها . مما يتيح المجال للدول الكبرى بالتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية^(٨٣) .

أعلن المجتمعون رفضهم لمقررات مؤتمر القسطنطينية , وقام صفوت باشا في العشرين من كانون الثاني من العام نفسه , بإعلام ممثلي الدول الكبرى برفض بلاده لجميع مقررات المؤتمر , وأنّ حكومة الباب العالي ترفض قرارات المؤتمر^(٨٤) . وعلى إثر ذلك أعلن اللورد سالزبيري اختتام أعمال ومناقشات المؤتمر , وأعلن السفير الروسي في الدولة العثمانية أجناتييف مهدداً الدولة العثمانية , وأنّ على الدول الكبرى اتخاذ التدابير اللازمة لتحسين أحوال المسيحيين في البلقان^(٨٥) . وقام مندوبو الدول

الكبرى بالتوقيع على مقررات المؤتمر في الثاني والعشرين من كانون الثاني من العام نفسه , وتهيأوا لمغادرة العاصمة العثمانية , وكان سالزبيري أول من غادرها , ثم تبعه ممثلو إيطاليا وألمانيا والنمسا – المجر^(٨٦) .

اتهم اللورد سالزبيري الصدر الأعظم مدحت باشا , عاداً إياه السبب في إفشال المؤتمر , فضلاً عن ذلك فقد أعتبر وزير الخارجية البريطاني اللورد ديربي بأن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني [شخص أحمق , لم يستغل الفرصة التي وفرها مؤتمر القسطنطينية , للإبقاء على وحدة وسلامة دولته , لأطول مدة ممكنة]^(٨٧) .

يبدو أنّ إصرار الجانب العثماني لرفض مقررات مؤتمر القسطنطينية جاء نتيجة لدعم (خفي) من لدن الحكومة البريطانية , إذ قام رئيس وزراء الأخيرة دزرائيلي , بقاء السفير العثماني في لندن (موزوروس باشا) , وطلب منه حث الصدر الأعظم مدحت باشا على وجوب رفض تلك المقترحات , التي تمخض عنها المؤتمر , ولكن بأسلوب سياسي ودبلوماسي , إذ أنّ مدحت باشا كان يحصل على دعم خفي وغير مباشر من لدن السفير البريطاني في إسطنبول (هنري إليوت) , الذي كان يتشاطر الرأي مع دزرائيلي , ويعارضان سياسيات ومواقف اللورد سالزبيري في مؤتمر القسطنطينية^(٨٨) . في حين كانت المكلة فكتوريا ووزير الخارجية اللورد ديربي يؤيدان قرارات سالزبيري ووجهة نظره , المتمثلة بوجود عدم إقحام بريطانيا في مشاكل وحروب مع روسيا , لأجل الدولة العثمانية . ولعل ذلك الأمر هو الذي شجع الصدر الأعظم مدحت باشا وحكومته على رفض مقررات المؤتمر , ولكن السفير العثماني في لندن (موزوروس باشا) , أكدّ لحكومته على عدم الثقة ببريطانيا وعدم قطع الامل نهائياً بمساعدتها^(٨٩) .

أدى موقف الحكومة العثمانية الراض لمقررات مؤتمر القسطنطينية إلى تصاعد أصوات المعارضة البرلمانية داخل بريطانيا , إذ نادى زعيم حزب الاحرار (وليم أيوارت غلادستون William Ewart Gladstone ١٨٠٩ – ١٨٩٨)^(٩٠) بضرورة التعاون مع روسيا , لإرغام العثمانيين على قبول مقررات المؤتمر وإدخال

الإصلاحات اللازمة^(٩١) . الا أن دزرائيلي طلب من مبعوث بريطانيا العسكري لتحسين إسطنبول (هو Hom) , إدخال الاسطول البريطاني من خليج بسىكا إلى مضيق الدردنيل , تحسباً لأي أمر يمكن أن يهدد المصالح البريطانية هناك . وأكد الأخير إن أمام الحكومة البريطانية أمران أولهما هو الوقوف إلى جانب الدولة العثمانية , في حال تعرضها لأي اعتداء روسي في المستقبل , ولكن ذلك الأمر سيكلف حكومة صاحبة الجلالة الكثير من الأموال والأرواح . أما الأمر الثاني فهو ترك الحكومة العثمانية تواجه مصيرها المحتوم , مقابل أن تحصل بريطانيا على بعض المكاسب , ذات الفائدة , مثل (قبرص والدردنيل ومصر) , ولعل الأمر الثاني كان الأقرب لرغبة سالزبيري ووزير الخارجية اللورد ديربي^(٩٢) .

أما روسيا وبعد شعورها بعدم جدية الحكومة العثمانية بالموافقة على مقررات مؤتمر القسطنطينية , فكانت أول خطوة قامت بها هي الاتصال بألمانيا , وطلبت منها ضمان حياد النمسا - المجر , لكي تتفرغ للحرب على الدولة العثمانية , الا أن بسمارك أعلن حياديته وعدم الانحياز إلى أية جهة , ولكنه أراد في الوقت نفسه إطلاق يد روسيا في البلقان , على أن لا يكون ذلك على حساب مصالح النمسا - المجر^(٩٣) . الا أن روسيا قامت قبل ذلك وتحديداً في الخامس عشر من كانون الثاني , بتوقيع اتفاقية مع النمسا - المجر (ميثاق بودابست Budapest Converntion) , الذي أكد على وقوف النمسا - المجر على الحياد , في حال اندلاع الحرب ما بين روسيا والدولة العثمانية , مقابل حصول النمسا - المجر على حق ضم البوسنة والهرسك^(٩٤) . يمكن القول بأن من أبرز أسباب فشل مؤتمر القسطنطينية هو تصلب الموقف العثماني الرافض لمقررات ذلك المؤتمر , ولعل الجانب العثماني كان يعول على عدة أمور من أبرزها هو الانتصارات التي حققها الجيش العثماني , وتمكنه من قمع الحركات الثورية , في البوسنة والهرسك وبلغاريا , فضلاً عن قناعة الصدر الأعظم مدحت باشا وإدراكه لحجم الانقسام ما بين الدول الكبرى واختلاف موقفها تجاه الدولة العثمانية , إذ كانت التناقضات كبيرة ما بين روسيا والنمسا - المجر , وميل

ألمانيا إلى جانب الأخيرة^(٩٥) . فضلاً عن ذلك يمكن القول بأن بريطانيا هي من أفضل المؤتمر , إذ لم يقر رئيس الحكومة البريطانية دزرائيلي بتوجيه إنذار للسلطان وحكومته , لإرغامهم على قبول مقررات المؤتمر , والتأكيد لهم بأن حكومة صاحبة الجلالة سوف لن تقف إلى جانبهم , في حال اندلاع حرب بينهم وبين روسيا , أو مع النمسا – المجر^(٩٦) .

لقد عولت الدولة العثمانية على الموقف البريطاني المناهض لتطلعات روسيا , في الوصول إلى المياه الدافئة , واعتقدت حكومة الباب العالي بأن روسيا ضعيفة , وأنها سوف لن تغامر بالحرب ضد الدولة العثمانية , وفي حال قيامها بذلك فإنها ستثير غضب الدول الأوروبية الكبرى وإن بريطانيا ستقف إلى جانب الدولة العثمانية . ولكن كل تلك الحسابات لم تكن دقيقة , بدليل قيام روسيا بإعلان الحرب على الدولة العثمانية في الرابع والعشرين من نيسان عام ١٨٧٧^(٩٧) .

- الخاتمة والاستنتاجات :-

- ١ . لم تلتزم الدولة العثمانية ببنود معاهدة باريس (٣٠ آذار ١٨٥٦) , التي عقدتها في أعقاب حرب القرم , التي تعهدت بموجبها بالقيام بإصلاحات , لتحسين أوضاع رعاياها في البلقان , مما جعل الأخير مسرحاً للثورات والانتفاضات ضدها .
- ٢ . كان السبب المباشر لإعلان أهالي البوسنة والهرسك للثورة ضد الدولة العثمانية عام ١٨٧٥ هو المعاملة المجحفة من لدن الحكومة العثمانية , وتحديدًا في قضية الضرائب وعدم المساواة فيها , فضلاً عن رغبتهم بالتححر من النير العثماني .
- ٣ .. كانت الدول الأوروبية الكبرى تنتظر الفرصة المناسبة للانقضاض على أملاك السلطان العثماني في البلقان , لذا جاءت الأزمة البلقانية لعام ١٨٧٥ , لتصب في مصلحة تلك الدول , لا سيما روسيا والنمسا – المجر .
- ٤ . حاولت الدول الكبرى ومنذ اندلاع الأزمة التدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية , من خلال قيام حكومة النمسا – المجر بإصدار (مذكرة أندراسي) , التي

دعا من خلالها لتوحيد الجهود بين الدول الكبرى وإرغام السلطان على تحسين أحوال رعاياه المسيحيين في البلقان .

٥ . ترددت الحكومة البريطانية في بداية الأمر ولم تؤيد مقترحات أندراسي , إذ أرادت معرفة موقف ألمانيا منها , حتى لا تصطدم بريطانيا بدول (عصبة الأباطرة الثلاثة) , الا أنّ ألمانيا لم تكن لها أية مصالح في المسألة الشرقية . حتى ذلك الوقت على أقل تقدير . لذا فإنّ المستشار الألماني بسمارك لم يتدخل في صياغة مذكر أندراسي , حتى لا يثير الخلافات والمشاكل بين روسيا والنمسا – المجر .

٦ . وافقت الدولة العثمانية على بنود مذكرة أندراسي , وأعلن السلطان عبدالعزيز عن عزمه القيام بإصلاحات تخدم رعاياه في البلقان , ومنها إصدار عفوّ عام في الثاني عشر من شباط ١٨٧٥ , إلا أنّ بعض الدول الكبرى لم تكن تثق بوعود السلطان , لا سيما روسيا وذلك لأنّ الدولة العثمانية كانت في ذلك الوقت تعاني من مشكلة مالية كبيرة أدت إلى إستفلاسها .

٧ . حاول أندراسي حث الثوار على القبول بوعود السلطان لإجراء الإصلاحات وطلب من روسيا الضغط عليهم لأجل ذلك , الا أنّ روسيا رفضت ذلك ودعت كل من ألمانيا والنمسا – المجر لعقد اجتماع في برلين , لغرض معالجة الأزمة البلقانية . وأقترح وزير الخارجية الروسي جورتشاكوف تدخل دول عصبة الأباطرة الثلاثة , لإرغام السلطان العثماني على القيام بإصلاحات جادة وتشكيل لجنة دولية لمراقبة مدى قيام الجانب العثماني بتطبيق تلك الإصلاحات . الا أنّ ألمانيا والنمسا – المجر رفضتا مقترحات جورتشاكوف , معتبرت أن الأخير يسعى لفرض سيطرة بلاده (روسيا) على الشعوب البلقانية , مما يهدد مصالح النمسا – المجر هناك .

٨ . قدم أندراسي مقترحاً جديداً عرف بـ (مذكرة برلين) , حظي بتأييد كلاً من ألمانيا وفرنسا وإيطاليا , الا أنه رُفض من قبل بريطانيا , إذ اعتبر رئيس حكومة الأخيرة بأنّ مذكرة برلين قد تم صياغتها دون استشارة بريطانيا , متجاهلة دور ومكانة بريطانيا . إذ تعاملت دول عصبة الأباطرة الثلاثة مع بلاده كما تتعامل مع صربيا أو الجبل الأسود .

حسب رأيه . مما يقلل من مكانتها وهيبتها كدولة كبرى . فضلاً عن ذلك فقد اعتقد دزرائيلي بان مذكرة برلين جاءت بمثابة الاملاء والتهديد الموجه لبريطانيا , وهي تعرض مصالح بلاده في الشرق الأدنى للخطر . لذا قام دزرائيلي على إثر ذلك بإرسال بعض قطع الاسطول البريطاني إلى شواطئ إسطنبول , لغرض المحافظة على المصالح البريطانية هناك .

٩ . لم تلاق خطوة دزرائيلي بإرسال الاسطول إلى خليج بسىكا موافقة معظم الاوساط السياسية البريطانية , إذ أبدت المكلة فكتوريا معارضتها لها , ورفضها وزير الخارجية ديربي , الا أنّ دزرائيلي برر ذلك بحجة منع روسيا من السيطرة على العاصمة العثمانية والمضائق , مما يهدد مصالح وطرق التجارة البريطانية في المياه الدافئة , فضلاً عن رغبته بالمحافظة على بنود ومقررات معاهدتي (عام ١٨٤١ و عام ١٨٥٦) الخاصة بذلك .

١٠ . ازدادت الأزمة تفاقمًا نتيجة لاندلاع الحرب بين صربيا والدولة العثمانية إذ حاولت صربيا حماية الثوار , وهنا قررت الدول الكبرى التدخل للحيلولة دون انفراد أحدها في المسألة الشرقية ودعت بريطانيا آنذاك لعقد مؤتمر دولي لحل الأزمة ولاقت تلك الدعوة القبول من قبل ألمانيا والنمسا - المجر , لا سيما بعد أنّ حدد وزير الخارجية البريطانية ديربي أهداف ذلك المؤتمر , المتمثلة بالمحافظة على وجود واستقلال الدولة العثمانية على الإصلاحات في الأقاليم المنتقضة (البوسنة والهرسك وبلغاريا) , وإيقاف الحرب بين الدولة العثمانية وصربيا , وإعادة حدود الاخيرة إلى ما كانت عليه قبل اندلاع الأزمة .

١١ . اختارت بريطانيا العاصمة العثمانية إسطنبول مكاناً لعقد ذلك المؤتمر وأوفدت ممثلها سالزبيري , وقامت الدول الكبرى بتكليف سفرائها لدى الدولة العثمانية بالمشاركة في المؤتمر وتمثيل دولهم . وقد بدأ المؤتمر أعماله بصورة رسمية في الحادي عشر من كانون الاول عام ١٨٧٦ , دون السماح لحضور ممثلين عن الجانب العثماني , حتى لا يحرج ممثلو بقية الدول في طرح مقترحاتهم وآرائهم .

١٢ . قدم ممثل روسيا (أجناتيف) مقترحاً لتكوين دولة بلغارية , على غرار صربيا التي شكلت بموجب معاهدة عام ١٨٥٦ , الا أنّ ذلك المقترح اصطدم بمعارضة النمسا - المجر , التي اعتبرت وجود دولة بلغارية موحدة تدور في فلك روسيا تهديداً لمصالح امبراطورية النمسا - المجر في البوسنة والهرسك , فضلاً عن ذلك فقد رفضت بريطانيا ذلك لأنه يهدد سلامة ووحدة الدولة العثمانية .

١٣ . دعت بريطانيا والنمسا - المجر إلى تقسيم بلغاريا إلى قسمين (دولتين) وتوحيد البوسنة والهرسك في ولاية واحدة , تكون تابعة للدولة العثمانية وبقاء صربيا والجبل الأسود على وضعهما الذي أقرته معاهدة باريس عام ١٨٥٦ , مع وجوب منح الجبل الأسود منفذاً مائياً على نهر بويان . ١٤ . استمرت الاجتماعات التمهيدية لممثلي الدول الكبرى اثنا عشر يوماً (١١ . ٢٣ كانون الاول ١٨٧٦) وتم إرسال جميع الامور والمقترحات التي تم مناقشتها إلى الحكومة العثمانية لغرض المصادقة عليها . وبدأت الاجتماعات الرسمية في الثالث والعشرين من الشهر نفسه في مقر وزارة الحربية العثمانية في إسطنبول وبحضور ممثلين عن الجانب العثماني (صفوت باشا وأدهم باشا) .

١٥ . فوجئ المجتمعون بقيام السلطان العثماني عبدالحميد الثاني بإعلان الدستور في نفس اليوم , الذي أريد به إيهام ممثلي الدول الكبرى بنوايا السلطان الاصلاحية ويبدو أنّ السلطان اختار ذلك الوقت للمصادقة على الدستور لغرض إرباك أعمال المؤتمر وللحيلولة دون تدخل الدول الكبرى في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية , كما فعل سلفه من قبل السلطان عبدالحميد (١٨٣٩ - ١٨٦١) , حينما أعلن عن إصدار مرسوم (خط همايون في ١٨ شباط ١٨٥٦) , قبل التوقيع على معاهدة باريس في (٣٠ آذار ١٨٥٦) .

١٦ . أدرك ممثلو الدول الكبرى الست عدم جدية السلطان وحكومته في تطبيق بنود الدستور والإصلاحات , دون تدخل وضغط من قبل دولهم لذا استمروا بمواصلة اجتماعاتهم لوضع قرارات نهائية . وقد حاول ممثلو الجانب العثماني عرقلة أعمال

المؤتمر وابطائه لأطول مدة ممكنة , لأجل خلق الخلافات وعدم الاتفاق والانسجام في آراء ممثلي الدول الكبرى . وقد اتهم الأخيرين الجانب العثماني بذلك , الا أنهم تمكنوا من التوقيع على بنود ومقررات المؤتمر بصورة نهائية في الخامس عشر من كانون الثاني ١٨٧٧ .

١٧ . توصل المؤتمر إلى جملة من القرارات , لعل من أهمها تلك التي تخص صربيا والجبل الأسود , إذ أكدوا على أن تحافظان على ما كانت عليه قبل اندلاع الأزمة عام ١٨٧٥ , وتوسيع حدود الجبل الأسود وعقد صلح بينهما وبين الدولة العثمانية . فضلاً عن ذلك فقد أكدوا على توحيد البوسنة والهرسك وتقسيم ولاية الدانوب إلى منطقتين والعمل على تشكيل متصرفيات في بلغاريا والمناطق الأخرى وتشكيل لجنة مختصة من السكان المحليين (المسلمين والمسيحيين) تُعنى بقضايا الضرائب والقضاء وغيرها .

١٨ . فضلاً عن المقررات السابقة الذكر أكد ممثلو الدول الكبرى على وجوب قيام الدولة العثمانية بإجراء إحصاء (تعداد سكاني) , في تلك الولايات ومسح الأراضي الزراعية , وأن يعامل الجميع بالتساوي أمام القانون العثماني وأن تلغى الامتيازات الخاصة , مع ضمان حرية العقيدة والفكر واستخدام اللغات الحلية في المدارس الحكومية في تلك الولايات .

١٩ . رفضت الدولة العثمانية جميع مقررات مؤتمر القسطنطينية مسبقاً وتصلبت برأيها , إذ اعتبرت تدخل سافراً من قبل الدول الكبرى في شؤونها الداخلية , وتوعدت بالقيام بإصلاحات ترضي جميع رعاياه ودون تدخل الدول الكبرى .

٢٠ . كانت الدولة العثمانية تعول في موقفها الراض لمقررات المؤتمر على عدة أمور , لعل من أبرزها هو الاعتقاد بالحصول على مساعدة من قبل بريطانيا , في حال تعرضها لأي اعتداء من قبل روسيا , فضلاً عن النتائج التي حققتها القوات العثمانية خلال الحرب ضد صربيا , مع اعتقادها (الخاطئ) بعدم جهوزية روسيا واستعدادها للحرب , فضلاً عن إدراكها لحجم الخلافات بين الدول الكبرى وتضارب مصالح كل واحدة منها تجاه المسألة الشرقية .

٢١ . إنّ من أهم اسباب فشل مؤتمر القسطنطينية هو موقف بريطانيا التي دعم رئيس وزرائها دزرائيلي العثمانيين . ولو بصورة غير مباشرة . وحثهم على رفض مقررات المؤتمر , وعدم اتخاذه لموقف حازم تجاههم . فضلاً عن اعتقاد العثمانيين (خطأ) بعدم جهوزية روسيا عسكرياً للحرب . الا أنّ الأيام اللاحقة أثبتت عكس ذلك , إذ سرعان ما أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية في (٢٤ نيسان ١٨٧٧) بسبب فشل المؤتمر ولعدم موافقة الحكومة العثمانية على مقرراته .

الهوامش :-

- ١ . للتفاصيل عن معاهدة باريس وابرز موادها أنظر :-
Joel . H . Wiener (ed .) , Great Britain Foreign Policy and The Span of Empire (1689 – 1917) , A Documentary History , VOL . III , (NewYork , 1971) , pp . 2431 – 2434 ;
حمزة ملغوث فعل البديري , الدبلوماسية الأوروبية خلال حرب القرم ١٨٥٣ – ١٨٥٦ دراسة تأريخية , أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية , جامعة بغداد , ٢٠١٤ , ص ١٩٦ – ٢٠٢ .
- ٢ . صدر خط همايون في (١٨ شباط ١٨٥٦) وتضمن العديد من الحقوق التي تخص رعايا السلطان (من غير المسلمين) كالمحاكم الجزائية والتعليم والضرائب وغيرها . للتفاصيل أنظر :-
Roderic . H . Davison , Refrom in the ottoman Empire 1856 – 1876 , (NewJersey , 1963) , pp . 53 – 56 .
- ٣ . البديري , المصدر السابق , ص ٢٠٥ – ٢١٢ .
- ٤ . هاشم صالح التكريتي , الصراع بين الدول الكبرى في البلقان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (الأزمة البلقانية ١٨٧٥ – ١٨٧٨ إنموذجاً) , ط ١ , (بغداد , ٢٠٠٨) , ص ١ .
- 5 . Kenneth Bourne , The Foreign Policy of Victorian England 1830 – 1902 , (London , 1970) , p . 126 ;
أ . ج . ب . تايلور , الصراع على سيادة أوروبا (١٨٤٨ – ١٩١٨) , ترجمة فاضل جكتر , ط ١ , المركز الثقافي العربي , (ابو ظبي , ٢٠٠٩) , ص ٣٢٧ .

٦ . محسن حمزه حسن العبيدي , الأزمة البلقانية (١٨٧٥ – ١٨٧٨) دراسة تأريخية في السياسة العثمانية والدبلوماسية الأوروبية , أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية , جامعة الموصل , ٢٠٠٠ , ص ٦٧ .

٧ . الجامعة السلافية :- هي حركة فكرية ظهرت في أوروبا الشرقية في ستينيات وثمانينيات القرن التاسع عشر , تمثلت برغبة روسيا في توحيد جميع الأقليات السلافية في منطقة البلقان , والتي تدين بالمذهب الارثوذكسي , توحيدها في دولة واحدة بزعامة روسيا بعد تحريرها من الهيمنة العثمانية . وقد تجلت تلك الفكرة أثناء سنوات الأزمة البلقانية الكبرى (١٨٧٥ – ١٨٧٨) وما أعقبها من أحداث حتى اندلاع الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ . للتفاصيل أنظر :-

Academy of Scien of the USSR Instiute of History , Ashort History of the USSR , (Moscow , 1965) , pp . 220 – 225 ;

Jane Burbank and other (eds .) , Russia Empire , Space , People , Power 1700 – 1930 , (Indiana University Press , 2007) , pp . 494 – 500 .

8 . Millailo . D . Stojanovic , The Great Powers and the Balkans 1875 – 1878 , (Cambridge University Press , 1968) , p . 15 .

9 . Porter Benard , British Foreign Policy in the Nineteenth Centure , The Historical Journal , VOL . 23 , NO . 1 , March 1980 , p . 199 ;

David Thomson , Europe Since Napoleon , (NewYork , 1957) , pp . 461 – 462 .

10 . AL – Amir , Yakthan Sadonn , British Recation To Germany 's Ottoman Policy (1870 – 1885) , Astudy of Ottoman Policies Pursued by British and German Government and their Political and Commerical Consequences during the Period 1870 – 1885 , Thesis of Doctor School of Social Sciences University of Brad Forad , England , VOL . I , p . 70 .

١١ . السلطان عبدالعزيز :- وهو ابن السلطان محمود الثاني ولد في التاسع من شباط عام ١٨٣٠ , تولى عرش السلطنة في الخامس والعشرين من حزيران عام ١٨٦١ , بعد وفاة أخيه السلطان عبدالمجيد الاول , وكان عمره حينذاك ٣١ سنة , عزل عن الحكم في ٣٠ أيار ١٨٧٦ وتوفي في الرابع من حزيران من العام نفسه . للتفاصيل أنظر :-

ساهرة حسين حمود الصامري , أوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان عبدالعزيز ١٨٦١ – ١٨٧٦ اصلاحاته والتطورات في البلقان , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة البصرة , ٢٠١٠ , ص ٥٤ , ١٨٧ , ١٩٥ .

١٢ . محمد كمال الدسوقي , الدولة العثمانية والمسألة الشرقية , ط ١ , دار الثقافة للطباعة والنشر , (القاهرة , ١٩٧٦) , ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

13 . AL – Amir , op . cit . , p . 71 .

١٤ . كان من أبرز مطالب الثوار هو فصل السلطة القضائية عن التنفيذية وتعيين قضاة محليين من أهالي البلاد عن طريق الانتخابات وتحقيق المساواة في الضرائب بين المسلمين والمسيحيين .
للتفاصيل أنظر :- العبيدي , المصدر السابق , ص ٧٣ .

١٥ . محمد فريد بيك المحامي , تاريخ الدولة العلية العثمانية , ط ١ , دار الجيل , (بيروت , ١٩٧٧) , ٢٣٦٦ .

١٦ . الكونت أندراسي :- سياسي مجري ولد في بودابست عام ١٨٢٣ , هاجر إلى فرنسا بعد فشل ثورات عام ١٨٤٨ , وبقي فيها ثمان سنوات , أصبح بعد ذلك أول رئيس وزراء لدولة المجر (١٨٦٧ – ١٨٧١) , ثم أصبح وزيراً لخارجية إمبراطورية النمسا – المجر طوال المدة (١٨٧١ – ١٨٧٩) , تمكن من فرض سيطرة بلاده على بعض الأجزاء من البلقان , وعمل على تطوير علاقات بلاده مع ألمانيا , توفي في أيلول ١٨٩٠ . للتفاصيل أنظر :-

الآن بالمر , موسوعة التاريخ الحديث (١٧٨٩ – ١٩٤٥) , ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين , ج ٢ , ط ١ , دار المأمون للترجمة والنشر , (بغداد , ١٩٩٢) , ص ٥٢ – ٥٣ ؛
The New Encyclopedia Britannica , VOL . I , 15th ed . , (Chicago Encyclopedia Britannica , Inc . , 1988) p . 388 .

١٧ . للتفاصيل عن أبرز ما تضمنته تلك المذكرة . أنظر :- العبيدي , المصدر السابق , ص ٧٨ .

١٨ . عصابة الأباطرة الثلاثة :- تحالف سياسي وعسكري شكّل في نيسان ١٨٧٢ , ضم أباطرة كلاً من روسيا وألمانيا والنمسا – المجر , كانت الغاية من تشكيله هو توحيد الجهود بين الدول الثلاث (روسيا , وألمانيا , والنمسا – المجر) , وحل جميع الخلافات بينها بالطرق الدبلوماسية وعزل فرنسا وإبقائها دون حليف حتى لا تتمكن من شن حرب للتأثر من ألمانيا , فضلاً عن حل المشاكل بين روسيا والنمسا – المجر في البلقان , الا أنّ الخلافات والتنافس بين روسيا والنمسا – المجر ولا سيما في البلقان أدت إلى انهيارها في عام ١٨٨٧ . للتفاصيل أنظر :- حسن زغير حزم , سياسة التحالفات الأوروبية وأثرها في العلاقات السياسية الأوروبية (١٨٧٩ – ١٩٠٨) دراسة تاريخية في الدبلوماسية الأوروبية , أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب , جامعة بغداد , ٢٠٠٨ , ص ٩ – ١٥ .

١٩. دزرائيلي :- سياسي ورجل دولة بريطاني ولد في الثاني عشر من كانون الاول ١٨٠٤ من عائلة يهودية من أصول إيطالية , دخل الحياة السياسية عام ١٨٣١ , انضم إلى حزب المحافظين عام ١٨٣٧ ودخل مجلس العموم البريطاني , أصبح وزيراً للخزانة (شباط – كانون الاول ١٨٥٢) ثم أصبح رئيساً للوزراء مرتين الاولى (شباط ١٨٦٨ – كانون الاول ١٨٦٨) والثانية (شباط ١٨٧٤ – نيسان ١٨٨٠) , توفي في لندن في ١٩ نيسان ١٨٨١ . للتفاصيل أنظر :-

The New Encyclopedia Britannica , VOL . 4 , pp . 898 – 901 ;

شاهة دحام عبدالله الجبوري , بنجامين دزرائيلي ودوره في سياسة بريطانيا الخارجية (١٨٠٤ – ١٨٨١) , أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية , الجامعة المستنصرية , ٢٠١٤ .

٢٠. بسمارك :- سياسي ورجل دولة الماني , ولد في ١٨ نيسان ١٨١٥ في مقاطعة براندنبيرغ من أسرة بروسية أرستقراطية , شغل العديد من المناصب السياسية , إذ أصبح ممثلاً لبروسيا في الدايت الألماني طوال المدة (١٨٥١ – ١٨٥٩) , ثم سفيراً لبلاده في روسيا (١٨٥٩ – ١٨٦٢) , ثم في فرنسا عام ١٨٦٢ , ثم أصبح في أيلول من عام ١٨٦٢ مستشاراً لبروسيا ووزيراً لخارجيتها , ثم أصبح مستشاراً للإمبراطورية الألمانية طوال المدة (١٨٧١ – ١٨٩٠) , توفي في ٣٠ تموز عام ١٨٩٨ . للتفاصيل أنظر :-

The New Encyclopedia Britannica , VOL . 3 , pp . 714 – 722 .

21 . M . S . Anderson , The Eastern Question (1774 – 1923) , Astudy in International Relation , (London , 1956) , p . 188 .

لم تكن لألمانيا مصالح مباشرة في الدولة العثمانية , ولم يكن بسمارك يرغب بحل المسألة الشرقية بصورة جزئية , بل أراد حلها نهائياً , بحيث تحصل بريطانيا على مصر وتحصل روسيا على العاصمة العثمانية إسطنبول والمضائق , وتطلق يد النمسا – المجر في البلقان , دون أن يؤدي ذلك لحدوث حرب بين الدول الأوروبية الكبرى . للتفاصيل أنظر :- عمر عبدالعزيز عمر , تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (١٨١٥ – ١٩١٩) , ط ١ , دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية , ٢٠٠٠ , ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .

22 . David Harris , ADiplomatic History of the Balkan Criss 1875 – 1878 , (London , 1963) , pp . 183 – 188 .

23 .Stanford . j . Shaw and Ezelkural Shaw , History of the Ottoman Empire and Modren Turkey , VOL . 2 , Refrom , Revolution and Republic , The Rise of Modren Turkey 1808 – 1975 , (Cambridge University Press , 1977) , pp . 158 – 160 .

٢٤ . للتفاصيل عن أوضاع الدولة العثمانية وأسباب تدهور أوضاعها المالية . أنظر :- طاهر يوسف عكاب الوائلي , إدارة الدين العام العثماني (١٨٨١ – ١٩٢٨) دراسة في التاريخ الاقتصادي الحديث , أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب , جامعة الكوفة , ١٩٩٩ , ص ٣١ – ٣٩ .

٢٥ . إجناتيف :- دبلوماسي ورجل دولة روسي , كان جنرالاً في الجيش الروسي تخرج من كلية الأركان العسكرية في سان بطرسبورغ , ثم عمل في السلك الدبلوماسي , أصبح سفيراً لبلاده في الصين , ثم سفيراً في الدولة العثمانية (١٨٦٤ – ١٨٧٧) , ساهم في صياغة معاهدة (سان ستيفانو في الثالث من آذار ١٨٧٨) وشارك في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ ثم أصبح وزيراً للداخلية (١٨٨١ – ١٨٨٢) , وتوفي في نيسان ١٩٠٨ . للتفاصيل أنظر :-

أنس إبراهيم خلف العبيدي , أزمة البوسنة ١٩٠٨ – ١٠٩٠ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة بغداد , ١٩٩٨ , ص ١١ .

٢٦ . العبيدي , المصدر السابق , ص ٨١ .

٢٧ . جورتشاكوف :- دبلوماسي روسي ولد في ايلول ١٧٩٨ , دخل السلك الدبلوماسي الروسي وشارك في مؤتمري (لايباخ ١٨٢١ , وفيرونا ١٨٢٢) , أصبح سفيراً لبلاده في فيينا في مطلع عام ١٨٥٤ , مثّل بلاده في مؤتمر باريس عام ١٨٥٦ , ثم أصبح وزيراً للخارجية طوال المدة (١٨٥٦ – ١٨٨٢) , توفي عام ١٨٨٣ . للتفاصيل أنظر :-

Alan Palmer , An Encyclopedia of Napoleon's Europe , (London , 1984) , pp . 141 – 142 .

٢٨ . العبيدي , المصدر السابق , ص ٨٥ .

29 . Harris , op . cit . , pp . 239 – 241 .

30 . Stojanovic , op . cit . , pp . 58 – 61 .

٣١ . تايلور , المصدر السابق , ص ٣٢٧ – ٣٣٢ .

٣٢ . محمد يحيى احمد عباس الجوعاني , العلاقات السياسية بين بريطانيا وألمانيا ١٨٧١ – ١٨٨٠ , أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية (ابن رشد) , جامعة بغداد , ٢٠٠٧ , ص ١٠٧ .

تضمنت تلك المذكرة جملة من المقترحات , لعل من أبرزها قيام الدولة العثمانية بإعادة إعمار المنازل التي دمرت إثناء قمعها للانتفاضة وإعفاء أهالي الهرسك من الضرائب لمدة ثلاثة سنوات وأن تقوم الحكومة العثمانية بتوزيع المعونات والمساعدات المالية على أسر الضحايا , وأن تتسحب

القوات العسكرية العثمانية من البوسنة والهرسك , مع احتفاظ الثوار بأسلحتهم لحين تنفيذ الإصلاحات , وأكدت أيضاً على أن يكون لقناصل الدول الكبرى الحق في مراقبة الدولة العثمانية للتأكد من مدى جديتها بتنفيذ الوعود والإصلاحات المرجوة منها , وبخلاف ذلك فإنه يحق للدول الثلاث (ألمانيا وروسيا والنمسا – المجر) استخدام القوة ضدها . للتفاصيل أنظر :-

M . S . Anderson (ed .) , The Great Powers and The Near East (1774 – 1923) , Document of the Modern History , (London , 1970) , pp . 88 – 90 ; Harris , op . cit . , p . 298 .

٣٣ . العبيدي , المصدر السابق , ص ٨٦ – ٨٧ .

34 . Tsonko Genov , The Russia – Turkish War 1877 – 1878 and the Liberation of Bulgaria , (Safia , 1963) , p . 11 .

35 . Seton Watson , Disraeli , Gladstone and the Eastern Question , A study in Diplomacy of Party Politics , (London , 1962) , p . 33 .

٣٦ . الجوعاني , المصدر السابق , ص ١٠٩ – ١١٠ .

37 . G . D . Clayton , Britain and the Eastern Question Missolonghi to Galipoli , (London , 1974) , p . 134 .

٣٨ . هنري إليوت :- ولد في أيلول ١٨١٧ وشغل العديد من المناصب الدبلوماسية ومنها سفيراً مفوضاً في الدنمارك (١٨٥٨ – ١٨٥٩) وقنصلاً في نابلس (١٨٥٩ – ١٨٦٣) وفي روما (١٨٦٣ – ١٨٦٧) وسفيراً في إسطنبول (١٨٦٧ – ١٨٧٧) وفي النمسا – المجر (١٨٧٧ – ١٨٨٤) , توفي في آذار ١٩٠٧ . للتفاصيل أنظر :-

Coeffry Hicks and others (eds .) , Document on Conservative Foreign Policy (1852 – 1878) , VOL . 14 , (New York , 2012) , p . 374 .

39 . J . A . R . Marriott , The Eastern Question An Historical Study in European Diplomacy , (Oxford , 1969) , p . 325 .

٤٠ . الجوعاني , المصدر السابق , ص ١١٠ .

٤١ . الملكة فكتوريا :- ملكة بريطانيا وإيرلندا وإمبراطورة الهند , ولدت في ٢٤ أيار ١٨١٩ وسميت عند تعميدها بـ (السكندرينا فكتوريا Alexandrina Victoria) وهي الابنة الوحيدة للأمير البريت دوق كنت Kent , رابع أبناء الملك البريطاني (جورج الثالث George III ١٧٦٠ – ١٨٢٠) , وأمها الاميرة الألمانية ماري لويزا فكتوريا Mary Louisa Victoria , تولت العرش في العشرين من حزيران عام ١٨٣٧ وتوفيت في ٢٢ كانون الثاني ١٩٠١ .

للتفاصيل أنظر :-

The New Encyclopedia Britannica , VOL . X . , p . 421 ;

حيدر صبري شاكر الخيقاني , الملكة فكتوريا وأثرها في السياسة البريطانية (١٨٣٧ – ١٩٠١) ,
أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب , جامعة بغداد , ٢٠٠٩ .

42 . Geroge Earle Buckleced , The Letters of Queen Victoria , Second Series .
Aselection From Her Majesty's Corres Pondence and Jourhal Beetween
the years 1862 – and 1885 , VOL . II , (London , 1928) , p . 453 .

٤٣ . ديريبي :- ولد في ٢١ تموز عام ١٨٢٦ وعين وكيلاً لوزارة الخارجية في عام ١٨٥٢ , ثم أصبح
وزيراً للمستعمرات (شباط – مايس ١٨٥٨) , ثم أصبح وزيراً للهند (ايلول ١٨٥٨ – حزيران
١٨٥٩) , ثم أصبح وزيراً للخارجية (تموز ١٨٦٦ – ١٨٦٨) وثم عاد إلى نفس المنصب في
(شباط ١٨٧٤ – نيسان ١٨٧٨) , ثم عاد بعد ذلك كوزير للمستعمرات (كانون الاول ١٨٨٢ –
حزيران ١٨٨٥) , توفي في ٢١ نيسان ١٨٩٣ . للتفاصيل أنظر :-

The New Encyclopedia Britannica , VOL . 7 , pp . 274 – 276 .

٤٤ . الجوعاني , المصدر السابق , ص ١١١ – ١١٢ .

٤٥ . أ . ج . كرانت وتمبرلي , أوروبا في القرن التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ – ١٩٥٠) ,
ترجمة بهاء فهمي , ج ١ , ط ١ , (القاهرة , ١٩٦٧) , ص ١٢ .

٤٦ . اللورد روبرت سالزيري :- ولد في ٣ شباط ١٨٣٠ , أصبح في عام ١٨٥٤ عضواً في مجلس
العموم عن حزب المحافظين , ثم أصبح وزيراً للهند (تموز ١٨٦٦ – آذار ١٨٦٧) ثم وزيراً
للخارجية (١٨٧٨ – ١٨٨٠) ثم زعيماً لحزب المحافظين بعد وفاة دزرائيلي في نيسان ١٨٨١
, ثم أصبح رئيساً للوزراء (حزيران ١٨٨٥ – شباط ١٨٨٦) وأصبح مرة أخرى رئيساً للوزراء
تموز ١٨٨٦ – آب ١٨٩٢) و (حزيران ١٨٩٥ – تموز ١٩٠٢) , توفي في ٢٢ آب ١٩٠٣
للتفاصيل أنظر :-

The New Encyclopedia Britannica , VOL . III , p . 812 ;

منير عبود جديع , روبرت سالزيري ودوره في سياسة بريطانيا الخارجية (١٨٩٥ – ١٩٠٣) ,
أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية – ابن رشد , جامعة بغداد , ٢٠١٢ , ص ٩ – ٣٦ .

٤٧ . التكريتي , المصدر السابق , ص ٨٠ – ٨١ ؛ حزيم , المصدر السابق , ص ٣٦ .

48 . Public Record Office , Foregin Office , London , VOL . xi , The Earle of
Derby to the Marquis of Salisbury , (20 November , 1876) , p . 1 .

وسيرمز له لاحقاً بـ (P . R . O . , F . O .) .

49 . Richard Millman , Britain and the Eastern Question 1875 – 1878 , (Oxford University Press , 1979) , pp . 200 – 201 .

50 . Stojanovic , op . cit . , p . 117 .

51 . Willam Miller , The Ottoman Empire and Its Successors 1801 – 1922 , (Cambridge university Press , 1923) , pp . 361 – 363 ; Anderson , The Great Powars , p . 85 .

٥٢ . العبيدي , المصدر السابق , ص ١٤٩ ؛ أورخان محمد علي , السلطان عبدالحميد الثاني حياته وأحداث عهده , ط ١ , (الأتبار , ١٩٨٧) , ص ١٨٠ .

٥٣ . الكسندر الثاني :- ولد في ٢٩ نيسان ١٨١٨ , خلف والده نيقولا الاول في ٢٢ آذار ١٨٥٥ , أجرى العديد من الإصلاحات الداخلية , منها قانون تحرير العبيد (الاقنان) عام ١٨٦١ , وأهتم بالجيش وإنشاء السكك الحديدية , خرق معاهدة حياد البحر الأسود لعام ١٨٥٦ في مؤتمر لندن عام ١٨٧١ , ساهم بدعم مشروع الجامعة السلافية وقمع الانتفاضة البولندية لعام ١٨٦٣ بشدة , وخاض حرباً ضد الدولة العثمانية خلال المدة (١٨٧٧ – ١٨٧٨) , اغتيل على يد طالب يهودي بولندي بواسطة قنبلة يدوية في ١٣ آذار ١٨٨١ . للتفاصيل أنظر :

The New Encyclopedia Britannica , VOL . I , p 243 .

54 . AL – Amir , op . cit . , pp . 91 – 94 .

٥٥ . الدسوقي , المصدر السابق , ص ٤٢٦ .

56 . Wesley . M . Geweller , The Rise of Nationalism in The Balkan 1800 – 1930 , (NewYork , N . D .) , p . 82 ;

العبيدي , المصدر السابق , ص ١٥٠ .

57 . AL – Amir , op . cit . , pp . 92 – 97 .

٥٨ . أنظر نص المادتين (٢٨ , ٢٩) من معاهدة باريس في :-

J . C . Hurewitz (ed .) , The Middle East and North Africa in World Politics , A Documentary Record , VOL . I , European Expansion 1535 – 1914 , 2nd . ed . , (London , 1975) , pp . 129 – 130 ;

البديري , المصدر السابق , ص ٢٠١ .

٥٩ . الدسوقي , المصدر السابق , ص ٢٤١ .

60 . Stephen Pirce Hayden Duggan , The Eastern Question , A study in Diplomacy , (NewYork , 1970) , pp . 129 – 130 .

61 .Stojanovic , op . cit . , pp . 131 – 132 .

62 . P . R . O . , F . O , VOL . Xel , From Marquis Salisbury to the Earl Derby (21 December 1876) , No . 11o , p . 89 .

٦٣ . مدحت باشا :- وهو احمد شفيق ولد في أيلول عام ١٨٢٢ في بلغاريا , وتولى العديد من المناصب الإدارية منها وزيراً للعدل ووالياً على دمشق وعلى سلاويل وعلى بغداد (١٨٦٩ – ١٨٧٢) , ثم أصبح صديقاً عظيماً مرتين (١٨٧٢ – ١٨٧٦) , ويعد من أبرز دعاة الإصلاح والتحديث في الدولة العثمانية , ساهم في صياغة العديد من مواد الدستور العثماني عام ١٨٧٦ , إلا أنه أُنْهَم من قبل السلطان عبدالحميد الثاني بالضلوع في قتل السلطان عبدالعزيز نُفي إلى الطائف وتوفي فيها عام ١٨٨٢ .

للتفاصيل عن حياته ودوره السياسي . أنظر :- محمد عصفور سلمان , العراق في عهد مدحت باشا (١٢٨٦ هـ – ١٢٩٩ هـ / ١٨٦٩ – ١٨٧٢) , ط١ , دار مصر مرتضى للكتاب العراقي , (بغداد , ٢٠١٠) ص ١٢ – ٥٤ ; يوسف كمال بك حتاتة وصديق الدملوجي , مدحت باشا (حياته – مذكراته – محاكمته) , ط١ , الدار العربية للموسوعات , (بيروت , ٢٠٠٢) , ص ٢٢ – ٣٠ .

٦٤ . العبيدي , المصدر السابق , ص ١٥١ .

٦٥ . تشارلز بيلافيتش وبربارا بيلافيتش , تفكيك أوروبا العثمانية (إنشاء دول البلقان القومية ١٨٠٤ – ١٩٢٠) , ترجمة عاصم الدسوقي , ط١ . دار العالم الثالث , (القاهرة , ٢٠٠٧) , ص ١٦٨ – ١٦٩ ; عصمت برهان الدين عبدالقادر , العرب والمسألة الدستورية في الدولة العثمانية (١٨٧٦ – ١٩١٤) , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب , جامعة الموصل , ١٩٩٥ , ص ٣٤ .

أكد الدستور على الحرية الدينية والمساواة بين كافة رعايا السلطان أمام القانون والزامية التعليم الابتدائي وحرية الفكر والنشر , فضلاً عن ذلك فقد أُكِّد على إنشاء مجلسين نيابيين , الاول هو (مجلس المبعوثان ويتكون من ١٢٠ نائباً) يمثلون الولايات العثمانية . والثاني هو (مجلس الاعيان ويضم ٢٥ عضواً) , يقوم السلطان عبدالحميد الثاني بتعيينهم . ولقد منح الدستور للسلطان صلاحيات واسعة , منها إعلان الحرب وعقد الاتفاقيات وقيادة الجيش ودعوة المجلس وحله وإيقاف العمل بالدستور وإصدار بعض المراسيم دون الحاجة للرجوع إلى مجلس المبعوثان في ذلك . ولعل تلك الصلاحيات كانت نقطة الضعف في الدستور العثماني والتي مكنت السلطان من إيقاف العمل به لمرات عدة . للتفاصيل أنظر :-

Shaw , op . cit . , pp . 179 – 180 ;

يلماز اوزتونا , تاريخ الدولة العثمانية , ترجمة عدنان محمد سلمان , ج ٢ , ط ١ , (إسطنبول , ١٩٨٨) , ص ١٠٢ – ١٠٦ .

٦٦ . قدري قلعي , مدحت باشا ابو الدستور وخالف السلاطين , ط ١ , (بيروت , ١٩٥١) , ص ٦٣ ؛

Miller , op . cit . , p . 371 .

67 . Genav , op . cit . , p . 21 .

68 . Quoted in : AL – Amir , op . cit . , pp . 96 – 98 .

69 . Affairs Etrangères Documents Diplomatiques Affaires D Orient 1875 – 1876 – 1877 , (Paris) , Lamba ssadeur Extraord , Unire de France AConstantinople an Misister des Affaires Etraugeres (10 Janvier , 1877) , p . 300 .

وسيرمز لها لاحقاً بـ (A . E . A . O) .

٧٠ . الجوعاني , المصدر السابق , ص ١٤٧ .

٧١ . تايلور , المصدر السابق , ص ٣٤٣ .

72 . Quoted in : A . E . C . C . , VOL . II , Protocal Decmber 15 , 1877 , p . 136 .

73 . Quoted in : Miller , op . cit . , pp . 370 – 371 .

74 . P . R . F . O , VOL . Xcl , Summary of Proposals , pp . 309 – 311 .

75 . Quoted in : Ibid . , pp . 311 – 312 .

76 . A . E . C . C . , Annexe au lv , Protocal , pp . 97 – 99 ; Anderson , The Great power ... , p . 94 .

77 . Anderson , The Great power ... , p . 94 ;

علي , المصدر السابق , ص ١١٢ .

78 . AL – Amir , op . cit . , p . 97 ;

Huch Seton . Watson , The Russia Empire 1801 – 1917 , (Oxford University Press , 1967) , p . 452 .

79 . P . R . O . , F . O . , VOL . XCL , The Marquis of Salisbury to the Earl of Derby , (18 January , 1877) , p . 310 .

80 . F . O . , 198 – 42 , Salisbury to Derby , (12 January , 1877) , No . 158 .

81 . Anderson , The Eastern Question ... , pp . 191 – 192 .

82 . AL – Amir , op . cit . , p . 98 .

83 . Anderson , The Eastern Question ... , p . 192 .

٨٤ . التكريتي , المصدر السابق , ص ٦٥ ؛

Shaw , op . cit . , p . 179 .

85 . Anderson , The Eastern Question ... , p . 193 .

86 . Millman , op . cit . , pp . 216 – 220 .

87 . Rose . J . Holland , The Development of The European Nations 1870 – 1914 , (London , 1919) , p . 182 .

88 . Shaw , op . cit . , pp . 180 – 183 .

89 . J . A . R . Marriott , England Since Waterloo , (London , 1931) , pp . 303 – 304 .

٩٠ . غلادستون :- سياسي بريطاني , ولد في مدينة ليفربول في ٢٩ كانون الاول ١٨٠٩ , وتولى العديد من المناصب السياسية , منها وزيراً للحرب والمستعمرات (١٨٤١ – ١٨٤٦) , ثم وزيراً للخزانة (١٨٥٢ – ١٨٥٨) , أصبح بعد ذلك رئيساً للحكومة لأربع مرات , الاولى (٩ كانون الاول ١٨٦٨ – ١٦ شباط ١٨٧٤) والثانية (٢٨ نيسان ١٨٨٠ – ٩ حزيران ١٨٨٥) والثالثة (٣ شباط ١٨٨٦ – ٣٠ تموز ١٨٨٦) , أما وزارته الرابعة والاخيرة (١٦ اب ١٨٩٢ – ٣ آذار ١٨٩٤) , وهو أبرز زعماء حزب الاحرار في بريطانيا , توفي في ١٩ أيار ١٨٩٨ .
للتفاصيل أنظر :-

The New Encyclopedia Britannica , VOL . 5 , pp . 292 – 294 .

٩١ . احمد عبدالله الجبوري , سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية ١٨٧٦ – ١٩٠٨ , أطروحة دكتوراه غير منشورة , معهد التاريخ العربي والتراث العلمي , بغداد , ٢٠٠٩ , ص ٦٢ – ٦٣ .

92 . F . O . , 358 – 1 , Hom to Simmons , 8 Febraer 1877 .

٩٣ . حزيم , المصدر السابق , ص ٣٧ .

94 . Stojanovic , op . cit . , pp . 135 – 136 .

95 . W . L . Lauger , European Alliance and Alienments 1871 – 1890 , (NewYork , 1966) , p 115 ;

العبيدي , المصدر السابق , ص ١٦١ .

96 . Luigi Villari , The Balkan Question , The Preset Condition of the Balkans and European Pesponsihilities , (Bostan , 1936) , p . 239 .

97 . Watson , Disraeli , Gladstone ... , p . 168 .

قائمة المصادر والمراجع :

.اولاً - الوثائق البريطانية غير المنشورة :

1. P . R . O . , Public Record Office , Foreign Office , London , VOL . Xi , The Earle of Derby to the Marquis of Salisbury , (20 November , 1876)
2. _____ , VOL . Xcl , From Marquis Salisbury to the Earl Derby (21 December 1876) , No . 11o .
3. _____ , VOL . XCL , The Marquis of Salisbury to the Earl of Derby , (18 January , 1877) .
4. _____ , VOL . Xcl , Summary of Proposals .
5. F . O . , 198 – 42 , Salisbury to Derby , (12 January , 1877) .
6. F . O . , 358 – 1 , Hom to Simmons , (8 Febraer 1877) .

ثانياً - الوثائق المنشورة :

1. A . G . A .O . Affairs Etrangeres Documents Diplomatiques Affairs D Orient (1875 – 1876 – 1877) , (Paris) , Lamba ssadeur Extraovd , Unire de France , AConstantinople an Misister des Affaires Etraugeres (10 Janvier , 1877) , (Paris , N . D) .
2. _____ , A . E . C .C . , Protocal Decmber 15 , 1877 .
3. _____ , Annexe au , Iv , Protocal .

ثالثاً - الكتب الوثائقية :

1. Ceoffry Hicks and others (eds .) , Documents on Conservative Foreign Policy (1852 – 1878) , VOL . 14 , (NewYork , 2012) .

2. Geroge Earle Bucklec (ed .) , The Letters of Queen Victoria , Second Series Aselection , From Her Majesty's Corres Pondence and Jourhal Beetween the years 1862 – and 1885 , VOL . II , (London , 1928) .
3. J . C . Hurewitz (ed .) , The Middle East and North Africa in World Politics , ADocumentary Record , VOL . I , European Expansion 1535 – 1914 , 2nd . ed . , (London , 1975) .
4. Joel . H . Wiener (ed .) , Great Britain Foregin Policy and The Span of Empire (1689 – 1971) , A Documentary History , VOL . III , (NewYork , 1971) .
5. M . S . Anderson (ed .) , The Graet Powars and The Near East (1774 – 1923) , Document of the Modern History , (London , 1970) .

رابعاً - الرسائل والأطاريح الجامعية غير المنشورة :

أ - العربية :

- ١ . البديري , حمزة ملغوث فعل , الدبلوماسية الاوروبية خلال حرب القرم ١٨٥٣ – ١٨٥٦ دراسة تأريخية , أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية , جامعة بغداد , ٢٠١٤ .
- ٢ . الجبوري , احمد عبدالله , سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية ١٨٧٦ – ١٩٠٨ , اطروحة دكتوراه غير منشورة , معهد التاريخ العربي والتراث العلمي , بغداد , ٢٠٠٩ .
- ٣ . الجبوري , شاهة دحام عبدالله , بنجامين دزرائيلي ودوره في سياسة بريطانيا الخارجية (١٨٠٤ – ١٨٨١) , أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية , الجامعة المستنصرية , ٢٠١٤ .

- ٤ . جديع , منير عبود , روبرت سالزيري ودوره في سياسة بريطانيا الخارجية (١٨٩٥ – ١٩٠٣) , أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية – ابن رشد , جامعة بغداد , ٢٠١٢ .
- ٥ . الجوعاني , محمد يحيى احمد عباس , العلاقات السياسية بين بريطانيا والمانيا ١٨٧١ – ١٨٨٠ , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية (ابن رشد) , جامعة بغداد , ٢٠٠٧ .
- ٦ . حزيم , حسن زغير , سياسة التحالفات الاوروبية واثرها في العلاقات السياسية الاوروبية (١٨٧٩ – ١٩٠٨) دراسة تاريخية في الدبلوماسية الاوروبية , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الاداب , جامعة بغداد , ٢٠٠٨ .
- ٧ . الخيقاني , حيدر صبري شاكر , الملكة فكتوريا واثرها في السياسة البريطانية (١٨٣٧ – ١٩٠١) , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الاداب , جامعة بغداد , ٢٠٠٩ .
- ٨ . الصامري , ساهرة حسين حمود , اوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان عبدالعزيز ١٨٦١ – ١٨٧٦ اصلاحاته والتطورات في البلقان , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الاداب , جامعة البصرة , ٢٠١٠ .
- ٩ . عبدالقادر , عصمت برهان الدين , العرب والمسألة الدستورية في الدولة العثمانية (١٨٧٦ – ١٩١٤) , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الاداب و جامعة الموصل , ١٩٩٥ .
- ١٠ . العبيدي , أنس ابراهيم خلف , أزمة البوسنة ١٩٠٨ – ١٩٠٩ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة بغداد , ١٩٩٨ .
- ١١ . العبيدي , محسن حمزه حسن , الازمة البلقانية (١٨٧٥ – ١٨٧٨) دراسة تاريخية في السياسة العثمانية والدبلوماسية الاوروبية , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية , جامعة الموصل , ٢٠٠٠ .

١٢ . الوائلي ، طاهر يوسف عكاب ، ادارة الدين العام العثماني (١٨٨١ – ١٩٢٨)
دراسة في التاريخ الاقتصادي الحديث ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية
الاداب ، جامعة الكوفة ، ١٩٩٩ .

ب - الاجنبية :

- 1 . AL – Amir , Yakthan Sadonn , British Recation To Germany 's Ottoman Policy (1870 – 1885) , Astudy of Ottoman Policies Pursued by British and German Government and their Political and Commerical Consequences during the Period 1870 – 1885 , Thesis of Doctor School of Social Sciences University of Brad Forad , England , VOL . I .

خامساً - المصادر العربية والمعرية :

- ١ . أوزتونا ، يلماز ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمد سلمان ، ج ٢ ، ط ١ ، (اسطنبول ، ١٩٨٨) .
- ٢ . بيلافيتش ، تشارلز وبربارا ، تفكيك أوروبا العثمانية (أنشاء دول البلقان القومية ١٨٠٤ – ١٩٢٠) ، ترجمة عاصم الدسوقي ، ط ١ . دار العالم الثالث ، (القاهرة ، ٢٠٠٧) .
- ٣ . تايلور ، أ . ج . ب ، الصراع على سيادة اوروبا (١٨٤٨ – ١٩١٨) ، ترجمة فاضل جكتر ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، (ابو ظبي ، ٢٠٠٩) .
- ٤ . التكريتي ، هاشم صالح ، الصراع بين الدول الكبرى في البلقان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (الازمة البلقانية ١٨٧٥ – ١٨٧٨ انموذجاً) ، ط ١ ، (بغداد ، ٢٠٠٨) .
- ٥ . حتاته و الدملوجي ، يوسف كمال بك وصديق ، مدحت باشا (حياته – مذكراته – محاكمته) ، ط ١ ، الدار العربية للموسوعات ، (بيروت ، ٢٠٠٢) .

- ٦ . الدسوقي , محمد كمال , الدولة العثمانية والمسألة الشرقية , ط ١ , دار الثقافة للطباعة والنشر , (القاهرة , ١٩٧٦) .
 - ٧ . سلمان , محمد عصفور , العراق في عهد مدحت باشا (١٢٨٦ هـ - ١٢٩٩ هـ / ١٨٦٩ - ١٨٧٢) , ط ١ , دار مصر مرتضى للكتاب العراقي , (بغداد , ٢٠١٠) .
 - ٨ . علي , اورخان محمد , السلطان عبدالحميد الثاني حياته واحداث عهده , ط ١ , (الانبار , ١٩٨٧) .
 - ٩ . عمر , عمر عبدالعزيز , تاريخ اوربا الحديث والمعاصر (١٨١٥ - ١٩١٩) , ط ١ , دار المعرفة الجامعية , (الاسكندرية , ٢٠٠٠) .
 - ١٠ . قلعجي , قدري , مدحت باشا ابو الدستور وخالع السلاطين , ط ١ , (بيروت , ١٩٥١) .
 - ١١ . كرانت وتمبرلي , أ . ج . , اوربا في القرن التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ - ١٩٥٠) , ترجمة بهاء فهمي , ج ٢ , ط ١ , (القاهرة , ١٩٦٧) .
 - ١٢ . المحامي , محمد فريد بيك , تاريخ الدولة العلية العثمانية , ط ١ , دار الجيل , (بيروت , ١٩٧٧) .
- سادساً - المصادر الاجنبية :

1. Acdemy of Scien of the USSR Instiute of History , Ashort History of the USSR , (Moscow , 1965) .
2. David Thomson , Europe Since Napoleon , (NewYork , 1957) .
3. Roderic . H . Davison , Refrom in the ottoman Empire 1856 – 1876 , (NewJersey , 1963) .
4. Jane Burbank and other (eds .) , Russia Empire , Space , People , Power 1700 – 1930 , (Indiana University Press , 2007) .

5. Kenneth Bourne , The Foreign Policy of Victorian England 1830 – 1902 , (London , 1970) .
6. Millailo . D . Stojanovic , The Great Powers and the Balkans 1875 – 1878 , (Cambridge University Press , 1968) .
7. M . S . Anderson , The Eastern Question (1774 – 1923) , A study in International Relation , (London , 1956) .
8. David Harris , A Diplomatic History of the Balkan Crisis 1875 – 1878 , (London , 1963) .
9. Stanford . j . Shaw and Ezelkural Shaw , History of the Ottoman Empire and Modern Turkey , VOL . 2 , Reform , Revolution and Republic , The Rise of Modern Turkey 1808 – 1975 , (Cambridge University Press , 1977) .
10. Tsonko Genov , The Russia – Turkish War 1877 – 1878 and the Liberation of Bulgaria , (Sofia , 1963) .
11. Seton Watson , Disraeli , Gladstone and the Eastern Question , A study in Diplomacy of Party Politics , (London , 1962) .
12. _____ , The Russian Empire 1801 – 1917 , (Oxford University Press , 1967) .
13. G . D . Clayton , Britain and the Eastern Question Missolonghi to Gallipoli , (London , 1974) .
14. J . A . R . Marriott , The Eastern Question An Historical Study in European Diplomacy , (Oxford , 1969) .
15. _____ , England Since Waterloo , (London , 1931) .
16. Richard Millman , Britain and the Eastern Question 1875 – 1878 , (Oxford University Press , 1979) .

17. Willam Miller , The Ottoman Empire and Its Successors 1801 – 1922 , (Cambridge university Press , 1923) .
18. Wesley . M . Geweller , The Rise of Nationalism in The Balkan 1800 – 1930 , (NewYork , N . D .) .
19. Stephen Pirce Hayden Duggan , The Eastern Question , Astudy in Diplomacy , (NewYork , 1970) .
20. Rose . J . Holland , The Development of The European Nations 1870 – 1914 , (London , 1919) .
21. W . L . Lauger , European Alliance and Alienments 1871 – 1890 , (NewYork , 1966) .
22. Luigi Villari , The Balkan Question , The Preset Condition of the Balkans and European Pesponsihilities , (Bostan , 1936) .

سابعاً – الابحاث الاجنبية :

1. Porter Benard , British Foreign Policy in the Nieneteenth Centure , The Historical Journel , VOL . 23 , NO . 1 , March 1980 .

ثامناً – الموسوعات :

أ . العربية :

- ١ . الآن بالمر , موسوعة التاريخ الحديث (١٧٨٩ – ١٩٤٥) , ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين , ج ٢ , ط ١ , دار المأمون للترجمة والنشر , (بغداد , ١٩٩٢) .

ب . الاجنبية :

1. Alan Palmer , An Encyclopedia of Napolon's Europe , (London , 1984) .
2. The New Encyclopedia Britannica , 15th ed . , (Chicago , Encyclopedia Britannica , Inc . , 1988) , VOLS . I , 3 , 5 , 10 . , 7 .

**موقف المملكة العربية السعودية من الحركة
الوطنية التونسية حتى عام ١٩٥٣**

أ.د. سنان صادق حسين الزيدي

كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

م. فرح باسم ابراهيم

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

موقف المملكة العربية السعودية من الحركة الوطنية التونسية

حتى عام ١٩٥٣

أ.د. سنان صادق حسين الزيدي

م. فرح باسم ابراهيم

المقدمة

اتسم الموقف السعودي بتأييد الحركة الوطنية التونسية ، التي كانت تسعى للتخلص من الاستعمار الفرنسي الاستقلال ، وتجلى ذلك بالزيارات التي قام بها عدد من قادة الحركة الوطنية التونسية الى السعودية والدعم المادي الذي قدمته الحكومة السعودية لهؤلاء القادة خلال عهد عبد العزيز ال سعود (١٩٣٢-١٩٥٣) الذي استمر حتى عام ١٩٥٣ ، فضلا عن الخطوات التي اتخذتها الحكومة السعودية بدعم القضية التونسية في المحافل الدولية ولاسيما الامم المتحدة وكذلك الدول الكبرى ومن اهمها الولايات المتحدة الامريكية .

موقف المملكة العربية السعودية من الحركة الوطنية

التونسية حتى العام ١٩٥٣ .

جلبت المكانة الدينية للمملكة العربية السعودية، ودعمها لحركات التحرر العربية انظار الحركة الوطنية التونسية، حتى قبل تشكيل المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢^(١)، فكانت زيارة عبد العزيز الثعالبي^(٢) الى مكة المكرمة في عام ١٩٢٦، ضمن اطار جولته في اقطار المشرق العربي، التي تمت في مرحلة خطيرة من تاريخ تونس^(٣)، وحققت نجاحاً، بدعم القوى الوطنية العربية لنضال الشعب التونسي ضد الاحتلال الفرنسي، وعليه لم تكن القضية

التونسية غائبة عن فكر عبد العزيز آل سعود الذي التقى الثعالبي وابدى دعمه للحركة الوطنية التونسية^(٤).

واشارت الدلائل الموثقة المتوافرة بين ايدينا الى ان ابن سعود تبادل الرسائل والهدايا مع الباي احمد باشا^(٥) (١٩٢٩-١٩٤٢)، عام ١٩٤٠ عن طريق رئيس بعثة الحج التونسية حسني عبد الوهاب^(٦). وقد شكلت تلك الصلات القاعدة الصلبة لتطور العلاقات بين المملكة العربية السعودية وتونس فيما بعد.

ولاشك في ان الزيارات المتبادلة للمسؤولين الكبار في كلا البلدين، تضاف بالضرورة الى قوام العوامل التي عززت تطور العلاقات المتبادلة. ولا بد من الاشارة هنا الى زيارة وزير الخارجية السعودي فيصل بن عبد العزيز الى تونس في ١٤ كانون الاول ١٩٤٣^(٧)، ومقابلته الباي المنصف بن ناصر^(٨) (١٨٨١-١٩٤٧)، الذي رحب بزيارة الوزير السعودي لبلاده، وتستحق الزيارة وقفة خاصة ذلك لانها كانت تمثل "اول زيارة" لوزير خارجية عربي الى تونس، في ذلك الحين، على حد الوصف الدقيق للباي المنصف بن ناصر^(٩).

انعكس هذا الواقع على محادثات وزير الخارجية السعودي مع السفير البريطاني في القاهرة عام ١٩٤٤، فقد دعا الوزير السعودي الحكومتين البريطانية والأمريكية الى بذل مساعيهما لإنهاء الاحتلال الفرنسي وتحقيق رغبة التونسيين "الذين يأملون في ان تبذل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية جهودهما لكي تتخلص تونس من الهيمنة الفرنسية"^(١٠). ومن هذا المنطلق يمكن القول ان القضية التونسية اصبحت مثار اهتمام حكومة المملكة العربية السعودية.

وتبعاً لذلك شهدت المملكة العربية السعودية زيارة الحبيب بورقيبة^(١١) (١٩٠٣-٢٠٠٠)، في كانون الاول ١٩٤٥، ضمن جولة له في عدد من

اقطار المشرق العربي، وقد التقى بورقيبة مع عدد من المسؤولين السعوديين ودعاهم الى نصره الشعب التونسي في نضاله ضد الاحتلال الفرنسي^(١٢).

اشار اهتمام حكومة المملكة العربية السعودية بقضية تونس الحكومة الفرنسية^(١٣)، وبالتحديد المقيم الفرنسي في تونس الجنرال ماست^(١٤) (Mast) (١٨٨٩-١٩٧٧)، الذي سعى الى ممارسة الضغط الدبلوماسي على الحكومة السعودية من اجل تغيير مواقفها ضد الاحتلال الفرنسي لتونس، فاستغل سفر الوزير التونسي حسن عبد الوهاب^(١٥) الى القاهرة لحضور الاجتماع السنوي "لمجمع الملك فؤاد للغة العربية" في كانون الثاني ١٩٤٦، ودعاه للقاء عبد العزيز ال سعود لهذا الغرض. والثابت بالفعل ان الوزير التونسي، التقى الملك عبد العزيز ال سعود، وقد ابلغ الجنرال ماست بعد عودته الى تونس بانه "اعطى انطبعاً لدى مقابلته الملك عبد العزيز بن سعود ان التونسيين راضون عن الحماية الفرنسية"^(١٦). ولعل هذا الكلام يتنافى مع توجهات الملك عبد العزيز انذاك، ودعمه للحركة الوطنية التونسية، واغلب الظن ان الوزير التونسي اراد ارضاء الجنرال ماست بهذا الكلام، أو أنه ادعى كلاماً لم يسمعه اصلاً من الملك السعودي. ولعل تصريحات المسؤولين السعوديين فيما بعد تجاه تونس وشعبها، تؤيد ما ذهبنا اليه آنفاً.

لم تكن تلك المحاولة الفرنسية، حكومة المملكة العربية السعودية لتغيير سياستها تجاه دعم قضية استقلال تونس، بل انها ازدادت اهتماماً بها اكثر على الصعيدين العربي والدولي. فأيدت حكومة المملكة العربية السعودية بقوة تصريح أمين عام الجامعة العربية عبد الرحمن عزام في ٢٥ أيلول ١٩٤٦، الذي دعا فيه حكومة فرنسا لتلبية مطالب الشعب التونسي بالاستقلال^(١٧). فضلاً عن ذلك ادانت الحكومة السعودية على لسان مندوبيها الدائم في الجامعة العربية خلال اجتماع الجامعة العربية الذي عقد في القاهرة في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٦، خلع الباي محمد الامين^(١٨) (١٨٨١-١٩٦٢)، من قبل

السلطات الفرنسية في ١٥ ايار ١٩٤٦، ودعت الحكومة الفرنسية في باريس الى اصدار اوامرها الى السلطات الفرنسية في تونس بالافراج عن الباي فوراً^(١٩).

خطت حكومة المملكة العربية السعودية خطوة دبلوماسية جديدة باتجاه دعم الشخصيات الوطنية التونسية في المحافل الدولية، لدعم استقلال تونس في مطالبتها بالاستقلال، فكانت دعوة وزير الخارجية السعودية فيصل بن عبد العزيز، الموجهة للحبيب بورقيبة لحضور حفلة اقامتها السفارة السعودية في واشنطن^(٢٠) في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٧، وقد استغل بورقيبة هذه الدعوة والتقى بمساعد وزير الخارجية الامريكية دين اتشيسون^(٢١) (١٩٧١-١٨٩٣) (Dean Atchison)، ودار حديث بينهما حول كفاح الشعب التونسي للتخلص من السيطرة الفرنسية^(٢٢).

تنطبق المساندة السعودية الاخيرة اكثر، على كل ما يتعلق بنضال الشعب التونسي، الذي احتل صفحة في غاية الاهمية في مجمل تاريخ تونس المعاصر. فقد وقفت المملكة العربية السعودية الى جانب الحركة الوطنية التونسية، عندما وجهت الدعوة لبورقيبة لزيارة المملكة عام ١٩٤٧. وبالفعل التقى الملك ابن سعود بالحبيب بورقيبة، واكد دعم المملكة العربية السعودية، حكومةً وشعباً لتخليص الشعب التونسي من الاحتلال الفرنسي، فضلاً عن ذلك قدمت الحكومة السعودية مساعدات مالية لزائرهم التونسي، يومها نالت ثناء بورقيبة على دعم المملكة لتونس^(٢٣).

وفي واقع الحال ان القضية الفلسطينية وتطوراتها في تلك المرحلة اخذت حيزاً كبيراً من توجهات الدول العربية عموماً والمملكة العربية السعودية تحديداً بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٥١^(٢٤)، وعلى الرغم من ذلك لم يقلل الاهتمام العربي بالقضية الفلسطينية من عزم الشعب التونسي لنيل استقلالهم، فشكّلت الحركة الوطنية التونسية وفداً برئاسة الحبيب بورقيبة، لزيارة المملكة العربية السعودية في حزيران ١٩٥١، ولقاء الملك السعودي، وقد استقبل الوفد

استقبلاً مميزاً من لدن الملك السعودي الذي تحدث في اللقاء نفسه قائلاً... لا ترتكبوا خطأ مهاجمة فرنسا عن طريق معركة تقليدية ومنظمة . ان الفرنسيين اكثر عدداً وافضل تنظيمياً وتسليحاً.. اني اقول لكم نظموا انفسكم في حرب شعبية وحاربوا باسلوب الجماعات الصغيرة" ، وابدى الملك بعض النصائح بشأن اسلوب القتال ضد الفرنسيين، اذ نبه اعضاء الوفد على ضرورة استخدام منحنى جديد في قتال القوات الفرنسية قائلاً: " اقطعوا الطرق واختفوا بعد ذلك ، اعيدوا توزيعكم وهاجموا العدو من جديد ... وهكذا تتمكنون من السيطرة .. وعلى هذا النحو يمكنكم تشتيت قوة العدو" .

وفي موضوع اخر اقترح الملك السعودي على الوفد التونسي، في حال طلبت الحكومة الفرنسية التفاوض مع الحركة الوطنية التونسية قائلاً: "اذا ابدى الفرنسيون لكم حسن النوايا وقدموا لكم بعض المطالب ، فمدوا لهم ايديكم ... واذن لاتضيعوا هذه الفرصة " . وفي ختام حديثه شدد الملك السعودي على التزام حكومته بتقديم الدعم المالي للحركة الوطنية التونسية ، والتزامها بالعهود السابقة التي اعلنت عنها بدعمها ، وأشار في هذا الشأن قائلاً: " ان بإمكانكم ان تعتمدوا علينا وانتم تعرفون اننا لانتكر لكلماتنا"^(٢٥) . وفي الاحوال كافة، اقتنع الحبيب بورقيبة واعضاء الوفد المرافق له، بان الملك السعودي رجل عارف باحوال العالم عموماً، والقضية التونسية تحديداً وبإمكانه ان يؤدي دوراً مؤثراً في السياسة التونسية .

ومما يؤكد هذا الانسجام التام بين توجهات المملكة العربية السعودية والحركة الوطنية التونسية ، موقف الحكومة السعودية في اجتماع مجلس جامعة الدول العربية في دورتها العادية الخامسة عشر التي عقدت في الاسكندرية (٣-١٣) تشرين الاول ١٩٥١، اذ شدد مندوبها على ان حكومته ستعمل كل ما في وسعها لدعم "استقلال تونس" في المحافل الدولية^(٢٦) . وفي هذا السياق وتنفيذا لتوجيهات اجتماع الجامعة العربية الانف الذكر، سعت

حكومة المملكة العربية السعودية مع الدول العربية الاخرى، الى عرض القضية التونسية في اروقة الامم المتحدة خلال دورتها السادسة التي عقدت في باريس عام ١٩٥١. وعندما تقدم مندوب السعودية رشاد فرعون مع مجموعة مندوبي الدول العربية بطلب عرض القضية التونسية في اجتماعات الامم المتحدة تاجل عرض الموضوع برمته الى الدورة التالية ما بين (كانون الثاني - تموز ١٩٥٤) . ولم تتوان الحكومة السعودية مع مجموعة من الدول عن تقديم طلبات ادراج قضية تونس ضمن مناقشات الامم المتحدة. بيد ان الطلبات جوبهت بالرفض بسبب تأييد بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية لفرنسا، مما ادى الى اجهاض عرض القضية التونسية في اهم محفل دولي^(٢٧).

اشارت احدى الوثائق العراقية غير المنشورة التي تعود الى تلك المرحلة، الى ان المملكة العربية السعودية بادرت مع بقية الدول العربية الى عقد سلسلة اجتماعات ضمن اطار الجامعة العربية من (١٠-٢٣) ايلول ١٩٥٢، من اجل دعم القضية التونسية في المحافل الدولية، واسفرت الاجتماعات عن اتفاق الدول العربية على الاستمرار في محاولة عرض قضية تونس في اجتماعات الامم المتحدة، والدفاع عن حقوق الشعب التونسي الشقيق^(٢٨). وتزامن ذلك كله مع تدهور الاوضاع الداخلية، فقد شهدت تونس اقدام المقيم الفرنسي جان دي هوتكلوك^(٢٩) (Jean De Houtclocque) على القاء القبض على اعضاء الحكومة التونسية، وعدد من الشخصيات الوطنية ونفيهم الى جزيرة في جنوب تونس، مما ادى الى اضطراب الاوضاع وشل الحياة العامة في تونس^(٣٠).

وكان من الطبيعي ان تلقى تلك التطورات بظلالها على حكومات الدول العربية ،بما في ذلك حكومة المملكة العربية السعودية، التي طالب مندوبها ، مع اثني عشر مندوب اخر في بيان لهم، ان تنتهى السلطات الفرنسية قمعها لاعضاء الحكومة التونسية والحركة الوطنية التونسية ، كما دعوا الحكومة

الفرنسية الى ضرورة بدء المفاوضات مع قيادة الحركة الوطنية التونسية لتحقيق مطالبها المشروعة^(٣١).

انعكست تلك التطورات في تونس على اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٦ تشرين الاول ١٩٥٢، واستدعت الى مناقشة قضية تونس، وقد افضت تلك المناقشات والمداولات الى اصدار قرار في ١٧ كانون الاول ١٩٥٢، نص على اجراء مفاوضات مباشرة بين الحكومة الفرنسية وتونس ليجاد حل مرضٍ للشعب التونسي^(٣٢). مع الاخذ بالحسبان ان قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة لم تكن تلزم بها فرنسا. الامر الذي عدته حكومة المملكة العربية السعودية، حلاً لم يمس جوهر القضية التونسية^(٣٣).

هكذا عملت حكومة المملكة العربية السعودية، بالتعاون مع الدول العربية سواء في اجتماعات الجامعة العربية او الامم المتحدة، من أجل دعم قضية تونس، فقد طلب مندوب السعودية خلال اجتماع مجلس الجامعة العربية في دورتها الثامنة عشر الذي عقد في القاهرة في ٢٨ آذار ١٩٥٣، بضرورة عرض القضية التونسية في الامم المتحدة، الامر الذي ايده مجلس الجامعة باقراره ذلك الطلب^(٣٤). وكرر مندوب السعودية يوسف ياسين موقف حكومته بتأييد قرار الجامعة العربية المتخذ في ١ أيار ١٩٥٣، الداعي الى ضرورة تعاون دول الجامعة العربية مع بقية الدول بشأن قضية تونس^(٣٥).

وبحكم ذلك، قدمت حكومة المملكة العربية السعودية مع مجموعة من الدول طلباً الى الامم المتحدة في ٣ اذار ١٩٥٣، لمناقشة قضية تونس، وقد جاء في نص الطلب " ان الحكومة الفرنسية تماطل في تنفيذ قرار الامم المتحدة، القاضي باجراء مفاوضات مع تونس " ، وكُرِّر الامر نفسه في ٩ تموز ١٩٥٣، الا ان تلك الطلبات والاحتجاجات ضد تعسف الحكومة الفرنسية مع الشعب التونسي، قد رفضت من الحكومة الفرنسية ونالت تأييد دولتي كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية^(٣٦).

في غضون ذلك، دخلت الحركة الوطنية التونسية مرحلة جديدة، اذ نظمت نفسها ضمن مجموعات مسلحة ، لمقاومة شراسة السيطرة الفرنسية التي انتهجت سياسة تعسفية ضد الشعب التونسي، فلم يكن بوسع المقاومة المسلحة التونسية ، سوى ضرب المصالح الفرنسية في تونس عام ١٩٥٣^(٣٧). وبفعل ذلك كثفت المملكة العربية السعودية جهودها الدبلوماسية بالتنسيق مع الدول العربية والاسلامية لعرض القضية التونسية في الامم المتحدة، خلال الدورة الثامنة التي عقدت في ١٥ ايلول ١٩٥٣ ، وبالفعل تكللت تلك الجهود والمسااعي في نجاح المملكة العربية السعودية والدول الاخرى في حمل الجمعية العامة للامم المتحدة على الموافقة في ١٧ تشرين الاول ١٩٥٣ ، على مناقشة قضية تونس، الا ان تكاتف الدول الكبرى الاستعمارية مع الحكومة الفرنسية حال دون نجاح المشروع الذي تقدمت به مجموعة من الدول، والذي دعا الى انتهاء الاحتلال الفرنسي، وعلان استقلال تونس^(٣٨) .

الخاتمة

عملت المملكة العربية السعودية على تاييد الحركة الوطنية التونسية ومساندتها بشتى الوسائل سواء المادية منها او المعنوية من خلال الوسائل الدبلوماسية الى ثني الحكومة السعودية عن موقفها هذا ، الا ان تلك المحاولات لم تجد نفعا ، واستمرت الحكومة السعودية بدعم الحركة الوطنية التونسية .

(١) كانت المملكة العربية السعودية قبل ايلول ١٩٣٢ تعرف باسم مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها.

(٢) ولد في تونس عام ١٨٧٦، تخرج في جامعة الزيتونة، كان من زعماء الحركة الوطنية التونسية، أسس الحزب الدستوري عام ١٩٢٠، ابعده السلطات الفرنسية عن تونس عام ١٩٢٣، فتنقل بين عدد من الاقطار العربية، عاد الى تونس عام ١٩٣٧، اعتزل الحياة السياسية بسبب فشله في اعادة بناء حزبه، له مؤلفات عدة منها "روح القرآن" و "تونس الشهيدة"، توفي عام ١٩٤٤. للتفصيل يمكن الرجوع الى : ليزان زادر فتح الله، عبد العزيز الثعالبي ونشاطه السياسي والفكري (١٨٧٦-١٩٤٤)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ والتراث العلمي، جامعة الدول العربية، ٢٠٠٠.

(٣) احتلت تونس من الفرنسيين عام ١٨٨١، وفرضت فرنسا على الباي محمد الصادق معاهدة باردو في ٢٢ أيار ١٨٨١، التي تضمنت فرض الحماية الفرنسية، واحتلال بعض المناطق التونسية، كما فرضت فرنسا عام ١٨٨٣ معاهدة المرسى التي ضمنت للاخيرة تدخلها في الشؤون الادارية والقضائية لتونس وبذلك احكمت سيطرتها عليها. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Lars Rude Beck, Party and People Study of Political Change in Tunisia, London, 1967, PP.27-30;

محمد يوسف نحلة، تطور الحركة الوطنية في تونس (١٩١٢-١٩٥٦)، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، ١٩٨١، ص ص ٤٨-٥٣.

(٤) شبكة المعلومات الدولية " الانترنت" وعلى الموقع التالي:

WWW.king/khalid.org.as

وعلى العنوان التالي: عبد العزيز ال سعود وتونس.

(٥) ولد عام ١٨٦٢، تولى العرش عام ١٩٢٩، خلفاً لابن عمه محمد الحبيب، شهد عهده حدوث الازمة الاقتصادية العالمية، التي اثرت على تونس حالها حال الدول الاخرى، لم يكن له دور سياسي يذكر، توفي عام ١٩٤٢. للتفصيل ينظر: حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، تونس، ٢٠١٠، ص ص ١٥٦-١٥٧.

(٦) شبكة المعلومات الدولية " الانترنت" وعلى الموقع التالي

WWW.Kingkhalid.org.as

وعلى العنوان التالي: عبد العزيز ال سعود وتونس.

(٧) جاءت زيارة فيصل بن عبد العزيز الى تونس، وهو في طريق عودته من زيارة قام بها الى الولايات المتحدة الامريكية.

(٨) ولد في تونس عام ١٨٨١، كان الباي الثالث عشر في الاسرة الحسينية التي حكمت تونس، كانت له صلات بالوطنيين التونسيين، فأيد الحزب الدستوري الذي تزعمه الثعالبي، لذا نفته فرنسا الى منطقة الاغواط جنوب الجزائر عام ١٩٤٣ ثم الى جنوب فرنسا حيث توفي عام ١٩٤٧. ينظر: عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ج٢، ص٣١٧.

(٩) Gerald DE Gaury, Fausal Biography of the Great King London . 1979, P. 27.

(١٠) شبكة المعلومات الدولية "الانترنت" وعلى الموقع التالي:

WWW.Kingkhalid.org.as

وعلى العنوان التالي: عبد العزيز ال سعود وتونس.

(١١) ولد في المنستير عام ١٩٠٣، من ابرز الشخصيات الوطنية التونسية، اسهم في تأسيس الحزب الحر الدستوري الجديد، كان ضمن اعضاء مكتب المغرب العربي الذي اقامه الوطنيون المغاربة في القاهرة، تعرض للاعتقال والنفي، وبعد اعلان استقلال تونس، شكل اول وزارة عام ١٩٥٦، الغى الملكية واعلن الجمهورية تحت زعامته عام ١٩٥٧، بقي رئيساً للجمهورية التونسية حتى قيام زين العابدين بن علي بانقلاب ضده عام ١٩٨٧، توفي عام ٢٠٠٠. للتفصيل ينظر: حسن زغير حريم، الحبيب بورقيبة ودوره السياسي (١٩٨٧-١٩٠٣) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٣.

(١٢) الصافي سعيد، بورقيبة سيرة شبه محرمة، ط١، (د.ت)، ٢٠٠٠، ص١٤٢.

(١٣) تشكلت الحكومة الفرنسية بعد تحرير باريس في عام ١٩٤٤ وترأس الحكومة شارل ديغول الذي انشغل بترتيب اوضاع فرنسا الداخلية وازالة اثار الحرب واعادة اعمار البلاد ، لذا وضع ديغول برنامجاً شمل عدداً من الاصلاحات الاقتصادية وتأميم بعض المؤسسات الفرنسية، كما جرى وضع دستور للبلاد عام ١٩٤٦. للتفصيل ينظر: الجنرال ديغول، مذكرات الحرب ١٩٤٤-١٩٤٦، ج٣، دمشق، ١٩٨٤.

(١٤) ولد في باريس عام ١٨٨٩، اشترك في الحرب العالمية الثانية، اسره الالمان خلال الحرب، تقلد مناصب عدة منها قائد لفرقة الجزائري والقائد الاعلى المدني في شمال افريقيا، اعفي عام ١٩٤٧، تقلد مناصب ادارية منها مدير دراسات معهد الدفاع الوطني العالي في باريس (IHEDN)، توفي عام ١٩٧٧. للتفصيل ينظر: عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٣٨.

(١٥) كان الوزير عضواً في " مجمع الملك فؤاد للغة العربية"، وسافر الى القاهرة لحضور الاجتماع السنوي للمجمع، اما عبد العزيز فكان في زيارة رسمية بدعوة من الملك فاروق نفسه. للتفصيل ينظر: علي محافظة، فرنسا والوحدة العربية ١٩٤٢-٢٠٠٠، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٢٦.

(١٦) مقتبس في: المصدر نفسه، ص ٢٢٦.

(١٧) " البلاد"، العدد ١٩٣١، ٢٦ ايلول ١٩٤٦.

(١٨) ولد في تونس عام ١٨٨١، تولى العرش عام ١٩٤٣ اثر خلع الباي محمد المنصف، كان اخر من حمل لقب باي، اذ اعلنت الجمهورية في عهده عام ١٩٥٧، توفي عام ١٩٦٢. للتفصيل ينظر: محمد بوذينة، مشاهير التونسيين، تونس، ٢٠٠١، ص ٣١٨-٣١٩.

(١٩) " البلاد"، العدد ١٩٦٠، ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٦.

(٢٠) اقامت السفارة السعودية حفلة شاي بمناسبة زيارة وزير الخارجية فيصل بن عبد العزيز الى واشنطن. للتفصيل ينظر: الصافي سعيد، المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٢١) ولد عام ١٨٩٣، تخرج في جامعة بيل الامريكية، تقلد مناصب عدة منها وكيل وزارة الخزانة عام ١٩٣٣ ووكيل وزارة الدفاع الامريكية، وزير للخارجية بين عامي ١٩٤٩ و١٩٥١، اسهم في انشاء حلف الناتو، توفي عام ١٩٧١. للتفصيل ينظر:

"The Encyclopedia Americana", Vol 2, Canda , 1980, P. 83.

(٢٢) الصافي سعيد، المصدر السابق، ص ١٤١.

(23) Dwight L. Ling, Tunisia, from Protector to Republic, London, 1967, P. 128.

(٢٤) اهتمت المملكة العربية السعودية بقضية فلسطين منذ بدء تدفق المهاجرين اليهود اليها، اذ تحدث عبد العزيز ال سعود مع الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت حول تلك المسألة عند لقاؤهما عام ١٩٤٦، كما عارضت السعودية قرار تقسيم فلسطين = عام ١٩٤٧

الذي اصدرته الامم المتحدة. للتفصيل ينظر: حيدر شاكر خميس القره غولي، المملكة العربية السعودية والقضية الفلسطينية ١٩٣٦-١٩٧٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٧.

(٢٥) مقتبس في : الصافي سعيد ، المصدر السابق ، ص ص ١٦٠-١٦١.

(٢٦) د.ك.و. ، الوحدة الوثائقية ، ملفات البلاط الملكي ، رقم الملف ٣١١/٤٦٨٨ ، جامعة الدول العربية ، القرارات التي اتخذها مجلس جامعة الدول العربية في دورته العادية الخامسة عشر المنعقدة بالاسكندرية ٣ اكتوبر/ تشرين الاول ١٩٥١ - ١٣ اكتوبر/ تشرين الاول ١٩٥١ ، رقم الوثيقة ٧ ، ص ١٤٥.

(27) Dwight Liting . Op. Cit., P.159.

(٢٨) د.ك.و. ، الوحدة الوثائقية ، ملفات البلاط الملكي ، رقم الملف ٣١١/٤٦٨٩ ، تقرير السفارة العراقية في القاهرة ، المرقم ٢٧٥/٩/٢ في ٢٠ نيسان ١٩٥٣ ، المرسل الى وزارة الخارجية العراقية ، رقم الوثيقة ٥٣ ، ص ٨٩.

(٢٩) لم تستطع الباحثة الحصول على السيرة الذاتية له .

(٣٠) حسن بن تومي شطبوري ، العلاقات التونسية - الفرنسية ١٩٥٦-١٩٦٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، ابن رشد / جامعة بغداد ، ١٩٩٧ ، ص ٢٩.

(٣١) هيثم عبد الخضر معارج، المصدر السابق، ص ص ٢٠٤-٢٢٦.

(32) Jean Rous , Bourguiba, Paris, 1984, P. 140.

(٣٣) يونس درمونة، تونس بين الحماية والاحتلال، مطبعة الرسالة، القاهرة، د. ت، ص ٦٠.

(٣٤) د.ك.و. ، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، رقم الملف ٣١١/٤٦٩٥ ، تقرير الجامعة العربية لشهر حزيران ١٩٥٣ ، د. رقم ، د. ت، المرسل الى وزارة الخارجية العراقية، رقم الوثيقة ٨ ، ص ٨.

(٣٥) " جامعة الدول العربية"، المحاضر الختامية لجلسات دورة الانعقاد العادي الثامن عشر لمجلس جامعة الدول العربية لسنة ١٩٥٣ ، مضبطة الجلسة الخامسة المنعقدة في ١ مايو ١٩٥٣.

(36) Abdel Wahed Aziz, Arab Politics in the United Nation, Y. A. R, 1977, P. 81.

(٣٧) عبد الله الطاهر ، الحركة الوطنية التونسية ١٨٣٠-١٩٥٦ ، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص ١٩٩.

(٢٨) هيثم عبد الخضر معارج ، المصدر السابق ، ص ص ٢٣٣ - ٢٤٠.

الملخص باللغة الانكليزية

Saudi Arabia's attitude from Tunisian national movement until 1953, discussed the Saudian demands of Tunisian independence in the united nations , also discussed the Saudian demands of Tunisian in dependence from U.S.A.

**عقدين لبيع وشراء الحيوانات
من العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)،
نصوص غير منشورة من متحف السليمانية**

د. ناري خليل كامل

جامعة صلاح الدين/أربيل، كلية الآداب، قسم الآثار

عقدين لبيع وشراء الحيوانات من العصر السومري الحديث
(٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)، نصوص غير منشورة من متحف السليمانية

د. ناري خليل كامل

لقد لعبت التجارة دوراً متعظماً في حياة المجتمعات القديمة وخصوصاً في بلاد وادي النهرين منذ عصور تاريخية مبكرة، ومع ابتكار الكتابة المسمارية في النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد ازدادت معلوماتنا المستقاة من النصوص المسمارية بشكل كبير عن جميع النشاطات الاقتصادية، إذ شكل تدوينها الرافد الأساس لإغناء معلوماتنا عن الحياة الاقتصادية وبالذات التجارية منها كعقود البيع أو الشراء والقروض وغيرها من الأنشطة المالية، لقد كانت عمليات البيع والشراء من أوسع النشاطات الإنسانية، لأنه نشاط يومي وضروري وأساسي يتعلق بديمومة الحياة وتطورها. ومن هذا المنطلق نجد جميع القوانين القديمة^(١) تلزم الفرد بتدوين عملياته التجارية مع وجود الشهود ضماناً لحقوقهم الشخصية وخوفاً من التغيرات الاقتصادية السيئة التي تطرأ على الأسواق وما يترتب عليها من مساوئ على أحد أطراف العقد وقد جاءت الوثائق المسمارية لتثبت ذلك الشيء.

تدل دراسة التاريخ الاقتصادي في بلاد وادي النهرين وفي مقدمتها الأنشطة التجارية في العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) أن نشوء التجارة لم يحدث فجأة من دون مقدمات، وإنما حصل ذلك خلال عملية تطور ذات تسلسل دقيق ومنسجم، كما تؤكد ذلك العقود والوثائق الاقتصادية التي ضمت جميع أنواع المعاملات التجارية^(٢). وقد تضمن هذا البحث دراسة تحليلية وتحليلاً لنصين مسماريين غير منشورين من مقتنيات متحف السليمانية^(٣) يحملان الأرقام المتحفية الآتية: (T-3043/sm-4565) و (3085/sm-4568) ويدخلان ضمن نصوص عقود البيع

عقدين لبيع وشراء الحيوانات من العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م), نصوص غير منشورة من متحف السليمانية

والشراء, ومما يؤسف له اننا لا نعلم على وجه الدقة معثر ذينك العقدين^(٤) لكونهما لم يردان عن طريق التنقيبات الاثرية وكلاهما يعودان إلى عصر سلالة اور الثالثة.

يتميز العصر السومري الحديث بكثرة النصوص المسماة ومن ضمنها العقود التي تناولت مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية, وتعتبر عقود البيع والشراء من أكثر النصوص أهمية وذلك لقلة ما كشف ونشر لحد الآن بالمقارنة مع الأنواع الأخرى من النصوص. ان نصوص انتقال الملكية من نوع الممتلكات المنقولة وغير المنقولة وذلك من شخص الى آخر بواسطة البيع والشراء متنوعة بتنوع المواد وخاصة في العصر السومري الحديث, والمقصود بالممتلكات المنقولة هي العبيد والأماء والأطفال والحيوانات وغير المنقولة مثل البيوت والحقول.

تميزت نصوص عقود بيع وشراء الحيوانات في سلالة اور الثالثة بمميزات عامة من خلال تثبيت كافة المعلومات في عقد البيع, حيث اخذ هذين النصين نفس طابع النصوص الخاصة بالبيع والشراء, إذ يبدأ النص بذكر عدد واسم الحيوان الذي تم شراؤه, ثم يذكر مالك الحيوان وهو البائع ويحدد اسم المشتري وفعل الشراء, مع ذكر الثمن موزونا بالفضة او بالحبوب ثم يختم النص بأسماء الشهود والصيغة التاريخية والأختام لأحد أطراف العقد او الشهود, وفيما يأتي ترجمة وقراءة وتحليل للنصين^(٥), موضوعي البحث:

عقدين لبيع وشراء الحيوانات من العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)،
نصوص غير منشورة من متحف السليمانية

نص رقم -١-

رقم المتحف : (T-3085/sm-4568) التاريخ: شو-سين 1
لوح طيني مختوم القياس: 41x43x15 ملم
المعثر: غير معروف المضمون العام: عقد شراء عجل

Transliteration Obv.	Translation الوجه
1. 1 áb mu 2	بقرة عمرها سنتين
2. ki ur- ^d <nin>-geš-zi-da-ta	من اورننكيشزيدا
3. u ₄ -gú in-sa ₁₀	أوكو اشترى
4. šám-bi 2(gur) 4(pi) gur	سعرها ٢ (كور) و ٤ (بي) كور (من الشعير)
5. mu ur- ^d <nin>-giš-zi-da-šè	بأسم أورننكيشزيدا
Rev.	القفا
6. kišib ₃ AMA-tu[í ₂ -ra]	دحرجت ختم أماتو
7. igi [x]-na- [...]	[x]-na- [...] من قبل....
8. igi ur-x- ^d ba- [...]	[...] من قبل اور..
9. kišib ₃ ^d en-lil ₂ -[la ₂ ...]	ختم انليل-لا
(Seal impression)	طبعة الختم غير واضحة
10. mu ^d šu- ^d sin lugal	السنة التي فيها أصبح شوسين ملكاً

المعنى العام:

عقد شراء عجل عمره سنتين من قبل شخص اسمه اوكو من مالكة اورننكيشريدا وحدد ثمنه بالحبوب ما يقارب ٨٤٠ لتر من الشعير وقد ابرم العقد أمام عدد من الشهود. والنص مختوم ومؤرخ للسنة الأولى من حكم الملك شوسين.

الملاحظات:

السطر الاول:

áb : مفردة سومرية تعني بقرة ويرادفها بالأكدية (*arhu* أو *littu*)^(٦) وأضيفت إليها كلمة mu تعني سنة او عمر اذ يقابلها بالاكديّة (*šattu*)^(٧) وجاءت بعدها العدد ٢ لتحدد عمر هذا الحيوان.

تمثل الثروة الحيوانية موقعاً متميزاً في الحياة الاقتصادية في العراق القديم، ويأتي ذلك من الدور الذي يمكن ان تؤديه في مختلف المجالات، كالمجال الغذائي في الاستفادة من منتجاتها ولاسيما اللحوم الألبان الجلود الصوف وغيرها والمجال الزراعي من خلال استخدامها في العمليات الزراعية كالحرثة ودراسة المحاصيل كما استعملت كأصاحي وقرابين، بالإضافة الى المجال التجاري كواسطة نقل الحمولات والبضائع التجارية. ولأهميتها في حياة الإنسان فقد دخلت في اغلب عمليات البيع والشراء، ومن بين أهم الحيوانات التي ذكرت في هذا المجال هي الأبقار الأغنام والثيران^(٨).

السطر الثاني : ki.PN.ta : اداة جر معناه " من... الى"^(٩). قمنا بإضافة علامة nin الى الاسم لإكمال القراءة، يبدو ان الكاتب قد نسي كتابتها.

السطر الثالث: u₄-gú اسم علم ذكر فقط في نصين من نصوص عصر اور الثالثة (MVN 6, 559, xx Girsu) و (SAT 3, 1601, Šu-Suen 5, Umma)، بالإضافة الى ورودها في النص الثاني (راجع النص التالي).

in-sa₁₀ : صيغة فعلية سومرية وتعني اشترى ويرادفها بالأكدية (*šāmu*)^(١٠).

عقدين لبيع وشراء الحيوانات من العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)،
نصوص غير منشورة من متحف السليمانية

السطر الرابع : حدد الكاتب في هذا السطر سعر الحيوان بالحبوب بدلا من الفضة , حيث من المتعارف عليه تحديد اسعار المواد بكلتا المادتين (الفضة والشعير), وبهذا فان سعر البقرة ذات السننتين ٨٤٠ لتر من الشعير اي ما يعادل ٢ شيقل من الفضة (إذا ما علمنا بأن سعر ١ شيقل من الفضة في ذلك العصر يعادل قيمة ٣٠٠ لتر من الشعير)^(١١)

šam₂ او sam₂ مفردة سومرية تعني " ثمن " استخدمت لتحديد الأسعار، يقابلها بالأكدية (šimu)^(١٢)، وهي كلمة مقاربة للفظ العربي " ثمن ".

gur : احد المكايل السومرية الذي كان يستعمل في التعاملات التجارية في العصور التي سبقت عصر سلالة اور الثالثة, ويرادفها في اللغة الاكدية (kurru) ويعادل ٣٠٠ لتر من الأوزان الحالية^(١٣).

أما بخصوص أسعار الأبقار في المصادر المسمارية فكانت مختلفة , يتبين لنا ان لاعمار الأبقار دورا مؤثرا في سعرها إذ ان معظم العقود تحمل عبارة تبين عمر البقرة المباعة مما يعكس أهمية عمر الأبقار في تحديد السعر وخير دليل على كلامنا هذا النص الذي بين أيدينا.

وتتراوح متوسط أسعار الأبقار عامة ما بين (٨-٢) شقيقات تقريبا, وفيما يأتي جدول بمجمل أسعار الأبقار المتوفرة لدينا في العصر السومري الحديث:

ت	المصدر	البقرة, عمرها	السعر gín , še	التاريخ	المدينة
١-	MVN, 16, 714	بقرة	٣ شقيقات	لا يوجد	Umma
٢-	ITT 3, 6598	بقرة	٦ ½ شقيقات	لا يوجد	Girsu
٣-	MVN, 16, 714	بقرة كبيرة	٨ شقيقات	لا يوجد	Umma

عقدين لبيع وشراء الحيوانات من العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)،
نصوص غير منشورة من متحف السليمانية

٤-	SNAT 136	بقرة كبيرة	٧ شقيقات	شوسين ٤	Girsu
٥-	MVN, 16, 714	بقرة ثلاث سنوات	٦ شقيقات	لا يوجد	Umma
٦-	T-3085 SM (0000)	بقرة سنتين	٨٤٠ لتر من الشعير	شوسين ٤	unknown

جدول رقم ١-

أسعار الأبقار في العصر السومري الحديث.

من البديهي أن أسعار الحيوانات كانت تتغير من عصر إلى آخر، كما كانت تختلف في العصر الواحد من مكان إلى آخر وبالتالي الأسعار هي انعكاس للعرض والطلب. وقد دلت الدراسات الاقتصادية على أن الأزمات الاقتصادية لها الدور البارز في الارتفاع الفاحش للأسعار وقلة العرض مع زيادة الطلب على السلع بسبب الحروب والجفاف والأوبئة والأمراض التي تضر بالإنسان وبالثروة الحيوانية والزراعية في أن واحد الأمر الذي يؤدي إلى زعزعة النظام الاقتصادي، وبالتالي التأثير على الأسعار^(١٤).

السطرين الخامس والسادس :

mu ur-^d<nin>-giš-zi-da-šè kišib₃ AMA-tu [íb-ra]

جملة سومرية نادرة بمعنى " في مكان ختم أورنكيشزيدا، دحرجت ختم أماتو " ^(١٥).

كما اشرنا في البداية بأن هذا اللوح مختوم ولكن لسوء الحظ طبعة الختم غير مقروءة، واستنادا الى ما ذكره الكاتب في السطرين الخامس والسادس حدد على عاتق من يقع ختم العقد، ويبدو ان الكاتب استخدم عبارة للإشارة الى ان البائع لا يختم العقد بل هناك شخص ثاني (يدحرج ختمه) يختم العقد ولا نعرف صلة القرابة بينه وبين اسم البائع لان النص لم يذكر هذا الشيء.

حيث ان معنى المفردات كما يلي:

عقدين لبيع وشراء الحيوانات من العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)،
نصوص غير منشورة من متحف السليمانية

ورد اسم البائع أورننكيشريدا مسبقا بكلمة (mu) بمعنى اسم ويرادفها في اللغة
الاكديّة (šumu) ^(١٦).

kišib₃: مفردة سومرية تعني ختم ويقابلها بالاكديّة (kunukku) ^(١٧).

īb-ra: صيغة فعلية سومرية تعني دحرج او ختم ويقابلها بالاكديّة (barāmu) ^(١٨).

السطر السابع: igi: مفردة سومرية تسبق الأسماء تأتي عادة قبل أسماء الشهود للدلالة
على الشهادة بمعنى " بحضور " او " أمام " ويقابلها بالاكديّة (šību) ^(١٩).

السطر العاشر: الصيغة التاريخية: تعد السنة الأولى من حكم الملك شوسين، وكان من
المتعارف عليه تخصيص السنة الأولى من الحكم لتعيين الملك في منصبه فيذكر اسمه
مع لقب الملك كإشارة لتوليّه الملوكية.

نص رقم -٢-

التاريخ: شو-سين 1

رقم المتحف: T-3043/sm-4565

القياس: 38x44x16 ملم

لوح طيني مختوم

المضمون العام: عقد شراء ثور

المعثر: غير معروف

Transliteration	Translation
Obv.	الوجه
1- i-ti-èr-ra	إتي-إيرا
2- 1 gu ₄ kù 8 šám gin ₂ kù-babbar-šè	ثور واحد سعره ٨ شيقل من الفضة
3- u ₄ -gú dam-gàr-ra	من اوكو التاجر
4- in-na-šám	أشترى
Rev	القفا
5- igi AMA-tu ḥa-za-núm	من قبل أماتو المحافظ

عقدين لبيع وشراء الحيوانات من العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)،
نصوص غير منشورة من متحف السليمانية

Seal impression	طبعة الختم غير واضحة
1- mu ^d šu- ^d sin lugal	السنة: التي فيها اصبح شوسين ملكا

المعنى العام:

عقد شراء ثور لشخص اسمه إتي-إيرا من اوكو التاجر وحدد ثمنه بالفضة وقد ابرم العقد أمام شاهد واحد فقط يحمل لقب المحافظ. والنص مختوم ومؤرخ للسنة الأولى من حكم الملك شوسين.

الملاحظات:

السطر الاول:

في هذا السطر نجد ان الكاتب بدأ بذكر اسم المشتري بدلا من اسم الشيء الذي تم شراؤه حيث لم يأخذ هذا النص نفس طابع عقود البيع والشراء السائدة في العصر السومري الحديث من حيث ذكر اسم المادة وسعرها في بداية العقد مثلما وجدناه في النص الأول. أما بخصوص اسم المشتري (i-ti-èr-ra) فيعتبر من الأسماء الشائعة في عصر سلالة اور الثالثة التي وردت في معظم المدن من العصر نفسه (٢٠).

السطر الثاني: جملة سومرية بمعنى " ثور واحد سعره ٨ شيقل من الفضة "، نلاحظ أيضا في هذا السطر الكتابة المختزلة من قبل الكاتب في إيراد معلومات حول نوع الحيوان وسعره.

ونظرا لأهمية الحيوانات في حياة الإنسان وخصوصا الثور لاستفادة منها في المجالات الزراعية ، إذ نجد ان السجلات والوثائق اليومية آنذاك لم تخل من ذكر الثور الى جانب الحيوانات والمواد الأخرى ، إذ دخلت في المعاملات التجارية كالبيع، والذي يُهمنا في هذا السطر بالدرجة الاساس سعر الثور والبالغ ٨ شيقل (أي ما يعادل ٦٤ غراما من الفضة). وتتراوح متوسط أسعار الثور عامة حسب النصوص المنشورة مسبقا ما بين

عقدين لبيع وشراء الحيوانات من العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)،
نصوص غير منشورة من متحف السليمانية

(١٠-٤) شقيقات تقريبا، وفيما يأتي جدول بمجمل أسعار الثيران المتوفرة لدينا في
العصر السومري الحديث :

ت	المصدر	الثور، عمره	السعر gín , še	التاريخ	المدينة
١-	ASJ 18, 90 25	ثور	٥ شقيقات	شولكي ٤٨	Girsu
٢-	ASJ 18, 90 25	ثور	5¼ شقيقات	شولكي ٤٨	Girsu
٣-	BPOA 6, 954	ثور	١٠ شقيقات	شولكي ٣٥	Umma
٤-	NRVN 1, 219	ثور سنتان	٤.٥ شقيقات	إبي-سين ؟	Nippur

جدول رقم ١-

أسعار الثيران في العصر السومري الحديث.

ويمكن تحليل السطر الثاني وفق الآتي :

gu₄ : مفردة سومرية بمعنى ثور ويقابلها بالاكديّة (alpu)^(٢١).

šām : راجع بخصوص معنى هذه المفردة ملاحظات النص الاول.

gin₂ : مفردة سومرية يرادفها بالاكديّة (šiqlum) بمعنى " شيقل " وهي وحدة وزن

وتعادل (٦٠/١) جزء من (المانا) أو ما يعادل (٨.٣ غم) وفق الأوزان الحالية^(٢٢).

kù-babbar-še : كلمة سومرية يقابلها بالاكديّة (kaspum) بمعنى " فضة " ^(٢٣). وقد

الحق بها (šè) أداة الاتجاه والحركة السومرية بمعنى " من ل, الى " ^(٢٤).

السطر الثالث :

dam-gàr-ra : مفردة سومرية بمعنى تاجر ويقابلها بالاكديّة (tamkāru). وقد

الحق بها المقطع (ra) الناتج من الصاق الحرف الصحيح (r) الذي يرجع باصله الى

(gàr), و (a) يعود إلى أداة الإضافة السومرية (ak)^(٢٥).

ha-za-núm : مفردة سومرية تعني محافظ ويقابلها بالاكدي (hazannu)^(٢٦).
لاتزال مهمة موظف (hazanum) غير محددة بشكل واضح بين ثنايا النصوص
المسمارية وخصوصا من عصر اور الثالثة, حيث يرى بعض الباحثين ان مهام موظف
خزانو قد ارتبط بالإدارة العسكرية للجيش حالها كحال باقي الوظائف العسكرية مثل
(šagina " حاكم عسكري", nu-banda₃ "عريف" الخ...) ^(٢٧). بينما يعتبره الآخرون
موظف بدرجة مدير مسؤول عن المستوطنات الصغيرة, اي انه ممثل الحكومة
المركزية على المستوى المحلي ^(٢٨).
أما بخصوص الختم والمشهد الموجود عليها للأسف لم نستطيع قرأته فكل ما تبقى منه
فقط احدى جوانب مشهد تقديم متعبد الى اله او ملك جالس على كرسي من قبل الهة
وسيطرة وهو المشهد المألوف على اختتام عصر سلالة اور الثالثة ^(٢٩).

قائمة المصادر

الأجنبية:

- 1) Di Vito, R., Studies in Third Millennium Sumerian and Akkadian Personal Names, Editrice Pontificio istituto Biblico, Roma, 1993, p. 161.
- 2) Edzaed, D. O., *Sumerian Grammar*, Leiden-Bosten-2003, p.157.
- 3) Englund, R., "Equivalency Values and the Command Economy of the Ur III Period in Mesopotamia", In Papadoulos John K. and Urton Gary, *The Construction of Value in the Ancient World*. Los Angeles; Cotsen Institute of Archaeology Press-2012, pp. 436.
- 4) Garfinkle, S., *Entrepreneurs and Enterprise in Early Mesopotamia*, CDL press, Bethesda, Maryland-2012, p.5-17.
- 5) George, A., "Cuneiform tablets: every cloud has a silver lining", *The Middle East at SOAS, SOAS Centenary Special Issue*, 2016, p.16-17.

عقدين لبيع وشراء الحيوانات من العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م),
نصوص غير منشورة من متحف السليمانية

- 6) Franke, J. A., "Presentation Seals of the Ur III / Isin-Larsa Period." In : McGuire Gibson et R. D. Biggs (dir.), *Seals and Sealings in the Ancient Near East*, Malibu, pp. 61-66.
- 7) Lafont, B., "The Garšana Soldiers", in: Garšana Studies. Cornell University Studies in Assyriology and Sumerology 6. David I. Owen, ed. Bethesda: CDL Press, CUSAS 6, 2012, pp. 217-218.
- 8) Steinkeller, P. *Sale Documents of the Ur-III-period*, Freiburger Altorientalische Student Band 17. Stuttgart: Franz Steiner Verlag, 1989.
- 9) Steinkeller, P. "Corvée Labor in Ur III Times" in S. Garfinkle and M. Molina, eds., *From the 21st Century B.C. to the 21st Century A.D.* p. 351-352
- 10) Roth, M. *Law Collection from Mesopotamia and Asia Minor*, second Edition, Atlanta-1997.
- 11) Vila, E., *L'exploitation des animaux en Mésopotamie aux IVe et IIIe millénaires avant J.-C.*, Paris-1998.(in French).

العربية :

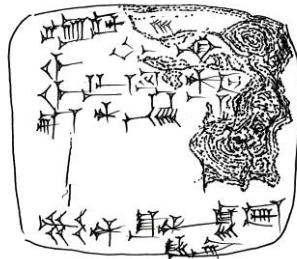
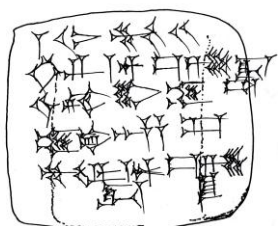
- ١٢) الجبوري, علي ياسين , قاموس اللغة الاكدية-العربية, الامارات العربية المتحدة, ٢٠١٠.
- ١٣) المتولي, نواله احمد محمود, مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة اور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة), مطبعة دار الحوراء, ط. ١, بغداد-٢٠٠٧.
- ١٤) الدليمي, مؤيد محمد سليمان جعفر , الأوزان في العراق القديم في ضوء الكتابات المسمارية المنشورة وغير المنشورة , رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة الموصل, ٢٠٠١.
- ١٥) رشيد, فوزي, قواعد اللغة السومرية, الاصدار الاول, سوريا-٢٠٠٩ .
- ١٦) رينيه, لابات: لابات, قاموس العلامات المسمارية, ترجمة: البيير ابونا واخرون, مطبعة المجمع العلمي-٢٠٠٤ .



Rev.



Obv.



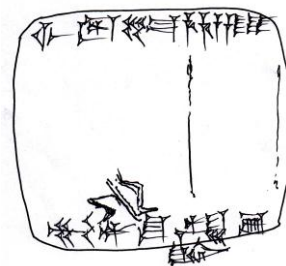
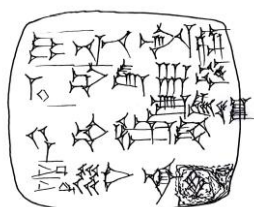
T-3085 SM 4568



Obv.



Rev.



T- 3043 SM 4565

- (1) Roth, M. Law Collection from Mesopotamia and Asia Minor, second Edition, Atlanta-1997, p. 1-10.
- (2) Garfinkle, S., *Entrepreneurs and Enterprise in Early Mesopotamia*, CDL press, Bethesda, Maryland-2012, p.5-17.
- (3) للمزيد من المعلومات حول المتحف يرجى مراجعة الموقع الإلكتروني :
<http://www.slemanimuseum.org/museum>.
المختصرات المستخدمة في هذا البحث جميعها موجودة في المكتبة الرقمية للمسماريات (CDLI):
http://cdli.ox.ac.uk/wiki/abbreviations_for_assyriology
- (4) George, A., “Cuneiform tablets: every cloud has a silver lining”, *The Middle East at SOAS, SOAS Centenary Special Issue*, 2016, p.16-17.
- (5) Steinkeller, P. *Sale Documents of the Ur-III-period*, Freiburger Altorientalische Student Band 17. Stuttgart: Franz Steiner Verlag, 1989, p. 8-23.
- (6) الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة الاكدية-العربية، الامارات العربية المتحدة، ٢٠١٠، ص ٥٩.
- (7) رينيه لابات، قاموس العلامات المسمارية، ترجمة: الأب البيير أبونا، ووليد الجادر، وخالد سالم إسماعيل، مراجعة وإشراف: عامر سليمان، بغداد، ٢٠٠٤، ص ٦٣، العلامة ٦١.
- (8) للمزيد من المعلومات حول الثروة الحيوانية في بلاد الرافدين في ألفين الرابع والثالث ق.م. يرجى مراجعة:

Vila, E., *L'exploitation des animaux en Mésopotamie aux IVe et IIIe millénaires avant J.-C.*, Paris-1998.(in French)

- (9) رشيد، فوزي، قواعد اللغة السومرية، الاصدار الاول، سوريا-٢٠٠٩، ص ٧٣.
- (10) ePSD, S. p.5.
- (11) Englund, R., “Equivalency Values and the Command Economy of the Ur III Period in Mesopotamia”, In Papadoulos John K. and Urton Gary, *The Construction of Value in the Ancient World*. Los Angeles; Cotsen Institute of Archaeology Press-2012, pp. 436.

¹²⁾ CDA, p.373.

¹³⁾ CAD, K, p. 564: b.

^(١٤) للمزيد من المعلومات حول الحياة الاقتصادية للعصر السومري الحديث راجع :
المتولي، نواله احمد محمود، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة اور الثالثة في ضوء الوثائق
المسمارية (المنشورة وغير المنشورة)، مطبعة دار الحوراء، ط.١، بغداد-٢٠٠٧.

^(١٥) حول هذه العبارة راجع : Steinkeller, P. Op.cit, p. 113.

^(١٦) الجبوري، المصدر السابق، ص ٦٢٢.

¹⁷⁾ CAD, K, p. 546:a.

^(١٨) الجبوري، المصدر السابق، ص ٨١.

^(١٩) لابات، العلامة ٤٤٩، ص ٢٠١. للمزيد حول هذه الوظيفة راجع:

²⁰⁾ Di Vito, R., Studies in Third Millennium Sumerian and Akkadian
Personal Names, Editrice Pontificio istituto Biblico, Roma, 1993, p. 161.

^(٢١) CDA, p. 13.

^(٢٢) الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر ، الأوزان في العراق القديم في ضوء الكتابات المسمارية
المنشورة وغير المنشورة ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠١، ص ٤٧.

²³⁾ CDA, p. 150.

²⁴⁾ Edzaed, D. O., *Sumerian Grammar*, Leiden-Bosten-2003, p.157.

²⁵⁾ Ibid, p.35.

^(٢٦) الجبوري، فاموس اللغة الاكدية-العربية، ص ١٩١.

^(٢٧) للمزيد من المعلومات حول هذه الوظائف راجع:

Lafont, B. "The Garšana Soldiers", in : Garšana Studies. Cornell University
Studies in Assyriology and Sumerology 6. David I. Owen, ed. Bethesda:
CDL Press, CUSAS 6, 2012, pp. 217-218.

المتولي، المصدر السابق، ص ٢٩-٣٠.

²⁸⁾ Steinkeller, P. "Corvée Labor in Ur III Times" in S. Garfinkle and M. Molina, eds., *From the 21st Century B.C. to the 21st Century A.D.* p. 351-352.

²⁹⁾ Franke, J. A., "Presentation Seals of the Ur III / Isin-Larsa Period." In : McGuire Gibson et R. D. Biggs (dir.), *Seals and Sealings in the Ancient Near East*, Malibu, pp. 61-66.



قواعد فهرسة المخطوطات العربية

م.م علي رديف عبدالجليل

قواعد فهرسة المخطوطات العربية

م.م علي رديف عبدالجليل

المقدمة :

مما لا شك فيه أن البحوث والدراسات قبل أن تكون نتاجاً ثقافياً ومعرفياً، هي أولاً: إنجاز حضاري متميز تعكس توجه المجتمع إلى حفظ تراثها، ومنجزاتها المعرفية والعلمية والحضارية. لذلك حرصت مراكز البحوث والدراسات على أن يكون نتاجها نقلة حضارية معرفية متميزة يعيشها العالم، لما لها من أهمية في حفظ التراث. لذلك كان هدفها دعم البحوث العلمية المتعلقة بالمجالات كافة، خاصة ما يرتبط منها بالحضارة والتراث الإسلامي. لذلك دأبت على اقتناء المخطوطات في شتى الموضوعات، مع الأخذ في الاعتبار الأولويات، والاحتياجات، والظروف السائدة، فقامت على أثرها بفهرسة وكشف المخطوطات والكتب النادرة. وقد كانت المخطوطات، ولاسيما العربية، علامة مهمة في تاريخ هذا التطوير، حيث كانت منارة بما حفلت به من علوم متنوعة استطاع الغرب أن ينهل منها، فيفيد من يعتمد على علومها في بناء حضارته. لقد كانت، ومازالت المخطوطات العربية قوية بكل المقاييس المادية والمعرفية، حيث عاشت، واستمرت آلاف السنين بينما رحلت وزالت الأمم والشعوب .

وظل تراثها شاهداً على حضارة عربية وإسلامية امتدت رقعتها من المشرق إلى المغرب، وشكلت دعائم أساسية لحضارة الغرب التي يعتز بها الآن، ويفخر بها علينا، وأمام هذا النتاج الإنساني المتزامن مع التطور الحضاري في كل نواحي الحياة، ظهر تنظيم هذه المجالات، كالمكتبات التي يقصد بها المبنى الذي تجمع فيه الكتب وتنظم، بقصد الاستفادة. (١٨ ، ص ٥٤).

ومن دون الفهرسة يتعذر استخدام أي مكتبة، والوصول للحاجة، أو الاستفادة التي تحدّد حجم البيانات باختلافها. وقد عرف العرب الفهرسة وأصحاب المعاجم، حيث

عرّبت الكلمة نفسها من أصل فارسي، وبذلك أصبح المصطلح (الفهرسة). (الكتاب الذي تجمع فيه عناوين الكتب)، وفي استخداماتنا العادية نقول: فهرس المكتبة، فهرس الكتاب، فهرس الإعلام. (١٢، ص ٥).

وفي تاريخنا العربي كان ابن النديم^(٢) الرائد في تأليفه كتاباً سمّاه (الفهرست) منذ أكثر من ألف عام، وكلمة الفهرس في كل واحد من هذه الاستخدامات لها معنى يختلف عن المعاني الأخرى. (١٤، ص ١٤).

فهرس المكتبة هو أداة التعريف بمقتنياتها، وفهرس الكتاب هو قائمة محتوياته، وفهرس الإعلام، أو الأماكن، أو القوافي، هو الكشاف الذي ترد فيه أسماء الأشخاص والأماكن الواردة في الكتاب في ترتيب هجائي يسر الوصول إليها. (١٤، ص ١٤).

أمّا ما يتعلق في بيانات المخطوط تزيد كثيراً على بيانات فهرست المطبوع، فكل نسخة من المخطوط لها ذاتيتها، وخصائصها، لكنها تشترك مع المطبوعات في مواجهة مشكلة المداخل، وكيفية كتابة الأسماء، لكنها تواجه مشكلات أخرى أكثر تعقيداً، وأشدّ تفصيلاً، فهي تغطي مجالات متعدّدة، كالخطوط والأحبار والألوان والفنون.

الزخرفة، والتذهيب، والتجليد، وهذه لها مصطلحات متخصصة، وتذكر في بداية المخطوط وخاتمته، والتي يجب أن تكون محدّدة، وموحّدة بين المفهرسين. في كل ما ذكرناه في اختصار، تبرز المكونات الأساسية لثقافة المفهرس الناجح التي تعتمد كثيراً على مدى خبراته السابقة، ومعرفته بالعلوم الإنسانية، وحبّه لعمله، وتجديد معلوماته، ومتابعته لما ينشر من فهرس عن المؤلفات، ومؤلفيها، كي تساعد على التعريف بالجوانب المختلفة لعمله، ما يكون لها الأثر الكبير في كيفية فهرسة المخطوط، خاصة المجهول من ناحية اسم المؤلف، والعنوان، ومثل حالة كهذه لا تكون إلا أن يتهياً المفهرس الواعي، والمطلع اطلاعاً واسعاً في مجال الفهرسة، وعليه سيكون مبحثنا هذا هو تناول هذا الموضوع المهم، بما تيسّر لنا من مصادر ومعلومات، وأستاذ كفوء، دلّنا بخبرته الواسعة نحن طلابه، على أن نطرق هذا الموضوع تحت إشرافه.

أهمية البحث :

إن تراثنا المخطوط أضخم تراث عرفته البشرية، ورغم ضخامة هذا التراث فقد تعرّض لنكبات كثيرة، بسبب إهمالنا، كان نتيجتها الكثير منه في العالم، وهذا الكثير مجهول لا نعرف عنه شيئاً، ولا يستثنى لنا إحياء وجمع هذا التراث والوقوف عليه إلا باليقظة، ومعرفة مسؤولية المكتبات في فهرسة ما لديها من أصول هذا التراث فهرسة علمية دقيقة، تعرّف به وتيسّر استخدام الباحثين له، عن طريق نشره وطباعته ليطلع عليه العلماء وأرباب الاختصاص، ثم يشتغلوا به تحقيقاً ودراسة، ليفيد الباحثين، ولا بد من تأكيد أن المسلمين هم الذين قاموا بابتكار الفهارس العامّة قبل وجود الاستشراق والمستشرقين، ولم يصنع المستشرقون شيئاً، غير أنهم اقتبسوا عملهم من المخطوطات، فقلدوها في المطبوعات مع شيء من التحرير والتنظيم. ولنا في ذلك الأمر فهرسان مهمّان جداً يعتبران عمليّن شاهقين في تسجيل التراث الإسلامي، ومرجعين هامين له. وهما (الفهرست) لابن النديم، و(كشف الظنون) لحاجي خليفة^(٨) وذلك يجعلنا نعتقد بحق أن ابن النديم وحاجي خليفة هما واضعا علم الفهرسة الأوائل. (٥، ص ٤٧).

أهداف البحث :

الهدف من الفهرسة هو تقديم صورة دقيقة لوصف المخطوط الذي يفيد الباحث، ويمكن المحقق من جمع النسخ الضرورية والكافية لإخراج النص لا دراسته، وعلى هذا فإن المنهج القويم الذي ينبغي أن يكون للفهرسة يجب أن يتضمن العناصر الأساسية من المخطوط، إضافة إلى عناصر أخرى لوصفها وصفاً دقيقاً ووافياً، فيظهر تميّزها عن غيرها. وينبغي في النهاية التوحيد بين هذه العناصر حتى لا تفقد أهميّتها، وهدفها، وقد تختلف هذه الطرق، أو تقل، أو تزيد، أو يتقدم عنصر على آخر، والهدف هو السعي نحو الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط. (١٥، ص ٣٩١).

حدود البحث :

فهرسة المخطوطات العربية تتخذ أكثر من سبيل، ومنهج، يجب أن يتضمن العناصر الأساسية التي تكون مشتركة بين جميع درجات الفهرسة، على اختلاف

أنواعها، وهي الحد الأدنى الذي ينبغي الحرص على استيفائه، ولا يجوز التفريط في هذه المشتركات حتى يتمكن المحقق من جمع النسخ الضرورية والكافية لإخراج النص، وقد أدرجنا هذه العناصر، وأنواعها معتمدين على أعلام بذلوا الجهد لتأسيس قواعد وأصول ومناهج فهرسة المخطوط، التي تناولها البحث بخطوطها العامة المشتركة، من دون إغفال تصميم بطاقة فهرسة مقترحة أعدها خبراء تحقيق النصوص وفهرستها.(٢، ص٢٠٢).

أهم المصادر :

لم تتحدّد حتى الآن، برغم المحاولات العديدة التي عملت على تقنين قواعد فهرسة المخطوطات ورسم مناهجها، الصورة النهائية لهذه العملية في أذهان الممارسين لها، وهذا ما نراه في الفهارس الحديثة التي وضعت للتراث العربي المخطوط، حيث يلاحظ خلوّها من أية أسس موحدة، وبالتالي فإنها تختلف اختلافاً بيناً في المنهج المتبع في أساليب وصفها، وهذا لم يقتصر على التراث العربي وحده، بل يشمل المخطوطات في جميع اللغات، وفي مختلف العصور.

فهل يرجع السبب إلى عدم تحديد الفهرسة علمياً من شأنه أن يوحد هذه

العملية؟

يمكن أن نتفق على أن الفهرسة تهدف إلى الضبط الببليوغرافي للمخطوطات، وتوثيق وجودها، والتعريف بها للمهتمين من القراء والباحثين، ولكن ما هي حدود ومواصفات التعريف، وما هي البيانات الضرورية التي نقف عندها ولا نتجاوزها في توصيفنا للمخطوطة؟ (٩ ، ص١٣٣).

وماهية الطرق والكيفية التي تمكن المفهرس أن يعالج بها مخطوطته في عملية الفهرسة، وهذا لا يتم إلا في محاولتنا إبراز الحدود التي تفصل بين خصائص الفهرسة، ومهام علم المخطوطات.

إن فهرسة المخطوطات علم قائم بذاته، لا يستطيع أن يقوم به إلا من أوتي شروطاً ذكرنا بعضها، والأهم منها أن يتسلح من يتصدى لهذا الأمر بالشروط التي

تساعده على إتقان عمله وصحته، وأن يتبع في الفهرسة طريقاً سوياً واضحاً، ولذلك نستطيع أن نجمل بعض المصادر الحديثة التي تناولت موضوع الفهرسة ويمكن الاستفادة منها. (٩ ، ص ١٣٣).

المصدر الأول (قواعد فهرسة المخطوطات) سلسلة محاضرات ألقاها الدكتور صلاح الدين المنجد في جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٩٧٢، شكلت لنا مصدراً مهماً في موضوع الفهرسة، وقد تناول المنجد أهمية ذكر المصادر التي رجع إليها المفسر للتأكد من صحة اسم الكتاب، أو تحقيق اسم المؤلف، وتاريخ وفاته، وجاءت هذه مع سلسلة من عناصر قواعد الفهرسة التي أجملها في الأمور التالية:

- ١- ذكر اسم الكتاب كما هو مثبت على المخطوط.
- ٢- ذكر اسم المؤلف كاملاً.
- ٣- ذكر فاتحة المخطوط (أوله).
- ٤- ذكر خاتمة المخطوط (آخره).
- ٥- عدد أوراق المخطوط، وعدد الأسطر وقياس الصفحات.
- ٦- نوع الخط والحبر.
- ٧- اسم الناسخ وتاريخ النسخ.
- ٨- الجلد.
- ٩- مصدر المخطوط.
- ١٠- الملاحظات العامة.
- ١١- مصادر عن المؤلف وعن الكتاب.

ويستطيع المفسر، إذا كان واسع العلم، أن يذكر عدداً كبيراً من المصادر التي وجد فيها اسم المؤلف، وترجمته، واسم الكتاب، غير أنه يكتفي على الأغلب، بذكر

المصادر الأساسية، مثلاً، يرجع إلى كشف الظنون لحاجي خليفة للتأكد من صحة الكتاب، وإذا لم يذكره فيرجع إلى ذيله "إيضاح المكنون". (٦، ص ٧٢).

وإذا كان الكتاب من مؤلفات القرون الأربعة الأولى فيرجع إلى الفهرست للنديم، وهكذا يتواصل في المصادر للتأكد من اسم المؤلف، وتاريخ وفاته، وإلى الإعلام للزركلي^(١٠) حيث كان دقيقاً في التراجم. أو كتاب تاريخ الأدب العربي للمستشرق الألماني بروكلمان^(٧) لمعرفة أماكن وجود مخطوطات أخرى من الكتاب نفسه، أو كتاب تاريخ التراث العربي (لفؤاد سزكين)^(١٣) مترجم عن الألمانية. ولكي يعرف المفهرس ما إذا كان الكتاب مطبوعاً أم لا، فيرجع إلى معجم المطبوعات لسزكين، ويمكن الرجوع إلى معجم المخطوطات المطبوعة للمنجد، حيث تشمل ما طبع من مخطوطات منذ عام ١٩٥٤-١٩٧٠ وصدر منه ثلاثة أجزاء. (٧، ص ١٨).

وبذلك تناول المنجد أن العرب أعظم الأمم تراثاً، وقد ألفوا في مختلف العلوم، ولما تعرض هذا التراث للإبادة، والتبعثر في شتى بقاع العالم، كان لزاماً على العرب والمسلمين أن ينتبهوا، خصوصاً في السنوات الأخيرة، إلى عظمة شأن هذا التراث، فأخذوا يجتهدون لجمعه.

وقد اهتم المنجد في فهرسة المخطوط، وما يتطلبه من ذكر اسم الكتاب، كما مثبت على المخطوط، وذكر اسم المؤلف كاملاً، وذكر فاتحة المخطوط، وخاتمته، وهي الأكثر أهمية في عناصر الفهرسة، مع عنوان المخطوط، وصولاً إلى عدد أوراقه، والأسطر، وقياس الصفحة، ونوع الخط، والحبر، واسم الناسخ، وتاريخ النسخ والجلد، واهتم بمصدر المخطوط والملاحظات العامة ومصادر المؤلف، وبذلك يكون المنجد قد تناول الفهرسة، تاريخاً، وقواعد، ذاكرةً الكثير من فهارس المكتبات، وقد تناول بالتفصيل العلماء الذين وضعوا فهارس ذكروا فيها رواياتهم، كما ذكر أمثلة، ومصادر على ذلك في فهارس العلماء، والكتب بصورة عامة، أخذاً بفضل الفهارس في العصر الحديث، وأقدمها فهرس كتب خانة إبراهيم باشا بإسطنبول سنة ١٢٧٩ هـ ١٨٦٢ م، حتى القاهرة التي بدأت تصدر الفهارس عام ١٣٠٦ هـ ١٨٨٨ م، ثم توالي بعد ذلك ظهور الفهارس

في البلاد العربية، مستعرضاً سبعة عشر فهرساً للمخطوطات من محمد بن نشب في الجزائر عام ١٩٠٩، حتى عام ١٩٦٠م، في فهرس المخطوطات في مكتبة الامبروزيان، لصلاح الدين المنجد، حيث كانت هذه الفهارس الرائدة، ثم زادت العناية في السنوات الأخيرة وصدر منها الكثير. (١١، ص ٨).

أما المصدر الثاني الذي يتناول موضوع الفهرسة فهو كتاب - فهرسة

المخطوطات العربية - عايد سليمان المشوخي : يتناول فيه إدراك المهتمين بالتراث أن فهرسة المخطوطات، والتعريف بأماكن وجودها هي الخطوة الأولى في سبيل الإفادة من هذا التراث، والانتفاع به، رغم معاناة المهتمين بتحقيق المخطوطات من قلة الوسائل التي تعينهم على تعريف الكتب الصالحة للتحقيق، وتعريف أماكن النسخ الأخرى للمخطوطات، وتحديد الموجود والمفقود من كتب التراث التي وصلت إلينا أخبارها. (١٨، ص ١٣).

وقد تناول المؤلف الملامح المادية للمخطوط العربي، واتجاهات فهرسة المخطوط عند العرب والمسلمين، متناولاً المناهج المتبعة في الفهرسة، واتجاهات فهرسة المخطوط عند الأوروبيين، ذاكراً مناهج الفهرسة الأوروبية للمخطوط العربي في بعض المكتبات، مثل مكتبة المتحف البريطاني، والمكتبة الوطنية في باريس، ومكتبة الاسكوريال .

وقد تناول الكتاب مشكلات الفهرسة محاولاً أن يضع حلولاً مناسبة، والفهرسة المقترحة للمخطوطات العربية، ذاكراً تطبيقات عملية للقواعد الإنجلو - أمريكية، وقائمة بأهم الكتب، والدوريات، والمقالات المهمة بما طبع، وحقق من المخطوط، ويذكر المؤلف الصعوبات التي واجهته، منها ندرة المراجع المتخصصة بالفهرسة ومنها كثرة ما صدر من فهارس المخطوطات، وتنوع مناهجها، واختلاف أساليبها ولغاتها، ما يجعل الاطلاع عليها، ووصفها وصفاً دقيقاً، أمراً شاقاً، لذا اقتصر على نماذج منها لتكون دليلاً غيرها.

المصدر الثالث فهرسة المخطوط العربي - تأليف ميري عبودي فتوحي :

يتناول البحث كيفية فهرسة المخطوطات العربية معتمداً على ما كتبه الأساتذة ومن لهم علاقة بفهرسة المخطوطات حصراً، معزراً ذلك بالاطلاع على نماذج عدة من فهارس منشورة، ثم يتطرق البحث في قسمه الرئيسي عن فهرسة المخطوطات ومشكلات الفهرسة، إلى التعرف إلى عنوان المخطوط، ومعالجة مداخله، ودور المفهرس، وثقافته، وخبرته، ومعرفة.

كذلك عرض البحث نماذج من فهارس المكتبات، والمخطوطات، خاصة نشرة دار الكتب المصرية من عام ١٩٣٦م-١٩٥٥م، لمصنفها فؤاد سيد، تتضمن فهرساً المخطوطات، وآخر للمخطوطات المصورة ١٩٤٨م. إضافة إلى فهرس المخطوطات العربية مكتبة الكونغرس - واشنطن وضعه د. صلاح الدين المنجد عام ١٩٦٩م، وفهرس المخطوطات في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد، ومكتبة المتحف العراقي، إضافة إلى درج معظم المكتبات الأوروبية، ويختتم البحث بإعداد نموذج بطاقة لفهرسة المخطوطات. (١٨ ، ص ١٤).

المصدر الرابع: مناهج فهرسة المخطوطات وعناصرها للأستاذ عصام

محمد الشنطي خبير معهد المخطوطات ومديره

السابق:

تناول البحث في بدايته حساسية موضوع المخطوطات لاتصاله بتراثنا ونهضتنا، ولا تتحقق هذه النهضة إلا بتحقيق النصوص ودراستها. حيث يذكر الأستاذ الشنطي أنه ينبغي أن تسبق الاشتغال بالمخطوطات، تحقيقاً ودرساً، خطوة هامة تكشف لنا ما في المكتبات العامة والخاصة من كنوز دفينه، تلك هي الفهرسة، وقد عرفها بإنجاز المادة الأساسية عن المخطوطة كبيان اسمها (عنوانها)، ومؤلفها، وسنة وفاته، وأول المخطوطة وآخرها. واعتبر الأستاذ الشنطي النقطة الأخيرة من أهم نقاط الفهرسة، كما ذكرها، وأكد عليها المفهرسون السابقون. كما لم يغفل عدد أجزاء المخطوطة ونوع

الخط، والكلمات وموضوعها، وذكر المصادر التي توثق سم المخطوطة ونسبتها لصاحبها، ومن دون الفهرسة، والتنضيف تظل المخطوطات سراً لا يستطيع الوصول إليها، معترفاً بالمهمة الشاقة التي يتحملها المفهرس، لما يجب أن يتصف به من خبرة، وثقافة، وصبر، وأناة. ولذلك يهتم الأستاذ الشنطي في مناهج الفهرسة بمنهج الدرجة الثانية، وهو المنهج الوصفي الذي يميل إليه، والذي سنتطرق إليه في بحثنا هذا، والذي أهم ما يميزه الاهتمام بأول المخطوطة، وخاتمتها، وهذا المنهج لا يترك ملاحظة مفيدة إلا يذكرها، مثل الاهتمام بسنة وفاة المؤلف، أو القرن الذي عاش فيه، ومكان النسخ. ولا يغفل في نهاية بحثه أن هناك ملاحظة وهي أن مخطوطاتنا موزعة في أنحاء العالم، وثليتها لم يفهرسا بعد من مجموع ٧٦ ألف مخطوطة. بالمقابل تواجه هذه المشكلة قلة المفهرسين، وكثرة المخطوطات. ويمكن لنا أن نعمل بالممكن لجمع نتاجنا الإنساني والحضاري الذي تفرّق، أو بيع بأبخس الأثمان، أو سلب بالقوة في ظرف من الظروف. (١٢، ص ١٠)

عناصر الفهرسة:

الفهرسة علم واسع المجال، وهي كتاب تجمع فيه أسماء الكتب، وهي جزء هام من أجزاء علم الكوديكولوجيا (١٦، ص ٧)، وهو علم يقدم البيانات لمحتوى المخطوط، وعن الشكل المادي له، والإشارة إليه، ويتفاوت حجوم البيانات التي تقدّمها لنا فهارس المخطوطات العربية المطبوعة، كما تتفاوت طرق ترتيبها، حتى لا نكاد نجد نمطاً متفقاً عليه في طريقة سرد البيانات، أو في حجمها، وكانت البداية الحقيقية لوضع الفهارس بمعنى الكلمة التي وصلت إلينا، ونتعرف من خلالها إلى طريقة الفهرسة التي عرفها المسلمون، وكان لهم فيها باع طويل، سواء ما يتعلق منها بفهرسة المكتبة الإسلامية عموماً لما فيها من علوم عدة تحتاج إلى مرشدٍ إليها وإلى مؤلفيها، أو ما كان يتعلق بفهرسة موضوعات خاصة وعلوم معينة مما تشد الحاجة إلى معرفة تفاصيلها والوقوف على مفرداتها .

لذلك فالمكتبة العربية عرفت أنواعاً من كتب الفهارس، منها النوع الذي اعتنى بتصنيف العلوم الذي أشتغل به الفلاسفة، ونوع آخر يمثل كتب طبقات العلماء من الأطباء، والفقهاء والأدباء، وغيرها، ويأتي مقام الموسوعات التاريخية، وهي تحتوي مقدمات مختلفة لعلوم العرب، وذكر الكتب المؤلفة فيها، وما وصلنا في فهرسة المكتبة أقدمها كتاب (الفهرست) لابن النديم الذي كُتب أواخر القرن الرابع الهجري، ومنذ ابن النديم لم تعرف المكتبة العربية مثلاً لكتاب الفهرسة، إلا بعد نحو ستة قرون، عندما صنف أحمد بن مصطفى الشهير، يطاش كبري زاده، في كتابه المعروف (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) في موضوع العلوم، وبعد ذلك يأتي كتاب حاجي خليفة (كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون)، وهناك علماء وضعوا فهارس ذكروا فيها رواياتهم (الكتب) التي قرأوها، ومنها فهرس تسمية ما ورد به الخطيب البغدادي^(٩) في دمشق من رواية، من الأجزاء المسموعة والكبار المصنفة، وما جرى مجراها، سوى الفوائد والأمانى المنثورة. (٩، ص ١٣٣)

هذا الفهرس يوجد مخطوطاً في دمشق، وقد وضعه أحمد بن محمد المالكي، ذاكراً فيه الكتب التي حملها معه الخطيب البغدادي، المؤرخ الكبير إلى دمشق عندما ورد إليها سنة ٤٦٢هـ، ونلاحظ في هذا الفهرس ثلاثة أمور، أولاً أن واضعها ذكر اسم الكتاب ومؤلفه. وثانياً أنه لم يرتب الكتب على الحروف الهجائية، ولم يرتب الكتب حسب الموضوعات. وتعتبر هذه الفهرسة قائمة بدائية لأسماء الكتب، من غير أي ترتيب، وكذلك نجد فيها تصانيف الخطيب نفسه.

أما فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف: (أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الاشبيلي)، وهذا الفهرس من نواذر التراث الإسلامي، ومن أعظم الكتب شأناً لمعرفة عدد كبير من مؤلفات القدامى، ولمعرفة حدود الثقافة التي يمتلكها، إضافة لكثير من الفهارس التي وصلت إليها، منها فهرست (ابن خير)^(٤) الذي يعد من أجود فهارس المرويات وأغزرها مادة وهو كتاب (صلة الخلف بوصول السلف) لمحمد بن محمد بن سليمان. (٢، ٥٨٢)

ويمكننا أن نذكر أيضاً فهرسة مرويات ابن حجر^(٣) المتوفى سنة ٨٥٢هـ والتي رتبت أسماء الكتب على حروف الهجاء.

قصداً في الطرح أعلاه مدى جهد القدامى في ولوج علم الفهرسة، رغم ما ينقصها من العناصر الكثيرة. (١٠، ص ٨٤)

وفي العقود الأخيرة ظهرت دراسات عدة تحاول أن تضع قواعد لفهرسة المخطوطات العربية، وصمم أصحابها بطاقات تتضمن البيانات الرئيسية التي يجب إثباتها في البطاقة، ومن الغريب أن بعض من تصدّوا لذلك تعرضوا له من الناحية النظرية من دون أن تكون لهم ممارسة حقيقية في فهرسة المخطوطات، أو التعامل المباشر معها. ومع ذلك هناك حد أدنى من البيانات يجب توافره في بطاقة، أو استمارة فهرسة المخطوطات العربية الخاصة، بعد أن أمكن بناء قواعد بيانات المخطوطات العربية، وهذه البيانات أساسية في عناصر الفهرسة التي يمكن أن ندرجها حسب أهميتها. (١٤، ص ١٤)

١- **عنوان الكتاب واسم مؤلفه:** وهذه فقرة هامة في تحديد هوية المخطوط، وهو العنوان والمؤلف، وسنة الوفاة، أو القرن الذي عاش فيه، لأنها تكشف لنا متى عاش المؤلف، لذلك حين يمرر بنا البحث بمؤلف نكتب بين قوسين توفي سنة كذا، إذا كانت متوفرة، لأنها تعيننا في الكشف، وهي مطلوبة لأن سنة الولادة غير مهمة، لكن سنة الوفاة تكون نهاية حصيلة خبرة المؤلف. وهناك ملاحظة وهي وجوب أن لا نعين المخطوطة إلا بعد فهرستها، لأنها تكشف لنا موضوعها بدقة. (٦، ص ٣٩)

مثلاً، كتاب المثلثات، ربما المراد به الهندسة من خلال عنوانه، بينما المثلثات لقطرب، وهو كتاب في اللغة، صنف خطأ ضمن الهندسة لقلة المعرفة. كذلك الألفاظ التي تتكون من الحروف نفسها ونطقها مختلف (عرض أو عرض)، لذلك يصنف معهد المخطوطات والأزهر على أساس الموضوعات. والشعر في معهد المخطوطات في خانة الأدب بينما دار العلوم تفصل الأدب عن الشعر، والعنصر الآخر. نستنتج من ذلك أنه لا بد من توضيح العنوان حتى لا يشترك مع الآخر. فيما تجب الإحاطة الدقيقة

بالمؤلف، وتجب معرفته مثلاً بالكنية، واللقب، أو اسم الأب، أو الجد الأعلى المنتسب إلى قبيلة، ونسبة المكان الذي ولد فيه، وقد اهتم العرب بذلك، ثم الشهرة، وقد تكون للجد الأعلى، مثل العسقلاني، وهذا يتطلب الترتيب المنطقي، وهو الابتداء بالكنية مثل أبو الصفا، ثم اسمه، ولقبه، مثلما رتب الزركلي الاسم، والأب، والجد، بعد أن ذكرنا الاهتمام بذكر الوفاة التي تعطينا ميدان ثقافة المؤلف في حياته وعطاءه. وعليه لابد من ترتيب البطاقة حيناً بالعنوان والمؤلف، وحيناً المصادر التي اعتمد عليها في توثيق العنوان وصاحبه، وهي من صفات المحقق والمفهرس، ويجب الاعتناء بنقطتين عند تناولنا عنصر المصدر، وهما ترجمة المؤلف، والوثوق من العنوان ونسبه لصاحبه، ويجب على المفهرس أن يعطي تراجم المؤلف، والعنوان، فالبطاقة وضعت بعد العنوان، والمؤلف، وحين نصف مخطوطة في الدراسة يجب الانتباه إلى عدد الأوراق، والمرقم منها من النسخ التي رتبت واعتمدت، وما هي التي استبعدت. (١٧، ص ٩)

كما أن الفهرسة تعتمد التوصيف، ومنها الورق (١.٥) تعني الصفحة الأولى من الوجه، لماذا الترقيم في الأوراق؟ حتى نستبعد الكتابة عن المخطوط، وعدم الخلط بينهما ويضيع الجهد، إذ يجب أثبات اسم المخطوط كما ورد في الصفحة الأولى، ويجب أن نتأكد منه بقراءة المقدمة. وأحياناً نجد اسم الكتاب مكتوباً في آخر الكتاب ولذلك من الأفضل الرجوع إلى المراجع والمصادر للتأكد من صحة العنوان. (١٣، ص ٤)

وفيما لو وجدنا اختلافاً في العنوان بزيادة لفظ أو نقصان، أو اسم الكتاب في مصادر أخرى مختلفاً، نذكر ذلك في الملاحظات، وكلما وجدنا اختلافاً، كما أن من الواجب أيضاً ذكر اسم المؤلف كما ورد في المخطوطة، من دون زيادة، ونتأكد أن اسم المؤلف صحيح بالرجوع إلى كتب التراجم، والطبقات، مثل معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله^(١٢)، أو الإعلام للزركلي، أو في المصادر الأخرى التي نجدها مذكورة في معجم المؤلفين والأعلام. ويجب الانتباه إلى عدم الوقوع في الخطأ من جراء تشابه أسماء المؤلفين، فهناك مؤلفون كثيرون تتشابه أسماؤهم. فلا بد من معرفة المؤلف الذي ألف الكتاب الذي نفهرسه. (١، ص ٥٤)

٢- **فاتحة المخطوط وخاتمة:** إذا كان ذكر العنوان كاملاً مع الإشارة إلى ما أشتهر به، وذكر اسم المؤلف كاملاً مصحوباً بلقبه، وكنيته، وتاريخ ميلاده، ووفاته، أو تحديد العصر الذي ألف فيه كتابه، يبقى ذكر الكتاب من أهم العناصر في الفهرسة، وذكر عبارة توضيح مقاصده، وإغراضه، وتحديد أبوابه، وفصوله، مقتبسة من ديباجة المؤلف ومقدمته. وذكر عبارة الختام للكتاب، مع بيان الأجزاء أو المجلدات، ويتبع ذلك بذكر الأوصاف المادية له، كتعيين نوع الخط، وتاريخ النسخ، واسم الناسخ، إن كان موجوداً، وإثبات ما على النسخة من دلائل تعين عصرها. فأول المخطوط يضمن لنا معرفة بدايته تماماً، والثاني التأكد من صحته إذا قورن بمخطوطة أخرى من الكتاب نفسه. ويجب أن لا نكتفي بما يأتي في أول الكتاب رأساً كقولهم: "بسم الله الرحمن الرحيم" - أو "اللهم بك نستعين" - ربما توجد مثل هذه العبارات في فاتحات كتب كثيرة، والأفضل هو أن يذكر ما يأتي بعد قوله: أما بعد، وأحياناً نجد مثلاً في كتاب تراجم مشكاة المصابيح، بعد أن قال اللهم بك نستعين: كتاب في أسماء الرجال مشتمل على بابين، وحدد الأبواب، فإن المطلع يؤكد لنا صحة الكتاب، ونبّهنا عن اسم الكتاب، وعن موضوعه. (٤ ص ١٨٩)

في حين تذكر آخر جملة في المخطوط التي تسبق تاريخ، واسم الناسخ، أنه تمّ الكتاب، أو الفراغ من تصنيفه، ويحدّد الوقت بالساعات، والأيام، والأشهر، والسنين، ويصل إلى تحديد المكان، مثلما ورد في خاتمة كتاب (الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين) لأبن الجزري^(٢) حين يذكر (فرغت من توصيف هذا الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين)، وهذه إشارة واضحة على صحة المؤلف، وعنوانه، من خلال الخاتمة التي ذكرها، مفصلاً كل شيء، فلذلك كانت هذه الخاتمة مثلاً، وشأناً كبيراً لأنها تصف وصفاً مؤثراً، ما لا نجده في كتب التواريخ، ومثل معلومات كهذه نصادفها في خواتيم المخطوطات يجب أن تثبت. (٦، ص ٦٥)

وعليه، فإن الاهتمام بذكر أول المخطوطة، وفي النادر آخرها كعنصر من عناصر فهرسة المخطوطات يعود إلى مطالع القرن الحادي عشر، وقد اهتم المؤلف

على الأغلب، بذكر فاتحة الكتاب، وفي أحيان قليلة جداً، يذكر خاتمة، ولم يكن له في الفاتحة (١٨ ، ص ٥٤)، منهج محدد، فحيناً كان يكتفي بذكر الجملة الأولى من الكتاب، وحيناً يهتم بجانب ذلك - ببيان سبب تأليفه يقتطفه من مقدمته، أو إهدائه لمؤلف، أو يذكر مناسبة تاريخه لتأليفه، ومن ثم يبين أبوابه وفصوله. وبإزاء اهتمامه بأول المخطوطة، وما فيها من فوائد جمة للمفهرسين، فإذا كانت المخطوطة المراد فهرستها منزوعة الورقة الأولى التي تتضمن عنوانها ومؤلفها، نراه لا يهتم بذكر الخاتمة. وتقلب صفحات كتابه طويلاً حتى تعثر على طلبك بين يديك. وواضح كأن يكون عوضاً عنها بذكر موضوع المخطوطة، أو عدد أبوابها، وفصولها، أو متى فرغ من تأليفها، وهذه كلها ذات فوائد كثيرة. فعلى المفهرس أن يهتم برصد أول جملة في المخطوطة، شريطة أن تكون مميزة ولا يسجل البسمة فقط، لأنها غالباً ما تتكرر في المخطوطات، ولا تحمل تميزاً أو تفرداً يسجله المفهرس. ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن هذه العناصر التي تخصّ المخطوطة ونهايتها مؤسسة على أن المخطوطة كاملة، لم يلحقها نقص في أولها، أو آخرها، فإن حدث ذلك، فإنه لا بد أن ينص عليه، وإيضاح موقع البداية، أو النهاية فيها، وبذلك يكون المفهرس مضطراً إلى اللجوء إلى معايير أخرى لتحديد تاريخ كتابة النسخة، مثل المادة التي كتبت عليها، وإجازات السماع والقراءة، فكل قرن من قرون الإسلام شهد تطوراً أو اختلافاً في أساليب الكتابة ورسم الكلمات. (١٨ ، ص ٣٤)

٣- **الورق ونوعه وعدده ونوع الخط واللوان الحبر:** من البيانات التي يشترك فيها المفهرس وصف نوع الورق، أو الجلد، أو الطرس الذي تمّ نسخ المخطوط عليه. بعض المفهرسين يقضي وقتاً طويلاً في وصف المادة التي هي وعاء المخطوط باحثاً عن نوعيتها ومصدرها، كأن يقول إذا كان المخطوط مكتوباً على الورق: هل هو ورق عربي، أم غير عربي، وإذا كان مكتوباً على الرقّ يقول هو رقّ غزال، أم جلد غيره، أما إذا كانت المادة المستعملة للكتابة طرساً فإن المفهرس يكتفي بكلمة رقّ، أو جلد لنعت مادة الكتابة، ذلك أن البحث في نوع الورق، وفي

مصدره يهدف منه عالم المخطوطات إلى مظاهر التطور التي عرفت هذه المادة عبر التاريخ، ومن البيانات التي تدخل في حقل الوصف المادي للمخطوط، بيان نوع الخط الذي كتبت به النسخة المفهرسة. (٩ ، ص ١٣٥)

ويكتفي المفهرس بأن الخط الشرقي، أو مغربي، وقد توجي المخطوطة المفهرسة بأنها كتبت بخطوط مختلفة، فيشير في بيانه إلى هذا الاختلاف من دون بذل أي محاولة لمعرفة سبب ذلك، مكتفياً بقوله إنها نسخة بأقلام مختلفة. وكذلك الانتباه إلى نوع الخط، ونوع المادة المكتوب بها الكتاب (بردي - رق - كاغد)، وعدد الأوراق، والمسطرة (عدد الأسطر في الصفحة والقياس للورقة وللجزء المكتوب منها وإذا كتب بأقلام وأحبار مختلفة)، ويذكر عدد أوراق المخطوط على الضبط إذا كان مرقماً، والورقة مؤلفة من صفحتين، وجه وظهر، وإذا كان غير مرقم فالأولى ترقيمه، بإعطاء رقم لكل ورقة وتذكر مسطرته وطول السطر. ومن المهم أن يكون المفهرس ملماً بأنواع الخطوط، فيذكر الخط الذي كتب به المخطوط على الصفحة، ويذكر لون الحبر، وإذا كان هناك عدة ألوان، كأن تكون عناوين الفصول بلون، والمتن بلون، والشرح بلون آخر، فيذكر ذلك ويصف إذا كان الخط مقروءاً، أم لا، كبير الحرف أم دقيقاً، وإذا كانت العناوين للأبواب والفصول بخط أكبر من خط المتن يذكر ذلك. (٦ ، ص ٦٧)

٤- اسم الناسخ وتاريخ النسخ: نظراً لأن المخطوطات العربية المؤرخة تمثل قيمة مادية هامة، إذ تعرّفنا بالعصر الذي كتب فيه المخطوط ما يساعد على تفهم الوسط العلمي والاجتماعي الذي دَوّن فيه هذا المخطوط، وعليه، فإن عمل الفهارس للمخطوطات المؤرخة وترتب فيه حسب تاريخ كتابة النسخة، يعد عملاً أساسياً لأهميته، وفائدته الكبيرة للدراسات الكوديكولوجية للمخطوط، وكذلك نشر النصوص الكاملة. فذكر النص الذي يشير إلى تاريخ النسخ واسم الناسخ تماماً قد تكون فيه إشارات مهمة، مثلاً، إذا استطعنا أن نجد تاريخ وفاة الناسخ فيجب ذكره، وإذا لم يكن المخطوط مؤرخاً فيقدر عمره بالاستناد إلى ما قد نجده على صفحته الأولى، أو الأخيرة من تملّكات. (٢ ، ص ٢٠٢)، إضافة لذلك فالمخطوطات

الخزائنية، وقيود التملك التي كان يكتبها أصحاب هذه المخطوطات على أغلفتها، تمثل شكلاً آخر من الأشكال المادية في تحديد تاريخ تقريبي للنسخ التي لا يعرف لها تاريخ نسخ، وأيضاً في معرفة رحلة النسخة وانتقالها من يد إلى يد، أو من بلد إلى بلد. (٢ ، ص ٣٧٤)، وتفيدنا المخطوطات الخزائنية والتملكات أيضاً، في معرفة أسماء كثير من أصحاب خزائن الكتب، ومحبيها/ ما يساعد على دراسة تواريخ المجموعات. ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك، أن صلاح الدين الصفدي^(١١) المتوفى سنة ٧٦٤هـ هو صاحب كتاب (الوافي بالوفيات)، أكبر كتاب في التراجم إلى نهاية القرن الثامن، وغيره من الكتب الهامة. وكتب الصفدي ما يقارب مئتين من المجلدات، وكان جيد الخط، كما أنه أول المؤلفين الذين وصلت إلينا نماذج وافية لخطوطهم، سواء لمسودات مؤلفاته، أو ما دونه بخطه على الكتب التي تملكها. ومن الكتب التي وقف عليها ابن النديم بخطوط مؤلفيها كتاب (الهدايا) لأبي عبد الله عمران المرزباني^(٦) المتوفى سنة ٣٨٤هـ ، وشاهد كتاب

(تعليم بعض المؤمرات) لأبي الحسن بن الماشطة وقال رأيه بخطه. (٨، ص ١٩٦)، هذه البيانات الأساسية التي ذكرناها في عناصر الفهرسة في ما يتعلق إذا كانت النسخة بخط المؤلف أو بخط أحد العلماء، فيشار إلى ذلك إذا كانت ألفاظها مضبوطة بالحركات، وإن كانت واضحة الخط وبحالة جيدة، أو رديئة الخط، أو في حالة سيئة، وإذا كانت عناوين أبوابها وفصولها بخط أكبر من خط المتن، وإلى عدد الأجزاء أو المجلدات، وحالة الجلد، ثم تاريخ النسخ، وتاريخ الناسخ، ومكان النسخ، وإذا لم يوجد تاريخ للنسخ يذكر العصر، أو القرن تقريباً وهذا الأمر يحتاج إلى مران طويل في مطالعة وفهرسة المخطوطات. (١٨، ص ٤٠٤)

٥- **الجلد:** تعد صناعة التجليد (التفسير) هي الصناعة المتممة للجهد، والحافظة لحصيلة الفكر، والحافظة لأوراق الكتاب من التلف، والتي تهتم بالعناية بمظهر الكتاب الخارجي ليتلاءم مع قيمته، ومحتوياته، وتظهر آثار هذه الصناعة على

توظيف بعض المواد المفردة، مثل: الجلد والحريز، والورق الملبّد، والخشب، والخيط، والغراء، إضافة إلى حرفية الصانع في الحبك والقص، والوشم، والرشم، وغير ذلك. في ضوء ذلك يستطيع الم فهرس أن يصف الجلد، ويحدّد نوعه، أو مدرسته الفنية حسب العصور، ويمكن الرجوع إلى الدراسات الخاصة بالتجليد لمعرفة ذلك، وكثرة الاطلاع تكسب الم فهرس ثقافة في عمله. (٣، ص ٢٠٢)

٦- **مصدر المخطوط:** تدعو البيانات التوثيقية للم فهرس أن يذكر المصادر التي أتى منها المخطوط، ذاكراً اسم المكتبة، أو شراءه من مكانٍ ما، أو هبة، أو وقفاً، وعليه أن يهتدي بالكيفية الواضحة والتفصيلية لمعرفة إن كان المخطوط، أو الكتاب في مكتبة فلان، أو نقل من فلان لكي تتكامل المعلومة في الوصف السليم على الفهرسة السريعة، لأن هذه المعلومات التي يذكرها كبيان رقم المخطوطة، هي معلومة وصفية تعين الباحث في إكمال عمله. (١١، ص ٧)

٧- **الملاحظات العامة:** إن هذه الفقرة تكون كذلك تفصيلية للمخطوطات وللم فهرس، فذكر الكتاب كاملاً مع الإشارة إلى ما أشتهر به من عناوين أخرى، وذكر أسم المؤلف كاملاً مصحوباً بلقبه، وكنيته، وشهرته، ووفاته، أو تحديد العصر الذي ألّف فيه، وتبع ذلك بذكر الأوصاف المادية للكتاب، كتعيين نوع الخط، مثلاً، وتاريخ النسخ، وإثبات ما على النسخة من دلائل، تعين عصرها إن خلت من تاريخ، كالسماعات، والقراءات، والمطالعات، مع وصف وذكر عدد أوراق النسخ، وحالتها، إن كانت جيدة، أو أصيبت بالرطوبة، والبلل، أو كان ورقها بالياً، أو إذا كانت النسخة مخرومة، أو ناقصة، أو مصحّحة، أو مطموسة الحروف، فهذا هو الوصف الدقيق لشكل المخطوطة ومحتواها، إذا كانت عليها هوامش، أو تعليقات، أو إذا كانت هذه المخطوطة خزائنية، أو مكتوبة لملك، أو سلطان، ويجب أن يذكر الم فهرس أن الكتاب قد طبع سنة كذا، في مدينة كذا، وسنة ومكان الطبع، واسم الناشر، أو المطبعة.. كل ذلك يسهّل على الم فهرس، أو الباحث الحصول على

المطبوع، فهذه الملاحظات النوعية تأخذ على محمل الدراية في عمل الفهرسة. ٩) (ص ١٣٣)

٨- المصادر: عماد الفهرسة إذا قررنا أنها من خطوات العمل المتقن، لأن جميع خطوات الفهرسة من وصف، وذكر أولها، وآخرها، وإيراد عدد أوراقها، هي جميعاً عمليات توثيقية، ولا يفوتنا هنا أن العنوان، أو المؤلف، هما أول بيان يطالعه الناظر في الفهارس الورقية، سواء المنشورة منها في شكل كتاب، أو المرتب على هيئة بطاقات، فكلها تبدأ بالعنوان، أو المؤلف، وفقاً لطريقة الفهرسة التي ارتضاها من قاموا بها، ومن المعروف أن التوثيق يتم على مصادر ومراجع مشهورة، فإذا كان المطلوب توثيق عنوان كان الرجوع لأعمال مثل كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون لحاجي خليفة، وذيله إيضاح المكنون، إضافة إلى العديد من الببليوغرافيات التي قد يستعان به أيضاً عند توثيق المؤلفين بعدة مصادر مباشرة لتوثيق المؤلف، مثل (معجم المؤلفين) لعمر رضا كحالة، و(الأعلام) لخير الدين الزركلي و(تاريخ العرب الأدبي) لبروكلمان وغير ذلك، ورغم أن هناك بعض المعايير لا تخضع للنظم المتعددة للفهرسة فهي لا تثير مشكلات في موضوع المصادر، أو العنوان، من ذلك المصاحف، فقد توجد المستنسخات القرآنية كاملة، أو غير كاملة، وفي كلتا الحالتين لا تواجه المفهرس أية صعوبات، فحسبه أن يذكر الملامح والصفات التي يجدها في كل مخطوطة، وبداية ونهاية كل نسخة غير كاملة، ويضع ذلك كله في قائمة مستقلة تبجلاً لمحتواه. (٩، ص ١٣٣)

إذاً، لا بد للمفهرس أن يذكر المصادر التي رجع إليها للتأكد من صحة اسم الكتاب، وقد ذكرنا أمثلة على ذلك. كما يستطيع إذا كان واسع العلم أن يذكر عدداً كبيراً من المصادر التي وجد فيها اسم المؤلف، وترجمته، واسم الكتاب، غير أنه يكفي على الأغلب بذكر الأساسية، وإذا أراد المفهرس الاستزادة من تواريخ، أو كتب تراجم، يمكن أن يستفيد لغايته من كتاب (تاريخ التراث العربي) لفؤاد سركين، ويمكن الرجوع إلى معجم المخطوطات المطبوعة لصالح الدين المنجد، فكلما تناول المفهرس الجوانب

المتعلقة بعمله، مستنداً إلى مصادره وإطلاعه، يكون أكثر معرفة بآلية عمله التي توصل إلى الدقة بحدود معقولة. (٣ ، ص ٢٠١)، وإذا كان الكتاب مجهول المؤلف فيبذل المؤلف قصارى جهده لمحاولة التعرف إلى المؤلف، من خلال مقدمة الكتابين أو ما يمكن أن يرد بالنص نفسه، أو من خلال مؤلفات أخرى نقلت عن هذا الكتاب وذكرت اسم مؤلفه (٣ ، ص ٢٠٢)، ويتطلب ذلك مراناً وخبرة. مما تقدم يتضح أن فهرسة المخطوطات ليست أمراً سهلاً، فهي تختلف كثيراً عن فهرسة المطبوعات، وتحتاج إلى ثقافة واسعة، وتتطلب من أمناء مكتبات المخطوطات اعتماد خطة موحدة لفهرستها، خاصة إذا أردنا الوصول إلى ما يمكن أن نطلق عليه (الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط) عن طريق بناء قاعدة بيانات آلية للمخطوطات العربية. (٨، ص ٣٨)

تعريف المصطلحات:

بعد أن تطرقنا إلى الفهرسة، لابد أن تواجهنا الكثير من المصطلحات المتعلقة بموضوع الفهرسة، نحاول تناولها بتعريفات متقاربة لأكثر المصطلحات تواجداً أثناء البحث والفهرسة، منها:

١- **التعقيبية:** وهي الأكثر استعمالاً في المخطوطات العربية الوسيطية، تلكم التي تكون مائلة منحرفة بعيدة عن آخر سطر من الكتاب، وقد تكتب أحياناً نحو الأعلى، وأحياناً أخرى نحو الأسفل، كما تكون أحياناً أخرى أفقية قريبة من آخر سطر أو بعيدة عنه، وقد تجيء كذلك عمودية كما هو في كتاب (شرح الألفات) لأبي بشار الأنباري، وقد تكون التعقيبية عبارة عن حرف، أو كلمة، أو كلمتين، أو جملة، أو عبارة،

أما من حيث توزيعها في المخطوط فغنها تكون على العموم في يسار أسفل الورقة بعيدة عن النص. (٩، ص ١٣٥)، وقد يحدث أن تكون آخر كلمة من الورقة الأولى مكررة في بداية الورقة التالية، وقد تكتب التعقيبية بالمداد نفسه الذي كتبت به أول كلمة في الورقة التالية، وهي نوع من الترقيم للورق المفكك نستطيع بها

إعادة ترتيب مخطوطة مفككة، وبذلك يجب أن يكون مجلد المخطوطة ذا معرفة وخبرة، فبعضهم يقطع الورقة التي فيها كعب، أو التعقبية. مع مراعاة عدم شد الورق بقوة. (٩ ، ص ١٣٧)

٢- **حرد المتن:** هي السطور الأخيرة التي لا تنتهي بها المخطوطة، وغالباً تكون من كلام الناشر، مثلاً، بتاريخ كذا انتهيت من نسخ... أو يكتب الاسم ولكن في الأغلب سنة النسخ، وبعضهم اليوم والشهر والسنة. وبعض تلاميذ المؤلف يكتبون نسخة له عرفاناً، أو تقديرًا، أو تكليفاً، ويكتب بخط يده بعد نسخها، فتكون مثل نسخة المؤلف، ونسخ آخر بخط المؤلف نفسه مثل الزبيدي كتب بالتفصيل النسخ وتاريخه، ومكانه، ووقته، وغالباً ما يكون الرد. (١٢ ، ص ١١)

المتن على شكل هرم مقلوب كأنه يحتوي النص، فألفية مالك لها شروحات عدة وعلماء كثر شرحوا فيها، الألفية متن، لأن لها شرحاً كثيراً، المتن له علاقة بالنصوص، ولذلك نقول تحقيق النصوص ولا نقول تحقيق المتن. أما الحرد فقد لا نجدها بالمعجم، ووجدناها أستاذنا عصام الشنطي في معجم ابن دريد^(٥) (الجمهرة) ويقول إنها بنطية الأصل. ورجع للجواليقي في (كتابة المعرب). ولكن جردناه تجريداً، حردنا الحائط، أي جعلنا له سوراً من القصب (الحائط هنا البستان) هذا السور اسمه حرد كأنه حدود يأخذ شكل هرم مقلوب. الخياط حرد الفستان، أو البنطلون أي جعل (كفة) على الطول المطلوب، أي طوى القماش وقلعه. (١٥ ، ص ٢١٨)

الحرد : قلعه للمتن (باللاتيني كولوفون) هي نهاية نص مخطوط.

٣- **الطيّارة، أو الطيارات:** وهي أوراق مستدركة لما فات المؤلف تعمل بعد المخطوطة، أو إضافة بعد المراجعة، وهي ورقة صغيرة أو كبيرة تصمغ داخل المخطوطة عند موضع الاستدراك. لذا تعترضنا مشكلات في المخطوط، كأن تكون في أكثر من عنوان فتجعل المفهرس وعدم تقليب الصفحات ورقة ورقة ومن دون ملاحظة هل هناك طيارات؟ فيأخذ عنوان المخطوطة من بداية سطرها. (١٨ ، ص ٣٨)

٤- **ظهيرية المخطوط:** رغم ما تعنيه الظهيرية بالخلف، أو ألقفاً، على أنها هنا تعني الموضوع ولا نعرف لماذا سميت وجه المخطوطة. فورد أن تذكر القيود الموجودة على ظهر النسخة أو غاشيتها، والمتعلقة بنص الكتاب، مثل التأليف والرواية، أو المتعلقة بالشكل المادي للكتاب، إذاً الملاحظات التي ذكرناها توهي أن ظهيرية المخطوط هي عنوانه، حيث ورد إذا كان بالنسخة أكل أرضة، أو تسويس، أو آثار رطوبة أو مبتورة الأول أو الآخر أو فيها خرم. (١٨، ص ٣٨)

٥- **المجموعة أو المجاميع:** وهي عبارة عن مجلد يضم عدداً من المؤلفات، أو الرسائل الصغيرة. فيعتبر الم فهرس كل مؤلف أو رسالة في المجموعة مخطوطاً قائماً بذاته يفهرسه كما سبق ذكره، ولكن يشير عند ذكر رقمه أنه في مجموع، ويذكر الورقة التي يبدأ بها والتي ينتهي عندها، ورقم المؤلف أو الرسالة داخل المجموع. (٥، ص ٤٧)

٦- **النسخة الخزائنية:** خزانة بمعنى مكتبة، وخزائنية منسوبة إلى خزانة، إذاً، هي منسوبة إلى خزائن، ولكن اصطلاح على موضوع معين، تخص الناسخ مخطوطة زخرفها وجعل لها لساناً، واعتنى بها تصحيحاً وزخرفة وتجليداً، وربما مثل هكذا نسخ تكون مهداة لأمرير، أو عملت لأجله، وفي الوقت نفسه كل نسخة محفوظة في خزانة سوى المعتنى بها، تكون غالباً مكتوبة لخزانة الأمرير، أو القاضي الفلاني. (٦، ص ٦٨)

مناهج الفهرسة:

عرضنا سابقاً الفهرسة، وعناصرها، وأن فهرسة المخطوطات حصراً من الأعمال العلمية غير الهينة وهي تختلف عن فهرسة الكتب المطبوعة. لذلك يقول عصام الشنطي إن منهج الفهرسة القويم ينبغي أن يتضمن العناصر الأساسية عن المخطوطة، أو اسمها، واسم المؤلف، وأول المخطوطة، أو فاتحتها، وخاتمتها، وأجزاء المخطوطة،

ونوع الخط، وألوان الحبر، واسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانة وغلاف المخطوطة ومصدرها.

وقد شرحنا أهميتها في عناصر الفهرسة، وبعد هذا الاستخلاص السريع، يتضح أن فهرسة المخطوطات تتخذ أكثر من سبيل ومنهج، وهي على وجه التحديد ثلاثة:

١- منهج الدرجة الأولى، أو فهرسة القوائم والأدلة: وفيها أسس الفهرسة،

عنوان المخطوطة واسم المؤلف وسنة وفاته، وعدد أوراق المخطوطة، ونوع الخط، واسم الناسخ إن وجد، وسنة النسخ. وإذا كانت مصورة تذكر الأصلية في أي مكتبة، هذه أسس الحد الأدنى، كما يصف هذا المنهج عدد سطور، وطول المخطوطة، وعرضها، وإذا خلت سنة النسخ يحرص على ذكر السماعات، أو الإجازات، أو تملكات مؤرخة ترشد إلى أقرب تاريخ نساختها، لذلك لا ينبغي التقريط في هذه العناصر التي من دونها تصبح هذه القوائم ناقصة، وكان مثال هذه الدرجة الملتزمة بالحد الأدنى من العناصر هو فهرس مخطوطات شستريتي في دبلن - إيرلندا الذي وضعه الأستاذ المعروف اربري، وصدر بثمانية أجزاء من سنة ١٩٥٥م - ١٩٦٦م ووصف فيه ٢٥٠٠ مخطوطة. (١٦، ص ١٣٧) وقد جاءت بعض الفهارس الأوروبية باللاتينية، أو الألمانية، أو الفرنسية، أو الإنجليزية، وكان فهرس شستريتي على شكل قوائم بالمواصفات المذكورة آنفاً.

٢- منهج الدرجة الثانية: وهو المنهج الوصفي، حيث تضاف لهذه الفهرسة

رتوش، أي نهتم هل هذه جزء أم كاملة؟ وما هو أولها في المخطوطة ليشعرنا هل هي كاملة السماعات والقراءات والتملكات، لاسيما الذي تملكها مثلاً، عالم من العلماء، أو قاض من القضاة. وأهم ما يميز الدرجة الثانية على الأولى ليس السماعات فقط، وإنما أول المخطوطات وآخرها، وهذا المنهج لا يترك ملاحظة مفيدة إلا يذكرها، مثل الاهتمام بسنة وفاة المؤلف، أو ذكر القرن الذي عاش فيه، ومكان النسخ كذكر المدرسة، أو المنزل، وهذا منهج فهرس مجموعة غاريت في جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية، وفهارس معهد المخطوطات العربية

في عمومها، خاصة ما صدر منها في السنوات الأخيرة التي التزمت بهذا المنهج الصارم. كما أن هناك مشكلة وهي أن مخطوطاتنا موزعة في أنحاء العالم، وتلثيها لم يفهرس من ٧٦ ألف مخطوطة موجودة، ولذلك لم تتسنّ الفهرسة ضمن المنهج الثالث لتكلفة الفهرس الوسط وهي المفضلة لخدمة الباحث. الفهرسة أولاً ثم التحقيق واستقصاء النسخ ثم دراسة خطوة متتابعة للعمل. قلة المفهرسين، وكثرة المخطوطات غير المفهرسة، جعلنا نختار المنهج الوصفي فهو الذي يخدم البحث، لأنه يهتم بالسّماعات والقراءات والإجازات، وسنة النسخ، والتملّكات المهمة. ونعيد في طليعة الفروق وأهمها، أول المخطوطة وآخرها، وهو الفارق الرئيسي بين المنهجين، إذاً، لا بد من تفصيل، لأن كثيراً من المفهرسين يختارون أول المخطوطة، أول صفحة منها كأن يختار (بسم الله الرحمن الرحيم)، وهي موجودة غالباً.

وأهم كتاب بالمخطوطات "كشف الظنون" لمؤلفه حاجي خليفة، حيث يعتبر طليعة مبكرة في الفهرسة، ولكنه لم يكن ذا منهجية كاملة، أو مميزة (٤، ص ٧٢)، لذلك يجب الانتباه إلى المبتورة، لأي نقص في أول وآخر المخطوطة، أو المخرومة، لأي نقص في المخطوطات الداخلية أو صفحات، لذلك مصطلح الظهيرية ظهر متأخراً وهو وجه المخطوط وهل هو تعبيراً قديم على الأكثر تعبيراً حديثاً فالظهيرية ربما تعني آخره، وصفحة العنوان وجهه، وربما أنها جاءت بقصد أول ما يظهر من عنوان المخطوطة. (١٢، ص ١-١٥)، وهي فرصة أن نستعرض الريادة المعاصرة في الفهرسة مثل د. يوسف العش مدير المكتبة الظاهرية في دمشق، وقد ورثت هذه المكتبة مخطوطات كثيرة ونفيسة، وهو أول مدير لمعهد المخطوطات، ومن أعمدة مؤسسي المعهد، حيث قام بفهرسة مخطوطات التاريخ عام ١٩٤٧. وسار على المنهج الوصفي، واهتم بأول النسخة وآخرها. ويعتبر رائداً حديثاً رغم أنه حيناً يميل للمنهج التحليلي، وحيناً آخر يميل لمنهج القواعد، يأخذ المختصرات رغم أنه فصل في كتب مثل (مناهج الريحان عن الشعر والشعراء)، حيث كان من تحقيقه. ثم فؤاد سيد عام ١٩٥٤م الذي قام

بفهرسة مصطلحات الحديث واعتمد على المنهج الوصفي. كذلك كلف معهد المخطوطات لطفي عبد البديع في بإخراج فهرس بالتاريخ معتمداً على المنهج الوصفي (١٢، ص ١٥-١٥)

٣- **المنهج الثالث - المنهج التحليلي:** بمعنى أن تذكر ما في الأولى والثانية، ويضيف إليه تحليلاً مفصلاً للمخطوط، ولجميع مواده من أبواب وفصول، مع ذكر مكونات مادة هذه المخطوطة، مبيناً كل مكون ذكر رقم الصفحة، أو الورقة، وجهها أو ظهرها، إضافة إلى سبب تأليف الكتاب، ويضع بين قوسين مثلاً (٢و) ويعني ما موجود في صفحة من الوجه، ثم تكلم عن أغراض الكتاب (٣ظ) يعني في ظهر الورقة، ثم ذكر تقسيم الكتاب إلى أربعة أبواب ومقدمة، وفي الأول كتب عن فوائد البابونج في (٥و) وهكذا من أمثلة التفاصيل، وهذا بالتأكيد كما يذكر أستاذنا الشنطي، يخرج المفهرس عن نطاق عمله إلى ساحة الباحث، وهذه مسألة هامة ينبغي أن ننبه لها، وهي أهداف الفهرسة، وحدود عمل الفهرس، كما أن المآخذ على هذا اللون من جهد ووقت، إذا عرفنا إشكالية فهرسة المخطوطات التي نحو ثلثيها لم يفهرس وندرة المفهرس الكفاء وفقدان التمويل الذي يحتاجه نشر هذه المجلدات الضخام . (٨ , ص ١٣٥)

الرأي:

يمكن القول إن التفاوت في استخدام مناهج الفهرسة حتى عناصرها ومصطلحاتها، قد وقع فيها لبس، فكم من الألفاظ الصحيحة المسجلة في بطون المعاجم العربية مات لأنه متداول على الألسنة، وكم من الألفاظ الصحيحة تقرها اللغة العربية لا نجد لها أثراً في الاستخدام، أو حتى في المعاجم المتخصصة، وربما هذا اللبس خلق فوضى في استخدام المصطلحات، أو اختلفت بطبيعتها بيئياً في المنهاج المتبع في أساليب وصف المخطوطات، فهل يرجع السبب إلى عدم تحديد الفهرسة تحديداً علمياً من شأنه أن يوحد هذه العملية في جميع الجهات؟ لذلك نرى من حدد

الفهرسة بالنسبة إلى علم المخطوطات منهم من جعلها عنصراً من عناصر هذا العلم، ومنهم من اعتبرها فناً قائماً بذاته، يتداخل ويتكامل مع علم المخطوطات، فعناصر توصيف المخطوط يشترك في الاهتمام بها كل من الكوديكولوجي والمفهرس فكلاهما يعمل على التعريف بالمخطوطة ودراستها باعتبارها قطعة مادية، ومنها مصدر المخطوط الذي يتكلف المفهرس البحث به حيثما يصف المخطوط مثلاً جاء من خزانة كذا، أو محفوظاً في زاوية معينة، أو جاء بها وحيه معين. (٨ ، ص ١٣٣)

فالمؤرخ يؤرخه بالتقريب اعتماداً على الحدس والتجربة الشخصية في مجال الفهرسة، وهذا يجعله قد يصيب وقد يخطئ.. فالتوثيق هو عماد الفهرسة، ولا نبالغ إذا قررنا أن التوثيق هو الفهرسة كلها، وذلك لأن جميع خطوات الفهرسة من وصف للمخطوطة، وذكر أولها وآخرها وإيراد عدد أوراقها وسطورها ومقاساتها، هي عملية توثيقية وصفية. فالفهرسة هنا تعد الخطوة الأولى في خدمة المصطلحات وترتيبها وتوصيفها، ونستنتج من ذلك أنه لا بد من توضيح العنوان حتى لا يشترك مع الآخر، ومعرفة المؤلف مثلاً بالكنية، أو اللقب، وربما اسمه، ثم اسم الأب والجد والجد الأعلى المنسب إلى قبيلة، والمكان الذي ولد فيه، وقد تكون الشهرة للجد الأعلى مثل العسقلاني. (٨ ، ص ١٣٧) ، إذاً ترتيب البطاقة حيناً بالعنوان، والمؤلف وحيناً للمصادر التي اعتمدت عليها في توثيق العنوان، وهي من صفات المحقق والمفهرس الذي يجب أن يعطي تراجم للمؤلف والعنوان .. إذاً نحن أمام كم هائل من العناء، والمشقة التي تتطلب الصبر والأناة، فنحن وقلة مفهرسين، ومخطوطات هائلة غير مفهرسة، هو ما جعلنا نميل أكثر لاختيار المنهج الوصفي لأسباب ذكرت أثناء البحث.

تصميم بطاقة فهرسة:

من خلال دراستنا في قسم البحوث والدراسات التراثية، ما زلنا ننهل المعرفة
أساتذة شيوخاً، من علومها ومعرفتها في هذا الاختصاص الذي مازلنا نحن تلاميذ تحت
أيديهم هذه من جهة، ومن جهة أخرى أساتذتنا في إعداد ما نكلف به من بحوث قد
تكون متواضعة أمام معرفتهم، لكنهم يأخذون بأيدينا لكي نكون أمام الخطوات الأولى

في أهم قضية وهي فهرسة المخطوطات، ولذلك لم نجد بطاقة مستوفية وملمة بما يحويه هذا الموضوع من تفاصيل، لذا ليسمح لي أستاذي الأستاذ عصام الشنطي أن تكون بطاقته التي صممها، وهو صاحب الخبرة الطويلة هي نفسها التي تكون ضمن بحثي المتواضع هذا، لذلك أميل إليها، كما تعلمنا منه أن الفهرسة الوصفية هي المناسبة لعملنا للأسباب ذاتها.

خلاصة البحث ونتائجه:

الفهرس جزء هام وأساسي من أجزاء الكودولوجيا، وهو يقدم بيانات عن محتوى المخطوط وعن الشكل المادي له، والإشارة إليه، كما أنه كتاب تجمع فيه أسماء الكتب والفهرس (وهو الكتاب الذي تجمع فيه أسماء الكتب وهو معرب عن فهرست الفارسية) (٣، ص ٢٠٤). من ذلك الفهرس الببليوغرافي الذي وضعه الشاعر اليوناني كاليماخوس في القرن الثالث قبل الميلاد لأهم مكتبات العصر القديم وهي مكتبة الإسكندرية، إلى كتاب الفهرست لابن النديم الذي بدأ تأليفه سنة ٣٧٧م، وهو أول ببليوغرافي عربي وصل إلينا، وقد سبقت أنواع من الفهارس ذكرها ابن النديم نفسه واستفاد منها في موضوعات محددة، ولاشك أن جميع المكتبات الإسلامية منذ أول مكتبة أنشأها خالد بن يزيد، مروراً ببيت الحكمة في بغداد ونظيره في القيروان، ودور العلم ومكتبات المدارس كانت لها فهارس تعرف بمقتنياتها ولكننا لا نعرف شيئاً عن طبيعة وشكل ونوعية هذه الفهارس فيما عدا ما ورد ذكره في المصادر.

أما فهرسة المخطوطات في العصر الحديث فلم تبدأ في أوروبا على أيدي المستشرقين، بل قام بها علماء مشاركته كانوا يتقنون اللغة العربية، إضافة إلى اللغات الأخرى. أما فهرسة المخطوطات في الشرق فقد بدأت لأول مرة في مصر مع إنشاء الكتب خانة الخديوية سنة ١٨٧٠م، رغم أنها خلطت بين المخطوط والمطبوع ولم تفرد المخطوطات بفهارس مستقلة. (٨، ص ١٣٨)

كانت البداية لوضع فهرس تفصيلية للمخطوطات العربية في الشرق مع الدكتور يوسف العش الذي وضع فهرس التاريخ ١٩٤٧م، مصورات معهد المخطوطات العربية بين ١٩٥٤-١٩٦٤م، ويقوم المنهج الذي اتبعه في الفهرسة على ذكر عنوان الكتاب كاملاً، مع الإشارة إلى ما أشتهر به من عناوين أخرى، وذكر اسم المؤلف كاملاً، مصحوباً بلقبه، وشهرته، وتاريخ ميلاده، ووفاته، وتحديد العصر الذي ألف فيه كتابه، وذكر أول كتاب مع عبارة توضح مقاصده، وأغراضه وتحديد أبوابه وفصوله مقتبسة من ديباجة المؤلف، ومقدمته، وذكر عبارة الختام للكتاب مع بيان الأجزاء والمجلدات، ويتبع ذلك بذكر الأوصاف المادية للكتاب، كتعيين نوع الخط وتاريخ النسخ، واسم الناسخ إن كان موجوداً، وإثبات ما على النسخة من دلائل تعيين عصرها. (١١، ص ٩)، إن خلت من التاريخ كالسماعات والقراءات والمطالعات والتملكات والوقيات، مع ذكر أوراق النسخة، وعدد الأسطر في الصفحة، وحجم الكتاب، إضافة إلى حالات كثيرة لها أسماء واشتهرت بعناوين معينة، أو كانت اختصاراً لكتب أخرى. وبعد هذا العرض تشكلت على أيدي المتصدين لهذا العلم عناصر للفهرسة التي من ضمنها عنوان المخطوطة التي تثبت اسم المخطوطة، مثلما ورد في صفحة العنوان صحيحاً، بعد أن نتأكد من قراءة المقدمة والرجوع إلى المصادر التي توثق اسم المخطوط، واسم المؤلف الذي يذكر كاملاً بكنيته، ولقبه، وشهرته، كذلك نرجع إلى المصادر التي توثق اسم المؤلف، ككتب التراجم والطبقات لتلافي تشابه أسماء المؤلفين. كما أن أول المخطوطة أو فاتحتها المقصود منها معرفة الجمل الأولى منها، مستبعدين ما يتكرر في كل مخطوطة تقريباً كالبسملة. (١٧، ص ٢٢٠)، والقصد الثاني هو التأكد من صحة اسم المخطوطة، ومؤلفها ومنهجه في التأليف، وسبب تأليفه، أما أولها أو خاتمها والتي لا نطيل في الاقتطاف منها فنكتفي بذكر الجمل الأخيرة التي تسبق تاريخ النسخ، كاسم الناسخ، ونهتم بما يشعر أن الكتاب قد تم، عن المخطوطة، وعدد أوراقها، وعدد الأسطر، وقياس الصفحات، وترقيمها، ونوع الورق، كذلك من عناصر الفهرسة نوع الخط وألوان الحبر التي تحتم أن يكون المفهرس ملماً بأنواع الخطوط،

ويذكر الخط الذي كتبت به المخطوطة، ويشير إلى تغيير الخطوط في المخطوطة الواحدة، إذا تعاقب عليها أكثر من ناسخ. واسم الناسخ وتاريخ النسخ، ومكانه، وعمله، إن كان عالمًا، أو خطاطًا، ونحتاج إلى الرجوع إلى المصادر وكتب التراجم لذكر تاريخ النسخ باليوم والشهر والسنة، وإذا كانت غير مؤرخة فتقدير القرن الذي كتبت به، والمفهرس المدرب يستطيع أن يقدر عصر كتابة المخطوطة. (١٨، ص ٥٨)

كذلك غلاف المخطوطة التي يعلق عليها المفهرس، ويذكر الجلد ونوعه إذا كان منقوشًا، أو مذهبًا، أو مزخرفًا، ويحدد عمر المخطوطة ويبين مصدرها الذي أتت منه شراءً، أو هبةً أو وقفًا، على أن يبين رقمها القديم لتعيين الباحث، أما في باب الملاحظات فيذكر التملكات وإذا كانت النسخة مصححة أو مقابلة على نسخة أخرى، مع ذكر حالتها إن كانت جيدة، أو فيها خرم أو طمس، أو إذا كانت خزائنية، أي كتبت لملك أو سلطان، وغالبًا ما تكون مجودة الخط أو مذهبية، ومن المفهرسين من يهتم ببيان الكتاب فيما إذا سبق طبعه، ومكان نشره، ومقارنة المخطوطات بالمطبوعات، وبيان الزيادات، كذلك يذكر المصادر التي رجع عليها للتحقيق من اسم المخطوطة واسم المؤلف وسنة وفاته، ونسبتها إلى صاحبها، وذكر المصادر التي يرجع إليها للتأكد من تمام عمله. (١٨، ص ١٢)

كما أن هناك مشكلات تواجه المفهرس عليه أن يبذل جهده لاكتشاف اسم المخطوطة وقراءة المقدمة. وهنا تبرز أهمية سعة ثقافة المفهرس، وطول تجربته ما يؤدي إلى كشف غموض هذه المخطوطة. ولغرض دراسة مناهج الفهرسة وهي ثلاثة: الأول، فهرسة القوائم والأدلة وفيها أسس الفهرسة، وعنوان المخطوط، واسم المؤلف، وسنة وفاته. (١٤، ص ٢١)، وعدد أوراق المخطوط ونوع الخط، واسم الناسخ، وسنة النسخ، وإن كانت مصورة يذكر الأصل في أي مكتبة. هذه أسس الحد الأدنى لهذا المنهج، أما منهج الدرجة الثانية، أو ما يسمى بالمنهج الوصفي والذي من أهم مميزاته هو أول المخطوطة وآخرها ليشعرنا إذا كانت كاملة مع ملاحظة السماعات والقراءات والتملكات، وقد شرحنا في البحث أسباب ميولنا لهذا النوع. (١٦، ص ١١)

أما المنهج الثالث فهو المنهج التحليلي، وهو ذكر ما في الأول والثاني ويضيف إليه تحليلاً للمخطوط، مثلاً ابتدأت المخطوطة بمقدمة ذكر فيها سبب تأليف الكتاب واستخدام الرموز ثم ذكر تقسيم الكتاب إلى أبواب ومقدمة، وأول من صنع هذا النوع من الفهارس المستشرق الألماني اولدورث. (٦، ص ٣٩)

وبما أن مخطوطاتنا موزعة في أنحاء العالم وثلاثها لم يفهرس بما يفوق ٧٦ ألف مخطوطة لذلك من الصعوبة بمكان أن نفهرس ضمن المنهج الثالث لتكلفته، وبهذا يكون الوسط هي المفضلة لخدمة الباحث أولاً ثم تحقيق ثم دراسة وما يعنيه التحقيق في استقصاء النسخ، وهي خطوات متتابعة، وباختصار، فإن قلة المفهرسين وضخامة المخطوطات غير المفهرسة جعلتني أميل لاختيار المنهج الوصفي. ومما تقدم يتضح أن فهرسة المخطوطات ليست أمراً سهلاً بل تحتاج إلى ثقافة وسعة الاطلاع وصبر وأناة على الأدوات التي يعمل بها...

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
معهد المخطوطات العربية
بطاقة فهرسة
مخطوطات مصورة
((تصميم بطاقة نموذجية))

- اسم المخطوطة :
- المؤلف وسنة وفاته :
- تعريف موجز بالمخطوطة وسنة التأليف :
- الأجزاء :
- مصادر الترجمة والتوثيق :
- أولها :
- آخرها :
- اسم الناسخ :
- نوع الخط وتاريخ النسخ ومكانه :
- عدد الأوراق : عدد السطو : القياس :
- السّماعات والإجازات والتملكات والقراءات والوقفيات والمقابلات وملاحظات
أخرى :
- مصدر المخطوطة ورقمها وموضوعها فيه :
- الرقم بالمعهد موضوعها :
- طباعات المخطوطة :

المصادر

- ١- أحمد شاكر, تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة, مكتبة السنة , ١٤١٥ هـ .
- ٢- أيمن فؤاد سيد, الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات, الدار المصرية اللبنانية, القاهرة, ١٩٩٧ .
- ٣- أيمن فؤاد سيد, دار الكتب المصرية تاريخها وتطورها, مكتبة الدار العربية القاهرة, ٢٠٠٥ .
- ٤- رمضان عبد التواب, مناهج تحقيق التراث بين القدماء والمحدثين, مكتبة الخانجي, القاهرة, ١٩٨٦ .
- ٥- شعبان عبد العزيز خليفة, محاضرات في المخطوط العربي, معهد المخطوطات العربية, القاهرة , ١٩٨٨ .
- ٦- صلاح الدين المنجد, قواعد فهرسة المخطوطات العربية, دار الكتاب الجديد, بيروت, ١٩٧٦ .
- ٧- عايد سليمان المشوخي, فهرسة المخطوطات العربية, مكتبة المنار, الأردن, ١٩٨٩ .
- ٨- عبد الستار الحلوجي, المخطوط العربي, الدار المصرية اللبنانية, القاهرة, ٢٠٠٦ .
- ٩- عبد الستار الحلوجي, نحو علم مخطوطات عربي, الدار المصرية اللبنانية, القاهرة, ٢٠٠٦ .
- ١٠- عبد السلام هارون, التراث العربي, النركز العربي للثقافة والعلوم, بيروت

- ١١- عصام الشنطي, جهود المنجد في خدمة التراث, دار الكتب, المصرية, القاهرة, ٢٠٠٥.
- ١٢- عصام الشنطي, مناهج فهرسة المخطوطات, دار الكتب, المصرية, القاهرة, ٢٠٠٥.
- ١٣- فيصل الحفيان, صلاح الدين المنجد فارس لم يترجل يوماً, دار الكتب المصرية, القاهرة, ٢٠٠٤.
- ١٤- كمال عرفات نبهان, كشف نصوص التراث العربي, مكتبة الأمام البخاري, ٢٠٠٩ القاهرة.
- ١٥- كمال عرفات نبهان, عبقرية التأليف العربي علاقات النصوص والاتصال العلمي, مركز دراسات المعلومات والنصوص, القاهرة, ٢٠٠٦.
- ١٦- محمود محمد الطناحي مدخل إلى تاريخ نشر التراث, مكتبة الخانجي, القاهرة ١٩٨٤.
- ١٧- محمود محمد الطناحي, الفهرس الوصفي لبعض نواذر المخطوطات, جامعة الإمام محمد بن سعود, الرياض, ١٩٩٣.
- ١٨- ميري عبودي فتوح, فهرسة المخطوطة العربي, دار الرشيد للنشر, بغداد, ١٩٨٠.
- ١٩- نصر الله مبشر الطرازي, الفهرس الوصفي للمخطوطات الفارسية المزينة بالصور, دار الكتب المصرية.

ملحق بمعجم الأعلام الذين وردت أسماؤهم في البحث

- ١- **ابن الجزري:** هو محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري الدمشقي. ولد بدمشق سنة ٧٥١هـ - ١٣٥٠م، كان غزير الإنتاج في التأليف في أكثر من علم من العلوم الإسلامية وكان مشهوراً بعلم القراءات، وله كتاب في الحديث والفقه والتاريخ وعلوم العربية.
- ٢- **ابن النديم:** هو أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق ت (٣٨٥هـ - ١٠٤٧م) أديب وكاتب سيرة ومصنف وجامع فهارس صاحب الكتاب المعروف "كتاب الفهرست" جمع فيه ما صدر من الكتب في زمنه، وهو عربي من أهل بغداد، وعمل كاتباً وخطاطاً ونساحاً للكتب.
- (إسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين وآثار المصنفين ، ج ٢، ص ٥٥)
- ٣- **ابن حجر:** شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني، مصري المولد توفي ٨٥٢هـ له مؤلفات، منها فتح الباري في شرح صحيح البخاري. تهذيب التهذيب ولسان الميزان، وكان شاعراً وتبوا مكانه مرموقة بين أدباء عصره.
- (صلاح الدين المنجد، قواعد فهرسة المخطوطات، ص ٢٩)
- ٤- **ابن خير:** أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة، المشهور بأبن خير الأندلسي توفي (٥٧٥هـ - ١١٧٩م) هو إمام وحافظ ومجرد لغوي ونحوي أندلسي أشبيلي، اشتهر بمؤلفه فهرسة ما رواه عن شيوخه. (رمضان عبدالنواب، تحقيق مناهج النصوص، ص ٢٢)

٥- **ابن دريد**: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد عتاهية الأزدي البصري. ولد في البصرة وتوفي ٣٢١هـ - ٩٣٣م . وهو عالم وشاعر وأديب عربي. (هدية العارفين، ج ٢، ص ٣١)

٦- **أبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني**: ولد ببغداد سنة ٢٩٦هـ - ٩٠٩م وتوفي سنة ٣٨٤هـ - ٩٩٣م. كان أبوه خليفة لوالي خراسان، أخذ اللغة والأدب عن ابن دريد، وأخذ علم الكلام وكلام حسن الترتيب لما يصنعه من التراجم. (هدية العارفين، ج ٢، ص ٥٤)

٧- **بروكلمان**: كارل بروكلمان ولد في سنة ١٨٦٨ في مدينة روستوك. هو مستشرق ألماني بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، من أهم مؤلفاته: كتاب العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، وكتاب أخبار الرسل والملوك، وتاريخ الآداب العربية. اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي وله كتاب مشهور اسمه تاريخ الشعوب الإسلامية .

(رمضان عبدالنواب، مناهج تحقيق التراث، ص ٦١)

٨- **حاجي خليفة**: ويعرف كذلك بلقبه كاتب جلبي ت (١٠٦٨هـ - ١٦٥٧م) جغرافي ومؤرخ تركي عارف بالكتب ومؤلفها يعتبر أكبر موسوعي بين العثمانيين. اكتسب شهرة بمعجمه الكبير (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون).

(خير الدين الزركلي، الاعلام، ج ٢، ص ٣١٢)

٩- **الخطيب البغدادي**: أحمد بن عبد المجيد بن علي بن ثابت المعروف بالبغدادي، ت (٤٦٣هـ - ١٠٧١م) مؤرخ عربي. من مؤلفاته تاريخ

بغداد الذي جمع فيه ترجمة العلماء الذين عاشوا فيها حتى أواسط القرن الخامس الهجري. (هدية العارفين، ج ١، ص ٩٠)

١٠- **خير الدين الزركلي**: ولد عام ١٨٩٣م في بيروت وتوفي عام ١٩٧٦ كاتب ومؤرخ تنتقل في عدد من البلاد العربية، وهو من أصل كردي نشأ في دمشق وتعلم في مدارسها، من أهم مؤلفاته "كتاب الإعلام" وهو قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين يقع في ثمانية أجزاء.

١١- **صلاح الدين أصفدي**: هو صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أبيك أصفدي الدمشقي، ولد في صدف ٦٩٦هـ. حفظ القرآن الكريم في صغره، ثم طلب العلم وبرع في النحو واللغة العربية والآداب وكتب الخط المنسوب من مؤلفاته: الوفي بالوفيات وهو مطبوع في ثلاثين مجلدًا، وأعيان العصر وأعوان النصر توفي سنة ٧٦٤هـ .

(رمضان عبدالتواب، مناهج تحقيق التراث، ص ٧١)

١٢- **عمر رضا كحالة** (١٩٠٥-١٩٨٧): مؤرخ وباحث وكاتب من أهل دمشق من أهم مؤلفاته "معجم المؤلفين".

١٣- **فؤاد سزكين** : ولد البروفيسور فؤاد سزكين عام ١٩٢٤م في بطليس، تركيا، وأكمل دراسته في الجامعة التكنولوجية. لكنه تعرف إلى المستشرق هلموت ريتز الذي كان يدرس هناك وتعلم العربية جيدًا، عام ١٩٥٤ حصل على الدكتوراه بأطروحة عنوانها "مصادر البخاري". (رمضان عبدالتواب، مناهج تحقيق التراث، ص ٦٣)

كان واسع الاهتمام بمسألة نشر التاريخ الحقيقي للعلوم العربية في
العصر الإسلامي وتأثيرها في بلاد الغرب، من مؤلفاته تاريخ الأدب
العربي .